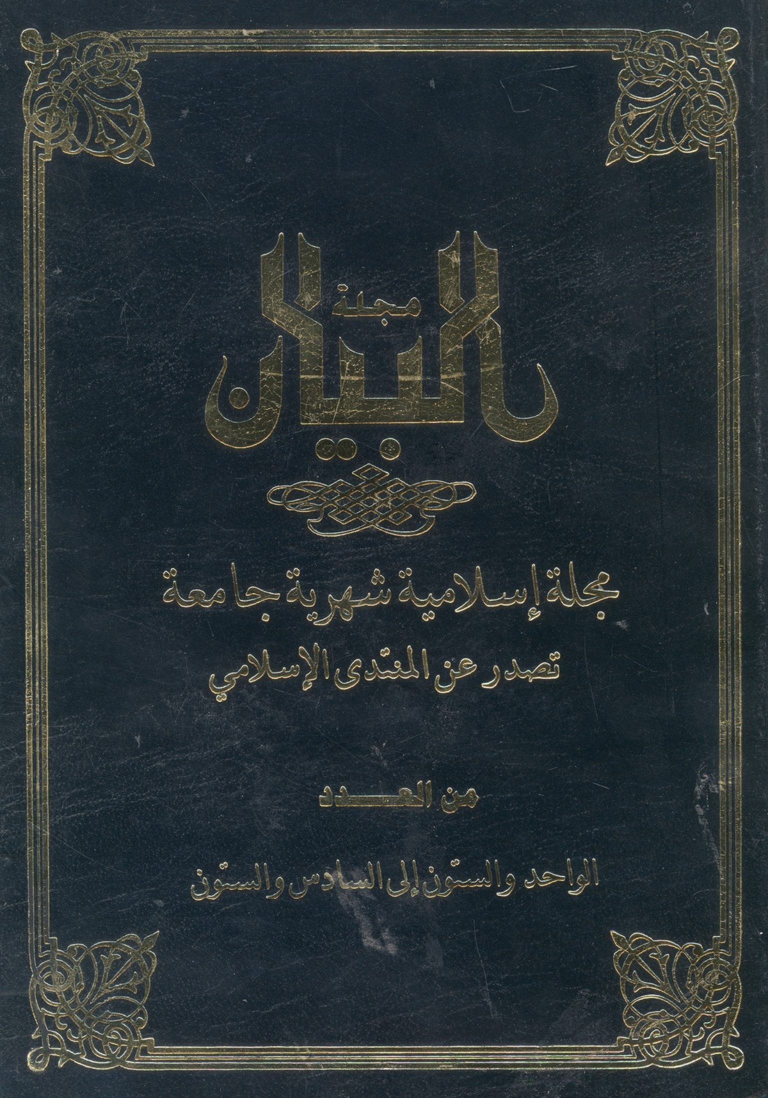

مجلة
البيان
مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي
من العدد
الواحد والستون إلى السادس والستون

البيان

العدد الحادي والستون
رمضان ١٤١٣ هـ
مارس ١٩٩٣ م

مجلة إسلامية شهرية
جامعة
تصدر عن
المنتدى الإسلامي
لندن

رئيس التحرير
محمد العبدة

العنوان

AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR U.K.

Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 371 5307

كلمة صغيرة

لم يغفل القدماء عن موضوع الكتابة فتكلموا عن مقاصد التأليف التي ينبغي اعتمادها فذكروا منها: أن يأتي الكاتب بجديد مستنبط، فيستفيد الناس منه وقد يكملون ما بدأه، أو أن يشرح غامضاً بعد أن يتمكن من فهم النص، أو يعثر على غلط واضح بيّن فيصححه، أو يرى نقصاً في موضوع فيكمله، وهذا كما ينطبق على تأليف الكتب، فإنه ينطبق على إنشاء المقالات والبحوث والدراسات، فلم التعب والعناء في موضوع قد درس وأشبع درساً وكتب حوله الكثير، ولماذا لا ينصف الناس من أنفسهم ويريحون غيرهم؟

المحرر

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

اليد العليا
خير من اليد السفلى

نستقبل في هذه الأيام شهر رمضان العظيم الذي أنزل فيه القرآن روحاً وحياة للإنسان الذي يهتدي بهداه، وعميً على كل من كفر وابتعد عن أنوار التنزيل وتاه في قفر الأوهام، وكان من أسرار هذه العبادة في هذا الشهر المبارك أن المسلم يمتنع عن شهواته المباحة من الطعام والشراب فيتعود الصبر والمشاق والخشونة والرجولة والعزة والكرامة، فينشأ إنساناً آخر غير الذي تعرفه المجتمعات المهينة أو المجتمعات المتكبرة.

هكذا تعلم المسلمون من رمضان، وقد سمعوا قول الرسول ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»[1]، فكان أحدهم يقع السوط من يده فينزل عن فرسه ليأخذه، ولا يطلب من أحد مناولته إياه. وأقسم الصحابي الذي سمع هذا الكلام أن لا يقبل عطاء من أحد بعد رسول الله ﷺ.

وكان مما عرفناه عن الأمة التي تشرفت بحمل الرسالة، ونزل القرآن بلغتها كانت تقول في أمثالها: «تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها» إشارة إلى

١- فتح الباري ٣/٣٥

منتهى الإباء والشموخ، ثم دار الزمان دورته، ونعيش هذه الأيام لنرى المسلمين يتكففون أيدي الناس، وينتظرون المعونات من الدول والمجتمعات الغربية والغنية، رضوا بالأدنى على الذي هو خير، يريدون أن يقوم اقتصادهم على الصدقات والمنح، وينتظرون تحسن الميزانيات عن طريق من يأتي ليستمتع بالدفء المتوسطي، وإذا ألقيت نظرة على الجرائد وصفحاتها الاقتصادية فستجد أن المشاريع في هذه البلاد هي بناء الفنادق على شواطئ البحار، أو شركات أجنبية لتحسين إنتاج التبغ!! أو استيراد المواد الاستهلاكية، وبعض الدول الفقيرة تحلم ببئر من البترول حتى تنتقل فجأة من الفقر إلى الغنى وحتى يمرح الشعب ويفرح، فهم كالفقير الذي يحلم بكنز من ذهب فهو يبحث عنه وما هو ببالغه، أما التفكير في الزراعة والصناعة ، وتشجيع المهن اليدوية وأنواع الخبرات العالية في شتى فروع التقنية فهذا غير وارد عند القوم إلا قليلاً، وقد سرى هذا الداء إلى الأفراد بشكل عام، فالعربي الذي يملك مالاً إذا فكر في الاستثمار سواء في بلده أو في بلد أجنبي، فلا يفكر إلا في الأشياء الاستهلاكية التي تدر ربحاً سريعاً ومفاجئاً، وكثيراً ما يكون هذا الربح السريع من المال الحرام.

والسبب في هذا أنه ليس في مناهج التربية تكوين الشخصية المستقلة التي تكافح وتغامر وتضرب في الأرض وتركب البحار، بل تربى على الغش والذل واكتساب المال بالحيل، وسبب آخر وهو حب الظهور والفخفخة، وهذا لا بد له من المال الكثير في الوقت القليل، ولذلك لا يطلب الرزق من الوجوه الطبيعية مثل الزراعة والصناعة والتجارة.

وأساس التقدم الاقتصادي هو العمل وليس البحث عن الكنوز، وانتظار

المفاجآت. روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه»[1]، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك»[2]، وكان أحد أتباع التابعين يقول لتلاميذه: «ألزموا السوق»، ويقول الإمام أحمد رحمه الله: «أحب الدراهم إليّ درهم من تجارة، وأكرهها عندي الذي من صلة الاخوان».

إن الحكومات والشعوب تبحث عن الأدنى مع أن خيرات البلاد العربية والعالم الإسلامي كثيرة وفيرة وأرضها واسعة، وتربتها طيبة، وإن بداية الاستغناء عن ذل القروض أو الهبات هو في العمل الزراعي والصناعي، وإذا كانت أوربا قد تكتلت في الحلف الاستعماري عام ١٨٨١ فإنها تتكتل الآن في صورة (السوق المشتركة) من أجل الزحف الاقتصادي، ومع الأسف فإن أكثر المجتمعات استهلاكاً في العالم هي المجتمعات الإسلامية إلا ما ندر، ومن الغريب أن بعض الدول العربية كانت حالها في الخمسينات والستينات أفضل مما هي عليه الآن سواء من حيث الزراعة أو التصنيع، فهل رأيتم كيف تنهب الأموال وتسلب البركة، وكيف تذل الشعوب.

قلنا في العدد الماضي أن من السياسة العليا اهتمام المسلمين بالمدارس والمناهج، ونقول هنا أيضاً إن من السياسة العليا اهتمام من يملك المال بالاستثمار في الزراعة والصناعة حتى لا نستجدي غذاءنا من عدونا.

رئيـــس التحريـــر

١- أبو بكر الخلال/ الحث على التجارة/٢٧، وقال المحقق أنه صحيح.
٢- السلسلة الصحيحة ١٤٥٠ .

﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله﴾

د. عبد الكريم بكار

يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾** [البقرة ٢٤٩]، تسلط الآية الكريمة الضوء على قضية مهمة من حياتنا، هي قضية (الكم والكيف)، وعلى العلاقة الجدلية بينهما؛ فحين خرج طالوت لحرب جالوت خرجت معه الألوف المؤلفة من الجند (كم) فأراد أن يعرف عن نوعية الرجال الذين سيقاتل بهم فابتلاهم بالشرب من النهر، فشرب منه السواد الأعظم منهم، ولم ينجح في ذلك الامتحان سوى ثلاثمائة وبضع عشر رجلاً ـ كعدة أصحاب بدر ـ وكان موقف هذه القلة القليلة من جيش جالوت الموقف الذي يتناسب مع كيفهم، فقالوا: **﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾**، هذه الفئة القليلة هي الغالبة لما نالت من تأييد الله ونصره؛ لنصرها دينه واستحواذها على شروط النصر.

وفي ختم الآية: ﴿**والله مع الصابرين**﴾ إشارة إلى أن هذه الفئة كانت تتحلى ـ في جملة ما تتحلى به ـ بالصبر الضروري لمجالدة العدو.

إن للكيف شأناً وأي شأن في أوقات الأزمات عامة ومصارعة الأعداء خاصة؛ حتى إن الرجل ليغالب العشرة من الرجال ﴿**إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين**﴾ [الأنفال ٦٥]. وهذه الدنيا دار ابتلاء، ومن ثم فإن بني البشر محاطون بكل ما من شأنه أن يكون ابتلاءً لهم، الزمان والمكان والأشياء والأفكار والأعراض، وكل ما نتركه غفلاً على حالته الفطرية فهو (كم) يتحدى، ويضايق، وقد يشوه، ويقتل!! ومن ثم فإننا نمتلك من القدرة والحرية على مقدار ما نكيفه من تلك الفطريات.

ونحن بني البشر محدودو الطاقات والإمكانات، ومن ثم فإن توسعنا في الكم لا بد أن يكون على حساب الكيف، كما أن التوسع في الكيف لا بد أن يكون على حساب التوسع في الكم، وهذا يوجب علينا أن نتعلم كيف نركز على الكم، وكيف نركز على الكيف، ومتى يكون هذا، ومتى يكون ذاك؟ وإلا فربما ذهب كثير من جهدنا هباءً!

وعلى سبيل المثال فإن الظواهر الاجتماعية تتكون على سبيل التدرج، وإذا ما استقرت، وصارت عرفاً ضغطت على الناس ضغطاً شديداً، وهي لا تعتمد في سيرورتها على الكيف، لكن على الكم، ومن ثم فإن القول السائر في صددها يكون باستمرار: الناس يعيبون هذا، والناس يحبون هذا، بقطع النظر عن توعية القائلين، ومن هنا جاء الحديث الشريف: «من كثر سواد قوم فهو منهم»[1] حيث إن تكثير السواد في بعض المواقف، كالمؤتمرات

١- من حديث لابن مسعود يرفعه. انظر فتح الباري ٣٧/١٣ .

والتظاهرات ـ مثلاً ـ يكون هو الهدف مهما كان القصد! وهذا يعني أن جهداً كبيراً ينبغي أن يبذل في اتجاه جعل الدين ثقافة عامة للناس يؤصلون أعرافهم عليها؛ فلا يصبح المعروف منكراً ولا المنكر معروفاً..

وعلى صعيد الكيف فإن باحثاً واحداً يعد مرجعاً في فرع من فروع المعرفة أجدى على التقدم العلمي من ألوف الملقنين المدرسيين. ونحو من هذا الوظائف الإدارية والقيادية العليا، فإن شخصاً موهوباً مؤهلاً واحداً أنفع من مئات الأشخاص (الخام) الذين يحتاجون إلى من يصرف أمورهم..

وفي قضايا الفكر والرأي والالتزام قد ننظر للكم تارة وقد ننظر للكيف تارة أخرى؛ فإذا كان الحق الذي نتبعه قطعياً ـ أي ليس مناطاً للاجتهاد ـ فإن الكم مهدور حينئذ، وهذا معنى قول بعض السلف: الجماعة أن تكون على الحق، ولو كنت وحدك. وحين يكون الحق اجتهادياً فإن الكم حينئذ معتبر، ومن هنا نشأت أهمية كلمة (جمهور) عند الفقهاء وغيرهم.

إن أمتنا اليوم لا تعاني اليوم من نقص في (الكم) على أي صعيد من الصعد، لكنها تعاني من نقص شديد في (الكيف)؛ فنحن اليوم أكثر من خمس العالم، وأراضينا واسعة شاسعة وخيراتنا كثيرة وفيرة، لكننا إلى جانب هذا في حالة معيشية مأساوية على أكثر الأصعدة، فأكثر بلدان العالم الإسلامي مصنفة مع البلدان الفقيرة، وكثير من شعوبنا يعيش تحت مستوى الفقر! وأعلى نسبة للأمية موجودة عندنا! أما الوزن الدولي فنحن جميعاً على الهامش موزعون ما بين شرق أوسط وأقصى وأدنى، أي أننا نُصنف باستمرار تبعاً لموقعنا في المركز!!

ومع أن الوحدة ظلت المحور الذي يجذب مشاعرنا وأدبياتنا، إلا أن

حالتنا الراهنة تتجه باستمرار إلى مزيد من التمزق والتفكك، مع أن العالم من حولنا يسير إلى التوحد والاندماج! أما حقوقنا وكرامتنا وأراضينا فوضعنا ووضع العالم منها يلخصه المثل العربي القديم: «أوسعتهم سباً وأودوا بالإبل»!!

ولا أريد أن أتمادى في (النبش) وتتبع المواجع حتى لا نقع فريسة اليأس القاتل لكن ما أريد أن أقوله هو أن وضعنا الحالي قد جاءت به النذارة في نصوص كثيرة منها: حديث[1] القصعة المعروف، والذي وصف حالة الأمة بالغثائية، والتضاؤل على المستوى الظاهري: «غثاء كغثاء السيل، وعلى مستوى المضمون «الوهن»: «حب الدنيا وكراهية الموت».

وللغثاء سمتان أساسيتان: خفة الوزن وعدم الترابط، ويترتب عليهما نتيجة مخيفة، هي فقد الاتجاه الحر، فالغثاء يساق دائماً إلى حيث يريد، وإلى حيث لا يريد؛ وفي موازين عديدة يعد فقد الاتجاه فقداً للوجود ذاته!!

وهذا كله يعني أن أحوالنا الثقافية والسلوكية والاقتصادية إذا ظلت على ما هي عليه فلن تفرز إلا التبعية للآخرين، والتي ستفرز من جهتها باستمرار صراعات في بُنانا العميقة تؤكد الغثائية وتؤصلها!!

كيف نحول الكم إلى كيف؟

نحن في حركتنا اليومية نقوم باستمرار بتحويل (الكم) إلى (كيف) فلا مشكلة في الممارسة العملية، لكن الإشكال يكن في فقد التوازن بين الكم والكيف، أو بعبارة أخرى في الكم الهائل الذي نستطيع تكييفه؛ مما يحوله إلى عبء ثقيل وعقبة كأداء في طريق نجاحنا؛ فالأمي والجائع والمريض

١- أخرجه أحمد وأبو داود.

والمنحرف والفوضوي والكسول، كل أولئك يشدون الأمة بعنف نحو الوراء، ويقفون في وجهها، وهي تخطو نحو الخلاص من الغثائية، وليس هذا فحسب بل إن هذه الهلاميات تستطيع أن تتأبى على أي قالب تشكيل تصادفه، مما يجعلها دائماً نقاط ضعف في جسم الأمة ونقاط ارتكاز ورؤوس جسور للمتربصين بها الدوائر!!

ويكون السؤال حينئذ: كيف نحد من نسبة هؤلاء لتكون قريبة من الطبيعية؟؟ إن هناك كلاماً كثيراً يمكن أن نقوله في هذا الشأن، لكنني أود أن أشير إشارة عابرة إلى محاور أربعة أحسبها منطلقات مهمة في هذه السبيل:

١- أن نشيع في الأمة روح التوحد على الأصول والحق القطعي، وذلك يستلزم جهوداً دائمة في بلورة ذلك؛ وأن نشيع إلى جانب ذلك روح التعاذر في الفروع والحق الاجتهادي، ونضرب للناس الأمثلة العملية التي تنير لهم السبيل، وأن نبقي في الحالتين هامشاً للتواصل والتبشير والإنذار.

٢- أن نوسع في تربيتنا وحياتنا اليومية من مفاهيم العبادة لتشمل مجالات النفع العام، كالأخذ بيد أولئك الذين قعدت بهم ظروفهم وإمكاناتهم عن أن يعيشوا حياة كريمة طبيعية «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار»[1] وذلك بغية التخفيف من المعاناة التي يكابدها كثيرون من أفراد الأمة.

٣- رعاية النابهين وإعطاؤهم ما يستحقونه من الاهتمام والمتابعة والبذل،

١- أخرجه الشيخان وغيرهما.

والنابهون هم أولئك الذين آتاهم الله ـ سبحانه ـ من المكنة ما جعلهم محارو يدور في فلكهم الآخرون، والنابه قد يكون طالباً عبقرياً، وقد يكون وجيهاً يأتمر بأمره كثيرون، وقد يكون واحداً من ذوي رؤوس الأموال الطائلة، وقد يكون ويكون...، وهذا من باب إنزال الناس منازلهم.

٤- إقامة المؤسسات الكبرى على مختلف الصعد، وتلك المؤسسات تؤصل فينا روح الفريق، كما توفرالأطر الإدارية والفنية والعملية لأولئك الذين يملكون روح الإخلاص والعطاء. إن المؤسسات تمثل مهمة المحرك للسفينة تارة ومهمة المراسي تارة أخرى، أي: تؤمن حركة راشدة متزنة.

وإذا ما فعلنا ذلك أو بعضه نكون قد ساعدنا الأمة في الخروج من نفق (الغثائية الكمية) المظلم، ودفعناها نحو امتلاك أهلية قيادة العالم وهدايته. وعلى الله قصد السبيل.

* * *

فوائد من حديث رسول الله ﷺ

ستر الجعيد

الحديث:

روى مسلم في صحيحه[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنا قعوداً حول رسول الله ﷺ معنا أبو بكر وعمر في نفرٍ، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا، وخشينا أن يقتطع دوننا، وفزعنا فقمنا، فكنت أول من فزع فخرجت ابتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطاً للأنصار لبني النجار، فدرت به هل أجد له باباً فلم أجد، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة ـ والربيع الجدول ـ فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، فدخلت على رسول الله ﷺ فقال: أبو هريرة، فقلت: نعم يا رسول الله، فقال: ما شأنك، قلت: كنت بين أظهرنا فقمت، فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا، فكنت أول من فزع، فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي، فقال: يا أبا هريرة وأعطاني نعليه، قال: اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة، فكان أول من

١- كتاب الإيمان، ١/٢٣٥-٢٤٠ .

لقيت عمر، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة، فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لأستي، قال: ارجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بكاء، وركبني عمر فإذا هو على أثري فقال لي رسول الله ﷺ: مالك يا أبا هريرة؟ قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به، فضرب بين ثديي ضربة خررت لأستي، قال: ارجع، فقال له رسول الله ﷺ يا عمر: ما حملك على ما فعلت؟ قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً به قلبه بشره بالجنة؟ قال: نعم، قال: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون. قال رسول الله ﷺ: فخلهم».

فيه فوائد:

١- عظم المحبة لرسول الله ﷺ في قلوب أصحابه.

٢- عمق الأخوة بين المؤمنين.

٣- فضل اليقين في الإيمان.

٤- الفصل بين الفضولية والاستيضاح.

٥- أهمية التثبت عند عدم الشك.

٦- الفرق بين رد السنة وبين غيره.

٧- أثر العلاقة في التربية.

٨- الخشية من وقوع المفسدة يبيح اتخاذ ما يمنع وقوعها.

٩- إدراك الصحابة لفقه الخلاف.

١٠- الإشارة إلى بعض شروط لا إله إلا الله.

١١- تأمل خشية عمر مع وجود العمل فكيف لو رأى الترك والإعراض؟

وصايا للدعاة

الشيخ عبد الله بن حسن القعود

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فأوصيكم إخواني في الله دعاة وشباب الإسلام بتأمل امور منها ما يأتي:

— ١ —

تعلمون وفقكم الله أن الله سماكم المسلمين وامتن بهذه التسمية بل أمر ووصى بها فقال تعالى: ﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده..**﴾ إلى قوله سبحانه وتعالى: -﴿**هو سماكم المسلمين**﴾. وقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾. وقال: ﴿**ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾. وكانت هذه التسمية هي السمة والعلامة لأمة الاستجابة التي لم تبدل ولم تغير بل ومحل الاعتزاز، روى الإمام مسلم رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لقي ركباً بالروحاء فقال: من القوم؟ قالوا: المسلمون، فقالوا: من أنت؟ فقال: رسول الله.. الحديث، وأن مسمى دين هذه الأمة الإسلام، الإيمان، الإحسان، وأنه يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي وأن أهله

يتفاوتون فيه وشعبه تتفاوت كذلك قال تعالى: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾، وقال: ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى**﴾. وقال: ﴿**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى**﴾. وقال عليه الصلاة والسلام: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري العابر في الأفق، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: لا، والذي نفسي بيده، قوم آمنوا بالله وصدقوا المرسلين». وقال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير». وقال: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم». ونصوص زيادة الإيمان بالطاعات ونقصانه بالعصيان معروفة ومعروف مذهب السلف الصالح في ذلك فمسماه يشمل كل من أظهر الإسلام ولم يرتكب ما يناقضه وينقل عن أصله، قال عليه الصلاة والسلام: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم الذي له ذمة الله ورسوله، فلا تخفروا الله في ذمته»[1].

فمن كان ذلك الوصف ظاهره اندرج في عداد المسلمين، أهل الملة، أهلَ القبلة، مسمى جماعة المسلمين في الجملة، أما الفرقة الناجية فقد فسرها عليه الصلاة والسلام بقوله: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي». وأن مذهب السلف في عصاة أهل القبلة أنهم يُحَبون لما فيهم من طاعات، ويُبْغَضون لما فيهم من عصيان، وأنه يجتمع في قلب الشخص الواحد من

١- البخاري رقم ٣٩١ .

المسلمين الحب والبغض في آن واحد لعصاة المسلمين، وأنهم أي السلف الصالح رضوان الله عليهم يرجون للمحسنين من أمة محمد ويخافون على المسيئين منهم، ولا يكفرون أحداً من المسلمين بكل ذنب فعله ما لم يستحله، ويبقى فيهم مع تفاوتهم في الإيمان وارتكاب بعضهم لشيء من العصيان الذي لا ينقل عن الملة التحاب على ما ذكر، والتراحم والتعاطف والاحترام المتبادل وفق منهاج الله، قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله: ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا فعل أخطأ فيه؛ كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة، فإن الله تعالى قال: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾، وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء وغفر للمؤمنين خطأهم.

فليتأمل المسمى المذكور للمسلمين والنقل المذكور عن شيخ الإسلام رحمه الله وأمثاله من يحرجون غيرهم من شباب المسلمين بالقول له: هل أنت كذا أو كذا، فينبغي لمن ووجه أو قوبل بهذا القول أن يقول: أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في استنكاره لمثل هذا السؤال: وروينا عن معاوية بن أبي سفيان أنه سأل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال: أنت على ملة علي أو ملة عثمان، فقال: لست على ملة علي ولا على ملة عثمان، بل أنا على ملة رسول الله ﷺ.

— ٢ —

من المعلوم البدهي أن الدعوة إلى توحيد الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله لن تتحقق على الوجه المطلوب ما لم يزل من وجهها ما تأصل في بعض النفوس الخبيثة من الشرك الأكبر المناقض لتوحيد الله، ولما أمر الله به من الكفر

بالجبت والطاغوت الذي بدونه أي الكفر بالجبت والطاغوت لا يتحقق معنى لا إله إلا الله في النفوس، ولا في الواقع وإن نطق بها لفظاً فغير خافٍ أن الفترة الزمنية التي قضاها رسول الله ﷺ في مكة يدعو فيها إلى توحيد الله كان يغشى الناس في مجامعهم ومواسمهم التماساً لمن ينصره ويحميه ليدعو إلى ذلك بالفعل من لم ينفع معه القول، ونتج عن ذلك بيعته في موسم الحج لعدد من الأنصار رضي الله عنهم، تلتها هجرته إلى المدينة ليقيم بها دولة ومعسكر الإسلام الذي بوجوده تنفذ أحكام الله وتقام حدوده وتحمى دعوته، وفعلاً لما دخل مكة فاتحاً اتجه إلى الأصنام المعلقة بالكعبة التي كان يدعو بالقول إلى نبذها وأمثالها وعبادة الله وحده يكسرها ويقرأ قول الله: ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**﴾، ويسلم بعد كثير ممن كانوا ممتنعين عن الإسلام ورضى الله عن حسان بن ثابت فقد روى عنه أنه قال:

دعا المصطفى دهراً بمكة لم يجب وقد لان منه جانب وخطاب

فلما دعا والسيف صلت بكفه له أسلموا واستسلموا وأنابوا

وقال قبل ذلكم خير قائل وأصدق قائل: ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب**﴾. ولا شك أن ذكر إنزال الحديد بعد ذكر إرسال الرسل وإنزال الكتب والميزان الذي هو العدل، يفهم منه أن من لم يقوّم بالحجج والآيات الواضحة والأدلة الناصعة يقوّم بالسيف، قال شيخ الإسلام رحمه الله في تعليق له على الآية المذكورة: فمن عدل عن الكتاب قُوِّم بالحديد، ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف. وقال عليه الصلاة والسلام: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل

والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم». وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك»[1].

وقد نهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هذا المنهج النبوي الكريم مذ بدأ دعوته الخيرة إلى تحقيق توحيد الله وتصفيته مما علق به من شوائب الشرك والبدع والعصيان، يجوب البلاد يعرض طلب نصرته فيها وحمايته من أعدائها على أمراء تلك البلدان ولا زال كما هو معروف من تاريخه رحمه الله لا سيما بعد المعاهدة مع أمير الدرعية آنذاك الذي بسط للشيخ رحمه الله يده بعد أن عرض عليه دعوته وما تحتاجه من نصرة وحماية قائلاً: أبايعك على دين الله ورسوله والجهاد في سبيله وإقامة شعائر الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان لهذا الأمر ما كان من خير لا يزال المنتمون لهذه الدعوة على هذا المعتقد المنبعث من دعوة رسل الله وأتباعهم بإحسان ينعمون به وقد كان ضمن منهجهم رحمهم الله التركيز في دعوتهم على الدعوة إلى الكفر بالجبت والطاغوت وتلقين عوام الناس في المساجد مختصر الأصول الثلاثة للشيخ نفسه ومنه: ما أول ما فرض الله عليك، الجواب: الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.. إلى: والطواغيت كثير ورؤسهم خمسة إبليس لعنه الله، ومن عبده وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله.

فلينتبه لهذا المنهج الخيرون من المسلمين في دعوتهم إلى الله وإلى إقامة شرعه عسى أن يكونوا خير خلف لخير سلف صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

١- مسلم برقم ١٩٢٤، كتاب الإمارة.

من إيجابيات الدعوة الإسلامية المعاصرة

د. عابد السفياني

إن الدول الإسلامية يعظم عطاؤها ويقوى بقدر ما تبذل في سبيل إحياء المفاهيم الإسلامية وتجديدها ورفع الشبهة عنها وتربية الناس على عقيدة أهل السنة والجماعة، التي بينها المجددون من علماء السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان. وسنتحدث في هذه المقالات عن أبرز هذه الإيجابيات رغبة منا في إظهارها، وطلباً لنشرها في كل مكان.

وإن من المفيد أن نشير قبل ذلك إلى أهم الأسباب التي توجب الاعتناء بهذا الموضوع، كما ننبه على المنهج المتبع في دراسته، وإليك هذه الأسباب:

١- الدلالة على بعض ما بذله العلماء والدعاة من جهود دعوية تجديدية، والتذكير بأهمية ذلك، ودعوة الجميع إلى التعاون على نشرها والمحافظة عليها.

٢- بيان الدليل العملي على يسر تعاون الدعاة والمفكرين وطلاب العلم على نصرة الإيجابيات، وأنه مهما وقع بينهم من الاختلاف في الأمور

الاجتهادية فإن المجال واسع للتعاون والمناصرة، ويمكن السعي في كشف اللبس عن بعض المفاهيم التي وقع فيها الكثير من الغبش، وينبغي أن يعلم الدعاة جميعاً أن الصحوة في العالم كله هي ثمرة من ثمار أعمالهم، وأنه يجب على العلماء وطلاب العلم الارتقاء بذلك الجهد وتكثير إيجابياته وتصحيح سلبياته وذلك ممكن ومتيسر والحمد لله.

٣- وجوب تعريف الناس عامة ـ والمسلمين خاصة ـ بالآثار الحميدة للدعوة الإسلامية، وبيان أنها الطريق إلى تحقيق عبادة الله وحده واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام، وأن الفساد لا يرفع من الأرض إلا بتحكيم «الشريعة الإسلامية» في جميع المجالات ﴿**حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**﴾.

٤- إن الحديث عن الإيجابيات هو الطريق الوحيد لربط أجيال الأمة بعضها ببعض، ويحقق لنا حسن الاستفادة من أولئك العلماء الأعلام الذين حملوا راية الإصلاح فيها، وهؤلاء هم أهل العلم والإيمان والجهاد والبصيرة في الدين، ظهر منهم في كل جيل عدول، يقولون بالحق وبه يعدلون، قد علمت الأمة مكانتهم ـ لا بمجرد الأقوال ولا بكثرة الأموال وإنما علمت مواطن جهادهم وقوة صبرهم ومواقفهم الثابتة في نصرة الحق حتى قدموه على محبة الأموال والأولاد، وعلى زينة الحياة الدنيا وجعل الله منهم أئمة لما صبروا كما قال تعالى: ﴿**وجعلنا منهم أئمة لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**﴾، فحرصت الأمة على تقديمهم رغبة منها لا رغبة منهم.

وهؤلاء المصلحون يجددون في مجالات كثيرة بحسب ما تحتاجه الأمة

في كل عصر، ونحن في هذه المقالات نذكر بشيء من جهودهم التي ينبغي أن تحتذى في سبيل الإصلاح، ولا ندعي العصمة لأحد منهم وننبه إلى منهج أهل السنة مع علمائهم فنقول:

إن أهل السنة والجماعة لا يعصّمون العالم منهم ولا يؤثمونه لخطأ وقع فيه، بل يأخذون أحسن ما عنده، ويعذرونه فيما أخطأ فيه ويجعلون جهاده ونصرته للإسلام، وبُعده عن مناطات الفرق والأهواء مانعاً من الطعن فيه، وبهذا الموقف المعتدل ـ عند أهل السنة والجماعة ـ استطاعوا أن يحافظوا على جهاد علمائهم ويستفيدوا منه ويبنوا عليه، وقد وفقهم الله في ذلك. بخلاف أهل المسالك الفاسدة من المتعصبة والمقلدة الذين ينكرون فضل العالم وجهاده إذا اجتهد وأخطأ في بعض مسائل الاجتهاد.

وهذا الأصل الذي نذكر به وندعو إليه، هو المنج الوسط الذي التزمه السلف الصالح رضوان الله عليهم، وهو مقتضى العدل الذي بينه ﷺ، فقد روى عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[1].

ونحن معشر أهل السنة والجماعة لا نعصّم العالم إذا اجتهد واستفرغ وسعه ولا نؤثمه، بل نحافظ على جهاد العالم وإيجابياته وعلمه وحسن بلائه في نصرة منهج أهل السنة، وندعو الناس إلى المحافظة على جهده وجهاده، ونعتبر إيجابياته مكسباً للأمة يجب المحافظة عليها، ولا نرى مسوغاً للاعتراض عليها بقول القائل: إن هذا العالم أخطأ في كذا وكذا

١- أخرجه البخاري في صحيحه ٣١٨/١٣

ونخشى أن تنتشر تلك الأخطاء بل الواجب أن نحافظ على إيجابياته، ولا ندعي له العصمة، ولا ندافع عن أخطائه، ونكتفي ببيان الصواب فيما أخطأ فيه.

وبهذا المنهج نستطيع أن ندعو للإيجابيات ونقوي بها المنهج التجديدي في الدعوة إلى الله، فعاد الأمر في النهاية إلى ربط أجيال الأمة بعضها ببعض عن طريق الإشادة والاستفادة من إيجابيات علماء السنة، والحفاظ على جهودهم، والبناء عليها في مجال التجديد. ،بهذا المنهج الوسط ـ ولتلك الإسباب ـ ندعو للاستفادة من جميع الجهود المبذولة في إطار أهل السنة والجماعة، وسنذكّر في المقالات القادمة ـ إن شاء الله ـ بشيء من جهود الدعاة والمصلحين كل في مجاله الذي برز فيه، ولكل مصلح درجات مما عمل بحسب علمه وعمله وجهاده وصبره وإحسانه، وندعو للجميع بالتوفيق وأن يبارك الله بفضله وإحسانه في جهود العلماء العاملين، وأن يجزل لهم المثوبة ويجمعنا وإياهم مع الأنبياء والصديقين والشهداء وحسن اولئك رفيقاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

صحوة أم تجديد

شاعت في هذه الأيام على ألسنة الدعاة والكتاب كلمة (الصحوة) يعبرون بها عن الاتجاه القوي نحو الدين على مستوى الأفراد والشعوب، ولا شك في أنها ظاهرة واضحة وقوية لا تحتاج إلى أدلة أو برهان، فالعودة إلى الدين والالتزام به سلوكاً وفهماً نراه في كل مكان، والمؤتمرات التي تبحث هذه الظاهرة تعقد على أعلى المستويات. ولكن هل ما نحن فيه، وما يجب أن نكون عليه يكفي في التعبير عنه كلمة (صحوة)؟ أليس مما تعنيه أنها إفاقة بعد نوم، قمنا بعدها نتمطى ونفرك أعيننا لنرى ما حولنا؟ وهل هذه الإفاقة هي من تاريخ استعمال هذا المصطلح ـ وهو حديث العهد ـ أم أنها أقدم بكثير؟ أولا تعني ـ مما تعنيه ـ أنها مؤقتة، فقد يصحو الإنسان ثم يغفو، وربما تكون الصحافة الغربية قد أطلقتها على أحداث السنوات الأخيرة في العالم الإسلامي لتعبر فيها عن قلقها من ظاهرة التدين؛ فتلقفتها الصحف عندنا، ثم سرت إلينا.

قد يقول قائل: لا مشاحة في الاصطلاح، سمها ما شئت، فالمقصود هو الرجوع إلى الدين، وهذا صحيح، ولكن أخشى أن تسري سطحية

هذا المصطلح إلى الفكر الإسلامي، فنحن بحاجة إلى التجديد بكل ما في مصطلح التجديد من عمق، وكل ما فيه من تعب وكد في العلم والتدبر والتأمل. نحن بحاجة إلى التجديد لإزاحة كثير من الغبش عن بعض المفاهيم الإسلامية، والتصورات التي كبلت الشخصية المسلمة عن الانطلاق، ونحن بحاجة للتجديد في وسائل العمل، وفهم الواقع، وفقه بناء الأمم، وكيفية إقامة (البنيان المرصوص). ونحن بحاجة إلى التجديد أمام التحديات الحضارية التي ما زالت رياحها تهب من الغرب.

وإذا كانت الدعوة في بداية مراحلها، تحتاج إلى رعاية فائقة، وشحنة عاطفية ـ كالطفل في أعوامه الأولى ـ فإنها الآن أمام تحديات كبيرة، فلا بد من العقول المفكرة والعلماء المجتهدين والتخطيط ، والنظر في وقائع الاجتماع البشري والسنن الربانية، والتدرب على تحليل الحاضر واستشراف المستقبل، وهذا كله يندرج تحت حديث التجديد «يجدد لها أمر دينها» وأمر دينها يندرج تحته أمر دنياها أيضاً، لأنه وسيلة إلى الأمن والاطمئنان والقيام بأمر العبودية على أتم ما تكون.



قاعدة في الحكم على المخالف

عثمان علي حسن

التفريق بين الكفر وقائله:

وهذا من الأصول العظيمة التي امتاز بها أهل السنة والجماعة عن سائر الفرق، أنهم يفرقون بين المقالة وصاحبها، فالمقالة قد تكون كفراً أو فسقاً وصاحبها ليس بكافر ولا فاسق، كما أنها قد تكون إيماناً وتوحيداً وصاحبها ليس بمؤمن ولا موحد.

ولكي توافق مقالة الكفر صاحبها، ويوصف بها، لا بد من تحقيق شرائط. وانتفاء موانع:

أما الشروط فمنها[1]:

١- أن يكون صريح قوله الكفر عن اختيار وتسليم.

٢- أن يكون لازم قوله الكفر، وعرض عليه فالتزمه، أما إذا لم يلتزمه، بل رده وأنكره فليس بكافر.

١- انظر: فتح المغيث للسخاوي ١/٣٣٤، ومجموع فتاوي ابن تيمية ١٢/٥٠١ .

٣- أن تقوم الحجة عليه ويتبينها؛ لقوله تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾ [الإسراء ١٥]، وقوله: ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى..**﴾ [النساء ١١٥].

وأما الموانع فمنها[1]:

١- أن يكون حديث عهد بالإسلام.

٢- أن يكون قد نشأ ببادية بعيدة، ويدخل معه من لم يجد إلا علماء الابتداع يستفتيهم ويقتدي بهم.

٣- أن يكون مغيب العقل بجنون ونحوه.

٤- أن لا تبلغه نصوص الكتاب والسنة، أو بلغته ولم تثبت عنده ـ إن كانت سنة ـ أو لم يتمكن من فهمها.

٥- بلغته وثبتت ـ عنده ـ وفهمها، لكن قام عنده معارض ـ من رأي أو ذوق ـ أوجب تأويلها، وإن كان مخطئاً. ويدخل معه المجتهد المخطىء، فإن الله يغفر له خطأه ويثيبه على اجتهاده إن كان حسن النية.

وعليه، فلا يجوز الحكم على معين بالكفر إلا بعد تحقيق شروطه وانتفاء موانعه، وما أثر عن بعض السلف من إطلاق التكفير واللعن فهذا يبقى على إطلاقه وعمومه، ولا يتعين في حق إنسان إلا بدليل: قال ابن تيمية رحمه الله: «فإن الإمام أحمد ـ مثلاً ـ قد باشر الجهمية الذين دعوه إلى خلق القرآن، ونفي الصفات، وامتحنوه وسائر علماء وقته، وفتنوا المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم على التجهم بالضرب والحبس، والقتل والعزل عن الولايات، وقطع الأرازق، ورد الشهادة، وترك تخليصهم من أيدي

١- انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٧٩/٣، ٢٣١، ٣٤٥/٢٣، ٣٤٦، ٢١٧/٧، ٢١٨، وطريق الهجرتين لابن القيم ص ٤١٢-٤١٣ .

العدو، بحيث كان كثير من أولي الأمر إذ ذاك من الجهمية؛ من الولاة القضاة وغيرهم: يكفرون كل من لم يكن جهمياً موافقاً لهم على نفي الصفات، مثل القول بخلق القرآن، ويحكمون فيه بحكمهم في الكافر..

ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره، ممن ضربه وحبسه، واستغفر لهم، وحللهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر، ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم، فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع، وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية، الذين كانوا يقولون: القرآن مخلوق، وإن الله لا يُرى في الآخرة..»[1].

فالمخالف للكتاب والسنة إما أن يكون مجتهداً مخطئاً، أو جاهلاً معذوراً، أو متعدياً ظالماً كأن يرتكب كبيرة، أو منافقاً زنديقاً كأن يبطن الكفر ويظهر الإسلام، أو مشركاً ضالاً وهو المصرح بالكفر. وكل يعامل بحسبه.

العذر بالجهل[2]:

لا بد من التفريق بين جاهل تمكن من العلم ومعرفة الحق ثم أعرض عنه، وآخر لم يتمكن من ذلك بوجه:

فالمتمكن المعرض مفرِّط تارك للواجب عليه، لا عذر له عند الله، وأما العاجز عن السؤال والعلم لا يتمكن منه بوجه، فهم قسمان:

١- مريد للهوى، مؤثر له، محب له، لكنه غير قادر عليه وعلى طلبه،

١- انظر: مجموع فتاوي ابن تيمية ٤٨٨/١٢، ٤٨٩، وانظر: ٣٤٨/٢٣، ٣٤٩ .

٢- انظر: طريق الهجرتين لابن القيم ص ٤١٢-٤١٣، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٦/٢٢، واقتضاء الصراط المستقيم.

وذلك لعدم وجود من يرشده، فهذا حكمه حكم أرباب الفترات ومن لم تبلغه الدعوة.

٢- معرض لا إرادة له، لكنه لا يحدث نفسه بغير ما هو عليه.

فالأول يقول: يا رب لو أعلم لك ديناً خيراً مما أنا عليه لدنت به وتركت ما أنا عليه. ولكن لا أعرف سوى ما أنا عليه، ولا أقدر على غيره، فهو غاية جهدي، ونهاية معرفتي.

والثاني راض بما هو عليه. لا يؤثر غيره عليه، ولا تطلب نفسه سواه، ولا فرق عنده بين حال عجزه وقدرته. فهذا لا يجب أن يلحق بالأول لما بينهما من الفرق:

فالأول كمن طلب الدين في الفترة ولم يظفر به، فعدل عنه ـ بعد استفراغ الوسع في طلبه ـ عجزاً وجهلاً.

والثاني كمن لم يطلبه، بل مات على شركه، وإن كان لو طلبه لعجز عنه، ففرق بين عجز الطالب وعجز المرض.

* * *

آفات في طريق الدعوة

عبد الرحمن دمشقية

الدعوة إلى الله ميدان رحب سلك فيه الداعون إلى الله أساليب متنوعة بهدف تبليغ الحق والنصح للأمة أفراداً وجماعات، والدعاة الصالحون المستنون بمنهج أهل السنة والجماعة يعملون بكل جهد واجتهاد للاقتداء بسنة الرسول الأعظم ﷺ وبصحابته ومن تبعهم بإحسان. إلا أن هذا الميدان الهام قد يدخله وينتسب إليه نفر ليسوا على المستوى المطلوب علماً وتربية وسلوكاً، وقد ينزلقون في خضم دعوتهم إلى أخطاء وملاحظات قد تنعكس سلباً على هدف الدعوة السامي. والكاتب يبين لنا بعض الآفات على طريق الدعوة للحذر منها وعدم الوقوع فيها لتكون دعوة الداعي الحق على نور من الله ووفقاً لسنة رسوله ﷺ.

- البيان -

الآفة الأولى:

الشرك وقلة الإخلاص وابتغاء الدنيا بعمل الآخرة: عن أبي سعيد بن فضالة قال: سمعت رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم

القيامة ـ ليوم لا ريب فيه ـ ناد منادٍ: من كان أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»[1]. وقال: «بشِّر هذه الأمة بالتيسير والسناء والرفعة بالدين والتمكين في البلاد والنصر فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا، فليس له في الآخرة من نصيب»[2]. وقال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. فقالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[3].

الآفة الثانية:

كتم العلم والتكاسل والتباطؤ عن نشره: فإن مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدِّث به كمثل الذي يكنز الكنز ثم لا ينفق منه. كما قال ذلك رسول الله[4]. وقد أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا العلم أن يبينوا ولا يكتموا ﴿**لتبيننه للناس ولا تكتمونه**﴾ [آل عمران ١٨٧]. وقال رسول الله ﷺ: «من كتم علماً لجم يوم القيامة بلجام من نار»، وفي رواية: «ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجوماً بلجام من نار»[5].

١- رواه الترمذي في التفسير، والحاكم ٣٢٩/٤، وقال صحيح ووافقه الذهبي.

٢- رواه أحمد في المسند ١٣٤/٥، والحاكم ٣١١/٤، وقال «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي.

٣- رواه أحمد في المسند ٤٢٨/٥ بإسناد جيد.

٤- رواه الطبراني بإسناد ضعيف. غير أن له شاهداً من حديث ابن عمر الذي رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٢٢/١) فالحديث بذلك حسن الإسناد. قاله الألباني. (صحيح الترغيب والترهيب رقم ١١٧).

٥- رواه ابو داود والترمذي وحسنّه. وصححه الألباني في الترغيب رقم (١١٦).

الآفة الثالثة:

مخالفة العلم للعمل، وذلك بأن يعظ الناس بخير لا يبالي هو العمل به قال تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ [البقرة ٤٤]. وقال رسول الله ﷺ: « يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه[١] فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فتجتمع أهل النار عليه، فيقولون: يا فلان! ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت أمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن الشر وآتيه»[٢].

وقال: «مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون»[٣]. وجاء في رواية: «ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به»[٤]. وفي رواية يخالفونه بالنهار وينامون عنه بالليل.

وأخبر أن مما يسأل عنه العبد يوم القيامة «عن علمه ماذا عمل به»[٥] وضرب مثلاً لمن يعلم الناس وينسى نفسه قائلاً: «مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه، كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه» وفي رواية: «كمثل الفتيلة، تضيء على الناس، وتحرق نفسها»[٦]. فهذا العلم الذي يتصف به العالِم، عِلمٌ ضار بصاحبه غير نافع له هو حجة عليه. وقد كانَ

١- أي تخرج أمعاؤه من داخل بطنه.

٢- متفق عليه.

٣- رواه البيهقي وابن حبان وصححه الألباني في الترغيب رقم (١٢١).

٤- رواها البيهقي وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح، صحيح الترغيب للألباني رقم (١٢١).

٥- رواه الترمذي، والمنذري وصححه الألباني في الترغيب رقم (١٢٣).

٦- رواه الترمذي والطبراني في الكبير وقال المنذري «إسناده حسن»، وصححه الألباني في الترغيب رقم (١٢٦).

رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من علم لا ينفع»[1].

الآفة الرابعة:

الادعاء والمباهاة بالعلم: قال رسول الله ﷺ: «يظهر قوم يقرأون القرآن يقولون: من أقرأ منا؟ من أعلم منا؟ من أفقه منا؟ ثم قال لأصحابه: هل في أولئك من خير؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أولئكم منكم من هذه الأمة، وأولئك هم وقود النار»[2].

الآفة الخامسة:

طلب العلم للمجادلة وغلبة الناس: حيث يظهر المجادل وكأنه ينتصر للحق، وإنما يريد إثبات ذكائه وقوة لسانه، إن هذا في الحقيقة يريد العزة لنفسه لا لربه. لقد كان الشافعي رضي الله عنه يقول: «ما جادلني خصم إلا وتمنيت أن يظهر الله الحق على لسانه».

الآفة السادسة:

التعصب لأقوال الائمة والعلماء، ومحاولة تبرير أخطائهم. ولم أر شيئاً يحجر العقول مثل التعصب لعالم أو لمذهب، لأن التعصب منهج بعيد عن منهج الإسلام لا يفسح المجال للعقل ليكون مرناً يفحص الأشياء.

أين الطريق:

إن الذي فرض هذه الغاية لم ينس أن يعلمنا الوسيلة لتحقيق هذه الغاية، قال تعالى: ﴿**أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾، ﴿**ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾.

١- رواه مسلم رقم (٢٧٢٢).

٢- رواه الطبراني في الأوسط والبزار بإسناد حسن، (صحيح الترغيب ١٣١).

إن الدعوة يجب أن تقترن بالخلق الحسن، ولين الجانب، والتأمل والتريث. وإن خلت من هذه العوامل فقد تنفع المدعو، وقد تضر به إذ تدفعه دعوة الحق ــ بالأسلوب الباطل ــ إلى الإصرار على الخطأ. فإن الناس معادن ويختلفون في ردة الفعل. لذا كان قدوتنا في ذلك الخُلُق العظيم رسول الله ﷺ الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ [القلم ٥]، وقد قال هو عن نفسه: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1].

وإذا كان التحلي بالخلق الحسن واجباً على الناس جميعاً فهو على الداعية أوجب وأحرى. وكذلك قصة الإعرابي الذي بال في المسجد فرآه الصحابة وهموا بضربه، فزجرهم رسول الله ﷺ وأمرهم أن يهريقوا فوق بوله سَجْلاً[2] من ماء، ثم قال: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين». فما كان من الأعرابي إلا أن قال: «اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً أبداً». لقد رأى من النبي ﷺ من حسن الخلق ومن السماحة واللين ما لم ير من غيره.

* * *

١- رواه أحمد ٢/٣٨١ والبزار كما في المجمع. وقال الهيثمي «رجاله رجال الصحيح».
٢- سَجْلاً: أي دلواً.

من مظاهر الانحراف الفكري في الصحـــافة العربيـــة

د. محمد بن سعود البشر

- ١ -

إن من نعم الله علينا أن بلغنا هذا الزمان الذي يشهد صحوة إسلامية مباركة، ورجوعاً من المسلمين إلى الله تعالى أفراداً وجماعات، شيباً وشباباً، رجالاًونساء، وعودة راشدة إلى الحق وإلى منهاج كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، تقود طلائعها ثلة من العلماء، وكوكبة من الدعاة، يرشدون الناس ويوجهونهم، ويذكرونهم بأيام الله، ويبينون لهم صراطهم المستقيم.

وإن من سنة الله التي خلت من قبل أنه ما من زمان ترفع راية للسنة، ويعلو فيه شأن للمسلمين، ويرتفع لواؤهم، إلا وتظهر فيه طائفة من الناس قد امتلأت قلوبهم غيظاً لعز الإسلام، وحقداً لعزة المسلمين، وارتوت أفئدتهم خبثاً ومكرا، ينتبذون مكاناً قصياً، ويسلكون مسالك شتى في الكيد للإسلام والتربص بحملته، وإن مما ابتلي به المسلمون في هذا الزمان نفر من بني جلدتهم، يعيشون بينهم ومعهم، يلبسون ثيابهم، ويتكلمون بلسانهم، لكنهم يحملون همّاً غير همّ دينهم، ويدعون إلى منهج غير منهج قرآنهم وشريعتهم، يسلكون

في ذلك طرائق قدداً، فمرة يؤذون المؤمنين باسم التطرف، وتارة يتطاولون على أعراض العلماء وطلبتهم باسم الحرص على الدين، وأخرى يلزمون الدعاة إلى الله باسم الحفاظ على المصلحة العامة واستتباب الأمن، وكل ذلك يصدر من مجتمعات إسلامية، وتقرؤه جماهير المسلمين، ينشرون ذلك باسم الحرية، حرية الرأي، وحرية التعبير، وحرية القلم، أما غرضهم الأساس فهو الانتقاص من قدر العلماء والدعاة وتجريحهم، والتشكيك فيهم، ومحاولة نزع الثقة منهم حتى لا تقوم للإسلام قائمة، إدراكاً منهم أن تلك الصفوة من حملة الدين عليهم المعوّل بعد الله في نشره وفي تمكين الصحوة.

— ٢ —

وإن مما ابتليت به مجتمعاتنا الإسلامية مؤخراً فئة ممن تسنموا الصدارة الصحفية وامتطوا صهوة أقلامهم لحرب العلماء والدعاة، ونشر مقالات صريحة وجريئة في التطاول عليهم والانتقاص من قدرهم. وهم يعلمون أن جماهير القراء غالبيتهم من المسلمين، وأن ما يكتب في الصحيفة هو بالدرجة الأولى موجه لهم، وإن من أهم الكتابات التي تلفت أنظارهم هي تلك التي تكتبها أسماء معروفة ذات نفوذ مؤثر، وذلك لأن تلك الأقلام عادة ما تكون مسؤولة أو تعبر عن اتجاه الصحيفة كوسيلة إعلامية تعبر عن واقع المجتمع الذي تعيش فيه، أو ـ في أقل الأحوال ـ تكون مرآة لقياس فكر القائمين عليها وسياساتهم وتوجيهاتهم. ومن هذا المنطلق فإن ذلك السيل الهادر من المقالات المدبجة بعبارات الذم وكيل التهم للدعاة والناصحين للأمة التي بدأت تطالعنا بها صحافة تصدر في مجتمعات إسلامية كان محل تساؤل الكثيرين من أفراد الأمة الإسلامية، بل وغضبهم مما يقال وينشر. إن تلك الفئة من الكتبة يتحدثون بدعوى حرية الرأي عن قضايا ذات علاقة بصفوة الأمة وهم علماؤها وطلابهم والدعاة إلى الله والناصحون للمسلمين، وتلك وأيم الله قضية ينبغي

لمن أراد الكتابة عنها أن يستكمل شروطها، وأن يفكر ويقدر قبل الشروع في الحديث عنها.

إن ذلك التوجه الخطير في الصحافة العربية له عواقب وخيمة على الأمة، وإن مما يزيد خطورته غض البصر عنهم من قبل الأنظمة السياسية في الدول العربية التي أعطتهم الضوء الأخضر لنهج ذلك المسلك. وكان من نتيجة ذلك أن تمادى هؤلاء الكتاب في غيهم، وتحدوا مشاعر المسلمين وذلك من خلال الكتابة عن علمائهم ودعاتهم بأسلوب فظ غليظ، ومن خلال تسمية الدعاة والعلاماء بأسمائهم والتعريض بهم والانتقاص من قدرهم ومكانتهم، وأخيراً من خلال ذكر أسمائهم في افتتاحيات الصحف وأغلفة المجلات إمعاناً في الجرأة ولفتاً للانتباه، في محاولة فاشلة منهم إما لجذب القارئ وكسبه، وإما استفزازاً له وتشفياً منه.

إن من يتابع ذلك الزخم الهائل من المقالات والتحقيقات والأحاديث الصحفية التي ينشرها أولئك الكتبة على صدر صحفهم وأغلفة مجلاتهم تتبادر إلى ذهنه عدة انطباعات عامة هي في نظري القاسم المشترك الذي يجمع بينها، ومن تلك الانطباعات ما يلي:

أولاً: أن الكتابة عن الدعاة إلى الله وحملة الإسلام والناصحين له بقصد الانتقاص من قدرهم والتطاول عليهم، وتشكيك الناس فيهم لنزع الثقة منهم، وتسميتهم بأسمائهم الصرحية بالأسلوب الذي تنتهجه الصحافة العربية لا يخرج في نظري عن أحد أمرين:

أ- إما غرض شخصي للكاتب لا نعرف نحن القراء كنهه ولا دلالته، وفي ذلك تجن علينا باقتطاع مساحة كبيرة من الصحيفة ـ وذلك من حق القارئ ـ لتحقيق مآرب ذاتية وتلبية رغبات شخصية.

ب- وإما محادة صريحة للمؤمنين وإيذاؤهم، وقد جاء الوعيد لمن انتهج ذلك

المسلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً**﴾.

ثانياً: إن هذا التوجه في الصحافة العربية يتزامن مع أحداث لا تزال تقع في بعض الأقطار العربية كان طرفاها الحكومات العربية من جانب والجماعات الإسلامية (وبعض المحسوبين على الحركات الإسلامية) من جانب آخر. وإن ذلك توقيت في غير أوانه، بل إن الكثير من المسلمين يعتقد أن ذلك أمر قضي بليل، فهم يساهمون بشكل مباشر في ضرب المسلمين وشباب الصحوة الإسلامية ويتعاونون مع أنظمتهم في تنفيذ ذلك، ثم هم أيضاً بالتطاول على أهل العلم وطلاب العلم والمنتسبين إلى الدعوة الإسلامية يلتمسون عذراً لمن يتصيد في الظلام من دعاة الفساد ورؤوس الضلالة في المجتمعات الإسلامية.

ثالثاً: أن أولئك الكتبة الذين ابتليت بهم صحافة الأمة يحاولون لفت انتباه الجماهير لما يكتبون بطريقة تتنافى مع أعراف الكتابة والصحافة. إن مصطلح «جذب انتباه القارئ» للصحيفة لا يكون بتلك الطرق المجانبة للصواب، لقد درسنا الصحافة والسياسة في بلاد الإسلام وفي البلاد الغربية وما سمعنا ولا قرأنا ولا علّمنا أساتذة الإعلام أن هذا المصطلح الصحفي يجب أن يستخدم على حساب المبادئ والقيم والقوانين السائدة في المجتمع ـ أي مجتمع ـ وإن مصطلح «الحرية» ليس مطلقاً بل مقيداً تقييداً يتناسب و«المصلحة العامة» للمجتمع، وإلا أصبحت الحرية فوضى، والتعبير الحر هجوماً معلناً، فكيف ونحن نتعامل مع هذين المصطلحين في مجتمعات إسلامية تحكمها ضوابط الدين والشرع والأخلاق.

إن تلك المنابر الصحفية التي تسلقها أولئك الكتبة ويفرضون على الناس آراءهم من خلالها هي منابر لا يملكونها، بل هم كغيرهم من أفراد المجتمع

أنيطت بهم مسؤولية إدارتها أو الإشراف عليها، وليس من حقهم ولا من حق المجتمع عليهم أن يستغلوا تلك القنوات الإعلامية بدعوى «حرية الرأي» وأن ينشروا ترهاتهم وفكرهم الدخيل على صفحات الرأي.

- ٣ -

تردد الصحافة العربية وأبواق الإعلام العربي بشكل عام مصطلحات دخيلة على مجتمعاتنا الإسلامية، غربية غريبة، تترجمها الصحافة العربية على عواهنها بدون تمحيص ولا غربلة لمدلولها، مثل «الأصولية»، «الإرهاب»، «التطرف» إذا أطلقت في سياق وصف الإسلاميين والجماعات الإسلامية. وإن من نافلة القول أن نؤكد هنا أن تلك المصطلحات وغيرها مما سنذكره بعد قليل هي مصطلحات تتناقلها وسائل الإعلام الغربية وتستقبلها وكالات الأنباء العربية وتقوم بترجمتها حرفياً وتضمينها في المادة الإعلامية المنشورة فيجدها القارئ العربي تتصدر الأخبار والتحقيقات والمقالات الصحفية التي يطالعون بها القراء بكرة وعشيا.

ولئن تلقاها القارئ العادي بشعور بارد تجاهها إما لجهله بمصدرها أو بمدلولها إلا أنها تأخذ بعداً آخر حينما تتردد على ألسنة الكتاب وأصحاب النفوذ الإعلامي، وهذا ما وجدناه في ذلك التوجه الجديد بل الدخيل على صحافة المجتمعات الإسلامية. لقد قرأنا ما نشره أولئك الكتبة فوجدنا فيه من سطحية في الطرح، وغثائية في الفكر، وتقليدية غربية في الأسلوب، وقد اتبعوا في ذلك أسلوباً فظاً غليظاً في الحديث عن الدعاة وشباب الصحوة الإسلامية لم يخل من مغالطات شرعية يتحاشاها من ينتسب إلى الإسلام فضلاً عمن يدعي إصلاح المجتمع الإسلامي:

- فهم يصفون التدين والالتزام بـ (التطرف الأعمى).
- ويصفون الصحوة الإسلامية بـ (الظاهرة الاجتماعية).

- ويصفون الدعاة إلى الله بـ (أدعياء العلم).
- ويصفون الحق الذي هو غاية الدعاة بـ (الخداع والتضليل).
- ويصفون طريقة العلماء في نشر العلم ـ عن طريق الكاسيت مثلاً ـ بـ (أساليب غير مشروعة).
- وعمموا الحكم على الجماعات الإسلامية ووصفوهم بأنهم كلهم (إرهابيون).
- ويصفون الحريصين من طلبة العلم على متابعة الدروس والمحاضرات الدينية بـ (المتطرفين).

تلك بعض من المصطلحات الدخيلة على عقيدة الأمة وفكرها، فالرجوع إلى الحق والتدين والالتزام بمنهج الكتاب والسنة هو «تطرف أعمى» والدعوة إلى هداية الناس ورجوع الشباب إلى الإسلام يسمى «ظاهرة اجتماعية»، ومن يستخدم هذ المصطلح يعرف مدلول الظاهرة الاجتماعية ومفهومها واستخداماتها عند أساتذة الاجتماع، أما استخدام أشرطة الكاسيت وغيرها من وسائل الاتصال الجماهيرية لنشر العلم وإرشاد الناس وتبصير الأمة وهدايتها فذلك في نظر تلك الطائفة من حملة الأقلام الموبوءة «أساليب غير مشروعة»، وكأنهم قد نصبوا أنفسهم علماء بالحلال والحرام، والمشروع والممنوع، وتجاهلوا من يستخدم هذا النوع من الوسائل الإعلامية في نشر الفساد والرذيلة في المجتمعات الإسلامية، وسخروها للهو والغناء ومبتذل القول ورخيصه، وطلبة العلم وشباب الصحوة في مفهوم تلك الشريحة من حملة الأقلام هم «متطرفون»، ولو ناقشت أحدهم في مفهوم التطرف فلن تجد عنده الجواب الشافي، بل سيقول لك سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، أما الوسطية أو الإفراط فلم يستوردوها بعد من أبواق الإعلام العالمي؟!

ثم انظر إلى أساليب التعبير الأخرى في مسيرة الإصلاح الإعلامي الذي

يدعونه، مسيرة تصحيح العقيدة والمفاهيم في المجتمع الإسلامي، يصفون مشاعر الدعاة في نصرة الحق بأنها أصيبت بالهوس بعد أن تسلل إلى قلوبهم واهتماماتهم بأسلوب عاطفي يرفضه العقل والمنطق السليم!! ثم إن هؤلاء الدعاة جاهلون بمواقف علماء الأمة من مجمل القضايا التي تخضع لأحكام العقيدة الصافية!! هذه هي جريمة الدعاة الذين وضعتهم تلك الطائفة من الصحفيين في قفص الاتهام بتهمة الجهل المدقع بالعلم الشرعي وبفقه الواقع!!

وإننا نتساءل: من أين يؤخذ العلم الشرعي؟ أمن صدور العلماء والدعاة أم من الأقلام الصحفية المأجورة؟

أما أساليب الدعاة إلى الله في نصرة المظلومين من المسلمين في البلاد الإسلامية فهي «أساليب إرهابية»!! لماذا؟ لأن هؤلاء الدعاة مهتمون بالدفاع عن «إرهابيين في بلدان عربية مسلمة لا هدف لهم سوى زعزعة الأمن والاستقرار وتنفيذ تعليمات مصدري الإرهاب في بلدان أخرى».. أما «الإرهابيون» فهو المصطلح الذي أطلقوه على المضطهدين في السجون الذين ينادون بالإسلام شريعة ومنهاجا، وأما مصدروا الإرهاب فهم قادة الجماعات الإسلامية الذين يطالبون بتطبيق الإسلام وينادون بالحاكمية المطلقة لله في الأرض.

إن الذين يكتبون باسم الحرص على الدين، وباسم الحفاظ على المصلحة العامة يجب عليهم أولاً أن يتبعوا تعاليم الدين وأن يطبقوه في واقعهم حتى يكون لكلامهم القبول والاستحسان، وإن الذين يكتبون باسم الحوار والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والبعد عن التعصب والتشنج لا بد أن يبدؤا بأنفسهم أولاً حتى لا يدعوا إلى ما يخالفونه، وأن يتدبروا منهج القرآن في ذلك: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً..**﴾ [الأحزاب ٧٠]، ﴿**والذين هم عن اللغو معرضون**﴾ [المؤمنون ٣]، ﴿**فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى**﴾ [طه ٤٤]، ﴿**واجتنبوا قول الزور..**﴾ [الحج ٣٠]، ﴿**وقل لعبادي**

يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم..﴾ [الإسراء ٥٣].

وأن يتدبروا سنة المجتبى ﷺ في التنازع والتخاصم في الباطل. روى مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط من الله حتى ينزع، ومن قال في مسلم ما ليس فيه حبس في ردغة الخبال حتى يخرج مما قال».

إن في نصوص الكتاب والسنة معالم المنهج الأمثل للتفكير والحوار، أما أن يُتخذ الإسلام ودعوى المحافظة عليه والحرص على المصلحة العامة ذريعة لإثارة الفتنة وزرع بذور الفرقة والتمزق في المجتمع، ويكون ذلك مطية للنيل من الدعاة والناصحين بكل طرق القول السيء والهجاء المقذع فذلك أمر يرفضه الدين، ويمقته أقل الناس علما، فضلاً عن الدعاة وطلبة العلم.

— ٤ —

لقد حدثتنا قصص القرآن الكريم في حقب مختلفة من التاريخ عن ذلك الصنف من الناس الذين استغلوا سلطانهم ومكانتهم في المجتمع بغرض الكيد للإسلام وأهله بدعوى الإصلاح، والحرص على الأمن واستتبابه، والحفاظ على المصلحة العامة، فنصبوا أنفسهم دعاة مرشدين للناس وهم أبعد ما يكونون عن حقيقة الدعوة والإرشاد. يقول تبارك وتعالى عن فرعون وقصته مع موسى عليه السلام: **﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾** [غافر ٢٦]. يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: انظر كيف أصبح فرعون مذكراً وواعظاً[١]، فنصّب فرعون نفسه داعية للناس ومحذراً لقومه ومنذراً لهم من موسى عليه الصلاة والسلام من أن يبدل دينهم أو أن يظهر في الأرض الفساد. ففرعون على قوته وجبروته وبأسه في قومه لم يمنعه ذلك من الظهور بمظهر الناصح لهم!!

١- تفسير ابن كثير، ٤/٧٧ .

ولكن سرعان ما تظهر حقيقة هذا الصنف من الناس الذين يتخذون من مبدأ النصح للأمة قناعاً ووسيلة لتحقيق غاياتهم الدنيئة، ويكون ذلك ـ كما أخبر عز وجل ـ إما بقولهم وإما بسيماهم: **﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾** [محمد ٣٠]، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «.. وإن لسان المؤمن من وراء قلبه، وإن قلب المنافق من وراء لسانه، لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره في نفسه فإن كان خيراً أبداه، وإن كان شراً واراه. وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه»[1].

إن مخاطبة الأمة عبر الوسيلة الإعلامية بمادة مليئة بالمخالفات الشرعية، ومحاولة تطويع نصوص الشريعة لتحقيق الهوى والمآرب الشخصية من الانتقام للذات، ومحاربة للدين وأهله بدعوى الحرص عليه والمحافظة على مصالح المسلمين، وكيل التهم والتشهير بالدعاة إلى الله والناصحين للأمة، واستخدام الأساليب المبتذلة والرخيصة في ذلك، إن ذلك كله مما ترفضه مجتمعاتنا الإسلامية جملة وتفصيلاً، لأنه باختصار يتعارض مع عقيدة المجتمع ودينه، وهو ما ينافي نظامه الإعلامي الذي يجب أن يستمد إطاره الكلي من قواعد الإسلام وأصوله، ذلك لأن الكلمة في إعلامنا ينبغي أن تكون قادرة على إيصال معناها إلى جماهير الأمة، فلا تنوء بحمل معانيها، وأن يراعى في اختيارها الأسلوب الأمثل في مخاطبة المسلمين، وهو أسلوب ينأى عن الكلمة النابية واللفظة الرخيصة واللغة الحادة أو المبتذلة المنافية للذوق الإنساني[2].

ـ ٥ ـ

إن من يعيش في مجتمعنا، ويحمل هماً غير همّ ديننا، ويلبس ثوباً غير

١- علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ٢/١١٣-١١٤ .

٢- محمد كمال الدين إمام، النظرة الإسلامية للإعلام، دار البحوث العلمية، الكويت، ط٢، ١٤٠٣ هـ، ص ١٥٩ بتصرف.

ثوبنا، وينادي بدعوة لا يرتضيها رب العالمين، وينشر في مجتمعنا كل ما يبعد الناس عن حقيقة هذا الدين، وينادي بأفكار ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب، بدعوى الحفاظ على الدين، والمصلحة العامة، وحرية الرأي، وغير ذلك من الدعاوى الباطلة، وشعارات زائفة، أحرى بهؤلاء أن يُنبذوا، وأن يُشرد بهم من خلفهم، وإن لحرية الرأي العام في مجتمعاتنا الإسلامية ضوابط معروفة معلومة، وإن استخدام هذه الحرية في غير مواضعها هو تجنّ سافر على القيم والمبادئ السائدة في المجتمع، يدرك ذلك كل إنسان حباه الله فطرة سليمة وعقلاً رشيداً، وتعاملنا مع مصطلح الحرية محكوم بضوابط الدين والشرع، وإلا أصبحت الحرية فوضى ونبتة سوء تفرق الأمة، وتظلل الفتنة، وتقود إلى الفرقة والتمزق. وذلك ما سقطت فيه الصحافة العربية حينما قادها من أعمى الله بصيرتهم عن الحق، فنشروا الفكر الدخيل على عقيدة الأمة، فكر يوحي بالضياع ويدل على الغفلة والجهل بهذا الدين. وإننا نربأ بصحافتنا أن تنشر علينا فكراً هزيلاً يستمد جذوره من مظاهر «الانحراف الديني» و «الهوس الحضاري» المريض.

* * *

معالم في طريق التغيير

محمد محمد بدري

لا شك أن المسلم الذي يرى الحياة من خلال واقعه وليس من خلال أمانيه، يدرك لأول وهلة أن «واقع» الأمة الإسلامية اليوم هو مصداق قول رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعي عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟، قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من صدور أعدائكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»[1].

فقد أصبحت الأمة الإسلامية «غثاء» من النفايات البشرية الخاوية، تعيش على «ضفاف» مجرى الحياة الإنسانية كدويلات متناثرة ومتصارعة، تفصل بينها حدود جغرافية ونعرات قومية مصطنعة، وتعلوها راية «الوطنية»، وتحكمها قوانين الغرب العلمانية.. تدور بها «الدوامات» السياسية فلا تملك نفسها عن الدوران، ولا تختار حتى المكان الذي تدور فيه!!

لقد قذف الله في قلوب المسلمين «الوهن» فأصبحت أمتهم تخاف من تكاليف الحرية ومجابهة الظلم في الداخل، وتجبن عن صد الغزاة في الخارج.. فتداعت

١- أخرجه أحمد وابو داود.

عليها الأمم، وأحاط بها الأعداء الذين أوصلوها إلى مرحلة «القصعة المستباحة» التي حذرها إياها رسول الله ﷺ.

ولا ريب أن هذه الحال تؤرق أكثر المسلمين وتقض مضاجعهم، فتقفز إلى أذهانهم أسئلة كثيرة: كيف نخرج بأمتنا من أزمتها، وننتقل بها من الاستضعاف إلى التمكين؟ ومن التبعية إلى الريادة؟ كيف نرفع «غثاء» الأمة الإسلامية من حضيضه الذي يعيش فيه ليعود كما أراده الله خير أمة أخرجت للناس؟

ولكن لا موغل في «حلم» الريادة البشرية على حساب «حقيقة» التبعية، أو تهرب من مواجهة «واقع» الاستضعاف بالانغماس في «خيال» التمكين، لا بد أن نحزم أمرنا ونعد عدتنا، ونجد السير في طريق التغيير الذي يمكن أن نتبين بعض معالمه فيما يلي:

١- إقامة الفرقان الإسلامي:

بينما كان الاستعمار القديم يستعين بقواته العسكرية لقهر شعوب المستعمرات، لم يعد الاستعمار الجديد في حاجة إلى استخدام القهر بالقوات العسكرية، بعد أن أفلح في اختيار عملائه وصنائعه من النخبات «الوطنية» التي أشربت في قلوبها ثقافة الاستعمار وتربت على يديه، ونشأت في كنفه ورعايته.. ثم وقفت تحت راية «الوطنية» وتخفت وراء لافتة «الإسلام» لتقوم بمؤامرة «التباس» الحق بالباطل التي تفتن الأمة عن دينها، وتمزق وحدتها وتشتت شملها، وتوجد الثغرات فيها كي ينفذ من خلالها أعداء الأمة الذين يحطمون قواها ويستنزفون طاقاتها...

لقد تمكن أعداء الأمة الإسلامية عبر النخبات الوطنية، من مزج الإسلام بالأفكار الغربية عنه من «علمانية» وقومية و «وطنية» وغيرها، ليلتبس على الأمة أمر دينها، وليصبح الإسلام الواحد بعقيدته ومبادئه تشريعاته اسماً متعدداً بتعدد ألوان مؤامرة «الالتباس» التي تصد الأمة عن سبيل الإسلام الحق.

ومن هنا فإنه لا يمكن تحقيق انطلاقة قوية في طريق إحياء الأمة الإسلامية إلا بإقامة «الفرقان» الذي يرفع «الالتباس» ويسقط اللافتات الخادعة التي تتواري خلفها العلمانية. فيتمايز الناس إلى فسطاطين: فسطاط نفاق لا إيمان فيه، وفسطاط إيمان

البوار.

ومن هنا فإنه لا سبيل إلى الإحياء الحضاري للأمة الإسلامية إلا أن يوجد في الأمة «فقهاء» يتصفون بصفات المؤمنين ويتحركون على أساس من الوعي يقيم الوحي قرآناً وسنة مع الدراية بشؤون الواقع.. «فقهاء» يتميزون بمنهجيتهم وموضوعيتهم في رؤية حقائق الواقع، ومواجهة تحديات العصر..

ولكي يستطيع هؤلاء الفقهاء حمل رسالة أمتهم وتقديم العطاء الحضاري المنشود، لا بد أن يكون عملهم بـ«روح الفريق» ولا بد أن تربط بينهم من شبكة من العلاقات العقائدية والاجتماعية خيوطها الإيمان والتكامل والتناصر والجهاد في سبيل الخروج بالأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة ومن الاستضعاف إلى التمكين.

إن «نواة» الفقهاء التي تتسم بالفاعلية والحيوية، تجذب إليها «صفوة» الفكر والتجارب، و«خيرة» القدرات والإمكانات ليتكون من هؤلاء جميعاً «طليعة» قوية قادرة على تحدي كل أعداء الأمة، ومواجهة جميع أزماتها، والسير في طريق الإحياء الحضاري بصبر ودأب، حتى يأذن الله بالانبعاث الإسلامي المنشود..

وإذن فإن قيادة الطليعة المؤمنة للأمة الإسلامية هو في حقيقة أمره «تشترطه» أسس التغيير، وتستدعيه متطلبات التمكين.

٦- إحياء الفاعلية الإسلامية:

يُقَسِّم المراقبون العالم اليوم إلى «الشمال» تعبيراً عن العالم المتقدم.. و«الجنوب» تعبيراً عن العالم المتخلف..

فأما الأول: فيمثل في الدول المتقدمة، ويشمل محور اليابان ودول أوربا الغربية وأمريكا الشمالية وحلفاءهم..

وأما الثاني: فيتمثل في بقية دول العالم التي تقع خارج هذه المحاور.

ولا شك أن السبب الأول للهوة الحضارية بين الشمال والجنوب، أن دول الأول يتميز أفرادها بـ«الفاعلية» والحرص على الوقت، والتوجه بنشاطهم الجاد في سبيل

تقدم أمتهم.

أما دول الثاني، فإن أفرادها يغلب عليهم «انعدام الفاعلية» والنظر إلى الوقت على أنه لا قيمة له، وتوجه نشاطهم إلى اللغو والحديث غير المنتج.

وكي نوضح ما نقول فإنه من المستحسن أن نتأمل تجربة بلد مثل اليابان .. إن هذه الدولة تعيش في منطقة فقيرة في موادها الخام.. كما أن وضعها الجغرافي لا يجعلها منطقة استراتيجية.. ولكنها مع ذلك تتقدم يوماً بعد يوم ويغزو إنتاجها التكنولوجي العالم الغربي.. فما سر ذلك؟

إن السر يكمن في أن فاعلية «الإنسان» الياباني أضعاف أضعاف غيره من أفراد الأمم المتخلفة الذين انعدمت فاعليتهم وتوارت جهودهم..

إن المتأمل للنماذج التنموية في الأمة الإسلامية يجد أن الأنظمة العلمانية ترتكز على عنصر رأس المال على أنه العنصر الوحيد القادر على تحقيق التقدم.. ولذلك فهي تهمل بناء «الإنسان» لتنفق على بناء «المصانع»!!

ولا شك أن هذه الطريقة في البناء الحضاري هي طريقة «العملاء» الذين يحبون أن تظهر أنظمة حكمهم بمظهر التقدم، فيقيمون المصانع العملاقة، ثم يستوردون كل معداتها من الدول المتقدمة.. ويستوردون معها «كوادر» العمل في هذه المصانع. فلا يكون لهذه المصانع والمشروعات التنموية ـ رغم الإنفاق الكثير فيها ـ أدنى أثر في التقدم الحضاري المادي.. وما ذلك إلا لأن «الإنسان» في كل هذه المشروعات يكون غائباً، أو على أحسن الأحوال يكون حاضراً ولكنه يعاني من «اللافاعلية»..

٧- الريادة البشرية:

يتوقف «وجود» أية أمة في الحياة على حمل هذه الأمة لرسالتها.. فإذا ضعفت عن حمل هذه الرسالة، انتهى «وجود» الأمة وحل محلها أمة أخرى لا علاقة لها بها، وإن ربطتها بها روابط الدم والأرض واللغة والثقافة..

وهذا هو ما فهمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قول الله عر وجل: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون**

بالله﴾ [آل عمران ١١٠]، حيث قال في تفسيرها: لو شاء الله لقال: أنتم، فكنا كلنا.. ولكن قال: كنتم في خاصة من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن صنع صنيعهم، كانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

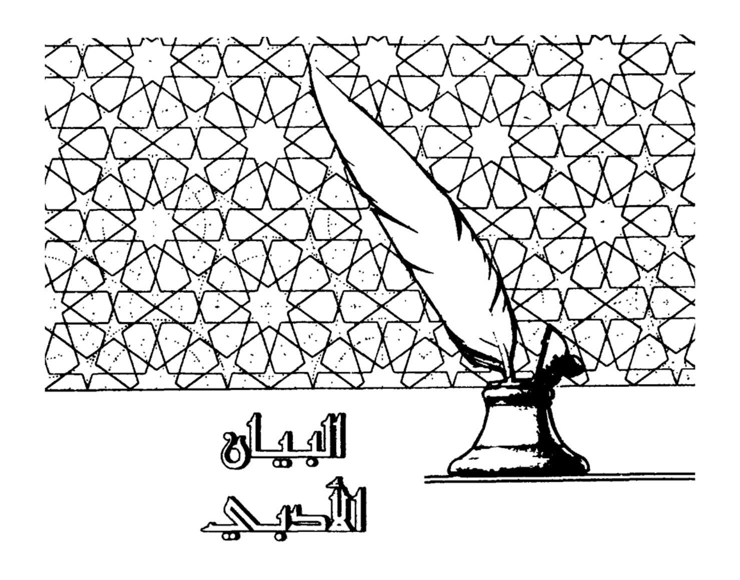
وإذن فالأمة الإسلامية إنما تتميز بقيامها برسالتها في الدعوة إلى المعروف وفعل الخير، والنهي عن المنكر وجميع الشرور.. فإذا تخلت عن شيء من هذه الرسالة نقصت قيمتها بقدر ذلك.. أما إذا تخلت عن هذه الرسالة بكاملها، فإن مصيرها هو الاختفاء من الوجود والحياة..

ولا شك أن الأمة الإسلامية لا تستطيع حمل رسالتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا إذا كانت تمتلك «الرادع» للعقل الغريب الذي لم يتخل بعد، وقد لا يتخلى عن حب العدوان والسيطرة، لاستعباد الآخرين، ونهب مقدراتهم، وإشاعة التخلف في حياتهم..

ومن هنا يبرز «الجهاد» رادعاً للعقل الغريب ومضاعفاته في الفتنة والفساد.. يبرز الجهاد ليعكس مفهوم «الأمن الإسلامي» الذي يركز على إيصال الرسالة وتبليغها إلى الآخرين في جو من الأمن الفكري والمادي والنفسي والشعوري يزيل العوائق التي تحول بين الناس وبين رؤية الحق على حقيقته، أو تمنع من تبينه من اتباعه..

وحين تقوم الأمة الإسلامية بهذا الدور، وتخوض في سبيله الجهاد الشاق، سيكون «البقاء للأصلح» لا بالمعنى الداروينى الفاسد، وإنما بالمعنى الرباني: **﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾** [الرعد ١٧]. وسيُخرج الله بهذه الأمة من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.. وستعود الأمة الإسلامية مرة أخرى إلى «الريادة البشرية».

* * *



– إسلامية الأدب.. لماذا وكيف؟

– هدايا رابين (شعر)

إسلامية الأدب.. لماذا وكيف؟؟

د. عبد الرحمن صالح العشماوي

الشبهة الثالثة:

يقول المعارضون لمصطلح الأدب الإسلامي إنَّ هذا المصطلح يجعل الأدب واضحاً ومباشراً في خطابه، والوضوح والمباشرة عدّوان لدودان لفنيَّة النص الأدبي.. والذي يثير العجب أن أصحاب هذا الرأي يعيبون الوضوح والمباشرة على إطلاقهما، ويدعون إلى الغموض من خلال الرموز الغائمة بحجة أن الأديب لا ينزل إلى مستوى القراء، بل هم المطالبون بأن يرقوا إلى مستواه فإن فهموا فذلك ما يريد، وإن لم يفهموا فليس الأديب مسؤولاً عنهم، ويستدلون على ذلك بالمقولة المشهورة التي قالها أبو تمام لأبي العميثل عندما سأله: لماذا لا تقول ما يُفهم، فردَّ عليه أبو تمام بقوله: لماذا لا تفهم ما يقال؟؟ وهو استدلال في غير محلِّه فما كان غموض أبي تمام مستغلقاً على الفهم، والذي سأله لم يكن جاهلاً بمعاني أبيات أبي تمام ــ كما يظهر لي ــ فهو ذو مقدرة لغوية وأدبية استحق بها أن يكون هو الذي يجيز القصائد التي

تُلقى أمام الخليفة. والذي أميل إليه أن سؤاله لأبي تمام كان من قبيل إشعاره بمخالفته لعمود الشعر العربي، وهو أمر واضح عند أبي تمام، وهذه قضية خارجة عن موضوعنا هذا ويمكن أن أفصِّل في موضع آخر القول فيها ــ إن شاء الله ــ[1].

أقول: إن قضية الوضوح والمباشرة بحاجة إلى بيان حتى لا تظلَّ شبهة مثارة تنطلي على ناشئة الأدب في بلاد المسلمين فيظنون أن الوضوح والمباشرة عيبان مخلَّان بفنية الأدب، ونحن نعلم أن التعميم في الأحكام النقدية كثيراً ما يكون سبباً في قتل الموضوعية، وضياع الإنصاف في الحكم على الأديب، أو على النص الأدبي[2].

ولا بد من الإشارة إلى «الرمزية» عندما نتحدَّث عن قضية الوضوح والمباشرة لأنها إنما طُرحت في شكل قضية أدبية ملحة بعد اجتياح موجة الغموض والإبهام لمساحة كبيرة من النصوص الأدبية في العالم، وكان ذلك الغموض المبهم نتيجة طبيعية للرمزية التي نادت بتغيير وظيفة اللغة الوضعية بإيجاد علاقات لغوية جديدة تشير إلى موضوعات غير معهودة تؤدي إلى تغيير مقام الكلمات ومجرى الصياغة المألوفة.. ولذلك لا يستطيع القارئ أو السامع أن يجد المعنى الواضح المعهود في الأدب[3].

تحركت هذه الرمزية صوب المناطق المعتمة في النفس البشرية، وجرَّت معها نصوص الأدب إلى أدغال الرموز والأساطير والإشارات التي لا أثر فيها لضوء، ولا مكان فيها لشمس أو قمر أو نجوم، ونشأت بتأثير الرمزية مدرسة

١- راجع كتاب «الفن ومذاهبه في الشعر العربي» لشوقي ضيف، ص ٢٣٩ وما بعدها.

٢- راجع كتاب «الوضوح والغموض في الشعر العربي القديم» تأليف عبد الرحمن القاعود، فقد طرح القضية طرحاً مفصلاً.

٣- الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر للدكتور عبد الحميد جيدة ص ١٢١ .

الغموض والإبهام في الأدب العالمي، وتبعه في ذلك ـ كما هي العادة ـ الأدب العربي، وكان طبيعياً أن تعادي مدرسة الغموض المولودة في أحضان الرمزية الوضوح والمباشرة عداءً عاماً لا مكان فيه للمناقشة الموضوعية الهادئة،

وسرت لوثة الغموض والرمزية الغارقة في الإبهام في عدد غير قليل من نصوص الأدب العربي المعاصر معتمدة على موجة الحداثة الفكرية التي نادت وما تزال بمعارضة المألوف والخروج عليه كما هو شائع في كتابات أصحاب هذه الدعوة، وهنا أصبح «الوضوح» في الأدب هدفاً من أهداف دعاة الخروج عن المألوف يرمونه بسهام التشكيك، ويشنعوه على الأدباء الذين يكتبون أدباً واضحاً فيه مقومات الصياغة الفنية الرائعة من أسلوب متقن، وصورة بديعة، ومشاعر دفَّاقة مؤثرة.

ولعل من المصلحة هنا أن نحدِّد نقاطاً لتناول هذه الشبهة حتى لا يطول بنا المقام.

أولاً: نحن لا نقف ضد الرمز الموحي الذي يغلِّف الكلمة بغلاف رقيق تطالعك من ورائه فكرة الأديب، والأدب الإسلامي يحترم الرمز المعبِّر وقدوته في ذلك القرآن الكريم، ففيه عبارات وجمل ترمز إلى المعنى المراد ولا تصرح به، وكذلك في حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهناك فرق كبير يغفل عنه كثير من الناس، بين الرمز الشعري الذي يستخدمه الشاعر للدلالة على فكرة ما، وبين الرمزية التي هي مذهب أدبي غربي. ولذلك حصل الاضطراب عند بعض النقاد في قضية الوضوح والمباشرة.

ثانياً: الوضوح والمباشرة ليسا عيبين في الأدب بهذا الإطلاق الذي يرد في بعض الدراسات النقدية، فهما ضرورتان ملحتان لكل أديب يريد أن

يوصل مشاعره وأفكاره إلى الناس، خاصة عندما يكون الأديب صاحب رسالة عظيمة في الأمة كما هو شان الأديب الإسلامي، وإنما يعاب الوضوح، وكذلك المباشرة، عندا يطغيان على فنية العمل الأدبي فتصبح القصيدة كلمات وجملاً مصفوفة لا يربط بينها إلا الوزن الشعري وليس فيها روح الأدب، ولا جمال تصويره، ولا إيحاء عباراته. فعندما يقول شاعر مخاطباً شخصاً ما:

تعيش وتبقى ما حييت وتسلمُ

فإنه بهذا المطلع الخاوي الذي لا روح فيه يخرج من مفهوم فنية الأدب، والأدب الإسلامي لا يقر «فنياً» مثل هذه الكلمات الجافة الجامدة، وهذا الجفاف والجمود لم يأت من قبل الوضوح والمباشرة كما قد يتخيل البعض، وإنما أتى من قبل خواء المعنى وعدم نجاح الشاعر في نقل تجربة شعورية صادقة.

ولو كان الوضوخ والمباشرة هو العيب، لألغينا مساحة شاسعة من الآداب العالمية، ومحوناها من خارطة الأدب، وذلك ما لا يقول به ذو بصيرة. عندما يقول الشاعر الإسلامي محمد محمود الزبيري ـ رحمه الله ـ:

خرجنا من السجن شُمَّ الأنو ... ف كما تخرج الأُسْدُ من غابها

نمر على شفرات السيوفِ ... ونأتي المنيَّة من بابها

فإن في هذين البيتين وضوحاً ومباشرة، ولكنها شعر مؤثر، وفيها تصوير فني جميل لثبات الإنسان على مبادئه التي يؤمن بها، فالفنية هنا موجودة ولم تكن المباشرة أو الوضح عيباً بالرغم من وجودهما هنا. وبهذه النظرة النقدية العادلة نستطيع أن نردَّ مثل هذه الشبهة الباطلة.

ثالثاً: الرمز الموحي مطلوب من النص الأدبي، والأديب المقتدر هو الذي يحسن استخدام الرموز وتوظيفها، سواء أكانت رموزاً تاريخية أم معاصرة، وسواء أكانت بشرية أم غير بشرية بل إن الشاعر إذا استخدم رمزاً موحياً وأحسن توظيفه في النص الأدبي، استطاع أن يؤثر تأثيراً أعمق وأن يحقق للقارئ متعة أكبر، وإنما يأتي الخلل عندما يصبح الرمز هدفاً ووسيلة لا يتنازل عنها الشاعر فإنه بهذا يخرج عن إطاره الصحيح ويتجاوز حدَّه المعقول.

رابعاً: الوضوح والمباشرة موجودان في كل نصٍ أدبي يحمل فكرة وإنما تختلف النسبة من نص إلى نص، اللهم إلا عند الأدباء الذين يجعلون الرمزية غاية وهدفاً، ويسعون إلى الغموض والإبهام ولا يعنيهم أن يفهم القارئ ما يكتبون، وإنما يعنيهم أن يتفنَّنوا في استخدام أساليب الرمزية الغامضة، وباستطاعة كل أديب مقتدر أن يستخدم التعابير اللغوية استخداماً مباشراً ولكنه مفعم بأثر تجربته الشعورية التي تتناغم مع الإيقاع الشعري الذي يستخدمه،

أليس شعر المتنبي واضحاً ومباشراً؟؟

بلى هو كذلك، فلماذا أحبه الناس وما زالوا يحبونه؟؟ لماذا لم يكن وضوحه ومباشرته سببين في رفضه وحاجزين أمام إبداعه؟؟ وغير المتنبي كثير.

ونخلص من هذا إلى القول بأن الوضوح والمباشرة ليسا مما يعوق العملية الفنية، وبأن الأدب الإسلامي لا يقف ضد الرمز الموحي، ولا يقبل الجمود والجفاف في النص الأدبي، وإنما ينظر إلى «الوضوح والمباشرة» بمنظار نقدي سليم.

هدايا رابين

د. محمد وليد

طال الأسى وتفطَّر القلبُ ... فإلامَ ذاكَ القهرُ يا ربُّ

المسلمون نفوسُهم مُلِئتْ ... كرباً وفي أوطانهم كَرْبُ

فإلى متى أموالهم نَهْبُ ... وإلى متى أقداسُهم غَصْبُ

لو كان قلبي قُدَّ من حجرٍ ... لتَفَطرتْ أحجاره الصُلبْ

ومضى ينادي ربَّهُ جزعاً ... حتام ذاكَ القهرُ يا ربُّ

وأتاه صوتٌ غاضب يجب ... ملء السماء وكلُّه عَتبُ

ضلّت بكم أهواؤكم شِيَعاً ... وتفرقَ الحادونَ والرَّكبُ

إن السراجَ اليوم مُتَّقِدٌ ... ما بالُه في أرضكم.. يخبو

قد سادَ فيكم كلُّ طاغيةٍ ... وبكل صَرْحٍ شامخٍ ذئبُ

قهر البلاد وفيه قد جُمعِتْ ... كلَّ العباد فشخصُهُ الشَّعبُ

تحيا الحقيقة وهي بائسة ... في أرضكم ويُجَمَّلُ الكذبُ

أو تحسبون اليوم ويلكُمُ ... أنَّ الحقيقةَ مالها ربٌّ؟!

الخيرون اليومَ قد قُتلوا ... في أرضكم وتفرق الصَّحبُ

والعابدون لربهم حُشروا ... ملء السجون ومالهم ذنبُ

إلا محبتهم.. لخالقهم ... ولسانهم من ذكره رْطبُ

مدريدُ قد جمعت قبائلكم ... وخطابُهم في قصرها خَطبْ

يا ليت شعري ويح مؤتمر ... أبطاله الأغنامُ والذئبُ

رابينُ يُهديكم.. بضاعَتَه ... حرباً هواناً بعدها حربُ

ووفودكم تأتيه طائعة ... وجلوسها بمقامه كسبُ

أتفلسفونَ الذلَّ في سفهٍ ... كي لا يقالَ تشدَّد العُرْبُ

يا أيها التاريخ.. مرحمة ... داء المذلة ماله طِبُّ

لا تعجبوا إن غاضَ ماؤكمُ ... أو أُطفئت بسمائها الشُّهبُ

سيُذلكُّم من كان ذا ضَعَةٍ ... وسيحكم الخنزيرُ والكلبُ

وسيفدحُ الخطبُ الجليلُ بكم ... وسيعظم التقتيلُ والرُّعبُ

ما كان ربُّ العرش يظلمكم ... الظلم فيكم أيها العُرْبُ

سُننُ الإله اليومَ ماضية ... فيكم إلى أن يرعوي القلبُ

هلّا رجعتم نحو بارئكم ... حتى يعودَ إليكمُ الربُّ

الحركة العلمية في بلاد الحجاز في العصر الأموي
(٣)

د. محمد أمحزون

السيرة والمغازي:

لقد كان النزوع إلى جمع المعارف وحفظها من الضياع متعدد الجوانب في صدر الإسلام، وبدأ في فترة كان فيها عدد كثير من الصحابة وكبار التابعين لا يزالون على قيد الحياة. وبناء على بعض الأخبار سبق ذكرها يتضح لنا أن الصحابة والتابعين كان لديهم حس تاريخي؛ فكانت المعارف والذكريات تدوّن من الذاكرة على الورق، حتى تبقى بعد وفاة مدوّنيها.

وقد استخدم الواقدي كتباً من تأليف بعض الصحابة أسهمت إلى حد ما في رواية كتب المغازي. ومن هذه الكتب كتاب بخط مؤلفه الصحابي سهل بن أبي حتمة الأنصاري توفي زمن معاوية بن أبي سفيان. وقد بقيت بعض المعلومات التي جمعها لدى حفيده محمد بن يحيى، وعنه أخذ الواقدي بعض المغازي[١]. وتعطي المقتبسات منه صورة تكفي لإيضاح أن سهلاً قد اهتم في كتابه بغزوات الرسول ﷺ[٢].

وهناك قطعة من مصنف للصحابي العلاء بن الحضرمي يعطي مثلاً آخر على أن بعض الصحابة قد اعتادوا أن يسجلوا ذكرياتهم المهمة عن سيرة الرسول ﷺ[٣].

لكن كتب السيرة المختصة كتبت على وجه التحديد في جيل التابعين، حيث كان عدد من الصحابة موجودين، فلم ينكروا على كتاب السيرة، مما يدل على إقرارهم لما كتبوه. والصحابة على علم دقيق وواسع بالسيرة لأنهم عاشوا أحداثها وشاركوا فيها، وكانت محبتهم للرسول ـ ﷺ ـ وتعلقهم به ورغبتهم في اتباعه وأخذهم بسنته في الأحكام سبباً في ذيوع أخبار السيرة ومذاكرتهم فيها وحفظهم لها؛ فهي التطبيق العملي لتعاليم الإسلام.

وجدير بالإشارة أن هذا التبكير في كتابة السيرة قلّل إلى حد كبير من احتمال تعرضها للتحريف أو للمبالغة والتهويل أو للنسيان والضياع.

ومن أقدم من ألف من التابعين في السيرة والمغازي عروة بن الزبير (تـ سنة ١٤هـ) وأبان بن عثمان بن عفان (تـ سنة ١٠٥هـ) وشرحبيل بن سعيد (تـ سنة ١٢٣هـ) وابن شهاب الزهري (تـ سنة ١٢٤هـ) وعاصم بن عمرو بن قتادة (تـ سنة ١٢٩هـ) وموسى بن عقبة (تـ سنة ١٤١هـ).

وكل هؤلاء من أهل المدينة، وقد تأثروا برأي أهل المدينة الذي يغلب عليه طابع الحديث. فمن الأمور الطبيعية نشوء علم السيرة في المدينة، إذ كانت المكان الذي نصر الإسلام وحاطه، فاكتسبت السيرة بذلك ثوباً مدنياً، وطبعت بالطابع الذي تميز به أهل الحجاز، وهو ميلهم إلى الحديث والرواية، والتدقيق والمحافظة.

أما عروة بن الزبير بن العوام، فيعدّ أحد فقهاء المدينة السبعة[٤]. انصرف بكليته إلى الدراسة وإلى العناية بجمع حديث رسول الله ـ ﷺ ـ، والبحث في سيرته ومغازيه حتى قال عنه الزهري: «رأيت عروة بحراً لا تكدّره

الدّلاء»[٥].

روى عن علي وعائشة وأبي هريرة وأمثالهم، وحدث عنه حبيب بن أبي ثابت وخالد بن أبي عمران قاضي أفريقيا وأبو الزناد والزهري وغيرهم[٦]. وقد وصلت إلينا بعض كتبه في مؤلفات ابن اسحاق والواقدي والطبري، وهي من أقدم ما وصل إلينا مدوناً عن مغازي رسول الله ـ ﷺ ـ.

وأما أبان بن عثمان، فإنه وإن كان قد شارك في بعض الأحداث مثل وقعة الجمل، وتولى إمارة المدينة في أيام عبد الملك بن مروان[٧] إلا أنه فضل الاشتغال بالعلم، إذ يعد من فقهاء المدينة السبعة[٨] ومن أقدم من ألفوا في المغازي والحديث[٩]. لكن لم يقتبس منه من المؤرخين سوى اليعقوبي في تاريخه[١٠].

ويشاركه في هذا الميل شرحبيل بن سعيد، وهو أحد المؤلفين والعلماء الأوائل في ميدان المغازي، قال سفيان بن عيينه عنه: «لم يكن أحد أعلم بالبدريين منه»[١١]. وكان شيخاً قديماً حدث عن زيد بن ثابت ومعظم الصحابة[١٢].

وروى بالخصوص عن أبيه سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي الذي كان له اهتمام بجمع المعلومات التاريخية المتعلقة بالمغازي[١٣]. وقد بقيت بعض المعلومات التي جمعها في مسند الإمام أحمد وتاريخ الطبري[١٤]، واعتمد ابنه شرحبيل عليها في كتاباته. فسار على سنة أسرته في التأليف في المغازي، إذ كان جدّه سعد بن عبادة الصحابي المشهور ذا مؤلف في السنن لا يزال معروفاً في القرن الثالث الهجري[١٥]. وقد ذكر محمد بن طلحة الطويل أن شرحبيل أعدّ قوائم بمن اشتركوا في غزوتي بدر وأحد، لكن فيها شيء من المبالغة[١٦].

ومن الرواد الأوائل في كتابة السيرة أيضاً عاصم بن عمر بن قتادة المدني؛

روى عن بعض الصحابة مثل جابر وأنس، وحدث عنه بكير بن الأشجّ وابن عجلان وابن اسحاق وغيرهم[١٧]. وكان عالماً بالسيرة، ثقة، كثير الحديث[١٨]، يعتمد عليه ابن اسحاق في كثير من مروياته[١٩].

وقد أمره الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يجلس في جامع دمشق فيحدث بمغازي رسول الله ـ ﷺ ـ ومناقب أصحابه[٢٠]. ثم رجع إلى المدينة، فلم يزل بها حتى توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة[٢١].

ومنهم محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الذي يعدّ من كبار المحدثين في عصره، وثقه جهابذة علماء الجرح والتعديل[٢٢]، وأثنى عليه الأئمة بالفهم وسعة العلم[٢٣]. وهو أول من استخدم طريقة جمع الأسانيد ليكتمل السياق وتتصل الأحاديث دون أن تقطعها الأسانيد[٢٤]. وكان صاحب دراسات في التاريخ الحديث والفقه، يكتب ما يسمعه ويجمعه من مشايخه؛ قال عنه أبو الزناد: «كنا نطوف مع الزهري على العلماء ومعه الألواح والصحف يكتب كل ما سمع»[٢٥].

وكان حريصاً على الطلب، بصيراً بالعلوم حتى صار مرجع علماء الحجاز والشام. قال فيه الليث بن سعد: «ما رأيت عالماً قط أجمع من الزهري، يحدث في الترغيب فتقول: «لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن العرب والأنساب قلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة فكذلك»[٢٦].

وبذلك تكونت من كتاباته وعلومه هذه مجموعات ضخمة دخلت قصور الخلفاء الأمويين. فقد أمر الخليفة هشام بن عبد الملك اثنين من كتابه بمرافقة الزهري فرافقاه سنة في مجالسه التي يحاضر فيها، ثم أُودع ذلك النقل خزانة هشام[٢٧]. وحكي أنه حين قتل الوليد بن يزيد (تـ سنة ١٢٦هـ) حملت الدفاتر من خزانته على الدواب من علم الزهري[٢٨].

ومنهم موسى بن عقبة الأسدي مولى آل الزبير، وهو محدث ثقة من تلاميذ الزهري[٢٩]. وقد أثنى الإمام مالك على كتابه في المغازي وقال أنه أصح المغازي[٣٠]. وقال يحيى بن معين: «كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب»[٣١].

عاش موسى بن عقبة في المدينة، وكانت له في مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ حلقة علم يمنح فيها كذلك إجازاته العلمية[٣٢]. ويبدو أن البخاري قد أفاد من مغازيه في الصحيح[٣٣]. واختصرها ابن عبد البر بعنوان: «كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير»[٣٤]. كما استخدمها الحافظ ابن حجر في كتابه «الإصابة»[٣٥].

هؤلاء هم الرواد الأوائل في كتابة السيرة في المدينة المنورة موطنها الأصلي، ويتضح من توثيق نقاد الحديث لهم ما تميزوا به من العدالة والضبط، وهما شرطان عند العلماء لتوثيق الرواة. فلئن كانوا عُدِّلوا عند المحدثين رغم دقة شروطهم في التوثيق، فإن هذا التوثيق يعطي كتاباتهم في السيرة قيمة علمية كبيرة.

ويعد ذلك دليلاً ساطعاً بأن الله تعالى حفظ سيرة نبيه ـ ﷺ ـ من الضياع والتحريف والمبالغة، بأن هيأ لها جهابذة المحدثين ليعنوا بها ويدونوا أصولها الأولى قبل أن تتناولها أقلام الإخباريين والقصاصين.

الهوامش:

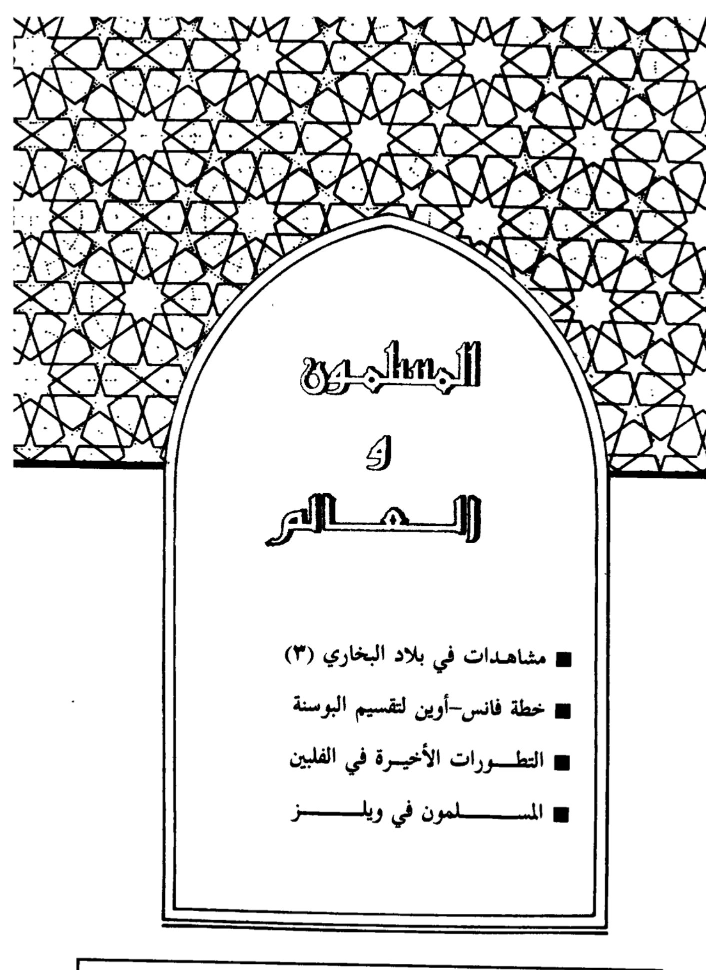
١- الواقدي: المغازي، ص٩٥،١٠٨،١٩٧ .

٢- انظر مثلاً الطبري: تاريخ الرسل، ١/١٢٦٤،١٦٠٩،١٧٥٧ . وابن سعد: المصدر السابق، ١/٣٣٢ .

٣- ابن حجر: الإصابة، ٢/١١٨٤ .

٤- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ١/٣٩٩ .

٥- ابن عساكر: المصدر السابق، ٢٨٤/١١، والفسوي: المصدر السابق، ٥٥٢/١ .
٦- الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٤٢١/٤-٤٣٥ .
٧- ابن سعد: المصدر السابق ١٥٢/٥ .
٨- ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٩٧/١ .
٩- انظر مقال تسترسين، دائرة المعارف الإسلامية، ٥/١ .
١٠- اليعقوبي: التاريخ، ٣/١ .
١١- الذهبي: الكاشف، ٧/٢ .
١٢- ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٣٢١/٤ .
١٣- ابن حجر: المصدر نفسه، ٦٩/٤ .
١٤- أحمد: المسند، ٢٢٢/٥، والطبري: تاريخ الرسل، ١١١/١ .
١٥- الترمذي: السنن، ٢٥١/١ .
١٦- ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٣٦١/١٠ .
١٧- الذهبي: الكاشف، ٤٦/٢-٤٧ .
١٨- ابن سعد: المصدر السابق، ص ١٢٨ (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة).
١٩- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢٤٠/٥ .
٢٠- ابن سعد: المصدر السابق، ص ١٢٨ (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة).
٢١- ابن سعد: المصدر نفسه، ص ١٢٨ .
٢٢- ابن معين: التاريخ، ٥٣٨/٢، والدرامي: التاريخ، ص ٤٤-٢٠٣، والعجلي: تاريخ الثقات، ص ٤١٢ .
٢٣- الطبري: المنتخب من ذيل المنديل، ص ٩٧، والذهبي: سير أعلم النبلاء، ٣٣٦/٥ .
٢٤- أكرم ضياء العمري: المجتمع المدني في عهد النبوة، ص ٤٠ .
٢٥- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٢٩/٥ .
٢٦- الذهبي: المصدر نفسه، ٣٢٨/٥ .
٢٧- أبو نعيم: المصدر السابق، ٣٦١/٣ .
٢٨- الدرامي: التاريخ، ص ٢٠٤، وابن حجر: تهديب التهذيب، ٣٦٠/١٠-٣٦١ .
٢٩- ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٣٦١/١٠ .
٣٠- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١١٧/٦ .
٣١- الذهبي: المصدر نفسه، ١١٧/٦ .
٣٢- انظر الجامع الصحيح: كتاب المغازي، ٤٤/٥ .
٣٣- سزكين: المرجع السابق، ٨٥/٢ .
٣٤- ابن حجر: الإصابة، ١٣٤٩/٣ .
٣٥- ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٤٣٧/٣ .



- مشاهدات في بلاد البخاري (٣)
- خطة فانس-أوين لتقسيم البوسنة
- التطورات الأخيرة في الفلبين
- المسلمون في ويلز

مشاهدات في
بلاد البخاري (٣)

د. يحيى اليحيى

مشاهد تسر المسلم:

لقد سرني كثيراً من أحوال تلك البلاد وما كنت لأتوقع ذلك أبداً، وها أنذا أسجل أشياء مما رأيته ومما ينشرح له صدر المسلم:

□ طهارة تلك البلاد من القبور المعظمة عندهم فلم نر مسجداً قط يطوف الناس حوله أو يتبركون به، ولم أر مسجداً داخله قبر ، وهذه نعمة كبيرة ومؤشر كبير لنشر التوحيد هناك.

□ الناس عموماً على الفطرة وإن كان ظاهرهم الإعراض عن الإسلام، فالمرأة المتبرجة لم تتعر عناداً أو عصياناً كالمرأة في البلاد العربية، لا ولكن جهلاً منها فمتى عرفت شيئاً بادرت إلى تطبيقه، وإذا دخلت المحلات التجارية ــ وكل البائعات فيها نساء ــ فإذا رأتنا المرأة استغربت الشكل: فسألت صاحبي: عربستان؟ أي من العرب. قال نعم ومن المدينة النبوية فتشهق فرحاً وشوقاً إلى تلك الديار، وتقديراً لنا تضع يدها على صدرها، ثم تتنهد

تنهداً عظيماً وتزفر زفرة قوية، توضح شوقها وحبها إلى ديار الإسلام وأهله.

ولقد سكنت في فندق في مدينة تشاوز من دولة تركمانستان، فلما علمت مسؤولة الفندق أننا من البلاد العربية طلبت منا مصحفاً وكان طلبها في نظرها من أشباه المستحيلات، فأعطيتها مصحفاً ففرحت فرحاً شديداً أبكاها ووضعته على رأسها، ثم أخذت بتقبيله قائلة: أنا أملك مصحفاً! ثم ذهبت إلى مكتبتها ووضعته في أعلى مكان منه متمنية سرعة انتهاء دوامها حتى تذهب به إلى بيتها.

فالناس هناك على الفطرة، فطرة الله التي فطر الناس عليها: حب للإسلام وحب للعرب خاصة، لأنهم هم الذين حملوا الإسلام إليهم.

٣- ترابط الأسرة، وقيام المرأة بشأن بيتها، وقوامة الرجل على أهل بيته، فتجد البيت فيه الأب والأم والأولاد وزوجاتهم، والمرأة تقوم في شأن البيت كله: تطحن وتخبز وتطبخ وتنظف وتخيط الخ.

٤- الكرم وحسن الضيافة، أما كرمهم فلم أر أحداً أكرم للضيف منهم مع الفرح والسرور والابتهاج، فلا أتصور أحداً يذهب إلى تلك البلاد، وفيه خير ودين، ويعلم به المسلمون، يدفع شيئاً من جيبه لطعام أو شراب، وقد وصل الأمر إلى أننا أنكرنا عليهم بعض المبالغة في كرمهم.

فإذا دعاك أحد إلى بيته فلا تتصور أنك ستطرق الباب عليه، فإن أهل البيت كلهم ينتظرونك عند الباب، فإذا دخلت البيت فمكانك أحسن المجالس، ولا يجلسون حتى تجلس، أما الطعام فمقدم لك قبل جلوسك ويأتيك الطعام من كل نوع ويقربون لك أحسنه وأطيبه، أما غسل اليدين قبل الطعام وبعده فيأتيك وأنت جالس مع المنديل، ولن تخرج من بيت

الضيافة إلا ويهدون إليك شيئاً!

والقصص في كرمهم كثيرة وأجتزئ منها قصتين تدلان على كرمهم وحسن ضيافتهم:

الأولى: خرجنا من مدينة (طشقند) قرب الغروب وبعد مسيرة ثلاثين ميلاً غربت الشمس فقصدنا شخصاً يعرفه أحد المرافقين معنا ففرح لقدومنا فرحاً شديداً، وأدخلنا بيته على سرور منه وفرح وما هي إلا دقائق حتى قدم لنا الطعام، وما زال يقدم لنا أنواعاً من الأطعمة، فما استطعنا أن نوقف سيل الأطعمة إلا بالمناداة للصلاة، فلما أدينا الصلاة استأذنا في الخروج فبكى وطلب منا أن نبيت عنده، وقال: ما أكرمتكم، ثم أخذ بإلحاح علينا علنا ننام عنده فلما علم إصرارنا على المسير، قال: متى ترجعون إلى طشقند، فقلنا: بعد عشرة أيام، فلما قدمنا (طشقند) وجدناه واقفاً على باب الفندق صباحاً، فحاولت الحديث معه، لكنه لا يعرف العربية وسمى لي شخصاً ممن يصحبوننا يريد مقابلته فدخلت الفندق وبحثت عنه، فلم أجده فخرجت إليه وأخبرته وطلبت منه أن يدخل فأبى، فدخلت الفندق، وتصورت أنه سيذهب ولكنه بقي على باب الفندق حتى جاء صاحبه بعد العصر، فقال: لا بد من أن يزورني الضيوف الكرام، فقال له: إن سفرهم صباحاً ولا يستطيعون، فإذا معه بعض الهدايا من عسل مصفى ـ في إناء لا يقل وزنه عن خمسين كيلوغراماً ـ فأقنعه صاحبي أننا لا نستطيع حمله بسبب الجمارك، وظننا أن الأمر انتهى إلى هذا، وبعد صلاة العشاء نزلت من الفندق فإذا بصاحبنا على بابه، فأدخلته غرفتي فبدأ يبكي: كيف نذهب ولم نزره، ثم أعطاني لباساً من ألبستهم وشيئاً من العسل يبلغ اثنين كيلوجرام، ولصاحبي مثل ذلك، فحاولت إقناعه بعدم أخذها وأننا قد ربطنا أمتعتنا فبكى، فأخذتها مجاملة له ثم خرج مودعاً باكياً.

ولا تظن أخي الكريم أن هذا الرجل يتصور أننا أكرم الناس، لا فقد حج في العام الماضي ورأى من كرمنا أننا نبيع الماء للحجيج!!

الثانية: التقينا مع بعض زملائنا من أهل الرياض في مدينة (طشقند) فتجاذبنا وإياهم أطراف الحديث فذكروا أن لنا بعض ما شاهدوه من كرم الناس فقالوا: وجدنا رجلاً يزيد عمره على الأربعين في (طشقند) فقال: أود أن تزورونا في قريتي، فأمي منذ زمن تريد أن ترى أحداً من أهل مكة أو المدينة، قلنا كم تبعد قريتك عن (طشقند) قال قرابة ستمائة من الكيلومترات، فقلنا له: إن شاء الله سنزورك، كعادتنا في كل من طلب منا الزيارة نسّوف له، فإن حانت فرصة فعلنا، ولكن الرجل فهم منهم القبول فسافر إلى قريته ووصل إلى أمه ليلاً، وأخبرها الخبر، فأخذت تبكي من الفرح حتى الفجر وفي الصباح اشترت ضأناً بمبلغ ألفين روبل، ــ راتب أستاذ الجامعة عندهم ألف روبل ــ وذبحته وطبخته، فلما حان الظهر خرج كل أهل القرية ومعهم الأعلام والرايات إلى ظاهر القرية لاستقبال الضيوف ومعهم المرأة ــ فلما جاء العصر ولم يحضر الضيوف أمرت ولدها بأن يحضر طبيباً، خشية أن أحداً منهم قد مرض، ثم بقوا في انتظارهم حتى العشاء الآخرة، فقال الرجل لأمه نرجع، فقالت: لا إن رسول الله ــ ﷺ ــ واعد رجلاً فجلس ينتظره ثلاثة أيام، وأنا سأنتظرهم سبعاً، وبعد الإلحاح عليها خشية البرد رجعت إلى البيت على أن يسافر ابنها في طلب الضيوف، ولكن الضيوف سافروا إلى مدينة أخرى فهم في نظرهم لم يعقدوا موعداً معه، فخرج الرجل يبحث عنهم حتى وجدهم فقال لهم: أين الموعد؟ فقالوا: مستغربين، وهل واعدناك، فلما أخبرهم بانتظار الناس لهم رجعوا معه، فوجدوا الناس في انتظارهم في ظاهر القرية ومعهم الرايات، قالوا: فلما رأونا رفعوا أصواتهم بالتكبير، وأسرعت المرأة

وأكبت عليهم تريد تقبيل أيديهم، فابتعدوا عنها، ثم أكبت على أقدامهم تقبلها، فلما دخلوا القرية وجدوا طريقهم قد فرش حتى البيت، قالوا: فلما جلسنا على الطعام والعجوز قريباً منا وهي تبكي فرحاً حتى خشينا عليها من التشنج، فلما أكلوا أحضرت لهم الماء بنفسها للتغسيل ومعها المنديل وأبت أن يأخذه أحد منها، قالوا: ثم ذهبنا إلى المسجد فإذا الناس مجتمعون فيه فأخذ الصغار بالتكبير والكبار بالبكاء عند مرآنا هذا والقصص في كرمهم كثيرة، ولكن ذكرت هاتين القصتين للتدليل فقط.

الأدب الإسلامي وحسن الخلق:

شباب عاشوا في جو الإلحاد والضياع ولكن أدب الإسلام وأخلاقه باد عليهم، فالشاب مثلاً لا يمكن أن يمد رجليه بين يديك، بل ولا يجلس متربعاً، وإنما جلسته أمامك كجلسة التشهد، أما إن طلبت منه أن يقرأ عليك شيئاً من القرآن، فاليدان على الفخذين، والرأس مطأطئ والبصر في حجره. لا يتقدم الصغير على الكبير ولا يتكلم الولد بحضرة والده إلا بإذنه، ولا يعمل الوالد مع وجود ولده، يسود بينهم الإيثار والاحترام المتبادل، يرقبون حركتك بعين التقدير والاحترام، فإن أردت القيام قاموا جميعاً ليقدموا لك ما تريد.

الصبر والجلد والغربة في طلب العمل:

وقد ذكرت سابقاً شيئاً من صبرهم وجلدهم وتحملهم في طلب العلم وتحصيله، ولقد زرت قرية (طبق سه) وهي تبعد عن طشقند قرابة ستين كيلومتراً، فدخلت مدرسة فيها أكثر من سبعين طالباً أعمارهم ما بين الثانية عشرة إلى العشرين، وكلهم غرباء، قدموا من مسافات بعيدة للتعلم، وكانوا على مستوى متقارب من حيث الفهم والمقصد والأهداف، تسود بينهم المحبة

والإخوة والإيثار، يخدمون أنفسهم فهم الذين يطبخون ويغسلون وينظفون. وقد قمت بمقابلتهم واحداً واحداً، وكان منهم شاب عمره ست عشرة سنة قدم من سيبيريا، وهي تبعد عن مكان المدرسة أكثر من ألف كيلومتر، فقلت له: لماذا تركت أهلك وقدمت إلى هذا المكان؟ قال: لطلب الدين!! فقلت له: متى تزور أهلك قال: في الصيف أذهب إلى الأهل.

سبحان الله شاب بهذا العمر ويعيش في جو الإلحاد والضلال ثم يتغرب مسافات شاسعة مفارقاً الأهل والخلان والوطن في طلب الدين. إن هذا المجتمع يحمل مقومات وخصال عظيمة ينبغي تنميتها وتربيتها وتوجيهها لخدمة الإسلام.

احترام وإجلال أهل العلم:

وهذه الخصلة الحميدة سائدة بين مختلف طبقاتهم وعلى تفاوت مستوياتهم في العلم والالتزام، فإذا قدم عليهم طالب علم أو مرّ بهم احترموه وقدروه وأفسحوا له الطريق. ولقد وقفت في الشارع أطلب سيارة فتوقف لي صاحب سيارة خاصة في وسط الطريق وكاد أن يتسبب في وقوع حادث، وقال لي: أنا موظف ذاهب إلى عملي ولكن لما رأيتك قلت هذا من العلماء فوقفت لك!! وهذا الاحترام ليس خاصاً بالمدنيين فقط بل إنني وجدت حتى من العسكريين المسلمين تقديراً واحتراماً يفقده كثير من الناس عندنا اليوم، فما تمر في نقطة تفتيش مثلاً إلا وتجد أول ما يبادرونك به تحية الإسلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ويعرضون عليك بإلحاح النزول عندهم.

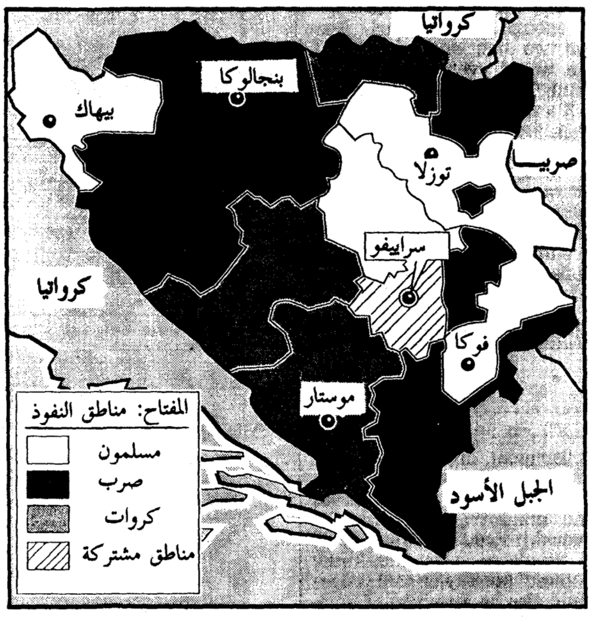
* * *

خطة فانس-أوين لتقسيم البوسنة:

نموذج ابتلاع فلسطين يتكرر

د. علي عبد الرحمن عواض

عندما انطلقت الرصاصة الأولى في البوسنة معلنة بدء الحملة البشعة التي يشنها الصليبيون الصرب على مسلمي البوسنة-الهرسك صرح الرئيس الصربي بأن «الجولة الثانية من معركة كوسوفو قد بدأت»، مميطاً اللثام عن الأهداف الأصلية لحملة الإبادة التي يتعرض لها مسلمو البلقان. أخبار الجرائم ملأت الصحف، والتجاوزات فاقت كل حد، وصور التهجير والاعتقال والتعذيب وانتهاك الأعراض دخلت كل منزل، ومع هذا لم يستيقظ «الضمير العالمي» (إن كان هناك ما نسميه بالضمير العالمي) ولم تتحرك لها الغيرة الإسلامية إلا من رحم ربي.. ومن بين الركام ومن خلال دخان المعارك تأتي مبادرة فانس-أوين الأوربية لتضع البصمات الأخيرة على هذه المسرحية المأساوية التي لامست قلب كل مسلم غيور وتطلبت من المجتمع الدولي ـ والأوربي خاصة ـ أن يتحرك «لإيجاد حل للمشكلة فكان اقتراح فانس-أوين».



الخريطة المقترحة لتقسيم البوسنة-الهرسك*

المسلمون: ٤٥٪ من السكان ٢٥٪ من الأرض
الصرب: ٣١٪ من السكان ٤٣٪ من الأرض
الكروات: ١٧٪ من السكان ٢٠٪ من الأرض

* المسلمون والصرب والكروات يمثلون ٩٣٪ من السكان، و٧٪ من الأقليات الهنغارية، اليوغسلافية وقوميات أخرى.

الحل الأوربي:

يدعو الجزء الأول من مشروع السلام (فانس-أوين) الأوربي إلى تقسيم جمهورية البوسنة-الهرسك على أساس الأرض والسلطة بين المسلمين والكروات (الكاثوليك) والصرب (الأرثوذكس) بحيث يحصل:

- المسلمون والذين (كانوا) يشكلون أكثر من ٤٥٪ من السكان على ٢٥٪ فقط من أرض الجمهورية والتي تضم ٣ أقاليم صغيرة متفرقة.
- الصرب والذين هم ٣١٪ من السكان على ٤٣٪ من الأرض في ثلاث أقاليم كبيرة الجزء الأكبر منها محاذ لجمهوريتي صربيا والجبل الأسود، والمقاطعة الأخرى الشاسعة محاذية للجزء الصربي المحتل من كرواتيا (المليشيات الصربية تسيطر على ٣٠٪ من كرواتيا وتعتبر أراض صربية وقد أعلنوا فيها دولة كرواتيا الصربية العام الماضي.
- ويحصل الكروات (وهم ١٧٪ من السكان) على حوالي ٢٠٪ من أرض البوسنة ومعظمها في الهرسك (الجزء الجنوبي الغربي للجمهورية) وجزء في شمال البلاد محاذ لكرواتيا، وذلك على شكل مقاطعتين.
- وتترك سراييفو والمناطق المحاذية لها (كمقاطعتين) مناطق ذات سيادة وسيطرة مشتركة.

موقف الأطراف:

بالرغم من الضغوط المتزايدة على حكومة البوسنة للقبول بخطة فانس-أوين (وصلت إلى حد تهديد قادة المسلمين بعقوبات يتخذها مجلس الأمن إذا لم يوافقوا على الخطة) فقد رفض المسلمون خطة التقسيم هذه. كما أن الصرب لم يوافقوا عليها فيما أسرع الكروات إلى توقيع الاتفاق في بنوده الثلاث.

المسلمون: أعلنوا أنهم لن يوافقوا على الخطة للأسباب التالية:

١- أنها تكافئ المعتدي وتزيد من محنة الضحية. فقد اقترحت الخطة أن تبقى سيطرة الصرب على جزء كبير من الأراضي التي احتلوها وأجلوا عنها

سكانها وأصبحت تحت سيطرتهم وبهذا يكون من حصتهم في الخريطة مثل مناطق إسلامية كمدينة بريجيدور والتي تحدثت وسائل الإعلام عن مجزرة أرقام ضحاياها وصلت إلى آلاف القتلى من المسلمين عندما احتلتها المليشيات الصربية (التشتنك) كما تعطيهم مناطق ذات غالبية إسلامية ككلوج وسانسكي، وهذه المناطق المحتلة يطالب القادة المسلمين بعودتها إلى مقاطعة بيهاك ليتسنى للمهجرين المسلمين العودة إليها فيما بعد... «قبولنا بهذا الأمر يعني أن لا أمل لمئات الآلاف من المسلمين بالعودة إلى بيوتهم» كما يقول الرئيس علي عزت بيكوفيتش.

٢- أنها لا تتضمن الموقف الدولي والمحلي من التحكم في الأسلحة الثقيلة للصرب مما يعني استمرار التهديد والخطر.

٣- أنها لا تعطي للأقليات حصصاً متساوية تتناسب مع نسبتهم العددية.

٤- أن الخطة لا تحدد شكلاً متماسكاً للجمهورية، حيث إنها تقترح تقسيماً لا يمكن معه إيجاد ترابط عملي بين مختلف الأطراف من جهة وبين مناطق المسلمين من جهة أخرى. مما يعني نهاية البوسنة-الهرسك كدولة.

الصرب: مع أن الخريطة تعطيهم معظم المناطق التي احتلوها ونسبة أعلى من نسبتهم العددية في الأرض إلا أنهم سارعوا إلى رفضها ثم التراجع واقتراح إجراء استفتاء بين الصرب على الخريطة. وبهذا فهم يربحون الوقت الذي يحتاجون لتمكين سيطرتهم وإنهاء عملية الجلاء القسري لجميع السكان غير الصربيين بوسائل قمعية وإجرامية أصبحت معروفة لدى الجميع.

وقد وافق الرئيس الصربي ميلوزفيتش على الخطة لأنها بهذا تعتبر الخطوة الأولى والأساسية من خطط تفكيك البوسنة وانهيارها وتحويل مسلميها إلى أقليات تعيش في مقاطعات صغيرة محدودة ضمن امتداد صربي واسع.

والأخطر من ذلك أن قادة الصرب أنفسهم أعلنوا جهاراً أن قبولهم لخطة فانس-أوين ليس نهائياً وأنهم سوف يستمرون في العمل لهدفهم الأكبر وأنهم

لم ولن يتخلوا عن فكرة إقامة «صربيا الكبرى» وذلك بضم الأراضي التي يسيطرون عليها في البوسنة وكرواتيا لأرض جمهورية يوغسلافيا (صربيا والجبل الأسود). و«صربيا الكبرى» هي الدولة التي يطمح الصرب لإقامتها آملين أن تعيد أمجاد الدولة الصربية الأرثوذكسية القديمة والتي دحرتها جيوش المجاهدين في دولة الخلافة العثمانية.

كما أن الصرب يرون أن عليهم الآن ــ وهذا ما صرحوا به ــ تغيير تكتيك إنشاء هذه الدولة، من العمل العسكري في الفترة الراهنة لأسباب استراتيجية تتمثل بالظروف الدولية المناهضة للصرب. ولعل كلمات الجزار الصربي كاراجيتش (زعيم صرب البوسنة) يختصر الموقف: «علينا أن نكتفي الآن بما يمكن تحقيقه مع خلق الشروط للحصول غداً على ما يصبح ممكناً»، ويؤكد ذلك مستشاره في نفس المؤتمر الصحفي الذي عقد في جنيف بتاريخ ١٩٩٣/١/٢٨ والذي قال فيه: «إن الصرب بدأوا اتباع سياسة براغماتية دون التخلي عن أهدافهم الكبرى»[١].

الكروات: وهم الرابح الأول من تقسيم البلاد. فقد وافقوا مباشرة على الخطة وخريطة التقسيم حيث إنها تعطيهم أكثر من ٢٠٪ من الأراضي في جمهورية البوسنة-الهرسك وذلك للأسباب التالية:

١- إنها تعطيهم أرضاً أكبر من نسبتهم السكانية، وبهذا فالخطة تعوض كرواتيا عن الأراضي التي يحتلها الصرب في مقاطعة كرايينا في كرواتيا حيث يقيمون دولتهم الصربية عليها.

٢- إنها تعطيهم مقاطعات محاذية لكرواتيا حيث إنها امتداد جغرافي لكرواتيا مما يعني سهولة ضمها لدولة كرواتيا (الكبرى). كما أن هذه المناطق كانت قد أعلنت من قبل الكروات دولة كرواتية ويتم فيها التعامل بالنقد الكرواتي.

٣- يعتبر الكروات أن التقسيم الحالي يجعل من مناطق المسلمين حاجزاً طبيعياً

١- الشعب ١٩٩٣/١/٢٩ .

جغرافياً-سكانياً بين الصرب والكروات في مناطق كثيرة. وبهذا يأمن الكروات مكر اعتداء صربي مفاجئ على أراضيهم.

ملاحظات على الخطة ـ الخريطة:

هناك عدة نقاط يتفق المراقبون على أن خطة فانس-أوين قد تميزت بها خاصة وأنها تمر عبر أروقة الأمم المتحدة:

□ أنها سابقة في تاريخ الأمم المتحدة أن توافق على تقسيم دولة كاملة العضوية في الأمم المتحدة. لأن هذا يفتح الباب لسيل من المشاكل العالقة بين الدول.

□ يقوم هذا التقسيم بتفكيك أراضي البوسنة-الهرسك فقط وتوزيعها على الأطراف الثلاثة دون النظر إطلاقاً إلى جذور المشكلة أو النظر في أوضاع الأقليات في الدول الأخرى لدول يوغسلافيا السابقة ـ خاصة المسلمين في صربيا ــ مما يعني أن سيناريو البوسنة-الهرسك سيتجدد في المناطق الأخرى إذا ما حاول مسلمو هذه المناطق رفع رؤوسهم والمطالبة بحقوقهم المشروعة وبالأخص مسلمو السنجق (والذي تتقاسمه كل من صربيا والجبل الأسود وهي مقاطعة ذات أغلبية إسلامية) وكوسوفو هذه المقاطعة الكبرى ذات الغالبية الإسلامية الساحقة (تصل إلى ٩٢٪ من السكان) والتي تعاني ظلماً وقمعاً صربياً شديداً وتطالب هذه المقاطعة بحق الحكم الذاتي. والصرب شديدو التمسك بهذه المقاطعة لأسباب استراتيجية وتاريخية وهم لا يرضون حتى بالحديث عن حقوق سكان كوسوفو، ويرابط في المنطقة ١٢٠ ألف جندي صربي يقومون بفرض الأمر الواقع وسياسة الحكومة الصربية المركزية. يقول رئيس صربيا ميلوزوفيتش إن «كوسوفو هي قلب الصرب، وإذا أراد الألبان (المسلمون) الأمان فعليهم أن يكفوا عن محاولات الانفصال، ومن لا يريد العيش مع الصرب عليه أن يرحل عن كوسوفو»[1].

وهذه السياسة ليست حكراً على قادة الصرب المتطرفين بل هي مسلّمات

١- الحياة ١٢/٢/١٩٩٣ .

القادة الصربيين جميعاً.. فمثلاً فوك دارسكوفك زعيم «حركة التجديد الصربي» والذي يعتبر معتدلاً وصديقاً للغرب صرح أنه «لن يتنازل أبداً عن كوسوفو» كما أنه: «لن يهمل إخوانه الصرب أصحاب الحق التاريخي داخل البوسنة وفي مقاطعة كرايينا في كرواتيا»[1]. وهذا يعني أنه حتى لو تغيرت السياسة الصربية الحالية فستكون بنفس الاتجاه من ناحية قضايا الأقليات المسلمة في صربيا. كما أن الخارطة تغطي ـ ولا تحل ـ مشاكل الأقليات الأخرى ضمن دول يوغسلافيا مما قد يؤدي إلى خلاف أوسع في حال انتقلت الشرارة إلى مناطق أخرى في المنطقة.

الموقف الأمريكي:

أما الموقف الذي يثير الانتباه فهو موقف الأمريكيين الذين أعلنوا «أنهم لن يرضوا بالخطة لأنها تكافئ المعتدي وتظلم الضحية وهم المسلمون»، وهم «لن يوافقوا على خطة يرفضها أي من أطراف النزاع».

فلماذا هذه الغيرة على حقوق المسلمين من أمريكا في الوقت الذي لم تكن استجابة «الأخوة المسلمين» على المستوى المطلوب.

إن الموقف الذي اتخذته الحكومة الأمريكية ظاهره فيه انحياز واضح للجانب البوسني؛ وباطنه فيه المصلحة الأمريكية-الأوربية المغلفة بشتى الشعارات البراقة. فقد انتقدت إدارة الرئيس الأمريكي مبادرة فانس-أوين ووعدت بمبادرة أمريكية تكون أقرب إلى إرضاء الأطراف المتنازعة من الخطة الأوربية. أمريكا بمعارضتها للخطة تقف في وجه الإجماع الأوربي متمثلاً بموافقة فرنسا، ألمانيا وبريطانيا على الخطة، كما أنها تعارض الحليف التاريخي والأول لصربيا وهي روسيا (الأخ التاريخي العقائدي للصرب الأرثوذكس) والتي صرحت بأنها لن ترضى بأي تدخل عسكري ضد صربيا، وستعمل على تخفيف أو إزالة العقوبات عن صربيا. كما أنها تواجه الأمم المتحدة التي استحسنت الخطة ووافقت عليها.

١- الاندبندنت ١٩٩٣/٢/١٢ .

فلماذا يقف الأمريكيون بقوة في هذه المرة مع «الحق الإسلامي» وفي هذه المرحلة؟!

يرى المراقبون أن دول الغرب تلعب الدور الذي طالما برعت فيه في التعامل مع قضايا المسلمين، فتتوزع الأدوار بين الأقطاب الكبرى الثلاثة بريطانيا، فرنسا وأمريكا. فعندما توافق الأولى وتتمهل الثانية وتعارض الثالثة تكون مرجعية المسلمين لإحدى هذه الدول الثلاث، وآمالهم لا تتجاوز ما توافق عليه إحدى هذه الدول، كما هو حاصل الآن حيث أن «الأمل» البوسني الوحيد هو في «العناد» الأمريكي وموقفه «الحازم» من قضية «مكافأة المعتدي». وهذا النموذج رأيناه واضحاً في قضية المفاوضات العربية-الإسرائيلية حيث كانت هذه الدول تتبادل الأدوار في «التحدث إلى المنظمة» أو «الأرض مقابل السلام»..

ويبقى السؤال المطروح: ما هي مصلحة الأمريكيين في الإبقاء على البوسنة وبالمقدار الممكن كدولة متماسكة.

الاحتمال الأول: وهو البعد الاستراتيجي لسياسة «موقع القدم» الذي تمارسه الدول الكبرى من خلال الدول الصغرى في مختلف مناطق العالم، فالمعروف تاريخياً أن الكروات هم «أذناب» الألمان في منطقة البلقان وصديقهم التاريخي، وهذا ما يفسر الموقف الألماني المتشدد مطلع عام ١٩٩٢ للاعتراف بكرواتيا، «وفرض» الاعتراف بها على بقية الدول الأوربية، وروسيا لا تجد لها منافساً في صربيا والتي تأخذ معظم دعمها العسكري الاقتصادي.. والسياسي منها (حتى أن التلفزيون الصربي عرض إلى جانب مئات المتطوعين الروس الذين جاؤوا للقتال إلى جانب الصرب، ٤ جنرالات من الجيش الروسي يقومون بتنسيق العمليات العسكرية في البوسنة والهرسك وكرواتيا). لذا تجد الولايات المتحدة نفسها أمام خيار واحد في المنطقة وهو دعم الجانب البوسني.

الاحتمال الآخر: وهو لا يتعارض مع الاحتمال الأول، وهو أن الأمريكيين يريدون دائماً أن يظهروا بمظهر رجل السلام المحب للخير الذي يساعد الضعيف والمغلوب على أمره ــ وهم هنا البوسنيون ــ كما أن في ذلك تحقيقاً جزئياً لمئات الوعود البراقة التي تخللتها حملة الرئيس كلنتون الانتخابية بأنه سيتحرك لإنقاذ «المظلومين» في البوسنة إذا ما وصل إلى سدة الرئاسة.

جانب آخر من المعادلة هو أن الأمريكيين عندما يُقربون منهم «الحكومة البوسنية» فهم بهذا يتعاملون مع «الشرعية البوسنية». الأمر الذي تهتم به دائماً الإدارة الأمريكية لتسهيل تمرير ما تريده من قرارات في الأمم المتحدة ومجلس الأمن (وإن كانت أمريكا لا تصاب بوجع رأس عندما تقرر تمرير قرارات ما في هذه المجالس).

إلا أن الحل الأمريكي القادم سوف يأخذ بعين الاعتبار التالي:

- □ إرادة وقرار السوق الأوربية المشتركة، حيث إن «يوغسلافيا» تبقى دولة أوربية وأية نتائج للصراع فيها يظهر تأثيره المباشر في أوربا، خاصة وأنها تحد دولاً أعضاء دائمين في مجلس الأمن (فرنسا).
- □ الإرادة الروسية والتي تحاول أن تكشر عن أنيابها في الفترة الأخيرة خاصة بعد أن خاب ظنها بالمساعدات الأمريكية لتحسين الاقتصاد الروسي. كما أنها «غير راضية عن التفرد بالقرارات العسكرية الأمريكية في كثير من مناطق العالم» كما صرح وزير خارجيتها.
- □ الواقع العسكري على الأرض والذي لا يصب في مصلحة «الشرعية البوسنية» في الوقت الحاضر.
- □ الحيلولة دون قيام دولة إسلامية / أو لنقل ذات غالبية يمكنها أن تتخذ قراراً يساهم في صنع القرار الإسلامي الدولي خاصة وأن بوادر الصحوة الإسلامية في العالم أخذت تظهر بين مسلمي الأقليات في مناطق أوربا الشرقية. هذا الأمر حذر منه القادة الأوربيون: «لن أسمح بقيام دولة أصولية إسلامية في

أوربا»[١]، و«أحذر أوربا والعالم من طموحات الأصولية الإسلامية في البوسنة»[٢].

- البقاء على فرضية أن الحل يجب أن يكون أمريكياً وأن القرار الذي لا توافق عليه الإدارة الأمريكية لن يكون سارياً.

وقد ساهمت الصحف والإعلام الأمريكي في حملة الإدراة الامريكية على خطة فانس-أوين ووصفها بـ «السطحية» و«الغباء» .. وما إلى هناك من عبارات الحط منها. وقد أسماها أحد مساعدي كلنتون: أنها «قد صيغت بعقلية الإمبريالية البريطانية القديمة، وأن تقسيم الهند وفلسطين وأفريقيا تعود للذاكرة عند قراءة مقترحات المستر أوين»[٣].

كلمة أخيرة:

والواضح أن الخريطة الأوربية (الجديدة) للبوسنة لا تحل المشكلة بل تؤجل الجولة الثانية منها، وكما يقول المراقبون فإن «الفيدرالية اليوغسلافية القديمة كانت أشبه ما تكون بمجسم يختصر التكوين الفسيفسائي لمنطقة البلقان بأسرها. وبدورها كانت جمهورية البوسنة-الهرسك مجسماً صغيراً يختصر كل ما في يوغسلافيا من تعددية أثنية ومشاكل سياسية واجتماعية وعرقية. فالبوسنة تختزل الإشكالية البلقانية بوجوهها المتعددة. والصراع الدائر حالياً على أرضها هو بمثابة مختبر للمنطقة كلها وفي ضوء النتائج التي سيتمخض عنها سيتحدد مصير عدد من بؤر التوتر الكائنة في يوغسلافيا وغيرها من دول المنطقة»[٤].

إن أي نجاح في فرض أي خريطة جديدة للبوسنة تقوم على تقسيمها مكافاة الصرب وتكريس اعتداءاتهم وحرمان المستضعف من حقوقه التاريخية؛ سوف

١- ميتران عند زيارته لمطار سراييفو.

٢- تودجمان (الرئيس الكرواتي) ١٩٩٣/١/٢٤ .

٣- الاندبندنت ١٩٩٣/٢/١٠ .

٣- محمد خليفة، أزمة البلقان وصراع البوسنة، الحياة ١٩٩٣/١/٢٥ .

يغري ويشجع على إشعال حروب وخلق مناطق نزاع جديدة في أماكن متعددة من أوربا ــ وغيرها ــ قد تتطور إلى جزء يتدخل فيه أكثر من بلد في هذا الصراع خاصة إذا كانت المعارك بين دول أقوى وصاحبة ارتباطات وتحالفات أوسع. والمناطق المرشحة لذلك أكثر من أن تحصى خاصة في منطقة البلقان.

يبدو أن المسلمين في البوسنة بدأوا يستوعبون ضراوة المحن والمؤامرات الدولية والغربية عليهم، يدركون أن المقاومة المسلحة والحسم العسكري القوي كفيل بترجيح الكفة وإخلال الموازين لصالحهم وإثبات الهوية الإسلامية ليس كأقلية عرقية ولكن كدولة ذات كيان وهوية إسلامية على الرغم من مؤامرات الصليبيين الحاقدة.

وفي هذا الإطار ظهرت المعارك الأخيرة في شرق البوسنة وعلى المناطق الحدودية مع الصرب بالقرب من نهر ديرنا (الفاصل بين البوسنة وصربيا) حيث حققت القوات الإسلامية نجاحاً ملحوظاً وتكبدت القوات الصربية خسائر كبيرة في الرجال والعتاد اعترفت به إذاعاتهم. وكانت أشد المعارك ضراوة تلك التي شهدتها منطقة شيلات الحدودية مع صربيا. كما أن منطقة سد بروكاي الذي تسيطر عليه القوات الإسلامية وتهدد بتفجيره مما يهدد نصف المناطق الصربية بالزوال.

من البوسنة إلى فلسطين

أوردت وكالات الأنباء والصحف العالمية خبر وصول حوالي مئة لاجئ بوسني مسلم إلى فلسطين المحتلة نهار الأربعاء ١٧/٢/١٩٩٣ في محاولة من السلطات الإسرائيلية لتحسين صورتها أمام المجتمع الدولي.

التطورات الأخيرة في الفلبين

د. مالك الأحمد

رغم البعد الجغرافي للفلبين عن البلاد العربية، فإن دخول الإسلام فيها قديم، وله عدة قرون عن طريق التجار والدعاة المسلمين، ومنذ دخول الأسبان للجزيرة فإنهم ما فتئوا يحاولون طمس الوجود الإسلامي في تلك الجزر فضلاً عن تنصير شعوبها، وورث الأمريكان المنطقة حيث ضموا قسراً مناطق المسلمين إلى الدولة النصرانية الوليدة وتعاقبت على المسلمين حكومات الظلم والاضطهاد، ثم محاولات الإبادة الكاملة في عهد المجرم ماركوس، نشأت على أثر ذلك منظمتان للمقاومة الأولى هي جبهة تحرير مورو الوطنية برئاسة نور مسواري، والثانية جبهة تحرير مورو الإسلامية برئاسة سلامات هاشم، والأولى ذات توجه وطني علماني والثانية إسلامية التوجه (انشقت عن الأولى إثر تغير توجهاتها)، تلا ذلك مفاوضات بين الأولى وحكومة ماركوس على أساس إعطاء حكم ذاتي للمسلمين في مناطقهم، ورغم ذلك لم يلتزم ماركوس بها واستمرت حركة الجهاد في عهد أكينو التي أعطت المسلمين الكثير من الوعود دون تنفيذ شيء منها، وهي وإن قابلت

الكثير من المشكلات أثناء حكمها فإن المسلمين لم يسلموا من أذى جيشها وتحرشاته بهم.

وأخيراً اعتلى الحكم راموس والذي ترقى في عهد ماركوس من قائد للشرطة العسكرية، فنائب لرئيس الأركان، فوزير للدفاع، وهو الذي حمى أكينو ونظامها من السقوط أمام حركات التمرد من بعض قطاعات الجيش فوثقت به ودعمته في الانتخابات. وهو ذو تاريخ قذر مع المسلمين فهو الذي أنشأ منظمة «إيلاجا» الإرهابية في عام ١٩٧٠م والتي قامت بأبشع المجازر ضد المسلمين وقامت بإتلاف المزارع وتدمير البيوت والمساجد وتشريد الكثير من المسلمين من مناطقهم وتوطين النصارى مكانهم، ثم شارك الجيش عندما تحرك المسلمون لحماية أنفسهم واشترك في عمليات إبادة كاملة للمسلمين بتوجيهات من ماركوس ووزير دفاعه راموس.

التطورات الأخيرة:

تتطور الأحداث بشكل سريع في الأشهر الأخيرة بعد تسلم راموس الحكم، والذي نجح بفضل الدعم الأمريكي على وجه الخصوص، ويظهر أن من أولوياته القضاء على الوجود الإسلامي في الفلبين وتظهر بوادره في التالي:

- الحرص على إحياء منظمة إيلاجا الإرهابية والتي تسربت أنباؤها فضلاً عن تسليح النصارى القاطنين في مناطق المسلمين.
- الحشود العسكرية المتوالية والأنباء تذكر حشد ما يقارب المائة ألف جندي بآلياتهم الثقيلة لمواجهة المسلمين المجاهدين في الجنوب، إضافة للغارات الجوية على مركز قاعدة المجاهدين (قاعدة أبي بكر الصديق) مع الاستعداد لحصار عسكري اقتصادي على مناطق المجاهدين وبدأ فعلياً حصار بعض القواعد للمجاهدين.
- توحيد صف الحكومة وتوجيه عدائها للمسلمين، بدأ راموس بالعفو عن

جميع الجنود الذين شاركوا في تمردات سابقة ضد الحكومة، وتوثيق الصلة بالمعارضين والاستعداد للاعتراف بالشيوعيين كحزب رسمي في البلاد في حال إلقائهم السلاح.

- □ الحرب الإعلامية ضد المجاهدين، حيث التعتيم الإعلامي على عملياتهم من جهة، وتشويه صورتهم من جهة أخرى واتهامهم بالإرهاب والتعامل مع بلدان خارجية، فضلاً عن الحرب النفسية بالتخيير بين العفو العام (الاستسلام) أو الحرب الشرسة، ومحاولة استرضاء مسواري والتفاوض معه لشق صف المسلمين وإضعاف كلمتهم.
- □ الاستعداد لعمليات مستقبلية عن طريق تهيئة القوات الخاصة لعمليات متقدمة ضد المجاهدين مستعيناً بخبرات اليهود الذين جاؤوا كخبراء في مكافحة الإرهاب.
- □ مراقبة الجمعيات والشخصيات الإسلامية، والتضييق عليهم وتجنيد المرتزقة والجواسيس للعمليات الدنيئة ضدهم.

وهذه التطورات تنبئ بخطة خبيثة للقضاء على المجاهدين من جبهة تحرير مورو الإسلامية والقضاء على الوجود الإسلامي في المنطقة أسوة بما يحدث للمسلمين في ديار أخرى كالبوسنة والهرسك، وقد آن الأوان ليدرك المسلمون هذه العداوة من النصارى فضلاً عن اليهود ﴿**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**﴾.

والمسلمون اليوم في الفلبين تحت قيادة جبهة تحرير مورو الإسلامية في حاجة ماسة للمساعدة «ومن جهز غازياً فقد غزا»، وهم على ثغرة هامة وجهودهم ملموسة، فقد أسلم آلاف الوثنيين على أيديهم، ولهم جهود طيبة في التعليم والأمر بالمعزوف والنهي عن المنكر في أوساط المسلمين فضلاً عن هدفهم الأساسي في إقامة الحكم الإسلامي عن طريق الجهاد في سبيل الله.

المسلمون في «ويلز» بين الأمس واليوم

ب.م. ناصر

يرمز ميناء كارديف في ويلز إلى فترة ذهبية في تاريخها كان ينبض خلالها بالنشاط والحركة، وقد لفت انتباهي في أحد الأيام جماعة من الرجال يشقون طريقهم نحو منطقة الشحن في الميناء وعلى رؤوسهم طاقيات بيضاء مزركشة، توجهت نحوهم، بدأتهم بالسلام، فردوا علي التحية، وعرفت من الحديث إليهم أنهم من اليمن، وأنهم جاءوا إلى ويلز بعد الحرب العالمية الثانية، فاستثار ذلك فيّ رغبة شديدة للتحري عن وجود المسلمين في ويلز عموماً وكارديف خاصة باعتبار أنها تحتوي أكبر تجمع للمسلمين.

نبذة عن بلاد الغال «ويلز»:

تشكل ويلز حوالي ثمن مساحة المملكة المتحدة ويصل عدد سكانها حسب إحصائيات عام ١٩٩٠ إلى ثلاثة ملايين. ويعتمد السكان عموماً على الزراعة في المناطق الداخلية والصيد البحري والتجارة على ضفاف

المناطق الساحلية. وأهم الصناعات المنتشرة في ويلز هي الصناعات الميكانيكية من سيارات وغيرها، وصناعات الكترونية، وصناعات الحديد والصلب.. وتدر الصناعة على الإقليم أرباحاً طائلة خاصة بعد تركز عدد كبير من الشركات اليابانية في المنطقة.

نبذة تاريخية عن المسلمين في ويلز:

مع دخول العقد الثاني للقرن العشرين بدأ وصول الأعداد الأولى من المسلمين من موطنهم الأصلي اليمن كبحارة في الأسطول الملكي البريطاني، ثم توالى مجيئهم بأعداد غفيرة بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية. وقد رافق دخول اليمنيين إلى بريطانيا عموماً وموانئ ويلز خصوصاً الهجرات الأولى من الصومال في الثلاثينيات من القرن الجاري.

وبعد الحرب العالمية الثانية توافدت إلى بريطانيا أعداد غفيرة من المسلمين الباكستانيين والهنود والبنغاليين حتى أصبحوا في مطلع الستينيات يعادلون مع الجالية اليمينة ثم تجاوزوها مع انتهاء السبعينيات.

يبلغ عدد المسلمين في ويلز ما يقارب على اثني عشر ألف نسمة أكثر من ٧٠٪ منهم في مدينة كارديف، ويتوزع الباقي على مدن نيوبورت بنسبة حوالي ١٥٪، وسوانزي ١٠٪، ويتوزع الباقي على مدن ويلز الأخرى.. ويتوزع المسلمون في مدينة كارديف في المناطق الداخلية ويشكل المسلمون الباكستانيون والبنغاليون ما يقرب من ٥٥٪، واليمنيون حوالي ٣٥٪، والصوماليون حوالي ٧٪، كما يوجد عدد لا بأس به من الطلبة المسلمين من المملكة العربية السعودية وماليزيا وليبيا.

أهم المرافق والمؤسسات الدينية:

يوجد في ويلز ما يزيد عن ١٥ مسجداً، عشرة منها في مدينة كارديف،

منها مسجدان للطلبة، ومسجدان لجماعة التبليغ، ومسجدان للبنغاليين، ومسجد للطائفة البهائية المنحرفة، وآخر للقاديانية، ومسجد لليمنيين ومسجد آخر هو من أقدم المساجد في ويلز وثاني مسجد في بريطانيا وهو تحت الترميم. وفي مدينة نيوبورت يوجد مسجد لأهل السنة وآخر للشيعة، وكذلك في مدينة سوانزي يوجد مسجد لأهل السنة وآخر للشيعة.

ويرجع أول مسجد من حيث النشأة إلى زاوية على الطريقة الصوفية أنشأها اليمنيون الأوائل لدى وصولهم إلى بريطانيا يمارسون فيها شعائرهم التعبدية ونمو وتزايد الحاجة تم إنشاء مسجد جامع هو أول مسجد في ويلز والثاني في بريطانيا وذلك عام ١٩٣١، وعندما قدم الباكستانيون والبنغاليون أنشؤوا بدورهم مساجد صغيرة في مختلف مناطق ويلز التي تركزوا بها.

الإمكانيات الاقتصادية للمسلمين في ويلز:

إذا تتبعنا الأصول العرقية التي جاء منها المسلمون في ويلز أمكننا أن نعدد مصادر الحياة الاقتصادية التي يرتزقون منها، فمنذ بدايات القرن الجاري كان المسلمون الأوائل الذين استقروا بمدينة كارديف وغيرها يمتهنون إما الصيد البحري، أو العمل على متن سفن الأسطول التجاري البريطاني، مع وجود أقليات قليلة كانت تعمل في المناجم.

أما بعد الحرب العالمية الثانية فقد توافد المسلمون الباكستانيون والبنغاليون والهنود وغيرهم واستقر هؤلاء في المدن الكبرى، حيث اشتغل أغلبهم في مصانع النسيج والحديد والصلب ومناجم الفحم التي كانت تشتهر بها ويلز كبعض المدن البريطانية الأخرى.

وقد عرفت فترة الستينيات والسبعينيات في بريطانيا عموماً اتجاهاً حكومياً قوياً نحو التخلص أو التقليل من خطر مراكز الصناعة الكبرى التي تعتبر

معاقل للاتحادات النقابية، شمل ذلك الاتجاه مناجم الفحم وصناعات الحديد والصلب والمرافئ البحرية، وعلى أثر ذلك وجد الكثير من المسلمين أنفسهم بدون عمل، وكان عليهم أن يجدوا مخرجاً لأنفسهم وإيجاد مصادر جديدة للرزق. وبذلك تنوعت اتجاهات المسلمين في هذا الشأن، حيث نجد أن المسلمين الباكستانيين اتجهوا نحو الاتجار في العقارات والبيوت، أو تسيير معاملات البقالة، ثم اتجه نشاط كثير منهم فأصبحوا يمتلكون الكثير من محلات الاتجار بالجملة.

أما المسلمون البنغاليون فقد تركز نشاط أغلبهم في فتح مطاعم عبر أنحاء ويلز خاصة المدن الكبرى ككارديف ونيوبورت وسوانزي.. حيث لا تكاد شوارع كارديف مثلاً تخلو من مطعمين أو أكثر من مطاعم البنغاليين، أما الجالية اليمنية والصومالية فقد بقي أغلبهم يعتمدون على ما يقدمه الضمان الاجتماعي مع استثناءات هنا وهناك، واحتفظ بعضهم بمناصبهم في الموانئ، أما البعض الآخر فيعمل إما في مصالح البلدية المختلفة أو قطاع الخدمات العامة.

الأنشطة الثقافية التي تقوم بها المساجد والمراكز الإسلامية:

على الرغم من حالة المسلمين الاقتصادية في ويلز إلا أنهم ساهموا في شراء وبناء المساجد. فقبل عام ١٩٨٠ لم يكن هناك سوى أربعة أو خمسة مساجد، ارتفع هذا العدد خلال اثنتا عشرة سنة إلى حوالي عشرة مساجد أو أكثر وهذا في مدينة كارديف فقط.

والدور الذي تقوم به بعض المراكز الإسلامية ينحصر أساساً في تنظيم الحلقات والدروس العلمية أسبوعياً، وبعض المحاضرات الشهرية التي تتناول قضايا ومواضيع شرعية، أو لتوعية المسلمين بواقعهم في مختلف أنحاء العالم

زيادة على بعض الرحلات الثقافية والرياضية التي تنظم بين الفينة والأخرى، وإذا أردنا أن نتحدث بصراحة أكثر فإن أغلب الجالية المسلمة في ويلز عموماً وكارديف خاصة لم يجدوا من يوجههم ويحرك نوازع الخير في أنفسهم، وأن يجندوا نحو نشاط أفضل مما هم فيه من الخمول، نستثني من ذلك الجهد الذي يقوم به الإخوة الصوماليون كتكملة للجهود التي يقوم بها الطلاب المبتعثون للدراسة.

وضعية التعليم والتربية الإسلامية:

كما ذكرنا فإن الجالية الإسلامية بشكل عام تعيش في حالة جهل وعدم اكتراث ولذلك أهملوا تربية أبنائهم وقد قال لي أحد الشيوخ اليمنيين المسنين إن عدداً كبيراً من أبناء المسلمين المولودين في هذه البلاد ضاعوا في غمرة ودوامة الحضارة الغربية، وقطعت كل الأواصر والروابط التي تربط بينهم وبين الثقافة الإسلامية.

وإذا علمنا أن نسبة نمو المسلمين السكاني يبلغ حوالي ٤.٥٪ سنوياً وهي نسبة عالية جداً ومع مطلع سنة ٢٠٠٠ سيزيد عدد سكان المسلمين في ويلز إذا استمر على معدله الحالي بحوالي ٥٠٠٠ نسمة وأن نسبة الشباب ما بين ١٨-٢١ سنة تصل إلى ٤٠٪، وهو يثير علامة استفهام كبيرة حول تربية هؤلاء تربية إسلامية، وتعليمها تعليماً إسلامياً يحول بينهم والانجراف وراء مغريات الحياة الغربية، بل وتجعل منهم نماذج حية عن التربية الإسلامية الصحيحة القويمة.

الشيء الموجود في الوقت الحالي هي مدراس تعليم قراءة القرآن الكريم، ولكن أي تعليم، ومن يعلم من؟ إن هذه المدارس تقليدية في كل شيء وجامدة لا تريد تحديث أساليبها، والتعليم الذي تقدمه تجعل الشاب فيها يقرأ

القرآن الكريم لا يفهم منه حرفاً، وكأن هؤلاء لم يمروا أبداً بقوله تعالى: ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر؟**﴾، غير أنه هناك محاولات مشاريع لعلها بواكير خير في هذا الشأن ونذكر منها مؤسسة أمانة التربية والتعليم لجنوب ويلز التي أنشئت في الآونة الأخيرة، وتنوي فتح مدارس دائمة للأطفال متى سمحت بذلك الإمكانات المالية والتأهيل التربوي.

إن وجود مؤسسة تتولى تعليم أبناء المسلمين في ويلز أمر لا بد منه وإلا فاتنا الأمر قبل أن نتداركه، ويضيع أبناء المسلمين وهم في غياهب المدراس والمؤسسات التعليمية الإنجليزية، التي تسعى إلى تنصيرهم أو تلحيدهم كما فعلت بالكثيرين.

واقع الدعوة الإسلامية:

إن الجهد الدعوي في أوساط غير المسلمين يكاد يكون منعدماً، عدا بعض المحاولات التي لا تزال في البداية من قبل أحد المراكز الإسلامية، وهي على ندرتها لا تلبي الطلب ولا تعفي الجميع من تحمل أعباء المسؤولية مع أن المسلمين هم أحوج الناس إلى الدعوة قبل غيرهم، إنهم في حاجة إلى أن تعمق صلتهم بالإسلام، وأن يفهموه كما فهمه السلف الصالح عليهم رضوان الله، وهم في حاجة قبل ذلك إلى أن يتعلموا الإسلام كما يتعلم الصبيان القراءة والكتاب والحساب، وليس هذا بالعجيب لمن عرف المستوى الذي وصل إليه المسلمون..

غير أن هذا لا يجب أن يؤول بنا إلى اليأس، بل أن نعقد النية على العمل لإصلاح المسلمين وتفقيههم بعون الله، ودعوة أهل هذه البلاد ولعلنا نقصر خلاصة ذلك في النقاط التالية:

١- العمل على إيجاد مؤسسة تتكفل بالنشاط الدعوي وتضع لذلك خطة

دقيقة تشمل الجاليات المسلمة وغير المسلمين من أهل هذه البلاد.

٢- السعي نحو إعداد الدعاة المؤهلين بالعلم الشرعي الصحيح والقادرين على مخاطبة أهل البلاد بلسانهم.

٣- إعداد مطبوعات ومنشورات... وتوزيعها على غير المسلمين والعمل على أن يكون المسلم محل انتباه هؤلاء بسلوكه الإسلامي وأخلاقه القويمة.

٤- تنظيم المحاضرات والندوات خاصة في الوسط الطلابي وإثارة المواضيع حتى يصبح حديث العام والخاص ومحل الاهتمام .

خلاصة عامة:

إن ما نخلص إليه عقب هذا العرض هو أن الطلبة المسلمين المبتعثين إلى ويلز عليهم أن يقوموا بمسؤولياتهم وأن لا تكون دراستهم هي همهم فقط، ولكن أن يضحوا ببعض أوقاتهم وأموالهم في سبيل إحياء هذا الدين في قلوب المسلمين أولاً، وبثه كنور يشع في قلوب أهل البلاد من غير المسلمين، وأن يعتبروا أنفسهم امتداداً للإسلام في أوطانهم، وهداة لكل تائه ونوراً لكل حائر.

المراجع:

1- British Review of Statistic, Southwales, 1990, British Statistic Board.
2- The New Islamic Presence in Britain, by T. Gerham & Y.G. Litham.
3- Muslims in Britain, by Dr. Darsh.
4- Wales Geography, by T.Care.

الحزم سمة القيادة الناجحة

سامي سلمان

قال الحكماء قديماً في الحزم:

* الحزم أنفس الحظوظ.
* رب رأي أنفع من مال، وحزم أوفى من رجال.
* من لم يقدمه الحزم، أخره العجز.
* الحزم يوجب السرور، والتغرير يوجب الندامة.

وجماع كل هذا في معنى الحزم إذ أن لفظة الحزم تدل على القوة والاجتماع ويدخل في معناها حسن التصرف واتخاذ المواقف الواضحة بقوة وإصرار. والحازم هو الذي جمع زمام نفسه بقوة مواقفه وزمام الآخرين لحزم قيادته.

يصف أحدهم شخصية القيادة الحازمة فيقول: إن القيادة الحازمة هي التي تحافظ على تفكير واضح ومنطقي رغم المتاعب وتبحث عن الحقيقة وتمسك بها بكل إصرار مهما كلف الأمر وتثبت في المأزق بكل صبر ولو انسحب

الجميع من حولها وتحكم بدون تحيز لآرائها وتصرفاتها الشخصية وتعترف بأخطائها بكل صدق وأمانة.

وتظهر هنا العلاقة بين القيادة الناجحة واتسامها بالحزم بوضوح إذ أن من أهم معاني القيادة القدرة على امتلاك زمام الأمور وهذا لا يتأتى للقيادة إلا بعد أمور كلها من معاني الجزم:

أولها: القدرة على تسيير الأمور وقت الرخاء والشدة، فالرجل الضعيف المتخاذل لا يستطيع أن يقود أفراده ويوحد صفوفهم ويشد أواصرهم وقت الرخاء فكيف به وقت الشدة حيث تزداد الحاجة إلى الحزم والقوة.

ثانياً: الوقوف أمام الأهواء فالرئيس الحازم لا تتلاعب به الأهواء ولا تتقاذفه الآراء فبحزمه يستطيع أن يضع الأمور في نصابها الصحيح دون أن يدع فرصة للأمور أن تتسيب أو تسير لتخدم غير المصلحة المناطة في عنقه، فهو وبحكمته وحزمه يسمع لذوي الحجة والمنطق الصحيح ويقف واضحاً حازماً أمام ذوي الأهواء مما يؤهله للسير بقافلته دون تعثر.

ثالثاً: الوصول إلى الهدف ولو كان صعباً سمة الحازم فمعنى الإصرار لا يفترق عن معنى الحزم، إذ إن القائد الحازم الذي رسخ في نفوس مرؤوسيه ضرورة تحقيق الهدف، يجد نفسه في مقدمة من يصر ويسعى جاداً ليكون قدوة بحزمه وإصراره حتى يصل هو ومرؤوسوه إلى ما تطلعوا إليه وذلك خلاف القائد المتخاذل الذي ينقطع به الطريق في المنتصف.

رابعاً: القدرة على اتخاذ القرار وتحديد الموقف الصحيح من أهم سمات القائد الحازم فهو لا يدع للشك والتردد سبيلاً إلى نفسه فإن حزمه يرفض ذلك وبشدة، إن من المهم دائماً أن لا يترك مرؤوسيه دون أن يعرفوا قراره أو موقفه في أمر ما لم يظهر لهم شخصية تقودهم إلى سبل مختلفة ليست

كالتي ينبغي أن يرسمها لهم قائدهم الحازم.

خامساً: تحمل المسئولية وأعبائها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بسمة القيادة الحازمة، إذ أن الحزم أول الطريق لا يعني شيئاً ولا يحقق أي منفعة إذا لم يترتب عليه الوصول إلى نهاية الطريق بكل تبعاتها وعندها يدرك المرؤوسون أن حزم قيادتهم ليس مجرد أزمة عابرة بل هي سمة متلازمة مع كونهم قادة بيدهم زمام الأمور.

ويحضرني موقفان عظيمان يبرزان صفة الحزم في القيادة الناجحة:

الأول:

موقف موسى عليه السلام لما رجع من الطور بعد أن ناجى ربه وعاد بالألواح وقد علم من الله بخبر عبادة قومه للعجل وعاين الأمر أقبل على قومه فعنفهم ووبخهم وعاتب أخاه هارون ﴿**يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن**﴾، ثم أقبل على السامري ﴿**قال فما خطبك يا سامري**﴾، توعده وأنذره ﴿**قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس**﴾. وهذا دعاء عليه بألا يمس أحداً ثم توعده في الأخرى فقال: ﴿**وإن لك موعداً لن تخلفه**﴾، وبعد ذلك عمد إلى العجل فحرقه وذراه في البحر ﴿**وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا**﴾. والقرآن يصف الموقف بصورة حزم واضحة إذ يشعر القارئ للقصة في كتاب الله سرعة اتخاذ الموقف والقضاء على الفتنة برمتها وبحزم سريع يكاد يكون خاطفاً فلم يتردد أو يتكاسل بل إن الوضوح والأصرار كان ملازماً لتصرفاته في القضاء على الأمر وهذا هو معنى الحزم الذي نتحدث عنه.

الثاني:

موقف الصديق أبو بكر رضي الله عنه في ردة الأعراب بعد وفاة رسول

الله ﷺ إذ ارتدت أحياء كثيرة وادعى طليحة الأسدي ومسيلمة الكذاب النبوة والتف حولهم قومهم وأنفذ الصديق جيش أسامة فقل الجند في المدينة، فطمعت كثير من الأعراب في المدينة وراموا أن يهجموا عليها، فجعل الصديق على أنقاب المدينة حراساً يبيتون بالجيش حولها ويصف ابن كثير هذا الموقف فيقول: «عظم الخطب واشتدت الحال وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يترك المرتدين وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم، ثم بعد ذلك يزكون فامتنع الصديق من ذلك وأباه وقام في الناس وقال كلمته المشهورة: «والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلهم على منعها والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة»، وكان في اشتداد المحنة أن طمع الأعراب في المدينة وأغار بعضهم فما كان من الصديق إلا أن بات قائماً ليلة يعبئ الناس فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد ومكن الله للمسلمين واستمر على ذلك حتى قال المسلمون: لو رجعت إلى المدينة وأرسلت رجلاً، فقال: والله لا أفعل ولا أواسينكم بنفسي وهكذا بقي الصديق هو وصحابة رسول الله يقاتلون حتى خضعت الجزيرة إلى حكم الله من جديد.

فالإصرار ظاهر في الموقف وهو من معاني الحزم وكلاهما من سمات القيادة الناجحة، رحم الله الصديق فبحزمه شرح الله صدر عمر بن الخطاب إذ يقول: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق.

وهذان الموقفان كان لهما الأثر العظيم في بقاء هذه الأمة، ولكل موقف حازم أثره ولهذا كانت للقيادة شأنها في حياة الجماعات والأمم.

مكتبة البيان

إعداد: سليمان الميداني

● تهذيب الكمال في أسماء الرجال

للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي.

قام بتحقيقه الدكتور بشار عواد معروف.

الناشر مؤسسة الرسالة - بيروت.

لقد احتل هذا المصنف مكانة علمية عظيمة بين علماء القرن الثامن الهجري، وذلك لسعة اطلاع مؤلفه، ودقته في التصنيف، وهو صاحب كتاب «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف»، وتهذيب الكمال: مصنف في تراجم رجال الكتب الستة: صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن الترمذي، سنن أبي داود، سنن النسائي، سنن أبي ماجة.

استند الإمام المزي فيه على كتاب «الكمال» للإمام عبد الغني المقدسي، وليس هو مختصراً له كما يظن البعض، فقد اختلف عنه في المحتوى، والتنظيم والحجم وغير ذلك.

اكتمل هذا العقد الثمين بعد صبر طويل، فجاء ذخراً للمكتبة الإسلامية، وللتراث الإسلامي، وأصبح بين أهل العلم وجهابذة هذا الفن من أجل الكتب التي ألفت في بابه، وقد اكتمل في خمسة وثلاثين مجلداً.

● مجمع البحرين في زوائد المعجمين الأوسط والصغير للطبراني.

تصنيف: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي تـ ٨٠٧هـ.

الناشر: مكتبة الرشد الرياض.

استخلص الإمام الهيثمي من المعجمين الصغير والأوسط الأحاديث الزائدة على الكتب الستة.

وهو كتاب ذو قيمة علمية قام محققه الشيخ عبد القدوس بن محمد نذير بخدمته خدمة علمية، حيث أخرج لنا نصاً مقابلاً على الأصول الخطية، مترجماً لأكثر أعلامه مخرجاً لأحاديثه ومعلقاً على بعض مواطنه.

● **حديث الأحرف السبعة: دراسة لإسناده ومتنه واختلاف العلماء في معناه، وصلته بالقراءات القرآنية.**

المؤلف: الدكتور عبد العزيز القارئ الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية.

نشر: دار النشر الدولي - الرياض.

وهو بحث علمي متخصص شديد الصلة بكتاب الله، جاء في (١٨١) صفحة من القطع المتوسط.

● **النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى.**

المؤلف: الأستاذ المكي أقلاينة.

الناشر: سلسلة كتاب الأمة، العدد ٣٤، قطر.

يتكلم المؤلف عن مراحل التعليم ومجالس التحديث والرحلة في طلب العلم وخصائص التعليم عند المحدثين.

● **كيف تسعد الأسرة.**

المؤلف: الأستاذ عبد الرحمن قره حمود.

الناشر: مكتبة دار البيان في الكويت، حولى.

وهو كتاب يتناول مشاكل الأسرة اليومية وطرق معالجتها على شكل حوار حيٍّ، يتضمن كثيراً من الآداب والأخلاق الإسلامية.

واحة البيان

المرأة الكريمة

في اللغة: عقيلة هي المرأة الكريمة، والعقيلة درّة الصدف.

والخريدة: كثيرة الحياء الخَفِرة.

وتسمى المرأة بيتاً والعرب تكني عن المرأة باللؤلؤة والبيضة، والنخلة والقوارير والريحانة.

الفقر الحاضر والعجز الظاهر

وفَدَ (الصقب النهدي) سيد بني نهد على النعمان بن المنذر، فسأله النعمان عن الفقر الحاضر والعجز الظاهر: قال: الفقر الحاضر: المرء لا تستغني نفسه وإن كان ذهباً جليسه، فأما العجز الظاهر: فالشاب الضعيف،

اللزوم للحليلة، المتبوع لها، الذي يحوم حولها، إن غضبت أرضاها وإن رضيت فداها، فذاك الذي كان، ولا ولدت النساء مثله.

تعريف

طلحة الطلحات هو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي المشهور بالكرم والجود، ذهبت عينه في فتح سمرقند مع سعيد بن عثمان بن عفان في خلافة معاوية.

أقوال

- الأولاد لا يفهمون عذاب الآباء ما داموا هم أنفسهم لم يأتوا بأولاد.

- إن الإنسان في حاجة إلى عامين ليتعلم الكلام، وإلى ستين عاماً ليتعلم الصمت.

- **إذا أطلقت نيران مسدسك على الماضي، أطلق المستقبل نيران مدافعه عليك.**

- **يقول أهل السياسة أحياناً في الاعتذار إلى الضعفاء المساكين: أيها العقلاء! إن هذا لا يمكن أن يحدث، والمعنى السياسي: أيها البُلْه إنه لا يمكن أن يحدث إلا هذا..**

النظام الدولي الجديد!

وُلد الجنين فخِلته مسلولاً فإذا به شهد الحياة قتيلاً

سُلب الإرادة فهو دمية عابثٍ أضفت إلى سُرُر البلاء عليلا

يا من يُقلّب دون أي إرادة! أفَلَسْت ميت أهله المقتولا؟!

يا من يحارب فكره بفعاله ما كنت في سوء الفصال بخيلا

يا من يهدِّم بيته بيمينه من يوم مولده، كفاك عويلا

* * *

من ليس يشغله البناء حقيقةً فلسوف يعلي الصوت والتطبيلا

تبدو مظالم جهله وظلامه عدلا! يجيد لزيفه تعليلا

* * *

حتى متى نحيا بوعد براطمٍ تخفي السموم، وتتقن التقبيلا

فلنبن صرح الجد بالجهد الذي يرضي الإله ونقتفيه دليلا

* * *

يا ألف مليون تعد جموعهم صفراً تلاشى تائهاً مشلولاً

يرمون بعضهم ببعضٍ عنوةً وعدوهم يجني الثمار حَفيلا

صُلبت سرايفو، وأنّت قدسها واستشهد النُّبل الأبي خجولا

هم ألف مليونٍ تناثر جمعهم فكأنهم؟.. هل قد رأيت فلولا؟

ويضيعون الوقت علّ عدوهم — يبدي السماح! فهل رأيت مثيلا

هم أوجدوا للخصم كل وسيلة — حتى يبرمج خطه الموصولا

فتظاهر الخصم اللئيم بعطفه — وبأنه لا يرغب التقتيلا

ناموا.. لعل البدر يصبح فضة! — والشمس تضحى تبرة وخميلا

ما أمطرت أُدُم التمني ثروة — لم ترو شمس الظهر ـ قطُّ ـ غليلا

ما قلت ليس تشبعاً بخطابة — ما يستحق القول جاء قليلا

علي محمد العيسى

فإلى متى؟

فإلى متى والصحفُ تسخر بالكتابْ — والدين يُطعن بالشتائم والسباب؟

فإلى متى والصحف تزخر بالفساد — تدعو لتمزيق الفضيلة والحجاب؟

فإلى متى والصحف تهزأ بالدعاة — وتسومهم بالهمز ألوان العذاب؟

«متطرفون» ولست أدري ما الذي — يعني التطرف عندَ هاتيك الكلاب

أهو العقيدة والصلاة لِوقتِها — أهو الأمانة والنصيحة باحتساب؟

أهو المروؤة والمحبة للورى — وعزيمةٌ شماءُ عانقت السحاب؟

أهو التوسط عندما ندعو له؟ — وعن التبتل قد نهينا والغياب

أهو التلذّذُ والتنعم بالحلال — والنهيُ عن عَقْر المخدّر والشراب؟

أهو التوازنُ والبشاشة والسلام ... أهو الترفّقُ عند تحرير الخطاب؟
أهو البراءة والطلاقة عندما ... نأتي وتأتي غاضباً مثل الذباب
أهي القلوب البيض إذ نحيا بها ... وإذا المنافق قلبُه مثل الغراب
يا أمةً بَلِيَتْ بشرّ بَلِيَّةٍ ... أعداؤها أبناؤها فَهمُ الخراب
لِغبائهم كَفَوا العدوَّ جهادَها ... فتمزقتْ وأتوا سراعاً كالذئاب
وصروحُها هُدمتْ وفي أطرافها ... بنَتِ الأعادي المجدَ من ذاك التراب
فإلى متى؟ وإلى متى؟ وإلى متى؟ ... والشمسُ عنّا قد توارتْ بالحجاب؟
يا أمتي والشمسُ طال غيابُها ... فمتى سيُشرق نورُها فوق الهضاب؟
ومتى ستُمطرنا السماء بصيِّبٍ؟ ... ومتى ستَنْجابُ القتامةُ والضباب؟

سليمان بن عبد الرحمن العبيد

الدعاة والمطر

نظر هارون الرشيد رحمه الله تعالى يوماً ما إلى سحابة في السماء فقال: «أمطري حيث شئت يأتيني خراجك»، وهي مقولة تدل على سعة رقعة الدولة الإسلامية آنذاك، ولسعة رقعة العمل الإسلامي، بل وعجزه عن استيعاب المدعويين، فإن الدعاة إلى الله أولى الناس بامتثال هذه المقولة في مجال دعوتهم إلى الله.

فلو اعتبر كل داعية أنه وإخوانه من الدعاة والعلماء والجماعات في محيط أهل السنة والجماعة، عبارة عن سحب في سماء العالم الإسلامي، مملؤة بالعلم

والنفع والخير الكثير للأمة الإسلامية «لأمطر» كل واحد منهم علماً وخيراً ونفعاً كثيراً لمن حوله من البلاد والعباد، ولأتى الأمة الإسلامية خراجهم جميعاً. ولكن يا للأسف، فإن بعض الدعاة والجماعات يعانون ما يعانون من أمراض تجعلهم يخالفون الآيات والأحاديث الكثيرة الدالة على وجوب التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان. فتجد بعض الدعاة عاطفي القرارات، إن أبغض، أفرط في البغض، وإن عادى، أفرط في العداوة، وإن أحب، أفرط في الحب، وإن تحمس لوسيلة أفرط في الحماس لتلك الوسيلة، بل وقلل من شأن الوسائل الأخرى المشروعة، وهذا شأنه في كل قراراته، ولا يعي أهمية التعاون رغم حتمية الخلاف، ولا يقدم مصلحة الأمة على مصلحة نفسه أو حزبه، وهذا الصنف من الدعاة إن لم يعق العمل الإسلامي لم يقدمه. فالأولى بالدعاة إلى الله أن يعوا فقه الخلاف وأهمية التعاون، بل وحاجة الأمة إليه في كل مكان وزمان، خصوصاً في هذه الأيام، وأن يعتبر نفسه وإخوانه سحباً تروي، لا سحباً متفرقة لا خير فيها ولا بركة.

وأخيراً، هذه ليست دعوة إلى ترك التناصح فيما بين الدعاة، ولا إلى ترك النقد البناء، لأن الخلاف الذي أشرنا إليه بين الدعاة مما يسع الأمة، ومما يدور في إطار الخلاف المشروع، وإلا فإن التناصح بين الدعاة من أهم وسائل تنقيح مسار الدعوة إلى الله، والله الهادي إلى سواء السبيل.

عبد الله الشرايدة

وعند الصباح يحمد القوم السرى

قال الفتى محدثاً صاحبه: ليتني مثل صلاح الدين الأيوبي، شجاعة، قوة، وحنكة، وبصيرة، والأهم من هذا كله أنه حرر المسجد الأقصى، وهذه وحدها تكفي، ثم إن الناس في عصرنا هذا يتمنون لو تلد نساؤهم رجلاً مثله، فقال له

صاحبه: وهل تظن يا أخي أن صلاح الدين قد حرر الأقصى في نزهة مترفة على فرس أصيل، لا يا أخي لم يحدث هذا، ولا يعقل أن يحدث شيء كهذا، إن الأمور الجليلة لا تتم لمجرد أن تمنيناها، إن وراء كل حدث عظيم أو شخص عظيم، بذل وتضحية وجهود كبيرة، لا تنسى أن صلاح الدين قد أعد نفسه جيداً، كما أن جنده قد أعدوا إعداداً مناسباً، ولم يستسلم هذا القائد لأي عائق، عرض له، بل سعى لهدفه حتى النهاية.

إن أمنية الفتى طموحة وجميلة بل ومطلوبة إلى حد ما كسلاح فعال ضد اليأس والفشل والقلق، وتتكرر مثل هذه الأمنية في كل مكان، وتتبدل فقط الأسماء وأسباب الشهر.

إقرأ سير العلماء والمفكرين والقادة، الذين تركوا بصمات واضحة على أوراق التاريخ تجد أن معظمهم ــ إن لم يكن كلهم ــ قد عاش ردحاً ممتداً من عمره يعد نفسه لأن يكون ما صار عليه بعد.

إذاً فلا بد أيها المؤمن الطموح أن تكشف عن قدراتك مبكراً، ثم تحدد أهدافك وتراعي ميولك، استشر في ذلك فما خاب من استشار، ثم انطلق في دربك بقوة، وهدوء وصبر، ولا تنتظر ثمرة سريعة، بل اسع لها، ومن الله التوفيق، كما هي الحكمة القائلة «بطيء ولكن أكيد».

إن الأمور العظيمة، لا تحدث اعتباطاً، بل تسبقها جهود عظيمة، تصب ــ كلها ــ في مصلحة الهدف، وبالتالي فإن طموح الفرد المسلم ــ أو الجماعة المسلمة ــ في شيء كبير ينبغي أن لا يتأخر كثيراً، وكما قالت العرب «وعند الصباح يحمد القوم السرى».

خالد محمد السبيعي

• الأخ بدر بن عبد الله عبد المنعم

شكراً لكم على شعوركم النبيل ونسأل الله أن تكون البيان دائماً عند حسن ظنكم. بشأن اقتراحكم حول قضية الأخوة المبعدين من فلسطين فهو اقتراح جيد والمجلة تعمل حالياً على إعداد ملف عنهم. جزاكم الله خيراً.

• الأخ التاج الزبير التاج عبد القادر

أكرمكم الله وأدام عليكم فضله وعلمه. شكراً لكم لمقالتكم الطيبة راجين قبول اعتذارنا عن عدم نشرها لأن العدد (والأعداد السابقة) تحدثت كثيراً عن الموضوع. راجين دوام الاتصال بنا.

• الأخ فهد العدل

حيَّاك الله وشكراً لنصائحك التي وجهتها لإخوانك، الموضوع يحتاج إلى تعديل وإعادة صياغة، لذا نرجو مزيداً من المراسلة مع عمل أكثر جدية وعلمية. جزاكم الله خيراً.

• الأخت أم عبادة قمام:

وصلت مشاركتك بعنوان «**البحث عن السلام**». نشكرك على مشاعرك النبيلة وقد صدقتِ **فيما قلت** عن أن السلام مع اليهود وهم وتضليل لأنه صلح بين الجاني والضحية على أن تنسى الضحية جريمة الجاني وأن يبارك العالم جرائم المعتدي. نعم لن يعيد القدس إلاَّ كتائب الإسلام بعون الله. الموضوع لم ينشر لتشابهه مع كثير من موضوعات العدد. الرجاء الاستمرار بالمراسلة.

• الأخ محمود بن جمال البكر:

وصلنا عرضكم لكتاب «**السيرة النبوية**» للشيخ السباعي رحمه الله. العرض جيد ولكن نعتذر عن نشره **لأنه كتب عنه من قبل. نرجو مزيداً** من المساهمة وجزاكم الله خيراً.

• الأخ أبو موسى اكملي

يقترح أن تُصدر البيان مجلدات متخصصة يعاد فيها نشر المواد ذات الطابع الواحد في مجموعة مجلدات كل حسب موضوعه. فهو يقترح

«مجلد خاص يضم كل مقال أدبي وكل قصيدة شعرية» على أن يسمى «البيان الأدبي»، ويصدر «مثلاً مجلد خاص يضم التراجم والأعلام الذين اصدرت المجلة عن حياتهم من العلماء السابقين أو تراجم نقدية للمعاصرين..». كذلك يقترح الأخ «مجلداً خاصاً يضم المقالات عن الأمة الإسلامية وبيان أحوالهم والحوادث التي ألمت بهم» و«هكذا في كل جانب من جوانب الثقافة».

البيان: نشكر الأخ على اقتراحه، وهو موضع دراسة إن شاء الله.

● الأخت منيرة أحمد

أرسلت لنا بباقة من النفحات الطيبة التي تحمل في طياتها النصيحة لأبناء أمتها والغضب من الذين يركضون وراء شعارات يرفعونها عندما يحتاجها الموقف وينسونها عند تنفيذ تعهداتهم.

إن الحكم على الآخرين من قادة ورعية يكون بفتح «سجلاتهم» وليس فقط بالاستماع إلى خطب رنانة وكلمات منتقاة تتناسب وواقعة معينة.

● الأخ محمد الوريك

أرسل لنا بمجموعة من الاقتراحات يرى أنه يجب أن تكون الأساس والهدف من إصدار أي عمل إسلامي. من اقتراحات الأخ، والتي نوافق عليها دون أي تحفظ، أن تكون من الأهداف:

- معرفة وجهات نظر العلماء والمخلصين من أبناء الأمة بالقضايا المستجدة خاصة وأن المنابر مفتوحة أمام كثير من الكتاب الذين يسمون أنفسهم «غيورين على الأمة» وهم «في كل واد يهيمون».
- رفع شأن الدعاة وتحسين صورتهم لتقديمهم للجيل على أنهم القدوة وأن الكلمة تسمع منهم لا من غيرهم.
- يقترح الأخ محمد جمع الدعاة في العالم ــ وإن كانوا متفرقين ــ على شكل ندوة على صفحة مجلة البيان.
- تقريب وجهات النظر بين الدعاة في العالم وكسر حاجز العصبية للحزب والجماعة والعمل أن

يكون الولاء لله ورسوله.

● **الأخ محمد عبد العزيز السيف**

يقترح في رسالة بعنوان الأدب الإسلامي إعادة النظر في المواد التي تحشى بها عقول شباب الأمة وطلاب العلم فيها ويقترح التالي «لدفع عجلة الأدب الإسلامي إلى الأمام»:

١- إيجاد البدائل الجيدة التي تملأ الفراغ الناتج عن إزاحة الآداب الفاسدة والانحراف الفني.

٢- إنشاء أقسام في جامعاتنا تدرس الفن الإسلامي الراقي بأسلوب مناسب.

٣- تشجيع ودعم حركة النقد الأدبي من ناقدين موثوقين..

البيان: جزاكم الله خيراً، راجين أن يؤخذ بمقترحاتك وهي جيدة.

□ وفي رده المطول على نشر ترجمة المقالة مع علي عزت بيكوفيتش في العدد ٥٦ يستنكر **الأخ صالح بن عبد الله** أسلوب طرح الأسئلة على الرئيس البوسني ويعتبر أن «نشر بعض الأسئلة والأجوبة تراجع في سياسة المجلة» (البيان).

البيان: لا يخفاكم أخي الكريم أننا نشرنا ترجمة للقاء مع الرئيس البوسني ولم نتبنى أياً من أسئلة الصحفي وقد آثرنا نشرنا للترجمة الحرفية لإطلاع القارئ الكريم حتى على أسلوب تعامل الإعلام الغربي مع قادة المسلمين وهذا أمر خارج عن إرادتنا.

أما عن رفضك لبعض إجابات الرئيس البوسني لأنه لم يحمل على الغرب أكثر مما فعل فهذا شأن الرئيس ومن غير أي شك لديه ما يبرر أقواله لأنه في موقع لا يمكّنه من التصريح في مواقع آثر فيها التلميح لأن اللبيب لا يلزمه إلا الإشارة.

على كل تقبلنا نقدكم الصادر عن غيرتكم الصادقة؛ جزاكم الله خيراً ونسأل الله أن تكون **البيان** عند حسن ظنكم.

● **الأخ مختار ع.**

في رسالته عن الموضوعية واستحالة تطبيقها في الحياة العلمية يخلص إلى أن «الإنسان ليس آلة متخصصة في

ميدان معين يضبط وفق معادلات معينة ولا هو أجزاء بإمكاننا فصلها، فهو وحدة عضوية معقدة لا تعمل إلا وفق ميكانزمات متداخلة لا تنفصل إحداها عن الأخرى، فالروح والعقل والجسم والقلب كلها مجتمعة تكوِّن الإنسان في تصرفاته وسلوكياته.

والبيئة والموروث الحضاري والصفات الرواثية والتفاعلات الاجتماعية كلها مجتمعة هي التي تكون الشخصية. فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتخلى الشخص عن هذه المكونات ويتنحى جانباً ليصدر الأحكام «**الموضوعية**».

* * *

يصلنا من الأخوة القراء كلمات قصيرة يعبرون فيها عما تجيش به أنفسهم من حرقة على واقع المسلمين، ويودون إيصال كلماتهم النافعة إلى القراء، ونحن لا نشك في حب هؤلاء الأخوة للخير، ونحاول نشر المناسب منها، وضمن المساحة المحدودة لأقلام القراء في المجلة، ونعتذر عن نشر كل ما يصلنا، ولا يعني هذا انقطاع الأخوة عن الكتابة، إذا وجدوا موضوعاً مناسباً يستحق الكتابة عنه. وفق الله الجميع للإخلاص والصواب.

عصبة الأمم بين المـــد والجـــزر

بقلم باحث دبلوماسي كبير

كانت عصبة الأمم في نظرنا دائماً أداة دولية مريبة، لا تتفق أعمالها وجهودها مع المثل والغايات السامية التي أدمجت في دستورها، ولم نستطع يوماً مدى الخمسة عشر عاماً التي قطعتها العصبة من حياتها أن نحمل على الثقة بها أو الاطمئنان لاستقلالها أو نزاهة وسائلها وغاياتها؛ وإنما رأينا العصبة دائماً أداة مسيرة في يد الدول الغربية القوية توجهها حيثما شاءت لتحقيق مشروعاتها وغاياتها على حساب الأمم الضعيفة، ورأيناها بالأخص سوط استعمار بالنسبة لبعض الأمم الشرقية، تفرض عليها نير الانتداب وتنظمه لمصلحة الدول الكبرى التي توجهها؛ ولم تقدم العصبة يوماً أي دليل على أنها تعمل لإنصاف دولة ضعيفة أو أمة شرقية، خصوصاً إذا ما تعلق الأمر بمصلحة دولة قوية أو أمة غربية، ولم تنل العصبة توفيقاً في أي ميدان من الميادين العامة أو الإنسانية التي تزعم أنها تعمل في سبيلها، فلم يحقق مشروع نزع السلاح أو تحديده، ولم يوضع نظام ثابت للسلامة العامة أو عدم الاعتداء، ولم تكفل حقوق الأقليات أو الأمم

*- نقلاً عن الرسالة، العدد ١٣١، ١١ شوال ١٣٥٤هـ / ٦ يناير ١٩٣٦م، السنة الرابعة.

الضعيفة بصورة مستقرة عادلة.

ولكنا رأينا عصبة الأمم تتخذ فجأة لمناسبة النزاع الإيطالي الحبشي صورة أخرى، فتبعث دستورها من قبره وتطبقه بروح جديدة؛ رأيناها تحل السيادة والحقوق القومية مكانتها، وتعمل لاحترام استقلال الأمم الضعيفة، فتصم إيطاليا بما تستحق من وصمات الاعتداء المنكر، وتحرك من نصوص دستورها ما تراه كفيلاً بوقف الاعتداء ورد المعتدي إلى صوابه؛ وتستجمع شجاعتها لتطبيق العقوبات الاقتصادية والمالية التي فرضت على المعتدي، وتطبقها بالفعل على إيطاليا المعتدية، فتحظر تصدير السلاح وجميع المواد الأولية إلى إيطاليا وتبيحه للحبشة، وتطلب إلى أعضائها أن يقطعوا كل العلائق الاقتصادية والمبادلات التجارية مع إيطاليا؛ فيلبي دعوتها نحو خمسين دولة أو ما يشبه الإجماع؛ وهكذا رأينا عصبة الأمم تفتتح عهداً جديداً في سياستها وفي فهم مهمتها الدولية، واستبشرنا بأن يكون العهد الجديد مفتتح الآمال بالنسبة للأمم الضعيفة، فتستطيع أن تطالب بحقوقها وحرياتها، وتستطيع أن تعتمد على ذلك التعضيد الدولي الذي تحمل لواءه عصبة الأمم.

ولم يغب عن العالم مع ذلك ما هنالك من وراء ستار، فقد فطن العالم أن عصبة الأمم لم تكن في عملها مستقلة ولا مختارة، وأنها كانت مسيرة موجهة فيما اتخذت من قرارات جريئة؛ ولم يغب عن العالم أن السياسة البريطانية هي مبعث التوجيه والوحي الأول، وأنها اتخذت هذه الخطة لأن الاعتداء الإيطالي على الحبشة، وتوسيع النفوذ الإيطالي في شرقي أفريقية، وما يترتب على ذلك من إذكاء الروح الحربي الفاشستي، يعرض الإمبراطورية البريطانية وسلامة مواصلاتها في البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط وسيادتها في وادي النيل وشرق إفريقية إلى أخطار جسيمة، وأن انكلترا لم تحرك أساطيلها الضخمة، وتتخذ هذه الأهبات الحربية الواسعة النطاق في مصر وعدن وشرق إفريقية انتصاراً لقضية الحبشة أو دفاعاً عنها، ولكن رداً للخطر الفاشستي الذي ظهر في الأفق فجأة، وأخذ يزعجها بمطامعه وتحديه.

دعوة لدعم مدرسة المنتدى الإسلامي ــ لندن

من الضروريات الأساسية للمسلمين في بلاد الغرب خاصة، المدارس الإسلامية التي تحتضن الطفل وتنشِّئه على آداب الإسلام ومعاني الفضيلة، إذ البديل هو تسليم الطفل المسلم إلى المدارس الحكومية لينشأ على الطريقة الغربية، ويذوب في مجتمعها حتى لا يبقى فيه أثر لدين.

ولقد أدرك المنتدى الإسلامي منذ إنشائه في لندن عام ١٩٨٦م هذه الثغرة الواسعة، فوضع نصب عينيه تأسيس مدرسة إسلامية تكون المحضن التربوي لأبناء المسلمين من سكان البلد الأصليين أو الجاليات الوافدة.

وفي عام ١٩٨٩م، أنشئت مدرسة المنتدى الإسلامي، بدعم سخي من بعض المحسنين، واستمرت في التوسع في الأعوام التالية حتى اكتملت مدرسة ابتدائية بجميع مراحلها. ولقد عنيت المدرسة ـ إلى جانب المواد التعليمية الأساسية في المنهج البريطاني ــ بتحفيظ القرآن الكريم وبمنهجي الثقافة الإسلامية واللغة العربية عناية خاصة. كما حرصت على حسن اختيار أعضاء هيئة التدريس من الناحيتين الإسلامية، والكفاءة العلمية، وعلى توفير المستلزمات الكاملة للعملية التعليمية، حتى حصلت هذا العام على تسجيل رسمي من وزارة التربية والتعليم، والأهم من ذلك أنها أصبحت محل ثقة الجالية المسلمة في لندن.

وقد قدر المنتدى من البداية أن التكاليف الفعلية لتعليم الطفل لا يطيقها القطاع الأكبر من الجالية المسلمة، فقرر تخفيض الرسوم حتى تتناسب مع معدل دخل الفرد، وتغطية العجز من تبرعات أهل الخير وعائدات المنتدى الاستثمارية.

ومن هنا نناشدكم أن تمدوا يد العون، وتتحملوا جزءاً من المسئولية تجاه احتياجات إخوانكم، تمثلاً بقول الرسول ﷺ في وصف المؤمنين: «**هم يدٌ على من سِواهم، يَرُدُّ مُشِدُّهُم على مُضْعِفِهِم، ومُسرِعُهُم على قاعِدِهِم**» يدفعنا إلى ذلك ثقتنا بالله أنه لن يخيبنا في حسن ظننا بإخواننا في الدين.

تكتب التبرعات باسم **Al-Muntada Islamic School**، أو تودع مباشرة في حساب:
National Westminter Bank, Fulham Branch,
831 Fulham Road, London, SW6 5HH, U.K.
رقم الحساب بالجنيه الاسترليني: ***Sorting Code: 60 - 08 -32, 12415553***

الفن وأصحاب الفضيلة

جمال سلطان

قديماً قالوا: إن من الجهل جهلاً مركباً، وهو أن يجهل الإنسان ثم هو يجهل أنه يجهل. ذكرني بهذه الكلمة تلك الفتاوى التي ظهرت مؤخراً حول الفن والفنانين، وهي فتاوى رسمية أحياناً، وشبه رسمية أحياناً أخرى، من هؤلاء النفر المنتسبين إلى العلم والدعوة ممن يحرصون على الظهور بمظهر المستنيرين والمتحضرين والمتسامحين!!

وهذه الفتاوى استدرجهم إليها بعض الخبثاء، ومجلات الغواية والفتنة، لكي يشوهوا بها الدلالة الرائعة لتوبة بعض الفنانين والفنانات ولزومهم هدي الله وهدي نبيه الكريم ﷺ، حيث أتت بيانات وتصريحات هؤلاء الفنانين واضحة حاسمة، بأن ما يحدث مما يسمى الفن إنما هو تضليل وغواية وإفساد لمجتمعات المسلمين، وشبابهم وشاباتهم على وجه الخصوص، والشهادة دامغة لأنها من داخل البيت المتهم ذاته، ومن أكثر الناس دراية وإحاطة بأسراره، ومعلناته سواء، فإذا بالفتاوى تصدر بأن الفن حلال زلال، وأن الفن رسالة لإصلاح المجتمع، وأن الإسلام يقف مع الفن ويرحب بأهل الفن.. إلى آخر هذا الخلل والوهم العجيب، فهؤلاء الشيوخ إما أنهم يتحدثون عن الفن من كوكب آخر غير الأرض لم يكتشفه الإنسان بعد، وإما أنهم من الجهل بالواقع إلى حد البله، وهذا ما نشك فيه، وإما أنهم يلمعون وجوههم على حساب الدين والحق والأمة معاً.

يا أصحاب الفضيلة، إن شرط الفضيلة أن يكون وجه الحق، وسلامة الدين، وطهارة المجتمع، فوق الاعتبارات الشخصية الضيقة، أو المصالح الآنية، فإذا ما غاب الشرط غابت الفضيلة والكرامة!


مطابع الأهرام بكورنيش النيل

البيان

العدد الثاني والستون
شوال ١٤١٣ هـ
أبريل ١٩٩٣ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن
المنتدى الإسلامي
لندن

رئيس التحرير
محمد العبدة

العنوان

AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR U.K.

Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 371 5307

كلمة صغيرة

سيجد القارئ في هذا العدد اتفاقاً غير مقصود في مقالات تتعلق بأدب التعلم والسؤال وأدب الرحلة وطلب العلم، ومقالات تتحدث عن المناخ الفكري غير الصحي الذي يعيشه المسلمون، سواء أكان ذلك بتغلب العاطفة على كثير من أمورهم وشؤون حياتهم، أو بإغلاق منافذ التفكير والتدبر، وتعطيل القوى التي وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان وكل هذا يدل على أن المشكلة قائمة، والمعاناة حقيقية، ولا بد إزاء ذلك من إعادة النظر بغية إصلاح أساليب التربية وطرق التفكير.

المحرر

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

أفلا يتدبرون

ليس من أمر هذا الدين أن يكون فيه غلوٌ وتنطعٌ، أو يكون فيه جمود وعَنَتٌ، وهو دين الله ليس بأهواء البشر ولا بأمانيهم، وهو رحمة للعالمين، وبه يصلح حالهم الذي لا يصلح إلا بالطريق الوسط الأعدل، طريق الذين أنعم الله عليهم، ولكن من طبيعة البشر نشوء من يميل إلى أحد الطرفين مجانباً سواء السبيل، مما يوجب على العلماء التصدي لهم بغية إصلاح الاعوجاج ونفي الزغل والشطط عن هذا الدين الحنيف.

وبسبب غياب العلم الصحيح عن بعض المواطن والأماكن في هذه الأيام، ظهرت آراءٌ شاذة وتجمعات صغيرة تلتف حول شاب متحمّس لم يرسخ في العلم بعد، أو حول شيخ سوءٍ يجمع الناس حوله بزخرف من القول، أو بمداهنة في التشدد حيناً، وفي الترخص آحايين، قد باع دينه بدنياه.

وهذا الذي يبدو على السطح من منكرات الأقوال والأفعال ما هو إلا عرض للمشكلة، وليس أساسها وإنما تتلخص المشكلة بالسؤال المطروح: ما هو المناخ الذي هيّئ لخروج مثل هذه التجمعات؟ وما هي الأرضية التي تنُبت أمثال هذه

الأفكار؟ وكيف يقبل الناس اتباع رجل يقول بالمتناقضات ويجمع أسس البلايا؟ وكيف يقبل شباب متعلمون، وفيهم أصحاب الدراسات العليا وأصحاب الاختصاص العلمي، كيف يقبلون أن يكونوا أصفاراً مغمضي الأعين يأخذهم شيخهم تارةً هنا وتارةً هناك؟!

وهذه الظاهرة لا تقتصر على بلد دون آخر بل تكاد تلف العالم الإسلامي حيث انتشر الجهل وقلّ العلماء، وفي هذه العجالة محاولة مبدئية لتشخيص الواقع الذي يفرز هذه الأسئلة:

أولاً: لا بد أن نعترف أن المناخ العام الذي عاشه المسلمون في عصور الانحدار العلمي ويعيشون بعضه الآن لا يساعد ولا يدعو إلى التفكير المستقل، التفكير الذي يدعو الإنسان إلى التبصر ومعرفة مواقع القول، ويميز بين الخالص والمزيف. وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نستخدم هذه الطاقات التي وهَبَنا إياها، فإنه كما وهبنا السمع والبصر، فقد دعانا إلى ممارسة التعقل، الذي يمنع التدابر والشقاق: **﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾** [المائدة ٥٣]، والتي تزع عن الشر: **﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾** [الملك ١٠]، والتي تدعو إلى الاتعاظ بالذكرى: **﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾** [البقرة ٢٦٩]، **﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يعقلون﴾** [يونس ١٠١]، كما دعانا سبحانه وتعالى إلى ممارسة التذكر والتبصر والتدبر في آيات كثيرة: **﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون﴾** [الرعد ١٦]، **﴿انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون﴾** [الأنعام ٦٥]، **﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾** [محمد ٢٤]، ولا شك أن الذي يجري على الساحة الإسلامية من الآراء الفجة المستهجنة ما هو إلا لأنهم لا يتدبرون القرآن.

إن المناخ السائد هو الانغلاق والجمود والعنت والتقوقع حول من يتلقون عنه،

فلا يتكلم بكلمة إلا تلقفوها، ولا يتحرك حركة إلا وحفظوها!! والمناخ السائد هو التقليد الأعمى، العريق في التقليد، ولا نتكلم عن اتباع عالم على بصيرة واحترامه والتأدب معه والاستفادة منه، فهذا شيء وذاك شيء آخر.

إن هذا المرض العضال ليس مقصوراً على اتباع شيخ يستغل الدين لزعامته ويربي الشباب على الخضوع له، بل طال حتى الذين ينادون بالضد من هذا، بل وحتى الذين يحاربون ما أسموه (الآبائية)[1] وهي كلمة حق يراد بها باطل أحياناً فقد يحاربون بها التراث الصحيح للأمة، حتى هؤلاء قد شملهم هذا المرض فرددوا آراء من سبقهم، ووقعوا فريسة أسماء مشهورة من الكفرة والملحدين، ولا يقولون هذا صحيح وهذا خطأ بل يأخذون أقوالهم مأخذ التسليم والقبول.

ثانياً: المناخ الاستبدادي الذي تعيشه الأمة يجعل الفرد يشعر بالضآلة والمهانة، فيلجأ إلى شيخ هنا وزاوية هناك، أو يهرب من واقعه، والضغوط التي تمارس عليه، إلى اللامعقول. ومن طبيعة الاستبداد؛ سواء أكان في البيت أو المدرسة أو المجتمع، أن يشلَّ الفرد عن الاستقلال في التفكير، فينشأ نشأة لا يثق فيها بنفسه ولا بد أن يلتصق بمن يفكر عنه ويأمره وينهاه. وقد تعود هذا المسكين على حياة الذل، فما المانع أن يكون تابعاً مقوداً لمن يحبّ أن يتصدَّرَ للرئاسة الدينية.

ثالثاً: غياب العلماء الفقهاء الذين يعلمون الناس أمر دينهم، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً بل يقولون بالحق وبه يعدلون، ولا يرهبون الكثرة أو القلة، فهم كالطبيب النطاسي الذي يعرف الداء فيعالجه من جميع جوانبه، وإن أحد أسباب هذا الغياب قد يكون راجعاً للسبب السابق، فقد تفرق هؤلاء وبعدوا عن أوطانهم، وذهبوا كل مذهب بسبب الظلم والإرهاب الذي يمارس على كل داعية صادق، وعندما غاب هؤلاء تسلق هذا الركن الركين، وتصدر للمجالس

١- أخذاً من قوله تعالى ﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا..﴾ [البقرة ١٧٠].

الأصاغر أصحاب الأهواء والذين في قلوبهم مرض، ووجدوها فرصة للزعامة وجمع الأتباع.

وللسبب نفسه غابت المؤسسات العلمية القوية التي يتخرج منها من يعلّم الناس الإسلام الصحيح ويتصدى لمشكلات الأمة.

رابعاً: القلق النفسي الذي يغيشه بعض المسلمين نتيجة البيئة الثقافية والاجتماعية، ونتيجة القهر والتشرد والبعد عن الأوطان، فيصبح الرجل من هؤلاء متشنج الأعصاب سوداوي المزاج، فيفتي ويتكلم من منطلق هذه المعاناة، وتأتي أحكامه وفتاويه عجيبة غريبة، والذين يعانون أمثالهم يعجبهم هذا التشنج فيؤيدون أقوالهم، ولا يلتفتون إلى أقوال العلماء الذين هم على دراية بالشريعة ومقاصدها وعلى دراية بواقع المسلمين.

خامساً: يُستغل ضعاف النفوس وأصحاب الأراء الشاذة لمحاربة أهل المنهج الصحيح، والذي يريد استغلالهم يقدم لهم العون المادي والمعنوي مما يجعل بعض الانتهازيين يلتفون حولهم طمعاً بالدنيا، وحتى يظهر هؤلاء بالمظهر العلمي أمام الناس فلا بد أن يخوضوا في الفقه والدين ويخوضوا في التبديع والتفسيق للآخرين ويدّعوا أنهم أصحاب اتجاه ديني، فيقع التشويش في الساحة الإسلامية.

هذه هي بعض الأسباب التي نراها مهيئة للمناخ الذي يتخرج به من ذكرناهم، والذي يستطيع المسلمون فعله هو إشاعة المناخ العلمي الذي يدعو إلى التدبر والتبصر، والدعوة للارتباط بالمنهج السليم وبذل الأخوة، والتقدير لكل من يرتبط بهذا المنهج، كما يجب أن نعلم إن الكلام على الغلاة وأصحاب الأهواء ليس من باب تفريق صف المسلمين بل هو من صميم الوحدة الإسلامية

رئيـــس التحريــر

تحرير الناس من عبادة غير الله*

(٢)

د. عابد السفياني

لقد أدرك أئمة الدعوة الإسلامية المعاصرة أن مهمة هذه الدعوة هي تطهير العباد من الاعتقادات والأقوال المخالفة للتوحيد، وردهم إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، وإذا تطهروا من ذلك تحرروا من العبودية لغير الله، وأقاموا مجتمعاتهم ـ في أي عصر من العصور ـ على شريعة من الله غير مشركين به.

وإن هذه المهمة الكبيرة تحتاج إلى عمل جاد وصبر وفقه في الدين وتحديد لمواطن الخلل في كل عصر وكل مكان حتى يمكن معالجته حسب ما ورد في كتاب الله وفي سنة رسولنا عليه الصلاة والسلام.

ولنضرب لذلك نماذج عملية متعددة ومتنوعة ليستفيد منها الدعاة في كل مكان ولأهمية هذا الموضوع وسعته سنختار لكل مقال من هذه المقالات نموذجاً حسب أهميته وأثاره الدعوية في العصر الحاضر.

* ملل الكفر وطقوسها وقوانينها صور من العبادة لغير الله، والدعاء والذبح والنذر لغير الله صور من صور الشرك

لقد تأمل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله واقع عصره فوجد الناس يصرفون كثيراً من أنواع العبادة لغير الله في الاعتقادات والأقوال والأعمال، وإنهم لا بد من تحريرهم من عبادة غير الله وردهم إلى عبادة الله وحده. لقد وجدهم يدعون ويذبحون وينذرون لغير الله، ويعكفون على القبور يصرفون لها أنواعاً من العبادة التي لا يستحقها إلا الله. وتأمل في شبهتهم التي كانوا يعتذرون بها، فمنهم من اعتقد الضر والنفع في غير الله، ومنهم ـ عند المجادلة ـ من يقول إن عبادته لا تصل إلى العليم الحكيم إلا عن طريق البشر أو غيرهم من الأشجار والأحجار والأصنام، فوجد ـ رحمه الله ـ أن هذا القول انتقاص لحق الله الواحد القهار وأنه عذر أقبح من الذنب المعتذر عنه، لأن مآله تعلق القلب بغير الله لاعتقاد الإنسان أن عبادته لا تصل إلى الله إلا عن طريق المخلوقين فيأخذ في التعلق بهم، واعتقاد النفع فيهم الذي أنكروه من قبل واعتذروا عنه بقولهم ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا من الله زلفى**﴾ [الزمر ٣]، فاتخذوا بذلك الوسائط بينهم وبين الله. وبعد أن ادرك الشيخ هذا الواقع عزم على تحريرهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.

ثم تأمل الشيخ في واقع مجتمعه فوجد انحرافاً آخر، وجد أناساً يزعمون الإسلام ويتحاكمون إلى غير شريعة الإسلام، فلم يمنع الشيخ رحمه الله نطقهم بالشهادتين وصلاتهم وحبهم للصالحين والأولياء وقولهم أنهم يتبعون العلماء، لم يمنعه ذلك من أن يَعْزِمَ على تحريرهم من العبودية لغير الله.

ولقد حاجهم وجادلهم بالتي هي أحسن، ودعاهم للتي هي أقوم، وخير مثال على ذلك كتابه كشف الشبهات الذي قال فيه مبيناً الأسس التي

ينبني عليها فهم الإسلام بعيداً عن الشرك والانحراف عن شرائع الإسلام: «لا خلاف في أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شيء من ذلك لم يكن الرجل مسلماً، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به، فهو كافر معاند.. فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه فهو منافق وهو شر من الكافر الخالص لقوله تعالى : **﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾**» [النساء ١٤٥].[1].

وبين لهم أن هذه المسائل لم يختلف فيها الفقهاء، بل أجمعوا على أن من جحد شيئاً معلوماً كفر ولو كان من مسائل الفروع، فكيف إذا جحد التوحيد وخالف فيه، ثم ذكر كلام علماء الإسلام في باب المرتد وأن النطق بالشهادتين لا ينفع صاحبه إذا أتى سبباً من أسباب الكفر المخرج من الملة أو الشرك الأكبر، لأن المراد بالنطق بكلمة الشهادتين معناها لا مجرد لفظها[2].

وقد بذل ـ رحمه الله ـ قصارى جهده في بيان حقيقة التوحيد فكشف عن مسائل الجاهلية وحذر الناس منها وسيأتي لذلك زيادة بيان في مقالات لاحقة إن شاء الله.

لقد وقر الحق في قلب الشيخ المجدد رحمه الله ولم يعد يلتفت إلى شبههم إلا إذا أراد أن يكشف زيفها، أما واقعهم فقد علم الشيخ أنه لن يصلح إلا بتجديد مفهوم التوحيد وتحقيق مقتضياته، حتى تصبح وجهة القوم مطابقة لمقتضى الشهادتين التي ينطقون بها.

فلما رأى المخالفون إصرار الشيخ على دعوته رموه عن قوس واحدة،

١- مجموعة التوحيد ٨٨ .

٢- مجموعة التوحيد ٧٢ .

وحاربوه بكل وسيلة في أيديهم، وهو صابر ثابت لم يفت في عضده كثرة المخالفين وسطوتهم، ولا لدد المخاصمين وتكبرهم ولا سفاهة المشاغبين وخستهم، لقد جمع هؤلاء كيدهم وافتروا عليه بأنه: جاء ليبدل دينهم ويظهر في الأرض الفساد ويحارب العلماء والصالحين والأولياء.. فلا بد إذاً من محاربة دعوته!! وقد تمت المحاربة ولكن الله حفظ الشيخ ولم يتنازل عن شيء من دعوته، بل مضى في طريقه لا يكل ولا يضعف ولا يتردد حتى انتشر العلم بالتوحيد وأحكامه وربى أتباعه على ذلك وانكشف زيف الشرك وأباطيله، ومسائل الجاهلية وسفهها.

لقد طلب منه مخالفوه أن يدعهم وما هم فيه، وكان يمكن أن يستجيب لمطالبهم ولكن أراد الله به وبالناس خيراً، كان مجال التأويل واسعاً لمن أراد أن يخلد إلى الحياة الدنيا ويقعد عن تحمل المسؤولة في مجال الإصلاح كان يمكن أن يقول الإنسان لنفسه: كيف أدعو الناس للتوحيد... وأتحمل كل هذا العناء والدولة العثمانية التي عاشت قروناً طويلة وخدمت الإسلام في كثير من السنين قائمة بالفعل وتتبعها الإمارات في كل مكان، لما لا أترك لها القيام بذلك على طريقتها وهي تتحمل ما يقع من تقصير، والتزم بالوضع الذي كان سائداً، وقد وفق الله الشيخ إلى الصواب في هذا الأمر فلم يلتزم بالأطر الدعوية التي كانت تمارس في تلك الأيام، وسَلِم من فساد التعصب والتقليد والعادات وارتفع إلى طريقة الكتاب والسنة في الدعوة إلى الله عز وجل.

كان يمكن أن يقول الداعية لنفسه في مثل تلك الظروف لماذا أبدأ بتصحيح الاعتقاد، وأنابذ الشرك والبدع والأهواء وأهلها، ولماذا لا أبدأ

بتصحيح الأمور الجزئية.. ولا حاجة للدخول معهم في خصومة ولا بأس من أن أعذرهم في تلك المخالفات العقدية، وتكون الألفة والمحبة والولاء بيني وبينهم وبذلك أسْلَمُ أنا ومن معي من كيدهم ومكر رؤسائهم ومخالفة عوامهم، وفي آخر المطاف يمكن لي أن أصحح الانحراف في الاعتقاد.

ومع كل هذه التأويلات والمغريات.. إلا أن الشيخ رحمه الله لم يقبل بشيء من ذلك واختار الاستمساك بالمنهج الدعوي كما ورد في الكتاب والسنة فدعاهم من أول الطريق إلى تحقيق مقتضى الشهادتين وتحكيم الشريعة في جميع شؤونهم، ومنابذة ما يخالف ذلك، والبراءة من الشرك وأسبابه وأهله، والصدق في نصرة دين الإسلام.

واحتمل رحمه الله عن بينة وبصيرة وعزيمة وثبات كل العداوات، احتمل العداوات من الرؤساء الجهال ممن ينتسبون إلى العلم أو يملكون السلطان. واحتمل الذم من جهلة العوام، والافتراء من سدنة الشرك والجاهلية والتعصب. ولم تكن هذه العداوات بعيدة عن باله وهو الذي كان يأمر من يتبعه بأن يتسلح بالعلم والحجة ليواجه كل تلك العدوات. قال رحمه الله في كتابه كشف الشبهات: «واعلم أن الله سبحانه من حكمته [تأمل قوله من حكمته] لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا**﴾ [الأنعام ١١٢]، وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وهم أهل فصاحة وعلم وحجج فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك تقاتل به هؤلاء الشياطين.. ولا تخف ولا تحزن إن ﴿**كيد الشيطان كان ضعيفا**﴾[1].

١- مجموعة التوحيد ٧٣ .

نعم إن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه يصدون الناس عن سبيل الله، ولا بد للدعاة من الصبر على كيدهم وتبيين التوحيد ومحاربة الشرك وتحرير الناس من عبادة غير الله بكل صورها وأشكالها.

ولا يحسبن أحدٌ أن آثار دعوة الشيخ مقتصرة على محاربة شرك القبور والأضرحة كما فهم كثير من الدعاة في بلاد العالم الإسلامي، كلا، فإن دعوة الشيخ دعوة شاملة تجديدية بذلت جهدها المستطاع في تحرير الإنسان من عبادة غير الله، سواء أكانت تلك عبادة الأولياء والأضرحة أو عبادة الطواغيت وطاعاتهم في التحاكم إلى غير شريعة الله، أو ما سوى ذلك من مسائل الجاهلية التي عن طريقها يُنتقص حق الله سبحانه في العبادة أو ينتقص حق هذه الشريعة الربانية في الاتباع ووجوب التحاكم إليها في جميع الأمور.

وسنزيد ذلك بياناً عندما نكشف في المقالات القادمة بمشيئة الله عن العلاقة بين جهد الداعية الكبير وبين جهود مصلحين آخرين في ديار العالم الإسلامي، سواء أكانت هذه العلاقة عن طريق مباشر أو عن طريق غير مباشر ولا يزال الحديث موصولاً ـ بتوفيق الله ـ عن الإيجابية الأولى للدعوة الإسلامية المعاصرة، وبيان الجانب العلمي والأسلوب المختار عند بعض المجددين الذين كان هدفهم في الدعوة إلى الله وتحرير الإنسان من عبادة غير الله. بجميع صورها وأشكالها القديم منها والجديد، حتى لا يُعبد إلا الله وحده بلا شريك.

الدعوة بين العقل والجمهور

محمد بن حامد الأحمري

يتعامل غالب المسلمين مع سيرة الرسول ﷺ ومع التاريخ الإسلامي تعاملاً عاطفياً بحتاً لا يتجاوز دور الإعجاب والتذكر والاندماج في أخباره وأمجاده، واستعادة هذه الصورة التاريخية يوماً بعد الآخر دون الاستفادة منها كمدرسة متنوعة المراحل والأدوار والموضوعات والمواقف، وما فيها من مواقف إقدام واجتياح، تدعو للوقوف والتأمل والبحث عن مخرج عندما تغلق بعض أبواب الدعوة. في مثل هذه الحال تسكت أصوات الحادين المشجعين مستجيبة لصوت هُداة القافلة القائلين: أمامكم منعطف تحتاجون فيه إلى احتراز وتعقل حتى تتجاوزوه سالمين بإذن الله. وهذا هو المنعطف الذي تتجاوزه القافلة بحذر ثم يستمر السير أحسن مما كان.

فاستجابة المسلمين للقتال والبيعة على الموت في «بيعة الرضوان» لا تتناقض مع القبول بالصلح في «صلح الحديبية» الذي تلا البيعة مباشرة. وحُقَّ لبعض المتأخرين استشكال الموقف إذا لم يتدبروا مآل الأمر. ومع أن الصلح حقق فائدة عظيمة للمسلمين فيما بعد فقد صعب الموقف على بعض أصحاب

رسول الله ﷺ، وقد قال بعضهم كيف نعطي الدنية في ديننا، «وعظم ذلك على المسلمين حتى كان لبعضهم فيه كلاماً وكان رسول الله ﷺ أعلم بما علمه الله من أنه سيجعل للمسلمين فرجاً فقال لأصحابه: اصبروا فإن الله يجعل هذا الصلح سبباً إلى ظهور دينه فأنس الناس إلى قوله بعد نفار منهم»[1].

وسواء أصعب على الصحابة في ذلك الوقت الرجوع إلى الصلح بعد البيعة على الموت أو صعبت عليهم شروط المصالحة، التي رآها بعضهم مجحفة بالمسلمين كما رأوا في اعتراضات سهيل بن عمرو على الرسول ﷺ عنهجية تستحق القمع، ولكن النظر في المصلحة الأولى خير من الوقوف عند اعتراضات سهيل، أو مشهد إعادة أبي جندل يرسف في قيده إلى قريش. ثم قبلوا الصلح على مضض، وحلوا «ونحروا بعد توقف كان منهم أغضب رسول الله ﷺ»[2]، وذلك دليل على أن الخلاف في موقف كهذا الموقف وقع مع الرعيل الأول ودوافعه الإخلاص للدين واتحاد الوجهة، فلهم أن يروا رأيهم، وأن يفكروا ويشاركوا قيادتهم فيه وتختلف الآراء ولكن القرار الذي اتخذ بعد أن أنس المسلمون إليه كان واحداً ونهائياً[3]. فقد كان الإسلام بحاجة إلى الرسوخ في الجزيرة وفي المدينة وما حولها وقريش التي لم تكن تعترف بالمسلمين الذين تسميهم (الصباة) أصبحت تفاوضهم وتعترف بهم نداً قوياً وتسلم الحرم عدة أيام في السنة القادمة، وتعترف لهذا الكيان بقيادته وأحلافه ومناسكه. ويأمن المسلمون فيه شر قريش ويتجهون إلى ساحات أفسح للدعوة والقتال وترسيخ مواقعهم.

١- الدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر، ص ١٩٣ .

٢- المصدر السابق، ص ١٩٤ .

٣- من المهم مراجعة أو استحضار أحداث صلح الحديبية من كتب السيرة.

إن ما يحتاجه المسلمون اليوم هو البصيرة من سيرة رسول الله ﷺ في هدنته كما يستفيدون من حربه، فتفويت فرص العدو وعدم تمكينه من المسلمين حاجة إسلامية ملحة وهذا موقف قد لا يروق للسان الخطيب ولحاشد الجماهير، ويرى الخطيب في هذه الحالة أنه يفقد المتعاطفين والمتحمسين بل يفقد الجماهير. مع أن الجماهير والشهرة يجب أن تَصُبَّا في مصلحة الإسلام والمسلمين وألا تكونا غاية في ذاتها. وإذا حدث ذلك لا قدر الله فهو انحراف عن الغاية وفساد في النية لا أظنه موجوداً ـ إن شاء الله ـ بحجم يذكر. وخطورة هذا الأمر عند بعض الخطباء أن يصل بهم الأمر إلى تلقي مواقفهم من الجماهير الحاشدة التي يعجبها النغم وتستسلم للصوت المثير وإذا هدأ الصوتُ أثارته مرة أخرى بحثاً عن متعة الاستماع والجدة والإثارة فقط، وليس بحثاً عن إيصال هذا الكلام المسموع المثير إلى حيز الفعل أبداً. فللجماهير شهوات يطلبون تحقيقها من الخطيب يستغربها في البداية ثم يسير فيها مرغماً فيما بعد، فيفقد عقله ورأيه، ويصبح لساناً لما يسمى بالعقل الجمعي.

ومن المعروف في علم الاجتماع أن للمجموع عقلاً يختلف عن عقل الفرد، وأن العقل الفردي في حالة الاندفاع الجماهيري يبلغ أقل مستوياته ويضعف جداً مستجيباً للعقل الكبير البديل «عقل الجماهير»، ورغباتها التي تريد تحقيقها ولوبطريق غير معقول.

ويضرب الاجتماعيون والسياسيون لهذا مثلاً بما يحدث في المظاهرات، فبعد أن يجتمع عشرات الآلاف في مسيرة وتزيد حماستهم لاجتماعهم وكثرتهم وأهمية ما يمكن أن يقوموا به تجد عقلاءهم وخيرة رجال المجتمع يرمون الأحجار على النوافذ، ويكسرون السيارات، ويدمرون كل ما يواجهونه في الطريق. ولو رأيته قبل المظاهرة أو جلست معه بعد لحظة وعي وتعقل لقال

لك ذلك موقف الجماهير، وربما وصف نفسه بالجنون، فللعقل الجمعي خطورته وضرره. مع أنه ينبض بحاجات الأمة الصادقة وما يختلج في كيانها، فهي تعبر عن حاجات حقيقية صحيحة، معقولة بأساليب ومواقف قد تكون أحياناً غير معقولة. هنا يأتي دور العقلاء في التحكم بعقول الجماهير وليس الانسياق وراءها، فلا يحتمل اللوم سوى العقلاء في حال الخطأ أو التقصير. لذا فالخطيب وليس القائد هو الذي يسلم لسانه للجماهير تقول عليه وباسمه ما تريد حتى وإن لم يكن صحيحاً ولا معقولاً، وتجره كل يوم في واد أو موقف لم يحسب حسابه ولم يكن معروفاً لديه.

ومتابعة رغبات الجماهير في اتخاذ المواقف ظاهرة سلبية تقودنا إلى مواقع مجهولة لنا، ومواقف لم نحسب حسابها عملياً، بل لم تعطنا الجماهير الفرصة للتفكير فيها وما نحن فيه وحقيقة موقعنا وقدرتنا على القرار، فالخطباء مأسورون بحماسة جماهيرهم، والجماهير مأخوذة بما تسمع، ومسحورة بآذانها، والعقول في كثير من الأحيان في إجازة وخارج دائرة العمل، وعندما يسمح لها بالعمل فإنها تستهلك في تبرير الأعمال العاطفية السابقة. ليس هذا تجريحاً ولا تقليلاً من الرأي الجماهيري، ولكن وعي السلوك العام ودوافعه وأساليب صياغته للاستفادة منه وتجنب آثاره العكسية على العمل الإسلامي مطلب ملح.

ومن مخاطر العمل الجماهيري أن المتحدث أو الخطيب يشق عليه المزج ما بين عملين رائدين في غاية الخطورة والتأثير، أولهما: رجل العقيدة، وثانيهما: رجل السياسة. فالعقيدة وعلمها وصفاؤها ومباشرتها ووضوحها والتزامها لها مطالبها. والسياسة وغموضها وثعلبيتها وعلمها وفنها ومزالقها لها مطالبها هي الأخرى، والجمع بينهما عند الأولين والمتأخرين نادر جداً.

لا يليق بنا الاستسلام للجماهير، ولا الاستسلام للتاريخ كي يملي علينا

مشاهده الرائعة التي لا نملك الحركة بها. فحاجتنا تملي علينا أن نتعامل مع العلم الشرعي، والثقافة التاريخية من حال واقعنا فلا نستسلم لأمجاد وأخبار هارون الرشيد ونفكر بعقلية «اذهبي أنى شئت فسيأتيني خراجك» ونخطب في جماهير منكودة الحاضر، مجروحة الكرامة، مستغرقة في الآمال والأحلام والتاريخ، ويزيد إخلاص السامعين وصدق نياتهم من حماستنا فننسى أين نحن وعلى أي المنابر، فنهدد برسالة هارون الرشيد إلى نقفور، ونقول: من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، الجواب ما ترى لا ما تسمع. فيخرج نقفور من وسط الجماهير ويقبض على خطيبنا ويودعه السجن، والجواب ما ترى لا ما تذكر.

وترجع الجماهير إلى بيوتها تضرب يداً على الأخرى ما بين حزين صادق كثرت عليه الأحزان ـ منذ اقتطاع بلاد المسلمين في فلسطين والصومال والبوسنة وكشمير حتى اختطاف شيخه وأمله القريب. وكان يملك أن يسمع «إنا لله وإنا إليه راجعون» كان يسمع شيخه يعزيه ويؤمله، واليوم لا يملك إلا أن يهمس بنفس الكلمات وأقل منها لزوجه ـ وآخرون كانوا يحضرون الخطبة بحماسة شديدة، وكأنها عندهم مسرحية حية بدأت بهارون وانتهت بنقفور، وعندما يعودون إلى مساكنهم يقولون: لقد غلط الشيخ وأخطأ، فنحن في عصر السرعة، ونقفور أصبح بإمكانه أن يصل، وأن يقبض على هارون، بل أن يسجنه ويقتله قبل أن يرسل هارون جنوده، نسي الجميع أن هارون قد رمَّ من قرون. وهذا داء أمتنا من قديم نخبط كل يوم في بلاد، ويأخذ بعضنا كلام الآخر، يعيد تمثيله وإخراجه للناس دون أن ندرك أخطاء إخواننا الصادقين في كل مكان، ودون أن نحاول أن نتجنب ما حدث لهم، فعدُّونا واحد ولن ترضى عنا اليهود ولا النصارى، وقد رمونا عن قوس واحدة فليس يليق بنا تكرار نفس المشاهد وهم يكررون نفس الأسلوب، ابحثوا عن طريق

ورسخوا الحق، وابنوا وحداته الجزئية المثمرة المعروف أثرها، وعلموا الجماهير ما تحتاج، ولا تهيجوها لما لا تعلمون جميعاً، وتجنبوا خطب إلقاء إسرائيل في البحر، ولو لسنوات معدودات، تكفون فيها ايديكم وتستعدون ليوم تفعلون فيه شيئاً. وعندما يرتاب السامعون لضعف الإثارة وقلة الحشد وخفوت صوت الحماسة فذلك ما لا يلزم جوابهم عليه خاصة إن كانوا ممن لا تحتمل عقولهم الجواب، ولك في قول الشاطبي اقتداء حيث قال: «وقد لا يلزم الجواب في مواضع، كما إذا لم يتعين عليه أو المسألة اجتهادية لا نص فيها للشارع، وقد لا يجوز جواب السائل، كما إذا لم يحتمل عقله الجواب، أو كان فيه تعمق أو أكثر من السؤالات التي هي من جنس الأغاليط وفيه نوع اعتراض»[1].

والأمور بمآلاتها، وليست مما يسهل على الكثير وعيها، وتقوى الله فيهم واجبة، والنصح لهم واجب، وكلٌ يعطى من العلم حسب طاقته. ولا يذكر للمبتدئ من العلم ما هو حظ المنتهي بل يربى بصغار العلم قبل كباره[2].

ومن تقوى الله في الأمة أن يدبر لها عقلاؤها المخرج بعيداً عن ضجة مكبرات الصوت والتهاب حماسة الجماهير فارتجال المواقف مراعاة لمشاعر الجماهير وحماستهم لا تقل خطأً عن المسارعة في رضى الظالمين (ومسح الجوخ لهم)، وإن كان الأول أعز وأكرم أمته بموقفه وحماسته، والآخر حطها بالتذلل والمسارعة لإرضاء الظالمين، ولكن قد يكون مآل الأمرين واحداً، وهو تمكين عدونا منا تعجلاً للثمرة، أو تطويعنا له نفاقاً أو هلعاً من مواقف الرجولة وهروباً من شبح المحنة.

١- الموافقات للشاطبي، ٣١٣/٤ .

٢- المصدر نفسه، ١٩٠/٤-١٩١ .

ظلم ذوي القربى

عندما كان القتال محتدماً بين أحزاب الجهاد الأفغاني في العاصمة كابل، وكانت القذائف تنزل حمماً على رؤوس الآمنين[1] والمسلمون في كل مكان يتألمون لما يقع بين أخوة الجهاد، ويزداد ألمهم عندما يفكرون بالأثر الذي يحدثه مثل هذا القتال على نفسية المسلم ومعنوياته، ففي أثناء هذا الصراع تمنى أحد زعماء الجهاد إيقاف هذا القتال، وإن لم يكن نهائياً فعلى الأقل في شهر رمضان المبارك، وقال هذا القائد: كنا أحياناً نتوقف عن القتال في شهر رمضان أثناء جهادنا مع أعداء الإسلام، مع حكومة كابل الشيوعية، أفلا نستطيع الآن أن ننفذه مع إخواننا وفيما بيننا؟

حقاً إن ظلم ذوي القربى شديد على النفس، وهذا إذا وقع بين الأقارب في النسب، فكيف به إذا كان بين الأقرباء في العقيدة والدين، وكيف به إذا تعدى ظلم فرد لمثيله وأصبح فاشياً في ظلم مجتمع لمجتمع، أو جماعة لجماعة فهو أشد مرارة، وأكثر ألماً، وأقسى من كل ما تصاب به الأمة من عدو خارجي، لأن المحنة عندما تأتي من إخوة لك في الدين، فهذا سيؤدي إلى فقدان الأمل عند جماهير الناس بمن يتصدى للدعوة، وفقدان الأمل من

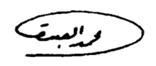
١- توقف هذا القتال كما حملت لنا الأخبار أخيراً، ونتمنى أن يستمر هذا التوقف ويصمد هذا الاتفاق وأن يحكم الإسلام بلاد الأفغان.

قرب استئناف حياة إسلامية، وسيؤدي إلى الإحباط وإشاعة روح اليأس، وسيكون التساؤل قوياً وحاضراً وملحاً: إذا كان هؤلاء يتخاصمون ولا يتفاهمون، ويتعادون ويتشاكسون. فهل هناك أمل في الإصلاح المنشود.

هل أصيب المسلمون بأمراض المنطقة وأوبئتها؟ فصاروا مثل غيرهم من الأحزاب المتناحرة، حيث اشتهر (الرفاق) في الأحزاب العلمانية بممارسات تصفية زملائهم، سواء بالتصفية الجسدية أو الإبعاد أو السجن.

هل يعي المسلمون ـ والكلام ليس للأفغان وحدهم ـ أنهم بتنازعهم وأنانيتهم، وضيق أفقهم وروح الإقليمية التي شاعت بينهم، سيكونون من أشد المساعدين على بث اليأس والهزيمة النفسية، وهل يعي المسلمون الدرس الأعظم في تاريخنا، وهو مقتل الخليفة الثالث ظلماً وعدواناً، تلك المحنة الداخلية التي كانت أوقع أثراً في المجتمع الإسلامي، وفي التاريخ الإسلامي من كل المحن الخارجية.

إننا لا نستطيع أن نقول لهؤلاء الذين يتشبثون بأنانيتهم وأغراضهم الخاصة، ويدافعون عنها ولو ضعفت الدعوة وتمزق الصف، لا نستطيع إلا أن نذكرهم ونقول: اتقوا الله في هذه الأمة، التي تكاثر عليها الأعداء، فلا تكونوا عوناً لهم وإن كنتم لا تقصدون ذلك، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه.



طرق الطرح العلماني

د. عمر المديفر

ليست أساليب وطرائق العلمانيين في طرحهم للمبدأ العلماني واحدة، بل هي متغيرة بحسب الزمان والمكان، وهذه التغيرات قد تشمل أساليب الخطاب، وقد تمتد إلى أساليب عرض المبدأ العلماني، وهكذا. فبينما تطرح العلمانية في قُطر معين على أنها مضادة للدين، تطرح في قطر آخر على أنها موافقة للدين. وفي بلد ثالث تفرض فيه العلمانية ببطء وحذر شديدين حتى لا تلفت الأنظار إلا بعد كونها واقعاً لا مناص منه.

لقد كان كثيرٌ من العلمانيين في بدايات هذا القرن الميلادي لا يتقربون إلى الدين وأهله، وكانت شعاراتهم تتراوح بين القومية والشيوعية والاشتراكية، ولكن حينما اشتد ساعد الصحوة، وبدأ المسلمون يشعرون بقيمة دينهم، بدأ العلمانيون بكافة أصنافهم بالتقرب إلى الدين، وبمحاولة إيجاد صيغة تجمع بين علمانيتهم ومقاصدهم الشخصية وبين استغفال

الشعوب المسلمة والاستخفاف بها من خلال التظاهر بالمظاهر الإسلامية!

فعلى سبيل المثال، كان شبلي العسيمي (السوري الدرزي الذي فر من سوريا إلى العراق سنة ١٩٦٧م) أحد منظري البعثية في العالم العربي لا يأتي للإسلام بذكر فيما يقرب من عشرة مؤلفات صدرت حتى عام ١٩٨٤م، أما ما بعد ذلك فقد ألّف عن كون العرب مادة للإسلام، وعن «عروبة الإسلام»!! وكذلك كانت حال بقية المنظرين للعلمانية[١].

وكل هذا التغيير يدلنا على أن العلمانية ليست مقنعة كمنهج في العالم الإسلامي، لأن المسلم ـ مهما بلغ انحرافه ـ يشعر بارتباط الإسلام بالحياة العامة، ويشعر بكون الإسلام له سلطان على كافة أنحاء الحياة ومجالاتها، ولهذا نجد المسلم الذي لم تُفْسَدْ فطرته لا يفكر في إمكانية الخروج عن شريعة الله، ومن هذا المنطلق يرفض العلمانيون أن يستفتى الشعب في إقرار أو منع الدستور العلماني، لأنهم يعرفون حتمية خسرانهم.

وهذه التغيرات تدلنا أيضاً على أن العلماني ليس له هدف سام وهو رفعة الوطن ـ كما يقول ـ بل هدفه هو الوصول لمصلحة شخصية، والأمثلة على هذا كثيرة ممن كانوا معارضين لأنظمتهم الحاكمة، ثم حينما أُشتُرِيَت مبادئهم بمنصبٍ ودخلٍ ماديّ انقلبوا مدافعين عن تلك الأنظمة!!

ويمكننا تقسيم أساليب الطرح العلماني إلى طرح مكشوف وآخر ملتو مموه!

١- الطرح الصريح: وهذا الأسلوب هو أسلوب العلمانيين الأقحاح، الذين يستطيع المرء أن يصفهم بالغلو العلماني بلا تردد، لصراحتهم حول هذا

١- بل إن بعض الأحزاب أصدرت أوامر إلى بعض مفكريها بأن يطرحوا أنفسهم من جديد بشكل إسلامي.

المبدأ، وهؤلاء أمنوا العقوبة لأنهم في بلد تحكمه العلمانية، والشرائع الجاهلية، التي تسمح لهؤلاء بالانتقاص من قدر الدين، والتعدي عليه، في حين تكمم أفواه الدعاة، والذين يريدون الدفاع عن دينهم!!

ويرتكز هذا الطرح على ما يلي:

أ- مدح الغرب وإطرائه، ودعوة الأمة إلى اللحاق بركبه والتأسي بتجربته في رمي الدين جانباً وعزله عن الحياة، وعن هذا يقول أحدهم تحت عنوان «درس النهضة الأوربية» وهكذا نستخلص من استيعاب درس النهضة وموقفها من التراث حقيقتين على أعظم جانب من الأهمية:

الأولى: هي أن من الممكن أن تقوم نهضة علمية فكرية رفيعة المستوى في مراحلها الأولى على أساس الرفض الحاسم للتراث، وذلك حين يكون هناك انقطاع في التراث يمنع من استمراره في خط متصل حتى الحاضر، وعندئذ لا بد أن ترفع النهضة شعار «البدء من جديد» كعلامة على تحدي التراث.

والثانية: هي أن التطور والتقدم المستمرين في المعرفة يساعدان على الوصول إلى نظرة تاريخية إلى التراث يختفي فيها التناقض بين تمجيده والاعتراف بتخلفه[1].

ب- ادعاء علمانية الإسلام، وأنه لا تناقض بين الإسلام والعلمانية! لأن الإسلام دين فرد لا دولة! ويستدل هؤلاء بكتاب «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرازق، وكتاب «الديمقراطية أبداً» لخالد محمد خالد وخير مثال لهذا الادعاء كتاب «العلمانية والدولة الدينية» لشبلي العيسمي.

١- فؤاد زكريا، الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ص ٣٩-٤٠ .

ج- ادعاء عدم صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، وأنها نزلت في وقت معين، وأنها لا بد أن تتطور لتوافق النمط الاجتماعي الجديد، ولو كان في هذا تجاوز لأحكام ثابتة غير اجتهادية لأن المصلحة مقدمة على النص عندهم!! وهؤلاء يدعون أنهم يؤمنون فردياً بالدين وشعائره! وإن كان معظمهم لا يؤديها!! ويستدلون بأقوالٍ هي إما لمنحرفين كمحمد أحمد خلف الله، وعلي عبد الرازق أو أقوال شاذة لبعض القدماء كقول نجم الدين الطوفي (إن المصلحة مقدمة على النص)! فتجد هذا النص متكرراً في كتبهم ومقالاتهم[1]، ولم ينقل أحدهم القاعدة المشهورة «لا اجتهاد مع النص» ولم ينقل أحدهم قول أئمة الإسلام فيمن يحدد المصلحة!!

د- التركيز على قضية المرأة وأنها مهانة في الإسلام، وضرب الأمثلة والإطناب في ذلك إلى حد زعم وادعاء اللعب على المرأة في الشريعة الإسلامية!! حتى أن فؤاد زكريا ليقول - وبأسلوب مموه -! (لو لم تكن المسألة في حقيقتها لعبة بارعة اتقنها الرجل لكي يخدر المرأة ويحقق بها مصالحه لاتجهت دعواته إلى أن يتحمل هو جزءاً من العبء على الأقل..الخ) وكأن الشريعة وضعها رجل وليست شرعاً سماوياً!

هـ- جعل الثورة الإيرانية الشيعية هي المثال لكل حكم إسلامي، وصحوة إسلامية، بل إنهم يرددون في كتاباتهم مزاعم تصف العمل للإسلام، والدعوة للعودة إليه، والتمسك به، بالسعي إلى إقامة طهران أخرى!!!

١- انظر العلمانية والدولة الدينية لشبلي العيسمي ص ١٠ وص ١٨٠ ومواضع أخرى، وكثيراً ما تذكر هذه القاعدة في كتب العلمانيين وأشباه العلمانيين، ورداً على هذه الشبهة يقول الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه أحمد بن حنبل ص ٣٥٩ أن هذا الرأي «رأي شاذ بين علماء الجماعة الإسلامية» ويقول في صفحة ٣٦٣ عن الطوفي واتهامه بالتشيع «إن مهاجمته للنصوص ونشر فكرة نسخها أو تخصيصها بالمصالح هو أسلوب شيعي...» نقلاً عن مفهوم تجديد الدين لبسطامي سعيد.

وهم بهذا يريدون أن يخوّفوا الشعوب من الصحوة الإسلامية، ويحاولوا الصد عن دين الله، بل إن أحدهم قاس كل دولة إسلامية على الثورة الإيرانية بالنسبة للنص في الدستور على مذهب معين فقال «وقياساً على هذا المنطق فإن الدولة الإسلامية في الوطن العربي يجب أن تعتمد على الأساس المذهبي، ولا يخفى ما في ذلك من خطر وخطورة على إمكانية قيامها من جهة وعلى مضمون الوحدة والتماسك بين أبناء الدولة الإسلامية المنشودة من جهة ثانية»[1] وكأنه حريص على وحدة أي دولة إسلامية!

و- نقد الصحوة الإسلامية ومظاهرها، والسخرية منها والتعرض بالنقد اللاذع لرموزها من العلماء والدعاة وكل ذلك ـ كما أسلفنا ـ محاولة لإجهاض هذه الصحوة أو بث الوهن فيها، وتفريق الناس من حولها ولكنهم خابوا وخسروا.

٢- الطرح المموه: وأهل هذا الأسلوب غاية في الحذر والمكر، فهم يدعون الإسلام، ويتباكون على حال المسلمين، حتى يلتبس أمرهم على طالب الحق، فلا يستطيع تمييزهم، ولكنهم يعرفون بصدورهم عن آراء الشواذ فيما يتعلق بالشريعة وعدم رجوعهم إلى الحق ولو أقيمت عليهم الحجة، وهم في الغالب لا ينكشفون إلا في حال فرح غامر بانتشار المنكر أو استياء شديد عند حصول نصر للإسلام، ففي هذه الحال يصدر منهم ما ينبيء بما يُخفون وبهذا يتبين انتماؤهم ومنهجهم.

وغالب من يسلك هذا الطريق الملتوي يعيش في بلد ترتفع فيه راية الدين

١- العلمانية والدولة الدينية - شبلي العيسمي ص ١٤٠ .

فلا يمكن له التصريح بمنهجه، خشية من العقوبة الرسمية، أو خشية العقوبة الشعبية، كرفض الشعوب له وسقوط مصداقيته. ومن مرتكزات هذا الطرح ما يلي:

أ- الدعوة إلى الاجتهاد والتجديد، والإلحاح على ذلك، وحشد النصوص والنقول الشاهدة على ذلك، ثم تمتد هذه الدعوة إلى الاجتهاد في ثوابت الدين، وتمتد إلى تجديد أحكام مُجْمَعٍ عليها وإلى الحثّ على تجاوز الإنتاج الفكري والفقهي الإسلامي على مدى أربعة عشر قرناً، والرجوع إلى الكتاب والسنة بشكل مجرد، ورفض أية وصاية ـ على حد زعمهم ـ يفرضها ذلك الإنتاج، وعدم الاعتراف بكثير من شروط الاجتهاد التي وضعها السلف!

وقد تورط في مثل هذه القضايا بعض الكتاب مثل فهمي هويدي في كثير من كتاباته وخاصة ما كتبه في فصل «وثنيون أيضاً عبدة النصوص والطقوس» في كتاب (القرآن والسلطان). والدكتور محمد عمارة، في كتاب «الإسلام والعروبة والعلمانية»، وفي كثير من كتاباته المعاصرة، وآخرين من أمثالهم.

إنَّ الدعوة إلى الاجتهاد في أصلها صحيحة، ولكن الاجتهاد له ضوابطه وشروطه التي فصّل فيها علماء الأمة القول، وبينوا أن المجتهد لا بد له من الآلة، وهي علوم الشريعة، وأنه لا بد ـ لكي يكون مجتهداً معذوراً ـ أن يبذل الوسع، ويخلص النية، وإلا كان كمن اجتهد في القرآن برأيه، فأصاب ولكنه مخطئ، لأنه اجتهد بغير علم، ويتناسى أصحاب هذه الدعاوى أقوال

الفقهاء والعلماء في التحذير من القول على الله بغير علم[1].

ب- ادعاء: أن المهم هو أساس الإسلام، ورسالته المهمة في إصلاح النفوس وتزكيتها وتهذيب الأخلاق،وأن هذا أهم من تطبيق الشريعة، وإقامة الحدود، والجهاد وغيرها مما يؤذي الحس العلماني المرهف!! الذي يرضى بالشرائع الغربية، والقوانين الوضعية التطبيقية، ولا يهتم إلا قليلاً بنقل جدية الحضارة الغربية في العلم المادي، وهذا واضح في الجهود التي تبذلها الحكومات العلمانية في محاربة الدين، وتغريب القوانين، بينما لم يستطع أي من تلك الأنظمة التقدم تقنياً ومادياً كما تقدم في مجال التغريب!!

ويحرص العلمانيون على احتقار المظاهر الإسلامية، لأنها هي سمة المسلمين، وبها يعرف المسلم من غيره في عصور ظهور الإسلام، ولكن إذا فقدت هذه المظاهر أهميتها أصبح التمييز بين المسلم وغيره أصعب، وهذه الإشكالية صحيحة أيضاً بالنسبة للعبادات والشعائر العامة، وفي مثل هذه الأحوال يمكن للعلمانيين التحرك بحرية داخل المجتمع الإسلامي.

ج- دعوى الحرص على الوحدة وعدم التفرق: هذه الدعوى قديمة ومتجددة لدى العلمانيين، فهم يرفعون هذا الشعار في كل مكان، ويرفضون التمسك بالدين ـ وبالذات في حكم المجتمع ـ لأنه ـ على حد ما يزعمون ويفترون ـ يفرق المجتمع، ويؤجج النزعة الطائفية، وقد قال هذه الدعوى كثير من العلمانيين، بل يذهب العلمانيون في تنظيرهم إلى وجوب تطبيق العلمانية لتحقيق ما يسمى بالوحدة الوطنية! وهذا أحدهم يقول عن العلمانية: «وتلغي تنظيم المجتمع على أساس الطوائف،

١- راجع فصول الاجتهاد وأحكامه في كتب أصول الفقه، وكتاب أعلام الموقعين، لابن القيم، حول ضوابط الاجتهاد ومجالاته وشروطه.

وهي إذ تلغي الطائفة كوسيط بين الفرد والدولة فإنها توفر أساساً ضرورياً للديمقراطية، وتوحيد المجتمع في إطار عقلاني لا يمكن أن يتحقق في ظل الانقسام الطائفي»[١].

ويقول: «العلمانية هي الطريق الوحيد لتحقيق وحدة المجتمع، وإلغاء الانقسامات العامودية، مثل العشائرية، والعرفية، والقطرية، إلى جانب الطائفية»[٢].

ولست أدري هل غفل هؤلاء عن الدولة الإسلامية المترامية الأطراف والتي استمرت لمدة تقرب من الأربعة عشر قرناً، وعاش في ظلها غير المسلمين أحسن من عيشتهم في ظل دياناتهم، مع أن الصليبيين حينما احتلوا الأندلس لم يبقوا فيها مسلماً واحداً ظاهراً إسلامه على عكس وضع كل الطوائف في الدولة المسلمة، بل إن اليهود استمروا تحت حكم هذه الدولة الإسلامية على دينهم طوال هذه الفترة.

د- القول بتغير الفتوى بتغير الزمان: فالعلمانيون يذكرون هذه القاعدة في أكثر كتاباتهم، ويلفون حولها ويدورون، ويقيمون الحجج لها، وينقلون النصوص، ويحشدون أقوال السلف على صحتها وأهميتها، وهذه قاعدة صحيحة لا غبار عليها، وقد بحثها علماء الإسلام بحثاً دقيقاً وأصَّلوها تأصيلاً شرعياً، ولم تحتج الأمة إلى العلمانيين كي يذكروها بها، ويفردوا الصفحات في كتبهم لمناقشتها، ولكن مَنْ يناقش وهو معظّم لنصوص الشريعة ومحترم لها، غير من يناقش لكي يسقط بعض أحكام الشريعة، ولهذا لم يورد العلمانيون أن هذه الفتاوى التي تتغير بتغير الزمان والمكان

١- مجلة فكر، فبراير ٨٥م، مقال مفهوم العلمانية، ص ٧١، بقلم فضل شلق.

٢- مجلة فكر، فبراير ٨٥م، مقال مفهوم العلمانية، ص ٧٤، بقلم فضل شلق.

إنما هي الفتاوى الاجتهادية في أحكام المعاملات، أما العبادات وأحكام الأسرة والمواريث فهي ثابتة لا تتغير «ونص هذه القاعدة عام في ظاهره، فالتغير في الظاهر شامل للأحكام النصية وغيرها، ولكن هذا العموم ليس مقصوداً، لأنه اتفقت كلمة الفقهاء على أن الأحكام التي تتبدل بتبدل الزمان وأخلاق الناس، إنما هي الأحكام الاجتهادية فقط، المبنية على المصلحة، أو على القياس أو على العرف، أوعلى العادة، وعلى ذلك فالأحكام النصية ثابتة لا تقبل التغيير، ولا تدخل تحت هذه القاعدة وقد رأى بعضهم أن يكون نص القاعدة (لا ينكر تغير الأحكام الاجتهادية بتغير الزمان) دفعاً لهذا اللبس وهذا قيد حسن»[1]. وعموماً ففتاوى علمائنا شاهدة على تطبيق هذه القاعدة بدون أن يلفت العلمانيون انتباههم إليها.

* * *

١- الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، د.محمد بن صدقي البورنو ص ٢٥٤، وانظر في تبيين مسألة تغير الفتوى بتغير الزمان، رسالة الاجتهاد للشيخ صالح الفوزان، وانظرها في مواضعها في كتب أصول الفقه والقواعد الفقهية.

حُسن السؤال.. نصف العلم

سعود بن عيد الجربوعي

روى الأمام البخاري في صحيحه عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً وهات. وكره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[1].

هذا الحديث الشريف شامل لبيان جُمَل مهمة عن المحرمات، والمكروهات التي يجب على المرء المسلم أن يتجنبها، ويتحتم عليه أن يُباعد نفسه عنها، وأن يحذر من مقارفتها أشد الحذر. أما قوله ﷺ: «وكثرة السؤال».. فقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث ما نصه: «..وقد ثبت عن جمع من السلف كراهته تكلف المسائل التي يستحيل وقوعها عادة، أو يندر جداً، وإنما كرهوا ذلك لما فيه من التنطع،

١ - انظر: صحيح البخاري (كتاب: الأدب)، باب: عقوق الوالدين من الكبائر (٥/٨) ط/المنيرية.

والقول بالظن، إذ لا يخلو صاحبه من الخطأ»[1]. فالتنطع في السؤال وتكلفه، والسؤال عن الأغلوطات، والأمور المُشكلات، وما ليس للمرء حاجة فيه من الأمور، أمر منهي عنه، ومحذر منه؛ لما فيه من حصول الزلل والغلط، وقد روي عن الحسن البصري قوله: «شرار عباد الله ينتقون شرار المسائل يُعَمّون بها عباد الله»، كما روي عن مالك قوله: «قال رجل (للشعبي): إني خبأت لك مسائل. فقال: خبئها لإبليس حتى تلقاه، فتسأله عنها»[2]، وقد ورد عن (ابن عباس) رضي الله عنهما ما يدل على أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ما سألوا رسول الله ﷺ إلا عن ثلاثة عشرة مسألة، كلهن في القرآن، وأنهم ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم»[3]. ومراده بقوله: «ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة»، أي: المسائل التي حكاها الله في القرآن عنهم، وإلا فالمسائل التي سألوه عنها وبين لهم أحكامها بالسنة لا تكاد تحصى كما بينه ابن القيم رحمه الله [4].

يقول سيد قطب رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾** [المائدة ١٠١]: «لقد جاء

١- انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٤٢١/١٠) ط/دار الريان، المكتبة السلفية.

٢- انظر هذين الأثرين في كتاب: (الآداب الشرعية والمنح المرعية) لابن مفلح الحنبلي (٨٢/٢) ط/ دار العلم للجميع سنة ١٩٧٢م.

٣- أنظر نص كلامه في (سنن الدارمي) [٦٣/١]، باب (كراهية الفتيا)، ط/دار الريان للتراث.

٤- وذلك في كتابه القيم: (إعلام الموقعين عن رب العالمين) [٧٧/١]، ط/دار الفكر عام ١٣٧٤هـ. هذا وقد ذكر ـ رحمه الله ـ في آخر كتابه المشار إليه فصلاً ذكر فيه عدداً كبيراً من المسائل التي سئل عنها النبي ـ ﷺ ـ وأفتى فيها، وقال في أوله: («فصل» ولنختم الكتاب بذكر فصول يَسيرُ قدرها، عظيم أمرها، من فتاوى إمام المفتين، ورسول رب العالمين، تكون روحاً لهذا الكتاب، ورقماً على جلة هذا التأليف..) ثم سرد ذلك فجاء في زهاء ١٥٢ صفحة من الكتاب.

هذا القرآن لا ليقرر عقيدة فحسب، ولا ليُشير إلى شريعة فحسب، ولكن كذلك ليربي أمة وينشئ مجتمعاً وهو هنا يعلمهم آداب السؤال وحدود البحث، ومنهج المعرفة. وما دام الله ـ سبحانه ـ هو الذي ينزل هذه الشريعة، ويخبر بالغيب، فمن الأدب أن يترك العبيدُ لحكمته تفضيل تلك الشريعة، أو إجمالها.. لا ليشددوا على أنفسهم بتنصيص النصوص، والجري وراء الاحتمالات والفروض..[1]، ولكن طائفة من الناس لا يُدركون هذا المعنى، فيقع منهم شيء من التنطع والتكلف. إما للإغراب، أو التشكيك أو إرادة الامتحان، أو الاستهزاء، ومع ذلك كانوا يقابلون من العلماء بحسن الرد، فيُلجمونهم أشد الإلجام، ويُسكتونهم أيما إسكات، بردود تظهر فيها الحكمة، وحسن التخلص مع التربية والتأديب، ومن ذلك: ما رواه (اللالكائي) بسنده عن (جعفر بن عبد الله) قال: جاء رجل إلى (مالك بن إنس) فقال: يا أبا عبد الله: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [طه ٥] فكيف استوى؟ قال: فما رأيت (مالكاً) وجد من شيء كموجدته من مقالته، وعلاه الرحضاء ـ يعني العرق ـ. قال: وأطرق القوم، وجعلوا ينتظرون ما يأتي منه فيه. قال فَسُرّي عن (مالك) فقال: (الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني أخاف أن تكونَ ضالاً). فأمر به فأخرج[2].

١- انظر: (في ظلال القرآن؟ [٢/٩٨٦] ط/دار العلم، ودار الشروق، الطبعة الثانية عشر، سنة ١٤٠٦هـ.

٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي(٣٩٨/٣) نشر دار طيبة (بالرياض). قال المحقق (أحمد سعد حمدان): قال ابن تيمية في الفتاوى (٣٦٥/٥): (ومثل هذا الجواب ثابت عن «ربيعة» شيخ مالك).

وروى (القاضي عياض) في: (ترتيب المدارك)[1]: قال حبيب: كنا جلوساً عند (زياد)[2]، فأتاه كتاب من بعض الملوك، فمدّ مدة، فكتب فيه، ثم طبع الكتاب، ونفذّ به مع الرسول. فقال زياد: ألا تدرون عما سأل صاحب هذا الكتاب؟ سأل عن كفتي ميزان الأعمال يوم القيامة: أمِن ذهبٍ، أم من ورق؟ فكتبت إليه: حدثنا مالك عن ابن شهاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعينه»، وستَرِدُ فَتَعْلَم).

وردت عبارات كثيرى عن الأئمة تدل على كراهية السؤال عمّا لا ينفع السائل، فمن ذلك ما روي عن الإمام أحمد رحمه الله قال: (سألني رجل مرة عن «يأجوج ومأجوج»: أمسلمون؟ فقلت له: أحكمتَ العلم حتى تسأل عن ذا)؟![3].. هذا من جانب ومن جانب آخر نجد بعض الناس لا يُبالون بما يفعلون، ولا يسألون عما يجهلون من أحكام دينهم وأمور دنياهم، فتراهم يتخبطون في مستنقعات الردى، وينزلقون في مزالق الذنب والمعصية، بسبب البعد عن شريعة الله سبحانه وتعالى، وإغفال السؤال عن حكم الله، وحكم رسوله ﷺ في الأعمال قبل القيام بها، مما يؤدي إلى كثرة وقوع الحوادث المخالفة، التي لا أصل لها في الكتاب والسنة.

يقول (ابن رجب) رحمه الله: (واعلم أن كثرة وقوع الحوادث التي لا أصل لها في الكتاب والسنة، إنما هنّ من ترك الاشتغال بامتثال أوامر الله ورسوله، واجتناب نواهي الله ورسوله، فلو أنّ من أراد أن يعمل عملاً سأل

١- [١٢٠/٣] ط/المغربية.

٢- هو: زياد بن عبد الرحمن، أحد تلاميذ الأمام (مالك)، وهو أول من ادخل إلى الأندلس (موطأ مالك) متفقهاً بالسماع منه، ثم تلاه (يحيى بن يحيى).. انظر: (ترتيب المدارك) [١١٦/٣] وما بعدها.

٣- انظر (الآداب الشرعية) لابن مفلح الحنبلي [٧٦/٢].

عما شرعه الله تعالى في ذلك العمل فامتثله، وعمّا نهى عنه فيه فاجتنبه: وقعت الحوادث مقيدة بالكتاب والسنة.

وإنما يعمل العامل بمقتضى رأيه وهواه، فتقع الحوادث عامتها مُخالفة لما شرعه الله، وربما عَسُرَ ردُّها إلى الأحكام المذكورة في الكتاب والسنة؛ لبعدها عنها)[1]، لذا وجب على المرء المسلم أن يتورع عن السؤال الذي لا حاجة له به ولا نفع، وأن يهتم بالسؤآل عن الأمور النافعة التي يُقوّم بحسن القيام بها أَوَدَ أعماله، وأقواله وأحواله، وما يؤدي إلى معرفة ما يجب عليه من أمور عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، مع المحافظة على لزوم الحدود الشرعية، والآداب العلمية عند السؤآل، وليعلم أن العلم سؤال وجواب، وأن حسن السؤال نصف العلم..

* * *

١- انظر: (جامع العلوم والحكم) لابن رجب الحنبلي. ص ٩٤ عند شرحه للحديث التاسع.

موسى بين يدي الخضر عليهما السلام

دروس في أدب الطلب

خالد بن صالح السيف

ربما كانت الكتابة عن العلم الشرعي من حيث كونه ضرورة لاستقامة حياة الأمة بمجموعها وآحادها ـ أمراً مكروراً بَلْهَ مما يستظهر حفظاً من لدن صغار طلاب العلم قبل كبارهم، وإن كان مثل هذا التكرار يحمد ويؤكد عليه إلا أن محاولة جعل هذا المحفوظ «العلم الشرعي» واقعاً يعيشه المتعلم في شتى تصرفاته، آكد في بذل الوسع لتحقيقه، حيث أن مقتضى العلم العمل، والنصوص من صريح القرآن وصحيح السنة متضافرة في هذا الباب، أما الآثار التي تواترت عن سلف هذه الأمة فهي من الاشتهار بمكان. فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا يغرركم من قرأ القرآن ولكن انظروا إلى من يعمل به»، وقال مالك بن دينار رحمه الله: «تلقى الرجل ما يلحن حرفاً وعمله لحنٌ كله». كما أن العلماء عنوا بهذا عناية فائقة سواء بإفراد مصنف مستقل كالخطيب البغدادي رحمه الله في كتابه «اقتضاء العلم العمل».

أو بتضمين الكتاب باباً كما هو الحال عند ابن عبد البر في كتابه «جامع بيان العلم وفضله» حيث عقد: «باب جامع القول في العمل بالعلم».

أو بتناوله مبثوثاً في تضاعيف الكتاب كصنعة ابن رجب في كتابه «فضل علم السلف على علم الخلف» وصنعة ابن القيم في كتابه «مفتاح دار السعادة» وغيرهم كثير.

وقبل تجاوز هذه التقدمة دعونا نتأمل قراءة ما خطه ابن جماعة في هذا الشأن حيث كتب: «واعلم أن جميع ما ذكر من فضيلة العلم والعلماء إنما هو في حق العلماء العاملين الأبرار المتقين الذين قصدوا به وجه الله الكريم والزلفى لديه في جنات النعيم، لا من طلبه لسوء نية أو خبث طوية أو لأغراض دنيوية من جاه أو مال أو مكاثرة في الأتباع والطلب»[1].

وبعد: فإن كل الذي سأتناوله في هذه المقالة لا يعدو أن يكون جزءاً من مفردات العلم الشرعي وطلبه إذ الحاجة إليه ملحة في أيامنا هذه حيث «الجثو على الركب.. ومجالسة الأشياخ» ظاهرة تستدعي أنسَنا واحتفالنا ومن قبل الاطمئنان على مسيرة هذه الصحوة المباركة وهي آخذة بهذا المسلك الذي يفضي بها إلى استقامة في المنهج، مع رسوخه في ثوابته؛ حيث مصدرية التلقي ـ الكتاب والسنة ـ وسلامة الاستدلال «وفق فهم السلف».

فالجزئية التي سأجيء عليها هي جملة من آداب الطلب قصرتها على ما كان بين موسى والخضر عليهما السلام في القصة الشهيرة التي جاءت في سورة الكهف، وحديث أبي ابن كعب الطويل بأطرافه[2] ولم أرد استيفاء الآداب عامة فذلك له مفرداته في التأليف وقد كُفينا المؤونة[3].

لماذا أدب الطلب:

أجمل الإجابة عن هذا السؤال المشروع الشيخ بكر أبو زيد بالقول: بأن الآداب «تهذب الطالب، وتسلك به الجادة في آداب الطلب وحمل العلم وأدبه مع نفسه، ومع مدرسه، ودرسه وزميله، وكتابه وثمرة علمه، وهكذا في مراحل حياته». وإن غاب هذا الأدب في مراحل حياة الطالب كلها تكون «نواقضها

مجموعة آفات فإذا فات أدب منها اقترف المفرط آفة من آفاته فمقلّ ومستكثر، وكما أن هذه الآداب درجات صاعدة إلى السنة فالوجوب، فنواقضها دركات هابطة إلى الكراهة فالتحريم»[٤] وهكذا ندرك الأسباب التي دفعت علماء الأمة من السلف إلى الاعتناء بشأن أدب الطلب في مقدمات كتبهم ـ فضلاً عما أفرد ـ وتأكيدهم على ذلك بفواتح دروسهم وما خبر تخصيصهم لدروس مستقلة في هذا يستهلون بها حلقاتهم بأمر خفي.

لست أدري.. أتقوم قائمة لعلم بتجرد طلابه من أدب الطلب؟ أم ثمة علم نافع لا يورث أدباً!! والإجابة عن كلا التساؤلين؛ بالنفي.

فللعلم عند أهله صيانّه وقد روى الخطيب رحمه الله تعالى بسنده عن حمدان بن الأصبهاني قال: «كنت عند شريك، فأتاه بعض ولد المهدي فاستند إلى الحائط وسأله عن حديث، فلم يلتفت إليه، فأعاد عليه، فلم يلتفت إليه. فقال: كأنك تستخف بأولاد الخلافة، قال: لا، ولكن العلم أزيد عند أهله من أن يضيعوه. قال: فجثا على ركبتيه، ثم سأله، فقال: شريك: هكذا يُطلب العلم»[٥].

للعلم.. رحلة ومجاهدة:

لم تكن رحلة موسى عليه السلام إلا أثراً لما كان منه هو، إذ أنه كان «في ملأ من بني إسرائيل إذ جاءه رجل فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى: لا. فأوحى الله إلى موسى: بلى عبدنا خضر. فسأل موسى السبيل إليه. فجعل الله له الحوت آية،..» هذا عند البخاري وعند مسلم[٦] من وجه آخر عن ابن اسحاق بلفظ: «ما أعلم في الأرض رجلاً خيراً أو أعلم مني» فمجيء هذه الرحلة رغبة في الاستزادة من العلم وحثاً على التواضع وحرصاً على طلب العلم «وليس قول موسى عليه السلام: أنا أعلم. كقول آحاد الناس مثل ذلك ولا نتيجة قوله كنتيجة قولهم فإن نتيجة قولهم العجب والكبر، ونتيجة قوله المزيد من العلم

والحث على التواضع، والحرص على طلب العلم»[7] كما أنها ـ الرحلة ـ وحي أوحاه الله إليه من بعد أن «عتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك»[8] فالرحلة في مجملها استجابة لأمر الله تعالى، وإيقافاً لموسى عليه السلام على ما لم يقف عليه من قبل مع ما ذكر سلفاً من الاستزادة من العلم والحث على التواضع والحرص على الطلب إضافة إلى جملة الآداب التي أصبحت هدياً لمن سلك فجاج العلم أو سمتاً لهم.

لقد جاءت الرحلات في طلب العلم اقتفاء لأثر موسى في رحلته التي خلدها القرآن الكريم، واستتبعتها السنة مسلكاً شرعياً، وأثر هذا باقياً على وجه أخص عند سلف هذه الأمة رضي الله عنهم؛ بمجرد تصفحك لكتاب الخطيب للبغدادي «الرحلة في طلب الحديث»[9] تظفر بعدد من الرحلات تبين علو الهمة في استسهال وعورة الجادة؛ وتكبد مشاق وعثاء السفر، وائتلاف الغربة. كل ذلك التماساً للعلم ورغبة في أن يسهل الله به طريقاً إلى الجنة وفي هذا المبتغى ودونه خرط القتاد.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ما أنزلت آية إلا وأنا أعلم فيما أنزلت ولو أني أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل والمطايا لأتيته»[10].

ومن أشهر الرحلات رحلة جابر بن عبد الله رضي الله عنه - رواها مسلم في كتاب الجنة، (ج ٤ رقم الحديث: ٥٦). ورحلة أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه - رواها مسلم في كتاب البر، (ج ٤ رقم الحديث: ٥٨). وكلاهما في رحلتيهما لسماع حديث واحد.

وثمة آثار عند سلف هذه الأمة جاءت لتأكيد أمر الرحلة في طلب العلم عامة والحديث خاصة وتجدها مبسوطة في سفر الخطيب البغدادي: «الرحلة في طلب الحديث» وأنظرها عند ابن الصلاح في علوم الحديث، وعند العراقي في شرح

ألفيته، وأيضاً عند السيوطي في التدريب.

الخطيب البغدادي..ومجمل الآداب:

نبدأ أولاً في «عملية جمعنا» للآداب التي نستفيدها من قصة موسى والخضر عليهما السلام بالخطيب وقد أجملها بقوله: «قال بعض أهل العلم، إن فيما عاناه موسى من الدأب والسفر والصبر عليه من التواضع والخضوع للخضر، بعد معاناة قصده، مع محل موسى من الله وموضعه من كرامته وشرف نبوته دلالة على ارتفاع قدر العلم، وعلو منزلة أهله، وحسن التواضع لمن يلتمس منه ويؤخذ عنه، ولو ارتفع عن التواضع لمخلوق أحد بارتفاع درجة وسمو منزله لسبق إلى ذلك موسى، فلما أظهر الجد والاجتهاد والانزعاج عن العطن، والحرص على الاستفادة مع الاعتراف بالحاجة إلى أن يصل من العلم ما هو غائب عنه دل على إنه ليس في الخلق من يعلو على هذه الحال ولا يكبر عنها»[١١].

السعدي.. ومفصل الآداب:

ويجيئ من بعد الحافظ البغدادي العلامة السعدي ليفصّل هذا المجمل ويزيد في استقراء الفوائد والأحكام والقواعد؛ أقتصر منها على ما يخص هذه المقالة بتصرف يسير[١٢]:

١- فضيلة العلم والرحلة في طلبه وأنه أهم الأمور: رحل موسى عليه السلام مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك.

٢- البدء بالأهم فالأهم، فإن زيادة العلم وعلم الإنسان أهم من ترك ذلك، والاشتغال بالتعليم دون تزود من العلم والجمع بين الأمرين أكمل.

٣- أن المسافر لطلب العلم أو جهاده أو نحوه، إذا اقتضت المصلحة الإخبار بمطلبه وأين يزيد فإنه أكمل من كتمه. لأن في إظهاره، فوائد من الاستعداد

له، واتخاذ عدته، وإتيان الأمر على بصيرة، وإظهار الشوق لهذه العبادة الجليلة كما قال موسى: **﴿لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً﴾** [الكهف ٦٠]،.

٤- أن المعونة تتنزل على العبد على حسب قيامه بالمأمور به، وأن الموافق لأمر الله يعاني ما لا يعانيه غيره لقوله: **﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾** [الكهف ٦٢]. والإشارة إلى السفر المجاوز لمجمع البحرين، أما الأول، فلم يشتك منه التعب ـ مع طوله ـ لأنه هو السفر على الحقيقة. وأما الأخير، فالظاهر أنه بعض يوم؛ لأنهم فقدوا الحوت حين آووا إلى الصخرة.

٥- التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب لقول موسى عليه السلام: **﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً﴾** [الكهف ٦٦]، فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، أي: هل تأذن في ذلك أم لا؟ وإقراره بأنه يتعلم منه بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر الذين لا يظهرون للمعلم افتقارهم إلى علمه، بل يدّعون أنهم يتعاونون هم وإياه، بل ربما ظن أحدهم أنه يُعلم مُعلمه، وهو جاهل جداً، فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلى علمه من أنفع الأشياء للمتعلمين.

٦- إن تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يتمهر فيه يكون ممن مهر فيه ـ وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة ـ فإن موسى عليه السلام وهو من أولي العزم من المرسلين الذين منحهم الله، وأعطاهم العلم من العلم ما لم يعط سواهم، فعلى هذا لا ينبغي للفقيه المحدث إذا كان قاصراً في علم النحو أو الصرف، أو نحوهما من العلوم أن لا يتعلم ممن مهر وإن لم يكن محدثاً ولا فقيهاً.

٧- إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى، والإقرار بذلك، وشكر الله بقوله: **﴿تعلمن مما علمت﴾** [الكهف ٦٦]، أي مما علمك الله تعالى.

٨- أن العلم النافع هو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطريق الخير، وتحذير عن طريق الشر، أو وسيلة لذلك فإنه من العلم النافع، وما سوى ذلك فإما أن يكون ضاراً؛ أو ليس منه فائدة لقوله: **﴿أن تعلمن مما علمت رشداً﴾** [الكهف ٦٦].

٩- أن من ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم، وحسن الثبات على ذلك ليس أهلاً لتلقي العلم، فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه أدرك به كل أمر سعى إليه لقول الخضر: **﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾** [الكهف ٨٢].

١٠- الأمر بالتأني والتثبت وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء حتى يعرف ما يراد منه وما هو مقصود.

١١- أن المعلم إذا رأى المصلحة في إيعازه للمتعلم أن يترك الابتداء في السؤال عن بعض الأشياء، حتى يكون المعلم هو الذي يوقفه عليها فإن المصلحة تتبع، كما إذا كان فهمه قاصراً، أو نهاه عن السؤال عن دقيق الأشياء التي غيرها أهم منها، أو لا يدركها ذهنه، أو يسأل سؤالاً، لا يتعلق بموضع البحث.

١٢- أن الإنسان غير مؤاخذ بنسيان، لا في حق الله ولا في حقوق العباد لقوله: **﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾** [الكهف ٧٣].

١٣- إنه ينبغي للإنسان أن يأخذ من أخلاق الناس ومعاملاتهم العفو وما سمحت به أنفسهم، ولا ينبغي له أن يكلفهم ما لا يطيقون، أو يشدد عليهم ويرهقهم فإن هذا مدعاة إلى النفور منه والسآمة؛ بل يأخذ المتيسر ليتيسر له الأمر.

١٤- وفي القصة تبدو القاعدتان الكبيرتان الجليلتان التاليتان:

□ الأولى: وهي أنه: «يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير» وتراعي أكبر المصلحتين بتفويت أدناهما، فإن قَتْلَ الغلام شر، ولكن بقاءه حي يفتن أبويه

عن دينهما أعظم شراً منه، وبقاء الغلام من دون قتل، وعصمته وإن كان يظن أنه خير، فالخير ببقاء دين أبويه وإيمانهما خير من ذلك، فلذلك قتله الخضر، وتحت هذه القاعدة من الفروع والفوائد، ما لا يدخل تحت الحصر، فتزاحم المصالح والمفاسد كلها داخل في هذا.

□ الثانية: وهي أن «عمل الإنسان في مال غيره إذا كان على وجه المصلحة وإزالة المفسدة أنه يجوز ولو بلا إذن حتى ولو ترتب على عمله إتلاف بعض مال الغير، كما خرق الخضر السفينة لتعيب فتسلم من غضب الملك الظالم.

١٥- استعمال الأدب مع الله تعالى في الألفاظ: فإن الخضر أضاف عيب السفينة إلى نفسه بقوله ﴿**فأردت أن أعيبها**﴾ [الكهف ٧٩] وأما الخير فأضافه إلى الله تعالى لقوله: ﴿**فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك**﴾ [الكهف ٨٢].

ابن حجر: ودقيق الاستنباط:

ونتنهي عند الحافظ ابن حجر[١٣] في دقيق استنباطه لننقل ـ كما فعلنا مع سابقيه ـ عنه بشيء من التصرف من آداب الطلب مع الحرص على تجاوز التكرار:

أولاً: الترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم لأن ما يغتبط به تُحْتَمَلُ المشقة فيه، ولأن موسى عليه الصلاة والسلام لم يمنعه بلوغه من السيادة المحل الأعلى من طلب العلم وركوب البحر لأجله.

ثانياً: التنبيه لمن زكّى نفسه أن يسلك مسلك التواضع ولزومه في كل حال.

ثالثاً: أن الأنبياء ومن دونهم لا يعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله، إذ لو كان الخضر يعلم كل غيب لعرف موسى قبل أن يسأله كما في: فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى.

رابعاً: وجوب التأني عند الانكار في المحتملات، فإن الذي فعله الخضر ليس في

شيء مما يناقض الشرع، وإن نقص لوح من ألواح السفينة لدفع الظالم عن غصبها ثم إذا تركها أعيد اللوح؛ جائز شرعاً وعقلاً، ولكن مبادرة موسى بالإنكار بحسب الظاهر، وقد وقع ذلك واضحاً في رواية أبي اسحق التي أخرجها مسلم ولفظه: «فإذا جاء الذي يشرها فوجدها منخرقة تجاوزها فأصلحها. أما قتله الغلام فلعله كان في تلك الشريعة. وأما إقامة الجدار فمن باب مقابلة الإساءة بالإحسان والله أعلم».

وأخيراً.. ﴿فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام ٩٠]

وعقب هذه الحصيلة المباركة من الدروس ـ في أدب الطلب ـ التي استنبطها علماؤنا «البغدادي، وابن حجر، والسعدي» رحمهم الله جميعاً من قصة موسى عليه السلام والتي جاءت في مجموعها مصابيح يستضيء بها أبناء أمتنا على امتداد طريقهم في طلب العلم الشرعي، حيث الأمر في قوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾ [الأنعام ٩٠]، «وموسى عليه السلام منهم فتدخل أمة النبي ﷺ تحت هذا الأمر إلا فيما ثبت نسخه»[١٤].

وحسبي من هذه المقالة ـ التي كنت فيها جامعاً ليس غير ـ أن تجد هذه القصة بدروسها المستفيضة عناية من لدن المشتغلين بالعلم الشرعي، وطلابهم والتأكيد على درسها وتدريسها في حلقة العلم حيث المساجد، وفي المدرجات حيث المدارس والجامعات.

وإن كنت أُذكِّر في هذا السياق أن ثَمَّ دروساً في أدب الطلب كثيرة ـ يجمعها من قبل هدي المصطفى ، وما كان من أصحابه بين يديه، وما كان أيضاً من تابعيهم بين أيديهم وهكذا فيمن جاء من بعدهم استناناً بمسلكهم.

وأخيراً.. فلا ريب إن دروساً لم تزل بعد مكتنزة في ثنايا «قصة موسى مع

الخضر عليهما السلام» ولعلنا نعدم من يبدأ من حيث انتهى علماؤنا «فكم ترك الأول للآخر من شيء».

الهوامش:

١- تذكرة السامع والمتكلم ص ١٣ .

٢- أخرجه البخاري في كتاب العلم من «صحيحه» وأخرج أطرافه في مواضع كثيرة منه (انظر الفتح ٢٦٣/١) وأخرجه مسلم في كتاب «الفضائل من صحيحه» (انظر شرح النووي ١٣٥/١٥).

٣- حلية طالب العلم بكر ابو زيد ص ٥ الهامش.

٤- المصدر نفسه ص ٤ .

٥- الجامع لأخلاق الرواي وآداب السامع ١٩٨/١ .

٦- هامش ٢ .

٧- من كلام لابن المنير نقلاً عن الفتح ٢٦٥/١ .

٨- انظر هامش ٢ .

٩- ربما تملكك العجب إذا علمت أن الحافظ البغدادي في هذا الكتاب إنما خصه في الرحلة من لدن أهل الحديث لطلب الحديث الواحد، فأي مجلدات سيبلغ هذا الكتاب لو أراد الرحلة في طلب الحديث جملة؟

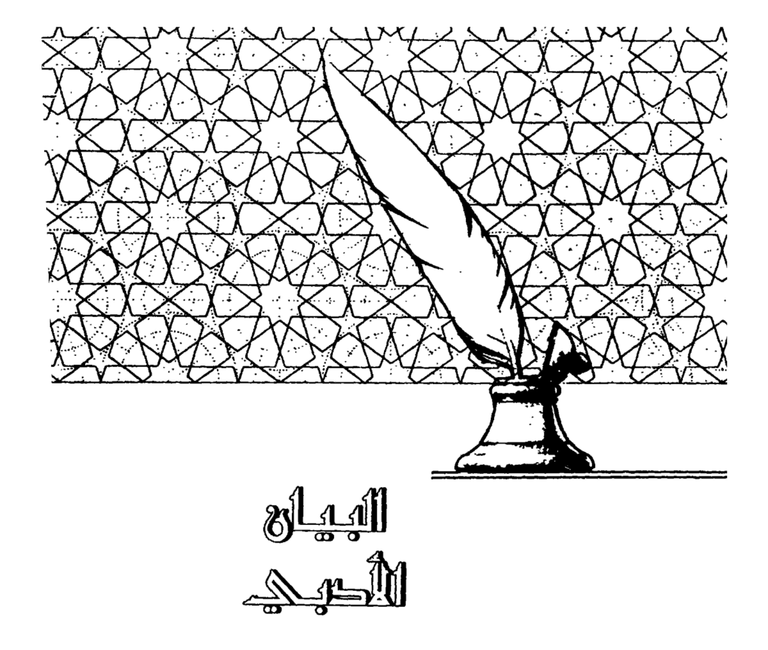
١٠- البخاري في فضائل القرآن ١٨٦/٦، مسلم في الفضائل ١٤٨/٧ .

١١- الخطيب في مرحلة ص ١٠٧ .

١٢- العلامة السعدي.

١٣- فتح الباري ٢٠٣/١،٢٠٤،٢١٠،٢٦٨ .

١٤- فتح الباري ٢١٠/١ .



البيان الأدبي

- نوافذ الوجع في ديوان (صراع مع النفس)

- صرخة ألم في وجه الأمّة..

- سراي ايفو ... سرايفو

نوافذ الوجع في ديوان «صراع مع النفس»*

بقلم: محمد شلّال الحناحنة

كيف نحدد الحزن على خارطة المشاعر.. كيف نرنو لسروة الروح ودمنا يتصفّدُ حاراً في العروق؟! كيف نهزُّ تفاحة الشعر لنقترب من الأرض، ونؤاخيها بدلاً من أن نؤطِّر الصراع معها؟! لِمَ ننزف هذا الشجى فجأة لنقطف وردة، أو نؤلب أبجدية النفس لمزيد من صفاء الفكر؟!

هذا ما فاح عليّ أثناء قراءتي لديوان: «صراع مع النفس» لشاعرنا الدكتور عبد الرحمن صالح العشماوي. هذا الديوان يجعلك تلّوح من بعيد لأزهار الأسئلة، تنتفض كطائر جريح أمام حسرة الفجائع، إنه الألم المترع بالآهات والعذابِ وهو بعد ذلك غصة تمتطي القلب:

«وتلك بعض نفسي

في فرحتي وبؤسي

* صراع مع النفس: للشاعر الدكتور عبد الرحمن صالح العشماوي.

تــدّق مــن ألحانــهــا
لحزنــهــا بــجــرسٍ
كـتـبـتـهـا (قـصـائـداً)
لـتـسـتـريـح نـفـسـي»

هذا الحزن الصافي الذي ينشده عبد الرحمن العشماوي لا يرتطم بعبثية الموقف، ولا يندحر أمام «مازوخية» مرضيّة في تعذيب الذات كما تحطمت نفسيات كثير من الشعراء التائهين الضالين بين لجج الفكر المنحرف المستهلك، وهو بعد ذلك لا يروم في حزنه عبر ضبابية تنصهر على مذابح السريالية.

إنه يستدرك التساؤل المرير عن سرّ صراعه وألمه:

«لكنني بشريعتي أحيا على درب اليقين
أنا عاشق للقمة الشماء للحبل المتين
لكتابي السامي ويكفيني به شرفاً ودين»

أليست هذه الأوبة، أوبة الواثقين المتمسكين بحبل الله المتين، أليس هذا العشق عشقاً لليقين، عشقاً للمعاني الخالدة، والقيم الإسلامية المثلى.

حقاً ما كان هذا صراعاً بقدر ما هو مشاعر إسلامية تتوثب، كان أحلاماً جميلة واثقة تترعرع، وحنيناً متوقداً لشرفات الفضيلة، وعزماً يؤوب إلى الخلود:

نــهــوى شــبــابــاً شــاعــريَّ ... الحسّ مــوفــور الحنــيــن
مــتــوقــد الــعــزمــات ذا ... شــرف وذا خــلــق وديــن
يــعــلــو بــديــن الــلــه فــي ... صــف الــرجــال الخالــديــن

إنها الانطلاقة نحو عزيمة صادقة، تتدفق بالأحاسيس الواعدة، شمماً وتشهد لهذا الشمم، غايات تفضي إلى غايات خصيبة:

«ومشاعر الإيمان تسقي أرض أحلامي الخصيبة
فمضيت ادعو أمتي لترد أوطاني السليبة
يا أمتي سيري فكأس النصر دانية خصيبة»

أما رموزه فهي شفيفة قريبة قرب الندى لشفاه الورود، وقرب الفكر الإسلامي لفطرة الإنسان، فيها بساطة متميزة، ويقظة صادقة لجراح دفينة، فتلك شجرة لوز مخضرّة ندية العود، إلا أنه لا يلبث أن يعريها الظمأ والغياب عن ذبول ويياس:

«أسقطت أغصانك الخضراء أحداث الدهور
وتوارى حسنك المحبوب في ظل العصور
لم تعودي بسمة الروض وهيفاء الغدير
أين أغصانك ذات الرقص في عز الجذور
هكذا استسلمت في يأسٍ فأيقظت شعوري
وأسلت الدمعة الحسناء من جفني الكسير
هكذا ذكرتني بالخالق الحي القدير»

هكذا ينزُّ الوجع عبر هذه المعادلة المرة، هذه المعادلة التي صاغها شاعرنا متوجعاً ومستشرفاً رموزه المغرقة بالأنين، إنه وحدة المصير للكائنات الحية جميعاً، ولكن الإنسان بما منحه هذا الخالق المبدع من تكريم وتقدير هو المعني الأوحد بهذا المصير، أما بقية المخلوقات فسخرها الرحمن بشكل أو بآخر لهذا الإنسان الذي كرّمه ونعمه! وإن كان الموت نهاية هذا الوجود

الدنيوي، وهو مقدمة لما بعده من حياة أخرى، فما بالنا نتكالب على الحياة الفانية ونعرض عن الحياة الخالدة، أو ليس هذا ظلماً لأنفسنا، وهل بعد هذا الظلم من ظلم!!

وتمضي القصائد في اقتناص دهشتها من عصارة القلب، ناشرة حسرتها ولواعجها المؤلمة، إلا أنها أخيراً تركن إلى مجد هذا الدين، وتأوى إلى عالم الأسرار:

«لا تـسـألـي عـن ضـيـق صـدري
أنـا مـغـرمٌ بـخـلاص أسـري
أفـضـي وإيمـانـي قـريـنـي
والـهـدايـة رأس أمـري
أنـا لـسـت إلّا مـؤمـنـاً
بـالـلـه فـي سـري وجـهـري»

نسمات من الإيمان يعزفها شاعرنا العشماوي، وذكريات حزينة رهيفة يرويها بعطر دمه، فتتوهج الضلوع ببوح شفيف عبر قصائده، ويوشوش بخواطره الدافئة أغصان القلوب، وهي تُجَدِّفُ لبثٍّ عبيرها الإيحائي من خلال صور شعرية مكثفة ونابضة بالحياة، يرفُّ مع رفيف طيور الأسى، ويشدد للشمس أوجاعه وآلامه الحرّى:

«فابسمي يا شمس للولهان
لـلـقـلـب الـكـئـيـب
كـل نجـم سـوف يـغـفـو
بـين أحـضـان المغـيـب».

صرخة ألم في وجه الأُمّة...

فيصل محمد الحجي

ربّي خيولَكِ في بُحْبُحةِ الرغد
لا ترصديها ليوم الحرب واقتصدي
وارمي سيوفَكِ كي يقتاتَها صَدَأ
فالفارسُ الشهمُ للهيجاءِ غيرُ صَدِ[1]
لا تعجبي.. فـ(صلاحُ الدين) مِنْ غدِنا
قد استقال.. لكي نحيا بدون غد
ألقى الولاءَ لـ(أرناطٍ) وقال له:
جَرِّدْ حُسامَكَ واحْمِ الأمنَ في بلدي
لا لا تلمنى..فإني اليوم منشغلٌ
بالجمعِ واللهوِ والازواجِ والولدِ
كأنّه ليس مِنْ أحفاد مَنْ وَرَدُوا
غُرَّ المعركِ في بدرٍ وفي أُحُدِ

١- الصدي: العطشان.

يـا أمـتـي مـا أراكِ الـيـومَ سـائـرةً
عـلـى طـريـق الـهـدى والخيـرِ والـرَّشَـدِ

لِمَ ارْتَـخَـتْ بـبني الإسـلام أربـطـةٌ
وَوُثِّـقَـتْ بـذَوِي الـصـلـبـانِ بـالـعُـقَـدِ؟

ولم تَـعُـدْ جـمـعـةُ الإسـلامِ تجـمـعـنـا
إلا إذا شـاءَ أهـلُ الـسـبـتِ والأَحَـدِ

فـأيّ عِـرْقٍ إلـى الـكـفَّـار تـنـسـبنا؟
(بوش) بن قحطان؟ أم (متران)[1] سبط عدي[2]؟

غـدا الأذانُ غـريـبـاً فـي مـسـاجـدنـا
كـأنّـه الـيـومَ يـدعـونـا إلـى الـفَـنَـدِ

كـيـف اقـتـدائـي؟..وفـي المحراب مـنـتـصـبـاً
(شـامـيـرُ) يـقـرأ فـي تـلـمـوده الـنَّـكِـدِ؟

مـا لـي أراك إلـى الأعـمـاقِ هـاويـةً؟
يـا أمـتـي فـكّـري فـي الأمـرِ واتـئِـدي

فـمـا تـقـدمـتِ إلّا لـلـوراءِ.. ومـا
عـلـوتِ إلّا لـقـاع الـذُّل والـنَّـكَـدِ..

مـا أنـتِ والـعُـقْـمُ يـا عـربـاء فـي زمـنٍ
لم تحـمـلـي فـيـه أبـطـالاً ولم تـلـدي؟

لا (الـسـمـحُ)[3] يـزحـف في وجـه الـغـزاة غـداً
ولا (الـرشـيـدُ) يـردُّ الـكـيـدَ عـن بـلـدي

١- متران: رئيس فرنسا.

٢- عدي: بطن من بطون قريش ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٣- السمح بن مالك الخولاني من قادة الفتح الإسلامي.

يُظلّني الموتُ إحساساً.. فإن سَلِمَتْ
ظهري من الطعنِ..لم أسلمْ من الكَمَدِ
كأن كلَّ هموم الأرض قد جَمَعَتْ
أشواكَها الحُمْرُ والنيرانَ في كبدي
ركعتِ للروم بعد الفرس راغمةً
لو قُمْتِ بالسيفِ لم تعني لمضطَهدِ
فإن تمخَّضَ ضِرْغٌ.. فاز قيصرُهم
بالزُّبْدِ.. وانشغل الأعراب بالزَّبَدِ
أجدادنا الشُّمُّ بالأقدام قد وَطِئوا
هامَ الفراعينِ أَهْلِ العزِّ والعَدَدِ
لأنتِ أعظمُ أهلِ الأرض قاطبةً
لو عُذْتِ معتَّزةً بالواحد الصمد
* * *
أظلُّ رغمَ اربدادِ الليل منتظراً
فجرَ البشائرِ في أثوابها الجُدُدِ
ما دام قرآنُ ربِّي في مؤانستي
وسُنَّةُ المصطفى الغرّاءُ في خَلَدي
وفتيةٌ قِلَةٌ في الناس قد نَهَدُوا
لكل حربٍ.. وعافوا عيشةَ الرَّغَدِ..
طوفانُ نوحٍ أراح الأرضَ من دَنَسٍ
ونحن طوفانُنا المأمولُ فجر غد
* * *

سراي ايفو.. سرايفو

محمود السّيد الدغيم

سراي ايفو سرايفو!!

لقد أسقطتِ عن كلِّ اللئام ـ الشُّمِّ ـ أقنعةً تُستِّر مارقاً جَمَحَ
وبانتْ عورةُ القادةْ
وبان القبحُ وانفضحَ
وسادتْ محفل السادةْ
تفاهاتٌ تناستها طلائعُنا، وعافتها ثقافتنا
وغلفها ظلامُ الليل عقب الليلِ والليلِ
فقد كُنَّا وما زلنا مشاةً نحفر السّفحَ الذي جُرِحَ
بأقدام الحفاة، الأرضُ تعرفنا
ونعرفها إذا سرنا، وفرّ القائدُ المشبوه وانفضحَ
وتجهل قادةً قادوا على الخيل، تقاذفهم قوي الموج من سيل إلى سيلِ
وما اكترثوا بما عانتْ حرائِرُنا!! من الآلام والويلِ
لقد صرختْ حرائرنا وما سمعوا
أصمَّ السادةَ الصممُ، وراودهم على أعراضنا الطمعُ

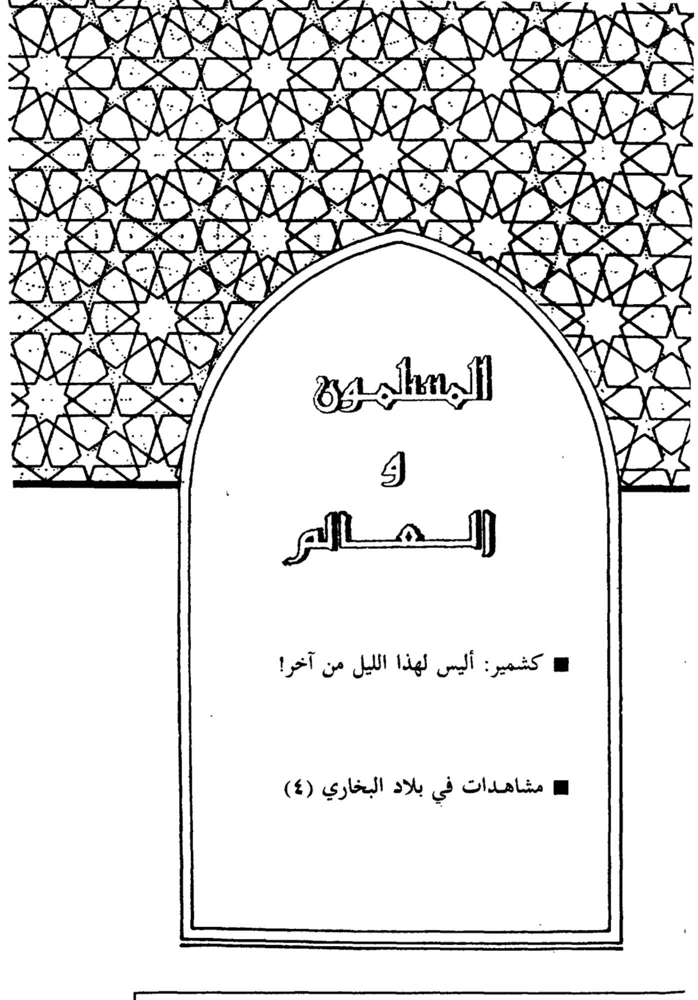
فما سمعوا صراخ الطفل والغادةْ
لأن الأمر لا يعني سيادتَهمْ ، ولا يلغي قيادتهمْ
أتلك شمائل السادةْ ؟؟ أتلك شمائل القادة ؟؟

* * *

سراي ايفو سرايفو

سرايفو عروسُ العصرِ تُغتصبُ، وتهتك عرضها النُّوبُ
على مرأى دُعاة العدلِ، يا اسلامُ! يا عربُ!!
يُدنِّسُ عرضها الكرواتُ والصِّربُ
ويقهرها بجامعها بمسجدها صليبيٌّ يهوديٌّ تزينُ صدره الأنواطُ والرُّتَبُ
وأوْرُبا ـ بلاد العلمِ ـ تُغْمِضُ عينها قصداً لأن الأمر يعنينا
ولا يعني رعاياها
لأن الأمرَ يخدمُها ويُفرِحها، يُخدِّرُنا ويوقِظُها
وتغدو ـ بعدما اغتُصِبَتْ سرايفو ـ عروسُ المجد حاضرةً بلا إسلام تصبح من سباياها، ويصبح شعبُها سبياً تقاسَمُهُ رعاياها
وأرض العُرب والإسلام حاصرها جنود وسائلِ الإعلامِ
والتَّضليلِ والتَّدجيل فانتشرتْ ضحاياها
أماتوا الحِسَّ واغتالوا شهامتنا، كما اغتالوا بطولتنا
كما اغتالوا كرامتنا، فلا عشنا ولا متنا
وخدَّرنا بريقُ وسائل الإعلام وانتصرتْ إرادتُهُمْ، فما ضمدمت إرادتنا
لقد هُزمتْ قواعِدُنا ـ بحرب وسائل الإعلام فانسحبت ـ كما هُزمتْ قيادتُـ
وما قنعتْ أعادينا بما خسرتْ قبائلُنا
بما عانتْ أرامِلُنا
بما ذاق اليتيم الراحل المحزونُ من ألَمِ
بما عاناه مغلوبٌ يُقاسي وهو مُضْطرِبُ
فأوربا ـ بلاد العلم والتصنيع والنِّقمِ
أمانيها: إذا متنا يعمُّ ربوعَها الطربُ

إذا أعلامُنا طويتْ، وما خفقتْ
إذا شُجعانُنا قُتِلتْ، وما انتصرتْ
إذا أكبادُنا اغتُصِبَتْ، وما انتقمتْ
إذا قواتنا خُذِلتْ، وما نُجِدَتْ
إذا أفكارنا سَقَطَتْ، وما نهضتْ
إذا أحرارنا قُمِعَتْ، وما قَمَعتْ
وعَمَّ الذلُّ وانتشرا، ومزق شرقَنا الغربُ
فروما سوف تغتبطُ
وكي نحيا شروطَ الذُّلِّ تشترطُ
لها في ذُلِّنا أربُ
ولو أخفتْ نواياها
ومهما صَحْبُها كذبوا
لكي يخفوا خفاياها
فقد كانتْ وما زالتْ كأفعى حين تنقلبُ
تصبُ السُّمَّ في أنهار عالمنا
لكي تقضي على الإسلام والسلمِ
إذا أبطالنا هزموا
تؤجَّجُ ضِدَّنا الحربُ
وتُفقأُ كلُّ أعيُننا، ويبدأ سلبنا جهراً بقانون أقرَّ بنودَه الغَربُ
وتبقى خلفنا قصصٌ حكاياتٌ يرددها هدير الموجِ والشطُّ
فيُحيي سخطَنا سخطُ
وتشرب من دم الأطفال رومانُ
وتُنشد جوقة الرومانِ ملحمةً: بروما الآن نَغتبطُ
نقد قُتِلَتْ سراييفو وعنها القادة الأنذالُ قد هربوا
صلبناها كصلب القدس والأحزابُ تحتربُ
كذا: فليُصْلَبِ الصَّلبُ.

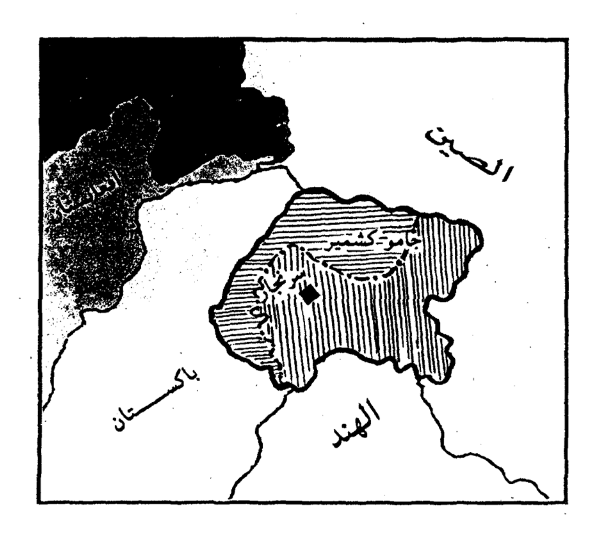

المسلمون
و
العالم
■ كشمير: أليس لهذا الليل من آخر!
■ مشاهدات في بلاد البخاري (٤)

كشميـــــر:
أليس لهذا الليل من آخر!

د. يوسف الصغير

الموقع والسكان:

تقع ولايتي «جامو» و«كشمير» شمال شبه القارة الهندية الباكستانية، وحدودها متاخمة لخمس دول وتحدها باكستان من جزء من شمالها الغربي، ومن غربها، ومن جزء من جنوبها الغربي بطول ٧٠٠ ميل تقريباً، وتحدها الصين في جزء كبير من شمالها ومن شرقها، ومن جزء صغير من جنوبها الشرقي وتحدها الهند في جزء من جنوبها بطول ٢٠٠ ميل تقريباً، وتبلغ مساحتها «٨٤٤٧١» ميلاً مربعاً، وهي بلاد جبلية فيها سهلان؛ أو واديان هما وادي جامو، ووادي كشمير، وهي طيبة المناخ، كثيرة الأنهار والغابات، وتنبع منها الأنهار التي تروي باكستان، وهي أنهار السند وجيلم وجناب، وكان الاسم العربي القديم لها هو: «سقف الدنيا» ويتجاوز عدد سكانها «١٢» مليون نسمة ٨٥٪ منهم مسلمون، وهم أغلبية في جميع المناطق حيث تبلغ نسبتهم ٩٠٪ في وادي كشمير أما في منطقة جاجيت فتبلغ نسبتهم ١٠٠٪، وأشهر القبائل: الشيخ، والسيد، والمغول، والباتان، وهي إسلامية، أما قبائل الهندوك فأشهرها: بانديت، وريشي، وقبائل البانديت متعصبون للبرهمية، ومنهم رئيس الوزراء



خريطة كشمير الحالية

- القسم الذي تحتله الهند
- القسم الذي تسيطر عليه باكستان
- خط وقف إطلاق النار

الهندي السابق جواهر لال نهرو، ولغتهم خاصة بهم لا تشبه اللغات الهندية، وهي قريبة من الفارسية.

دخول الإسلام:

على الرغم من دخول المسلمين الهند، وحكمهم إياها؛ فإن دخول الإسلام إلى كشمير تأخر بسبب مناعتها، ولكن ملكها البوذي «دنجن شا» اعتنق الإسلام على يد أحد الدعاة، وتسمى باسم «صدر الدين» وحكمها الملوك من أبناء كشمير من سنة ١٣١٠م حتى سنة ١٥٥٢م، ثم جاء حكم المغول المسلمين فاستمر حتى سنة ١٧٥٢م، ثم حكمها الولاة الذين يعينون من أفغانستان، ولما ضعف الحكم الإسلامي في الهند واتسع نفوذ الإنكليز فيها أقام السيخ فيها دولتهم في البنجاب وغزوا كشمير، وأخضعوها، واستمر حكم السيخ لكشمير «٢٧» عاماً من سنة ١٨١٩م حتى سنة ١٨٤٦م، وكان عهدهم أسوداً حيث ساموا المسلمين الخسف وأذلوهم، وارتكبوا أبشع صور الظلم والجور، وما إن حل العام ١٨٤٦م حتى كان الإنكليز قد أحكموا سيطرتهم على الهند، فطردوا الحكام السيخ من هذه الولاية ليبدأ فصل جديد من فصول الظلم والقهر، حيث قام الإنكليز ببيع كشمير مع سكانها لأحد الاقطاعيين من منطقة جامو واسمه «غولاب سنغ» وهو من قبائل الدوجره الهندوسية ـ بمبلغ سبعة ملايين وخمسمائة ألف نانك شاهي، ولم تتجاوز قيمة الفرد من الشعب سبع روبيات، وكان البيع لمدة ١٠٠ سنة، على أن تنتهي في العام ١٩٤٦م، ويعرف عقد البيع هذا بمعاهدة «أمرتسار» بين «غلاب سنغ» والحاكم البريطاني «اللورد هادرنغ» ووقع الشعب بأسره فريسة عدة أشخاص من سدنة المعابد، وعبادة الأوثان الذين كانوا يتقلدون جميع المناصب الرئيسية وفي الولاية، وكان المسلمون يجبرون على القيام بأعمال السخرة، ويدفعون أفدح الضرائب، ولم يكن يسمح للمسلمين بحمل السلاح، وكان ذبح البقر ممنوعاً، ولم يكن يسمح للهندوسي أن يعتنق الإسلام إلا إذا تنازل عن كل ما يملك من أرض، وكانت سياسة الحكومة قائمة على التعسف، والظلم وإرهاق الرعية بالضرائب لكي يشغلهم بالبحث عن

قوت يومهم فلا يثورون عليه، وفي سنة ١٩٢٩م بلغت الحالة حداً من السوء دفع أحد كباز وزراء المهراجا إلى الاستقالة، ومغادرة البلاد بعد أن أدلى بالتصريح التالي: «إن دولة جمو وكشمير تعاني الجهل التام والفقر وسوء الحالة الاقتصادية والمعيشية، فأهلها عملياً يُسَيَّرون كالماشية. هنالك أيضاً عزلة الحكومة عن الشعب، وانعدام الفرص لرفع الظلامات للمسؤولين».

في سنة ١٩٣١م حصلت بعض الحوادث التي كان لها أثر كبير في مستقبل كشمير، فقد قامت إحدى البلديات بهدم أحد المساجد القديمة، فقام المسلمون بمحاولة إعادة بنائه، فقامت قوات المهراجا بإطلاق النار عليهم، ومُنِعَ أحدُ الأئمة من إلقاء خطبة الجمعة، ودنس أحد ضباط الأمن الهندوسي القرآن الكريم، وتتالت أحداث العنف، وتدخلت القوات الإنكليزية لدعم المهراجا، وفي منتصف أكتوبر سنة ١٩٣٢م برز إلى الوجود «حزب المؤتمر الوطني الإسلامي» الذي عقد أول مؤتمر له برئاسة الشيخ عبد الله، ومشاركة شودري غلام عباسي، وكان التناقض بين الرجلين واضحاً منذ البداية، فبينما كان الشيخ عبد الله يميل إلى حزب المؤتمر الهندي برئاسة غاندي، ويصادق نهرو مع أن حزب المؤتمر حزب هندوسي في الأصل، وإن دخله بعض المسلمين فهو يسعى إلى إخراج الإنكليز من الهند لإقامة دولة هندوسية، أما شودري فكان يميل إلى جمعية الخلافة (الرابطة الإسلامية) التي أنشأها محمد علي جناح وذلك بهدف إقامة كيان خاص بالمسلمين[1]، وفي النهاية تكون حزبان هما:

الأول: المؤتمر الإسلامي ورئيسه شودري غلام عباس الذي يعكس أهداف الرابطة الإسلامية.

١- إن محمد علي جناح الذي يطلق عليه الزعيم الأعظم هو رجل إسماعيلي المذهب، وينتسب إلى أسرة هندوسية تحولت إلى الإسماعيلية، وكان يدعوا إلى كيان خاص بالمسلمين، ولم يكن يدعوا إلى كيان إسلامي، وعلى الرغم من إنه كان يخطب في الجماهير بالإنكليزية التي لا يعرفها العامة ولم يكن يجيد لغة المسلمين في الهند «الأوردية» فقد لاقت شعاراته «قبولاً» من العامة، وفرض على المسلمين خياراً صعباً، وهو إما الخضوع لدولة الهندوس، أو الاستقلال بدولة لها سيادة تسمى: دولة باكستان الإسلامية، ويحكمها النظام العلماني.

الثاني: المؤتمر الوطني ورئيسه الشيخ عبد الله ويأتمر بأوامر حزب المؤتمر الهندي، وكان شعاره «اخرجوا من كشمير» ويقصد الدوجره، وذلك على غرار شعار حزب المؤتمر الهندي «اخرجوا من الهند» ويقصد بها الإنكليز.

وكان عام ١٩٤٦م حاسماً حيث انقضت مدة بيع كشمير وكانت الصراعات على أشدها من أجل تحديد مستقبل الهند، وتم وضع شودري وعبد الله في السجن، وجاءت أحداث سنة ١٩٤٧م ليخرجا من السجن، ولكن شودري ذهب إلى الباكستان، والشيخ عبد الله خرج من السجن لينال رئاسة الوزراء في الولاية.

كشمير وتقسيم الهند:

وأخيراً تم الاتفاق على تقسيم المناطق التي يحكمها الإنكليز بصورة مباشرة بحيث تتبع مناطق الغالبية الإسلامية لدولة باكستان، وقد أصر الهندوس على تقسيم كل من البنغال، والبنجاب، إلى قسمين قبل الشروع بالتقسيم، ولما وافق محمد علي جناح أخذت الهند البنغال الغربي، والبنجاب الشرقي وكانت الهند مكونة أيام الاستعمار من جزئين هما:

الأول: جزء يحكمه الإنكليز حكماً مباشراً.

الثاني: ٥٦٥ إمارة يحكمها أمراء من المسلمين، أو الهندوس، وكانت تتمتع بالاستقلال الداخلي، وتحتل هذه الإمارات ٤٥.٣٪ من مساحة شبه القارة الهندية.

ضمن الإنكليز حصول الهندوس على أكبر قدر ممكن من المكاسب، حيث تم تعيين اللورد «مونتباتن» ابن عم الملك في منصب نائب الملك في الهند الذي خطب ـ في مجلس أمراء الولايات الهندية ـ بعد إعلان استقلال المستعمرة خطاباً قال فيه: «للولايات الحرية في الانضمام لأية دولة من الدولتين، ولكنني حين أقول: إن لها حرية الانضمام إلى إحداها أرى لزاماً على نفسي أن أؤكد في الوقت ذاته: أن هناك ضرورات جغرافية لا يجوز أن يُصرف عنها النظر البتة، إذ ليس لكم أن تنؤوا بجانبكم عن حكومة الدولة التي هي جارة لكم، كما ليس

لكم أن تخالفوا رغبة الرعايا الذين تتحملون المسؤولية عن فلاحهم وسعادتهم».
وسرعان ما ذابت الإمارات في الهند، وباكستان بدون مشاكل، ما عدا أربع إمارات هي: كيورتهلة، وجوناكدة، وحيدر آباد، وكشمير.

كيورتهلة: هي إمارة صغيرة يحكمها أمير هندوسي، وأغلبية أهلها مسلمون، ولما كان الأمير يخاف اعتراض المسلمين على رغبته في الانضمام إلى الهند، فقد شن حملة من القتل والتشريد، حتى لم يبق مَنْ يستطيع الاعتراض عليه ثم أعلن الاندماج في الهند.

جوناكده: هي إمارة ساحلية صغيرة، تتصل بباكستان عن طريق البحر، وكان أميرها مسلم وأكثرية أهلها هندوس، فأعلن انضمامه إلى باكستان. فقامت القوات الهندية باجتياح الأمارة، وطردت الحاكم المسلم منها.

حيدر آباد: وتقع في هضبة الدكن وسط الهند ونظراً لكبرها، فقد كان لها وضعاً خاصاً لأن عدد سكانها يزيد على العشرين مليوناً، ومساحتها حوالي ٣٥٠.٠٠٠ كم٢، ولغتها الرسمية كانت الأوردية، وكان الأمير المسلم يرغب في الانضمام إلى باكستان، ولكنه قَدَّر صعوبة ذلك، فطلب الاستقلال، فرفضت الهند، فاقترح الاستفتاء، فأعادت الرفض، ، كما رفضت استفتاء الأمم المتحدة، وقامت بالهجوم عليها في ١٤ أيلول سنة ١٩٤٨م ثم استولت عليها بعد مقاومة ضئيلة.

كشمير: ذكرنا سابقاً أن الهندوس أصروا على تقسيم البنجاب إلى قسمين، بحيث يصبح المسلمون أقلية في أحدهما؛ وهو الشرقي حيث أن غالبية سكانه من السيخ، والهندوس، وقد قام السيخ بحملة وحشية على المسلمين قتل فيها عشرات الألوف منهم، وفي النهاية لم يبقَ للمسلمين وجود في البنجاب الشرقي، أما في كشمير المجاورة فإن المهراجا قام بتمثيل دورين مختلفين هما:
الأول: عقد المهراجا اتفاقاً مع حكومة باكستان في ١٥ آب (أغسطس) سنة ١٩٤٧م تقرر فيه إبقاء الوضع كما هو، أي رجوع إمارة كشمير إلى لاهور، كما كان الأمر في ايام الاحتلال، وظاهر هذا الأمر الاستعداد للانضمام إلى

باكستان.

الثاني: أمر بنزع سلاح المسلمين، وتبع ذلك نزع سلاح المسلمين العاملين في الجيش والشرطة؛ وسمح بتسليح المنظمات الهندوسية، وكانت تلك بداية لعملية الإبادة التي تم فيها قتل الألوف من المسلمين، ونهبت أموالهم وممتلكاتهم، واختطفت بناتهم، وطرد الناجون إلى باكستان، فاشتعلت الثورة في المناطق النائية، ثم انتشرت في كافة أنحاء «جامو» وكشمير، وكانت أخبار الفظائع تصل إلى أسماع المسلمين من رجال قبائل الباتان، فسارعوا إلى نجدة إخوانهم، فعبروا الحدود وأقام السردار إبراهيم حكومة حرة في المناطق المحررة في ٤ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٤٧م وجعل عاصمتها «مظفر آباد» وتمكن المسلمون من إلحاق الهزيمة بجيش «الدوجرة» حتى اقتربوا من «سرى ناجار» ففر منها المهراجا ورئيس وزرائه الشيخ عبد الله وطلب المعونة من الهند، فقامت بتلبية ندائه، وبعث إليه بالذخيرة، وأرسلت مندوباً ليأخذ من المهراجا وثيقة الانضمام للهند حتى تستطيع التدخل، فوقع الوثيقة في ٢٦ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٤٧م.

فأعلنت الهند الموافقة عليها بصورة مؤقتة، وسارعت بإرسال القوات المحمولة جواً، وبدأت مرحلة جديدة من الحرب غير المتكافئة بين المتطوعين المسلمين، وبين قوات الجيش الهندي المدججة بالسلاح، واستمرت الحرب سنة كاملة أحرج خلالها موقف الجيش الهندي، ورفعت الهند الأمر إلى مجلس الأمن، وتوصلت الدولتان الهند وباكستان إلى اتفاق وقف لأطلاق النار قبل منتصف ليلة ١ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٩م بدقيقة واحدة، وصدرت قرارات مجلس الأمن لوقف إطلاق النار، وإجراء الاستفتاء المحايد لتقرير مصير الشعب الكشميري، وفعلاً فقد نفذ الجزء الأول، وهو وقف إطلاق النار، ولم يتم تنفيذ الجزء الثاني حتى الآن.

«يتبع»

مشاهدات في
بلاد البخاري (٤)

د. يحيى اليحيى

مطالب المسلمين في طاجكستان تمثل الاعتزاز بالدين:

لما تمزق الاتحاد السوفييتي تنفس المسلمون الصعداء، وحاولوا إعادة بناء كيانهم، وإظهار تميزهم عن غيرهم من أهل الملل الأخرى، والانضمام إلى كيان الأمة الإسلامية الكبير، لذا قاموا بالاعتصام في ميادين العاصمة (دوشنبيه) وضربوا في الميادين أكثر من أربعمائة وخمسين خيمة، واعتصموا بها ـ على رغم الأمطار والثلوج ـ أكثر من عشرين يوماً من آخر رمضان إلى آخر شوال وقد صلوا العيد في ميدان لينين، مطالبين الدولة بعدة مطالب منها: أن تكون الأحرف العربية هي أحرف الكتابة، وأن يكون الذبح على الطريقة الإسلامية، وأن تكون الجمعة هي إجازة الأسبوع، وأن يكون يوما العيدين إجازة رسمية، وأن يفسح ببناء المساجد وترفع عنها الضرائب إلى غير ذلك من المطالب.

وقد قَدِمْتُ العاصمة وشاهدت بنفسي تجمعات المسلمين وهم يرفعون

راية الله أكبر والنصر لهذا الدين، والناس يؤمون هذه الميادين صفوفاً تتلوها الصفوف من شباب وشيب. وعلى حين يطالب أهل السنة بأن تكون الكتابة بالأحرف العربية فإن الشيعة في أذربايجان يطالبون بأن تكون كتابتهم بالأحرف اللاتينية، وقد أقاموا ندوة حضرها أحد الأخوة من هيئة الإغاثة الإسلامية، قالوا فيها بالحرف الواحد: «إن الحروف العربية لا تناسب النطق والصوت في لغتنا ولا تستطيع تلبية احتاجيات اللغة الأذربيجانية». المسلمون يتظاهرون مطالبين بالأحرف العربية، أما شيعة أذربايجان فيطالبون بالبعد عن الأحرف العربية.

ولا يخفى أن الدول الغربية وعلى رأسها (أمريكا) تسعى للضغط على الجمهوريات الإسلامية كي تكون كتابتهم بالأحرف اللاتينية بدلاً من الروسية، لأنهم يعلمون أن المسلمين لن يقبلوا بالأحرف الروسية بعد تلك السنين العجاف. وقد عرضوا عليهم الإسلام التركي بشقيه العلماني الحاكم والصوفي الشعبي.

حزب العدالة يدل على الاستجابة لهذا الدين:

وقعت في مدينة «نمنكان» في وادي فرغانة من جمهورية أوزبكستان، عدة سرقات للسيارات ولم يعرف السارق، إلا أن هناك تواطؤاً من بعض الجهات. وكشف ذلك شاب من المدينة عندما أعلن عن تشكيل حزب العدالة وانضم إليه قرابة خمسة آلاف شخص، ثم دعا من سرقت سيارة إلى إخبار الحزب عنها، وقام الحزب بالبحث عن السيارات المسروقة وأحضرها لأصحابها بعد تأديب اللصوص، ثم تطور الحزب في مجال الحسبة فبدأ بإغلاق محلات القمار، ثم انتقل إلى منع الخمارات، وبمطالبة النساء بالتستر

ومنع التبرج. إن بلداً ومجتمعاً عاشا سبعين سنة في جو الإلحاد والتهتك ثم قاما بهذه الحركة لدليل على أن مقومات هذا الدين ما زالت تنبض في صدورهم فمن يوقظها ويوجهها الوجهة الصحيحة؟؟

الحرص العجيب على طلب العلم من منابعه الأصيلة:

لقد لمست من تلك المجتمعات حرصاً عجيباً على طلب العلم في المدينة النبوية الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم والمواقف والقصص التي مرت بي أكبر شاهد على ذلك، وأذكر من ذلك قصتين فقط هما:

الأولى: قدمنا إلى مدينة (دوشنبيه) يوم الجمعة ثم رحلنا عنها يوم السبت ولم نقابل عدداً كبيراً من الطلاب هناك بسبب الاضطرابات والمظاهرات، ولما علم بنا أحد الشباب هرع إلينا في الفندق، فقيل له: إنهم رحلوا إلى مدينة (دهنوا) التي تبعد مسافة مائتين وخمسين كيلومتراً، فركب القطار ولما وصلها صباح الأحد قيل له إنهم رحلوا إلى سمرقند، ثم سيرحلون إلى بخارى، فركب القطار إلى بخارى، فوصلها يوم الاثنين ظهراً، وسأل عنا فقيل له إنهم ذهبوا إلى القطار ليرحلوا إلى جمهورية (تركمانستان) ــ ولم يكن معه من النفقة ما يكفيه فطلب سيارة لتوصله إلى محطة القطار فاشترط عليه السائق مبلغاً لا يملك سواه فوافق على ذلك، ولما وصل إلى محطة القطار قام بالبحث عنا هناك فلم يعثر علينا، حيث كنا في مطعم نتناول طعام الغذاء، وقف على بوابة القطار ورفع يديه إلى السماء ونذر لله أن يصوم شهراً كاملاً شكراً لله تعالى إن وجدنا ، فلما خرجنا من المطعم وشاهدنا أسرع إلينا وعانقنا ثم حمل عنا أمتعتنا، وركب معنا القطار

وقال: أنا منذ يومين أبحث عنكم كي أقابلكم فعرضنا عليه أن يسافر معنا، فذكر أنه لا يحمل جواز سفره، وبعد مسير ثلاث ساعات استأذننا ثم فارقنا فعرضنا عليه بعض المال فرفض لكننا ألزمناه به. ثم طلبنا منه شهاداته فقال: ليست معي. فقلنا له: تقدم بها علينا في طشقند الأسبوع القادم، وفي يوم الأحد قدم إلى طشقند حاملاً أوراقه إلينا.

الثانية: كنا نقول لمن لم نتمكن من مقابلته في جميع الجمهوريات، أن يلتقي بنا في مدينة (طشقند) فلما قدمناها بعد خروجنا منها بعشرة ايام، وجدنا مئات الطلاب ينتظروننا في أحد المساجد، وكلهم غرباء، وبعضهم من كبار السن قد أتوا بأولادهم، وكان من بينهم رجل يزيد عمره عن ستين عاماً قد أحضر معه ولده الذي يبلغ ستة عشر عاماً، إلا أن مظهره يوحي بأقل من عمره، فقلنا له: لعلك تنتظر بالولد سنتين ثم نقابله، ولما سمع ذلك منا بكى وبكى معه ولده، فقررنا إجراء مقابلته وطلبنا منه أن يقرأ سورة (النبأ) فلما قرأ عشر آيات بكى وبكى أبوه، وألح علي في قبوله للدراسة لأنه يريد له أن يتربى ويتعلم في ديار الإسلام، وأن يكون ذخراً له بعد موته، فوعدته خيراً.

التنافس والتفاني في بناء المساجد:

عاش المسلمون ردحاً من الزمن وهم في بُعْدٍ عن بيوت الله بسبب الشيوعية الإلحادية الطاغية، فما أن سُمح بإقامة المساجد، حتى تسارع الناس إلى بنائها وتشييدها من أموالهم الخاصة على الرغم من الفقر وضيق ذات اليد التي يعانونها، حتى شملت المساجد كثيراً من الأحياء، وأصبحت في بعض المدن تعد بالمئات.

عمارة المساجد بذكر الله:

ومما يُسِرُّ المسلم في تلك البلاد كثرة المصلين وخصوصاً من الشباب، وامتلاء المساجد بطلبة العلم وقراء القرآن، فما إن تدخل مسجداً في ليل أو نهار حتى تجد أناساً يقرؤون القرآن أو يتعلمون شيئاً من العلم، ولقد زرت عدة مساجد في أوقات مختلفة من الليل والنهار فوجدت المساجد عامرة بالناس.

تقبلهم للتوجيه والنصح:

إن كثيراً من الناس هناك على الفطرة وعندهم استعداد طيب لقبول التوجيه والنصح والإرشاد. زرت مدرسة في مدينة «مرغلان»، وصليت معهم صلاة المغرب فعرض علينا أحد الآباء أن يسمعنا من ابنه أسماء الله الحسنى التي يحفظها عن ظهر قلب فرحبنا بذلك، وتلى علينا الابن أسماء الله الحسنى بصوت جميل رقيق ومؤثر حتى أبكى الحاضرين، ثم أمره أبوه أن يذكر أسماء النبي ﷺ، فلما قرأها وجدت أن بعضها لا تليق إلا بالله عز وجل، فقمت وذكرتهم بعظمة النبي ﷺ وبمنزلته، وتقديم محبته على محبة الوالد والولد والناس أجمعين، لكن هذه الأسماء لا تليق إلا بالله عز وجل ولا يرضاها النبي ﷺ، ثم قام من ترجم لهم ما قلت، ولما ركبنا السيارة لحقني الأب وقال: نسيت الأسماء، اكتبها لي في ورقة حتى أعلم ابني إياها فكتبتها له وبدا أثر الفرح على وجهه.

وقمنا بتوزيع بعض الكتب في العقيدة السليمة الصحيحة على بعض أئمة المساجد وغيرهم، ورأينا بعضهم يخطب بها في يوم الجمعة، وهذا دليل على تقبلهم للتوجيه والتعليم، والقصص في ذلك كثيرة.

عزة النفس:

على الرغم من الفقر وضيق ذات اليد عندهم، وضعف الاقتصاد وقلة الأعمال إلا أنك لا تكاد تجد متسولاً، ولا يرحبون بالمساعدات المالية الشخصية، إلا أن تكون على شكل هدية، أو لقيام مشروع، وقد حاولت أن أدفع بعض المساعدات للذين خدمونا وأكرمونا فرفضوا أخذها وعدوا ذلك عيباً، بل إن بعضهم يغضب منك إذا مددت إليه شيئاً من المال مكافأة على عمله لك.

وجود عدد كبير من المخطوطات الثمينة:

على الرغم من إحراق وإبادة الكتب من قِبَلِ الشيوعيين، إلا أنه قد بقي في المنطقة ثلاث خزائن للمخطوطات، في طشقند، وأذربايجان وطاجكستان، إضافة إلى المخطوطات المتناثرة في بيوت الناس، وقد اطلعت على بعضها، وزرت خزانة الكتب في معهد الاستشراق التي تحوي أكثر من اربعين ألف مخطوط، أكثر من ثلاثين بالمائة باللغة العربية، ولم يفهرس منها إلا سبعة آلاف مخطوط، والباقي لا تعرف، وقد سألتهم عن عدد من الكتب لكنهم لا يعلموا هل هي عندهم أم لا، وتوجد عندهم مخطوطات يعود تاريخها إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، وأكثر اهتمامهم بكتب القانون والفلسفة، ولذا تجدهم يبرزون كتب ابن سينا والفارابي وغيرهم. ومن العجائب أنه يوجد في مكتبة الشؤون الدينية نسخة من مصاحف عثمان التي بعثها إلى الأفاق.

قلوب القوم معنا فهل قلوبنا معهم:

إن أولئك الناس يكنون لنا الود والمحبة وهم لم يرونا، ولقد حمَّلني كثير

منهم السلام إلى إخوانهم في هذه البلاد، على حين أننا أغفلنا حتى ذكرهم سنين طويلة ولم نقدم لهم شيئاً من حقوقهم.

﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون﴾ [النساء ١٠٤]

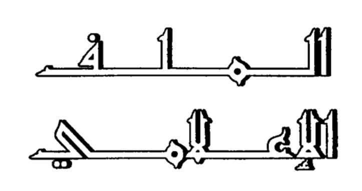
إن أعداء الإسلام قرروا أن هذه المنطقة من المناطق البكر التي يجب استغلالها، وتنفيذ مخططاتهم فيها. وهنا أنقل إليكم هذه الأخبار المؤلمة والقلب يكاد يتقطع، والكبد يكاد يتفطر، فلقد تسابق أهل الكفر والزندقة إلى استثمار هذه المنطقة الجديدة في العالم، كل يحاول التفرد بها دون غيره: اليهود، النصارى، القاديانية، الإسماعيلية، الروافض، الصوفية الغالية: كالنقشبندية والقادرية والبكرية وغيرها، وكل قد نزل بثقله إلى استثمار هذه البلاد، ونشروا عقائدهم الفاسدة فيها، ودول الكفر تحاول عزل هذه البلاد عن إخوانهم المسلمين في كل مكان، وتحذر حكامها من الأصولية كما يقولون.

لقد صليت الجمعَة في مسجد (تخطباي) في طشقند ـ وهي آخر جمعة من شهر ذي القعدة ــ وحضر وفد نصراني إلى داخل المسجد، كموفد من كلية الكنيسة في أميركا لدراسة المنطقة دينياً واقتصادياً واجتماعياً، ومدة هذه الدراسة ستة أشهر، وكانوا يقومون بزيارة كل موقع ودخول كل تجمع، وكانوا يسألون عن سر كثرة الشباب في هذا المسجد؛ وعن سبب تكبيرهم أحياناً أثناء الدرس الذي يلقيه الإمام، ولما سألناهم كم لكم هنا؟ قالوا: أربعة أشهر وبقي لنا شهران.

وفي يوم السبت ذهبنا إلى المسجد لمقابلة الطلاب، وأثناء خروجنا منه وجدنا على بابه عجوزاً أميركية، فقلت لصاحبي: اسألها عن سبب قدومها

لهذه البلاد، فذكرت أنها دكتورة في جامعة (كولمبيا في نيويورك) ـ وللعلم أن هذه من أكبر الجامعات التنصيرية ـ وقد قدمت هذه العجوز لنفس الغرض السابق، ثم بادرتنا بالحديث وقالت: أنا أعرف أنكم من السعودية، وقد سبقتمونا في تقديم الخدمات لهذه البلاد ولكننا سنقدم لهم كل ما يريدون وما يطلبون.

وقد ذكر لي أحد الثقات: أن عدداً من المسلمين قد تنصر في جمهورية القرغيز، نتيجة الترغيب والإمداد بالأموال، وتقول الإحصائيات: أن النصارى وزعوا أكثر من خمسين مليون نسخة من الإنجيل في جميع لغات الاتحاد السوفييتي ـ المنهار ـ، وفي جميع الأحجام والأشكال مقروءاً ومسموعاً. والقناة الروسية تبث الدعوة إلى النصرانية في فقرات متعددة من برامجها، و(جيمي سواجرت) وحده يظهر على القناة الروسية التي تلتقط في جميع الجمهوريات ـ مدة ثلاث ساعات من يوم الأحد في كل أسبوع، عدا البرامج النصرانية الأخرى.



إعداد: د. علي عبد الرحمن عواض

- أخبـــــــار

- إحصائيـــــــات

- مصطلحـــــــات

- في دائـــرة الضـــوء

أخبار قصيرة

- دعا الأمين العام للاتحاد الوطني الكردستاني جلال طالباني اليهود في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك إسرائيل، إلى مساعدة الشعب الكردي الذي تعرض للإبادة. وقال طالباني في تصريحات إلى مراسل صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية رون بن إيشاع: أن إسرائيل لا تقدم أية مساعدة إلى الأكراد على رغم أن بغداد تتهمهم بأنهم «أدوات» في يدها. ونسبت الصحيفة إلى الزعيم الكردي قوله: أنه يتوقع من اليهود المتحدرين من أصل كردستاني أن يشكلوا «لوبي» لمصلحة الشعب الكردي يحض الإسرائيليين على تقدم مساعدات إنسانية ومالية وطبية إلى الأكراد.

الحياة / القدس العربي ١٩٩٣/٢/٦

- موسكو - أ.ب.رويتر لم يستبعد وزير الدفاع الروسي الجنرال بافل غراتشوف قيام تعاون عسكري بين بلاده وحلف شمال الأطلسي لمواجهة «اختراقات عناصر إسلامية أصولية عدوانية». أما القائد العام لقوات حلف الأطلسي في أوربا الجنرال القوقازي الأصل جون شاليكاشفيلي فقد وعد بالعمل على إقامة «شراكة قولاً وفعلاً» بين روسيا والتحالف الغربي.

الحياة ١٩٩٣/١/٣١

- تقول مصادر ديبلوماسية إسرائيلية أن إسرائيل تدرس جدياً إقامة علاقات ديبلوماسية مع ثلاثة دول إسلامية غير عربية منها أندونيسيا التي تعتبر أكبر دولة إسلامية في العالم لجهة الكثافة السكانية (١٨٠ مليون مسلم). ودولتي السنغال وأرتيريا. وإذا نجحت مساعي إسرائيل لإقامة علاقات ديبلوماسية مع البلدان الثلاثة المذكورة فسيرتفع عدد الدول الإسلامية التي تبادلها التمثل الديبلوماسي إلى خمس دول بعد مصر وتركيا.

الحياة ١٩٩٣/١/٣١

- العلاقات الودية جداً بين جمهورية قيرغيزستان في آسيا الوسطى وإسرائيل أدت إلى ود آخر بين «الجمهورية المسلمة» وأفريقيا الجنوبية، يذكر أن قيرغيزستان وأفريقيا الجنوبية أقامتا علاقات ديبلوماسية مؤخراً.

الأسبوع العربي ١٩٩٣/١/٣١

إحصائيات

المسلمون في أوربا

▼ تفيد الإحصائيات الصادرة عن منظمة العمل العربية - مكتب العمل العربي أن عدد المهاجرين غير الأوربيين في أوربا يزيد عن الثمانية ملايين نسمة (غير الأوروبيين لأن أعداد الأوربيين الذين يهاجرون ضمن أوربا لا يدخلون في هذا الحصر) وغالبيتهم الساحقة من العالم الإسلامي (أتراك، عرب، باكستانيون، هنود وأفارقة). وهذا الرقم - أي الثمانية ملايين ـ مساو لعدد سكان ثلاثة دول أوربية وهي اللوكسمبوغ والدانمارك وإيرلندا. والهجرة إلى الغرب ليست مسألة جديدة، بل إن عدداً من الدول الغربية كان يشجع هجرة الأيدي العاملة الرخيصة إليها، فكان منهم اليمنيون والباكستانيون والهنود في بريطانيا، والأتراك في ألمانيا، والعرب في فرنسا وإسبانيا وإيطاليا، حيث نزح عدد كبير منهم في الخمسينيات والستينيات عندما كانت الأعمال اليدوية متوفرة ويأنف الأوربي من القيام بها. الهجرة إلى ألمانيا بدأت عام ١٩٦٢م وبدأ استقطاب العمالة الرخيصة من تركيا حتى وصل العدد إلى خمسة ملايين حالياً، إلى جانب رقم لا بأس به من جنسيات أخرى (يوغسلافيا/بولندا/فيتنام..). وتشير الإحصائيات في فرنسا: أن شخصاً من بين كل أربعة فرنسيين له على الأقل جد أجنبي أو مولود في الخارج. ويبلغ عدد العاملين من أصول أجنبية «١٤» مليون شخص بينما حصل عشرة ملايين من هذا الرقم بالفعل على الجنسية الفرنسية.

وتشير دراسة بريطانية أجريت أخيراً إلى أن نسبة ٢٠٪ من العاطلين عن العمل في الدول الغربية هم من المهاجرين. وهذه الهجرة تعود لأحد الأسباب التالية:

- الضغوط السياسية، - المجاعات والكوارث، - الرغبة في المغامرة.

ولعل أهم مخاطر الهجرة هي «هجرة العقول» أو «النزف العلمي» كما يسميه البعض. إذ أن الإحصائيات تشير إلى أن الغرب أصبح «مرتعاً» لعدد هائل من مفكري وكتاب ومثقفي.. وقادة العالم الإسلامي.

بتصرف / مجلة الوسط، العدد: ٥٧، ١٩٩٣/٣/١

مصطلحات

الدعوة والدعاية:

الدعوة: اصطلاحاً تعني: الترغيب في دين الله ونداء الناس للدخول فيه وتعريفهم بمناهجه بالحكمة والموعظة الحسنة وهي ـ أي الدعوة ـ برنامج متكامل يضم جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليعرفوا الغاية من محياهم وليستكشفوا الطريق التي تبصرهم بصراط الله المستقيم.

الدعاية: ـ اصطلاحاً ـ تعني: عملية منظمة متعددة الوسائل والأساليب تقوم بها سلطة من السلطات باستمرار بهدف التأثير بها على المدعويين. وتحقق أهدافها كسلطة، أو يحافظ على مكتسباتها ويديم استغلالها أو سيطرتها بالطرق النفسية التي تستعبد بها نفوس المدعوين، وتخضعهم أكثر فأكثر لسلطان نفوذها. ومن أهم قواعد الدعاية الحديثة: (التبسيط، وتركيز الاهتمام على العدو الواحد)، و(التضخيم والتعريف)، و(توزيع الأدوار)، و(تحويل المشاعر)، و(نقض مزاعم وخطط العدو والتكرار..).

إذن فالدعاية هي نشر الأفكار ووجهات النظر والمواقف المرغوب في تبنيها من الآخرين. والدعاية ـ كالإعلان ـ تستخدم أحدث وسائل الإعلام، والاتصال بالناس من صحافة وإذاعة وتلفاز وخيالة «سينما» ومنشورات ومسرح، كما تستخدم أحدث فنون الإيحاء الذاتي المبنية على اكتشافات علم النفس الفردي والاجتماعي.

وعلى الرغم من فائدة الدعاية بصورة عامة فإن فيها عدة أخطار كامنة. لأنها تميل إلى تبسيط الأمور وإبراز المزايا وإخفاء العيوب والأخطاء مما قد يقتل أية قدرة على النقد، وعلى الحكم الموضوعي المتعقل. ومن الأخطارالكامنة في الدعاية: خطر وقوع وسائل الإعلام والدعاية تحت سيطرة فئة محدودة من موظفي الدولة أو كبار الرأسماليين، ولعل أخطر أنواع الدعاية هي: الدعاية الخفية التي يصعب اكتشافها، وبالتالي تحقق أهدافها بفعالية وعمق تحت ستار من الموضوعية المزيفة، وتنتشر الدعاية (ويتحسن سوقها) في أوقات الأزمات والحروب، ولعل أهم الفروق بين

الدعوة والدعاية اعتماد الأولى على الحقائق وإيصالها بأساليب نظيفة بهدف خدمة الدين. والثانية تمزج الحقيقة بغيرها وتوصل رسالتها بكافة الوسائل والأساليب من أجل خدمة مالكي أجهزة الدعاية.

* * *

فدرالية (Federalism)*:

نظام سياسي يفترض تنازل عدد من الدول أو القوميات الصغيرة في أغلب الأحيان، عن بعض صلاحياتها، وامتيازاتها واستقلاليتها لمصلحة سلطة عليا، موحدة تمثلها على الساحة الدولية وتكون مرجعها الاخير في كل ما يتعلق بالسيادة والأمن والقومي والدفاع والسياسة الخارجية.

فالفدرالية إذن تتعلق بالنظام السياسي والتنظيم الإداري وبتقسيم صلاحيات السلطات الحاكمة وتنظيم العلاقات فيما بينها وتأمين انسجامها لتمنع تغلب طرف على الطرف الآخر فتحصر قرارات الدولة الفدرالية المركزية بالقمة، وتترك الأمور المحلية للسلطات الإقليمية، والسلطات المحلية بدورها لا تخرج عن نطاق صلاحياتها، فهي لا تشرع للقضايا التي تتعلق بالدولة المركزية، رغم أنها تشارك في قضايا المؤسسات التي تعالج الأمور القومية وتنظيم هذه المؤسسات وتوزع الصلاحيات بشكل يؤمن استقلالية الوحدات المكونة للسلطة الفدرالية ويضمن لها المشاركة الفعّالة في القرارات المركزية والمصيرية.

والفدرالية على أنواع ودرجات متفاوتة في الأشكال والصيغ التطبيقية إذ تتراوح ما بين وحدة مطلقة أو الاتحاد بين مجموعة متمايزة تماماً. ومن أهم أمثلة الفدرالية: الولايات المتحدة، الاتحاد السوفييتي (سابقاً)، الهند، سويسرا، استراليا، البرازيل. والجدير بالذكر أن بعضاً من الاتحادات الفدرالية «بدأت حياتها» كاتحاد كونفدرالي.

كونفيدرالية (Confederation)*:

الكونفيدرالية شكل من التنظيم الاتحادي بين دول تعهد بممارسة بعض صلاحياتها إلى سلطة مركزية مشتركة مع إبقائها على حكومتها المتميزة، وتتألف السلطة

المركزية أساساً من هيئة تنسيق ملزمة باتخاذ قراراتها كافة ـ أو معظم قراراتها على الأقل ـ بإجماع الدول الأعضاء في الكونفدرالية، وذلك بخلاف ما يحصل في الفيدرالية حيث تتخذ القرارات بأكثرية الأصوات فقط، وغالباً ما تتحول الكونفيدرالية، ولا سيما في إطار الدول القومية، إلى فيدرالية، وهذا ما حصل في سويسرا على سبيل المثال حيث لم يبق من الكونفيدرالية سوى الاسم، وكما هو واضح فإن النظام الكونفدرالي أكثر مركزية وسلطوية من النظام الفدرالي.

ومن نماذجها المطبقة في العالم:

- الكونفدرالية الأوربية للنقابات (C.E.S).
- الكونفدرالية العالمية للعمل (C.M.T).

* * *

الحكم الذاتي (Autonomy)*

هو حق دولة أو منطقة أو مقاطعة من دولة في إدارة شؤونها الداخلية بكل حرية دون الخضوع لتوجيهات خارجية. ويعتبر الحكم الذاتي الخطوة الأولى والطبيعية نحو الاستقلال الكامل. وقد أثبتت التجارب التاريخية ذلك، وينتقل الحكم الذاتي إلى مرحلة الاستقلال عندما تأخذ الدولة بزمام الشؤون الخارجية والدفاعية من الدولة المهيمنة أو المنتدبة أو المحتلة.

وتستخدم الدول المحتلة عادة نظام الحكم الذاتي لتأجيل إعطاء الاستقلال للمناطق المحتلة مدعية أنها: «مرحلة أساسية وضرورية ويجب أن تمر بها المستعمرة لتهيئة أبناءها وتمكينهم والتثبت من إمكانيتهم إدارة شؤون البلاد بشكل نهائي ومستقل».

وأمثلة الولايات أو الدول التي تتمتع بحكم ذاتي ضمن هيمنة دولية أوسع كثيرة. فمثلاً في روسيا ست دول إسلامية تتمتع بحكم ذاتي تحت الغطاء الروسي. وفي آذربيجان كانت مقاطعة (ناغونا قره باغ) ذات الغالبية الأرمنية تتمتع بالحكم الذاتي من الدولة الآذرية ذات الغالبية الإسلامية... والمناطق التي تطالب بحكم ذاتي في العالم كثيرة جداً.

* * *

*- انظر «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٦م.

كشف تقرير سري رفعته بعثة تحقيق إلى المجلس الوزاري التابع للمجموعة الأوربية أن القوات الصربية في البوسنة–الهرسك ساهمت في تنفيذ أعمال اغتصاب منظم لما لا يقل عن ٢٠ ألفاً من النساء والفتيات المسلمات. وأن مقاتلي الصرب يستخدمون الاغتصاب «سلاحاً في الحرب».

وقضى الكثير من ضحايا عمليات الاغتصاب الجماعي نتيجة إصابتهم وكان بينهم أطفال لم يتعدوا السادسة أو السابعة من العمر. كما وجد المحققون أنه غالباً ما كان يتم اغتصاب الفتيات أمام آبائهن وأمهاتهن، والأمهات أمام أطفالهن والزوجات أمام أزواجهن.

الاندبندنت ١٩٩٣/١/٢٦

• إن التقرير غير دقيق حيث أن عدد حالات الاغتصاب تجاوز ٥٠٠٠٠ حالة شملت الأطفال ذكوراً وإناثاً كما شملت النساء والرجال. والصحافة العربية تشير إلى أقل من نصف الحقيقة.

وأضاف التقرير أيضاً أن الكثير من عمليات الاغتصاب كان هدفه جعل النساء حوامل واحتجازهن حتى موعد الوضع: «إمعاناً في الإذلال وكي يتذكرن باستمرار هذا الإذلال».

الحياة ١٩٩٣/٢/٣/

• ومع ذلك لا يجد المهجرون المسلمون مكاناً آمناً في البلاد الإسلامية، فيضطرون إلى الهجرة إلى ديار الكفار في أوربا وأميركا، وهناك يتم تهويدهم وتنصيرهم.

* * *

مصطلح رهيب جارح مؤذ مخجل يجد طريقه سهلاً في أي موضوع يتناول قضايا المسلمين إنه كلمة «اغتصاب». ما بالها لا تفارق أي تقرير يتحدث عن المسلمين في أية بقعة من بقاع الأرض. ستون ألف إمراة وفتاة وطفلة انتهكت أعراضهن في أوربا على مرأى ومسمع العالم.. والعالم الإسلامي شاهد على الجريمة.. تُسبى بنات المسلمين «بفتوى» شرعية من كنائسهم.

تقارير كشمير تتحدث عن فصل الرجال عن النساء في القرى النائية بحجة التحقيق مع الرجال والنساء تحت رحمة عباد البقر.. وبعد الفصل تجري فصول وطقوس تخدش إنسانية الإنسان.

من أرمينيا يرتفع صوت المذيع في راديو (ناغونا قره باغ) معربداً موجهاً كلامه للمسلمين، «لن نترك بناتكم حتى يلدن أطفال الأرمن»!! هكذا جهاراً نهاراً.

يقول مراسل الاندبندنت البريطانية في تقرير من بنغلادش عن أوضاع اللاجئين

البورميين: «لم ألتق بامرأة مسلمة واحدة إلا وحدثتني عن قصة جديدة من قصص الاغتصاب.. كل واحدة التقيتها قالت لي: أنها اغتصبت..».
اعتادت الأسماع على هذه الأخبار والعيون على هذه الصور وألفنا صور الجريمة!! فهل هذا هو دورنا المطلوب؟! هل لنا أن نستمع لفتوى العلماء «إذا سبيت امرأة مسلمة في المشرق فعلى أهل المغرب إنقاذها». هل لنا أن نتذكر ما فعله الرسول ﷺ باليهود عندما حاول أحدهم أن يكشف عورة امرأة مسلمة؟ وهل ننسى ما فعله المعتصم عندما لطم علج رومي مسلمة في زبطرة وصاحت «وامعتصماه»!!
عندما سئل الناطق الرسمي لجبهة تحرير مورو عن السبب في الهجوم على مجموعة من الجيش الفلبيني وقتل ٣٥ من عناصره أجاب: «مع أننا في معاهدة وقف إطلاق نار معهم ولكنهم اغتصبوا امرأة»!

«الاريتريون ليسوا عرباً، وإرتيريا ليست جزءاً من العالم العربي، وسنقيم علاقات ديبلماسية مع إسرائيل». دانيال يوهانس المفوض العام لإرتيريا في فرنسا. وأضاف: «إن واقع أن تكون مسلماً وأن تتحدث اللغة العربية يمكن أن يحتوي على اتجاه للانتماء العربي. إن هذا الواقع لا يعني أنك عربي ومن بعد إريتري، إن المسلم الإريتري إريتري فقط. ولا يوجد خلاف ولا بحث في مسألة أننا عرب أو غير عرب، نحن إريتريون وأفارقة فقط».
وعن علاقاته مع إسرائيل يضيف: «جاء سفير إسرائيل في أثيوبيا إلى أسمرة مباشرة بعد الاستقلال (١٩٩١/٥/٢٤) وطرح علينا إقامة علاقات ديبلوماسية. وكانت إسرائيل الدولة الأولى التي اتخذت مثل هذه البادرة. ونحن سنقيم علاقات مع إسرائيل ،لسنا مجبرين وليس لدينا حساب نؤديه لأحد في هذا المجال».

مجلة الوسط ١٩٩٣/٢/١٥

* * *

الضجة الإعلامية و«الاستغراب» الذي ساد كثيراً من العواصم العربية على إثر تصريحات «أفورقي» بعد زيارته لإسرائيل، له ما يبرره ولأفورقي في أسبابه فيما قاله.
العرب الذين احتضنت عواصمهم وكثير من مدنهم مكاتب «الحركة الشعبية لتحرير إريتريا» منذ اللحظة الأولى وحتى سقوط حكم الرئيس الأثيوبي منغيستو هايلا ماريام، والذين قدموا للجبهة الدعم المادي والسند السياسي رأوا في

تصريحات أفورقي «خيانة» و«نكراناً للجميل»، ولكنها خيانة «مَنْ» و«لمن»؟
«فالرجل» يرى في إسرائيل «صديق» يمكن الاستفادة منها والتعامل معها وإقامة تبادل ثقافي وديلوماسي.. فهل هذه «الطموحات» تبتعد كثيراً عن تصريحات كثير من العرب أنفسهم؟! وهذا ليس سراً بل إنها تصريحاتهم وعناوين صحفهم.
«وإسرائيل» ترى في الخطوة تعزيزاً لسياسة التغلغل التي تتبعها في أفريقيا.
الاريتريون عرب، أحب أفورقي أم كره، ولغة العلم في البلاد هي العربية والإسلام دين الغالبية. فالتقارب بين النصراني أفورقي ويهود إسرائيل هو من مظاهر هذا العصر إن لم نقل من مستلزماته. ولكن هل يتعلم المسلم العربي كيف يختار أصدقائه وفيمن يضع ثقته؟!
أما في أفريقيا فقد تولت الولايات المتحدة تحمل التبعات في تهيئة الأجواء وذلك عبر نشاطات وزارة الخارجية الأمريكية في القرن الأفريقي والتي رسم سياستها مساعد وزير الخارجية الأميركي هيرمان كوهين.

لفت خبير أمريكي في شئون الشرق الأوسط وهو على علاقة وثيقة بالدوائر الأمريكية، إلى «جدوى استغلال المثقفين الشيوعيين السابقين في دعم التوازنات الإقليمية المقبلة في المنطقة» موضحاً أن بعض الأقلام اليسارية يقوم بمواجهة التطرف الديني بطريقة أفضل من الأقلام الموالية للسلطة. وأشار الخبير بالمناسبة إلى أسماء معروفة جداً في أوساط اليسار المصري.
الأسبوع العربي ١٩٩٣/٢/١٥

* * *

فعلى القارئ الفاهم الواعي أن يتذكر الاسماء التي تكتب اليوم باسم الإسلام «وتدعي وصلاً به» والإسلام لا يقرُّ لهم بذاك. أقلامهم التي ملأت صفحات الكتب والمجلات افتراءآت تهاجم الإسلام وأهله هي الآن نفسها التي تكتب عن «الإسلام المتطوِّر» «المتسامح» الذي يحوي على توصيات وقيم اجتماعية وأخلاقية طيبة في الوقت الذي يشككون بالنظام الإسلامي للحكم. هؤلاء «الدخلاء» لا يتركون مناسبة إلا ويحملون فيها حملات مسعورة على الإسلام تحت غطاء محاربة «التطرف» أو مواجهة «الأصولية». الغلو منبوذ أصلاً في الإسلام، ولكن هل يجوز استغلال بعض الممارسات التي لا تمثل وجهة النظر الصحيحة؟؟

رسائل جامعية

* «مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة»

رسالة قدمها الباحث ناصر بن عبد الله القفاري لنيل درجة (الماجستير) من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٣٩٨هـ وقد نالها بدرجة امتياز.

تقع الرسالة في جزئين، الأول (٣٩٠ صفحة) وتتضمن تعريف أهل السنة والجماعة، ومصادرهم في تلقي العقيدة، وأهم معتقداتهم التي خالفتها طائفة الشيعة. وتعريف الشيعة ومعتقداتهم التي خالفوا فيها أهل السنة كالقول بتحريف القرآن، والغلو في القبور، والتقية والرجعة، وقولهم في الصحابة. أما الجزء الثاني (٣٩٠ صفحة) فقد دار حول آراء دعاة التقريب في قضايا الخلاف، ومحاولات التقريب منذ القديم إلى هذا العصر ـ سواء الجماعية التي قامت بها دار الإنصاف ودار التقريب بين المذاهب الإسلامية أو المحاولات الفردية مثل محاولات محمد عبده ومحمد رشيد رضا ومصطفى السباعي وغيرهم ـ ونتائج هذه المحاولات، حيث بين هدف علماء الشيعة الحقيقي من هذا التقريب، وانخداع من قام بهذا من أهل السنة، كل هذا في عرض موضوعي علمي قلما نجده في غير هذا الموضع.

بذل الباحث جهداً في هذه الرسالة حيث سافر إلى بعض البلاد للاطلاع على مادة هذه الرسالة، وجمعها والوقوف عليها فقد سافر إلى الكويت والعراق ومصر وباكستان. طبعت الرسالة أخيراً (١٤١٢هـ) وهي من توزيع دار طيبة للنشر - الرياض.

* «أمالي المحاملي رواية ابن يحيى البيع»

رسالة قدمها إبراهيم القيسي لنيل درجة (الدكتوراه) بتاريخ ١٤٠٦/٦/٢١هـ من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، وقد حازت على مرتبة الشرف الثانية. وطبعت أخيراً (١٤١١ هـ) وهو من توزيع دار ابن القيم.

والكتاب من الكتب التي تستحق العناية والإخراج، وقد اقترن اسم مؤلفه به، حيث اشتهر عند علماء الحديث بـ «أمالي المحاملي»، والكتاب فيه مادة حديثية كانت المعتمد لكثير من علماء الحديث قديماً وحديثاً.

يقع الكتاب في مجلد، بدأه المحقق بمقدمة عن حياة المؤلف وعصره، ثم عرف

بالكتاب ومكانته والنسخ المخطوطة التي اعتمد عليها التحقيق، وأتبعه بالأحاديث المسماة بالأمالي التي رتبها الباحث على الأبواب الفقهية (ليسهل الوصول إليها)، وجاء الكتاب في (٥٧٦ صفحة) مع فهارسه.

ملاحظة: الأمالي: جمع املاء وهو أن يقعد عالم وحوله تلاميذه بالمحابر والقراطيس، فيتكلم بما فتح الله عليه من العلم، ويكتب التلاميذ فيصير كتاباً يسمونه الاملاء أو الأمالي، وعلماء الشافعية يسمون مثله التعليق (انظر مقدمة الكتاب ص ٣١، نقلاً عن كشف الظنون (١/١٦١)).

*«المسائل والرسائل المدونة عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة»

جمع وتحقيق ودراسة عبد الإله بن سلمان بن سالم الأحمري. تقع الرسالة في مجلدين، بدأهما الباحث بترجمة للإمام أحمد، ثم علق بشكل مقتضب على المصادر التي استقى منها مادة هذا البحث، وهي مسائل الإمام أحمد التي رواها تلامذته، ورسائله الشخصية ورسالته لمسدد، ومؤلفاته التي صحت نسبتها إليه والتي لم تصح، إضافة للكتب التي نقلت أراءه في هذا المجال.

الرسالة جامعة ومفيدة، وتكتسب أهميتها من كونها: صادرة عن الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة المتفق على إمامته وجلالته، وثانياً: كونها في باب العقيدة التي اضطربت فيها بعض الفرق الإسلامية عبر تاريخنا الإسلامي، وطريقة الباحث أن يعرض كلام الإمام أحمد في مسألة من مسائل العقيدة، ويتبعها أحياناً بتعليق من عنده يوضح مذهب السلف في هذه المسألة، وبعض النقولات فيها لبعض الأئمة المشهورين، وربما أتى برأي بعض الفرق فيها.

يقع الجزء الأول في (٤١٢ صفحة) يضم أقوال الإمام أحمد في مسائل الإيمان، والقدر، ومسائل القرآن، ومسائل الأسماء والصفات، والجزء الثاني في (٥٠٠ صفحة) تحدث فيه عن أقوال الإمام أحمد في مسائل القتال، والأموال، ومسائل الصلاة، والسحر والكهانة، والمسائل المتعلقة بالتوكل والغيبيات، والمسائل المتعلقة بالرسل، ومسائل الفرق. الرسالة من توزيع دار طيبة للنشر - الرياض.

* «الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة»

دراسة علمية حول ظاهرة الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية، تأليف عبد الرحمن

بن معلا اللويحق المطيري، قدم الباحث هذه الرسالة إلى قسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لنيل درجة (الماجستير) وقد استحقها بدرجة امتياز وذلك بتاريخ ١٤١٢/١/١٣هـ.

قام الباحث بدراسة موثقة ومؤصلة شرعاً، معتمداً على الإحصاءات والدراسات الحديثة في هذا الجانب، وموضحاً المصطلحات التي تتلجلج في هذا الموضوع بدون ضابط، وقد أجاب على الأسئلة المهمة المتعلقة بهذا الموضوع مثل: هل في حياة المسلمين المعاصرة غلو؟ ما هي جذور هذا الغلو؟ ما حجمه؟ ما مظاهره؟ ما الميزان المستصحب في اكتشاف الغلو؟ وفي نقده ونقضه؟

عرف الباحث في رسالته مصطلح الغلو في الشريعة الإسلامية، وجذوره التاريخية، وحجم وطبيعة الغلو في حياة المسلمين المعاصرة، ومفهومه عند العلمانيين والغربيين، ومجالات الغلو العقدية والتشريعية، وكذلك العملية والسلوكية، وختمه بالنتائج التي توصل إليها في هذا البحث.

وقد كان لجهد الباحث في جمع المادة، وما صاحبه من تبويب وعرض شيق أثر في أهمية هذه الرسالة التي طبعت أخيراً (١٤١٢هـ) في نحو (٦٠٠ صفحة) مع فهارسها، وهي من توزيع مؤسسة الرسالة بيروت.

إعداد: عبد العزيز الحويطان

إصدارات

يعتبر كتاب «**ملحمة البوسنة والهرسك، الجريمة الكبرى**» للدكتور **عدنان علي رضا النحوي** إضافة قيمة إلى المكتبة العربية وإغناءً لبعض النقص الواضح في الكتابات العربية التي تتناول شؤون مسلمي البلقان قديماً وحديثاً.

استعرض الكاتب في الباب الأول تاريخ البلقان وانتشار الإسلام هناك كاشفاً جذور المأساة التي تعانيها الأقليات المسلمة في أوربا الشرقية، ومفصلاً مراحل «الجريمة الكبرى» التي ترتكب الآن في البوسنة-الهرسك والتي بدأت مع انهيار الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة الإسلامية.

وفي الباب الثاني يقدم الكاتب لـ «الملحمة الشعرية» في البوسنة والهرسك حيث يعرض التحولات في تاريخ البوسنة من خلال قصائد عبقت فخراً بتاريخ البوسنة، وحزناً على واقعها وخجلاً من واقع المسلمين وصيحة لمستقبل آخر.

لا تُراعي يا «بُوسنَ» صبرٌ جميلٌ سوفَ نُحيي معَ الملاحم عِيدا

وأسكُبي النور عَلَّه يوقِظُ الجَفـ ـن فنلقي هناك فجراً جديداً

الكتاب من إصدارات دار النحوي للنشر والتوزيع في الرياض، ص.ب: ١٨٩١، الرمز البريدي: ١١٤٤١ . ويقع الكتاب في مئتي صفحة من القطع المتوسط (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

* * *

الإسلاميون وسراب الديمقراطية، تأليف عبد الغني الرحال.

يتضمن الكتاب موضوعاً هاماً هو شرعية دخول الإسلاميين إلى البرلمانات. وقد عرض الباحث كافة المبررات والمسوغات التي يحتج بها من يرى المشاركة البرلمانية وخاصة قضية المصلحة، ثم يشير إلى أن المشاركة في هذه البرلمانات هي ترسيخ لواقعها المخالف لدين الأمة.

وقد بدأ الباحث دراسته بمقدمة ضافية تمثل دراسة نقدية موجزة للواقع المعاصر، وموقف الجماعات الإسلامية إزاءه، ثم تكلم عن الموضوعات التالية:

- الديمقراطية، - المجالس النيابية ومقاصد الشرع، - مصالح متوهمة أم أبواب مغلقة.

صدر الكتاب حديثاً خلال (١٤١٣هـ) عن مؤسسة (المؤتمن للنشر والتوزيع/ الرياض) ويقع في «٥٣٦» وهو الجزء الأول من الكتاب، سيليه مستقبلاً الجزء الثاني عن التجربة المصرية والسورية.

* * *

ردود ومناقشات

جاءتنا ردود على ما كتبه الأخ محمد عبد الله آل شاكر في العددين (٥٥ و٥٦) وحرصاً منا على سماع وجهات النظر ننشر هذين الردين باختصار مع الإبقاء على النقاط المهمة والله الموفق.

- البيان -

رد الدكتور سليمان بن عبد الله العمير:

لقد اطلعت على ما كتبه الأخ الأستاذ محمد عبد الله آل شاكر في العدد: ٥٥ من مجلة البيان في زاوية: تراث تحت عنوان: «هجوم على العمالقة». وقرأت ما تضمنه ذلك المقال من الانتقاد اللاذع لما قام به الدكتور حمد الحماد - الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة - من اختصار كتاب المغني لابن قدامة. ولست أريد بهذه الكتابة الدفاع عن المنتقَد أو مناقشة المنتقِد أو الدخول في تفاصيل جدوى اختصار الكتب المطولة، أو عدم جدواها. فهذا له أهله، وتحكمه نوعية الكتاب الذي يُراد اختصاره، والحال التي عليها القراء وهل هم بحاجة فعلاً إلى الاختصار والتسهيل أم أن باستطاعتهم التعامل مع الكتب

الكبيرة، والتلقي منها مباشرة دون عناء. لكنني أريد التنبيه على بعض الأمور التي وقع فيها الأستاذ:

أولاً: قوله: (أن هذا المختصر يقع في ثمان مجلدات) والصواب في أن هذا الكتاب لن يتعدى أربع مجلدات على أكبر تقدير. ولعل الأستاذ صدّق هذه الشائعة نظراً لأنه يوجد في السوق مختصرات وضعها أصحابها في حجم يقارب حجم الأصل إن لم يزد عليه، وهو معذور في ذلك، لكن الصواب ما ذكرت.

ثانياً: مسألة تيسير الشراء التي افترضها الاستاذ غير واردة أصلاً، فلا محل لها.

ثالثاً: قوله عن هذا المختصر: «رأيت منه مجلدين اثنين» هو من قبيل الوهم. والواقع لم يطبع من الكتاب إلا المجلد الأول فقط، وهو ينتهي بنهاية كتاب الجنائز كما أشار إليه الأستاذ.

رابعاً: فهم الأستاذ من حذف الدكتور لأقوال السلف من الصحابة والتابعين في المسائل أن في ذلك حرمان لطالب العلم من معرفة آراء هؤلاء التي قد تكون لها قيمتها ومكانتها، وهذا فهم في غير محله. ذلك أن الدكتور إنما حذف من هذه الأقوال ما كان موافقاً لأقوال أصحاب المذاهب المشهورة، ومعطوفاً عليها، وحينئذ فالقول موجود وإن حذف بعض من قال به، أما حين يكون رأي هؤلاء السلف مقابلاً لآراء أصحاب المذاهب فإنه يثبته ولا يحذفه، وعليه فلا نكون حرمنا طالب العلم من معرفة آراءٍ لهؤلاء الفقهاء خارج نطاق المذاهب المشهورة.

هذا ما أردت التنبيه عليه في هذه العجالة ولا ينكر ما للأستاذ شاكر من جهود في الذب عن التراث، ومن غيرة صادقة عليه خاصة في مقاليه عن التحقيق والمحققين في العددين (٤٣ و٤٤) مزدوج وفي العدد (٤٥).

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

رد الأستاذ حسان عبد المنان:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، فإني أخبرت أن رداً على كتابي «رياض الصالحين» المحقق المهذب وقع في مجلة البيان الإسلامية. فحمدت الله أن أحداً بادر بنقده.

وكنت أتمنى أن يكون الرد الذي وقع في نفسي، وهو تصحيح خطأ أو منهج سرت عليه، أو بيان مغالطات فيه، وإن كان فبأسلوب علمي خال من التحامل أو التجريح. ولكن بما أن الكاتب قد تجنى عليَّ، فلا بد من الرد، وهذا هو بين يدي القارئ:

١- ادعى الكاتب: أني حذفت بعض أبواب «رياض الصالحين» وهذا لم يحصل.

٢- ادعى: أني حذفت بعض الأحاديث الصحيحة وسكت، ولو أكمل العبارة لأوضح أنها في هامش الكتاب، فاستغنى عن تكرارها في متنه، و..

٣- ادعى: أن الحذف بلغ عندي أحد عشر بنداً كم مي مقدمتي، وهذا غير الواقع بل هي أكثر.

٤- ادعى: أن إحالات الحديث: انظر الحديث كذا.. قد تتجاوز نصف الصفحة بحرف صغير.

وهذا غير الواقع أيضاً فالحرف لم يتغير.

٥- ادعى: أني قلت في كتابي: «وافقني عليه الشيخ الألباني» في أحاديث ضَعَّفها. واعترض عليّ بقوله: والكل يعلم أن تحقيق الألباني على الأقل أسبق من تحقيقه هو بسنوات فمن الذي يوافق الآخر.

أيها الفاضل: أنا لا أريد أن أخوض معك غمار اللغة، ولكن يكفي أن أطالبك بهذه الجملة، أين وقعت عليها في كتابي؟! أنا أَعْرَفُ بكتابي، لم اذكر

ذلك صريحاً في موضع من الكتاب، وإنما اقتصرت على موافقة الشيخ شعيب الأرناؤوط ـ حفظه الله ـ لأني جالسته جلسات عدة في مراجعة الأحاديث الضعيفة من الكتاب، ووافقني على ما بينت في كتابي.

أما الشيخ الألباني ـ حفظه الله ـ فقلت في بداية فصل الأحاديث الضعيفة: «ولعل الشيخ الفاضل الألباني يرجع إلى نحو ذلك بعد ما يرى الحجة في هذا الكتاب». فكيف أذكر موافقته على أحاديث ـ لو صح ما زعمتَ ـ وقد قلت قولتي هذه. ولنعد إلى الملاحظات:

١- تقول: «أصبحت المختصرات الناسخة للأصول المطولات من تراثنا كثيرة كثرة ستلفت النظر..»

وأقول: هل المختصرات وليدة هذا العصر؟ أم إنها سنة من أئمتنا وأئمتك. ولتوقن أن المختصرات لم يمسخها المتأخرون اذكر لك نماذج من مختصرات المتقدمين، وإكثارهم من هذا الباب:

فها هو الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ المتوفى سنة (٧٤٨هـ) قد اختصر أكثر من ثلاثين كتاباً، وقد ذكرت في مقدمة سير أعلام النبلاء ٨٣-٨٨ .

أما التفاتك إلى عصرنا أيها الفاضل، فانظر مختصرات الشيخ الألباني لكتبه وكتب غيره، مثل صفة الصلاة، وأحكام الجنائز، والشمائل المحمدية، والعلو للعلي الغفار، وصحيح البخاري..

وأما رياض الصالحين، فاختُصِرَ من قِبَلِ غير واحد كالنبهاني، وغيره مما لا زال مخطوطاً في المغرب، والمكتبة الوطنية بباريس. فهل هذه الكتب ماسخة للأصول؟

٢- تقول: «وأما تهذيبك نصوصاً ـ ونصوص الكتاب كلها آيات وأحاديث ـ فلست أدري والله ما الذي يحتاج إلى التهذيب، أهذه النصوص الكريمة أم الذي قام بتهذيبها نفسه».

وهنا لا بد أن أنقل تعريف التهذيب من كتاب الكليات (للكنوي) ص٣٠٨ . يقول: «التهذيب هو عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد عمله والشروع في تنقيحه نظماً كان أو نثراً، وتغيير ما يجب تغييره، وحذف ما يجب حذفه، وإصلاح ما يتعين إصلاحه، وكشف ما يشكل من غريبه وإعرابه وتحرير ما يدِّقُ من معانيه». وبعبارة أخرى: هو اختصار أو زيادة بتصرف.

ومن الأمثلة على الزيادة تهذيب الكمال، وتهذيب التهذيب، وتهذيب إصلاح المنطق، ومن الأمثلة على الاختصار ـ مع زج بعض التعليقات الخفيفة فيه ـ: المهذَّب في اختصار السنن الكبرى.

وأما اعتراضك: أن هذه آيات وأحاديث فلا تهذب، فالأمثلة كثيرة على تهذيب كثير من الكتب المليئة بالآيات والأحاديث واختصارها. وقد تقدم ذكر شيء منها.

٣- عِبْتَ علي أني رتبت بعض الأحاديث ـ وهي قليلة ـ في الأبواب المناسبة لها.

أقول: إنَّ النقل الذي فعلته في كتابي لا يعدو طريقة المتقدمين في تهاذيبهم. فانظر مثلاً كتاب «الكمال في أسماء الرجال» للحافظ عبد الغني المقدسي، الذي رتب كتابه في تراجم الرجال كالآتي: مقدمة في أهمية الإسناد في الحديث، ثم تراجم العشرة المبشرين في الجنة، ثم تراجم الصحابة، ثم تراجم الصحابيات، ثم المحمدين من التابعين ومن بعدهم، ثم حرف الألف منهم بالترتيب الهجائي. فجاء بعده الحافظ المزي، فبنى على كتابه كتاباً آخر سماه «تهذيب الكمال» غَيرَّ فيه وبدّل فبدأ بمقدمة، ثم بترجمة للنبي ﷺ، ثم بتراجم الرواة جميعاً صحابة وتابعين، وغيرهم على الترتيب الهجائي إلا أنه قدم من اسمه أحمد في حرف الألف على غيره..

فهل هذا التهذيب ـ أيها الفاضل ـ كأصله في ترتيبه؟

٤- تستحلفني بالله أن هذا كتاب رياض الصالحين نفسه بنصه وفصِّه كما وضعه المؤلف؟

أقول: كيف تقول ذلك وأنا أقول لك هذا تهذيبه، وكل عامل يدرك ذلك، ففي صفحة الغلاف إشارتان واضحتان لذلك. الأولى: قولي: «تمتاز هذه الطبعة بضبط نصوصها وتهذيبها». والأخرى: «حققه وقدم له وهذبه وخرجه حسان عبد المنان». فكيف تريدني أن أحلف على أمر أنا أقول بخلافه.

هذا السؤال نفسه وجهه إلى الشيخ الألباني المحدث ـ حفظه الله ـ فقل له: هل كتاب «السنة»[1] لابن أبي عاصم هو الكتاب الذي وضعه مؤلفه. سيقول لك: أنا وضعت تحت هذا العنوان: «ظلال الجنة في تخريج السنة»، فيفهم منه أن هذا الكتاب هو تخريجه. وكحال الكتب المحققة المخرجة أيضاً، هل هي الكتب التي وضعها مؤلفوها؟ إذاً يجب على قاعدتك أن تذكر فوق كل عنوان: تخريج، أو شرح، أو تحقيق..

٥- تعترض عليَ لأنني حذفت الأحاديث الضعيفة من الكتاب، وقد فعل هذا غير واحد من مشايخ عصرك، فها هو الشيخ الألباني مثلاً: استخرج السنن الأربعة بصحيحها وحذف ضعيفها، وكذلك «صحيح الجامع». فهل ما فعله بنظرك إساءة؟

٦- تقول: وما أخال إنساناً سوياً خلقه الله ووهبه عقلاً يشكو صعوبة تناول كتاب النووي حتى جاء صاحبنا ليسهل له ذلك بالتهذيب كيما يناله بأقرب الطرق (حتى ولو كانت مشروعة) والغريب حقاً أنه يفعل ذلك ليقرأ الكتاب دون ملل في وقت قصير مع أن صفحاته الستمائة تقريباً تعادل حجم الأصل.. أقول:

١- ما زال الكتاب يطبع باسم غير مؤلفه دون أي تنبه لذلك، إذ كتب على غلافه: للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد. والصواب: للحافظ أبي بكر بن أحمد بن عمرو بن أبي عاصم..

أولا: وهل اختصر النبهاني الكتاب نفسه لأن فيه صعوبة، وهل اختصر الألباني أحكام الجنائز، وصفة الصلاة، والشمائل المحمدية، والعلو للعلي الغفار.. لذلك السبب نفسه. أم من باب التسهيل والتيسير لهذه الأمة قدر الإمكان.

ثانياً: اعتراضك أن صفحات التهذيب تعادل حجم الأصل، وهذا غير الواقع، انظر إلى طبعة المكتب الإسلامي الجديدة، وطبعة مؤسسة الرسالة المحققة، وطبعة فاروق حمادة فإنك ستجد أن الأولى والثانية تتجاوز صفحات كل منهما السبع مئة صفحة، والثالثة نحو التسع مائة صفحة. وأما طبعتي فهي دون الفصل الأخير نحو خمس مئة صفحة على ما فيها من شرح وتحقيق أثناء الكتاب.

أقول أخيراً: إن الاتهام أسهل البضائع، ولكنها لن تباع إذا لم تقرن بالأدلة.

* * *

أهمية فقه سنة الابتلاء

إن معرفة الطريق الذي يسير فيه الإنسان لبلوغ هدفه أمر ضروري لمواصلة سيره دون انقطاع أو فتور، لتجنب ما يمكن تجنبه من العوائق في هذا الطريق.

ومما لا شك فيه أن طريقَ الدعوة إلى الله طريقٌ طويل وشاق.. إذ أنه يبدأ منذ أن يعقل الإنسان دوره ووظيفته في هذه الحياة، ولا ينتهي إلا إذا انتهت المسافة التي حددها الله له في هذا السفر ـ وهي عمره ـ والتي لا يدري عنها المسافر شيئاً، هذا إذا واصل في هذا الطريق، ولم يستطل المسافة أو يستصعب السير فيبحث عن طرق أخرى يراها أقصر أو أسهل. وقد يكون فيها هلاكه المحقق!

السمة البارزة لهذا الطريق كما يذكر الله تعالى في كتابه، وكما يذكر رسوله ﷺ، وكما يذكر التاريخ ويؤيده الواقع ايضاً، أنه طريق ابتلاء وامتحان، طريق محفوف بالمكاره، يشتد الابتلاء فيه ـ بشتى صوره ـ ويكبر كلما أوغل السائر فيه وهو مُصر على التقدم. وهذا التصور يفيدنا في أمور لعل من أهمها:

١- الاستعداد المناسب لطبيعة الطريق:

إن من يريد اجتياز هذه الطريق يحتاج إلى استعداد وتهيئة وتربية، تهيئة نفسية تساعد على الاستمرار وعدم التوقف، وتهيئة علمية تساعد على ضبط المسار وعدم الانحراف.

إن من يريد سفراً وهو يعرف طبيعة الطريق يلزمه أن يختار أسلوب السفر المناسب، وطريق الدعوة، وحمل هذا الدين قد ثبت بالشرع والواقع أنه شاق تكثر فيه العوائق والمحن، فلا بد أن يوطِّن الإنسان نفسه على ما يُحْتَمَل أن يصيبه في هذا الطريق، ويعد نفسه لذلك حتى إذا حدث شيء منه يكون قد أخذ استعداده فلا يفاجأ بالأمر فينهار، أو يرتبك إذا لم يكن في حسبانه وتخطيطه احتمال وقوعه، ويقول الشيخ السعدي[1] «في قوله تعالى: **﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم﴾**.

١- تفسير السعدي ص ٤٦٨ ط ١ .

«..ومنها (أي فوائد الإخبار بالابتلاء) أنه أخبرهم بذلك لتتوطن أنفسهم على وقوع ذلك، والصبر عليه إذا وقع لأنهم قد استعدوا لوقوعه فيهون عليهم حمله، وتخف عليهم مؤنته، ويلجؤون للصبر والتقوى».

ففقه هذه السنة اللازمة للدعوة إلى الله بتدبير الآيات والأحاديث المخبرة عنها، وبدراسة سير السلف الصالح ممن ابتلوا في سبيل الدعوة إلى الله يدعو الحازم إلى الاستعداد والتأهب وتوقع ما سيحصل في مستقبل دعوته.

٢- عدم الوقوع في الفتور الذي يصيب بعض الدعاة:

إن كثيراً من الشباب المتحمس يبدأ مجال الدعوة باندفاع ويسر لما يحققه من نجاح نسبي في أول مشواره مع قلة ما يواجه المبتدئ ـ غالباً ـ من عقبات، فيترسخ في ذهنه أن هذه الطريق كلها بهذه السهولة، قريبة النتائج. فإذا ما توغل وحصل له أي نوع من أنواع الابتلاء بدأ يتململ ويتذمر، وينفذ صبره، ويتوقف عن مواصلة الطريق، ثم يخبو حماسه أو ينطفئ تماماً، وما ذلك إلا لأنه لم يكن مدركاً من الأصل طبيعة هذا الطريق، بل كان لديه تصور متفائل جداً، وغير مستند على أدلة شرعية، أو حقائق واقعية مما جعله يفاجأ بالحقيقة التي لم يُعد نفسه لها منذ البداية، وقد تصل الحالة بمن كان مفرطاً في التفاؤل إلى التخلي عن مبدأ الدعوة إلى الله ولو تدريجياً.

٣- عدم التسرع والاستعجال في تحصيل النتائج:

إن الداعي إلى الله إذا لم يعلم ويتيقن أن ما سيصيبه في طريق دعوته من عدم استجابة الناس على عجل أو عدم استجابتهم البتة، أو عدم ثباتهم على الاستقامة أو عدم زوال المنكرات، بل أحياناً ازديادها أو غير ذلك، إنما هو منّ الابتلاء والامتحان له، بل قد يدفعه جهله هذا إلى الظن أن هذه هي النتيجة النهائية وأنه ـ والدعاة معه ـ قد خسروا فيتصرف تصرفات رعناء متسرعة من واقع الضغط النفسي الذي يضايقه، ظاناً أنه بذلك يحقق نصراً للدعوة لم يستطع تحقيقه بأسلوبه الأول الذي اعتمد على الرفق والتؤدة.

مثلاً: أن يسعى لتغيير بعض المنكرات الكبيرة الشائعة بالقوة التي يرى ـ بفهمه القاصر ـ أن فيها مصلحة للدعوة، وهذا مما يسبب مشاكل كبيرة للدعوة التي يحملها، والتي كان يمكن تفاديها لو علم أنه ليس مطالباً بأن يهتدي الناس على يديه، بل واجبه هو دعوة الناس وتبليغهم دين الله، وهو إذا قام به على خير وجه فهو نجاح بالنسبة له بغض النظر عن النتائج.

والداعي ليس مطالباً بتحقيق نصر الإسلام فهذا أمره إلى الله متى شاء أن يحدث حدث، لكنه مطالب ببذل الجهد في هذا السبيل فحسب، والرسل والأنبياء كانوا يخاطبون بذلك ﴿**فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ**﴾ [الشورى ٤٨] فالعجلة والتسرع في قطف ثمار الدعوة، وتحصيل نتائجها كلها يتطلب أمراً أساسياً ألا وهو الصبر.

راشد حسين آل عبد الكريم

هُجِرَ الكتاب

طُوي الكتابُ وجفت الأقلامُ ... فعليكَ يا زمن الإباء سلامُ

واستأسدَ الفأرُ الضَّعيف بعصرنا ... وأميط عن وجه اللئيم لِثامُ

تلك المآسي لستُ أُحصي عَدَّها ... في كلِّ يومٍ محنةٌ وسَقامُ

كلُّ المصائب سهلةٌ ويسيرةٌ؛ ... أمَّا مصائب أمتي فَجِسَامُ

إني أنادي والرياحُ عصيبةٌ ... والأرضُ حجرٌ والدِّيار ضِرامُ:

يا ألف مليونٍ ألا من سامعٍ؟ ... هل من مجيبٍ أيها الأقوامُ؟

فأجابني صوتٌ دويٌّ صاخبٌ ... أصْغَتْ له الوديان والآكامُ

فرفعتُ رأسي إذ بشبلٍ شامخٍ ... خجلتْ لفرط عُلُوِّه الأجرامُ

فسألتُه: من أنت؟ قال بعزَّةٍ: أنا مسلمٌ وشعاريَ الإسلامُ
أنا شبل سعدٍ يا نجومُ وخالدٍ أنا شبلُ حمزةَ ذلك الضِّرغامُ
الساجدون بليلِهم؛ أما إذا لفحَ الهجيرُ فإنَّهم صوَّامُ
ثم انقضتْ تلك المفاخر كُلُّها فكأنما كانت لنا أحلامُ

عبد الله بن محمد العسكر

أناس يتطهرون

تطهرنا من الأوثانِ فينَا وخُضنا في الشقاء وما شقينا
وراع الثلةَ البيضاءَ أنَّا كفرنا بالظلام ولن نلينا
فهذا القسُّ والوثني صارا يَزُفَّان السلام لقاتلينا
أقاموا «مجلساً» لهمُ وسنُّوا قوانينا لأمن الظالمينَا
وسَمُّوا دفعنا للظلم عنفاً وإرهاباً يصيبُ الآمنينا
وسَمُّوا رُعبَهمْ أمناً فأَهَدّوْا لأسرانَا المشانق والسجونَا
وقالوا: أخرجوهمْ! إنما هُمْ أناسٌ أصبحوا يَتَطَهَّرونا
فآوينَا إلى ركنٍ شديدٍ تشرفهُ الملائِكُ ما حيينَا
أتانا الروم يغتصبون لكنْ رمينا بالحجارة غاصبينا
نُكبِّرُ إن أقاموا الحصنَ يوماً ونقذفُ بالمقاليع الحصونَا

إدريس نقش الجابري

ماذا ينتظر المسلمون؟

إذا كانت وحدة العمل الإسلامي والتنسيق بين العلماء والدعاة والتشاور بين الجماعات من الأمور المطلوبة أكثر من قبل وأشد إلحاحاً، فإن معاناة المسلمين، وما يلاقونه من عذاب وقهر، وإذلال وقتل وتشريد، وما يخطط لهم عدوهم ـ مما هو أشد وأنكى ـ يتطلب منا اليوم أكثر من أي وقت مضى الوقوف وقفة رجل واحد لوضع حد لمعاناتنا، وإيجاد مخرج من هذا النفق المظلم، وللبحث عن أسباب ووسائل التمكين والعزة فالدموع والآهات والحسرات ليست هي الرد الأمثل، وكذلك الخطب والمحاضرات؛ اللهم إلا إذا كانت تدندن حول هذه المواضع وتمهد لها.

لم يعد خافياً على أحد: أن العالم أجمع ـ قديمه وجديده ـ اتفق على ألا تقوم للمسلمين قائمة، ونلمس ذلك صباحاً ومساءً، فماذا أعددنا لمواجهة ذلك؟ وعلى أي شيء اتفقنا.. أخشى ما أخشاه أن نكون اتفقنا على الشيء نفسه لكن بحسن نية، وسلامة قصد، إذ كلمة الحق مرة، ولكن من مر الدواء يكون الشفاء بإذن الله. فحين يقول الزعيم: أنا ولا أحد غيري!! وتدعي كدعوات هذه الجماعة وتلك، ونبقى نحن على ما نحن عليه يستفحل هذا التنازع المؤدي للفشل وذهاب الريح!!

إن معرفة واقع المسلمين وأسباب ضعفهم، واكتشاف أمراضهم وعللهم ليس خطأ ولا عيباً، بل الخطأ في المجاملة والطمأنة بأننا بخير وأحوالنا في تحسن، والنصر لنا، والمستقبل والصحوة، إلى آخر ما هنالك من هذه العبارات.

لا يشك أحد أن المستقبل لهذا الدين، وسيبلغ ما بلغ الليل والنهار. ولكن هذا النصر من الله تعالى، جعله الله تعالى على أيدي المسلمين أنفسهم، وبجهودهم ونحن لسنا أعزّ على الله تعالى من رسوله الكريم إذ أخذ بكافة الأسباب ـ حين أراد الهجرة من مكة ـ من رفيق الطريق، والزاد والدابة، واستئجار الدليل، وإخفاء الليالي، كل ذلك والله قادر على إيصاله إلى المدينة

بأقل من طرفة عين، لكنها السنن، والمدرسة التي يجب أن نتعلم منها ونتلمس خطاها، ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا..**﴾ [آل عمران ١٤٢].

إن التمني، وأحلام اليقظة لا تنتج إلا حراباً تنحر رقاب المسلمين، بعد أن أصبح الخوف والخنوع شعارنا، ونشيد أطفالنا الذين ينامون ويستيقظون على أحلام الخوف والفزع.. حول ما يرون ويسمعون، فإذا قرأت كلمة «ذُبِحَ» فتوقع بعدها المسلمين، وإذا سمعت «هُتِكَ» فلا بد أن تكون أعراضهم، وإن ذكر الهدم فالمقصود مساجدهم..

أيرضى عن هذا الذي نحن فيه مسلم يبتغي وجه الله واليوم الآخر؟ أترضى عن ذلك جماعة تبتغي إعلاء كلمة الله وإقامة شرعه؟

وإني أقول الجواب: أن من لم يعمل لإيجاد مخرج مما نحن فيه، ومن لم يسع حسب قدرته وطاقته، ومن لم يكن هذا همه ـ فليفهم نفسه ـ أنه على خطر عظيم..

إن المسؤولية تكبر بكبر الموقع، والإمكانات، وإن مكان ذلك لا يعفي أحداً منها، ومن يدري فرب كلمة في هذا الاتجاه يهيء لها الله سبحانه وتعالى القبول ممن بيدهم الاستطاعة والقدرة، فالحروب الصليبية كلها عائدة لبطرس الراهب الذي جاب أوربا شرقاً وغرباً ـ لا يملك سوى الكلمة لتحريض النصارى على تخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين حسب زعمه.

ونحن في هذا المجال لا ننكر جهود بعض المخلصين ونداءاتهم من أجل وحدة العمل الإسلامي ورص الصفوف رغم ما يعترض ذلك من صعاب ومشقة، ولكن النتائج لم تظهر أية مبادرة عملية في هذا الاتجاه، حيث كثرت الأقوال وقلت الأعمال، إن خلاص النية لله والتوكل عليه وتقواه أساس البداية الصحيحة السليمة ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً**﴾ [الطلاق ٢]. ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾ [الطلاق٣] ثم يأتي

الإعداد والأخذ بالأسباب لقوله تعالى :﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع﴾.

عدنان محمد عبد الرزاق

السرقة أنواع..ودرجات

قد يظن البعض من الناس أن مفهوم السرقة محصور فقط في أخذ مال الغير من حرزه، والاستيلاء عليه بدون وجه شرعي.. وكفى. ولكن مفهوم السرقة أعمق من هذا بكثير.. فقد تفنن الناس فيها، واخترعوا اختراعات، حتى صارت أنواعاً ودرجات.. بعضها أظلم وأعقد من بعض.

فمن أنواع السرقات التي أنتشرت في الآونة الاخيرة في العالم أجمع: سرقة الأعمال الأدبية سواء أكانت شعراً أم نثراً أم قصة أم رواية..الخ. وكذلك سرقة المؤلفات بكاملها أو بعضها.. أو الخروج على قانون الاقتباس، وهذا ما قد عمت به البلوى ــ ولا حول ولا قوة إلا بالله ــ.

وكذلك ما تفعله بعض دور النشر والتحقيق التي لا ضمير لها، وكذا بعض الأفراد الذين يعملون في هذا المجال.. فمصائبهم لا تعد ولا تحصى.. كل هذا سرقة للتراث، وقتل للنبوغ والابتكار وإهلاك الاقتصاد.

ومن أشد أنواع السرقة، ومن أقتمها درجة، وأعظمها عند الله: سرقة بعض المدراء لجهود مرؤوسيهم، ولا سيما إذا كان هذا المدير ذا فصاحة وبيان وعنده القدرة على التلاعب بالألفاظ والاستخفاف بعقول الآخرين والتأثير عليهم بسحر لسانه وقوة بيانه وكذبه وتماديه في الباطل، فيخلط مع الكلمة ألف كذبة، ليأكل بلسانه حقوق الموظفين التابعين لإدارته ــ وهذا الصنف من المدراء كثير لا كثرهم الله ــ في كل زمان ومكان.

عادل محي الدين نصار

● **من الأخت أم غازي جاءتنا الرسالة التالية:**

«إن من يخرج إلى الأسواق والمتنزهات وغيرها من الأماكن العامة يرى العجب. الرجل الذي تبدو عليه سيماء الصلاح يتجول في الأسواق وبجانبه زوجته أو ابنته.. وقد خرجت متبرجة مائلة مميلة بشتى أنواع التبرج وأشكاله، وحجابها الظاهري زينة في نفسه، تزاحم الرجال وتتحدث معهم بل قد يصل الأمر بها إلى الضحك مع أصحاب المحلات التجارية رغم وجود محرمها معها، ولكن بئس الرجل هذا الذي لا يغار على محارمه، يقف بجانب زوجته كالصنم لا يأمر ولا ينهى بل قد يكون عبداً لزوجته تأمره وتنهاه.

اعلم رحمك الله أنك مسؤول عن أهلك أمام الله، وأن دعوة الرجل لأهل بيته فرض عين على كل رجل راع. قال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة..﴾**، وقال علي رضي الله عنه: «ألا تستحون أو تغارون..»».

● **وجاءنا من الأخت نورة بنت إبراهيم المبرز رسالة**

توجهت فيها بجملة من النصائح لأخواتها المسلمات تحدثت فيها عن أهمية «الحجاب الحقيقي» ومن نصائحها:

«..وإنني آسف كل الأسف أن يأخذ أبناء هذه الأمة بكل ما يرد عليها من مستوردات الحضارات الأخرى دون النظر والتأني في الاختيار المناسب لما يأخذون وما يتركون. ولا تسقط الإمبراطوريات والأمم إلا عندما تسقط المرأة فإنها إذا ما سقطت ضاعت الأجيال..».

● **الأخ محمد عبد الله القحطاني**

تساءل في رسالة بعنوان «التخصص وسياسة التجهيل» عن أسباب «الجهل العام» في مجتمعات وسياسات الدول في «تجهيل أبنائها من خلال وضع مناهج غير صالحة» ويقول «كثير من الجهات التعليمية في العالم العربي وربما الإسلامي تدرس الطالب أثني عشر عاماً تشمل مراحل الابتدائي والإعدادي والثانوي فهل يحصل الطالب فيها على معلومات توازي مَنْ درس على أيدي مشايخ الحقبة الأولى لمدة أثني عشرة عاماً.. خاصة إذا ما أخذنا بالاعتبار الفوارق الهائلة من إنارة ووسائل نقل..»؟ الجواب للقارئ... وللواقع.

● **الأخ مجدي عاشور**

يدعوا مسلمي العالم كي يتحركوا ويهبو لنصرة إخوانهم قبل «أن يكونو أثراً من آثار الماضي أو صفحة من صفحات التاريخ» و«كفانا سلبية في مواجهة

مشاكلها، يجب أن نعرف أن الأمر يعنينا جميعاً لأنهم قطعة من «جسدنا» ورقعة من عالمنا..».

● **الأخ الفاضل حمد الفهّاد**

أرسل لنا قصيدة تجاوزت المئة والسبعين بيتاً مما يصعب علينا نشره بالمساحة المحددة للقراء نختار منها الأبيات التالية:

محمدٌ لو رأيت اليومَ عالمنا
وأمة الكفر تعدو في أراضينا
قد استباح صليب الكفر بيضتهم
فأصبحوا بغياً في التيه ماشينا

ونقترح عليك نشرها في مجلات متخصصة بالشعر/أو كتيب مع غيرها من أشعاركم.

● **الأخ منصور عبد الله القحطاني**

في مقالته «تداعيات على أنقاض مسجد الضرار» أنه يُتخذ عادة من أعداء الدين يرفعون فيه لافتة الدين ليُرمي الدين من داخله وهو يكون عادة «بشكل تشكيلات وتنظيمات وكتب وبحوث تتحدث عن الإسلام لتحذر القلقين الذين يرون الإسلام يذبح ويمحق.. ومن أجل مساجد الضرار الكثيرة يتحتم كشفها وإنزال اللافتات عنها ولنا أسوة بالنبي ﷺ».

● **الأخ سعد بن عبد المجيد الغامدي**

يرى في «اللامنتمي بين أبواق ابليس ودعاة الحق» أن كثيراً من الناس الذين سقطوا لم يقصدوا السقوط لذا ففيهم بذرة خير «فلماذا إذن لا ننطلق من هذه الجزئية المتبقية في صحراء التيه والضلال؟.. ننطلق منها ثم نُحلّق بصاحبها بعيداً عن ثنايا القاع ونسمو به أعلى القمم حيث الانعتاق من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد».

● **الأخ سلمان الصغير:**

في رسالته إلى الجيل القادم بعنوان «معذرة أيها الجيل القادم» يتساءل:

«يا ترى ماذا سنقول للجيل القادم؟ أنقول له إنا نحن ضيعنا الأمة ومزقنا شملها؟ أنقول له أن اليهود جلسوا أكثر من أربعين سنة في القدس؟ أنقول له أن الصومال جاع ونحن أتخمنا بالسمنة؟! أنقول له إنا استبدلنا بالشريعة قانوناً وضعياً؟ أم نقول له إنّا أبدلنا العزة ذلاً والكرامة هواناً؟! وإنّ استطعنا أن نقول كل ذلك فماذا سيقول لنا؟!»

● **الأخ عبد العزيز القسيومي**

في رؤيته لمستقبل الأمة يرى في مقالته «مشكلات يحلها الإسلام» أنه «ليس من الضروري الآن أن تكون هناك حكومة

واحدة في تلك الرقعة الفسيحة، إنما المهم أن تتكتل تحت لواء واحد. فالإسلام هو الإسلام وقوانينه هي قوانينه، وشخصيته هي شخصيته من القوة والوضوح بحيث لا تندغم ولا تنبهم في نظام آخر. وروحه من القوة بحيث لا تخضع للتلاشي والفناء».

● **الأخ محمد عبد الله العتيق**

يرى في واقع الأمة المسلمة أن الأُمة «تتطلب أحياناً العزاء عن واقعها الأليم في صور مشرقة سامقة من أيام العز السوالف نجيل فيها النظر في متعة. قد يرى البعض أن تلك دلالة ضعف لا قوة، فليس هذا هو طريق العمل الجاد المثمر. وظني أن في تلك المراجعات نشدان لراحة نفسية من الإحباطات المتوالية عبر حلقات الإذلال التي نتلقاها يومياً. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإننا ـ لضعف إنسانيتنا ـ نتوق إلى شواهد ـ واقعية ـ مرئية كانت أو مروية ـ تثبت لنا إمكانية الغلبة الحضارية..».

● **من نصائح الأخ أحمد بن إبراهيم الحريقي لإخوانه طلبة العلم:**

«قال بعضهم لابنه يا بني لأن تتعلم باباً من الأدب أحب إليَّ من أن تتعلم سبعين باباً من أبواب العلم». فكيف لا نحترم علماءنا وهم ورثة الأنبياء؟ وإذا بدا لك خطأ من الشيخ أو وهم فلا يسقطه ذلك من عينك فإنه سبب لحرمانك من علمه ومن ذا الذي ينجو من الخطأ سالماً:

ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلها
كفى المرء نُبلاً أن تُعدَّ معايبه

وبعض الناس مثل الذباب لا يقع إلا على الجرح، وهذه الجملة من كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية نقلها الشيخ ابن سعدي في كتابه طريق الوصول. وهي: أن بعض الناس لا تراه إلا منتقداً داءً ينسى حسنات الطوائف والأجناس ويذكر مثالبهم فهو مثل الذباب يترك موضع البرء والسلامة ويقع على الجرح والأذى وهذا من رداءة النفوس وفساد المزاج».

● **الأخ صالح بن محمد العصيمي**

وجه لنا مجموعة من الملاحظات، يقول الأخ:

«إن مستوى المجلة قوي ومواضيعها الفكرية والثقافية لا تناسب الجميع ولكنها تناسب فئة محدودة من شباب الصحوة ألا وهم الطلائع المثقفة من جيل الصحوة فما نصيب البقية؟ لذلك يرجو الأخ أن تكون (البيان) بياناً واضحاً مفهوماً سهلاً للجميع». كما يرى الأخ أن بعض الموضوعات «تستهلك» مساحات واسعة للتوسع المطنب والذي يرى أنه قد يطرح

في كتاب بدل أن يأخذ مكاناً في صفحات المجلة لعدة أعداد متتالية.

البيان: جزاكم الله خيراً. الحقيقة أن مستوى موضوعات المجلة من أهم أهدافنا منذ العدد الأول وهذا ما أشرنا إليه في كلمتنا عن المنهج منذ البداية. ولك الحق في أن تتساءل عن ما قدمنا للقارئ العادي. والمعادلة صعبة ولكننا نرى الأفضل أن نُحاول الصعود بالقارئ بدل الهبوط، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن المجلة في كثير من الأحيان تتناول موضوعات سهلة وتعالجها بشكل يناسب «القارئ العادي» كما أحببتم تسميته. واقتراحك الآخر جيد وسنحاول أن نأخذه بعين الاعتبار في المستقبل إن شاء الله.

• الأخ تيسير بن حمد أبو حمير

ملاحظتك جيدة وسنحاول التنبه أكثر لمثل هذه الهفوات.

• الأخ محمد عبد الله القحطاني

الموضوع جيد الفكرة ولكنه ضعيف السبك والعبارة. ولابأس بالمحاولة حتى تصل إلى المطلوب فكرة ومضموناً. جزاكم الله خيراً على حسن ظنكم بالمجلة.

• الأخ عبد الله بن محمد الشهري

مشاركتكم «أيعيد التاريخ نفسه» جيدة، شكراً لظنكم الطيب بالبيان وأسرة تحريرها ولكننا لا ننشر الموضوع لأننا لا نمدح أنفسنا؛ وإن أثنى علينا الآخرون، فذلك من توفيق الله. جزاكم الله خيراً وإلى مشاركة أخرى إن شاء الله.

• الأخ يحيى بخاري

نصائحكم في محلها وسنحاول الانتباه للأخطاء المطبعية إن أعاننا الله و«كشفناها». جزاكم الله خيراً ونحن نوافقكم على ما قاله أبو البقاء الرندي:

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يُغرَّ بطيب العيش إنسان

• الأخ أبو محمد

وصلت قصيدتكم «صدى طفل العقيدة ينادي». المحاولة جيدة ولكن الموضوع كُرر كثيراً في البيان. نرحب بمحاولات أخرى.

المرأة.. وخدمة العقيدة!!

الرباب بنت عبد الله

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كان الرسول عليه السلام يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت في خيبر».

هذا حديث صحيح ذكره البخاري في باب (مرض الرسول الذي مات فيه). لقد وقفت مع هذا الحديث وظللت أتأمله وأردد بيني وبين نفسي (إن هذا لشيءٌ عجاب)!! أجل فقد استولى علي العجب لكون طعام يهود خيبر المسموم الذي قدموه لرسول الله ﷺ لم يجئ به شاب مفتول العضلات ولا رجل قوي البنية! إنما تولت زمام هذه المؤامرة الدنيئة إمرأة ضعيفة!!

سألت نفسي مراراً ..

تُرى ما الذي حمل هذه المرأة على أن تخطط لقتل رسول الهدى! وما كان ـ بأبي هو وأمي ـ من الملوك الظلمة الذين يأخذون أموال الناس غصباً وعدواناً. هل هو شعور هذه المرأة بأنها عضو في مجتمع وعليها دور لا بد

أن تؤديه.

إذا كانت هذه المرأة اليهودية قد عرّضت نفسها للمشاق والألم. وهمّتْ بمبارزة الرجال حرصاً على بقاء عقيدتها الهشة التي أحاط بها الباطل من بين يديها ومن خلفها.. فماذا تُراها فاعلة لو كانت تحمل في صدرها عقيدةَ التوحيد الصافية التي يحملنها فتيات الإسلام ومع ذلك قلما يجتهدن لنصرتها، ويحملن همها ويقدمن لإجلها الرخيص فضلاً عن النفيس!!

كأن فتاة الإسلام قد أغمضت عينيها فلم تُبصر نساء اليهود والنصارى في عصرنا وقد شمرن عن ساعد العمل والجد. حتى قامت (إيميلدا) زوجة ماركوس حاكم الفلبين السابق بقيادة معظم الحركات التنصيرية ضد المسلمين في مندناوا والجزر الإسلامية!! بل إن حماسها العقدي حملها على إنشاء منظمات نصرانية كمنظمة (ايلجاس) التي ليس لها مهمة إلا قتل الشباب المسلم في الفلبين، وقتل نسائهم وتخريب ديارهم! كما لم تنس هذه النصرانية تكوين عصابة أسمتها «عصابة الفئران» وصرفت لموظفيها مبالغ طائلة ليصطادوا فريستهم التي ليست إلا نحنُ(!!)

وإني أحسب أن فحيح (عابدة حسين) الذي تناقلته وسائل الإعلام مؤخراً، ليس إلا دليلاً على أن العصر عصر العقائد، حتى عند الجنس اللطيف! إذ دأبت هذه المسيحية على تحريض بلادها باكستان كي تعترف بالكيان الصهيوني الذي ترتبط هي به روحياً وعقائدياً!!

والأمثلة على هذا النوع كثيرة.. غير أني أَدَعُها وأدعو نساء المسلمين إلى مطالعة صفحات التاريخ المشرقة ليرين خطوات أسماء ونطاقها الذي لم تجد غيره فشقته! وليتأمَّلن صمود أسماء وابنها عبد الله، فهل كان يرخص رأس

عبد الله في عيني أمه لولا عقيدة يرخص دونها الوالد والولد!

لماذا تُشيح فتاة الإسلام بسمعها عن صوت الخنساء وهي تردد (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم) وهي التي همت قبل إسلامها بقتل نفسها حزناً على أخيها إذ قالت:

ولولا كثرة الباكين حولي   على إخوانهم لقتلت نفسي!

ترى ما الذي غير لغة الخنساء وعاطفتها، ومن ذا الذي منحها طاقة تواجه بها مصيبة موت أولادها الأربعة إلا عقيدة لا طعم للحياة بدونها!

وفي العصر الحديث لا نعدم جيلاً نسائياً استشعر عظمة العقيدة فجاهد لنصرتها، ولم يقف تفكير هؤلاء النسوة عند حدود الطبخ والثوب والحذاء والزوج والولد وأمن البلاد بل كان مع تربية الولد وإسعاد الزوج وخدمة أمتها.

اختاه.. (للنائمات فقط) العقيدة لا تحتاجنا، بَيدْ أننا نحتاج خدمتها لنتذوق طعم الحياة بها!!

هوامش:

١- صحيح بخاري، (والله يعصمك من الناس) عرض تاريخي لمحاولات اغتيال الرسول، أحمد الجدع.

٢- انظر مجلة الدعوة تاريخ ١٤١٢/٥/٨ ص ١٦-١٧ .

٣- مجلة الجهاد، العدد ٨٥، شعبان ١٤١٢ . عابدة حسين سفيرة باكستان لدى الأمم المتحدة.

آداب الزيـــــارة وحدودها بين النساء

أم عبد الرحمن

إن للزيارة آداب وحدود، فإذا فقدت الزيارة بعضاً من هذه الآداب وتجاوزت شيئاً من هذه الحدود، فإن القلوب قد تتنافر، كنتيجة لذلك.

وقد جمعت شيئاً من هذه الآداب من واقع التجربة، راجية من الله عز وجل أن يجعل فيها الفائدة المرجوة لأخواتي في الله، وأن تكون بعيدة عن الإفراط والتفريط.

من آداب الزيارة:

١- اختيار الوقت المناسب، واليوم المناسب للزيارة، فلا يكون الوقت في الصباح الباكر أو في وقت الظهيرة بعد الغذاء، أو في وقت متأخر من الليل. فإن وقت الصباح الباكر وقتُ نوم عند بعض النساء، ووقت عمل عند أخريات (من تنظيف بيت وإعداد طعام).

ووقت الظهيرة بعد الغذاء هو وقت القيلولة، وهو وقت نوم أو استراحة

للزوج بعد عودته من العمل. والوقت المتأخر من الليل هو وقت السكون والراحة أيضاً وهو وقت خاص بأفراد الأسرة.

٢- اجتناب الزيارات المفاجئة بدون موعد مسبق أو استئذان، وتلافي ذلك بسؤالك صديقتك التي ترغبين في زيارتها (عن طريق الهاتف إن استطعت) عما إذا كان وقتها يسمح لها باستقبالك إذا لم تكن لديها أية مسؤوليات تجاه أطفالها أو بيتها أو زوجها في ذلك اليوم. وبهذا الاستئذان تكون مهيأة ومستعدة لاستقبالك، بعكس الزيارة المفاجئة التي قد تسبب الضيق والإزعاج لصديقتك، خاصة إذا كانت صديقتك أو بيتها في حال أو في هيئة تكره أن يراها أحد عليها.

٣- أن لا تطول مدة زيارتك لأن الزيارة إذا كانت مدتها طويلة قد تشعر صديقتك بأنك أثقلت عليها وأنك لا تبالين بكثرة مسؤولياتها كزوجة وأم وربة بيت، وبالتالي قد يذهب ودّها لك أو يقلّ.

٤- إذا طالت مدة الزيارة فينبغي استغلال الوقت بما ينفع، وبما يكون فيه لك ولصديقتك الأجر والثواب، وذلك بقراءة أحد الكتب الإسلامية، أو سماع شريط نافع، كي تشعر صديقتك بالسرور لأن زيارتك أفادتها الكثير ولم يذهب وقتها هباءً في الثرثرة من تشدقٍ وغيبة ونميمة.

٥- التحفظ وقت الزيارة في الأقوال والأفعال بحيث لا تُظهري لصديقتك شيئاً من الفضول في قولك أو فعلك بكثرة الاستفسار عن أشياء تخصها، أو تخص زوجها ـ والتي ربما تكون عادية ـ ولكنها لا تحب البوح بها لك أو لغيرك.

٦- إظهار الرضى والسرور والبشاشة بما تقدمه لك من طعام أو شراب واستكثاره مهما كان قليلاً، وتقديم النصيحة لها بالبعد عن الإسراف

والتكلف للضيف في المأكل والمشرب، وعدم التحدث بعيوب الطعام الذي قدمته لك مهما كان نوعه.

٧- تجنب كثرة المزاح إذا تجاوز الحد أورث مقتاً واحتقاراً لصاحبه، وقد يملأ القلوب بالأحقاد إذا كان مزاحاً ثقيلاً وجارحاً لكرامة الشخص ولمشاعره.

٨- إصلاح ما قد يتلفه أطفالك من متاع أو أثاث في بيت صديقتك أثناء زيارتك لها (إذا كان بالإمكان إصلاحه وقتئذٍ)، وتنظيف أو إزالة ما قد يحدثه أطفالك من فوضى أو قذارة في بيتها حتى لا تشعر صديقتك أنك ضيفة ثقيلة عليها أنت وأطفالك.

٩-تقديم الشكر لصديقتك عند نهاية الزيارة والدعاء لها بقولك: (جزاك الله خيراً) على استقبالها لك وحسن ضيافتها لك، وقدمي لها الاعتذار إن بدا منك أو من أطفالك أي أذى لها أو لأطفالها أثناء الزيارة، فإن هذا الاعتذار قد يُذهب ما في القلوب من كدر أو جفاء أو شحناء إن وجد.

١٠- عدم تكرار الزيارات في فترات متقاربة من الزمن، حتى لا تتولد الجفوة والسآمة بكثرة الخلطة واللقاءات والاجتماعات المتكررة والمتقاربة، وقد قيل: «زُر غِباً تزدد حُباً»، وقيل أيضاً: «لا تزر القوم قبل أن يشتاقوا إليك، ولا تمكث حتى يضجروا منك».

وختاماً.. فإني أرجو أن تكون هذه الآداب بعيدة عن الإفراط والتفريط وأن تكون أقرب إلى الحق والصواب والعدل.



الأحباش: دعوة أم فتنة

محمد الشيخ عثمان

ظهر في لبنان في السنوات الأخيرة طائفة تسمى الأحباش، نسبة إلى شيخهم عبد الله الحبشي وقد تبنت هذه الطائفة عقائد خالفت فيها كثيراً من اعتقادات أهل السنة كما سلكت مسالك شاذة في الفقه والسلوك. ولهم جمعية اسمها «جمعية المشاريع الخيرية» ومجلة شهرية تسمى بـ «منار الهدى» تصدر في لبنان. ونظراً لأن مؤسس هذه الفئة «عبد الله الحبشي» يدعي أنه من الصومال بل يدعي أحياناً أنه مفتى الصومال؛ رأيت أن أكتب بعض الحقائق عنهم لكوني من الصومال أولاً، ولأنني كنت أتابع نشاط هذه الفئة لبعض الوقت. وقبل أن أتطرق لمعتقداتهم رأيت أن أكتب عن المؤسس.

أسس هذه الفئة عبد الله بن محمد الشبيب الهرري[1] الحبشي[2]. وهو ليس من الصومال كما يدعي، ولا أظنه معروفاً عند الصوماليين فضلاً عن

١- نسبة إلى هرر مدينة شهيرة قامت فيها إمارات إسلامية وهي الآن جزء من الحبشة.

٢- نسبة إلى الحبشة.

كونه مفتيهم.

شخصية الحبشي شخصية غامضة لم تكن معروفة كثيراً في العالم الإسلامي أو في شرق إفريقيا إلا ما ذكره الشيخ عبد الرحمن دمشقية من أن الرجل ساهم في فتنة المسلمين في أرض هرر، وخاصة فتنة «كلنب»[1] و وقد ذكر أن الحبشي حارب أهل السنة بإيعاز من أديس أبابا وتعاون مع الحاكم ادتراجي صهر هيلاسيلاسي، وسبب إغلاق مدارس تحفيظ القرآن، حتى عرف بشيخ الفتنة، ثم هرب من الحبشة إلى الشام، وأسس مذهبه في لبنان وكانت أزمة لبنان الأخيرة مما ساعده على ذلك حيث وجدها مرتعاً لأفكاره المنحرفة، ومدخلاً للعالم الإسلامي لبث اعتقاده. ومما يؤكد أن شخصية الحبشي غامضة ما ذكر في مجلتهم منار الهدى[2] حين أجرت مقابلة مع ابنه الذي صرح أنه لم يلتق بوالده حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره.

الأحباش:

أكثر «الأحباش» من لبنان، وقلة من الجنسيات الأخرى، وقد بدؤوا أخيراً تكوين نشاط في بعض الدول الغربية، مثل الدانمارك، وسويسرا، وفرنسا، وأكثر أتباعه شباب متعصبون لشيخهم ومذهبهم المبني على كثير من الاعتقادات الفاسدة، والشذوذات الفقهية.

ففي الاعتقاد: خالف الحبشي أهل السنة في كثير من مسائل العقيدة، فهو يتصيد الآراء الفاسدة من كل الفرق المنحرفة، فتجده تارة جهمياً وتارة

١- المسلمون، العدد: ٤١٠، ١٧ جمادى الآخر ١٤١٣ هـ، ومجلة الفرقان، العدد: ٣٣، رجب ١٤١٣هـ.

٢- منار الهدى، ص:٣٣، عدد رقم: ٣ .

مرجئاً، كما أنه يأخذ فكرة التكفير من الخوارج ففي الصفات نجده مدعياً أنه يؤمن باثنتي عشرة صفة فقط ويزيد عليها مخالفة الله للحوادث والقيام بالنفس[١]. كما أنه لا يؤمن بصفتي الغضب والرضا، ويرى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان[٢].

سبّه للصحابة:

إنَّ عبد الله الحبشي يُفسِّق معاوية بن ابي سفيان ـ رضي الله عنه ـ ومن كان معه ضد علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فهو في هذا متشيع خارج عن مذهب أهل السنة والجماعة في عدالة الصحابة وعدم الخوض فيما شجر بينهم كما يفسّق أم المؤمنين عائشة عليها رضوان الله[٣].

تكفيرهم للعلماء:

من سمات الأحباش تكفيرهم لعلماء شُهد لهم بالعدالة والاستقامة، فهم يكفرون شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهم. ومن العلماء الذين يكفرهم الحبشي الشهيد سيد قطب ـ رحمه الله ـ والمحدِّث محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ عبد العزيز بن باز، بل ويكفرون الجماعات السلفية، وجماعة الإخوان المسلمين.

مقابل تفسيق الصحابة، وتكفير العلماء نجد الحبشي يمدح ابن عربي، وعبد الوهاب الشعراني، وغيرهم ممن عرفوا بالشعوذة والدجل[٤].

١- انظر الرد على الحبشي للشامي ص ٢٨٧ .

٢- الدليل القويم، ص ١٠-١١، والرد على الحبشي للشامي ص ٢١٨ .

٣- الدليل القويم، ص: ٢١٤ .

٤- الدليل القويم، ص ١٥٢ (الفتوحات المكية).

آراؤه الفقهية:

سلك الحبشي مسلكاً شاذاً في الفقه، فهو يرى خروج المرأة متبرجة متعطرة إلى الشوارع، ويرى اختلاط النساء بالرجال لأجل الدعوة، ويكفر من يحذر من ذلك كما فعل بحق الشيخ فيصل مولوي، ومن أغرب ما ذهب إليه الحبشي إجازته لمن أراد التخلف عن الجمعة أو الجماعة أن يأكل الثوم والبصل، مستدلاً بحديث رسول الله ﷺ: «من أكل ثوماً أوبصلاً فلا يقربن مسجدنا»[1] وهذا غاية في الشذوذ والضلال، وإذا فُهِمَتِ النصوص بهذا الفهم الحبشي فلن يكون هناك كتاب أو سنة.

ومن غرائبهم أنهم موسوسون في إخراج الحروف فتسمع لهم في الصلاة صفيراً بسبب بحثهم عن مخارج الصاد، وقد شبههم الشيخ محمد عبد الله الشامي بفعلهم هذا في مساجدهم كأن مساجدهم مملوؤة بالعصافير[2].

استخدام العنف في نشر مذاهبهم:

وهذا مذهب أهل الضلال والانحراف مثل الخوارج، فأهل السنة لا يستخدمون العنف لنشر مذهبهم ويتقون الله في دماء المسلمين. وقد سبق أن اتهموا بمقتل الشيخ القصاص[3] وغيره. ولا يمكن أن يترك هؤلاء يُرَوِّعون المسلمين في مراكزهم ومساجدهم.

١- رواه مسلم بلفظ: «من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا وليقعد في بيته».

٢- الرد على الحبشي للشامي ص ٢٩ .

٣- الفرقان، العدد: ٣٣، رجب ١٤١٣هـ.

أقوال علماء المسلمين فيهم:

لقد أخبرني من أثق فيه: أن من أحسن ما كتب أخيراً في الرد على الأحباش كتاب: «إطلاق الأعنة». كما أن كتاب الرد على عبد الله الحبشي للشيخ محمد عبد الله الشامي يعتبر كتاباً جيداً ناقش معتقدات الأحباش بهدوء، وبطريقة علمية. وقد تكلم على هذه الفئة علماء أجلاء منهم: فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز حيث قال عنهم: «إن هذه الفئة معروفة لدينا وهي فئة ضالة، ورئيسها عبد الله الحبشي معروف بانحرافه وضلاله والواجب مقاطعتهم وانكار عقيدتهم». وذكر سعد الدين خالد ابن الشيخ حسن خالد ـ رحمه الله ـ مفتي لبنان: أن هؤلاء ليسوا بعيدين عن مخططات أعداء الإسلام في نشر الفرقة والآراء الشاذة ليشغلوا المسلمين بها.

وخلاصة القول إن هذه الفئة تستخدم إمكانيات اقتصادية هائلة، ومن خلالها ينشرون مذهبهم بين المسلمين، لذا يجب على علماء الإسلام التصدي لهؤلاء وتفنيد بدعهم، والرد عليهم، وبيان زيفهم وضلالهم.

* * *

رجـــــاء

ترجو هيئة التحرير من الإخوة الذين يريدون الكتابة إلى البيان مراعاة الأمور التالية مشكورين:

١- الكتابة في موضوعات تساعد على بناء الجيل المسلم علماً وعملاً.

٢- أن لا يتعارض محتوى المقال مع منهج أهل السنة والجماعة.

٣- الحرص على إبراز الدليل في الأفكار المطروحة، والعناية بتخريج الآيات والأحاديث، وذلك بذكر المصادر والمراجع وأرقام الصفحات مع عدم الاعتماد على الحديث الضعيف.

٤- الابتعاد عن طرح ومعالجة القضايا والمشكلات من الزاوية الإقليمية.

٥- أن لا يكون البحث قد نشر من قبل.

٦- أن يؤدي البحث إلى تقديم فائدة عامة على نطاق واسع بعيداً عن التعقيد.

٧- الحرص على وضوح العبارة، وعدم الإطناب، وتجنب الأسلوب الخطابي والإنشائي.

٨- الكتابة بخط واضح، أو طباعة المادة،، والعناية بعلامات الترقيم، وتكون الكتابة على وجه واحد من وجهي الورقة.

٩- المقالات التي ترد المجلة لا تعاد إلى أصحابها.

باسم رب الغلام

د. محمد الحضيف

اقتربتْ من صدره فاحتضنته، ثم تراجعت خطوة إلى الوراء، ويدها ما زالت على صدره وقالت:

- ما هذا يا عبد الله؟

- درع اتقي بها ضرباتهم.

- أتخاف من الحجاج يا عبد الله.. أتخاف من الموت؟

قلت لها لماذا لا تخافين أن يكون اسمك على ورقة، لماذا تطالبينني أن أكون (عبد الله)، ولا تحاولين أن تكوني (أسماء)؟ سكتت وانتهى هذا الحديث.

ثم.. لما جنّ علي الليل أخذت أتأمل فيما قلت لها: هل قسوت عليها. هل طالبتها بما لا تستطيع. لقد تحدثنا عن التضحية، عن كيف عانى عليه الصلاة والسلام حتى يبلّغ الرسالة.

إننا دائماً نتحدث عن الحاجة إلى الرواد الذين يتقدمون الصفوف ليلتقطوا الراية أو يحملوا المشعل، وكثيراً ما نستخدم مثالاً سخيفاً، فنقول: «من يعلق الجرس»؟ فتتبادر إلى اذهاننا قصة الفئران والقط. لهذا السبب نعاني شحّاً في الرواد.. والرائدات.. ما دام المثال فئراناً وقططاً فالمسألة لا تستحق تضحية، فضلاً عن أن تكون هناك ريادة.

استبد بي الأرق وعافني مضجعي وأنا أتأمل فيما قلت. تذكرت حديث صاحبي الذي قال: كنا في مجلس فَحُدِّثنا عن صفة أهل النار فرانَ علينا صمتٌ كصمت من في القبور، وما تجد واحداً منا يلتفت إلى صاحبه. ثم حدثنا عن صفة أهل الجنة فارتفع بكاؤنا وعويلنا.

تعجبت.. قال لا تعجب، حينما كان يتحدث عن أهل النار خفنا أن يسمينا لكثرة ما اقترفنا، فلزم كل منا الصمت خشية أن يقول هاهوذا. وحينما تحدث عن أهل الجنة، وتحدث عن أدني أهلها والحوار الذي دار بينه وبين الرب جل وعلا، بكينا وكل واحد يؤمل أن يكون ذلك الأدنى. ثم أضاف صاحبي وقال، لكنه حدثنا حديث الغلام.

سرت في جسدي رعشة وأنا أردد: حديث الغلام. هل تذكرون حديث الغلام؟ هذا أعظم الرواد. ليتني قلت لها حديث الغلام.صحيح أنني حدثتها عن أم المؤمنين خديجة وهي تدثره عليه السلام، وتقول: أبشر، والله لا يخزيك الله. كأني أقول لها كوني خديجة.

لكن ما حال الغلام؟ هل تريد أن تقتلني، قالها الغلام. اجمَع الناسَ، وخُذْ هذا السهم وقلْ: باسم رب هذا الغلام ثم اطلق السهم فتقتلني. جمع الناسَ وقال: باسم رب الغلام وأطلق السهم. مات الغلام، وقال الناس: آمنا برب الغلام.

ومضت في التاريخ قصة أعظم الرواد. فمن يكون مثل الغلام.. لا من يعلق الجرس.

البيان

العـدد الثـالث والسـتون
ذو القعدة ١٤١٣ هـ
مـايو ١٩٩٣ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لنـدن

كلمة صغيرة

ما زالت الكتابات التي تتناول أحوال المسلمين دون المستوى المطلوب، فمنذ أن كتب الأمير شكيب أرسلان تعليقاته الشهيرة على كتاب حاضر «العالم الإسلامي» لم يظهر كتاب يماثله في وصف حالة المسلمين وواقعهم وما هم عليهم من القوة والضعف والجهل والعلم وما هي ثرواتهم ومؤسساتهم وواقع الدعوة بين صفوفهم.

سنقدم في هذا العدد من البيان محاولة متواضعة لسدّ هذه الثغرة، وسنتابعها في الأعداد القادمة إن شاء الله وسنتطرق للحديث عن أحوال المسلمين في المناطق «المنكوبة» والتي تسميها الصحافة (مناطق ساخنة) تخفيفاً من هول المأساة.

وهذا الموضوع واسع ودقيق يتطلب جهوداً جمة، وإمكانات قوية، ولذا فربما نعجز عن تحقيق ما نرنوا إليه ولكننا سنسدد ونقارب والله من وراء القصد.

المحـرر

رئيس التحرير
محمد العبدة

العنوان

AL BAYAN MAGAZINE

**7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR U.K.**

**Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 371 5307**

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

هذه هي القضية

هل أصبح المسلم منبوذ هذا العصر؛ يتحاشاه الناس كما يتحاشون من الجمل الأجرب؟

إن الحملة الإعلامية الخبيثة التي تُشن عليه تريد ترسيخ هذه الصورة في أذهان الناس. وتستغل أخطاءً هنا وهناك كي تكتمل الصورة ويكتمل العرس الإعلامي الذي يقوده الغرب بعد أن استفرد بالمسلمين على الساحة العالمية.

إن من طبيعة الغربي في تفكيره وسلوكه أن لا يرضى بالتنازلات القليلة، فكلما تنازلت له عن شيء يطلب المزيد، أما المسلمون فليسوا على استعداد لترك دينهم وعقيدتهم إرضاءً للغرب. وأما الذين يلهثون وراءه، فهل يستطيعون بعد الانسلاخ عن دينهم تغيير جلودهم؟

لا شك ستبقى نظرة الغرب إليهم نظرة فوقية ولو قبّلوا أقدامه.

ليست (قضية الأصولية) هي القضية المستهدفة عند الغرب، وإنما المستهدف هو الإسلام عقيدة وسلوكاً وحضارة، وقد عَبّرتْ عن هذه النوايا صحيفة يهودية عندما طالبت بإلغاء البرامج الدينية من الإذاعة والتلفاز، بل وإلغاء

العبارات الدينية. تقول الصحيفة: «الأمر العجيب في القاهرة أن حوانيت الملابس تسمع فيها آيات القرآن، وتذيع إذاعة القرآن الكريم هذه الأيام (١٩) ساعة يومياً، ويدل استطلاع الرأي أن ٩٦٪ من المستمعين المصريين يفضلون هذه الإذاعة على غيرها، وتعلق الصحيفة على إلغاء برامج إذاعة القرآن والاقتصار على تلاوة الآيات: «إن خلفية إلغاء البرامج الدينية من الإذاعة الإسلامية هو ادعاء الدوائر العلمانية إن مصر تستخدم عبارات دينية في جميع مجالات الحياة، مما يشكل تربة خصبة للإسلام الأصولي..»[1].

لقد عبر عن هذا الاتجاه أيضاً (أنس الشابي) التونسي العلماني الذي كتب معاتباً لدولة مجاورة لأنها تستقدم المشايخ من الأزهر لإلقاء المحاضرات والدروس الدينية، يقول: «لا يمكن للأزهر إلا أن يكون السند الخفي والظاهر للتطرف والانغلاق والتحجر، لأنه كان ولا زال دائماً وأبداً معارضاً للتطور، وخصماً لحرية الفكر، ومنذ بدايات هذا القرن مثّل الأزهر مؤسسة الانغلاق، يدل على ذلك:

١- فصله للشيخ علي عبد الرزاق، وإخراجه من زمرة العلماء عام ١٩٢٥ بسبب إصداره كتاب (الإسلام وأصول الحكم).
٢- تشنيعه على (طه حسين): إثر نشره (في الشعر الجاهلي) واتهامه بالكفر.
٣- مصادرته كتاب (مقدمة في فقه اللغة العربية) للدكتور لويس عوض، ومصادرته (أولاد حارتنا) لنجيب محفوظ.
٤- الضغط لسحب كتب فرج فوده من السوق.

ذلك هو حال الأزهر..»[2].

١- هآرتس ١٩٩٣/٣/٢١ .
٢- جريدة الصحافة ١٩٩٢/١٢/٢٠ .

إن تقسيم الإسلام إلى إسلام أصولي وآخر متنور ما هو إلا مؤامرة تستهدف شق صف المسلمين على أمل الاستفراد بكل قسم منهم على حدة لتسهل عملية القضاء على المسلمين بالتدرج. ولعل أخطر ما يردده الغرب المعادي وتلاميذه ومريدوه هو إسقاط عبارات التشنيع على المسلمين؛ تلك الصفات التي تصفهم (بالأصولية) التي تعني عند الغرب ما لا تعنيه في اللغة العربية، واستخدام هذا المصطلح ينسلك في إطار التضليل والتشويه.

هذه هي القضية واضحة لا التواء فيها، إنها صدور منطوية على كره الإسلام وأهله، وكم يبدوا العلمانيون متناقضين حين يتظاهرون بالعلم والثقافة، ويتكلمون عن سماحة الإسلام ويسره، وأنه ليس دين تشدد، وهم يحاربون الإسلام سراً وعلانية، وأما القوميون الذين بدؤوا بالتقرب من الإسلاميين عندما أحسوا بقوة تيار العودة إلى الدين، عادوا ونكصوا رؤوسهم وساروا في (الزفة) التي تهاجم المسلمين، وأظهروا الشماتة بما يقع لهم، ونقول لهؤلاء وأولئك: إن الله ناصر دينه، وجاعل لهذا الأمر فرجاً، والعاقبة للمتقين، وهناك حقيقة ناصعة يجب أن يكونوا على بينة منها وهي: أنه لا يفلح عرب بلا دين، تلك خصوصية العرب، وهذا قدرهم. وإذا ابتعدوا عن الإسلام فسيصيرون مِزقاً وأحاديث، وقد كان رسول الله ﷺ يقول لقريش في أول الدعوة: «قولوا كلمة تدين لكم بها العرب والعجم»، ويقول تعالى مذكراً بما أنعم عليهم: **﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره..﴾** [الأنفال ٢٦].

ويقول الصحابي الجليل أبو برزة الأسلمي: «وإنكم معشر العرب كنتم على الحال الذي قد علمتم من جهالتكم، والقلة والذلة والضلالة، وأن الله عز وجل نعشكم بالإسلام وبمحمد ﷺ خير الأنام، حتى بلغ بكم ما ترون..»[1].

١- سير أعلام النبلاء ٤٣/٣ .

وها نحن نُتخطف من أرضنا، وليس لنا وزن يذكر، ولا يكيل بمكيالنا أحد، ولم أر في واقعنا المعاصر أمة يجري عليها التقسيم والذل كما نراه في واقع العرب والمسلمين، وبماذا نفسر هذا الغبن والكنود والجحود من الغرب للشعوب الإسلامية التي تقطن المنطقة العربية، إلا أن العرب هم مادة الإسلام، وقطب الرحى، والغرب يعلم هذا ولكن القوميين والعلمانيين لا يعلمون بل يتجاهلون.

نحن لا نخاطب ـ إزاء هذا الواقع الأليم ـ فئة من الناس لا يكرمهم الله سبحانه وتعالى بأن يكونوا أنصاراً لهذا الدين، ويكون الدين عزاً لهم، ذلك لأنهم لا يستحقون هذا التكريم: **﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾** [الأنفال ٢٣].

ولكننا نقول لمن بقيت فيهم بقية من أنفة وشمم: كونوا مع المسلمين في مقاومة هذا الإذلال وهذا القهر الذي نعانيه جميعاً. أليس في هذه البقية عقلاء يقولون الحقيقة ويصدعون بها، ويتساءلون عن المصلحة من هذه الدماء التي تُسال، وهذه الأوطان التي تُخَرَّب، ويعلمون أخيراً أن العز والتمكين لا يُنالان إلا بهذا الدين، وأن هذه الحملة الشرسة على الإسلام لتدل على كماله وقوته ونفوذه في قلوب الناس، ولا بد للمسلم أن يصبر ويصابر، ويأخذ بسياسة النَّفَس الطويل، ولا تستخفه الجعجعة الإعلامية، ولا إرجافها وتهويلاتها، ورحم الله عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ حين قال: «يعجبني الرجل إذا سيم خطة ضيم أن يقول: لا، بملء فِيهِ».

رئيـــس التحريــر

حكم أموال المعاهدين والمحاربين

فتوى العلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

تقديم: هيثم الحداد

وردنا من أحد القراء السؤال التالي:

ما تقولون في بعض الشباب من المسلمين الذين يعيشون في مجتمعات الغرب، وأحياناً في مجتمعات شرقية غير إسلامية، أو في مجتمعات إسلامية، ويفتون لأنفسهم بأخذ الأموال أو المتاع ويتحايلون على ذلك بشتى الوسائل، وربما يحتجون لذلك بأن تلك البلاد علمانية أو غير إسلامية. فهل يجوز ذلك؟! وما الدليل؟ وما هو الأسلوب الذي نبيِّنُ به ـ لهؤلاء ـ الحكم الشرعي الصحيح والتصرف اللائق بالمسلم. أفتونا مأجورين وجزاكم الله خيراً.

قبل أن نعرض هذا السؤال على أحد العلماء للإجابة عليه لا بد من توضيح الأمور التالية:

إن أسباب هذه الظاهرة عند هؤلاء الشباب هي الأمور التالية:

١- عدم أخذهم للقدر الكافي من العلم الشرعي الذي يساعدهم في معرفة هذه المسائل وأحكامها.

٢- عزوف هؤلاء الشباب عن أهل العلم الذين اشتهروا به، وأخذهم العلم عن الذين لم يبلغوا درجة كافية من العلم تخولهم الافتاء في مثل هذه الأمور

الشائكة والخطيرة، فأخذوا العلم من غير أهله.

٣- ومع ما تقدم، فلم يقوموا ببحث هذه المسائل بحثاً علمياً من كتب أهل العلم المعتبرة، حتى يُبرئ ذمَّتَهم أمام الله عز وجل حينما يقفون بين يديه، وذلك ببذلهم غاية جهدهم في طلب الحق، والوصول إليه، وحتى لا يتعلق برقابهم شيء من حقوق العباد ــ حتى وإن كانوا كفاراً ــ فلا يستطيعون التخلص منها إلا بردها إلى أهلها إن أمكن.

٤- وقبل ذلك كله، حماسهم واندفاعهم، ولعل ذلك ناشئ من غيرتهم على هذا الدين، وبغضهم لأهل الكفر والنفاق.

والمفترض على هؤلاء الشباب أن يكونوا من طلاب الحق، غير المتبعين للهوى، أو المتعصبين لأحد، ولذلك سنبحث هذه المسألة بصورة موجزة، سريعة، وسنعرض أصلها الذي يبنى عليه حكمها، فما كان فيه من حق أخذ، وعمل به، وما كان غير ذلك ترك وطرح، فنقول:

يقسم الفقهاء الدور إلى قسمين رئيسيين، دار الإسلام، ودار الكفر.

أما دار الإسلام فهي الدار التي تكون فيها أحكام الإسلام ظاهرة مستعلية.

وأما دار الكفر فهي الدار التي تكون أحكام الكفر فيها ظاهرة مستعلية.

ولذا استقرأنا أحوال دار الكفر، وأحوال الكفار، وتبين لنا أن دار الكفر لا تنفك عن أحوال ثلاث:

الأولى: أن يُعقد لأهلها عقد موادعة أو معاهدة، والمعاهدة هي مصالحة أهل الحرب على ترك القتال مدة معينة، بِعِوَض أو بغير عوض ولو كان فيهم من يقر على دينه ومن لا يقر[1] والأصل في مشروعية المعاهدة الكتب والسنة والإجماع، أما من الكتاب فقول الله عز وجل: ﴿**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**﴾ [الأنفال ٦١]، قال ابن كثير: «وقول من قال بأن هذه الآية منسوخة بآية السيف فيه نظر أيضاً، إن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إذا كان العدو كثيفاً، فإنه تجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل

١- مغني المحتاج ٢٦٠/٤، المغني لابن قدامة ٥١٧/١، وبدائع الصنائع للكاساني ١٠٨/٧، والشرح الكبير للدردير ١٠٦/٢ .

النبي ﷺ، عام الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص والله أعلم»[1].

وأما من السنة فصلح الحديبية، ووجه الاستدلال ظاهر. وأجمع المسلمون على جواز عقد الهدنة في الجملة. وأما شروط المعاهدة فهي أربعة:

١- أن يكون العاقد لها الإمام أو نائبه.

٢- أن تكون بمصلحة.

٣- أن تخلو عن شرط فاسد.

٤- أن تكون مدتها معينة، مؤقتة، وهذه الشروط متفق عليها في الجملة[2].

ويترتب على عقد الموادعة أو المهادنة، دخول المعاهدين في جملة المعصومين، فلا تُحِلّ دماؤهم ولا أموالهم إلا بحقها، وهذا مُجْمَعٌ عليه من الفقهاء، ولم يخالف فيه مخالف، لتضافر الآيات والأحاديث على وجوب الوفاء بالعهود، والمواثيق، وأصل عقد الهدنة، يتضمن أمن كل طرف من المتعاقدين، على نفسه وماله وغير ذلك، فالاعتداء على نفس المعاهد أو ماله يعتبر نقصاً صريحاً للعقد والعهد الذي قال الله فيه: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**﴾ [المائدة ١]، وقال: ﴿**وأوفوا بالعهد أن العهد كان مسئولا**﴾ [الإسراء ٣٤].

الثانية: أن تكون محايدة، لا تنحاز لا إلى المسلمين ولا إلى الكفار، وأصل هذه الصورة، قوله عز وجل: ﴿**ودوا لو تكفرون كما كفروا، فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله، فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً، إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم، ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا**﴾ [النساء٨٩ _ ٩٠]، ودون الدخول في تفصيل أسباب نزول هذه الآيات، فإن هؤلاء المهادنين يُلْحَقُون بالمعاهدين، ولذلك فإن أغلب الفقهاء لم يجعلوا هذه الدار قسماً مستقلاً، لأنه جرى بينهم وبين المسلمين عهد، يجب الوفاء بما تضمنه ذلك العهد.

١- ابن كثير عند تفسير الآية.

٢- للتوسع انظر أحكام الأحلاف والمعاهدات في الشريعة والقانون، للدكتور خالد الجميلي.

الثالثة: أن تكون حالة الحرب قائمة بين المسلمين وبين تلك البلاد، فهي ما تعرف بدار الحرب وأهلها هم الحربيون، وهؤلاء هم من غير المعصومين، فتباح أموالهم ودماؤُهم وغيرها في الجملة، ولكن لا بد من الوقوف على بعض التفصيلات:

إن من دخل من هؤلاء الحربيين إلى ديارنا بأمان من غير استيطان، لغرض من الأغراض، كالرسل،والتجار وغيرهم، فإنه يصبح مُستأمناً[1] ومقتضي تسميته مستأمناً، أن يأمن على نفسه وماله وعرضه، ومُقتضى أيضاً أن يؤمن على أموال غيره ودمائهم فلا يخون ولا يغدر، وإلا انتقض عهده وأمانه، وهو أيضاً مقتضى العقد الذي يبرم بين الدولة المسلمة وغيرها بخصوص ما يتعلق بهؤلاء.

وأَلْحَقَ بعضُ الفقهاء بالمستأمنين، من يدخل من المسلمين إلى دار الحرب بأمان، كالرسل والتجار وذوي الحاجات وغيرهم[2] وهذا الإلحاق ظاهر، فمقتضى إذن هذه الدولة الحربية لنا بالدخول بأمان، يعني عهداً من الطرفين بأمان الآخر، وخلافه خيانة، والخيانة محرمة، فلا يجوز لنا أن نسرق من أموالهم، ولا نحتال عليهم، وقد نص على ذلك غير واحد من الفقهاء.

أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد بن جبير، قال: لما قال أهل الكتاب: ﴿**ليس علينا في الأميين من سبيل**﴾ [آل عمران ٧٥]، قال نبي الله كذّب أعداء الله، ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي هاتين إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر[3].

الثانية: بما أن العصمة قد انتفت عن هؤلاء الحربيين فإنه يجوز سرقة أموالهم، لكن ما حكم المال المسروق؟ هل يلحق بالغنيمة[4] أَوْ لَا؟ قولان: فالمالكية، وكذا ابن حزم، يلحقونه بالغنائم وههنا أمور: فلا يتولى قسمة الغنيمة إلا الإمام أو نائبه،

١- انظر أحكام أهل الذمة لابن القيم ٤٧٦/٢ .

٢- انظر اختلاف الدارين وأثره في اختلاف أحكام المناكحات والمعاملات ص ١٢٨ .

٣- انظر تفسير ابن كثير عند تفسير الآية من سورة آل عمران.

٤- الغنيمة هي المال الذي يأخذه المسلمون على وجه الغلبة والقهر، وهذا بالاتفاق، انظر الجامعلأحكام القرآن تفسير قوله تعالى: ﴿واعملوا أنما غنمتم من شيء..﴾

وليس ذلك لآحاد الرعية، وليس لأحد أن يأخذ منها شيئاً قبل القسمة إلا ما كان في طعام وعلف لدابته، وما احتاج إليه فيجوز أن يأخذ منه جائزة قبل القسمة. ثم إن الغنيمة تُخَمَّسُ، فأربعة أخماسها للقائمين، والخُمْسُ الباقي مُخْتَلَف في كيفية توزيعه، وتفصيل ذلك في كتب الفروع.

وخلاصة ما تقدم: يقال لمن يستحلّ أموال الدولة الكافرة، يجب أن تُثبتوا أن هذه الدار هي دار حرب، وليست دار معاهدة، ولم يجر بينها وبين الدول الإسلامية عهد أو معاهدة أمان، فإن تجاوزتم ذلك، فأثبتُّم أن هذه الدول هي دار حرب، فيقال: كيف دخلتم تلك البلاد، هل دخلتموها بأمانٍ أم لا؟ أنتم تدخلوها بتصريح من تلك الدولة ولم تعطكم تلك الدولة ذلك التصريح، بل لم تسمح لكم بالإقامة على أرضها إلا وهي تنظر إليكم على أنكم مستأمنون، ولستم أهل حرب، وإلا لم تسمح لكم بالمكوث على أرضها ولا لحظة واحدة.

وبعد هذا البيان فقد عرضنا هذا السؤال على **العلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين**، فأجاب بما يلي:

«فإن هؤلاء الشباب الذين ينتمون إلى الإسلام ويعتزون به يجب عليهم أن يُظهروا تعاليمه ويُبينوا محاسنه للخاص والعام وأن يعملوا بكل ما يستطيعونه من الإرشادات والتوجهات الإسلامية ولا شك أن منها الأمانة العامة التي وصف الله بها عباده وسماهم مؤمنين وقال تعالى: ﴿**فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي اؤتمن أمانته**﴾ [البقرة ٢٨٣]، وهذا لفظ عام ينطبق على كل مسلم ائتمنه أي بشر، فإن عليه أن يكون مأموناً في سره وفي جهره ويبتعد عن الخيانة التي وصف النبي ﷺ بها المنافق في قوله: «وإذا اؤتمن خان»، ولقد ذمّ الله أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿**ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل**﴾ [آل عمران ٧٥]، أي أنهم لا يخونون أمانتهم ويدّعون أن لا حرج عليهم إذا خانوا في ذلك في حق الأميين من العرب بزعمهم أنهم ليس لهم دين أو أن دينهم غير محترم، ولقد أكد النبي ﷺ حق المعاهد سواء أكان كتابياً أو غير كتابي، فحرّم قتله والاعتداء على ماله أو محارمه، وكل ذلك إظهار لمحاسن الدين الإسلامي فقال تعالى: ﴿**وأوفوا بالعهد إن العهد**

كان مسؤولاً﴾ [الإسراء ٣٤]، وقال: **﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾** [المائدة ١]، ولا شك أن كل دولة قد اتفقت مع غيرها على صلح وأمان إذا دخلت في حدودوها وفي بلادها بعض الأفراد من غير أهلها فإن ذلك دليل أنها قد وثقت به وائتمنته وأمنت خيانته وغدره، وإنما أباح الله أموال الكفار التي تؤخذ على وجه المغالبة بالقتال، ولا يحل ذلك مع أهل المعاهدة. قال تعالى: **﴿فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾** [الأنفال ٧٢]، وقد عامل النبي ﷺ الكفار واليهود المعاهدين بالوفاء بجميع أنواع الوفاء، فلما قتل عمرو بن أمية الضمري رجلين من المشركين ولم يعلم بعهدهما فداهما النبي ﷺ، ولما قتل المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قوماً من الكفار وأخذ أموالهم جاء إلى النبي ﷺ مسلماً فقال: أما الإسلام فأقبل وأما المال فلا، ومنع الصحابة من الاعتداء على أموال المعاهدين من المشركين وأهل الكتاب حتى نقضوا العهد عملاً بقول الله تعالى: **﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها﴾** [النحل ٩١]، فكل من دخل بلادنا بأمان فإنه يحرم الاعتداء عليه في النفس أو في المال إلا إذا نقض العهد أو خالف ما يقتضيه الشرع، وهكذا كل من دخل بلادهم بأمان فإنه يُحرم عليه نقض العهد والخيانة ولو كانوا كفاراً كما ذكر ذلك المفسرون عند قوله تعالى: **﴿ذلك أنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل﴾** [آل عمران ٧٥]، ونحوها من الآيات، وإنما تباح أموال الحربيين إذا أخذت على وجه المغالبة والقتال، فأما إذا دخل الحربي بلاد الإسلام لتجارة ونحوها فإنه يؤمَّن حتى يخرج ويبلغ مأمنه، ويجوز التلصلص على بلاد المحاربين واختطاف ما يقدر عليه من أموالهم بخلاف من لهم صلح أو عهد أو اعتراف من الدول الإسلامية وغيرها، فلا يجوز الاحتيال على أخذ أموالهم خيانة وغدراً فإن ذلك حرام يجب فيه التعزير والعقوبة الرادعة عن مثله. والله أعلم.

* * *

أخطار النزعة المادية في العالم الإسلامي
نقــــد كتابـــــــات
جــــودت ســـــعيد

عادل التل

تعريفات أولية:

نطمح في هذه الدراسة إلى وضع معايير ثابتة لتمييز وفرز الكتّاب والمفكرين الذين يتقدمون إلى الناس بالمنهج المادي، من خلال الخطاب الإسلامي، والدعوة الإسلامية، وبعبارة أدق، أولئك الذين يحملون النزعة المادية عند التعامل مع النصوص الشرعية. كما نهدف من هذه الدراسة، ومن خلال رؤية معاصرة إلى إبراز منهج أهل السنة والجماعة، وعرض طريقة السلف الصالح في مواجهة التحديات الاعتقادية الوافدة. وهذه الدراسة لا تشمل الذين يرفضون الامتثال لمنهج الله، وبالوقت نفسه لا تهتم بالرد المباشر عليهم. وبما أن جودت سعيد يعتبر من أولئك الكتاب المنتمين للفكر المادي والداعين إليه فإن معظم الشواهد في هذه الدراسة ستكون من خلال كتبه ورسائله.

وقبل أن نبدأ في تحديد الارتباط بين فكر جودت سعيد وبين المنهج المادي، نحتاج إلى إجراء مقارنة خاطفة بين الاتجاهات المعاصرة التي تهتم بتحديد مصادر المعرفة. ولدينا ثلاثة مناهج ظاهرة تتنازع الهيمنة على الساحة الثقافية في العالم الإسلامي المعاصر:

أولاً: منهج التفكير الإسلامي «الديني»: ويتمثل هذا المنهج بالاعتماد على

النصوص الشرعية، المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وتكون القيمة الأساسية فيه لهذه النصوص، وتقدم على كل ما عداها من مصادر المعرفة عند الاختلاف.

ثانياً: منهج التفكير الفلسفي «العقلي»: ويتمثل هذا المنهج بالاعتماد على المذهب العقلي، وتكون القيمة الأساسية فيه للعقل كمصدر للمعرفة، ويقدم على غيره من المصادر عند الاختلاف.

يقوم **المذهب العقلي** على تفسير كل شيء في الوجود من خلال العقل، سواء في إثبات الشيء أو نفيه، أو تحديد معانيه.

ثالثاً: منهج التفكير المادي «الوضعي» **ويتمثل** بالاتجاه المادي، الذي ينظر إلى العالم الخارجي باعتباره يمثل الحقيقة الكبرى الكاملة، وأن هذه الحقيقة الموضوعية ذات وجود مستقل عن وعي الإنسان، وغير خاضعة لشيء، وأن المعرفة الصادرة عن المادة تقدّم على كل معرفة أخرى عند التنازع.

والمذهب المادي: هو نظرية تقوم على اعتبار أن المادة هي الحقيقة الوحيدة، وأن الوجود ومظاهره وعملياته، يمكن تفسيرها كمظاهر أو نتائج للمادة.

ما هو المعيار الذي يُحدد بموجبه الانتماء إلى أحد هذه المناهج؟

المعيار الذي يحدد الانتماء هو أسلوب التعامل مع النصوص الشرعية:

أ- في المنهج الإسلامي: نتعامل مع النصوص الشرعية بإثباتها وكما فهمها الصحابة الذين عايشوا التنزيل وكما فهمه التابعون من الصحابة، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة، وطريقة السلف الصالح وأسلوب المدرسة التجديدية.

ب- في المنهَج الفلسفي: يكون التعامل مع النصوص الشرعية بطريق التأويل وفقاً لمعطيات العقل، وبتقديم العقل على النقل، وهذا منهج الفرق الضالة كالمعتزلة والرافضة وأمثالهم، وأسلوب المدرسة العقلية المعاصرة.

جـ: في المنهج المادي: يكون التعامل مع النصوص الشرعية بإلغاء دلالتها واعتبارها كأنها غير موجودة، والحصول على المعرفة من مصادر أخرى مثل التاريخ أو السير في الأرض أو أحداث الكون، مما يستدعي حسب رأي أصحاب هذا المنهج ـ إلغاء النبوة والاعتماد على السنن ــ القوانين الطبيعية والاجتماعية ـ بديلاً عنها (آيات الآفاق والأنفس)، وإعطاء تفسير جديد لمفهوم الوحي ومفهوم التلقي من الله، والاعتماد على

قوانين تطور الطبيعة وقوانين تطور المجتمع في سلم الدلالات الموضوعية، وهذا هو منهج المدرسة المادية التغييرية.

ولتحديد رأي جودت سعيد، وبيان موقفه من هذه المناهج، قمت بدراسة جميع كتبه ورسائله ومقابلاته، ونستشهد هنا ببعض المقتطفات منها.

ونبدأ من خلال إشادته بالمنهج المادي الماركسي، فعندما تعرض لشرح آية **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** [الرعد ١١]، ٤ قال: «الفكر الماركسي لبه ومبتداه ومنتهاه في إدراك محتوى هذه الآية، حيث لحوا قدرة الإنسان على صنع التاريخ، والقيام بعملية التغيير، فهذا الضجيج الذي أحدثه الفكر الماركسي خلال أكثر من مئة عام، إنما كان تبنيهم لهذه الفكرة وإدراكهم لها»(١).

موقف غريب وعجيب في آن واحد..! غريب أن يصدر مثل هذا الرأي عن رجل يعمل في حقل الدعوة، ويسعى لحل مشاكل الأمة الإسلامية، فإذا به يشهد للفكر الماركسي بالأصالة والثناء عليه، وكأنه بأسلوبه هذا يشعر الناس أن مصدر الفكر الماركسي من كتاب الله، وظن أنه بهذه الطريقة ـ ومن خلال ذكر الآيات القرآنية ـ يتمكن من تدعيم منهجه المادي بين المثقفين إسلامياً، لقد توهم أنه يحقق هذه المهمة بنجاح، ودون عناء أو مشقة، وأنه يحقق بذلك ما عجز عنه أقطاب الفكر الماركسي ودعاته في بلاد الإسلام، حين حاولوا ـ بكافة الوسائل وجميع السبل ـ إيجاد الصلة بين المنهج الإسلامي والأفكار الماركسية، ولكن جودت سعيد لا يزال مستمراً في هذه المحاولة، وهو هنا يشيد بهم ويطريهم على أنهم أول من ادرك محتوى هذه الآية من القرآن الكريم، وعمل من خلالها. ويجب أن لا يصيبنا الدوار من هذه الآراء، وأن لا نستغرب هذا الأمر..! لأن الأغرب من ذلك هو دعوته الشباب المسلم إلى القيام بعملية التغيير، انطلاقاً من هذا المبدأ، إنها دعوة سافرة لتبني منهج المادية، ويعتبر كتابه.. «حتى يغيروا ما بأنفسهم».. تحقيقاً لهذه الدعوة، فهو يدعوه من خلاله إلى التمسك بجانب الصواب في النظرية الماركسية الشيوعية. ففي هذا الكتاب يقول: «وكذلك إذا تذكرنا أن علينا أن لا نبخس الناس أشياءهم، وأن الحكمة لا تضر من أي وعاء خرجت، فإن الاعتراف بجانب الصواب الذي في النظرية الماركسية لا يضرنا شيئاً، ولكن إذا رفضنا جانب الصواب بسبب جانب الكفر الذي عندهم لا نكون

مصيبين»[٢].

أية حكمة عند الماركسيين وأي صواب لديهم؟؟ فما لديهم إلا منهج يحمل عوامل فنائه منذ قيامه، وهو لا يتلاءم مع الفطرة التي فطر الناس عليها، لذلك تزلزل وانهار كما كان متوقعاً له من قبل، لقد كان الماركسيون دائماً يسخرون من المتمسكين بالفضيلة والحريصين على القيم ويقولون لهم: «أيها المثاليون المغفلون، إنكم تبحثون عن سراب لا وجود له في الحقيقة.. حين تتكلمون عن الحق والفضيلة والصدق والأمانة، إنها كلمات جوفاء يملؤها كل جيل بما يحلو له، ولكنها هي في ذاتها ليست شيئاً ثابتاً محدداً يمكن التعرف عليها».

لقد شعر جودت سعيد ـ وهو يتقدم إلينا بهذه الأفكار المادية ـ بعامل الضعف والخجل من هذا الطرح لأنه يدرك أن هناك من يخاف على دينه من هذا التوجه نحو الفكر المادي، لذلك تراه يستخدم عبارات الاطمئنان، ويؤكد أن الخوف على آيات الله مستبعد في ظل الأفكار الشيوعية فيقول: «لم يعد هنا ما يجعلنا نخاف على آيات الكتاب، لأن آيات الآفاق والأنفس ستبين أن آيات الكتاب هي الحق..»[٣].

والكاتب صريح في هذا كل الصراحة، وكأن لسان حاله يقول: «خذ أفكار الشيوعيين ودع كفرهم»، وربما يستمد هذا من المثل الشعبي المعروف: «خذ من أقوالهم وما عليك من أفعالهم». وقد عبر عن ذلك بقوله: «ولكن حين يصل (الماركسي) من أقواله إلى القول: بأنه أصبح بناء على ذلك من الواجب نبذ كل نظرية إيمانية على الإطلاق ـ هنا نقول له: إن هذه النتيجة من تلك المقدمة هي الفكرة الطوباوية الناشئة عن الكراهية والعاطفة لا عن الدراسة الموضوعية»[٤].

ومن المعروف أن الماركسية ليست شعاراً فقط، بل هي واقع عملي واعتقادي ولا يمكن الفصل بينهما، وهم ينطلقون من شعار عريض (لا إله في الوجود والحياة مادة)، فلو فكروا أن يخدعونا ـ كما خدع الكاتب من قبل ـ ويبدلوا شعارهم إلى عبارة أخرى مثل: «يوجد إله ولكن الحياة مادة» فهل يتبدل من الأمر شيء؟ وهل يجوز لنا أن نقبل بالنظرية المادية من الشيوعيين من أجل التبديل الصوري؟!

لا يكون ذلك إلا إذا أجبنا ـ وعلى سبيل الدعابة ـ أن نطلق على من يكون إيمانه على هذا النحو، تسمية جديدة، (الماركسي المسلم) أو (الشيخ الأحمر)! إن تقديم

الأفكار الماركسية من خلال إلباسها العباءة الإسلامية أمر في غاية الخطورة، وتمثل هذه العملية حالة خداع كبيرة، لا تزال الأمة الإسلامية تعاني من آثارها باستمرار. ولا يزال صدى تلك المواجهات قائماً في الأذهان، حين حاول البعض أن يقدم الإسلام إلى الناس في ثوب الاشتراكية، أو من خلال نظام الديمقراطية، وقد اشتد نكير العلماء في مواجهة هذه المحاولة مما جعل معظمهم يتراجعون عن موقفهم ويتبرؤون مما كتبوه في هذا الاتجاه.

وأما جودت سعيد، فكان له أسلوب آخر، وطريقة مبتكرة للتعامل مع هذه المسألة، حيث دعا صراحة للتمسك بالفكر الماركسي من خلال الدعوة للأخذ بجانب الصواب الذي اكتشفه في النظرية الماركسية، يقول في كتابه ﴿**حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾* [الرعد ١١]، في أسلوب التباهي: «وحين يقول الماركسي: إن دراسة التاريخ الاجتماعي، أصبحت علماً، ينبغي ألا نقول له أخطأت، بل نقول له: هذا حق، وإذا اعتبر أن مظاهر الطبيعة قادرة على إعطائنا حقائق موضوعية، علينا أن نراه تقريراً بأن آيات الافاق تعطي حقائق موضوعية، ونزيد له أيضاً: بأن آيات الأنفس كذلك تعطي حقائق موضوعية»[٥].

هذا هو المنهج المادي من بدايته إلى نهايته.. وهذه هي الماركسية، تطل برأسها من خلاله! والكاتب لم يدعنا في حيرة من أمرنا للتأكد من موقفه هذا، واعتناقه جميع الجوانب في النظرية الماركسية، فها هو يقرر أسبقية المادة في الوجود كما تقررها المادية الماركسية، ويعتقد بضرورة تقديم المعرفة الصادرة عن المادة على كل شيء كما يقدمونها.

يقول: «فالوجود الخارجي المادي هو الحقيقة الثابتة، التي نرجع إليها عند الاختلاف، والصور الذهنية قابلة للزيادة أو النقصان»[٦]. والكاتب يلتقي في هذا المنهج المادي مع الماركسيين إلى درجة التطابق تقريباً وسأترك المجال لرموز الماركسية في إبراز جوانب الالتقاء بين أفكارهم وفكره، يقول ستالين: «إن المادة والطبيعة والكائن هي حقيقة موضوعية، موجودة خارج الإدراك أو الشعور وبصورة مستقلة عنه، وأن المادة هي عنصر أول، لأنه منبه الاحساسات والتصور والشعور، بينما الإدراك هو

* وضع المؤلف هذه الآية الكريمة عنواناً لكتابه.

عنصر ثان مشتق لأنه انعكاس للمادة»[٧]. وقال إنجلز: «وخارج الطبيعة والإنسان لا يوجد شيء»[٨].

ومن الممكن أن يطرح القارئ علينا سؤالاًمحدداً، هل يقدّم جودت سعيد المادة أو الواقع على كلام الله..؟ يقول في رسالته مستخدماً أسلوب السخرية من المسلمين الذين يتمسكون بالنصوص الشرعية: «فالمسلمون بكل سذاجة يظنون أن لهم القدرة على الاتصال بالمعاني التي أرادها الله بواسطة هذه اللغة، دون الرجوع إلى الواقع الذي نتحدث عنه..»[٩]، يجب الانتباه إلى استخدام أسلوب التعميم «المسلمون» دون استثناء، كما يلاحظ تجهيل الأمة التي كانت تعتمد في جميع مراحلها على اللغة العربية، ولهذا قال تعالى: ﴿**كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون**﴾ [فصلت ٣]. وأما وصف المسلمين بالسذاجة والجهل فلا تسأل عن ذلك، فقد ملأ كتابه بهذا اللون من التقريع دون تفريق أو استثناء، ثم يقول محذراً المسلمين من العودة إلى النصوص أو التمسك بها: «ولكن ينبغي أن نتعمق في فهم هذه الظاهرة، إن العودة إلى النصوص لم تكن لتحتل هذه الظاهرة، ولو اقتصر على فهم هذه الحقيقة من الكلام أو من اللغة أو من النص لاستمر القتال، ولوجد ولأمكن أن تُؤَوَّلَ النصوص، لأن النصوص قابلة للتأويل»[١٠].

وها هو هنا يرفض فهم النصوص بواسطة اللغة، كما يرفض مفهوم التأويل، وهو بهذا ينتصر للمنهج المادي في مواجهة منهج السلف الصالح والمنهج العقلاني على حدٍ سواء، ولكنه ينتقل بعد ذلك إلى مرحلة خطيرة وذلك بالتعبير عن كلام الله بأسلوب الرمزية. لقد تعامل الله معنا بالرموز والحقائق، وقال لنا بأن نرجع دائماً إلى الواقع والنظر فيه، وأن الرموز إن هي إلا مساعدات مرحلية مؤقتة يمكن أن تختلف بحسب الزمان والمكان، ولكن سننه الواقعية لن تتغير وكلما رجعنا إليها، نجدها كما هي ثابتة: ﴿**فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً**﴾ [الأحزاب ٤٣]، وليست الرموز إلا ﴿**أسماء**﴾، ﴿**ما نزل الله بها من سلطان**﴾ [الأعراف ٧١][١١]، وموضع الخطر هو اعتبار كلام الله رمزاً وهو اللغة، وأن الواقع يمثل الحقائق، ثم يظهر تناقضه الفاضح حين ذكر في أول الكلام أن الله تعامل مع البشر بالرموز ثم قال في نهاية الكلام: إن الرموز ﴿**ما نزل الله بها من سلطان**﴾ [الأعراف ٧١]، والله تعالى يقول:

﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة ٣١]، وهكذا يصبح الواقع المادي عنده مقدماً على كلام الله، حيث يقول حول ذلك: «فحين يلح القرآن الكريم على الرجوع إلى الكون المادي والاجتماعي، لفهم سننه ونظامه، فإنه يدل بذلك على أن الواقع أدل على ذاته في كلامه»[١٢]، وهذا تصريح واضح في اعتماد الواقع واستبعاد كلام الله، وقد قاده هذا الاعتقاد إلى موقف أشد خطراً وأبعد ظلماً، وذلك بالإعلان عن انتهاء مهمة النبوة نفسها، والتعامل مع السنن والقوانين.

انتهاء النبوة:

يقول الكاتب: «من هنا لما بدأ الاهتمام بالواقع والتفاهم مع الله بواسطة سننه، توقفت النبوة لأن النبوة مرحلة انتهت»[١٣]، ويقوم هذا الرأي من واقع إيمانه بمراحل التاريخ واعتبار مرحلة البشرية خلال فترة الأنبياء مرحلة طفولية، والمرحلة المعاصرة مرحلة مراهقة، وأن البشرية بدأت تتجه نحو مرحلة الرشد، وقد استمد هذا التصور من آراء (أوغست كونت) مؤسس المذهب الوضعي المادي في أوربا، وعن مرحلية النبوة يقول نقلاً عن إقبال: «إن النبوة في الإسلام لتبلغ كمالها الأخير في إدراك الحاجة إلى إلغاء النبوة ـ ختم ـ النبوة نفسها، وهو أمر ينطوي على إدراكها العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمداً ـ إلى الأبد ـ على مقود يقاد منه وأن الإنسان لكي يحصل على كمال معرفته لنفسه ينبغي أن يترك ليعتمد في النهاية على وسائله هو»[١٤].

هل يصدق أن هذا الكلام يصدر عن إنسان عاقل؟ أن يقرر انتهاء مهمة النبوة؟ وتسليم زمام الأمور إلى الإنسان، وهذا ما دعا إليه علماء أوربا الوضعيين الماديين، وهذه الفقرة بالذات مستقاة من أفكار «فريدريك نيشته» الذي كان يقول بنظرية الإنسان الكامل أو (إنسان السوبر مان)* ويقرر الكاتب أن البديل عن النبوة التي تتضمن نصوصاً من كلام وحروف إلى السنن التي ليست كلاماً وحروفاً، فانظر إلى قوله: «انتبه إلى هذا محمد إقبال، وخاصة في بحث ختم النبوة، لماذا ختمت النبوة؟ ولم يعد نبي ولا كتاب، لأن الكتاب والنبي الخاتم دلنا على الطريق الذي لا ينتهي، دلنا على الكلام الذي ليس هو كلام حروف، وإنما حقائق ملموسة»[١٥]. أليس هذا تصريحاً باستبعاد كلام الله من العمل، والاعتماد على الكلام الذي يمثل الحقائق الملموسة؟ أي

*- ذكر هذه النظرية الفاسدة في كتابه المترجم إلى العربية «هكذا تكلم زرادشت» ـــ البيان -

الحقائق المادية الحسية.

ولنا أنْ نتساءل كما أنَّ من حق القارئ أن يتساءل معنا كيف يتصور جودت سعيد النبوة؟ وما هي الصيغة التي يعتمدها في تحديدها؟

ينسجم رأيه حول النبوة مع مفهومه المادي، وإيمانه بالتطور ويعبر عن ذلك بقوله: «وفي طفولة البشرية، تتطور القوة الروحية إلى ما أسميه «الوعي النبوي» وهو وسيلة للاقتصاد في التفكير الفردي والاختيار الشخصي وذلك بتزويد الناس بأحكام واختبارات جاهزة، وأساليب للعمل أعدت من قبل»[١٦].

إذن النبوة قوة روحية واستعداد شخصي واختيارات وأساليب للعمل أو وعي نبوي لا أكثر ولا أقل، فأين الوحي المباشر من الله تعالى؟

يقول ابن تيمية: «والمتفلسفة الذين أثبتوا النبوات على وجه يوافق أصولهم الفاسدة ـ ابن سينا وأمثاله ـ لم يقروا بأن الأنبياء يعلمون بخبر يأتيهم عن الله، لا بخبر ملك ولا غيره، بل زعموا أنهم يعلمونه بقوة وعقلية أكمل من غيرهم في قوة الحدس ويسمون ذلك.. القوة القدسية..»[١٧].

ومن أجل هذا المفهوم يعتقد محمد إقبال وجودت في ضرورة انتهاء النبوة وإلغاء دلالة النصوص الصادرة عنها وفي ذلك يقول الثاني: «الذي أريد أن نفهمه من هذا أن دلالة الكتاب يمكن أن تلغى إلغاءً تاماً، وكأنها غير موجودة، والذي سينبه المسلمين إلى هذا، ما جاء في الكتاب من الاهتمام بالتاريخ وأحوال البشر وحوادث التاريخ، أي أن الذي سيعلمنا ليس القرآن، وإنما نفس حوادث الكون والتاريخ هي التي ستعلمنا..»[١٨].

ثم يقول بما يؤكد تقديمه للواقع على كل شيء ولو كان كلام الله: «إن صخرة ما أدل على نفسها من كل كلام يقال عنها حتى لو كان كلام الله...»[١٩]. وقد لوحظ أن جودت سعيد يتضجر ويتضايق كلما احتج عليه أحد بقوله: قال الله أو قال الرسول، أو حتى مجرد ذكر الله أو الرسول. ويتضح ضيقه في قوله: «..لم تعد ترهبني قعقعة الكلمات: الروح، النفس، الله أو الرسول أو قال فلان وفلان، نريد أن نتحدث ماذا يحدث لنا، وكيف يحدث الفهم؟؟ ،كيف يعرف ما فهمناه أننا فهمناه؟ وكيف انتقلت إلي هذه الأفكار؟ دعونا من الحديث عن السماء، ولنبحث في الأرض، لنعد

إلى الإنسان المولود على الفطرة.

كيف تصوغ البيئة هذا المولود؟ إن ما يحدث أمامنا بقوى تحيط بنا وتصدر منا وليست غيباً ولا خارقاً، كما أنها ليست مما لا يستطيع العقل فهمها...»[٢٠].

لماذا لم تعد ترهبه كلمات «الله» أو «الرسول»؟ ماذا حدث عنده حتى فقدت هذه الكلمات قدسيتها في نفسه؟؟ ألسنا مسلمين؟؟ لماذا يريد منا أن ندع الحديث عن السماء، ونخلد إلى الأرض..؟ ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها، ولكنه أخلد إلى الأرض، واتبع هواه..**﴾ [الأعراف ١٧٥].

«يتبع»

المراجع:
١- كتاب «اقرأ وربك الأكرم»، جودت سعيد ص ٢١٩ .
٢-٣ كتاب «حتى يغيروا ما بأنفسهم»، جودت سعيد ص ٨٠ .
٤-٥ المصدر السابق ص ٨١ .
٦- كتاب «اقرأ وربك الأكرم»، جودت سعيد ص ٥٧ .
٧- المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية»، ص ٢٩ .
٨- فورباخ ونهاية الفلسفة، ص ١٦، طبعة دار التقدم بموسكو.
٩- رسالة انظروا، ٤٠ . اللغة والواقع جودت سعيد ص ٤ .
١٠- المصدر السابق ص ٥ .
١١- المصدر السابق ص ٧ .
١٢- المصدر السابق ص ٨ .
١٣- المصدر السابق ص ٧ .
١٤- كتاب العمل ص ١٣١ حودت سعيد وتجديد الفكر الديني محمد إقبال ص ١٤٣-١٤٥ .
١٥- رسالة انظروا - ٤٠ ص ٧ .
١٦- كتاب العمل جودت سعيد، ص ١٣٠ .
١٧- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١٧٩/١ .
١٨-١٩ رسالة انظروا ٤٠، ص ٨ .
٢٠- المصدر السابق ص ٤ .

الزندقــــة

عبد العزيز بن محمد عبد اللطيف

أصل هذه الكلمة:

يقول ابن تيمية رحمه الله عن لفظ الزندقة: «هو لفظ أعجمي معرَّب، أُخِذَ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام، وعُرِّب..»[1].

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله عن أصل الزنادقة: «أصل الزنادقة أتباع دَيْصان، ثم مانيّ، ثم مزدَك وحاصل مقالتهم أن النور والظلمة قديمان، وأنهما امتزجا فحدث العالم كله منهما، فمن كان من أهل الشر فهو من الظلمة، ومن كان من أهل الخير فهو من النور»[2].

ويذكر بعض المؤرخين أن زرادشت أتى بكتاب «البستاه»، فمن أعرض عنه، وعدل إلى التأويل الذي هو الزند قالوا الزندي، فلما جاءت العرب أخذت هذا

١- بغية المرتاد (السبعينية) ص ٣٣٨، وانظر رسالة في تحقيق لفظ الزنديق لابن كمال باشا (تـ ٩٤٠هـ) ص ٤٧، والتي نشرت بتحقيق د. حسين محفوظ في أحد أعداد مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد.

٢- الفتح ١٢/٢٧٠-٢٧١ .

المعنى من الفرس، وقالوا زنديق وعربوه.

وقد عدَّ الإمام الملطي ــ رحمه الله ــ الزنادقة أول الطوائف افتراقاً، ثم ذكر فرق الزنادقة فقال: «أول من افترق من هذه المذاهب: الزنادقة، وهم خمس فرق المعطلة والمانوية والمزدكية والهبدكية والروحانية»(١). وقال الجاحظ: أن الزندقة فشت في النصارى فقال: «ودينهم ــ يرحمك الله ــ يضاهي الزندقة، ويناسب في بعض الوجوه قول الدهرية، وهم من أسباب كل حيرة وشبهة. والدليل على ذلك أنا لم نر أهل ملةٍ قط أكثر زندقة من النصارى، ولا أكثر متحيراً أو مترنحاً منهم..»(٢).

٢- إطلاقات الزندقة ومعانيها في الإسلام:

استخدم هذا المصطلح في معان متعددة.. فبعضهم يطلقه على الثنوية المجوس، وهو موجود في بعض معاجم اللغة العربية مثل تاج العروس (مادة ز ن ق، فصل الزاي من باب القاف) ومختار الصحاح (مادة ز ن د ق) وغيرهما، وربما أطلق الزنديق على الدهري كما في لسان العرب(٣)، ومنهم من يطلقه على من لا يؤمن بالله واليوم الآخر كما ذكر ذلك ابن القيم في إغاثة اللهفان(٤)، ونجد أن الفقهاء يطلقون الزنديق على المنافق، يقول ابن تيمية رحمه الله: «فأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته، فالمراد به عندهم المنافق، الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر»(٥).

ويقول الحافظ ابن حجر: «ثم اطلق الاسم [الزنديق] على كل من أسر

١- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص ٩١ .

٢- رسالة في الرد على النصارى ص ١٧ .

٣- مادة زندق، ١٤٧/١٠ .

٤- ٢٤٦/٢ .

٥- السبعينية ص ٣٣٨ .

الكفر وأظهر الإسلام، حتى قال مالك: الزندقة ما كان عليه المنافقون، وكذا وأطلقت جماعة من فقهاء الشافعية وغيرهم: أن الزنديق هو الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر».[1] وبعض علماء السلف يطلق على الجهمية، كما يفعل ذلك الإمام عثمان بن سعيد الدرامي (ت ٢٨٢ هـ) في كتابه «الرد على الجهمية»[2]، وفي كتابه «النقض على بشر المريسي»[3]. وقد يرمى صاحب المجون والفحش بالزندقة[4].

عقائدهم:

إن عقائد الزنادقة قد تضمنت كمّاً هائلاً من صنوف الكفر الصريح، والردة الظاهرة، كقولهم بالحلول، وتأليه البشر، وتشبيه الله تعالى بخلقه، وانكار النبوة أحياناً، وادعاء النبوة أحياناً أخرى! والقول بالتناسخ، وإنكار القيامة والجنة والنار، واستحلال المحرمات وجحد الواجبات..[5].

آثارهم:

خلف الزنادقة آثاراً سيئة وعواقب وخيمة على الأمة المسلمة، فأشعلوا ثورات سياسية وأفسدوا البلاد والعباد، كما فعلت القرامطة والإسماعيلية والمقنعية، وغيرهم من فرق الزنادقة. كما أنَ بعض الفرق الإسلامية قد «تزندقت» وخرجت من دين الإسلام، كما هو الحال في غلاة الشيعة،

١- الفتح ٢٧١/١٢ .

٢- ص ٣٥٢ .

٣- ص ٤٧٥-٥٦٣، وقد نشر سنة ١٩٣٩ بعنوان : رد الإمام الدرامي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد.

٤- انظر كتاب من تاريخ الإلحاد في الإسلام لعبد الرحمن بدوي ص ٢٨، وكتاب الزندقة والزنادقة لعاطف شكري ص ١٠٩ .

٥- انظر توضيحاً لذلك على سبيل المثال: كتاب الفرق بين الفِرق لعبد القاهر البغدادي في باب الفرق التي انتسبت إلى الإسلام وليست منها.

والخابطية من المعتزلة، والاتحادية من المتصوفة وغير ذلك.

اتخذ الزنادقة التشيع مطية ذلولاً في نشر مذهبهم، يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن الشيعة: «ومنهم من أدخل على الدين من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، فملاحدة الإسماعيلية وغيرهم من الباطنية المنافقين، من بابهم دخلوا، وأعداء المسلمين من المشركين وأهل الكتاب؛ بطريقهم وصلوا، واستولوا على بلاد الإسلام، وسبوا الحريم، وأخذوا الأموال، وسفكوا الدم الحرام.. إذ كان أصل المذهب من إحداث الزنادقة المنافقين الذين عاقبهم في حياته عليّ أمير المؤمنين رضي الله عنه، فحرّق منهم طائفة بالنار، وطلب قتل بعضهم ففروا من سيفه البتار»[١].

من جهود الخلفاء في محاربة الزنادقة:

اجتهد الخلفاء في تتبع الزنادقة والقضاء عليهم واستئصالهم، حفاظاً على الدين وأهله.. فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يأمر بإحراق الزنادقة كما روى البخاري[٢]، واشتهر الخليفة العباسي المهدي بالعناية بذلك، حيث عين رجلاً ليتولى أمور الزنادقة. ويقول ابن كثير في حوادث سنة ١٦٧هـ: «وفيها تتبع المهدي جماعة من الزنادقة في سائر الآفاق فاستحضرهم وقتلهم صبراً بين يديه»[٣].

ووصّى المهديُّ ابنه موسى الهادي الخليفة من بعده بذلك.. وقد أنفذ الهادي تلك الوصية، يقول ابن كثير في حوادث سنة ١٦٩هـ: « وسعى الهادي في تطلب الزنادقة من الآفاق، فقتل منهم طائفة كثيرة واقتدى في ذلك بأبيه»[٤].

١- منهاج السنة تحقيق د. محمد رشاد سالم ١/١٠-١١ .

٢- انظر الفتح ٢٦٧/١٢ .

٣- البداية والنهاية في التاريخ ١٤٩/١٠ .

٤- البداية والنهاية في التاريخ ١٥٧/١٠ .

كلمة في أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذا الموضوع لعدة أمور، منها: أن فكرة الزندقة والإلحاد موجودة منذ القدم، حيث كانت معروفة عند قدماء اليونان والهندوس والفرس، كما أن الزندقة موجودة وظاهرة في العصر الحديث، وقد قام الزنادقة ـ عبر العصور الإسلامية ـ بثورات سياسية وأعمال تخريبية، والأولى من ذلك أنهم أثّروا تأثيراً بالغاً على معتقدات بعض الفرق التي تدعي الإسلام، بل نجد أن بعض الفرق قد «تزندقت»، وأمر ثالث يؤكد اهمية ذلك وهو أن المستشرقين قد اعتنوا عناية كبيرة بهذا الموضوع، فكتبوا دراسات مستقلة عن بعض الزنادقة، ولكنهم ـ كما هي عادتهم ـ دافعوا عن هؤلاء الزنادقة وعن آرائهم، ولمعوهم وأثنوا عليهم خيراً[1]، ولا ننتظر من هؤلاء المستشرقين أكثر من ذلك، وقد أشربت قلوب أكثرهم حب كل ما يناهض الإسلام الصحيح الأصيل، ولا أنسى أن أذكر أن البعض قد كتب عن الزندقة وانتقدها، وكله من أجل الدفاع عن القومية العربية، حيث أن الزندقة وثيقة الصلة بالشعوبية الفارسية المجوسية المناهضة للقومية العربية.



١- انظر كتاب «من تاريخ الإلحاد في الإسلام» لعبد الرحمن بدوي، ودائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين ١٠/٤٤٠-٤٤٦ .

وتريدون أن يمكن لكم!

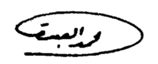
لا بد أن تكون الدعوة في بدايتها قوية مندفعة، تُبذل في سبيلها طاقات تحتمل أكثر مما كانت تحتمل، وترتفع فيها درجة الإيمان والسمو الأخلاقي حتى يستطيع الفرد تحقيق ما يعجز عنه أمثاله، بل عشرات أمثاله من الآخرين. هذا هو الذي يعجل بالإنطلاقة، حتى تدور رحى الإسلام كما دارت أول مرة، وكما سطع نوره في كل فترات التجديد.

وفي مثل هذه الأجواء يتغلب المثل الأعلى على كل جواذب الأرض، ويعيش المؤسسون الأوائل ومن يلتف حولهم ظروف التفاني والإخلاص، وتكون علاقاتهم الاجتماعية في ذروة التآخي والتلاحم، هكذا نجحت الدعوة الإسلامية الأولى وهكذا ارتفع المهاجرون والأنصار فوق العصبية القبلية والإقليمية والقومية، كما ارتفعوا فوق الأنانيات الشخصية، ولم يحتج المسلمون وهم مضطهدون في مكة، ولا حتى عندما قامت لهم دولة في المدينة إلى قضاة أو محاكم لفض خصوماتهم، وأقصى ما يفعلونه أن يشتكي أحدهم إلى الرسول ﷺ بسبب كلمة أو هفوة قيلت في حقه، أو يعترف هو للرسول ﷺ بذنبه ليقيم عليه الحد كما في قصة ماعز والغامدية، وذلك لأن الوازع كان من داخل أنفسهم، وكان ميزان الشرع

هو الميزان الوحيد الذي يتعاملون به، وعاش العالم الإسلامي دهراً بتأثير تلك الاندفاعة العظيمة.

يطلب المسلمون اليوم نجاحاً للدعوة، ولكنهم يمارسون أعمالاً ويسلكون سلوكاً أدنى بكثير مما يُطْلَبُ للإحياء والتّجديد، ويذكرون الخلافة الراشدة في أحاديثهم وكتبهم، ولكن تصرفاتهم ليست قريبة من تلك الصورة الوضاءة.

كانت الرعية تقدم الطاعة لأبي بكر عن رضا وطواعية ودين، وليس عن رهبة أو رغبة، لا طمعاً في مال أو منصب، ولا لأنه من قبيلة معينة، وكان الخلفاء الراشدون يعاملون الرعية بمثل ذلك فلا يقربون أحداً لأنه صاحب مال، أو لأنه ضعيف الشخصية لا يعارضهم في شيء، أو بسبب قرابة قريبة، كل ذلك كان غير وارد في أذهانهم، فهل يتعامل المسلمون اليوم بهذا السلوك؟ الواقع يدل على أنهم يتعاملون بالطرق التي أُحدثت بعد الراشدين فقد يُقرَّب صاحب المال، ويكون له الأمر والنهي وإن لم يكن في العير ولا في النفير، وقد يقرب صاحب الشخصية الضعيفة حتى لا يعارض ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة، وأما الذي ينصح ولا يداهن ويتكلم عن الأخطاء ـ ولو كان ضمن الضوابط الشرعية ـ فهو شخص غير مرغوب فيه غالباً. فهل نستطيع بهذه العقلية، وهذه الأخلاق أن ننهض ويكون لنا شأن؟



كيف نكتب التاريخ التاريخ الإسلامي؟

تأليف: محمد قطب
عرض: عثمان ضميرية

– ١ –

الواقعة التاريخية حادثة مفردة، تقع مرة واحدة ثم تنقضي ولا تتكرر. وإذا كان الباحثون والمؤرخون يتفقون على وقوع الحادثة؛ فإن تفسيرهم لها وتعليلهم لأسبابها ودوافعها، يختلف باختلاف المنهج الذي ينتهجه كل منهم، متأثراً في ذلك، بعقيدته وتكوينه الفكري والثقافي، وتصوراته التي ينطلق منها في النظر للحياة البشرية، ودور الإنسان في هذه الأحداث..

ولذلك كانت الدعوة إلى كتابة التاريخ البشري كله «من زاوية الرصد الإسلامية التي تقيس الإنجاز البشري بالمعيار الرباني، أي بمدى تحقيق الإنسان لغاية وجوده التي خلقه الله من أجلها..، لأن هذا التاريخ يقدم لنا من زوايا تختلف اختلافاً جذرياً عن زاوية الرصد الإسلامية، فلزم أن نعيد كتابته ليتناسق مع الرؤية الإسلامية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فتكون لنا وحدة في التصور تتناسب مع كوننا مسلمين».

ولئن كان ذلك ضرورياً بالنسبة للتاريخ البشري عامة ـ خارج نطاق الأمة الإسلامية ـ فإن الضرورة أشد والحاجة أكثر دينياً ومنهجياً لإعادة كتابة التاريخ

الإسلامي خاصة.

— ٢ —

والكتاب الذي نعرضه، قديم جديد، وهوللمفكر الإسلامي، الأستاذ الداعية محمد قطب ـ حفظه الله وبارك في عمره وجهده وجهاده ـ والكتاب ضميمة جديدة مكملة لما سبقه من أبحاث وكتب، وقدمها الأستاذ محمد قطب، ذات صلة بالموضوع، مثل «واقعنا المعاصر» و«حول التفسير الإسلامي للتاريخ»..

أما إنه كتاب قديم، فلأنه «كان مكتوباً منذ خمسة عشر عاماً على الأقل، إن لم يكن أكثر، ولم يُقدّر له أن ينشر خلال المدى الطويل، لأنه كان في حاجة إلى مراجعة أخيرة».

وأما إنه كتاب جديد، فلأنه ينشر لأول مرة في طبعته الأولى منذ العام ١٤١٢هـ نشرتين متزامنتين، صدرت إحداهما عن «دار الأفق» بالرياض، والأخرى عن «دار الشروق» بالقاهرة[١].

— ٣ —

وكتابنا هذا «كيف نكتب التاريخ الإسلامي؟» يتضمن الصورة الأخيرة لتفكير الأستاذ محمد قطب في موضوع كتابة التاريخ الإسلامي، ويقيم منهجاً إسلامياً وإطاراً للفكرة ذاتها. وهو يشعر جيداً، منذ البداية، بضخامة هذه المهمة

١ـ وأجد هذا مناسباً للإشارة إلى ملاحظة، غاية في الأهمية، في طريقة الأستاذ ومنهجه في الكتاب والتأليف؛ فهو يتأنى ويتأنق في كتبه، فيكتبها بعد أن تنضج الفكرة، ثم يراجعها ويعيد مراجعتها. وقد يتوقف الكتاب عن النشر سنوات تبلغ عقدين أو ثلاثة يُصدر أثناءها عدداً من الكتب والدراسات ـ لأنه يحتاج إلى مراجعة أو إضافة. وهذا يعني أنه يخرج للقراء كتاباً ناضجاً، وبحثاً نافعاً، يمكث في عقول الناس وقلوبهم، كما يحتل مكانه اللائق في مكتباتهم. ولعل في ذلك درساً لأصحاب الزبد من الكتب، الذين يتطلعون لإصدار كتاب جديد كل شهر، ليضربوا بذلك رقماً قياسياً في عدد المؤلفات والمنشورات! يسودون أوراقاً يزعمونها تأليفاً، ثم يقذفون بها إلى المطبعة لتخرج كتاباً «خديجاً»، لا غَناء فيه ولا خير، وإن كان فهو غناء قليل! والكتب كالأبل، مائة لا تجد فيها راحلة، وهذه الكتب مائة لا تجد فيها كتاباً.

وخطرها، ومدى الجهد اللازم لإنجازها. فهي أضخم من أن تكون جهد أفراد متفرقين في جيل من أجيال المسلمين، إنما تحتاج إلى جهد جماعي منظم تقوم به مؤسسات متخصصة على مدى قد يمتد بضعة أجيال.. ومع ذلك فلا بد من القيام بهذا العمل، رغم المشقة البالغة فيه، لأنه ما من أمة تستطيع أن تعيش بلا تاريخ ممحص محقق ميسر التناول على جميع المستويات..

ولذلك يدلي الأستاذ محمد قطب بدلوه المتواضع (كما يصفه فضيلته) في أمر المنهج الذي ينبغي أن تعاد على أساسه كتابة التاريخ الإسلامي، و٣مما نقتطف منه مقتطفات سريعة، لعلها تلقي ضوءاً في مراجعة عامة للكتاب، والله الموفق.

— ٤ —

هناك عدة ملاحظات في أكثر من اتجاه، تجعلنا نلح على ضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي:

- فإذا نظرنا إلى المصادر الإسلامية القديمة، نجد فيها ذخيرة ضخمة من الأخبار والوقائع والروايات، تصلح زاداً للمتعمق، ولكنها ـ بصورتها الراهنة ـ لا تصلح للقارئ المتعجل الذي يريد خلاصة جاهزة ممحصة، سهلة الاستيعاب والهضم..
- وإذا نظرنا، من ناحية أخرى، إلى معظم المراجع الحديثة المتأثرة بالمنهج الاستشراقي، نجدها مكتوبة بصورة جذابة مغرية بالقراءة من ناحية الشكل، ولكن عيبها من الناحية المنهجية أن أغلبها بعيد عن الأمانة العلمية الواجبة، ملون تلويناً لتحقيق هدف معين، تكنه صدور لا تحب الخير لهذا الدين.
- وسواء أكانت هذه المراجع من تأليف المستشرقين مباشرة، أو من تأليف تلاميذهم، فإن هذا العيب المنهجي الخطير، يجعل مراجعهم غير صالحة للاستمداد منها، ويجعل إعادة النظر فيما تناولته من وقائع وتفسيرات، أمراً بالغ الأهمية.

● وهناك عيب رئيسي آخر في تلك الكتابات والمناهج بصفة عامة هو التركيز على التاريخ السياسي للمسلمين على حساب بقية مجالات الحياة الإسلامية: العقدية والفكرية، والحضارية، والعلمية والاجتماعية..إلخ، وذلك يعطي صورة مشوهة ممسوخة!

وذلك أن تقسيم التاريخ إلى مراحل سياسية، والحديث عن كل مرحلة، كأن هناك حدوداً فاصلة في مجرى التاريخ كله تفصيل بين عهد وعهد، وتجعل كل عهد قائماً بذاته، هذا المنهج يقطع التواصل التاريخي بين أجيال هذه الأمة، كأنما لم تكن أمة واحدة متصلة، وكأنما لم تكن بالذات هي «الأمة الإسلامية».

● وأمر آخر من أمور الدلالات التاريخية نفتقده حين يغيب عنا المنهج الصحيح لدراسة تاريخ الأمة الإسلامية هو: علاقة أوضاع هذه الأمة ـ في خصوصيتها التي أخرجها الله من أجلها ـ بأوضاع البشر على اتساعها..

ـ ٥ ـ

ولذلك فحين نعيد كتابة التاريخ الإسلامي ينبغي أن نوجّه انتباهنا إلى أن التاريخ ليس مجرد أقاصيص تحكى، ولا هو مجرد تسجيل للوقائع والأحداث.. إنما يدرس التاريخ للعبرة، ويدرس للتربية. وكل أمة تصوغ تاريخها بحيث يؤدي مهمة تربوية في حياتها. وهذا ما نفتقده في الكتابات المعاصرة لتاريخنا! التي تُشَتِّتُ ولاء المسلم وتجعله متذبذباً بين الإسلام وتلك الجاهليات التي يبعثها المستشرقون..

فينبغي ـ إذن ـ كتابة التاريخ الإسلامي بحيث تؤدي مهمة تربوية في تخريج أجيال مسلمة تعرف حقيقة دينها وتتمسك به، وتعمل على إحيائه في نفوسها وفي واقعها..

ـ ٦ ـ

● وفي سبيل تحقيق هذا الهدف التربوي علينا أن نبرزَ جملة من المعاني في

تاريخ الأمة الإسلامية، لا نجدها بارزة المعالم في كثير من الدراسات المستحدثة على وجه الخصوص:

١- إن التوحيد هو النعمة الكبرى التي أضفاها الله على هذه الأمة، وهو الهدف الأكبر الذي أخرجت هذه الأمة من أجله، وكلفت بنشره في الأرض، التوحيد بمعناه الكامل الشامل الذي يعمل في مساحة واسعة تشمل الحياة كلها.

٢- يجب أن نتبين من دراسة التاريخ أن التوحيد حركة تحريرية شاملة للإنسان كله، وللحياة من كل جوانبها.. وأنه الذي أنشأ أمة فريدة في التاريخ تجتمع على أساس العقيدة، التي تليق أن يجتمع الناس حولها وعليها.

٣- وأن نتبين كذلك أن حركة الفتح الإسلامي كانت حركة فريدة تختلف عن كل الحركات التوسعية في تاريخ الأمم كلها، من حيث الهدف والآثار.

٤- ثم تولدت عن حركة التوحيد الكبرى حركة علمية وحركة حضارية متميزة.

● هذا كله بعض ما ينبغي إبرازه في إعادة كتابة تاريخ الأمة الإسلامية في عصر صدر الإسلام ومرحلة المد الإسلامي، فإذا درسنا فترة الانحسار فيجب أن ننظر فيها إلى جملة من العوامل الداخلية النفسية، وهي تعطينا الأسباب الحقيقية للانحسار الذي نشأ عن بعد هذه الأمة عن مصدر قوتها وعزتها، وعندئذ زال التمكين لها، وكانت سنة الله في تمكين غيرها لأمد.

● وفي الجولة الأخيرة من حياة هذه الأمة، «واقعنا المعاصر» ينبغي التنبه إلى أمور كثيرة في كتابة تاريخها لكثرة ما دُس فيها من عوامل التشويه والتوجهات السامة التي يقصد بها التدمير، كالإيحاء بأن الإسلام قد استنفذ أغراضه، وأن اتخاذ الحضارة العلمانية منهجاً للحياة هو طريق الإنقاذ وسبيل التقدم! وكذلك إبراز التيارات الهدامة الوافدة مع الغزو الفكري، من وطنية وقومية واشتراكية، وتمجيد أصحابها وتصويرهم بصورة الأبطال مع أهمال البطولة

الحقة في تاريخنا الإسلامي، وأخيراً: تصوير الصحوة الإسلامية على أنها الخطر الداهم الذي سيؤدي بالعالم إلى الدمار..

– ٧ –

تلك أمور تدعو لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي من جديد، وفي فصول الكتاب تفصيل وتطبيق للمنهج الذي أقام معالمه الأستاذ محمد قطب، ولذلك جاء الحديث عن «الجاهلية» «والإسلام» و«البعثة وصدر الإسلام» ثم «المد الإسلامي» ودراسة «بدء الانحسار» لأخذ العبرة لتكون زاداً على طريق «الصحوة الإسلامية» التي تبشر بتحقيق وعد الله سبحانه لهذه الأمة بالتمكين والنصر عندما تفي بشرط ذلك كله، ثم يغلق الكتاب بهذه العبارة المتفائلة التي تصدر عن إيمان عميق بوعد الله سبحانه، وبشارة نبيه ﷺ: وهو يستشرف المستقبل الزاهر: «وذات يوم ـ مقدر في علم الله ـ ستأتي الجولة الممكّنة للإسلام، التي بشّر بها رسول الله ﷺ، ﴿**ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء، وهو العزيز الرحيم، وعد الله لا يخلف الله وعده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ [الروم ٤-٦].

– ٨ –

وبعد: فإنه كتاب جدير بالقراءة، بل جدير بالدراسة المتأنية العميقة، ولعل أصحاب الاختصاص من كتّاب التاريخ الإسلامي، يبدون رأيهم في هذا المنهج ككتابة التاريخ الإسلامي، فقد يضيفون جديداً أو يستدركون فكرة، أو يؤيدون صواباً.

ونسأل الله تعالى أن يبارك في جهد المؤلف، وأن ينفع به وبعلمه، وأن يهيئ له من الأسباب لإنجاز ما وعد به من كتب تالية، وأن يتقبلها عنده.

رسالة عدائية ضد المسلمين في أوربا

د. أحمد إبراهيم خضر

وجهت الفتيات المسلمات الثلاث اللاتي تمسكن بحُجبهن في المدارس الفرنسية وأرغمن وزير التربية الفرنسي على الإقرار بحقهن في ذلك صدمتين قاسيتين للعقلية الغربية. كان الغربيون مطمئنين إلى أن أبناء المسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيهم ويتعرضون لقيم الحياة الغربية في المدرسة وعبر وسائل الإعلام في طريقهم إلى الانصهار الكامل مع المجتمع الغربي والذوبان فيه. كانوا يعرفون أن انحسار سلطة الآباء على ابنائهم سوف يؤدي إما إلى تعريض الأسرة المسلمة في بلاد الغرب لمواقف اجتماعية قابلة للانفجار ـ يترتب عليها ردود فعل عنيفة ـ أو أن تعيش هذه الأسرة في حالة صراع مع المجتمع ككل. كانوا مطمئنين إلى أن ظروف الحياة الغربية سوف تخرِّب أخلاق الشباب المسلم وتفصلهم عن عائلاتهم، وأن تعرض هذا الشباب للخمر والتدخين والأطعمة المحرمة، والإغرآت العديدة المتوفرة في المدن الغربية سيبعد هذا الشباب حتماً عن دينه. كانوا مطمئنين كذلك إلى شدة تأثير أعلى درجات العلمانية في المدارس الغربية على الشباب المسلم، فجاءت واقعة الفتيات الثلاث في قلب المدارس الفرنسية صدمة شديدة أيقظتهم مما اطمأنوا وركنوا إليه طويلاً.

أما الصدمة الثانية للعقلية الغربية فكانت استسلام وزير التربية الفرنسي أمام إصرار الفتيات على التمسك بحجبهن. فهم الغربيون هذا الاستسلام بأن المسلمين قد نجحوا في فرض مصطلحاتهم الخاصة على المجتمع الأوربي، وأن الوزير الفرنسي قد سمح ـ بموقفه هذا ـ بخرق القيم الغربية. كانوا يأملون أن يجبر الوزير الفرنسي هؤلاء الفتيات على خلع الحجاب لأن القيم الانضباطية الإسلامية التي يفرضها الإسلام على معتنقيه ليست ذات قيمة ـ في نظرهم ـ للبلاد كلها ومن ثَمَّ فإنهم يرون: أن على المسلمين المقيمين بينهم أن لا يخضعوا لهذه القيم، وان عليهم أن يتركوا أنفسهم لوسائلهم الخاصة وليس لما يفرضه عليهم الإسلام من التزام وانضباط.

دفعت هاتان الصدمتان الشديدتان (أنتولي هارتلي) رئيس تحرير مجلة (Encounter)* إلى تدقيق النظر في أوضاع المسلمين في أوربا وتوجيه رسالة تحذيرية للحكومات الغربية صريحة أحياناً، وضمنية أحياناً أخرى، مما أسماه بالتوسع والبعث الإسلامي في أوربا والأخطار الناجمة عن وجود الأعداد المتزايدة من المهاجرين المسلمين في الدول الأوربية. وجد (هارتلي) أن عدد المسلمين في بريطانيا يقدر بمليون ونصف، وفي فرنسا من ٢,٥ - ٣ مليون، وفي المانيا هناك ما لا يقل عن ١,٩ مليون مسلم غالبيتهم من الأتراك بالإضافة إلى مائة وثلاثين ألف عربي، ومائة ألف من مسلمي البوسنة. وفي إيطاليا ما يقرب من ١.٧ مليون يدخل معظمهم إليها بتأشيرة سياحية ثم يبقون هناك. وفي بلجيكا مائتي ألف مهاجر من تركيا وشمال أفريقيا، أما في هولنده فهناك ٢٨٥ ألف مسلم من المغرب وتركيا وسورينام. وجد (هارتلي) أنه على الرغم من أن غالبية العمالة المسلمة في بريطانيا عمالة غير ماهرة فإن نسبة عالية من هذه العمالة تشغل وظائف مهنية.و وجد (هارتلي) أيضاً أن في فرنسا وحدها ما يقارب من ألف مسجد وزاوية صلاة تقام فيها شعائر الإسلام، وستمائة في

* انظر Anthony Hartley, Europe's Muslims, The National Interest, winter 1990/91, pp. 57-66.

بريطانيا يتلقى فيها الأطفال المسلمون تعاليم القرآن، وتعتبر مراكز تجمعات للمسلمين. وصلة المسلمين بوطنهم الأم لم تنقطع، وما يحدث في هذا الوطن من حركات إسلامية وبعث إسلامي يتردد صداه بين هؤلاء المهاجرين إلى العالم الأوربي.

أزعجت هذه الحقائق (هارتلي) لكن الذي أفزعه هو أن هؤلاء المهاجرين قد نجحوا في إدخال المعتقدات والأعراف الإسلامية إلى المجتمعات الصناعية الغربية، وخشي أن تتخلى هذه المجتمعات عن قيمها وأعرافها، وأن تخضع للقيم والمعايير الإسلامية، لهذا فقد نظر إلى واقعة الفتيات المسلمات الثلاث على أنها سابقة خطيرة تنذر بإمكان حدوث ذلك. لهذا وجه (هارتلي) رسالته التحذيرية المحشوة بالعداء للإسلام والمسلمين إلى الحكومات الغربية متضمنة ما يلي:

أولاً: محاولة إقناع الحكومات الغربية بأن المهاجرين المسلمين قد يتسببون في مشاكل مستقبلية بين الدول الأوربية واستدل في محاولته هذه باحتجاج فرنسا على بون بسبب تشجيع الألمان لهجرة العمالة التركية الزائدة.

ثانياً: محاولة إقناع الحكومات الغربية بأن مطالب المسلمين كثيرة ومتعددة ويصعب الوفاء بها وأنها تسير ضد إيقاع وحركة الإنتاج الصناعي الحديث وضد نمط الحياة الغربية. يقول (هارتلي): «وعلى امتداد أوربا يطلب المسلمون أماكن للصلاة في مواقع العمل وفي السكن العمالي والعقارات السكنية، ويطلبون إمدادهم بالأطعمة الحلال ـ الموصوفة في القرآن ـ في المقاصف والمدارس، ويطلبون أوقاتاً للاحتفال بأعيادهم (عيد الفطر وعيد الأضحى)، ويطلبون الحق في الذهاب إلى المسجد يوم الجمعة. ليس من السهل الوفاء بالعديد من هذه المتطلبات. حيث يستلزم الصيام في رمضان الامتناع عن الطعام والشراب من الفجر وحتى الغروب لمدة شهر كامل. ومن شأن هذا الأمر تقليل القدرة الفيزيقية للعمال الذين يقومون بأعمال يدوية: والتغيب عن العمل خلال اليوم من أجل الصلاة أمر لا يتسق بسهولة مع إيقاع الإنتاج الصناعي الحديث والدفن

الإسلامي يتطلب وضع الجثة على جانبها متجهة إلى مكة وهذا أمر يصعب تحقيقه في مقابر حضرية مزدحمة، ومن قائمة مطالب المسلمين في بريطانيا: أن ترتدي بناتهم الزي الإسلامي، وأن ينفصل الطلاب عن الطالبات في حصص الرياضة وتعليم السباحة، وإمداد المدارس بالأطعمة الحلال، وتوفير غرف للصلاة، والسماح بفرص لزيارة المساجد في المناسبات والأعياد الإسلامية حتى يحصل الأطفال على تعاليم قرآنية.

هناك حالة من عدم الرضا العميق بين المسلمين عن تعليم الجنس في المدارس وخاصة ما يرتبط بالجنسية المثلية، وقد قدمت اعتراضات مشابهة لذلك إلى مديري المدارس الفرنسية.

إن المجتمعات الأوربية قد تجد من الصعب عليها مقاومة مطالب المسلمين، وهناك مواقف قد حدثت بالفعل وتخلت فيها المجتمعات الصناعية عن معاييرها الاجتماعية السائدة، وانقادت لعادات الإسلام، وهي تجري مخالفة لقيمها ومعتقداتها.

ثالثاً: تحذير الحكومات الغربية من الآثار البعيدة المدى للدور المتنامي الذي يمكن أن يلعبه المسلمون في الحياة السياسية الغربية خاصة بعد حصولهم على جنسيات البلاد الأوربية، وحق التصويت في الانتخابات المحلية والعامة.وبناء عليه يرى (هارتلي): أن ذلك سوف يمكنهم من تحقيق مطالبهم وأهدافهم وخاصة مع تصويت باقي المسلمين إلى جانب هذه المطالب.

استشهد (هارتلي) هنا بالخطاب الذي أرسله الاتحاد الإسلامي في فرنسا لمديري المدارس والذي طالب فيه بوضع حد للاختلاط في الفصول المدرسية.

رابعاً: تحذير الحكومات الغربية من تزايد نفوذ الحكومات الإسلامية عليها استناداً إلى وجود الأقليات الإسلامية فيها، ومن تسرب الحركات الإسلامية إلى أوربا بسبب جو الحرية السائد في الغرب.

خامساً: تنبيه الحكومات الغربية إلى أنها مهما استجابت لمطالب المسلمين

فإنهم سيظلون منفصلين متميزين غير منسجمين مع المجتمع الأوربي، ولن يكون ولاؤهم لهذا المجتمع مطلقاً.

سادساً: تحذير الحكومات الأوربية من خطورة الرضوخ لمطالب المسلمين، وخاصة ما يتعلق منها بوضع المرأة، واعتبار ذلك تهديداً لقيم المجتمع الغربي وبذراً للتعصب فيه مع التنديد الضمني المتكرر بموقف الوزير الفرنسي من الفتيات المسلمات الثلاث المشار إليهن، واستغلال تلك الواقعة لإظهار صعوبة تعامل هذه الحكومات مع المسلمين الملتزمين بعقيدتهم.

سابعاً: تحذير الحكومات الغربية من الدور الذي تلعبه المساجد في أوربا، ومن تنامي هذا الدور وتأثيره على الحياة السياسية في الغرب، ولفت انتباه هذه الحكومات إلى خطورة الخطب الدينية التي تلقى في هذه المساجد، والدعوة إلى ضرورة فرض الرقابة عليها.

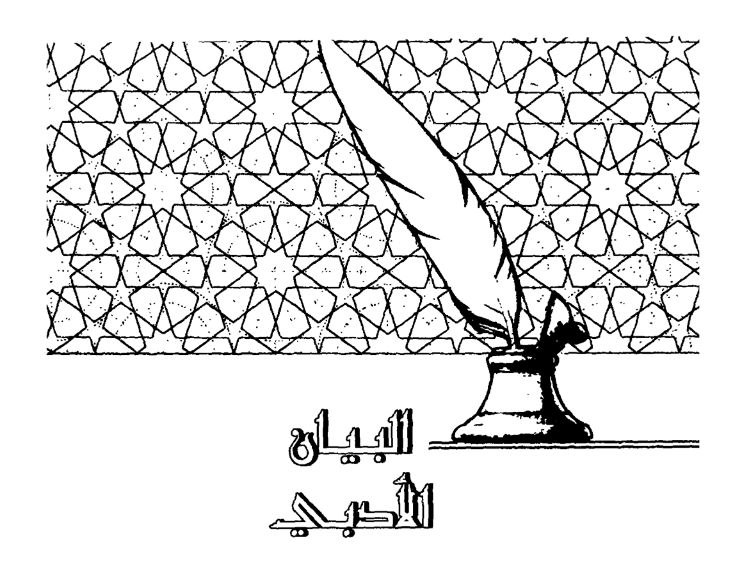
ثامناً: لفت انتباه الحكومات الأوربية إلى النهضة الملحوظة في قطاع التعليم الإسلامي في أوربا، وفي المدارس الإسلامية الخاصة بالذات، وما يمكن أن تسببه هذه النهضة من مشاكل لهذه الحكومات تتعلق بالمعونات الحكومية، وخرق لقيم المجتمع، والتأثير على تكامله خاصة مع نجاح قادة المسلمين في تطويع البناء الإداري القائم وتوجيهه لصالح وخدمة معتقداتهم.

تاسعاً: تذكير الحكومات الغربية بآثار قضية (سلمان رشدي) على بريطانيا، وتنبيه هذه الحكومات إلى أن القضية لا تخص بريطانيا وحدها بل إن جميع البلدان الأوربية سوف تعاني من المشاكل الناجمة عن وجود أقليات مسلمة فيها، وأن الحل الذي أمام هذه الحكومات هو إجبار المسلمين على الخضوع للقانون شاؤوا أم أبوا بغض النظر عن أمر المساس بعقيدتهم مع التاكيد على عدم إعطاء وضع خاص للإسلام يجعله فوق النقد بحيث يفرض نفسه على المجتمع الغربي.

عاشراً: التشديد على ضرورة مواجهة النهوض والتوسع الإسلامي في أوربا، وقطع الطريق أمام الحكومات الغربية التي استعمرت وأذلت العالم الإسلامي مدة

طويلة في التفكير في التسامح مع المسلمين في دولها وفقاً لنفس المبدأ الذي تتعامل به مع اليهود (وهو التكفير عن ذنب ما يعرف باضطهاد اليهود).

لو ضممنا هذه الرسالة العدائية «لأنتوني» هارتلي إلى ما يجري للمسلمين في البوسنة والهرسك كمحاولة لاستئصال الوجود الإسلامي من قلب أوربا لأدركنا معنى قوله عز وجل: **﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾** [البقرة ٢١٧]، إنه كما يقول الشهيد (سيد قطب) تقرير صادق من العليم الخبير يكشف عن الإصرار الخبيث على الشر وعلى فتنة المسلمين عن دينهم بوصفهم الهدف الثابت المستقر لأعدائهم، وهو الهدف الذي لا يتغير لأعداء الجماعة المسلمة في كل أرض وفي كل جيل، لأن وجود الإسلام في الأرض هو بذاته يؤذيهم ويغيظهم ويخيفهم، وهو من القوة والمتانة بحيث يخشاه كل مبطل ويرهبه كل باغ ويكرهه كل مفسد.. ومن ثم يترصدون لأهله ليفتنوهم عنه ويردوهم كفاراً في صورة من صور الكفر الكثيرة ذلك لأنهم لا يأمنون على باطلهم وبغيهم وفسادهم في الأرض جماعة مسلمة تؤمن بهذا الدين وتتبع منهجه وتعيش بنظامه، وتتنوع وسائل قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواته ولكن الهدف يظل ثابتاً: أن يردوا المسلمين الصادقين عن دينهم إن استطاعوا، وكلما انكسر في يدهم سلاح انتضوا غيره، وكلما كانت في أيديهم أداة شحذوا أداة غيرها، والخبر الصادق من العليم الخبير قائم يحذر الجماعة المسلمة من الاستسلام، وينبهها إلى الخطر ويدعوها إلى الصبر على الكيد والصبر على الحرب، وإلا فهي خسارة الدنيا والآخرة والعذاب الذي لا يدفعه عذر ولا مبرر.



- إسلامية الأدب كيف ولماذا؟

- فلنحمل همّ الإسلام

إسلامية الأدب.. لماذا وكيف؟؟

د. عبد الرحمن صالح العشماوي

الشبهة الخامسة:

يثير بعض معارضي مصطلح «الأدب الإسلامي» شبهة «البدعة» في هذا المصطلح، فيقولون: إنه بدعة معاصرة، لم يقل بها أحد من سلف هذه الأمة، فهل نحن أحرص على الإسلام من أولئك؟؟ ونجيب على هذه الشبهة بما يلي:

أولاً- لا ينطبق على مصطلح «الأدب الإسلامي» معنى «البدعة» المذمومة التي تأتي مخالفة لما شرع الله، كما لا ينطبق عليه معنى «البدعة» على عمومه لأنه ـ كما ذكرنا في حلقة ماضية ـ يقوم على تصور، وهذا التصور موجود منذ نزول القرآن على النبي محمد عليه الصلاة والسلام ومنذ أن كان للرسول ﷺ ولسلف هذه الأمة رضي الله عنهم موقفهم الواضح القائم على ذلك التصور الإسلامي للأدب ودوره في حياة الأمة، وتنحصر الجدة في الأدب الإسلامي في تسمية المصطلح نفسه بناءً على منهجية مستمدة من القرآن والسنة، وسنبيّن هذا فيما بعد ـ إن شاء الله ـ.

ثانياً: ليس صحيحاً ما يقوله أصحاب هذه الشبهة من أن السلف لم يشيروا إلى

إسلامية الأدب، بل إنهم أكدوا ذلك في مواقف كثيرة، وأشاروا إلى ضرورة مراعاة تعاليم الإسلام في الأدب فلم يقروا لشاعرٍ أو أديبٍ الخروج عن تلك التعاليم، ولم يضعوا مصطلحاً بهذا الإسم لأنهم لم يكونوا بحاجة إلى وضع مصطلح إسلامي في ظل خلافة وجهتها العامة إسلامية، ولها مواقفها الواضحة من أصحاب الأدب المنحرف، تأديباً وإنكاراً.

ثالثاً: لم يكن الإنحراف الأدبي في عصور الإسلام الأولى منظّراً، أي أنه لم يكن قائماً على «أيديولوجية» لها فلسفتها ونظامها القائم الذي تدعمه السلطات، وإنما كان ذلك الانحراف ـ غالباً ـ شخصياً ينبثق من انحراف شخصي لأحد الأدباء ثم يكون له أتباعه ومقلدوه، وكانت الدولة الإسلامية ترفض ذلك الانحراف ملاحقة له ـ وإن لان موقفها منه أحياناً ـ ولذلك لم يكن الناس بحاجة إلى وضع نظرية أو مصطلح للأدب الإسلامي، لمواجهة نظرية معارضة، وإنما كان دورهم مقتصراً على نقد ذلك الانحراف ورفضه وبيان سوئه للناس.

أما الانحراف الفكري والأدبي في العصور المتأخرة فهو انحراف قائم على منهج له أسسه وتصوراته وله رواده ودعاته، بل وله دوله التي تتبناه وتسعى إلى دعمه ونشره[1]، وقد وضعت له النظريات والمناهج، وكتبت عنه الدراسات المنهجية والبحوث الأكاديمية فكان لزاماً على المسلمين الملتزمين أن يكون لهم منهجهم المستقل ونظريتهم الأدبية الإسلامية القائمة على التصور الإسلامي، لأن هذه المنهجية هي التي تستطيع مواجهة الانحراف الأدبي «الممنهج» في عصرنا هذا، فكان مصطلح الأدب الإسلامي الذي قام على تصور إسلامي كما أشرنا من قبل.

إن البدعة تكون مذمومة مرفوضة عندما تأتي مخالفة لمنهج الإسلام الصحيح خارجة عن إطاره الذي رسمه القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح ومواقفهم،

---

١ - راجع ما كتبه الأستاذ جمال سلطان في كتابه القيم «أدب الردة - قصة الشعر العربي الحديث: تحت عنوان: «تيارات مشبوهة» ص ١٢٣ وما بعدها.

فهي بهذا المفهوم مرفوضة حتى لو كان فيها زيادة في الطاعة يتوهم أصحابها أنها تقربهم إلى الله أكثر مما ثبت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، أليس هو القائل في شأن من يتنزه عن بعض ما كان يفعله : «ما بال أقوام يتنزهون عن أشياء أترخص فيها، والله إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدوده».

والبدعة بهذا المعنى المرفوض بعيدة كل البعد عن مصطلح الأدب الإسلامي. لأنه يقوم على رؤية إسلامية مؤيدة بالكتاب والسنة ومواقف السلف الصالح في شأن الأدب.

إن هذا المصطلح من باب التجديد في أسلوب المواجهة بما يتلاءم مع حجم القضية المعاصرة، ولولا هذه النظريات والمدارس القائمة على مناهج منحرفة مدعومة باتجاهات رسمية عالمية، لما احتجنا في هذا العصر إلى مصطلحات «الفكر الإسلامي» و«الاقتصاد الإسلامي» و«الإعلام الإسلامي» و«الأدب الإسلامي»، إذن فإن القضية قائمة على مبدأ الإعداد لمواجهة الانحراف والفساد، لا بأقوال ارتجالية، وأفكار مبتدعة كما يظن من يطلقون هذه الشبهة. ولكن بناء على الرؤية الإسلامية المنبثقة من ديننا العظيم.

فإذا كان ــ مثلاً ــ الشاعر الحداثي هو: «الذي يخوض معركة التحرر من القوالب السلفية التي تحاول بدورها، أن تشله وتعزله عن حركة التاريخ، وعن التغيير، وتبقيه في عقم الثبات، هذه القوالب السلفية في الفكر والحياة معاً، تتحول إلى دعائم مشتركة، تشارك بشكل أو آخر في الحيلولة دون تحقيق التحرر الكامل»[1].

أقول إذا كان ذلك هو الشاعر الحداثي كما صوَّره منظِّر مذهب «الحداثة» العربي المرتد أدونيس، فإن الأدب الإسلامي يرسم صورة أخرى مشرقة ناصعة للشاعر الإسلامي، فهو الشاعر الذي يتخذ من التصور الإسلامي قاعدة انطلاقه ويبدع لنا أدباً رائعاً قائماً على عظمة الثبات على المبدأ وليس على الثورية

١- انظر زمن الشعر لأدونيس ص: ٥٧ .

والانحراف.

وإذا كان الشاعر عند منظري الحداثة هو «الذي لا ينطلق من فكرة واضحة محددة، بل من حالة لا يعرفها هو نفسه معرفة دقيقة، ذلك أنه لا يخضع في تجربته للموضوع أو الفكرة أو الأيديولوجية أو العقل أو المنطق»[١].

فإن الشاعر عند منظِّري الأدب الإسلامي هو الذي ينطلق من فكرة واضحة ومن حالة يعرفها، ومن رؤية إسلامية صافية يبدع من خلالها أدباً مؤثراً يرقى بالأمة ولا يهبط بها[٢].

إن «مليار» مسلم يعيشون في هذا العالم النكد بأمسِّ الحاجة إلى أدب يرقى بنفوسهم وعقولهم، ويصدّ عنهم هجمات الانحراف والضياع التي تشنها نظريات الأدب المنحرف في هذا العصر[٣].

لقد حرص الرسول عليه الصلاة والسلام منذ نزول الوحي عليه على رسم طريق الكلمة الطيبة، والكلمة الخبيثة، ولقد قال عن الشاعر المنحرف: «لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه، خير له من أن يمتلئ شعراً»، وقال عن الشعر الإسلامي الصافي: «إن من الشعر لحكمة»، وكانت عائشة رضي الله عنها تستدل في كلامها بالشعر الجيد السامي، وأوصت بتلقينه للناشئة، وبذلك أوصى معاوية رضي الله عنه، وثبت عنهم جميعاً رفضهم للشعر المنحرف ومعاقبتهم للشعراء المنحرفين في أحاديث كثيرة وأخبار صحيحة ليس هذا مكان سردها، أفبعد ذلك يدَّعي مُدَّعٍ أن مصطلح «الأدب الإسلامي» بدعة لم يقل بها السلف؟؟

١- انظر: مقدمة للشعر العربي لأدونيس ص ٣٢، وانظر كذلك الكتاب القيم بعنوان: «أسلوب جديد في حرب الإسلام» للشيخ جمعان بن عايض الزهراني: ص ٣٣ وما بعدها.

٢- انظر: الإسلامية والمذاهب الأدبية للدكتور نجيب الكيلاني: ص ٢٠ وما بعدها.

٣- انظر: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد للدكتور عبد الرحمن الباشا، المقدمة.

فلنحمل همَّ الإسلام

د. محمد بن ظافر الشهري

يقولان رفقا بجسم رقيقْ ... بعينيك دمعٌ وفي الصدر ضيقْ

وتحيا أسيراً لحرِّ الأسى ... وإن كنتَ تبدو كَحُرٍّ طليقْ

وقالا دع الهَمَّ أو بعضهُ ... ولم يعلما أنني لا أُطيق

فكيف السبيل إلى بَسْمَةٍ ... وليس يقهقهُ صدرٌ خنيق؟!

أنضحكُ والهدمُ في البَابِرِيْ ... ومن قبلُ في القدسِ شبَّ الحريق؟!

ويَذبحُ «راموسُ» إخواننا ... على أرض «مورو» وما من شفيق

وفي مَقَديشو تُسَالُ الدِّما ... ليُصْنَعَ منها لـ سامَ الغبوق

وَبَثَّ الصليبُ رجالاته ... برغم الخلافاتِ ـ عند «الرفيقِ»[1]

وفي اِرِتِريا وجاراتِها ... ليخنقنا سَامُ عند المضيق[2]

١- الرفيق: يستخدمها الشيوعيون والبعثيون في الإشارة إلى زملائهم في التنظيم، وفي البيت إشارة إلى التعاون الشيوعي الأمريكي.

٢- باب المندب.

وكشمير والهند لا تسألا عن الْهَتْكِ فيها لشعبٍ عتيق[1]

فكم حُرَّة مزقوا سترها ووالدُها مثخنٌ والشقيق

خليليَّ حَلَّ بإخواننا من الضيمِ ما لا يسرُّ الصديق

أُذيقوا من الذلِّ ألوانَهُ فهل نتضاحكُ حتى نذوق؟!

وحتَّام نَشْغُلُ في هَمِّنا وأعداؤنا هَمُّهُمْ في سموق؟!

ونشرب من قيء أعدائنا وإسلامنا فيه أحلى رحيق؟

وتبقى هتافات أبنائنا تعيش النجوم يعيش الفريق؟

وتبقى وسائل إعلامنا لنشر الرذيلة والزور بوق؟

ونغمس في الفن أولادنا لِنُخْرِجَ معشوقةً أو عشيق؟

إذا زُرِعَ الفسقُ في نَسْلنا فهل نتوقع غير العقوق؟!

ومَنْ كان عبداً لأهوائه سيُهوى به في مكان سحيق

عجبت لمن سار نحو الهوى كَسَيْرِ الفراشات نحو البريق!

وإسلامنا فيه إعزازنا وفيه تُنال جميع الحقوق

فؤاديَ يخفقُ من حُبِّهِ فتسريْ محبتُه في العروق

فهيا لنُحيي به أنْفُساً وإن لم يشأْ كلُّ نذلٍ صفيق

نجادل بالحق كل الورى ولا نَرْمِ من أسلموا بالمروق

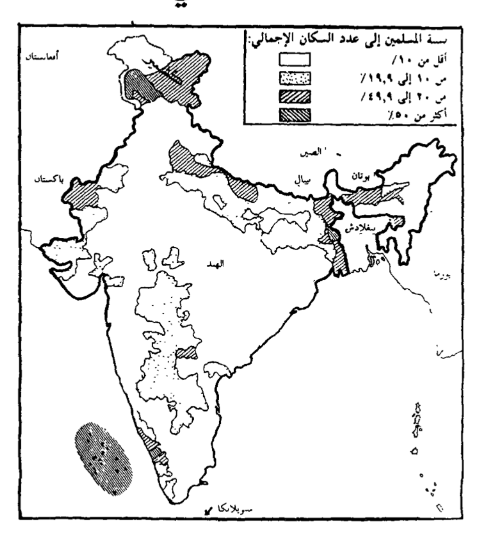
خليليَّ سيراً على منهجي على منهجٍ سلفيٍّ عريق

وكُفَّا عن اللوم ولْتَحْمِلا معيْ الهَمَّ أو فاتركاني أفِيقْ

١- عتيق: الكريم من كل شيء والخيار من كل شيء.

ملف العدد:

المســلمون فــي الهنــد



- دخول الإسلام إلى القارة الهنديـة
- مسلمو الهنـد.. الجـرج النــازف
- تعريف موجز عن أهل الحديث في الهند
- الهنـد والديموقراطيـة الضائعـة

دخول الإسلام إلى القارة الهندية

محمود السيّد الدغيم

تعتبر شبه القارة الهندية واحدة من بقاع العالم التي استوطنها البشر منذ أقدم العصور، فما من مؤرخ متوسع بالتاريخ إلا ويذكر الهند، وكذلك كُتاب طبقات الأمم لم يَفُتهم ذكر الهند، وقد ذكر صاعد الأندلسي (٤٢٠-٤٦٢هـ/ ١٠٢٩-١٠٧٠م) الأمم الثمانية التي عنيت بالعلم فقال: «أما الأمة الأولى؛ وهم الهند، فأمة كثيرة العدد عظيمة القدر، فخمة الممالك، قد اعترف لها بالحكمة، وأَقَرَّ لها بالتدبير في فنون المعرفة جميع الملوك السالفة، والقرون الخالية (..) ولملوكهم السِّيَرُ الفاضلة، والملكات المحمودة، والسياسات الكاملة، وأما العلم الإلهي: فمنهم براهمة، ومنهم صائبة. فأما البراهمة: فهي فرقة قليلة العدد فيهم شريفة النسب عندهم، فمنهم من يقول بحدوث العالم، ومنهم من يقول بأزليته، إلا أنهم مجمعون على إبطال النبوات، وتحريم ذبح الحيوان، والمنع من إهلاكه وأكل أقواته. وأما الصائبة وهم جمهور الهند ومعظمها، فإنها تقول بأزلية العالم، الخ[1].

الطبقات الاجتماعية في الهند:

بعدما انتصر الآريون على سكان الهند امتزجوا بسكانها وفرضوا تقسيم المجتمع

- (انظر طبقات الامم ص ٥٠-٥٤).

في الهند إلى أربع طبقات اجتماعية ومذهبية حددها «منو مهارشي» في شروح الكتب الهندوسية المقدسة، وهي:

١ - البراهمة «Brahman»: وهم طبقة الكهنة، ومهمتهم، درس أسفار «الفيدا» المقدسة، وتدريسها وتلاوتها، وتقريب القرابين وإدارة الشؤون المالية. وهم فئة متسلطة وتعتبر مقدسة لا تُسأل عما تفعل، ولو اقترفت جميع الجرائم بما فيها القتل لأنها الطبقة العليا في المجتمع. ويعيش البراهمة على ما يجبونه من الهدايا والقرابين والضرائب. وللبرهمي حق في كل شيء بسبب النسب.

٢ - الأكشتري «Kshatrea»: وهي طبقة المحاربين، ومهمتها حماية البلاد والعباد، ويجب عليها الابتعاد عن الشهوات. ويعد البرهمي أباً للاكشري وإن كان البرهمي أصغر سناً من الأكشري.

٣ - الفيشية «Vaishya»: وهي طبقة الفلاحين، والتجار، ومهمتها تامين مستلزمات العيش للكهنة والمحاربين، ويحق لهم أخذ الربا، وعليهم تقديم الضرائب للطبقتين السابقتين.

٤ - الشودرا «Shudra»: (المنبوذون) وهي الطبقة السفلى التي لم تعترف لها الهندوسية بأية حقوق، وفرضت عليها واجبات تقديم الخدمات للطبقات الأخرى التي تستغل «الشودرا» وتجبرها على تنفيذ أسفل الخدمات، وسبب انحطاطهم ـ حسب الزعم الهندوسي ـ عدم جريان الدم الآري في عروقهم مطلقاً، لأنهم من سكان الهند الأصليين الذين لم يختلطوا بالآريين، وهم خطر على الدم الآري يجب الابتعاد عنه لذا يمنع الزواج بين المنبوذين وبقية الطبقات لأن المنبوذ نجس يجب اجتنابه.

إن من يتصفح الكتب الهندوسية التي يطلق عليها اسم «شريعة منو مهارشي» يجد صورة المأساة الإنسانية في تلك النحلة الفاسدة التي ورد في نصوصها ما يلي:

«يجب على (الشودري: المنبوذ) أن ينفذ أوامر البراهمة تنفيذاً مطلقاً. وخدمته للبراهمة هي أفضل عمل يحمد عليه. ولا يجوز له جمع ثروة زائدة لأنه يؤذي البراهمة بوقاحته. وتقطع يد ابن الطبقة الدنيا إذا رفعها على من هو أعلى منه،

وتقطع رجله إذا رفسه برجله، وإذا ناداه باسمه أو باسم طائفته متهكماً يجب أن يدخل في فمه خنجراً محمياً بالنار، ويأمر الملك بصب زيت حار في فمه وأذنيه إذا أبدى رأياً للبراهمة في أمور أعمالهم، ومن يُقِمْ علاقة مع منبوذ تسقط عنه صفة الطبقية ويُنبَذ، ولو لم تتعد علاقتُهُ: قراءة الكتاب المقدس معه، أو الركوب في مركبة واحدة، أو الأكل معه على سفرة واحدة».

هذه صورة عن العدالة الهندوسية ضمن المجتمع الهندوسي، وهي صورة معبرة عن الظلم ضمن تلك النحلة التي تجور على أبنائها، لذا لا نجد غرابة في الأمر عندما يجور الهندوس على أبناء المسلمين الذين يخالفونهم في أمور الدين والدنيا.

دخول العرب إلى الهند قبل الإسلام:

جاء في تاريخ الطبري: «ثم إن كسرى وجه مع رجل من أهل اليمن يقال له سفيان بن معد يكرب ـ ومن الناس من يقول إنه كان يسمى سيف بن ذي يزن ـ جيشاً إلى اليمن؛ فقتلوا من بها من السودان، واستولوا عليها. فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجه إلى سرنديب من بلاد الهند ـ وهي أرض الجوهر ـ قائداً من قواده في جند كثيف، فقاتل ملكها فقتله، واستولى عليها، وحمل إلى كسرى منها أموالاً عظيمة وجواهراً كثيراً»[1].

تدل هذه الرواية على أن العرب كانوا في عداد جيش كسرى الذي استولى على سرنديب. وكان مولد النبي محمد ﷺ في سنة اثنتين واربعين من سلطان كسرى أنوشِروان. وتُسمى تلك السنة بعام الفيل، وتلك الأخبار تدل دلالة واضحة على معرفة العرب أشياء كثيرة عن الهند وبلادها وشعوبها ونِحَلِها، كما تدل النقوش القديمة على العلاقات التجارية بين أبناء شبه جزيرة العرب والهند، حيث راجت تجارة البخور والحرير والحديد. وبناء على ما تقدم لا نستغرب دخول الإسلام إلى الهند منذ فجر الإسلام ومبعث خاتم الأنبياء والمرسلين.

انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية:

نحن نواجه في هذا الزمان أزمة تاريخية، فعندما نطرح مسألة إسلامية مفيدة

١ - (تاريخ الطبري ٢/١٥٣).

تقوم قيامة أعداء الإسلام، ويبدأ الجدل المذموم، وتغيب المناظرة المحمودة، ويطالبنا أذناب الأعداء بتقديم الدليل في كل قضية تُنْصِفُ الإسلام والمسلمين، ولكن أذناب الأعداء يُسَلِّمون بما يتخرص به المستشرقون والمستغربون من اليهود والنصارى والملاحدة.

إن أعداء الإسلام يتقبلون الدعوى المسيحية التي تقول: أن «القديس توماس» ذهب إلى الهند، وأسس أول كنيسة نصرانية على ساحل مليبار في سنة ٥٢م، وبقيت تلك الكنيسة حتى القرن الخامس الميلادي، وكانت تابعة للكنيسة الفارسية، ووصل إلى هناك النسطوريون (أتباع نسطوريوس القسطنطيني ٤٢٨م) في القرن التاسع، وفي القرن الخامس عشر سيطرت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية البرتغالية فوحدت كنيسة مليبار، ثم ارتد المليباريون إلى النسطورية سنة ٧٠٠م الخ..

كان أعداء الإسلام يُشككون بكل ما يخص الإسلام من تاريخ وعدالة وازدهار. وهذا ما يدفعنا إلى مقارعة الحجة بالحجة والدليل بالدليل في سبيل تقديم البرهان الذي يؤدي إلى النتيجة المرجوة.

«إن المسلمين العرب أقاموا في جزيرة سيلان، وساحل مليبار في القرن السابع. وهذا ما يؤكده (فرانسس دي Francisday) وكذلك (استرك Struck). وذكر المؤرخون: أنه وُجد محفوراً على حجر في مسجد يقع قرب (بيتور) في (كيرله) إن الإسلام ظهر فيها في السنة الخامسة من الهجرة، ويعللون سبب ظهوره بوصول بعض العرب مبكرين إلى ديار (مليبار) ولا ريب في أن المسلمين يوجدون في الهند من أوائل القرن الأول الهجري، فسرِّح النظر إلى (راجه سرنديب) الذي أسلم في سنة ٤٠هـ، ثم ارجع البصر إلى (راجه مليبار) فهو كذلك»[1].

وبالإضافة إلى ما ذكره الدكتور محمد الصديقي نجد قرينة أخرى على دخول الهند في دين الله ايام النبي ﷺ، حيث جاء في مقال للأستاذ محمد أبو الصلاح: «توجد وثائق تاريخية تدل على ان الإسلام قد وصل إلى مليبار في زمن النبي ﷺ، ويؤكد المؤرخ الباحث «بالا كرشنا بلاي Balakrishna pillay» بأن محمد بن

١- (انظر ثقافة الهند عدد كانون الثاني/يناير ١٩٦٠ ص ١١٤-١١٥، ومقال الدكتور محمد أحمد الصديقي).

عبد الله عليه الصلاة والسلام قد بعث الرسائل يدعو فيها إلى الإسلام ملوك أفريقيا وملك «مليبار Malibar»، ويقول إن أول خطاب من الرسول العربي قد وصل إلى ملك مليبار في عام ستمائة وثمانية وعشرين للميلاد*.

وتثبت الحقائق التاريخية أن الإسلام قد انتشر في بلاد «مليبار» في زمن النبي ﷺ، وأكبر دليل تاريخي على ذلك تلك النقود الفضية التي نشرتها الأسرة المالكة «باركل» في «كنور» في القرن الثامن للميلاد. وهذه الواقعة تفند الرأي القائل بأن الإسلام جاء إلى مليبار بعد القرن الثاني لوفاة النبي ﷺ. وعرضت النقود التي تحمل اسم الملك. ملك «أركل» في المعرض الثقافي الذي أقيم في مدارس عام ١٩٣٤م. وتحتفظ هذه الأسرة بتراثها القديم وتحافظ على مجدها الغابر منذ القرون. وأصبحت هذه الوثائق التاريخية المنكشفة في قصر «أركل» من نقود ومخطوطات ومنحوتات ورسائل وغيرها أبهى الحجج التاريخية لتفنيد رأي صاحب «تحفة المجاهدين» بأن الدعوة الإسلامية قد ابتدأت في «مليبار» في القرن العاشر للميلاد. ومن المحزن أن كثيراً من الكتب التاريخية التي ألفت بعده تُقَلِّدُ الرجل وتنقل رأيه هذا بدون تمحيص وتحقيق. مع أن المؤرخ المشهور ابن عرب شاه (١٤٧٦م) والمؤرخ العربي المعروف فخر الدين (١٢٧٢م) قد صرحا بأن الإسلام بدأ ينتشر في سواحل الهند العربية في زمن النبي عليه الصلاة والسلام وجاءت وثائق «أركل» مؤيدة لرأي هذين المؤرخين[1].

بناء على ما تقدم نرى أن من واجب المؤرخين المسلمين البحث الدؤوب عن العلاقات الإسلامية الهندية أثناء القرن الأول الهجري، والكشف عن أسرار الوثائق والمخطوطات المحفوظة في المكتبات الهندية، والإطلاع على النقوش والنقود، وذلك في سبيل توثيق التاريخ.

لئن تباينت الآراء حول تحديد ابتداء انتشار الدين الإسلامي في الهند،فإن قضية الفتح لم يتم الإجماع على تحديد موعدها بعد. فالبلاذري يقول: «ولى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعُمان سنة

* لا يوجد في كتب السيرة المعروفة ما يؤيد هذه المراسلة إلى ملك مليبار - البيان -

١- انظر مجلة ثقافة الهند عدد نيسان/ابريل سنة ١٩٦٠، ص ٢٠٠ وما بعدها.

١٥هـ، فوجه أخاه الحكم بن أبي العاص إلى البحرين، ومضى إلى عُمان فأقطع جيشاً إلى «تانه» ـ التي تقع على ساحل بحر العرب في الهند إلى الشمال من مدينة بومباي مسافة ١٥ كم ـ فلما رجع الجيش كتب إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ يُعلمه ذلك، فكتب إليه عمر ـ رضي الله عنه ـ يا أخا ثقيف: حملت دوداً على عود، وإني أحلف بالله لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم. ووجه الحكم إلى بروص «Broach» ووجه أخاه المغيرة إلى «خور الديبل» فلقي العدو فظفر به»[١].

«ولما وُليّ عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ الخلافة، وولى عبد الله بن عامر بن كريز العراق؛ وكتب إليه يأمره أن يوجه إلى ثغر الهند من يعلم علمه، وينصرف إليه بخبره، فوجه حكيم بن جبلة العبدي، فلما رجع أوفده إلى عثمان، فسأله عن حال البلاد، فقال: يا أمير المؤمنين قد عرفتها، فقال له: صفها لي، فقال: ماؤها وشل ـ قليل ـ، وثمرها دقل ـ ردئ ـ ولصها بطل، إن قلَّ الجيش فيها ضاع، وإن كثر جاع. فقال له عثمان: أخابر أم ساجع؟ قال: بل خابر. فلم يغزها». حتى جاءت سنة ٣٩هـ أيام خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ الذي أذن للحارث بن مرة العبدي بالتوجه إلى الهند، فتوجه إليها وأصاب غنيمة وسبياً. وفي أيام الخليفة معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ جاءت سنة ٤٣ هجرية، وفيها استعمل معاوية «عبد الله بن عامر» فاستعمل «عبد الله بن سمرة على سجستان فأتاها وفتحها عنوة.. واستعمل على ثغر السند عبد الله بن سوار العيدي، وعاد إلى كابل، وقد نكث أهلها ففتحها»[٢]، وفي سنة ٥٠هـ كان الوالي «على البصرة والكوفة والمشرق، وسجستان وفارس، والسند والهند زياد»[٣] وهذه قرينة تاريخية على تبعية نلك المناطق للدولة الإسلامية.

لم تتوقف الجهود الإسلامية الرامية إلى رفع رايات الإسلام في بلاد الهند، وإنارتها بنور الإسلام، ولكن الفتح العام لم يتحقق حتى جاءت سنة «سنة ٩٤هـ،

١- انظر فتوح البلدان ص ٤٣٨ .

٢- انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير، حوادث سنة ٤٣هـ.

٣- انظر تاريخ الطبري ٢٤١/٥ .

٧١٠م»، وفيها افتتح محمد بن القاسم الثقفي أرض الهند»[١]، وروى الطبري بسنده فقال:

«قال عمر: قال علي: وأخبرنا أبو عاصم الزيادي من الهلواث الكلبي، قال: كنا بالهند مع محمد بن القاسم، فقتل الله داهراً، وجاءنا كتاب من الحجاج أن اخلعوا سليمان، فلما ولى سليمان جاءنا كتاب سليمان، أن ازرعوا واحرثوا، فلا شأم لكم، فلم نزل بتلك البلاد حتى قام عمر بن عبد العزيز فأقفلنا»[٢].

يقال: إن سبب تسيير تلك الغزوة هو: «أنه كان في سيلان ـ جزيرة الياقوت ـ نسوة من العرب المسلمين مات عنهن آباؤهن، فأراد ملك الجزيرة أن يجامل الحجاج بن يوسف الثقفي ويرسل له هؤلاء النسوة تقرباً منه، فأركبهن سفينة ووجهها إلى بلاد العرب، فتعرض للسفينة قوم من قراصنة (ميد الديبل) وأخذوا السفينة بما فيها، فنادت امرأة منهن ـ وكانت من بني يربوع ـ يا حجاج أغثنا!! وبلغ الحجاج ذلك فصاح: لبيك. وأرسل إلى (داهر) يسأله تسريح النسوة، فقال: إنما أخذهنَّ لصوص لا أقدر عليهم، فحمل ذلك الحجاج على غزو السند مملكة الملك (داهر)»[٣]، ويقال أن محمد بن القاسم ـ رحمه الله ـ فتح الديبل وحرر المسلمات وأرسلهن إلى واسط العراق، كما ارسل القراصنة إلى الحجاج فنفذ فيهم الحكم العادل. وكان ذلك أيام الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان، وبقي محمد بن القاسم هناك حتى سنة ٩٥هـ حيث توفي الخليفة الوليد، وخلفه سليمان بن عبد الملك فعزل محمد بن القاسم الثقفي، وولى مكانه يزيد بن أبي كبشة، واستمرت السند في التبعية للدولة الإسلامية الأموية حتى آخر أيامها، وبدأت الخلافة العباسية، وأول خلفائها عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الملقب بالسفاح، ومع انتقال الخلافة إلى العباسيين أصبحت السند تابعة لهم، فتولاها منصور بن جهور، ثم موسى بن كعب بن عيينة التميمي الذي سيطر على كشمير والملتان، وبدأت السيطرة الإسلامية بالمد والجزر ايام العباسيين حتى حكم الهند

١- انظر تاريخ الطبري ٤٨٣/٦ .

٢- انظر تاريخ الطبري ٤٩٩/٦ .

٣- نقلاً عن تاريخ الإسلام في الهند للدكتور عبد المنعم النمر ص ٧٣ .

«محمود بن سبكتكين» المشهور بمحمود الغزنوي (٣٨٧-٤٢١هـ/٩٩٧-١٠٣٠م) الذي أسس دولة إسلامية هندية استمرت حتى قضى عليها العدوان الإنكليزي سنة (١٢٧٤هـ/١٨٥٧م)، وهدموا ما بناه محمود الغزنوي، وخلعوا أبواب تربته في أفغانستان سنة ١٨٣٨م ونقلوها إلى الهند، ومنها إلى بريطانيا العظمى ـ آنذاك ـ»[1]، ومن الدول الإسلامية التي قامت في الهند: الدولة الغورية (٥٨٨-٦٠٢هـ/١١٨٢-١٢٠٦م) وتلتها دولة المماليك التي حكمت حتى سنة (٦٨٩هـ/١٢٩٠م) وتلتها السلطنة الخلجية فاستمرت حتى سنة (٧٢٠هـ/١٣٢١م)، ثم جاءت السلطنة التغلقية سنة فحكمت الهند كاملة، وأعادت ارتباطها بالخلافة العباسية في القاهرة، وأقام السلطان محمد تغلق (٧٢٥-٧٥٢ هـ) علاقات علمية مع الشيخ عبد العزيز الأردبيلي تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ واستمرت تلك السلطنة حتى غزا تيمورلنك مدينة دهلي سنة ٨٠١ هـ مما ادى إلى تفكك الدولة الإسلامية، ثم انتهى حكم السلطنة التغلقية بموت السطان محمود سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م) ثم قام حكم السادات من سنة (٨١٥هـ/١٤١٤م) حتى سنة (٨٥٥هـ/١٤٥١م) وأعقبتها أسرة لودي في سلطنة دهلي، فاستمر حكمها حتى سنة (٩٣٢هـ/١٥٢٥م)، ثم جاءت الدولة المغولية التي أسسها بابر، واستمرت حتى اعتقل «واجد علي شاه» في كلكتا سنة (١٢٧٣هـ/١٨٥٦م) من قبل الإنكليزي «دلهوزي» فقامت ثورة المسلمين سنة (١٢٧٤هـ/١٨٥٧م) ضد الإنكليز، لكن الإنكليز استعانوا بالهندوس على المسلمين، ومنذ ذلك التاريخ وحتى الآن يستمر تنفيذ المخطط الإنكليزي الرامي إلى تصفية الوجود الإسلامي في شبه القارة الهندية، وسائر بلاد المشرق بأيدي الهندوس، وكافة بلاد أوربا الشرقية بأيدي الصرب والكروات، وطعن قلب العالم الإسلامي في بيت المقدس بالخنجر الصهيوني الذي صنعه وعد بلفور!!

١- انظر تاريخ الإسلام في الهند ص ٨٠-٩٣..

مسلمو الهند.. الجرح النازف

د. علي عبد الرحمن عواض

ما أشبه «الأمس الهندي» باليوم «البوسني». وما أشبه هذا وذاك «بأمس ويوم ومستقبل» فلسطين المغتصبة وما اشبه الجمع بالأندلس.

وما أشبه البابري بالأقصى والهند بفلسطين.. والمسلم هنا بالمسلم هناك!! ففي البلدين قاد الصحابة الكرام والتابعين طلائع الفتوحات.. وفي البلدين أثمرت حكمة الإسلام دولاً حكمت مئات السنين عاش فيها المسلم كريماً مرفوع الرأس وعاش غير المسلم مصان الحق محفوظ الأمن..

وفي كِلا البلدين دخل المستعمر الأوربي ــ وبالتحديد الإنجليزي ـ وعاث فيهما الفساد. وأُخرج منهما بتضحيات المسلمين وجهاد الصادقين ولكن بعد أن أذلّ أهل الحق وسلّم الزمام لغيرهم ورفع مكانة الظالم الذي لايرعى للمسلم ذمة.. وهذا شأنهم.

إن اليهودي الحاقد في فلسطين يقتل الأطفال والنساء ويسحق الشبان ويبعد الشيوخ عن أرضهم ويدّعي ملكية مقدساتهم.. والهندوس لا يمكن وصفهم بأقل من ذلك هذا إذا لم نضف إلى حقد اليهودي الماكر فجور الهندوسي الكافر الذي لا يرضى بأن تذبح في بلاده بقرة.. بينما نجد أن السكين تهدر دماء الأطفال والشيوخ

دون أن يبالي.

إن جهاد المسلمين في الهند قديم ومشرّف وعمره عمر الإسلام نفسه فقد بدأ ضد طواغيت البراهمة الهندوس الذين كانوا يستعبدون الناس ويتحكمون في مصائرهم ثم الأوربيين الطامعين في خيرات الشرق والذين توالت حملاتهم على بلاد الهند متسترين بغطاء التبادل التجاري، الأمر الذي لم يدم طويلاً حتى كشف عن حقيقة النوايا الاستعمارية والأهداف الاستغلالية، فتصدى لهم المسلمون الذين قاوموا التغلغل الأوربي المتمثل بالشركة الهندية الشرقية الهولندية التي يعتبر نشاطها إرهاصات التراجع الإسلامي في تلك البقاع في القرن السادس عشر بعد أن أقام فيها المسلمون المغول دولتهم لمئات السنين.

وجاء بعدها الاستعمار البريطاني الذي دام سنوات عديدة كان «مسك ختامه» أن قسم الهند وسحب السلطة من المسلمين ليسلمها إلى الهندوس الذين لم يراعوا في المسلمين إلاً ولا ذمة، ومزق المجموعات الإسلامية ضمن ولايات ابتكرت ليكون المسلمون فيها أقليات محرومة من أدنى حقوق الإنسان، كما وألحقت ولايات وممالك إسلامية مستقلة بدول أخرى ذات غالبية هندوسية أو بوذية كحال كشمير المسلمة التي ألحقت بالهند، وأركان التي ألحقت ببورما، ومملكة مورو التي ألحقت بالفلبين، هذا إلى جانب العمل على تدمير ميراث المسلمين الذين ساهموا في صنع أنصع صفحات تاريخ الهند عبر مئات السنين.

المسلمون وحصاد التقسيم

ما أن انطلقت صرخات التكبير والتهليل معلنة قيام أكبر دولة للمسلمين (في وقتها) تضم مسلمي الهند الذين عانوا من ظلم الاستعمار الأوربي في بلادهم، حتى بردت الوجوه وتحولت دمعة الفرح إلى دموع أسى وحزن وتحول الاحتفال بولادة دولة إسلامية إلى وجوم رافقه خوف من مستقبل يتوقع له أن يكون مليئاً بالمصائب والمآسي والظلم.

عرف مسلمو الهند من اللحظات الأولى أن مأساتهم لم تنته بإعلان دولة باكستان ـ بشقيها الشرقي والذي أصبح بنغلادش فيما بعد والغربي والذي حمل

اسم باكستان ولا زال ـ فالهند التي حكمها الإسلام مئات السنين وأقام فيها دولاً هي مادة الصفحات البيضاء، ربما تكون الوحيدة، في تاريخ الهند المكتوب. فقد وجد المسلمون أنفسهم مقسومين إلى كتلتين بشريتين كبيرتين في باكستان الشرقية والغربية تفصل بينهما مئات الكيلومترات مما ساعد على توسيع الشرخ داخل الأمة الهندية الإسلامية. إلى جانب ذلك بقيت الملايين العديدة من المسلمين المشتتين على شكل أقليات أو أكثريات في بعض الولايات ضمن الاتحاد الهندي، وتاريخ هذه الأقليات هي سجل حيٌ ومكرر لما تعانيه الأقليات الإسلامية في مجتمعات الكفر بالمقارنة لما تلاقيه الأقليات غير الإسلامية من ضمانات وحماية ضمن دول الغالبية الإسلامية أو تحت حكم إسلامي.

فمع الإعلان في ١٤ أغسطس ١٩٤٧ عن قيام دولة جديدة للمسلمين على الخارطة السياسية العالمية بدأت الأخبار تتوالى من الهند ناقلة أخبار من تبقّى من المسلمين داخل الهند، إذ شنت الأغلبية الهندوسية على مسلمي البلاد حملة همجية فرسخت بالدماء والأشلاء صورة الحقد والكفر الذي يكنّه عُبّاد البقر لعباد الرحمن بتوجيه ورعاية من «المستعمر» الأوربي الذي عمل جاهداً ولسنوات عديدة على تشويه صورة تاريخ الحكم الإسلامي للهند، وغدت سيرة الإسلام في الهند مليئة «بالظلم والقهر والاستبداد (..) الذي فرض الإسلام فرضاً على السكان الأصليين للبلاد». هذه الأفكار ـ الأوهام التي شحنت بها نفوس الهندوس مرفقة بالجهل والأمية التي كانت ـ ولا زالت ـ تعم البلاد والتي أثمرت مجازر لا يقبلها إنسان ولا يُتصور وقوعها بعد سنوات الإسلام الطوال في بلاد الهند.

قامت المنظمات الهندية وبشكل واسع جداً بحملة تصفيات جسدية للمسلمين المنتشرين في الولايات الهندية يرافق ذلك نهب ممتلكاتهم وحرق بيوتهم إلى جانب قتل الرجال والأطفال والاعتداء على أعراض النساء واستعبادهن.

المجازر التي ارتكبت وصلت بشاعتها إلى حد الاعتراف بها من قبل الهندوس أنفسهم في كتابات بعض عقلائهم الذين وصفوها «بالحيوانية والاضطراب العقلي»، كما أن الغربيين الذين كانوا لا يزالون في البلاد نقلوا صوراً صادقة للأحداث ولعل

اصدقها ما نشرته جريدة التايمز اللندنية في ٢٥ أغسطس ١٩٤٧م:

«آلاف المرات أكثر مما شاهدناه في الحرب» هو تعليق كبار الضباط الإنكليز والهنود حول ما يحدث في شرق البنجاب من مجازر السيخ في طريق الحرب. إنهم (ينظفون) شرق البنجاب من أي أثر للإسلام.. يذبحون المئات يومياً مجبرين مئات الآلاف على الهرب بأرواحهم إلى مناطق أخرى.. حتى أنهم في جنونهم يحرقون أحياناً أتباعاً لهم. هذا العنف المنظم صادر فقط عن هيئات عليا وليست انفعالات وعصبيات الجمهور وينفذ بإشراف قادتهم. بعض المدن الكبرى مثل أمريستار وجولاهدور هادئة بعض الشيء الآن لأنه لم يبق فيها أي مسلم. الجثث في كل مكان، التشويه والتمثيل بالأجسام واضح جداً.. لم يوفروا أحداً: الرجال، النساء.. والأطفال».

كتب الماريشال (Auchinleck) القائد الميداني للقوات البريطانية في الهند في رسالة وجهها إلى رئيس وزراء بريطانيا:

«لا يستطيع المسلم أن يتحرك أو يتجول في أية منطقة أو ولاية من ولايات الهند دون أن يخشى على حياته»[1]. حتى أن اللورد مونباتن (Mountbatten) الشهير بصداقته للهنود وعدائه للمسلمين كتب معترفاً: «مع أن الأحداث كانت معدودة في كراتشي فإن دلهي شهدت إبادة كاملة للمسلمين فيها»[2].

الأمم المتحدة والأمة المنكوبة:

الاضطرابات التي عمت البلاد وذهب ضحيتها بالغالب مسلمو البلاد استلزمت استنفاراً شعبياً لدى مسلمي باكستان شاركه استنفار سياسي لدى حكومة الباكستان التي حركت ديبلوماسيتها متمثلة بالشكاوى إلى الأمم المتحدة والتي أرسلت لجنة تقصي حقائق ورد في تقريرها التالي:

«الآلاف بل مئات الآلاف (بدلاً من استخدام كلمة الملايين) قد لاقوا حتفهم كنتيجة للصراع الداخلي والاعتداءات والتصفيات الجسدية والنهب والتشريد ساهم فيها البوليس والجيش لسبب واحد هو الاختلاف في الدين»[3].

حاولت باكستان جاهدةً أن تحصل من الأمم المتحدة على موافقة لإجراء تقصي

حقيقة ما يجري داخل الهند ولكن معارضة الهند للأمر حالت دون ذلك. وماتت على أبواب الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨ حقوق المسلمين، كما هو الحال مع المسلمين والأمم المتحدة عام ١٩٩٣، فمع أن الظلم وفقدان العدالة هي سمة المعاملة التي يعاملها المسلمون في الهند فإن كشمير أوضح مثال على أن قرارات الأمم المتحدة لا تصبح سارية إلا إذا كانت تتعارض ومصالح المسلمين.

يختصر أول رئيس وزراء للباكستان لياقت علي خان الوضع في البلاد خلال تلك الفترة فيقول:

«القيم الإنسانية التي حُكمت بها الهند لعصور عديدة ماتت مع وصول هؤلاء اللا إنسانيين للتحكم بمصير الناس في الهند. القيم التي بنيت على العدالة والسلام لمئات السنين استبدلت بالحقد والظلم. ملايين من الرجال والنساء والأطفال يقضون حياة من الإهانة والنواح. المستقبل لا يعني لجزء كبير منهم إلا الدماء والخوف. عندما تشرق الشمس لا يعرفون كيف سيكون الحال مع غياب شمس ذلك اليوم وعندما تغرب لا يعرفون إذا كانت ستطلع عليهم وهم أحياء.. وهل سيعيشون يوماً آخر. في هذا الواقع من الرعب والخوف فقد الناس كل شيء.. فقدوا فوق كل شيء التوازن الذاتي والإحساس بالكرامة..»(٤).

هدم البابري وهدم القيم

لا يحتاج الظالم دائماً لمبرر كي يغطي به ظلمه وعدوانه. فمع أن الهندوس لم يستطيعوا أن يقدموا إثباتاً واحداً على أن مسجد البابري هو الموقع الذي ولد فيه «الإله رام» إلا أنهم، وأمام كاميرات العالم ونواح المسلمين، قاموا بهدم معلم من أهم معالم الحضارة الإسلامية في الهند، ضاربين بعرض الحائط كرامة المسلمين غير آبهين للقيم أو القوانين والشرائع الدولية. ولعل رحلة في تاريخ المسجد ـ الضحية ـ توضح أهمية المسجد وصراع المسلمين واستماتتهم في الدفاع عنه لأنها لم تكن معركة لمنع هدم حيطان وحجارة المبنى ولكنها محاولة للإبقاء على الوجود الإسلامي في الهند الذي يُتهدد يوماً بعد يوم:

- ١٥٢٨-١٥٢٩م بني المسجد على أيدي ميرباقي من سلالة البابري. لم يأت ذكر

لمولد «إله» في موقع المسجد في أي من المراجع أو الوثائق حتى العام ١٨٧٥م حيث بدأت فتنة الإنكليز الجديدة في الهند.

- ١٨٧٥م احتلت مجموعة من الهندوس جزءاً من المسجد وأقامت فيه الشعائر الهندوسية، وفي نفس الوقت رفضت محكمة في الهند برئاسة قاضٍ بريطاني حق الهندوس في إقامة معبد مكان المسجد.
- ١٩٣٤م هاجم الهندوس المسجد وهدموا إحدى قبابه ومدخله الرئيسي.
- ١٩٤٩م أدخل الهندوس أصناماً «للإله رام» وأعلنوا استعادة المكان من المسلمين وبدؤوا يشاركونهم في استخدام المسجد.
- ١٩٥٠م حاول المسلمون استعادة ملكيته واستخدامه عن طريق المحكمة.
- ١٩٨٥م هددت المنظمات الهندوسية أنه إذا لم يسمح ببناء المعبد حتى تاريخ ٨ آذار (مارس) ١٩٨٦ فسوف يبنى بالقوة بعد احتلاله.
- ١٩٨٦م قررت المحكمة الهندية بفتح باب دائم للهندوس إلى المسجد للتعبد فيه لأن «إغلاق المسجد في وجه الهندوس يحرمهم من حق حرية العبادة».
- ١٩٨٩م قررت المحكمة إبقاء الوضع الراهن على ما هو عليه.
- ١٩٨٩م نوفمبر بدأ الهندوس حملة لجمع مبلغ ٢٥٠ مليون روبية لوضع حجر أساس للمعبد في أيوديا.
- ١٩٩١م صادرت الحكومة الهندية ٢.٧٧ هكتار من الوقف المحيط بالمسجد (٧ اكتوبر).
- ١٩٩١م (٢٥ اكتوبر) أصدرت المحكمة قراراً بعدم البناء على الأرض المتنازع عليها والمحيطة بالمسجد.
- ١٩٩٢م (١٩ مايو) البدء بحفريات حول المسجد كأساس لبناء حائط المعبد.
- ١٩٩٢م (١٣ يونيو) قرار المحكمة بوقف الحفريات.

أما اللحظات الأخيرة من عمر المسجد فهي كالتالي:

- ١٩٩٢م (٢٣ يوليو) توصل إلى اتفاق مع رجال الدين الهندوس لـ «حل المشكلة سلمياً».
- ١٩٩٢م (٢٣ نوفمبر) وصول ١٥,٠٠٠ جندي لحماية المسجد.
- ١٩٩٢م (٢ ديسمبر) ١٠٠,٠٠٠ من المتطرفين يحشدون جهودهم في أيوديا.

- ١٩٩٢م (٣ ديسمبر) وصول «القطط السوداء» وهم نواة الجيش الهندي لحماية المسجد.
- ١٩٩٢م (٦ ديسمبر) تدمير المسجد تدميراً كاملاً.
- ١٩٩٢م (٦ ديسمبر) الوعد بإعادة بناء المسجد.
- ١٩٩٢م (١٢ ديسمبر) مشروع حكومي يقترح بناء المسجد، ومعبداً في نفس المكان.
- ١٩٩٣م (مارس وأبريل): بناء المعبد الهندوسي وإغلاق ملف المسجد.

بعد هدم المسجد مباشرة قامت الحكومة الهندية بحظر ثلاثة أحزاب هندوسية متطرفة هي **منظمة الخدمة الهندوسية، والمنظمة الهندوسية العالمية، و جيش باجرانغ** على أساس أنها أحزاب متطرفة ساهمت أو سببت هدم المسجد والتحريض على حملة العنف التي عمت البلاد بعد ذلك وليس في هذا الأمر غرابة.. ولكن الغرابة وأبعاد المأساة تتضح عندما أعلنت الهند في اليوم نفسه عن حظر وحل حزبين إسلاميين هما: **الجماعة الإسلامية في الهند و منظمة الخدمة الإسلامية.**

منظمة الخدمة الإسلامية: هي منظمة صغيرة وليس لها التأثير الكبير على مسلمي البلاد وصنَّاع القرار بينهم. ولكن حظر تنظيم الجماعة الإسلامية في الهند من قبل الحكومة الهندية يجعل من المسلمين «كالأيتام على مائدة اللئام في السياسة الهندية». فبهذا القرار سُحب من المسلمين الإطار المنظم لأي تحرك سياسي، ثقافي، اجتماعي أو تربوي. ولهذا القرار، وهدم المسجد، كان رد الفعل الدولي التالي:

- عينت إسرائيل إفرايم دويك سفيراً لها في نيودلهي واستلم زمام السفارة بعد أيام قليلة كما عينت الهند ب.ك. سنغ سفيراً لها في إسرائيل.
- وافقت روسيا على تزويد الهند بقطع غيار طائرات ميغ ٢١ مع البدء بمشروع بقيمة ٤٦٦ مليون دولار لتطوير طائرة ميغ ٢٩ بين الهند وروسيا.

ورحم الله اياماً كان فيها للدول الإسلامية «رد فعل» يرد إلى أهل الحق حقهم وإلى الأمة اعتبارها.

الآن ..وغداً:

لعل أجمل ــ وقد يكون من أصدق ــ ما كتب عن مأساة مسلمي الهند ما كتبه

ظفر الدين خان بعنوان «مكانان للمسلم في الهند: باكستان..أو المقابر»[٥]. ولعل هذا العنوان يختصر حكاية مسلمي الهند وتوقعات المستقبل.

مأساة كشمير بدأت تأخذ مكانها في ضمير الأمة وأصبحت كلمة كشمير تثير الاحساس بخطورة الموقف.

آسام التي شهدت عام ١٩٨٣م «مجزرة الأطفال» التي راح ضحيتها ٣٥٠٠ طفل مسلم خطفوا من بيوتهم وجُزِّروا في ساحة واحدة في صعيد واحد.

هدم البابري لم يكن هدماً للبنيان فقط.. فقد رافقه ولحق به تشريد مئات الآلاف (البعض يقول ٦٠٠ ألف) من المسلّمين من مناطقهم بعد هدم ممتلكاتهم وحرق بيوتهم إلى جانب الضحايا التي وصلت أعدادها إلى ١٨٠٠ قتيل من المسلمين اعترفت الشرطة الهندية بأنها أطلقت النار على بعضهم.

عندما ارتكبت مجازر الهندوس بحق المسلمين في العقد الخامس من هذا القرن كانت معظم بلاد المسلمين تئن تحت نير الاحتلال وسياط الاستعمار.. لذا قد نجد لها مبرراً «لصوتها المخنوق» الذي لم يصل آذان الأمة ناهيك عن آذان العالم. أما اليوم.. والمجزرة مستمرة والعالم الإسلامي ممثل بـ ٥٣ سفارة وقنصلية لدول «حرة ومستقلة» في نيودلهي دون أي اعتراض أو حتى استنكار فهذا ما لا نجد له مبرراً.. إلا إذا كان الشرق والغرب قد اتخذا قراراً نهائياً بشأن مسلمي الهند على أن يكون: «مكانان فقط للمسلم في الهند .. باكستان.. أو القبر».

* * *

الهوامش:

١- G.W.Choudhury, Islam and the contemporary world, Indos Thames Publishers Ltd., 1990, p126.

٢- ibid p 125.

٣- "United Nations Papers" publications, 3rd October 1947.

٤- New York Times, 7 April 1950.

٥- ظفر الدين خان، **مكانان للمسلم في الهند: باكستان أو.. المقابر**، جريدة الحياة ١٢/٣٠/ ١٩٩٢.

تعريف موجز عن أهل الحديث في الهند

محمد عبد الهادي العمري

دخل الإسلام الهند في عهد التابعين عام ٩٣هـ، وكان فيمن دخل من التابعين ربيع بن صبيح السعدي البصري، وحباب بن فضالة، وإسرائيل بن موسى، حتى قيل للأخير نزيل الهند، كما ذكر في ميزان الاعتدال للذهبي، ووصلت تعاليم الإسلام عن طريق هؤلاء إلى الهند خالصة ومنزهة عن شوائب الشرك والبدع مطلقاً، ولكن أصابها ما أصاب المناطق الأخرى التي وصل إليها الإسلام من جراء التقليد والجمود الفكري، فبدأت البدع تزحف رويداً حتى تمت السيطرة لها، وبلغت ذروتها من حيث لا يتصور أحد؛ حتى صار علم الحديث والسنة يعد من الشذوذ والغرائب في الهند، وكان هناك بعض العلماء الذين كانوا يعرفون الحق، ولكن لم تكن عندهم جرأة لإظهار الحق وإرشاد الناس إلى ما يرونه صحيحاً نظراً إلى الأخطار المتوقعة، ولكن لم يخل دور من الأدوار من أهل الحديث، أو أصحاب هذه الفكرة السلفية، وإن كان عددهم قليلاً، ولما ظهر المحدث الدّهلوي الشاه ولي الله عبد الرحيم الذي رأى ما يجري حوله باسم الإسلام، والإسلام بريء منه، فعكف على ترويج علوم القرآن والسنة وغرس حبهما في قلوب الناس، ولقي ما لقي من المشاكل والصعوبات

على أيدي المعاندين والأعداء، ولكنه لم يترك الحق، وكتب في رد التقليد الأعمى والجمود الفكري، وفي فهم الإسلام كتباً كثيرة، فرحمه الله رحمة واسعة.

ومن هنا تغيرت الحالة وبدأت الحركة في ميادين العلم وتفنيد البدع والخرافات، والجهاد ضد غير المسلمين، وأهل الحديث لهم حظ وافر في تأييد هذه الحركة وتقويتها، وقد تبنوها وعملوا لنشرها وبذلوا مساعيهم المشكورة.

من هم أهل الحديث:

اسم لحاملي الفكرة السلفية الذين يريدون الإسلام على نهج السلف الصالح الذي عرضه القرآن الكريم، وَطَبَّقَهُ النبي ﷺ، دون التعصب للشخصيات والعلماء.

تأسيس إدارة الجماعة في الهند:

أسست جمعية أهل الحديث المركزية في الهند في ٦ ذي القعدة ١٣٢٤هـ الموافق ١٩٠٦/١٢/٢٢م على شكل منظمة، وقد ذكرنا آنفاً أنه لم يخل دور من الأدوار في الهند من أهل الحديث، ولكن لم يكن لديهم التنظيم أو الهيئة الإدارية بالشكل المطلوب، فأسست هذه المنظمة اولاً باسم «مؤتمر جمعية أهل الحديث» ثم صار اسمها «جمعية أهل الحديث المركزية» وكان رئيسها الأول العلامة المحدث عبد الله غازيفوري، وسكرتيرها الشيخ محد ثناء الله الامرتسري، ثم فتحت الفروع في طول الهند وعرضها، وكان يوجد في كل مدينة تقريباً فرع للجمعية، وقد تجاوز أعضاؤها مئات الآلاف في الهند بفضل الله تعالى.

بعد تأسيس هذه المنظمة بدأ دورها البارز في نشر التعاليم الإسلامية، وإصلاح ما فسد من العقائد والتصورات، ودفع الفرق الضالة المنحرفة خاصة القاديانية والشيعة ومنكري السنة، والمسيحية وبعض الفرق التي تتفرع من الهنادك، وكان لدى الجمعية بعض الدعاة والمبلغين المتخصصين لتحقيق هذه الأهداف،

واستمرت هذه السلسلة حتى استقلال الهند، وبعد تقسيم الهند تغيرت حالة الجمعية أيضاً، وبدأت التقهقر إلا في السنوات الماضية فقد استيقظ بعض أولي الهمم العالية وحركوها من جديد، فبدأت نشاطها، وشمل ثلاثة أقسام هي:

١- إشاعة علوم السنة عن طريق المدارس الدينية الأهلية.

آ- أما إشاعة علوم القرآن والسنة عن طريق المدارس، والتأليف في التفسير والسيرة والعقائد والسنة، فقد نال هذا القسم عناية بالغة من علماء أهل السنة «أهل الحديث» حيث تَمَّ في تلك الأيام تدوين عدد كبير من الكتب نحو: تفسير القرآن بكلام الرحمن في العربية للشيخ محمد ثناء الله الامرتسري وهذا التفسير صورة حية لتفسير القرآن بالقرآن، والتفسير الثنائي للشيخ المذكور في الأردية، وعون المعبود في شرح سنن أبي داود للشيخ شمس الحق العظيم آبادي المتوفي سنة ١٣٢٩هـ، وتحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي للشيخ عبد الرحمن المباركفوري، وفي السيرة «رحمة العالمين» للشيخ القاضي محمد سليمان المنصور فوزي، ويعتبر هذا الكتاب مرجعاً رئيسياً في سيرة النبي ﷺ ولم يسبق له مثيل في اللغة الأردية، وهناك كتب أخرى كثيرة جداً، وقد ذكرنا هذه على سبيل المثال فقط لا الحصر.

ب- المدراس الإسلامية في الهند: لا شك أن المدارس الإسلامية التي تدرس فيها علوم القرآن والسنة وما يتصل بهما من المواد الدراسية لها دور بارز في نشر الدعوة في أنحاء الهند، وتعتبر هذه المدارس حصوناً شامخة لنشر العلوم الإسلامية، وعدد المدارس التي أُسِّسَتْ على أُسُسٍ من تعاليم القرآن والسنة كثيرة، وخدماتها جليلة في مجال نشر السنة وإزالة البدعة، تبدأ من المدرسة الرحيمية التي أسسها الشيخ عبد الرحيم في عام ١٠٧٠هـ بدلهي، والتي تولاها العلامة المحدث الشاه ولي الدهلوي، صاحب حجة الله البالغة، وقد تخرج في هذه المدرسة أعلام الفكر والدعوة في الهند، بل كانت هذه المدرسة منارة العلم والهدى، ووسيلة الدعوة إلى الكتاب والسنة حينما وأهمل الناس علم السنة في

الهند.

ومدرسة العالم الجليل المحدث نذير حسين المحدث المتوفى ١٣١٠هـ بدلهي، وقد تخرج من هذه المدرسة فحول العلماء وأساطين الدعوة السلفية، فمنهم العلامة شمس الحق صاحب عون المعبود، والعلامة عبد الرحمن المباركفوري صاحب تحفة الأحوذي. والمدرسة الرحمانية التي أسس سنة ١٣٢٩هـ من قبل الشيخين عبد الرحمن وعطاء الرحمن في دلهي، وقد تقلد المتخرجون من هذه المدرسة مناصب رفيعة وصاروا أئمة العلم أينما توجهوا، وليس في المواد الدراسية فقط، وإنما في نشر الدعوة السلفية أيضاً، وأغلقت هذه المدرسة بعد استقلال الهند، وما عرفت الهند مثل هذه المدرسة إلى الآن.

نكتفي بذكر تلك المدارس القديمة وننتقل إلى ذكر بعض المدارس المعروفة، والتي بدأت دورها بعد استقلال الهند.

١- المدرسة الأحمدية السلفية: التي أقيمت في إقليم بهار ولها دور كبير في تعليم المسلمين وخاصة في هذا الأقليم وشمالي الهند.

٢- جامعة دار السلام بعمر آباد: أقيمت في منطقة مدراس، وحاول المؤسسون منذ البداية تدريس العلوم الشرعية، والعلوم المعاصرة الضرورية. وحاولت هذه المدرسة منذ البداية أن لا يتخرج الطالب إلا بعد معرفة اللغة الإنكليزية، بل قرر في المنهج: إن على الطالب أن يحصّل الدرجات المطلوبة في اللغة الإنكليزية مثلما يحصل في مواد التفسير والسنة لنيل شهادة التخرج وكانت المدرسة على طراز المدارس المعاصرة في أسلوب التدريس، وإسكان الطلبة ورعايتهم، ولها دور ملموس في خدمة الإسلام والمسلمين خاصة في جنوب الهند.

٣- الجامعة السلفية: فتحت هذه المدرسة من قبل جمعية أهل الحديث في مدينة «بنارس» البلدة المقدسة لدى الهنادك، وكانت تعرف أولاً بدار العلوم، ثم الجامعة السلفية، والمدرسة حديثة العهد وافرة الإنتاج العلمي والدعوي، وقد

تخرج منها عدد كبير من العلماء وحاملي الدعوة السلفية والمخلصين لها، كما قدمت المدرسة مئات من الكتب والمؤلفات على المستويات المختلفة في اللغات العديدة، وما زالت السلسة مستمرة ولله الحمد.

لقد ذكرنا هذه الأسماء الثلاثة كمثال فقط لا على سبيل الإحاطة، وهناك عشرات من المدارس السلفية على مستويات مختلفة في الهند ونقول بكل صراحة: إن هذه المدارس الدينية هي في الحقيقة الوسيلة المؤثرة العميقة لنشر الدعوة السلفية والعلوم الإسلامية على نهج السلف الصالح، والطلاب لا يتخرجون من هذه المدراس إلا وعندهم فكرة واضحة عن الدين، وأذهانهم مفتوحة لقبول الحق حيثما كان، ولكن مع الأسف الشديد توجد بجانب هذه المدارس بعض المدارس الدينية التي تعمل على تدريب الجيل الجديد وفق التقليد والجمود الفكري، والتعصب المذهبي، والدفاع عن علماء وأئمة المذاهب أكثر من الدفاع عن السنة النبوية ورجالها.

٢- رد أفكار الفرق الضالة من المسلمين وغير المسلمين:

تصدر مجلات وصحف أسبوعية وشهرية عن جمعية أهل الحديث في اللغات المختلفة، وتقدم الصورة الصحيحة للإسلام، وتردُّ ما يشاع عن الإسلام والمسلمين من الأفكار المنكرة من قبل أصحاب الفرق الضالة المختلفة، نحو «جريدة ترجمان» التي يصدرها مركز الجمعية والتوعية في المعهد التعليمي، «والمحدث» من الجامعة السلفية في الأردية، و«صوت الأمة» من الجامعة نفسها في العربية، و«البلاغ» من بومباي و«صوت الحق» من الجامعة المحمدية في «هاليغاون» قرب «بومباي»، وغير ذلك من المجلات والصحف والجرائد، كما كانت تصدر سابقاً مجلات عديدة منها مجلة «أهل حديث» الأردية بإشراف العلامة الامرتسري التي كانت تعتبر سلاحاً قوياً ضد الأفكار الهدامة.

٣- إصلاح وتزكية المسلمين والتصدي للبدع والخرافات

كانت التربية الجهادية مستمرة ولكنها تطورت، وأخذت قوة جديدة من

الحركة التي أنشأها الشيخ محد اسماعيل الدهلوي المتوفى سنة ١٨٣١، وزميله الشيخ السيد أحمد ـ رحمهما الله ـ حيث بدأ الشيخان حركة الإصلاح والتزكية أولاً في صفوف المسلمين لإصلاح ما فسد من العقائد، وألف الشيخ كتابه المعروف «تقوية الإيمان» الذي نال الإعجاب والثناء من العلماء، ثم خرجا للجهاد ضد العدوان والاعتداءات من قبل غير المسلمين خاصة «السيخ»، واستشهد الشيخان في معركة «بالاكوت» مجاهدين في سبيل الحق ومدافعين عن السنة النبوية، ومقاومين ضد الخرافات والبدع التي أحدثتها الطوائف المنحرفة عن الإسلام..

أما الرد على الفرق الضالة فكان لدى جمعية أهل الحديث علماء بارزون، نكتفي بذكر واحد منهم وهو العلامة الشيخ محمد ثناء الله الامرتسري الذي كان بحراً في العلوم الشرعية، والمناظرات والخطب وتأليف الكتب، ولم يكن له مثال في الهند وباكستان، وقام بجهود جبارة لا نظير لها، وكان ينوب عن المسلمين في الرد على الفرق الضالة يتصدى لدعاتها في المناظرات حيث لم يكن غيره قادراً على مواجهة هذه التيارات الهدامة ونظراً لقوته في العلم والاستدلال كُسِرَت شوكة الأعداء وخاصة الفرقة القاديانية التي جاءت عن طريق المدعو غلام أحمد قادياني المتنبئ، فكان له الشيخ الامرتسري بالمرصاد وذلك بتأليف الكتب وإلقاء المحاضرات، ودخول المناقشات مع هذا الكذاب، وكان ذلك المدعي يخاف من الشيخ أشد الخوف بل كان يدعو للنجاة منه.

ولد العلامة الشيخ الامرتسري سنة ١٢٨٧هـ الموافق ١٨٦٨م في أمرتسر بأقليم البنجاب، وتلقى العلوم الشرعية على يد عدد من العلماء وخدم السنة ودافع عن الحديث النبوي، وجاهد في الله حق جهاده حتى توفي في ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧هـ الموافق ١٥/٤/١٩٤٩م، في «سرغودها» رحمه الله رحمة واسعة.

الهند والديموقرطية الضائعة

د. أحمد محمود عجاج

ليس من باب المبالغة القول أن الهند بما تمثله من تعدد طوائفها، وتنوع لغاتها، وتوزع شرائحها الاجتماعية هي بالفعل حالة فريدة من نوعها قل نظيرها في عالم اليوم. فهذا البلد الذي يتجاوز عدد سكانه الثمانمائة مليون نسمة انتهج لنفسه النموذج الديموقرطي الغربي واستمر في تطبيقه في خضم اختلافات عرقية ودينية كان من المفترض أن تؤدي في أسرع وقت إلى تفكيك الهند كبلد متعدد الأديان والأعراق. وقد تغنى بعض الكتاب والنقاد بهذه الديموقرطية ولكنها كانت قشرة رقيقة ضعيفة حافظت على زخمها قليلاً، وكانت تخفي تحتها ومنذ البداية تعصب هندوسي لا يحتمل التعدد ولا يحتمل وجود الإسلام بالذات، ولذلك شهدت الفترة الأخيرة ما لم يكن متوقعاً، وأبرزت ما لم يكن ممكناً تصوره، وذلك عندما انطلقت كتل بشرية يبلغ تعدادها مائتي ألف نسمة تركض باتجاه مسجد في بلدة أيودا الواقعة في شمال الهند وهي تصرخ باسم «الإله رام» رمز الشجاعة والتسامح عند الهندوس لتبدأ لدى وصولها بهدم جدرانه وسط الأناشيد والتهاليل والهرج والمرج. ويقول هؤلاء الهندوس أن المسجد ـ وهو المسجد البابري ـ قد بناه الفاتح المغولي بابُر على أنقاض معبد هندوسي، وهو المكان ذاته الذي ولد فيه الإله رام المعظم بدعوى أن بناء المسجد على أنقاض المعابد تقليد درج عليه المسلمون

الفاتحون آنذاك. وقصة المسجد ليست جديدة على الإطلاق فقد نجحت جماعة من الهندوس المتشددين في التسلل إلى المسجد في عام ١٩٤٩م، ووضعت لاحقاً صنماً للإله رام في داخله، وادعت أن ما قامت به هو استجابة لتدخل مقدس. وتطورت قضية المسجد منذ ذلك الحين بعد أن رفعت دعاوى تطالب بتثبيت ملكيتهم الوحيدة للمسجد، ووصلت المشكلة أوجها في عام ١٩٨٤، وذلك عندما نظمت مجموعة من الهندوس المتشددين مظاهرة تدعو إلى تحرير مكان ولادة الإله رام ولكن اغتيال رئيسة الوزراء أنديرا غاندي آنذاك وما تبعها من عمليات قمع قامت بها الشرطة حالت دون ذلك.

وجد حزب بهاراتيا جانتا الهندوسي الفاشيستي في قضية المسجد فرصة ذهبية لا يمكن تضييعها على الإطلاق في ظل ديمقراطية تسمح له بممارسة التحريض والتزمت وبث الفرقة، وإثارة النعرات في سبيل الحصول على مكاسب انتخابية تضمن له الوصول إلى السلطة؛ وإن كان على حساب الأملاك والأرواح والقيم والمثل. وبالفعل ساعدت السياسة النفعية المحضة واللاأخلاقية الحزب الهندوسي الفاشستي على كسب المزيد من الأصوات، واستمالة شرائح واسعة من المجتمع الهندوسي مما زاد من شهيته وحضه على تصعيد العداء الديني، وبث الروح الهندوسية وإحياء الماضي والدعوة إلى إقامة مجتمع هندي خالص. لذا جاء في دليله الخاص على لسان الفيلسوف «أ.م.غولكار» أن المسلمين في الهند والمسيحيين والشيوعيين يمثلون خطراً أجنبياً على الهند وأن ما هو مطلوب منهم ليس إلا التخلي عن ردائهم الأجنبي المعقد، ودمج أنفسهم في التيار الوطني المشترك، وهو بالطبع القومية الهندوسية. وقد ساعدت الحزب الهندوسي عوامل محلية عديدة منها اعتقادات خاطئة ومنشرة على نطاق واسع في صفوف الهندوس مفادها أن المسلمين يتكاثرون بسرعة فائقة تفوق سرعة تكاثر الهندوس، وأن الأحزاب بمجملها ـ وعلى رأسها حزب المؤتمر ـ تحابي المسلمين في سبيل كسب أصواتهم مما يسمح للأقلية ـ وهم المسلمين ـ أن تضطهد الأغلبية الهندوسية. والأكثر اعتقاداً أن المسلمين ناشطون في مجال الدعوة ويقومون عملياً بتغيير معتقدات الطبقات الهندوسية الدنيا وعلى رأسها طبقة المنبوذين.

ويعتقد حزب بهاراتا أنه في سبيل تنفيذ سياسته أو برنامجه الانتخابي كما هو

متعارف عليه في النظام الديموقرطي لا بد له من الوصول إلى السلطة حتى يتسنى له تغيير الدستور والقوانين التي يمثل وجودها عائقاً أمام تحقيق برنامجه الذي يتضمن فيما يتضمن هدم المسجد البابري، وتشييد معبد هندوسي على أنقاضه بذريعة أن الأرض للهندوس وأن المكان شهد ولادة الإله رام إله التسامح والمحبة. وهكذا استطاع الحزب ضمان أرضيَة إنتخابية تضمن له نجاحاً بارزاً في أية انتخابات قادمة وبالتالي دخول السلطة من بابها السهل بغض النظر عن الأسلوب طالما أن الغاية تبرر الوسيلة.

ليست الغرابة في طبيعة حزب بهاراتا الذي هو أصلاً لا يعدو عن كونه حزباً فاشياً عضويته مقصورة على الهندوس، ويقوده زعماء سبق أن كانوا قادة في حزب جان سانغ المتطرف، والمعادي للإسلام والمسلمين والمنادي بفرض اللغة الهندوسية على جميع سكان الهند ورفض إعطاء تنازلات للأقليات سواء أكانت متعلقة باللغة أو التعليم أو قوانين الأحوال الشخصية بل الغربة هي مسارعة بقية الأحزاب العلمانية للتعامل والتنسيق معه في الحملات الانتخابية بغية إخراج حزب المؤتمر من السلطة. حيث لم يتلكأ حزب جانتا دال عن التحالف مع حزب بهاراتا في عام ١٩٨٩م التي انتهت بفوز الأخير في ٦٣ مقعداً مما جعله أكبر حزب معارض في البرلمان الهندي، وبالتالي صار قادراً على إسقاط أية حكومة لا تستجيب إلى بعض مطالبه.

الحقيقة تقال أن نجاح حزب بهاراتا يعود في معظمه إلى فشل التجربة الديموقرطية في الهند بسبب ممارسات خاطئة انتهجها حزب المؤتمر أكبر أحزاب الهند والذي تزعم هو وحزب الرابطة الإسلامية تحرير الهند من بريطانيا مستفيداً من ثورة المسلمين الكبرى على الإنجليز عام ١٨٥٧م. وسبب فشل هذا الحزب بالذات ناتج عن عجزه عن متابعة المسار الذي خطه له جواهر لآل نهرو والقائم على حفظ التوازنات بين جميع القوى الفاعلة، وتنشيط كوادر الحزب والاستجابة لمطالبها على مستوى الولايات، وضمان تمثيل معتدل لها في السلطة المركزية. فقد تحول حزب المؤتمر بعد وفاة جواهر لآل نهرو وتولي أنديرا غاندي قيادته إلى حزب عائلي محض يتمحور حول شخصية أنديرا غاندي التي أصبحت هي الحزب والحزب هي، بمعنى أن برنامجه الانتخابي أصبح محصوراً ومرتبطاً بشخصها بعدما

كان في الماضي يعتمد على الكوادر المحلية في كل ولاية. وهذا التوجه أدى إلى تراجع شعبية الحزب الذي لم يعد قادراً على إنتاج شخصيات مستقلة تستطيع ممارسة سياسة تتعارض مع قائد الحزب طالما هي في النهاية تصب في مصلحة الحزب والمجموع. لم يتراجع هذا النهج بعد وفاة أنديرا غاندي بل تعزز مع وصول ابنها راجيف غاندي الذي قام بتعيين الوزراء في المقاطعات على أساس الولاء الشخصي والمحسوبية الضيقة والمصلحة الآنية وبالتشاور مع دائرة محدودة من المقربين والمنتفعين دون الرجوع إلى آراء الكوادر الحزبية.

لم يتردد راجيف غاندي في اتباع أية وسيلة، وممارسة سياسات ضارة منها: الاستجابة للروح القومية الهندوسية، وإثارتها في سبيل كسب أصوات انتخابية، وسحب هذه الورقة من الأحزاب الهندوسية المتطرفة. واتضحت تلك السياسة الطائفية ووصلت نتيجتها الحتمية عندما أصدرت إحدى المحاكم المحلية ـ بإيعاز غير مباشر من حزب المؤتمر ـ قراراً ينقض حكماً سابقاً بخصوص مسجد البابري ـ مضى على صدوره ٣٦ عاماً ـ ويسمح بالتالي للهندوس بممارسة الشعائر الدينية أمام تمثال الإله رام الذي وضع داخل المسجد في سنة ١٩٤٩م.

لم تسفر سياسة الاسترضاء عن أية نتيجة إيجابية سوى تعزيز قدرة الأحزاب المتطرفة، وتشجيعها على زيادة مطالبها، وبالتالي رفع حدة التقسيم داخل المجتمع الهندي على أساس الوازع الديني، والإيذان بمرحلة جديدة يقودها التطرف ويحكم مسارها الحقد والكراهية. لذا لم يتردد زعيم حزب بهاراتا بالقول: «أن ما حدث في أيودا كان بداية أساس للوطن الهندي».

إن التجربة التي عاشتها الهند أخيراً تستدعي من القادة الهنود الوقوف قليلاً، والتبصر بحكمة وصبر وروية في أبعاد السياسات التي تنتهجها الأحزاب الهندوسية المتعصبة ووضع خطة جديدة تلائم الواقع الهندي، وتنسجم أكثر مع شعارات الديموقرطية التي ترفعها، وتأكيد الحكومة فعلاً لا قولاً أنها تعني ما تقول حتى تعطي لنفسها المصداقية. وكنا نتمنى أن لا تبدأ سلسلة التراجعات الهندية الرسمية التي بدأت بالوعد من قبل رئيس الوزراء ببناء المسجد ثم تحولت إلى بناء مسجد ومعبد في نفس المكان ولكنها انتهت عملياً ببناء المعبد وإقفال ملف المسجد!

كشـــمير
أليس لهذا الليل من آخر؟؟
(٢)

د. يوسف الصغير

المسلمون والأمم المتحدة:

أصدر مجلس الأمن القرارات الكثيرة التي تدعوا إلى إعطاء شعب كشمير حرية الاختيار[١]، ووافقت باكستان وكذلك أظهرت الهند موافقتها وادعت أنها ستقوم بإجراء استفتاء عند استتباب الأمن، وأن ضمها لكشمير إنما هو ضم

١- ٢١ نيسان سنة ١٩٤٨م:
«تود كل من الهند وباكستان أن يتقرر مصير جامو وكشمير بإجراء استفتاء حر نزيه فيها..».
□ ٢٣ آب ١٩٤٨م:
«من المؤكد أن تقرير ولايتي جامو وكشمير لا يتم إلا وفق رغبة الشعب الكشميري الحر».
□ ٥ كانون الثاني ١٩٤٩م:
«إن كلتا الحكومتين تعترف بوجوب تقرير مصير كشمير بإجراء استفتاء حر محايد بطريق ديمقراطية سلمية».
□ ١٣ كانون الأول ١٩٥٢م:
«وإن مجلس الأمن ليعيد قراره السابق الذي وافقت عليه كل من الهند وباكستان والذي يقضي بإجراء الاستفتاء العام الحر المحايد في كشمير».
□ ١٦ تشرين الثاني ١٩٥٧م:
تسلم الحكومتان - الهند وباكستان - بما اتخذ في ١٣ آب ١٩٤٨م و٥ كانون الثاني ١٩٢٩ من قرارات بشأن إجراء الاستفتاء الحر والمحايد قي ولايتي حامو وكشمير».

مؤقت، ولكن أفعال الهند تناقض أقوالها، فقد استمرت في تدعيم وجودها في الجزء المحتل من كشمير، وتم تعيين الشيخ عبد الله في منصب رئيس الوزراء في الولاية من جديد بدعم من صديقه نهرو، وتم إجراء انتخابات صورية سنة ١٩٥٢م حيث جرى لاقتراع أثنين فقط من بين ٧٥ مقعداً أما الباقين فقد فازوا بالتزكية من حزب الشيخ عبد الله «المؤتمر الوطني لعموم جامو وكشمير» وقام هؤلاء العملاء بإعلان انضمامهم للهند بصورة هزلية، وهنا بدأ الخطاب الهندي يتغير حتى أعلن وزير الداخلية الهندي عام ١٩٦٥م أن ضم كشمير «أمر نهائي وكامل ولا عودة عنه» فقامت الثورة وقام الجيش الهندي باتخاذ ذلك ذريعة للهجوم على باكستان واشتعلت الحرب الثانية بين الهند وباكستان، وتمت هزيمة الجيش الهندي، وتدخلت روسيا بالوساطة وعقد مؤتمر في طشقند تم فيه تحويل انتصار باكستان العسكري إلى هزيمة ديبلوماسية بتثبيت الأوضاع كما كانت عليه قبل الأحداث الأخيرة، وبدأت الهند باتباع سياسة جديدة في كشمير قائمة على تقوية مركزها العسكري في الولاية إضافة إلى محاولة طمس الإسلام، ومن أهم أساليبهم ما يلي:

١- تغيير المنهج التعليمي في المدارس الحكومية وإيقاف تدريس القرآن الكريم والحديث الشريف وإدخال اللغة الهندية كلغة إجبارية.

٢- نشر الإباحية والفساد الخلقي في المعاهد والكليات والجامعات.

٣- محاربة الحجاب والدعوة إلى الاختلاط.

٤- تشجيع الزواج بين المسلمين والهندوس.

٥- منع ذبح البقر.

٦- إباحة الخمر.

٧- تأسيس دور السينما والملاهي الليلية.

٨- منع تعدد الزوجات وتنفيذ برامج تحديد النسل.

٩- تشجيع الهندوس على الاستيطان في كشمير في سبيل تغيير تركية

السكان.

وهكذا مرت السنون ومجلس الأمن يصدر القرارات بينما الهند مستمرة في فرض الأمر الواقع وتعرض المسلمون للبطش والتنكيل بصورة دورية، وإزاء ذلك كانت ردة الفعل ـ إضافة للانتفاضات المستمرة ـ بتكوين جمعيات إسلامية تعليمية تربوية تمثل نشاطها في الآتي:

١- إنشاء المدارس والكليات الإسلامية والتي تخرج منه جيل جديد يحمل عقيدة التوحيد، ومنها الكلية السلفية في وسط العاصمة التي أقامتها جمعية أهل الحديث عام ١٣٩٧هـ.

٢- نشر الدعوة الإسلامية من خلال الندوات والمؤتمرات والاجتماعات وإصدار المجلات.

وكان عام ١٩٨٨م بداية عهد جديد من الجهاد فقد بدأت انتفاضة تحولت في عام ١٩٩٠م إلى حركة جماهيرية برزت فيها الجماعات الإسلامية.

التنظيمات والأحزاب:

ذكرنا سابقاً أن هناك حزبين رئيسيين أولهما: حزب «المؤتمر الإسلامي» والذي كان يؤيد الانضمام إلى باكستان وكان له دور في تكوين كشمير الحرة التي تمثل ثلث مساحة كشمير الأصلية وترتبط بباكستان مع حكم ذاتي وتشكل الآن القاعدة الرئيسية لتدريب وتسليح المجاهدين.

أما الثاني: فهو حزب «المؤتمر الوطني» بقيادة الشيخ عبد الله الملقب بأسد كشمير، وكان شعار الحزب «اخرجوا من كشمير» ويبدو من تصرفات زعيم الحزب أنه يريد أن يكون زعيم كشمير المستقلة، وإذا لم يحصل ذلك فلا مانع عنده من أن يتولى إدارة كشمير بالتعاون مع الهند أما الامر المرفوض لديه فهو الانضمام إلى باكستان ولهذا نجد أنه تارة يظهر العداء لحكم الهندوس ويدخل السجن ولكن عندما يثور المسلمون فإنه يتعاون مع الهندوس ويتولى الحكم باسمهم ولكنهم لا يثقون به ولهذا فإنه يتعرض للسجن والإبعاد عندما تستقر

الأمور ثم يخرج من السجن ليتولى رئاسة الحكومة من جديد في الحالات الطارئة، وقد حصل هذا عدة مرات ومات الرجل في السبعينيات وهو رئيس للوزراء وقد تجاوز السبعين عاماً، ولكنه كان حريصاً على إبعاد كشمير عن باكستان، وقد استغلت الهند أباه كما حاولت استغلال ابنه فاروق ولكن المجاهدين أمروه بمغادرة كشمير وإلا سيكون مصيره الاغتيال فهرب واستقر في أوربا.

تتنازع الساحة الكشميرية الآن ثلاث تيارات هي:

أولاً: تيار علماني صغير يدعو للانضمام إلى الهند.

ثانياً: تيار يدعو للاستقلال التام والانفصال عن الهند وباكستان ومن هذا الاتجاه حركة تحرير جامو وكشمير «JKLF» وهي حركة وطنية تهدف إلى إقامة دولة مستقلة وعلمانية، وكانت في السابق تنفرد في المقاومة العسكرية للوجود الهندي، وبالتالي هي التي حظيت بالدعم من باكستان حتى أواخر الثمانينيات حيث خف تأييد باكستان نظراً لظهور الأحزاب الإسلامية على الساحة، وكما يقول مؤسس الجبهة أمان الله خان: «حين أوجد الباكستانيون بدائل مثل حزب المجاهدين أداروا ظهورهم لنا»، وفي الفترة الأخيرة قام مقاتلو الجبهة بمهاجمة قواعد المجاهدين في المدينة القديمة من سريناغار واستمر القتال عدة أيام ثم ساروا بمظاهرات في الشوارع وهم يصرخون الموت لباكستان، وقد وقفت القوات الهندية موقف المتفرج.

ثالثاً: حزب المجاهدين وهو أكبر القوى العسكرية على الساحة وينضوي مع تجمعات إسلامية أخرى في الاتحاد الإسلامي لمجاهدي كشمير ويدعو الحزب إلى خروج الهنود والانضمام إلى باكستان وقد بدأ نشاط الحزب بقوة منذ عام ١٩٩٠م، ويحظى بدعم الحركة الإسلامية في كشمير الحرة وقد استعد الحزب للعمليات عن طريق إرسال الآلاف من الشباب إلى كشمير الحرة بالإضافة إلى أعداد كبيرة شاركت في الجهاد في أفغانستان حيث إن الجهاد الأفغاني هو أكبر

عوامل انطلاق الجهاد في كشمير حيث إنه إذا كان طرد الروس ممكناً فَلِمَ يكون طرد الهندوس مستحيلاً. ومنذ يناير ١٩٩٠م اشتعلت الانتفاضة في كشمير ونزل مئآت الآلاف من المسلمين إلى شوارع العاصمة مطالبين بالحرية فقابلهم الهنود بالرصاص، وفي الأشهر التالية اعتقل الآلاف وكانت عمليات القتل والاغتصاب وحرق المنازل والمتاجر من قبل قوات الهندوس من الأمور الروتينية، وفر الآلاف من الشباب إلى كشمير الحرة سعياً وراء السلاح والتدريب، وكما يذكر الأستاذ غلام صفي أمير حزب المجاهدين فإن هناك تنسيق تام بين الحركة الإسلامية في ولاية جامو وكشمير الحرة وبين الاتحاد الإسلامي لمجاهدي كشمير حيث أن الاتحاد الإسلامي يقوم بترشيح الشباب المسلم للتدريب العسكري بينما تقوم الحركة الإسلامية بتدريبهم عسكرياً، وتزويدهم بالسلاح، ويذكر أن حوالي خمسين ألفاً من الشباب وصلوا إلى كشمير الحرة خلال السنتين الماضيتين عابرين الحدود سراً عبر الجبال الثلجية وقد استشهد منهم حوالي ٣٠٠ وجرح ٤٠٠، وتم تدريب حوالي ٤٠.٠٠٠ شاب ويوجد هناك مراكز تدريب داخل كشمير.

مراحل الجهاد:

لقد ركز المجاهدون من البداية على محو آثار الاستعمار الهندي فتم إغلاق مراكز الفاحشة والمخدرات ومحلات بيع الخمور والملاهي الليلية، وجميع مراكز الفساد الخلقي، وعادت النساء إلى ارتداء الحجاب، ثم تواصل الجهاد ضد الجيش الهندي وبلغت خسائر الجيش الهندي حوالي احد عشر ألف قتيل، وتمت ملاحقة وتصفية عملاء الهندوس، وسارع الكثير ممن بقى منهم إلى إعلان قطع علاقاتهم مع الاستعمار على صفحات الجرائد، أما تضحيات الشعب المسلم فبلغت حتى الآن ثلاثون ألف شهيد، وأكثر من تسعين ألف معتقل، وحتى نتصور جهود الهندوس في مواجهة المجاهدين فإن تعداد الجيش الهندي المرابط في كشمير يزيد على ٤٠٠ ألف عدا قوات الشرطة والقوات الحدودية، مع ذلك

فإن الحكومة الهندية فشلت في تكوين حكومة في الولاية فهي تجد الحكم المباشر من دلهي ولا يوجد سلطة مدنية في الولاية، وقد نصحت الاستخبارات الهندية الحكومة أن تنقل الأدارات العسكرية والمراكز التقنية من الولاية لأن الحركة قد تعدت مرحلة إمكانية التحكم. فالذي يحكم هو الاتحاد الإسلامي للمجاهدين، ففي مدينة بارامولله شمالي سريناغار يقسم نهر جيلوم المدينة نصفين فعلى الضفة الجنوبية يوجد البازار الجديد (السوق) والمباني الإدراية ومواقع عسكرية، أما المدينة القديمة على الضفغة الشمالية، فيسيطر عليها المجاهدون، ولا يدخلها الجيش إلا في حملات تفتيش دورية، أما ما عدا ذلك فإن قوات الأمن تبقى خارج المنطقة تماماً.

مستقبل الجهاد:

إن ما يجري في كشمير هو حلقة من حلقات الصراع الدامي بين المسلمين والهندوس، وقد حرص الإنجليز على تسليم السلطة للهندوس، ولما تبينت استحالة ذلك تم تقسيم الهند إلى قسمين هما هندوستان (الهند) وباكستان، وخرجت الهند بنصيب الأسد من الجيش والصناعات والموارد، أما باكستان فقد ولدت ضعيفة مشتتة حيث أنها كانت جزئين: الأول باكستان الغربية والثاني باكستان الشرقية، وكان هدف الهند منذ البداية تدمير باكستان فدارت رحى الحرب بينهما عام ١٩٤٧م وعام ١٩٦٥م وعام ١٩٧١م حيث تمكنت من تقسيم باكستان إلى جزئين هما باكستان وبنغلادش وذلك هو أكبر انتصار للهند حيث أنه تم استبعاد بنغلادش من خارطة القوى المؤثرة، وبقيت باكستان الغربية وحدها تواجه التحدي الهندوسي وخلال الصراع نلاحظ الآتي:

١- أنتج الحكم في باكستان سياسة موالية للغرب ومع ذلك فإنه يتعرض لضغوط شديدة لعرقلة تقدم باكستان في المجال العسكري وخاصة النووي.

٢- كانت الهند تدعي عدم الانحياز (الحياد الإيجابي) فاستفادت من تنافس الغرب والشرق على كسب ودها، فأقام الروس صناعات عسكرية متطورة،

وأمدت كندا الهند بالتقنية النووية حتى أتمت بنجاح تفجير قنبلة ذرية في أوائل السبعينات، وهي تحاول الآن تطوير نظام صواريخ بعيدة المدى، ومع ذلك لا نسمع الغرب يتحدث عن البرنامج النووي الهندي.

٣- كان الغرب ينتهز أية فرصة لتقوية الهند، فمثلاً قامت أميركا وبريطانيا بتزويد الهند بكميات كبيرة من السلاح أيام أزمة الحدود مع الصين على الرغم من أن هذه الأسلحة استعملت أساساً ضد باكستان فيما بعد.

٤- العلاقات المتميزة بين الهند وإسرائيل، .وقد تمكن المجاهدون في كشمير من أسر مجموعة من عملاء الموساد الإسرائيليين، كما تم في بيشاور اعتقال ثلاثة من اليهود المغاربة الذين يحملون جوازات فرنسية لقيامهم بنشاط تجسسي.

٥- تجاهل الغرب لمأساة المسلمين في كشمير، أما روسيا فقد استعملت الفيتو في مجلس الأمن لمنع إدانة الهند.

٦- تخوف الغرب والشرق من البعد الإسلامي في الصراع، فبينما كانت أميركا تتبنى عملية تسليح وتدريب المجاهدين في أفغانستان، سارعت أميركا إلى وضع حليفتها باكستان في قائمة الدول التي ترعى الإرهاب نظراً لوجود المجاهدين العرب في أراضيها، وتخوفها من انتقالهم إلى كشمير خاصة، وقد استشهد أحد المجاهدين العرب في أحدى عمليات المجاهدين في عاصمة كشمير.

٧- الحرص على عدم إقامة دولة إسلامية في باكستان، وهذا كان واضحاً في أول يوم فقد حُكِمَ على أبي الأعلى المودودي ـ رحمه الله ـ بالإعدام وسجن مراراً لمطالبته بإقامة الدولة الإسلامية التي بذلت في سبيلها مئات الألوف من الأنفس، وتتابع على الحكم الإسماعيلية والرافضة.ولا يغيب عنا دعم الغرب القوي لبنازير بوتو (الرافضية) والظروف الغامضة التي قتل فيها ضياء الحق.

٨- إبراز الهند كقوة إقليمية رئيسية والسماح لها بالتدخل في محيطها مثل تدخلها في سريلانكا وموريشوس.

ويمكن تصور ثلاثة مواقف محتملة للهند في سبيل حل مشكلة كشمير:

الأول: محاولة تكوين حكومة مرتبطة بدلهي مع تمتعها بالحكم الذاتي وإشراف دلهي على الأمن والدفاع والخارجية، ويقابل هذا بالرفض من قبل المجاهدين.

الثاني: إلقاء تبعة الصراع على باكستان، وبالتالي التحرش بها ومحاولة غزوها، وهذا احتمال وارد ولكن نتائجه غير مضمونة نظراً لاحتمال وجود ترسانة نووية لدى باكستان.

الثالث: السماح باستقلال كشمير بشرط عدم الانضمام إلى باكستان وهو احتمال وارد، ولكن تزايد موجة التطرف الهندوسي في الهند قد ترجح الاحتمالين الأول أو الثاني خاصة بالنظر إلى مطالبة السيخ بالاستقلال.

والذي يبدو أن استقرار الحكم الهندي في كشمير أمر مستبعد، والهند غير قادرة على حرب استنزاف طويلة الأمد، وستحاول بقدر جهدها إثارة القلاقل والنزعات الانفصالية في باكستان حتى يخف تأييد باكستان للمجاهدين، فهل تصمد باكستان في وجه الضغوط، وتعرف أن كشمير هي أكبر ورقة رابحة لها في صراعها مع الهند، وأن الهند معرضة للتشرذم إذا حلت باكستان راية الإسلام حيث أن حوالي مئة مليون مسلم في الهند يمكن أن يقلبوا الموازين رأساً على عقب. أما إذا استمرت سياسة الملاينة فإن الهند ستمضي في خطتها لاستكمال تحطيم باكستان وبالتالي القضاء على آمال المسلمين في كشمير.

* * *

أمين مكتب الإعلام في حركة الجهاد الإسلامي الاريتيري يتحدث إلى البيان

أجرى الدكتور مالك الأحمد مندوب مجلة البيان مقابلة مع الأخ آدم إسماعيل أمين مكتب الإعلام في حركة الجهاد الإسلامي الاريتيري ودارت المقابلة حول الوضع العام على الساحة الاريترية.

● حبذا لو عرفتم قراء مجلة البيان باريتريا وأهميتها وسكانها؟

تقع اريتريا في أقصى الساحل الغربي للبحر الأحمر جنوباً، وتعتبر بوابته الرئيسية، ويحدها السودان غرباً وأثيوبيا جنوباً. ولهذا الموقع أهمية بالغة لأنها تعتبر جزءاً من القرن الأفريقي وبوابة شرق أفريقيا، فضلاً عن قربها من المقدسات الإسلامية ومنابع البترول، وأغلب السكان مسلمون، واللغة العربية أساسية عندهم، وهناك قلة من النصارى والوثنيين. وقد دخلها الإسلام مبكراً من الهجرات الأولى للصحابة، وكانت منطلقاً لنشر الإسلام في أفريقيا.

●كيف وقعت اريتريا فريسة للاستعمار وأصبحت جزءاً من الأمبراطورية الحبشية؟

كانت اريتريا جزءاً من الخلافة الإسلامية حتى نهاية القرن التاسع عشر حيث ضعفت الخلافة فوقعت البلاد بأيدي الاستعمار الإيطالي الذي سعى لنشر النصرانية في البلاد، وبعد الحرب العالمية الثانية وانهزام إيطاليا حل الاستعمار البريطاني محله وفرضت الدول الغربية في عام ١٩٥٠م الفيدرالية؛ حتى ضُمَّت اريتريا المسلمة لأثيوبيا النصرانية، وقام هيلاسيلاسي باضطهاد المسلمين وإلحاق البلاد بأثيوبيا متعاوناً مع نصارى اريتريا الذين كان لهم دور هام في ذلك مما أثمر انتفاضات شعبية اريترية

أعقبها قيام جبهة التحرير الاريترية التي تسعى لاستقلال اريتريا.

● كيف برزت الجبهة الشعبية وسيطرت على مقاليد الأمور في البلاد؟

في بداية السبعينيات طغت الصراعات الحزبية، وانحرفت جبهة التحرير عن مسارها، ودخل العلمانيون فيها مما أثمر عدة تنظيمات أبرزها وأقواها الجبهة الشعبية التي انفردت بالساحة بعد تصفيات ومعارك مع التنظيمات الأخرى، وسيطر النصارى على مقاليد الجبهة الشعبية وعلى رأسها أسياس أفورقي، وسعى لتخريب البلاد وإفسادها وإذلال المسلمين ومحاربة دينهم وتجنيد الفتيات ونشر الرذيلة.

● كيف تأسست حركة الجهاد الإسلام الاريتري؟

بعد أن خَلَتْ الساحة للجبهة الشعبية الصليبية التوجه، والتي أصبحت رديفاً للعدو الأثيوبي في معاناة الشعب الأثيوبي، سعى المسلمون ووحدوا صفوفهم وأعلنوا ميلاد حركة الجهاد عام ١٤٠٩ هـ لحماية المسلمين وأعراضهم ورد الظلم عنهم، ومواجهة الجبهة الشعبية ابتداء ثم العدو الأثيوبي لاحقاً، وبحمد الله فقد حققت الحركة الكثير من الإنجازات خلال الأعوام السابقة سواء في الجوانب الدعوية أو الجهادية ضد الجبهة الشعبية.

● ما هو منهج حركة الجهاد؟

تتبع حركة الجهاد المنهج الإسلامي كما هو في الكتاب والسنة، وعلى فهم السلف الصالح وعقيدتها سلفية بحمد الله، وتؤمن بأهمية التربية الشاملة للمسلم كي يؤدي دوره في الحياة، وتسعى الحركة لإقامة دين الله مستخدمة الوسائل الممكنة ومنها الجهاد في سبيل الله.

● ما هي أوضاع اريتريا الحالية وهل استقلت؟

عندما ضعف «منغستو هيلامريام» وفشل في تنفيذ الدور المطلوب، ضغطت الدول الغربية والعرابان: كارتر وكوهين، وتم الاتفاق على تنازله عن السلطة (١٩٩١م). وتسلمت الجبهة الشعبية السلطة في اريتريا والجبهة المتسلطة في أثيوبيا، وهما جبهتان نصرانيتان متحالفتان ضد المسلمين، وأعلنت الجبهة الشعبية أنها ستقوم باستفتاء شعبي

حول الاستقلال (رغم أن هدف الجبهة المعلن هو الاستقلال).

● ما هو الوضع الاجتماعي والاقتصادي الحالي في البلد بعد سيطرة الجبهة الشعبية؟

الوضع متدهور على كافة الأصعدة، فاقتصادياً هناك فقر شديد بسبب سياسات الجبهة وإقصائها للتجار، كذلك الوضع سيء للغاية اجتماعياً فالفساد الإداري يضرب أطنابه في البلاد، وهياكل الدولة مهترئة مما شجع اللاجئين على عدم العودة إلى بلادهم، بل اضطر بعض الناس للهجرة ثانية بعدما رأوا سوء الأوضاع.

● هناك أخبار عن دور خبيث للجبهة ضد المسلمين داخل البلاد؟

هذا الأمر واضح للعيان، فمحاربة الجبهة للإسلام تتم على كافة الأصعدة في الإعلام، والمدارس، والقوانين، وكذلك نشر الفساد الأخلاقي كالبارات وبيوت الدعارة، وإثارة النعرات القبلية، وتوزيع أراضي المسلمين على النصارى لاستثمارها، وتسهيل تجنيس النصارى من «التغراي» وأثيوبيا لتغيير التركيبة السكانية بحيث تتحول الأكثرية إلى نصارى فضلاً عن إحلال «اللغة التغرانية» محل العربية كلغة رسمية في البلاد.

● ما هو الوضع السياسي العام في اريتريا الآن؟

الحاكم الآن في البلاد هو الجبهة الشعبية بمشاركة بسيطة وغير مؤثرة من التنظيمات العلمانية الأخرى، وعلقت استقلال البلاد باستفتاء شعبي، وربطت البلد أثيوبيا تماماً وأطلقت لها حرية التصرف في ميناء مصوع الحيوي لإمدادها بحاجاتها.

● على الصعيد العربي والإسلامي ما هي علاقات النظام الحاكم الآن بهذه الدول؟

تنكرت الجبهة الشعبية للدول العربية التي ساندتها سنين طويلة وأمدتها بالدعم، بل وأصبحت تعاديها جهاراً وتسبها بالإذاعة وتنفي صلة البلد بالعروبة والإسلام كاشفة وجه الجبهة الشعبية الصليبي.

● هل لكم أن تحدثونا عن العلاقات اليهودية مع نظام الجبهة الشعبية؟

علاقات الجبهة مع اليهود أصبحت معلومة ومكشوفة، وهي تبررها بأن وجود

علاقات طبيعية بين بعض الدول العربية (مصر) مع كيان إسرائيل مبرر كاف لأن تقوم هي بذلك، والحقيقة أن مبعث هذه العلاقة هو الخطر الإسلامي المشترك، واريتريا مدخل البحر الأحمر وبالتالي تحولها إلى منطقة إسلامية صرفة يهدد أمن دويلة إسرائيل، لذلك قامت دويلة إسرائيل باستئجار جزر دهلك في مدخل البحر الأحمر حيث موقعها الاستراتيجي، وبدأت في إقامة مطار عسكري على أعلى هضبة تطل على البحر الأحمر حيث الموقع الحساس والخطير، وزارها أسياس أفورقي بدعوى العلاج للتمويه والتضليل واستقبلت مجموعة كبيرة من المتدربين وأرسلت خبراء لمعاونة الجبهة في قمع (الإرهاب).

● هل للجبهة الحاكمة توجه صليبي بارز في المنطقة؟

نعم وهي تعمل جاهدة لتوطيد النصرانية في المنطقة، وفتحت الباب على مصراعيه للمنظمات التبشيرية التنصيرية التنصيرية (٨٠ منظمة) في الوقت الذي منعت جهود منظمات الإغاثة الإسلامية، وتقوم باستقدام النصارى من المناطق المجاورة وتعطيهم الأراضي والقروض لتوطينهم، كذلك تقوم بإعطاء المناصب الحساسة للنصارى، وتضغط على المسلمين كي تضطرهم لترك البلاد، وتنسق بقوة مع نصارى أثيوبيا حيث العمق الصليبي وتتعاون مع أجهزة الاستخبارات الغربية وتقدم لهم المعلومات وتحصل منهم على المساعدات الاقتصادية للتمكن من السيطرة على البلد بالقوة.

● علاقة الجبهة مع السودان محل تساؤل واستغراب فما تفسيركم لهذه العلاقة؟

العلاقة بين السودان والجبهة الشعبية في الأساس علاقة مصالح مشتركة، فالسودان يعاني من ضغوط «غرنق» والذي استفاد كثيراً من أثيوبيا وكذلك اريتريا كمنطلق لتحركاته العسكرية، فاتفق السوادن مع اريتريا وأثيوبيا بعدم تقديم أياً من الجهات دعم لجهات معارضة، ومن هذا المنطلق ضغط السودان على حركة الجهاد كي تخرج من السودان تنفيذاً لهذا الاتفاق، ولا شك أن الأخوة في السودان أخطؤوا التقدير، فبينما لا يرتدع النصارى عن نقض الاتفاقات يقع الظلم على المسلمين الأرتيرين، ويظهر أن تقدير السودان في أن يحتوي الجبهة وينشر الإسلام في اريتريا سلمياً كان في غير محله، حيث كشرت الجبهة عن أنيابها الصليبية وقاومت كل

الجهود الإسلامية بل حدث أنها طردت سفير السودان لأنه أقام مآدب أفطار للمسلمين.

● ما هو الوضع العسكري لحركة الجهاد؟

الحمد لله الوضع العسكري جيد، ولقد تغيرت الاستراتيجية السابقة المعتمدة على الحرب الشاملة وتحولنا إلى حرب العصابات حيث أثبتت الأيام جدواها خصوصاً لوضعنا، وكان ضغط السودان علينا للخروج ـ وإن كان محل سخط ـ فقد كان له أثر طيب فأصبحنا نعتمد ـ بعد الله ـ على أنفسنا وطاقاتنا واستطعنا الوصول إلى الشعب في الداخل، وسيطرنا على مناطق كثيرة من الريف (٦ محافظات من أصل ٨ محافظات)، بل استطعنا الوصول إلى الساحل الشمالي للبحر الأحمر حيث أهميته كبيرة. وحققنا انتصارات طيبة في الفترة الأخيرة، ومنها انتصارات هامة في رمضان، ومعنويات مقاتلينا بحمد الله عالية بعكس مقاتلي الجبهة الشعبية حيث بدؤوا الفرار من جيشهم، وإذا سمعوا بقرب وصول قوات الحركة يفرون من المنطقة لأنهم يقاتلون من أجل الدنيا ونحن نقاتل من أجل الآخرة. وبدأ الشعب يلتف حول الحركة في الداخل، وازدادت قوافل المجاهدين الذين ينضمون للحركة.

● هل لكم جهود دعوية خلاف جهودكم العسكرية؟

جهودنا في ميدان الدعوة هي الأساس وآثارنا ملموسة في أوساط اللاجئين الأريتريين في السودان حيث نقوم بتعلمهم وتربيتهم وإعدادهم للجهاد، وانطلقنا أخيراً في قوافل لنشر الدعوة في أوساط الشعب في داخل البلاد ووجدنا بحمد الله قبولاً من الناس.

● هل لكم مكاتب تمثيلية في الخارج؟

نعم لنا مكاتب في بعض دول الخليج، وكذلك في بعض الدول الأوربية وأميركا وكندا وأستراليا، وحيث يوجد مهاجرون أريتريون فلنا وجود معهم إعلامياً ودعوياً بفضل الله.

● أخيراً ما هو مستقبل الأوضاع ـ في نظركم ــ في اريتريا؟

المنطقة بأكملها مقبلة على أوضاع صعبة وخطيرة، فالمد الإسلامي في المنطقة من الصومال جنوباً إلى السودان غرباً يقض مضاجع اليهود والنصارى، لذلك سارعت دولهم إلى إيجاد موطئ قدم لهم في الصومال وأثيوبيا واريتريا فضلاً عن المناطق ذات الوجود الغربي الكثيف سابقاً مثل كينيا، وأرسلت مجموعات من الخبراء والباحثين لدراسة الظاهرة الإسلامية في المنطقة، واقتراح أفضل السبل لمقاومتها وتحجيمها. كذلك من وسائلهم إثارة الفتنة والقلاقل كمبرر مستقبلي للتدخل المباشر في شؤون المنطقة، وإثارة ما يسمى حقوق الإنسان عندما تستدعي الأمور ذلك.

أما مستقبل الأوضاع داخل البلاد في ظني والله أعلم أن التعددية السياسية مرفوضة من الجبهة الشعبية نظراً للثقل الإسلامي في البلد، ونظام الجبهة لا يمتلك مقومات البقاء فالتصدع داخل الجبهة بارز والعجز الإداري وغياب الأرضية الشعبية فضلاً عن صحوة الشعب والتفافه حول حركة الجهاد، والعاقبة أخيراً للمتقين إن هم ساروا على المنهج وصبروا عليه، **﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾** [الصافات ١٧١-١٧٣].

● هل من كلمة أخيرة؟

أدعو من خلال مجلتنا البيان إخواننا المسلمين لدعمنا ودعم الجهاد، قال تعالى: **﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير﴾** [الأنفال ٧٢]، وقال ﷺ: «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا» متفق عليه، وأملنا كبير بدعم إخواننا بالدعاء والنصح والمال، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

* * *

مشاهدات في بلاد البخاري (٥)

د. يحيى اليحيى

لقد تضافرت الدول النصرانية على دعم الكنيسة وبرامج التنصير في الاتحاد السوفييتي ـ المنهار ـ، وقامت ببناء الكنائس في مختلف الجمهوريات، كما قامت بترجمة الإنجيل إلى جميع لغات شعوب المنطقة، حتى اللغة التي لا يزيد عدد الناطقين فيها عن مائة ألف، فلقد ترجم الإنجيل إلى لغة شعب (قره جاي) في بلاد القفقاز الذين لا يزيد عددهم عن مائة وستين ألف. وشيدت الكنائس في طاجيكستان وداغستان وغيرهما، وافتتحت المدارس التنصيرية في مدينة «خولو» في «أجاراي» وقدّم للطلاب السكر والدقيق والملابس، وقد التحق بالكنائس عدد من أبناء المسلمين.

أما من الناحية التجارية فقد قدمت وفود كبيرة من الأوربيين والأميركيين واليابانيين لاستثمار المنطقة، والسيطرة على مواردها واستغلال ثرواتها، وقد لاحظنا كثرة الوفود للغرض التجاري، فما أن يفارق الفندق وفد حتى ينزله وفد آخر.

أما اليهود ـ عليهم لعائن الله ـ فقد شرعت إسرائيل في إقامة بعض المشاريع داخل هذه الجمهوريات، وبدأت شركة طيران «العال اليهودية» رحلاتها إلى الجمهوريات، وتقوم الآن بتنفيذ مشروع زراعي* كبير بولاية فرغانة ـ ومن المعلوم أن ولاية فرغانة

* ملاحظة: تحاول إسرائيل الصهيونية إقامة مشاريع رراعية في بلدان العالم الإسلامي، وتنشر نوع من الهرمونات التي تولد العقم، وهدفها قطع نسل المسلمين وقد كشفت وسائل الإعلام المصرية عن أخطار المشاريع الزراعية الصهيونية في مصر وفي قطاع غزة المحتل.

هي من أكثر المدن تمسكاً بالإسلام ـ وأقامت عدداً من المشروعات المشابهة في جمهورية القرغيز. وهذه قائمة ببعض أنشطتهم:

١- أول من وصل إلى المنطقة وفد من إدارة العمل الإسرائيلية، الذي زار أوزبكستان في بداية عام ١٩٩١م، وكان على رأس الوفد المدير العام لخدمات التوظيف، وقد صرح الوفد: أن كثيراً من اليهود الذين هاجروا من أوزبكستان إلى إسرائيل يرغبون في تنمية العلاقات الاقتصادية بين البلدين.

٢- وقعت شركتان إسرائيليتان هما شركة (أناب للتجارة والاستثمار المحدودة، وشركة مركور) على اتفاقية مع اللجنة الإدارية لخوارزم اوبلاست لإقامة مشاريع لإنتاج النسيج.

٣- قام وفد من جمهورية القرغيز بزيارة إسرائيل، وتم الاتفاق على إنشاء جمعية تجارية إسرائيلية قرغيزية في بشكيك لإنشاء عدد من المشاريع في قرغيزيا.

٤- تم الاتفاق على إنجاز عدد من المشاريع الصناعية على يد اليهودي السوفييتي والمؤلف المشهور «شنعيز ايات ماتون»، الذي اتفق مع إسرائيل على إنشاء المصانع التالية في قرغيزيا:

- مصنع للسجائر.
- مصنع إنتاج علب البوليثيلين للمنتجات الغذائية.
- إنشاء مزرعة نموذجية مساحتها ٢٠٠٠ هكتار بمساعدة إسرائيلية من الناحية الفنية.
- إنشاء مصنع لتعبئة الحليب.
- إنشاء شركة لتصنيع آلات الري.

٥- قام وزير الزراعة الإسرائيلي ايتان بزيارة لقرغيزيا وبحث موضوع إقامة مشاريع في مجالات الري وإنتاج القطن، وصوامع الحبوب، والبيوت المحمية، وتربية المواشي.

٦- أقامت جمهورية آذربايجان اتصالات رسمية مع إسرائيل حيث جرى توقيع بيان مشترك مع الوفد الإسرائيلي برئاسة الوزير الصهيوني للعلوم والتكنولوجيا يوفال نيمان ورئيس آذربايجان مطلوبوف حيث وقعا في «باكو» على اتفاقية رحلات جوية بين «باكو» وتل الربيع (تل أبيب) كل يوم أربعاء.

أما الإسماعيلية الآغاخانية: فتحاول الآن بناء مركز لها تزيد تكلفته على مائة مليون دولار في سمرقند، وأن دراسة المركز كلفتها مليون روبل.

أما القاديانية فقد دخلت جمهوريات بحر البلطيق، وقامت بنشر مذهبها بين

المسلمين الذين لا يعرفون شيئاً عن الإسلام، وقد حدثني أحد المسلمين هناك أن القاديانية جاءتهم من بريطانيا، وأن المسلمين لا يوجد بينهم من يحسن الإمامة.

أما الروافض (الشيعة) فلهم تاريخ أسود مع أهل السنة في تلك البلاد، وخاصة أيام الدولة الصفوية التي أسسها الشاه اسماعيل في إيران، فقد أحس العثمانيون بالخطر على القفقاز بسبب اتفاق الشاه طهماسب الرافضي (تـ ٩٨٤هـ/١٥٧٦م) مع إيفان الرهيب* (١٥٣٠-١٥٨٤م) على معاداة العثمانيين في القفقاز.

ابتدأ الروس بمناجزة بلاد القفقاز بعد الانتهاء من بلاد التتار، وتم الاتفاق بين الشاه الصفوي الشيعي طهماسب والقيصر الروسي إيفان الرهيب، وبعد ضعف العثمانيين احتل الروس بلاد داغستان وسواحل بحر الخزر الغربية. وبعد انهيار الشيوعية نزلوا بثقلهم لمساعدة إخوانهم، وبني ملتهم، والسيطرة على أهل السنة والتأثير عليهم، وقد ذكر لي مفتي وقاضي طاجيكستان أن وزير الخارجية الإيراني زارهم وتبرع بتوسعة مسجدهم، وقد اطلعت على هذه التوسعة، وذكر لي أيضاً أنه تبرع بمكافأة للطلاب في معهد الإمام الترمذي، وهناك النشاط الإعلامي الذي تبثه إيرانَ لهذه الجمهورية باللغة الفارسية المشتركة وللعلم فإن كثيراً من أهل السنة لا يعلمون عن الشيعة شيئاً، ولا يتصورون خطرهم، بل وجدت عدداً كبيراً من الشباب يفتخر بهم لجهله إياهم.

أما الصوفية فيوجد عندهم كثير من الطرق الصوفية الغالية، إلا أن التأثير الخرافي والذي يخشى من انتشاره بينهم، هو ما يحمله الزوار ـ من أهل الخرافة ـ القادمون من الحجاز وبعض البلدان العربية والهندية، لأنهم يرون خصوصاً في أهل الحرمين القدوة ويتقبلون ما يأتيهم منهم باعتبار أنهم من أهل العلم والإيمان، وفعلاً قام هؤلاء بالدعوة هناك وبنشر الكتب في العقيدة وغيرها ـ المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة ـ وبناء مساجد تحمل أسماء رموز أهل الخرافة والتصوف.

هذه بعض جهود أعداء الله ورسوله في ديار العلم والعلماء، ولا شك أن مكر الكفار كبير وتخطيطهم دقيق، كما قال تعالى: **﴿وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾** [إبراهيم ٤٦]، وقال تعالى: **﴿ومكروا مكراً كباراً﴾** [نوح ٢٢]، ولكن لنعلم أن مكر الكفار لا قيمة ولا وزن له إذا ما تحرك أهل السنة والجماعة، وبذلوا ما بوسعهم في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، وسيتحول المكر إلى ضعف وزوال إذا واجه أهل الله وخاصته، كما قال تعالى: **﴿فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾** [النساء ٧٦]، وقال تعالى: **﴿لن يضروكم**

إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون﴾ [آل عمران ١١١].

لن تخيفنا النصرانية بدولها ولا اليهودية، ولا الطوائف المضللة، إن قمنا بتبليغ وإرشاد إخواننا هناك، وبذلنا ما نستطيعه من الجهد والمال لنشر الإسلام، وإخواننا هناك هم الآن بأمس الحاجة إلينا، والساحة ـ ولله الحمد ـ تتسع لكل العاملين، فالله الله لا تخذلن جهة من جهات أهل السنة الأخرى، بل لتعمل جميع الجهات من أهل السنة والجماعة، وإن اختلفت وجهات النظر فالساحة واسعة ولله الحمد، ولا يمكن أن تغطيها جهة واحدة أو جماعة واحدة، ولا بد أن نسارع إلى عرض الإسلام في صورته الصحيحة، قبل أولئك المجرمين، قبل أولئك المضللين، قبل أولئك الزنادقة، لنقدم ما نستطيعه لدين الله عز وجل، في بلاد أئمة العلماء وثقاتهم.

حاجات المسلمين هناك:

تعيش المنطقة اليوم مرحلة خطرة، والغرب يخطط لها كي تنتظم في سلك الدول الإسلامية التي أخذت بالمنهج العلماني (اللاديني) فوزير الخارجية الأميركي اجتمع بالمسؤولين هناك وعرض عليهم الإسلام التركي، دلالة على هذا العنوان معلومة ومعروفة لأنهم لا يريدون الإسلام الذي يحضهم على العلم والتقوى والصلاح، ويرجعهم إلى تاريخ آبائهم الأولين في العلم والتعلم والجهاد في سبيل الله، فهم يريدون لهم أن يأخذو اسم الإسلام، أما المحتوى فهو العلمنة، والبعد عن دين الله عز وجل.

عاش المسلمون هناك تحت نير الشيوعية وكأنهم خرجوا من سجون مظلمة، والعدو الآن يخطط ويبذل كل شيء محاولاً طمس معالم الإسلام في قلوب الناس، فلقد ذعر الشرق والغرب من بقاء المسلمين على دينهم على الرغم من هذه الحرب الشرسة على معتقدهم، ومن هذه الإبادة التامة لعلمائهم وشعائرهم لمدة سبعين عاماً، ولذا أقول: لا بد من مد يد العون لهم، ولا بد من المسارعة في ذلك وبذل الوسع والله عز وجل وصفنا أننا من المسارعين والمسابقين إلى فعل الخيرات، كما قال تعالى: **﴿ويسارعون في الخيرات﴾** [آل عمران ١١٤]، وقال سبحانه: **﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض ﴾** [الحديد ٢١].

احتياجات مسلمي الدول المستقلة:

١- المدارس الشرعية: وكما هو معلوم فإن المدارس الدينية في تلك البلاد تشهد إقبالاً من الآباء والشباب، ومع ذلك تشكو من عدم وجود المناهج المدروسة والتي تتناسب مع ظروفهم الحالية، لذا لا بد من المسارعة إلى وضع المناهج السليمة

والصححية التي تجمع المسلمين على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا تفرقهم.

٢- مواجهة الطوفان الكنسي النصراني، الذي أغرق الاسواق والمدارس والمساجد بالأناجيل والكتب والنشرات والأشرطة النصرانية، بجميع اللغات، وتكون المواجهة بسد فراغ الضائعين، والتصدي لغزو الملحدين وذلك بتقديم كافة المنشورات الإسلامية الصحيحة.

٣- العناية بالدعوة إلى الله واستغلال جميع الوسائل الشرعية.

٤- إن الإقبال على التعليم في تلك البلاد منقطع النظير، لذا لا بد من السعي إلى تكثيف المدارس وتحمل مصارف تشغيلها، وإيفاد البعثات للدراسة في الجامعات الموثوقة في الخارج.

٥- العمل على إنشاء عدد من الكليات الشرعية لتأهيل العلماء والدعاة والخطباء والأئمة.

٦- اهتمام الناس هناك بصلاة الجماعة وحبهم للمساجد واضح، إلا أن الأمكانات قد لا تساعد الجميع على بناء المساجد، فلا بد من تكثيف المساجد واختيار المناطق النائية والقرى البعيدة لذلك، مع العناية في نشر المساجد في كل قرية وناحية، وترميم المساجد القائمة، واستغلال الفرصة في ذلك ما دامت تكاليف البناء حتى الآن زهيدة إذا ما قيست بغيرها، مع أن الأسعار تتضاعف مع تقدم الزمن.

٧- العمل على شراء ووقف بعض المنشآت المعروضة للبيع لاستغلال ريعها في الإنفاق على المشاريع الخيرية.

٨- تنظيم برامج ودورات لإعداد وتدريب الدعاة.

٩- تنظيم دورات للأئمة والخطباء.

١٠- تسيير قوافل الدعوة والإغاثة إلى المناطق النائية.

١١- الإشراف على رحلات الحج.

١٢- فتح مكتبات تجارية إسلامية مقروءة ومسموعة.

١٣- فتح مكتبات في المساجد والمدارس مقروءة ومسموعة.

١٤- إقامة مراكز ترجمة إلى اللغات المحلية.

١٥- العمل على شراء دور الطباعة والنشر، لتتولى طباعة الكتب الإسلامية والدوريات والمجلات والنشرات.

١٦- إنشاء مراكز إسلامية متكاملة في العواصم لتقوم بأنشطة متعددة، مثل عقد

المحاضرات والندوات، وإقامة المخيمات، والإشراف على الدورات المركزة للدعاة والخطباء، ومتابعة برامج الإغاثة للمسلمين في المناطق النائية، وتنظيم الزيارات والوفود واستغلال أوقاتهم لتحقيق المنفعة العامة.

١٧- الاستفادة من مواسم الخير مثل رمضان لإرسال الدعاة والعلماء لتعليم الناس واستغلال تجمعهم في مثل هذه المواسم.

١٨- العمل الجاد على نشر اللغة العربية وتقريبها للناس، وذلك بإنشاء مختبرات تعليم اللغة، وبعث المدرسين العرب إليهم، ونشر الآلات الكاتبة العربية في المكاتب الرسمية وغيرها.

١٩- التركيز ــ وخاصة في البلاد النائية ــ على تعليم الناس وما يجب أن يُعلّم من الدين بالضرورة مثل: توحيد الله عز وجل، والوضوء والصلاة وغير ذلك من الأحكام المفروضة.

٢٠- العمل على إيصال بث إذاعة القرآن الكريم إليهم، باللغة العربية ولغاتهم المحلية، حيث يوجد في هذه البلاد ــ أعني بلاد الحرمين ــ ولله الحمد ــ من يجيدون تلك اللغات وهم على علم وفقه واعتقاد سليم، فينبغي المطالبة بذلك، وتذكير المسؤولين به.

٢١- إقامة مصانع للمسلمين في بلادهم، كمصانع القطن والحرير حيث لا توجد عندهم مصانع ذات شأن يذكر، مع العلم أن النصارى يتسابقون إلى ذلك، فينبغي قطع الطريق عليهم.

٢٢- العمل على انتخاب بعض الشباب لدراسة العلوم التقنية الحديثة في الخارج، مع رعايتهم ووضع برامج تربوية لهم.

٢٣- قيام لجنة من ذوي العلم والخبرة بزيارة المنطقة والبقاء فيها مدة كافية، لتقدم للمسلمين دراسة متأنية واضحة عن المنطقة وحاجاتها.

كيف نأخذ أخبارهم بصورة صحيحة؟

لقد زار تلك المنطقة عدد كبير من الناس، على اختلاف طبقاتهم، ومشاربهم، واتجاهاتهم، وأديانهم، وكل يصف مارأى، ويذكر ما يوافق مبدأه، لذا لا بد من الاعتماد على الثقات من أهل العلم والصلاح، والتجربة والرؤية الثاقبة، والدراسة المتأنية لمعرفة أحوال أهل تلك البلاد، وعدم أخذ أخبارهم ممن لا يوثق به، أو من المتحمسين والمستعجلين، حتى تكون الرؤية صحيحة وصائبة بإذن الله.

وأخيراً فهذه لمحة سريعة عن تلك البلاد وأهلها وبسط ذلك يحتاج إلى كتب ومجلدات، وتستحق أكثر من هذا، كيف لا وهي بلاد أمير المؤمنين في الحديث، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه وأرضاه، وأسكنه فسيح جنانه. إن هذه البلاد هي بلاد العلم والعلماء، بلاد الصلحاء والأتقياء، بلاد المجاهدين في سبيل الله تعالى، حتى كان بعض السلف يسميها بلاد التقوى، لكثرة ما فيها من العلماء الربانيين، ولذا لا بد من أن نذكر إخواننا هناك بأن يسيروا على منهج أولئك، من المحدثين الصالحين البررة أمثال البخاري، والترمذي، والنسائي وابن ماجة، والدارمي، وعبد الله ابن المبارك، والإمام أحمد، وسفيان الثوري، وإسحاق بن راهوية، وغيرهم من نجوم هذه البلاد، فأهل هذه البلاد هم أحفادهم وبنوهم، فلا بد أن يسيروا على منهاجهم، وأن يقتفوا خطاهم، ويجب علينا أن ننشر كتبهم عندهم.

وأقول مرة أخرى، ينبغي أن يحرص أهل العلم وأهل الثقة، ممن يعرفون لغات أولئك القوم، أن يقيموا معهم السنين، وإن لم يستطيعوا فالشهور، وأن يكونوا دعاة إلى الله عز وجل وعلى بصيرة فإن الله تعالى سائلهم عن ذلك، وهم لهم حقوق عليهم فقد فرطوا فيها سبعين عاماً، فليقوموا بذلك ويعوضوا ما فات، كيف وهم يعلمون نشاط أعداء الإسلام بينهم، والله تعالى يقول: ﴿**إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون**﴾ [النساء ١٠٤]، أي إن يصبكم الألم في العمل الصالح بينكم وبينهم أنكم (ترجون من الله ما لا يرجون) ترجون من الله الخير والثواب في الدنيا والآخرة وذلك ما لا يرجونه.

فيا إخواني: كيف نراهن على ديننا؟ كيف نراهن على إخواننا؟ أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ، قاموا بكل جهدهم، ونزلوا المنطقة بكل ثقلهم، ولم نر وجوداً يذكر لأهل السنة والجماعة، إلا قليلاً، فلا بد أن نسارع قبل غيرنا لإنقاذ هذه البلاد، قبل أن تدخل في العلمنة فتمسخ فطرهم، وينبغي عرض أحوال أهل هذه البلاد، على أهل الغيرة من أهل العلم، والمحسنين التجار، وعدم التأجيل في ذلك.

* * *

فتاة الأمس!!

أنا يا فتاة الأمس أعشقُ صحوتي ... تـيـاهـةً تُحـيـي مـوات الأمـة
هـي نـظـرة لـلـحـقِّ تـدمـغ بـاطـلاً ... أغشى العيون وحال دون الرؤية
أفنيت عُمراً في العواطف أبتغي ... بحراً من الأحلام يُغرق لوعتي
قدمّت لي كأساً من الحب الغبي ... فسكبتُ كأسكِ في قرارة مهجتي
وبنيتُ من نسج الخيال مدينةً ... فوق السحابِ وما سكنتُ مدينتي
وأتيتُ أروي ظمأتي بسرابها ... فشربتُ من ماء السراب سعادتي
وتداركتني رحمة فهجرتني ... فبكيتُ حزناً يا لفرط حماقتي
ولكم تعالت من فؤادي صرخةٌ ... تشكو جراحي من فراق حبيبتي
ولقد رأيت الدرب في ظُلم الهوى ... كَنُجيمةٍ لمعت بحالك ظلمتي
هـذا هـو الـدرب الـقـويم ولـيـتني ... ألـفـيـتـه قـبـل الـضـيـاع وغـربـتـي
فلتعلمي أنّي نسيتك والهوى ... ونسيت حباً كاد يصرع همتي
ولتعلمي أني ابتعدت عن الغوى ... ولتعلمي أني سموت بنظرتي
وتركتُ شعراً كان يبْعَثُهُ النّوى ... وجعلتُ قولَ الحقِّ متنَ قصيدتي
لا.. ليس شوقي اليوم قيد غرامكم ... شوقي تسامى نحو حور الجنة
أنا إن سكنت الأرض مفترش الثرى ... فهناك قرب النجم تسكن غايتي
أنـا مـسـلـمٌ أأبـى الـهـوان لـديـننا ... أنا إن رضيت الذلَّ أقتل عِزّتي
أنا مسلم أهوى الجهاد وصادقاً ... أدعو إلهي أن تحقّ شهادتي
فسفينتي عَبْرَ الحياة تطوف بي ... وكتاب ربّي مرشدٌ لسفينتي
إني كتمت اليوم ألف قصيدة ... وقصرتها قصراً بجوف قصيدتي

حسن بن محمد الرافعي

رسالة إلى قوم الصمت

يا قوم تحية لكم، جراحاتنا لا تعدُّ، فكلما تذكرنا جرحنا في بورما، فتح الجرح الأخر في سريلانكا، ثم تبعه جرح الهند، ولا أنسى جرح الفلبين، وسأعرج بعد

عودتي من الفلبين على جرح فطاني، ثم أعود لفلسطين الحزينة وأتركها لأنتقل إلى وسط آسيا، ومنها سأمشي إلى سراييفو المثقلة بالمآسي والفظائع، فهل انتهينا؟ لا، فالمسلمون في كل مكان، ما بين تنصير وتغريب، وتقتيل وتشريد واغتصاب وتعذيب، أرواح تزهق، أعراض تنتهك، موارد تنهب عياناً جهاراً، وإزاء هذا كله ما زال الصمت، كصمت الحجارة والصخور الصم.

آه يا قوم الصمت آه جعجعوا، ازبدوا، ارعدوا، انطقوا، لا تبقوا هكذا، فصمت الحجر قاس، والشجرة ترفض الصمت، فإن احتاجت الماء، عبرت عن ذلك باصفرار أوراقها فهب زارعها وأعطاها ما تريد، أما الحجر فالصمت الصمت.

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب إسلام وإيمان

ولكن:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمن لم يحيي دينا

ومن رضى الحياة بغير دين ... فقد جعل الفناء لها قرينا.

عمر محمد أبو عنزة

يا بوسنة البشناق

يا بوسنة البشناق صبراً ... فالمهالك في ذهابْ

لا يبقى إلا مسلم ... باق على دين الحبيبْ

مهلاً فقد كاد الدخان ... يذوب في الأفق الخضيبْ

وينصيح أن القائلين الجائرين بلا قلوبْ

ويح لهم لم يرحموا ... طفلاً ولم يرثوا لِشيْبْ

قتلوا النساء حواملاً ... ومشوا بهنَّ إلى الكروبْ

لا ترتجي عطفاً من الأوغاد أصحاب الصليب

مطلق عماش العتيبي

● **الأخ أبو مالك الرياض**

يقترح في رسالته فتح باب «الهواة للتعارف في العالم الإسلامي»، شرط أن «لا يسمح بنشر الصور» ولا «مشاركة النساء». والهدف هو «معرفة المسلمين في كل ناحية وزيادة التعارف بين المسلمين».

البيان: المتابع للبيان يعرف جيداً أن هذه الأبواب ليست من سياسة المجلة. جزاكم الله خيراً على الاقتراح.

● **الأخ بوهية داروزي**

أرسل لنا بمقالة بعنوان: «لماذا يتعصب الغرب». يرى أن الغرب اليوم «لا يختلف كثيراً عن الغرب الذي تعصب لصليبيته مرسلاً جيوشه لتحتل القدس عام ١٠٩٩م وما تلاها..». ،يخلص إلى القول إلى أن: «تصريحات وزير الخارجية الأميركي بأنهم ـ أي الأميركيين ـ عندما يصرحون بأنهم لم يغيروا رأيهم من الإسلام. وأنه ليس عدوهم بل عدوهم جماعة معينة متطرفة (...) وهذا محض افتراء لأن الواقع يدحض ذلك.»

● **الأخت عبير عبد الله الطنطاوي**

القصة القصيرة «للموت مليون طريقة» التي أرسلت وصلت المجلة . وهي قيد الدرس. جزاكم الله خيراً.

● **الأخوة حسن عزوز وأبو ذر أحمد**

وصلت رسائلكم، جزاكم الله خيراً. للحصول على المجلة لا بد من الاشتراك الذي تجدون تفاصيله على غلاف المجلة.

● **الأخ الفاضل صالح العلي الخليفة**

وصلت قصيدتكم «رثاء البوسنة والهرسك» وهي قصيدة جيدة ولكن نعتذر عن نشرها لكثرة ما يردنا عن الموضوع ذاته وجميعها «رثاء» للبوسنة أو غيرها من مناطق العالم الإسلامي.

● **الأخ الفاضل عبد العزيز بن أحمد باطرفي**

وصلت «دراستكم» والتي تجاوزت العشرين صفحة. جزاكم الله خيراً على ثقتكم بالبيان وعلى المجهود الذي بذل في هذه الدراسة. ولأسباب دلالة فالدراسة طويلة جداً فإننا نعتذر عن نشرها إلا إذا أحببتم تزويدنا بتلخيص لها أو بمقالات ترون نشرها في الموضوع نفسه أو بموضوعات أخرى مع الالتزام بشروط النشر.

● **الأخ الفاضل شريف قاسم**

أرسل لنا قصيدة بعنوان «رواية الحجر» نعتذر عن نشرها كاملة لطولها ولكثرة ما يردنا عن نفس الموضوع ونختار منها الأبيات التالية:

ترجع القدس ولكن بالتقى
لا بأقوامٍ بغوا وانقسموا
ومفاتيح فلسطين على
صدر مغناها ولا تنبهم
بابها ينتظر النصرِ وكم
مرّ من شارعه من أتخموا
يا لأجدادي الذين استعذبوا
نسمة الجنة إذ هم أقدموا
في ظلال السيف أحيوا مجدهم
وبأيدي العز رفّ العلم

نشرت مجلة الرسالة في عددها رقم ١٢٠ الصادر في ٢٣ رجب ١٣٥٤هـ الموافق ٢١ اكتوبر ١٩٣٥ قصيدة لأمير الشعراء الراحل أحمد شوقي وجهها لمراقب الصحف في اسطنبول:

مراقب الصحف بالآستانة

لـنـا رقـيـب كـان مـا أثـقـلـه	الحمـد لـلـه الـذي رحـلـه
لـو ابـتـلـى الـلـه بـه عـاشـقـاً	مـات بـه لا بـالجوى والـولـه
لـو دام لـلـصـحـف ودامـت لـه	لم تـنـج مـنـه الـصـحـف المُنْـزلة
إذا رأى الـبـاطـل غـالـى بـه	وإن بـدا الحق لـه أبـطـلـه
جـرائـد الـتـرك عـلـى عـهـده	كـانـت بـلا شـأن ولا مـنـزلـة
الـشـر بـالـشـر فـيـا قـوم لا	إثـم إذا راقـبـتـمـو مـنـزلـه
فـحـاصـروا الأبـواب واسـتـوقـفـوا	مـن أخـرج الـزاد ومـن أدخـلـه
إن كـان فـي الـسـلـة تـفـاحـةٌ	ضـعـوا لـه مـوضـعـهـا حـنـظـلـة
أو جيء «بالشرشر[1]» له فاملؤوا	مـكـانـهـا مـن عـلـقـم جـردلـةْ
أو اشـتـهـى الأبـيـض مـن مـلـبـس	قـولـوا لـه الأسـود مـا أجـمـلـه
ذلـك يـا قـوم جـزاء امـرئ	كـم غـيَّـر الحق وكـم بـدَّلـه

* * *

أين تعلمت هذه الكتابة؟

تلقى أحد الأدباء رسالة كتبت بخط رديء فكتب لمرسلها ساخراً:

أحد حروفك طبل ممزق، والنقطة داخله بلاطة ثقيلة،

والآخر حوش أنهار سقفه، فلم يبق إلا عمود يسند بقاياه،

قل لي: كيف استطعت أن تحمله هذا الجلمود الثقيل؟

كل سطر منك يشغل صفحة كاملة، الحرف كشجرة ممتدة الأغصان،

وعملت فيها فؤوس الحطابين، عجيب: أين تعلمت هذه الكتابة؟

١- عين معدنية مياهها حلوة صحية.

فرّ زيتون من الجبن

قال خليل بن أيبك الصفدي في (الغيث المسجم في شرح لامية العجم): كتب القاضي محي الدين عبد الله بن الظاهر: لما التقى الملك الظاهر مع (زيتون الفرنجي) قريباً من عكا، هرب زيتون وأسر غالب من كان معه من الفرنج فجاء في مجلة الكتاب: «وفرّ زيتون من الجبن».

* * *

المرأة والكتب

جاء في (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة، حدثني الشيخ شديد الدين المنطقي بمصر، قال: كان الأمير ابن فاتك محباً لتحصيل العلوم، وكانت له خزائن كتب، فكان في أكثر أوقاته إذا نزل من الركوب لا يغادرها، وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة، وكانت له زوجة كبيرة القدر من أرباب الدولة، فلما توفي (رحمه الله) نهضت هي وجواريها إلى خزائن كتبه، وفي جلها من الكتب، وأنه كان يشتغل بها عنها، فجعلت تندبه، وفي أثناء ذلك ترمي الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار هي وجواريها، ثم أبلت الكتب بعد ذلك من الماء، وقد غرق أكثرها، فهذا سبب أن كتب المبشر بن فاتك يوجد كثير منها وهو بهذه الحال.

* * *

حتى متى أرقعك؟

قال أسماء بن خارجة لجاريته: أخضبيني

فقالت: حتى متى أرقعك؟ فقال:

عيرتني خلقاً أبليت جدته ... وهل رأيت جديداً لم يعد خلقاً

* * *

هكذا تذكرهم ذاكرة الشعوب

د. عبد الله عمر سلطان

بدون مبالغة أو تهويل مرّت أحداث الصومال وأهواله لتضرب لي مثلاً آخر على الكيفية التي اتفقت عليها القوى السياسية الإقليمية ومنابرها للتصدي للمتغيرات الخاطفة التي تكاد تصيب المنطقة بالدوار، وقد تجلّت تلك الكيفية حينما دخل إلى أرض الصومال ٣٠.٠٠٠ جندي من أفراد المارينز الأميركيين، وكانت المواقف المتولدة عن هذا التدخل غاية في التطابق لسابقاتها من الأحداث والأهوال، فالعالم العربي والإسلامي قرر منذ الثاني من أغسطس ١٩٩٠ أن يكون بمثابة العضلة الآلية الصماء التي تستثار فتقذف الطاقة اللازمة للانتفاض قبل التفكير في الاتجاه أو عواقب هذا التقلص الآلي..

أحتُلت دولة مستقلة عدة أشهر، وبدا أن خط سير التدخل طويل المدى ومتعرج المسار لا كما تخيل هتافة التدخل، أو المتخوفون من «أمركة» البلد ذي النسبة الكاملة من المسلمين السنة..

أردت أن أكتب شيئاً عن التدخل، لا سيما وأن ظلاله بدأت تطير «شمالاً» منذرة «بمناطق آمنة».. فأدركت أن التصدي للوضع أعقد مما يحتمل مقال

سريع، وأن الماء الذي في فمي يلجمني عن الحديث عن الظاهرة، والراصدين لها والمتأثرين بها، وقررت هذه المرة أن أبسط الحديث عن ظاهرة واحدة صاحبت هذا «الغزو»، وكنت قد أعددت العدة للحديث عنها قبل سنين حينما أثيرت كقضية شائكة على الساحة الأمريكية..، ففي عام ١٩٨٧م سافرت وفود أميركية شعبية إلى فيتنام في محاولة منها لحل مشكلة جيل من اليافعين أطلق عليهم اسم «أميركيي فيتنام».. أولئك كانوا أطفال السفاح وشاهد الجريمة التي ارتكبها الجنود الأمريكيون خلال الحرب في الهند الصينية.. كانت الأغلبية العظمى من أولئك من أبناء الزنى، ولا يتعدى الأبناء الشرعيون بضعة آلاف بين أكثر من ٣٥.٠٠٠ طفل وشاب هو مجموع نتاج الحضارة الأمريكية الزاحفة إلى مجاهل فيتنام..، وانطلقت الصحافة الأميركية ووسائل الإعلام الغربية تعرض جزءاً من المشهد الكالح.. وكيف تحولت قرى بأكملها إلى فراش عهر، وأن القاصرات كُنَّ هدفاً جماعياً لإغراء الدولار الأخضر..، دمرت أسر وهتكت أعراض وظهر جيش من الجراد البشري يُذكِّر صباح مساء بالجريمة ومقترفيها من خلال المعالم والقسمات التي كانت تحكي عن قصة حزينة جاءت بأولئك الذين لا يشبهون الفيتناميين ولا الأميركان، إنهم أولاد «البين بين» كما يسميهم السكان المحليون..

«هكذا دخل الفاتحون من اليانكي» قالها شيخ فيتنامي عجوز، وأشار «لقد أوجدوا مدناً ليس فيها إلا شيطان للشهوة يحكم ويعربد..» ويمضي العرض التوثيقي فيبرز لنا «مدن الرذيلة» الشرق آسيوية، فلقد كانت بانكوك مدينة صغيرة غارقة في أحلام وهموم أبنائها، حتى أتى الدولار الأخضر تحركه آلة بشرية متوحشة، تبحث عن اللذة، وتدمر القيم، وفي سنوات قصيرة انقلبت بانكوك إلى أكبر ماخور آسيوي وأخطر بيت للدبابير الوبائية في العالم.. وبالطبع كانت هناك مدن أخرى كمانيلا وسنغافورة..

ربما تتساءلون ما علاقة الصومال بذلك؟ وأجيب: العلاقة ظاهرة لمن يتذكر

حادث الاعتداء على الفتاة الصومالية التي كانت «تُرفِّه عن الفرقة الفرنسية في مقديشو، والتي أفلتت من الموت بعد تدخل أهل «النخوة» من الجنود الأميركان لإنقاذها.. وخوفي على الصومال زاد حين طرحت المشكلة مرة أخرى على نمط ما يحصل في الفلبين ـ حيث ينسحب الجنود الأمريكان من قواعدهم العسكرية بعد عقود من التواجد الدائم ـ تفجرت مشكلة مشابهة حيث هناك الآلاف من أطفال اللذة المحرمة الذين يرفض آباؤهم الاعتراف بهم ويتركونهم يواجهون خطر الجوع والانحراف حيث أصبحوا مادة رائجة لتجار الانحراف في العاصمة الفلبينية، لقد تعقدت المشكلة وتفاقمت لكن الذي بقي في ذهني من النقاش حولها كلمة قالها «وحش بشري» من المارينز وهو متجهم «يكفيهم شرف وجود الدم الأمريكي بين أطفالهم..»).

هكذا... هكذا.. والآن.. ماذا عن الفاتحين الغازين من جنود أميركا في الصومال؟؟ «إنهم يتجهون إلى هنالك لأداء مهمة لا يعرفون لها هدفاً ولا يتحسمون لنتائجها..» هكذا يقول «أرنست دلسوك» المعلق الأميركي ويضيف: «مأساة الجندي الأميركي أنه ينفذ الأوامر دون أن يحمل قضية بل ربما حمل تناقضات مجتمعة إلى البلد المغزو..».

ماذا وجد هؤلاء في الصومال المسلم..

بعض الشهادات من الجنود والمعلقين الأمريكيين تقول أنهم وجدوا:

«أناساً فقراء لكنهم أعزة»

«الشرف والعرض أغلى ما يملكه الصومالي ولو كان لصاً..»

«مقديشو أكثر أمناً من شوارع واشنطن، في واشنطن هناك أباطرة المخدرات وزعماؤها، وهنا أباطرة الحرب والسلب، والفريق الثاني أقل خطراً من الأول..»

أحداث لوس أنجلوس والصراع العرقي الصاعد في المدن الأميركية أثّر بدوره على التعايش، وفتح أعين العديد من الجنود السود على عالم يخلو من التفرقة، ويعيش رغم مأساته في ألفة، وبعيداً عن العنصرية التي تعشعش داخل المؤسسة العسكرية

الأمير كية، كما تقول مجلة النيوزويك[1].

«نظر أحد الجنود البيض إلى زميله في اللون (والعقلية) وقال: «سأطلق النار على أول أسود ابن (..) أشاهده»..

ما الذي يجمع بين فيتنام والفلبين والصومال وبين جندي المارينز الأميركي «الغازي» غير خيط رفيع يتمثل في عنصرية وبشاعة الرجل الأبيض الذي يثير هذه العنصرية الفجة، خيط واضح كل الوضوح يجعله مسار السخط أينما حل وأينما ارتحل حيث يعامل الأخرين من بني البشر بتعال كريه ويتفضل عليهم حينما يلقي بفضلاته على عرضهم وأرضهم التي يستبيحها..

الصومال فيه عرق إيمان سيظل نابضاً بحول الله. وهو حينما يرفض أن يتحول إلى «لعبة سهام» أو «ساحة قنص بشري» أو «كباريه أميركي» فإن أول تهمة ستوجه له أنه: أصولي متطرف!!

خوفي على الصومال لا تطفئه إلا ثقتي باندحار كل حضارة تقدس القوة وتحترف الرذيلة وتهلك الحرث والنسل، وهذا الاطمئنان يتأكد كلما ذكرت البشرية بنماذج الفاتحين الذين أحالوا الحرب إلى نموذج أخلاقي رفيع وفن في تبيلغ دعوة ورسالة.. هنا فقط تأتي المفارقة ساطعة كشمس الصومال المنيرة حينما تنتمي الضحية إلى حضارة ـ وإن كانت مطمورة ـ بينما لا يحارب اليانكي (في قمة صعود حضارته المأدبة الصماء) إلا بعضلاته وهي التي تسوقه إلى حتفه يوماً ما سنراه قريباً.

١- ١٩٩٣/١/٣ .

«التطـــــرف الدينــــي»: عبـــارة يُراد منها الإساءة إلى عقيدتنا

سليم عبد الرحمن الزغل

«التطرف الديني» المزعوم، هذا الاصطلاح الوافد إلينا من كل الجهات يصبح اليوم الأب الروحي لغيره من الاصطلاحات التي لا زالت تدوي وتجلجل وتقرع الأسماع وتصمُّ الآذان «كالتَّشدد والتعصب والانغلاق والأصولية والإرهاب..»، في أجهزة الإعلام الرسمية وغير الرسمية، ومن الجدير بالذكر أن أصطلاحاً كهذا ينصرف على الفور إلى الإسلام والمسلمين لمجرد سماعه من غير بذل أي جهد في التحليل والتمحيص؟ ذلك لأن الإشاعة التي برمجها أعداء هذا الدين في أروقة الاستخبارات التابعة للاستعمار ـ الكافر في الشرق والغرب ـ مدعومة بالجهود اليهودية والنصرانية ـ جعلت من هذا الاصطلاح تعبيراً بديلاً عن النشاط الإسلامي في أية بقعة من بقاع الدنيا.

يجب أن نستبعد استعمال اصطلاح «التطرف الديني» من إعلامنا وكتاباتنا ونشراتنا لأن هذا الاصطلاح لا يدل على موجود فضلاً عن أنه لا علاقة لنا به، وهو عندما أُطلق للمرة الأولى أطلق على غيرنا، فالله جل ذكره يقول عنا نحن المسلمين: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾** [البقرة ١٤٣]، إننا نقف وسط الخط من غير إفراط ولا تفريط، وعندما يطلق العالم الكافر هذا الاصطلاح علينا فإنه لا يطلقه على فرد في المجتمع وإنما يرمي به

جماعات ومجتمعات وحركات عريضة، وعلماء أجلاء وقادة أفاضل، ورموزاً طاهرة قادت الأمة إلى الجهاد في الليل الحالك لترفع سيف الاستعمار الآثم والصهيونية المجرمة والشيوعية المقبورة عن رقاب الأطفال ولتصون أعراض المسلمات في كل بقاع الدنيا من عدوان الصهاينة والشيوعيين.

لقد أصبحنا في العالم الإسلامي المنكود نردد ما يقوله الغرب والشرق عنا من التطرف والغلو والتشدد، ونستخدم مثل هذه المصطلحات ضد إخواننا وأبنائنا ممن ساروا مع قافلة الصحوة، وتشبثوا بأهداب هذا الدين الحنيف، وما ذلك إلا تنفيذاً لكل ما لقنته لنا الهيئات الاستعمارية حول كون تلك الحركات والجماعات والمنظمات متطرفة متعصبة أصولية إرهابية، فسرنا وراءهم بحماس يفوق حماسهم، سرنا وراءهم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، ولو دخلوا جُحر ضب لدخلناه وراءهم، كما قال رسول هذه الأمة عليه الصلاة والسلام.

قوافل الشباب المسلم والذين ألقي بهم في سجون الطغاة، وقُطِّعوا إرباً إرباً وذاقوا من صنوف العذاب ما لا تتوهمه الأوهام، ودفن المئات منهم وهم أحياء، وأعدم الكثير على أعواد المشانق، وفعلت ببعضهم الفاحشة، وقضى آلاف منهم عشرات الأعوام في الأقبية والزنازين والسراديب المظلمة.. خرجوا بعدها إلى الحياة لكي يجدوا أن الأبناء تشردوا، وأن الأسر قد تبعثرت بعد أن عبثت بها الأيدي الآثمة، وحيل بينهم وبين لقمة العيش الكريمة.. كل تلك الكؤوس المترعة تجرعوها حتى الثمالة لا لذنب اقترفوه وإنما لأنهم قالوا: ﴿**ربنا الله**﴾ وتنفيذاً لرغبات الأسياد في الشرق والغرب حصل ما حصل.

إننا نتساءل وبكل لغات العالم: من هو المتطرف الضحية أم الجلاد؟؟!

ولماذا قامت الدنيا ولم تقعد في فرنسا لأن بعض التلميذات العربيات ارتدين اللباس الإسلامي؟؟ وبدأ الإعلام الآثم يمارس سياسة التحريض ضد الإسلام والمسلمين ويصوروهم على أنهم وحوش هذا العالم، وصار الخطاب عن التطرف الإسلامي والإرهاب الديني، أين هو التطرف؟؟؟ إننا لم نشاهد هذا الزخم الإعلامي ولم نرقب مثل هذه التحذيرات المرعبة، ولا طرقت أسماعنا بالأحاديث المفزعة عن الإرهاب والتطرف والهمجية وسكاكين الصرب لا زالت تخوض في بحور الدماء في البوسنة

والهرسك، إدارات المدارس والوزارات والحكومات والهيئات الشعبية هناك، كلها وقفت تنادي بطرد العرب والمسلمين، واليهود والنصارى دقوا الطبول لأن اللحن أعجبهم، الكل صار يهتف بنغمة متناسقة تنادي بوقف التطرف الديني، من هو المتطرف بالله عليكم التلميذات العربيات أم الحاقدون عليهن من أعداء الإسلام؟؟!

الصليبيون عندما احتلوا مدينة القدس ذبحوا كل أهلها عن بكرة أبيهم حتى خاضت الخيل في بحور الدماء إلى بطونها، وعندما دخلها «صلاح الدين الأيوبي» وحررها من النصارى وأهل الصليب أعطى أهلها الأمان وعاملهم معاملة الرجال الكرماء. إنها وسطية الإسلام وتطرف الآخرين!!

الشعب الجزائري المسلم اختار الإسلام منهاجاً للحياة بالطريقة الديمقراطية التي يتغنى بها الغرب، ولكن العلمانيين صادروا إرادة الشعب بقوة السلاح، وفتحوا السجون ونصبوا المشانق. وإننا نتساءل: من هو المتطرف؟؟!

يُحتقر الإنسان الأسود في أمريكا وتصل المعاملة في بعض الأحيان إلى حد القتل لا لذنب سوى إن لونه أسود، ذلك هو التطرف، وتلك هي الجريمة والإرهاب والهمجية في عالم يدعي الحضارة واحترام الإنسان! أما أولئك: الذين يحاولون جاهدين السير بقانون الله في الناس فليسوا متطرفين، وإنما هم بررة فضلاء أطهار زكاهم ربهم وأنِسَ إليهم الناس رغم الجهود المبذولة لعكس الاصطلاحات وتجريم الأبرياء وتبرئة المجرمين!

إن هتلر ـ لسان حال ألمانيا النازية كان يقول وبصراحة: «الشعوب الشرقية يجب أن لا تعيش، وإذا قدر لها أن تعيش فيجب أن تدرب كما تدرب الكلاب الصغار»!!

إنه التطرف.. وإنها العنصرية والحيوانية.. والهمجية والبهيمية، إنها صفاتهم وأما نحن المسلمون فلا نقول إلا كما قال ربنا: ﴿**يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**﴾ [الحجرات ١٣]، إنه اعتدال المسلمين ووسطية الإسلام.

اليهود في فلسطين، والصرب في البلقان، والبوذيون في بورما، والهندوس في الهند وكشمير، والأرمن في قره باغ، والشيوعيون في جمهوريات آسيا الوسطى خصوصاً في تركمانستان و طاجيكستان، كل هذه الملل وغيرها تمارس القتل والذبح

والاغتصاب والتصفية العرقية، وكل ما هو محرم إنسانياً وحيوانياًيمارسون ذلك ضد المسلمين في طول الأرض وعرضها لا لشيء سوى أنهم مسلمون ـ تحت مظلة الحماية التي توفرها لهم الأمم المتحدة ـ (الأمم المتحدة ضد كل ما يمت إلى لإسلام بصلة) ـ ممثلة بالدول الخمس الدائمة العضوية بمجلس الأمن، والتي تشكل عصابة تروج للإنحراف والجريمة، والتخطيط الآثم للاعتداء على المسلمين وإذلالهم، وهتك أعراضهم والزج بهم في أتون الفضيحة الكبرى، فقط لأنهم مسلمون!!

إذن من هم المتطرفون دينياً؟؟ ولماذا يسكت العالم وسدنة النظام العالمي الجديد؟ إن سكوت العالم يعتبر من أنواع التطرف الديني الخطر بل يعتبر تطرفاً سافراً وعنصرية منحطة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً قط، عندما يطلب من المسلمين الانصياع وبالعصا لمقررات صيغت بأقلام المستعمرين، وذيلت بختم الأمم المتحدة يكافأ اليهود والنصارى والهندوس والشيوعيون على قفزهم فوق مقررات المنظمة الدولية!!

أما العلمانيون من بني جلدتنا فإنهم لا يرون شيئاً في الإسلام يمكن أن يطلق عليه اعتدالاً، فالإسلام والتطرف لديهم مترادفان أبداً، ونقول لهم ولأمثالهم:

كل ما عدا الإسلام هو تطرف وشطط ومروق من الفطرة، وأما أن يعمد بعض أفراد المسلمين إلى المغالاة في تفسير بعض أحكام الدين فذلك ليس تطرفاً بالمعني الصحيح وإنما هو قصور في الفهم، فقصور الفهم لدى المسلم كالعالم إذا كان عاجزاً، كلاهما قد يسيء إلى هذا الدين من حيث يدري أو لا يدري، ورحم الله الشهيد عبد القادر عودة عندما كتب: (ضاع الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه) ﴿**والله يقول الحق وهو يهدي السبيل**﴾ [الأحزاب ٤].

* * *

من أنشطة المنتدى الإسلامي
«اللجان الخارجية»

بعون الله قامت اللجان الخارجية في المنتدى الإسلامي ببرنامج «تفطير صائم» وذلك في رمضان ١٤١٣هـ كجزء من أنشطته الإسلامية المتنوعة، وبلغ إجمالي المبالغ المصروفة على هذا البرنامج ٤٣٨,٠٠٥ ألف دولار أميركي أي ما يعادي ١,٦٤٢,٥١٩ مليون ريال سعودي، وكان إجمالي عدد الوجبات ٨٣٦,٩٩٣ وجبة طوال شهر رمضان، وصاحب هذا البرنامج محاضرات إسلامية ودروس يومية حول الصيام والصلاة والزكاة وكذلك دورس في التفسير والعقيدة والسيرة فضلاً عن توجيهات تربوية عامة ومواعظ كان لها أكبر الأثر في نفوس الناس.

ونرفق جدولاً تفصيلياً لهذا البرنامج، والذي ما كان أن يتم إلا بتوفيق من الله عز وجل، ثم بدعم من المسلمين في كافة البدلان الإسلامية والذين ما فتأوا يتبرعون لأنشطة المنتدى الإسلامي الخيرية جعلها الله في ميزان حسناتهم يوم القيامة.

الدولة	المبلغ الإجمالي	عدد الوجبات	تكلفة الوجبة	أماكن تقديم الوجبات
كينيا (اللاجئون الصوماليين)	$١٦٠,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠	$٠,٥٣	١٥ مسجد، ٥ مدارس، ٥ حلايا تحفيظ قرآن، ١٧ مركز إعاثي.
باكستان أ- المهاجرين الأفغان ب- البنجاب وحولها	 $١٧,٦٥٠ $٥١,٥٠٠	 ٢٩,٤٦٠ ١٦١,٦٤٠	 $٠,٥٩ $٠,٣١	١٢٦ مسجد و مدرستين
السنغال	$٣١,٦٧٥	١٧,٥٠٠	$١,٨١	١٢ مسجد، عدد من مراكز ومدارس تحفيظ القرآن وبعض السجون والجمعيات الإسلامية
بنغلادش أ- البنغلاديشيين ب- اللاجئين البورميين	 $٩,٦٦٠ $٢٨,٧٥٠	 ٢١,٠٠٠ ٦١,٥٠٠	 $٠.٤٦	٤ مساجد، عدد من المراكز والمدارس، أكثر مخيمين للاجئين البورميين.
غانا	$٢٤,٧٠٠	٩٤,٠٠٠	$٠,٢٦	١٩ مسجد، ومركزين إسلاميين و٨ مدارس ومعاهد
جيبوتي	$٦,٦٠٠	٧,٣٣٣	$٠,٩	٣ مساجد
نيجيريا	$١٦,٠٠	٢٠,٠٠٠	$٠,٨	مجموعة من المساجد في مختلف الولايات بلغ عددها ٢٣ ولاية
أثيوبيا	$١٣,٣٥٠	١٦,٦٠٠	$٠,٨	٢٠ مسجد، ١٠ مدارس تحفيظ القرآن الكريم
افغانستان	$١٢,٣٢٠	١٨,٤٨٠	$٠,٦٦	—
أندونيسيا	$١٠,٦٦٠	٢١,٣٢٠	$٠,٥	مجموعة من المساجد في ٢٤ مدينة
الفلبين	$١٠,٦٠٠	١٣,٢٥٠	$٠,٨	٤ مساجد، ١٦ مركزاً إسلامياً، و٦ مدارس
السودان	$١٠,٦٠٠	١٢,٨٠٠	$٠,٨٢	مجموعة من المساجد، ١٨ مركز في الجمعيات والجامعات
ارتيريا	$٨,٠٠٠	٤,٥٠٠	$١,٧٧	مجموعة من المساجد، و٦ مراكز في المعاهد وغيرها
الصومال	$٦,٦٤٠	١٢,٤٥٠	$٠,٥٣	مجموعة من المساجد، ٨ مراكز في مدن مختلفة داخل الصومال
مالي	$٦,٠٠٠	٥,٦٦٠	$١,٠٦	في ٥ مساجد
أوغندا	$٦,٠٠٠	٧,٥٠٠	$٠,٨	مجموعة من المساجد
تشاد	$٣,٧٠٠	٦,٠٠٠	$٠,٦١	مجموعة من المساجد
كشمير	$٣,٦٠٠	٦,٠٠٠	$٠,٦	مجموعة من المساجد

يا رعى الله زمان الشجب

محمد بن حامد الأحمري

في زمن مضى غير بعيد كانت الإذاعات تشجب العدوان الصهيوني، وتهدد وتتوعد بإزالة هذه الشرذمة المحتلة، وكانت الشعوب تسخر من لغة الشجب والشكوى، ثم تتابعت النقائض، وتدهورت المواقف، وتراجع الشاجبون وحرموا الشجب والاستنكار، بل وحرموا تلك الكلمات التي كانوا يقولونها هم حتى لم يعد يتجرأ أحد على التفوه في أية لحظة بتلك الكلمات التي كان يقولها القائلون فخراً ونشوةً. وترحمنا على الزمن الذي كنا نُسميه زمن الشجب والهزيمة. حينما كان يُسمَحُ لنا فيه أن نقول: إنهم أخذوا أرضنا واستباحوا أعراضنا ودماءنا، والقرار اليوم يقضي أن نعترف بأن لا نهاية لمطالب عدونا، وأن المنهزم لا يرده شيء وسيقبل بكل ما يُملى عليه.

هل يمكن أن لا يكون لنا عدو؟! وهل تحيا الشعوب بدون أعداء؟

حتى بمنطق الذين لا يعترفون بنصوص القرآن والسنة الصريحة في عداوة الكافرين وشدة عداء اليهود لنا فإن سنة الله في البشر وجو التدافع والصراع ـ وهي حقيقة ثابتة ثبوت الليل والنهار ـ تكشف أن هذه الدعاية ومعنىهذا التوجه ـ الذي يقول: إن اليهود والنصارى يحبوننا، ويعطفون علينا أكثر من إخواننا ليس معناه أن نوقف المواجهة على جبهتهم، ولا أن يتجه السلاح إلى الداخل إلى القمع والاضطرابات، واختلاق المشكلات والقلاقل ـ وليس معناه أن تتحول حروب الموساد والـ سي.آي.أي إلى قلاعنا، ولا أن يجند عدونا منا عدواً للآخر، ويتضح ذلك جيداً لمن تابع قضية المشكلة الأخلاقية في مصر مع لوسي وما تلاه أحد نواب البرلمان من أن الموساد وقوى أخرى كانت وراء فتح جبهات داخلية وإثارة الشعب للانتقام، وهذه نعمة يرفل في ظلالها الإسرائيليون ومَنْ هم خلفَهم إذ ليس أحب إليهم من استمرار الرُّعب والقلاقل في بلادنا.

حقاً إنها مسكينة هذه الشعوب التي يحدِّد أعداءَها وأصدقاءَها أناسٌ بالاتفاق مع امرأة ذات علاقات مشبوهة. وكم من لوسي في بلدان أخرى! وكم من كوهين وكوبلاند من الذين يصنعون القلق والانهيار والخوف واضطراب الأمن!!!

أما آن للغافلين أن يعرفوا عدوهم من صديقهم؟ أما آن لهم أن يتركوا فرصة للشعوب كي تئن من الألم؟ أما آن لهؤلاء أن يأذنوا لشعوبهم أن تعي وأن تقرأ وأن تفهم حتى تكون مواقف الجميع سليمة؟ وأن تشارك الأمة في تحديد عدوها من صديقها ولا تتراجع كل يوم إلى الخلف حتى تصبح في حال لا تملك فيه مخالفة أي قرار صهيوني في داخل بلدانها!! أبعد الله ذلك اليوم.

البيان

العدد الرابع والستون
ذو الحجة ١٤١٣ هـ
يونيو ١٩٩٣ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لندن

رئيس التحرير

محمد العبدة

العنوان

AL BAYAN MAGAZINE

**7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR U.K.**

**Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 371 5307**

كلمة صغيرة

تتعرض شعوب العالم الإسلامي لأحداث كبيرة جداً، وعلى كل المستويات من (التطهير الديني) في البوسنة والهند إلى الحملة على (الأصولية) والتي هي حملة على الإسلام. وقد أعددنا في العدد الماضي ملفاً عن مسلمي الهند وانتقلنا في هذا العدد للحديث عن الأدب واللغة العربية حيث المعركة دائرة بين من يريد التدمير باسم الأدب وبين من يراعون حق الكلمة أن لا تكون مصدراً للتخريب.

بعض قراء (البيان) لا يلتفتون إلى هذا الجزء من الصراع الذي يريده الأعداء ونرجو أن يكون (الملف الأدبي) بداية اهتمام وتقدير.

المحرر

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المسلمون والعالم ـــــــــــــــــــ ٧٧

التوحيد والتوحُّد

لماذا يتحلّق أهل الباطل حول باطلهم ويتعصبون له، ويؤلفون في سبيله الأحزاب، ويقيمون له الدعايات ويجمعون الأموال لتنفق من أجله؟

ولماذا يتبع كثير من الناس رؤوس البدع والانحراف، ويستميتون في الذب عنهم، وتجميع الأنصار حولهم؟

إننا نجد هذا لدى كثير من الفرق التي انحرفت، أو خرجت عن سنن الإسلام، ونظرة فاحصة إلى أعياد المبتدعة التي يجتمعون عليها، أو مؤسساتهم المنظمة الكبرى، أو محاولاتهم المتكررة للتغلغل بين صفوف أهل السنة، هي خير دليل على أحوالهم، وصحة ما يقال عن اجتماعاتهم على الباطل.

لماذا لا نجد مثل هذا التجمع ومثل هذا التكتل والالتفاف حول العلماء والدعاة من أهل السنة والجماعة؟ ولماذا لا نجد هذا الحرص البالغ على نشر الإسلام الحق، والتبشير به؟

سؤال طالما حير أولي الألباب، وفكر فيه المخلصون، وتعجبوا وتساءلوا قائلين: أيُقامُ للبدع سوقٌ وترفع لها رايات، وأهل السنة عن هذا غافلون؟

الغريب الغريب هو أن أهل السنة ليس لهم قضية، ولا قيادة، والأغرب من ذلك أن خاصة أهل السنة الذين ينادون بمنهج الاتباع، ويحاربون الابتداع، متفرقون لا تجمعهم وحدة، ولا يعصمهم عن التشرذم تفكير في مصلحة الإسلام ومآل أمر المسلمين.

إن معالجة هذه الأزمة المستعصية بحاجة إلى بيان وبسط لا تحتمله هذه الصفحات، ولكننا نحاول الإلمام بطرف فنقول:

إن أهل البدع والخرافات يجتمعون على بدعهم ورؤسائهم لانعدام تحملهم وتفكيرهم، وهم الذين تأتي بهم الكلمة والإشارة، ويغويهم دجال من الدجاجلة، ويغريهم بالترخص واتباع الأهواء والشهوات، والإنسان العاميّ يميل بطبعه إلى المحسوسات والأمور المادية؛ فعندما تقام له النُّصُبُ، وتعقدُ معه الاجتماعات الباهرة، وعندما تُدغدغ عواطفه بمآسٍ تاريخية؛ لا يلبث أن ينقاد إليها لأنه ليس صاحب علم ينفع أو عقل يردع.

وأما أهل السنة فهم أهل الإسلام، وقد جاء الإسلام بالتوحيد الخالص، وأعظم أغراضه محو الشرك، وعبادة الله وحده، وليس عبادةالأشخاص أو الأشياء، فلقد جاء الإسلام لإنقاذ الناس من اتباع الشعوذة والخرافة، ودعا إلى التربية الاستقلالية لشخصية الإنسان، وأرشد إلى طريق الصواب أولئك الذين يتبعون أهواءهم، أو يقتفون آثار الآباء عن جهل وتقليد أعمى، أو يلقون القول بلا علم أو برهان. وكانت الآيات القرآنية تعلِّم المسلم النهج الصحيح، وتُوقِفهُ على اضطراب عقائد المشركين وتناقضهم. وهذا المنهج يرفع المسلمين إلى مستوى العلم النافع الصحيح، الذي يؤدي بدوره إلى اجتماعهم ووحدتهم، قال الله تعالى داعياً المسلمين إلى التفكير في أمر العبادات التي لا تعود على المعبود بنفع أو ضر: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**﴾ [الذاريات ٥٧]، وقال عن المشركين: ﴿**والذين**

يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون أموات غير أحياء﴾ [النحل ٢١]، **﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى﴾** [يونس ٣٥]، **﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم، فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين...﴾** [الأعراف ١٩٤].

كل هذا يدل على أن أهل السنة لا يجتمعون إلا إذا كانوا على مستوى الإسلام، من الفطرة السليمة والتحقق بالتوحيد الخالص، و العقل الراجح، والأفق الواسع ومعرفة سنن الله في الخلق كما يروى عن الشعبي رحمه الله:

« إنما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان: العقل والنسك، فإن كان عاقلاً ولم يكن ناسكاً قال: هذا أمر لا يناله إلا النساك وإن كان ناسكاً ولم يكن عاقلاً قال: هذا أمر لا يناله إلا العقلاء فلن أطلبه»[1].

إن أصحاب التربية الاستقلالية هم الذين لا تضيق صدورهم بالرأي الاجتهادي ولا يتعصبون لشخص أو لجماعة، وينظرون دائماً إلى المستقبل والمآل، ويضعون المصلحة العامة فوق مصالحهم وفوق أنانياتهم. والفرد الذي يربى على الفهم الصحيح للنصوص لا يكون من دعاة التفرق لأنه سوف يفكر في مصلحة الإسلام، أما الذي رُبِّيَ تربيةً ضيقة فهو لا يرى الدنيا إلا من خلال شيخه أو جماعته أو حزبه.

إن أصحاب السياسات الدنيوية يؤلفون أحزاباً ويجمعون لها الجموع وربما ينجحون، وإن أصحاب البدع وأتباع الخرافات يؤلفون تجمعات؛ وقد ينجحون، وما ذلك إلا لأنهم اجتمعوا على شيء محدد في أذهانهم، وأما أهل السنة فإذا لم يكونوا على مستوى الإسلام فقد تفوتهم أسباب الوحدة والقوة.

رئيس التحرير

١- سير أعلام النبلاء ٤/٣٠٧ .

مقدمة في التفسير الموضوعي

محمد بن عبد العزيز الخضيري

إن أجلَّ علم صرفت فيه الهمم، علم الكتاب المنزل، إذ هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فيه الهدى والشفاء، والرحمة والبيان، والموعظة الحسنة والتبيان، فلو أنفقت فيه الأعمار ما أدركت كل غوره، ولو بذلت الجهود كلها ما أنضبت من معينه شيئاً يذكر، ومن هنا اجتمعت كلمة علماء الأمة على العناية بتفسيره، وبيانه ودراسته، واستدرار كنوزه، والنهل من معينه العذب النمير، ولأجل انكبابهم على دراسته، تنوعت طرائقهم في عرض علومه، واختلفت مشاريعهم في إيضاح مكنوناته، وكان القدح المعلى لعلم التفسير من ذلك كله، ولهم في تناول هذا العلم والكتابة فيه أربعة أساليب:

أولاً: التفسير التحليلي: يتولى فيه المفسرون بيان معنى الألفاظ في الآية، وبلاغة التركيب والنظم، وأسباب النزول، واختلاف المفسرين في الآية، ويذكر حكم الآية وأحكامها، وقد يزيد بتفصيل أقوال العلماء في مسألة فقهية أو نحوية أو بلاغية، ويهتم بذكر الروابط بين الآيات والمناسبات بين السور ونحو ذلك.

وهذا اللون من التفسير هو أسبق أنواع التفسير وعليه تعتمد بقيتها، ويتفاوت

فيه المفسرون إطناباً وإيجازاً، ويتباينون فيه من حيث المنهج، فمنهم من يهتم بالفقهيات، ومنهم من يهتم بالبلاغيات، ومنهم من يطنب في القصص وأخبار التاريخ، ومنهم من يستطرد في سرد أقوال السلف، ومنهم من يعتني بالآيات الكونية أو الصور الفنية أو المقاطع الوعظية أو بيان الأدلة العقدية. وبذلك يكون هذا اللون من التفسير هو الغالب على تواليف العلماء وأكثر كتب التفسير على هذا النمط.

ثانياً: التفسير الإجمالي: وهو بيان الآيات القرآنية بالتعرض لمعانيها إجمالاً مع بيان غريب الألفاظ والربط بين المعاني في الآيات متوخياً في عرضها وضعها في إطار من العبارات التي يصوغها من لفظه ليسهل فهمها وتتضح مقاصدها، وقد يضيف ما تدعو الضرورة إليه من سبب نزول أو قصة أو حديث ونحو ذلك.

وهذا اللون أشبه ما يكون بالترجمة المعنوية للقرآن الكريم، وهو الذي يستخدمه من يتحدث بالإذاعة والتلفاز لصلاحيته لعامة الناس ومن أمثلته (تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي).

ثالثاً: التفسير المقارن: وهو بيان الآيات القرآنية باستعراض ما كتبه المفسرون في الآية أو مجموعة الآيات المترابطة، والموازنة بين آرائهم، وعرض استدلالاتهم، والكرّ على القول لمرجوحٍ بالنقض وبيان وجهه، وتوجيه أدلته، وبيان الراجح وحشد الأدلة وغير ذلك.

رابعاً: التفسير الموضوعي: وهذا اللون من التفسير هو مجال بحثنا، ومدار حديثنا، ولأجله كتبت هذه الخلاصة:

أولاً: تعريفه

يتألف مصطلح (التفسير الموضوعي) من جزأين رُكِّبا تركيباً وصفياً فنعرف الجزأين ابتداءً ثم نعرف المصطلح المركب منهما.

فالتفسير لغة: من الفسر وهو كشف البيان، قال الراغب: «هو إظهار المعنى

المعقول».

واصطلاحاً: الكشف عن معاني القرآن الكريم.

والموضوع لغةً: من الوضع؛ وهو جعل الشيء في مكان ما، سواءً أكان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان، تقول العرب: ناقة واضعة: إذا رعت الحمض حول الماء ولم تبرح، وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي؛ لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي أراده.

أما تعريف (التفسير الموضوعي) علماً على فن معين، فقد عُرِّف عدَّة تعريفات نختار منها ما نظنه أجمعها وأخصرها وهو: علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر..

ثانياً: نشأة التفسير الموضوعي

لم يظهر هذا المصطلح عَلَماً على علْم معين إلا في القرن الرابع عشر الهجري، عندما قُرِّرَتْ هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، إلا أن لبنات هذا اللون من التفسير كانت موجودة منذ عهد النبوة وما بعده، ويمكن إجمال مظاهر وجود هذا التفسير في الأمور التالية:

١- **تفسير القرآن بالقرآن:** لا ريب أن تفسير القرآن بالقرآن هو لب التفسير الموضوعي وأعلى ثمراته. وجميع الآيات التي تناولت قضية واحدة والجمع بين دلالاتها والتنسيق بينها كان أبرز ألوان التفسير التي كان النبي ﷺ يربي أصحابه عليها، فقد روى البخاري أن رسول الله ﷺ فسر مفاتح الغيب في قوله تعالى: ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو**﴾ [الأنعام ٥٩]، فقال: مفاتح الغيب خمسة: ﴿**إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير**﴾ [لقمان ٣٤].

ومن هذا القبيل ما كان يلجأ إليه الصحابة رضوان الله عليهم من الجمع بين

الآيات القرآنية التي يُظَنُّ بينها تعارضٌ. وقد وضع العلماء بعده قاعدة في أصول التفسير تقتضي بأن أول ما يرجع إليه المفسر القرآن الكريم، إذْ ما أُجمِل في مكان قد فصل في آخر، وما أطلق في آية إلا قد قيد في أخرى، وما ورد عاماً في سورة، جاء ما يخصصه في سورة أخرى، وهذا اللون من التفسير هو أعلى مراتب التفسير وأصدقها إذ لا أحد أعلم بكلام الله من الله.

٢- **آيات الأحكام:** قام الفقهاء بجمع آيات كل باب من أبواب الفقه على حدة، وأخذوا في دراستها واستنباط الأحكام منها، والجمع بين ما يظهر التعارض، وذكروا ما نصَّ عليه، وما استنبط من القرآن بطريق الإشارة والدلالة الخفية، ونحو ذلك، وكله داخل تحت مسمى التفسير الموضوعي.

٣- **الأشباه والنظائر:** وهو اتجاه نَحَاهُ بعضُ العلماء في تتبع اللفظة القرآنية، ومحاولة معرفة دلالاتها المختلفة، مثال ذلك: كلمة (خير) وردت في القرآن على ثمانية أوجه حسبما ذكره الدامغاني في كتابه (إصلاح الوجوه والنظائر)، وهي: المال: كقوله ﴿**إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً**﴾ [البقرة ١٨٠]، والإيمان كقوله: ﴿**ولو عَلِمَ الله فيهم خيراً لأسمعهم**﴾ [الأنفال ٢٣]، والإسلام كقوله: ﴿**منّاع للخير**﴾ [القلم ١٢]، وبمعنى أفضل كقوله: ﴿**وأنت خير الراحمين**﴾ [المؤمنون ١٠٩]، والعافية كقوله: ﴿**وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير**﴾ [الأنعام ١٧]، والأجر كقوله: ﴿**لكم فيها خير**﴾ [الحج ٣٦]، والطعام كقوله: ﴿**قال: ربي إني لما أنزلت إلي من خير فقير**﴾ [القصص ٢٤]، وبمعنى الظفر والغنيمة والطعن في القتال كقوله: ﴿**ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً**﴾ [الأحزاب ٢٥].

وهذا كما ترى لون من التفسير الموضوعي، وهو أول وسيلة يلجأ إليها الباحثون في البحث عن موضوعات القرآن حيث يجمعون ألفاظ ذلك الموضوع من سور القرآن ثم يتعرفون على دلالة اللفظ في أماكن وروده.

٤- **الدراسات في علوم القرآن:** اهتم العلماء بموضوعات علوم القرآن فأشبعوها، ومن بين هذه الموضوعات والدراسات، لون ينصبُّ على دراسة وجمع الآيات التي لها رابطة واحدة، كآيات النسخ والقسم والمُشْكِلِ والجدل والأمثال وغير ذلك، ومؤلفاتهم في ذلك يعزّ على الباحث حصرها وهي أشهر من أن تذكر.

كل هذه الأمور والحقائق تدلنا على أن التفسير الموضوعي ليس بدعاً من العلوم أفرزته عقول المتأخرين، وغفلت عن الاهتمام به أفهام الأولين. لكن بروزه لوناً من التفسير له كيانه وطريقته لم يوجد إلا في العُصُر الأخيرة ـ تلبية لحاجات أهلها ـ التي وُجِدَ فيها من المذاهب والأفكار كما وجد فيها من الآراء والموضوعات ما اضطر علماء الشريعة إلى بحثها من وجهة النظر القرآنية ليقينهم بأنه الكتاب الذي يحوي دراسة وعلاج كل موضوع يطرأ في حياة الناس، علمه من علمه، وجهله من جهله، **﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾** [الملك ١٤].

ومن ثم كثرت الدراسات القرآنية، وأصبحت المكتبة القرآنية تستقبل كل يوم مواداً جديدة من عالم المطبوعات، ونظرة خاطفة إلى فهارس المكتبة تنبيك بكثرة ما كتب في هذا المجال، وإن كان في الحقيقة قليلاً على مادة القرآن. ولشدة عناية الكاتبين بهذا الفن من التفسير قام جمع من الباحثين بخدمة هذا اللون من التفسير بوضع فهرسة للقرآن على حسب الموضوعات منها ما هو في عداد المخطوطات، ومنها ما طبع ككتاب المستشرق «جون لابوم» والذي عنوانه (تفصيل آيات القرآن الكريم)، وقد ترجمه إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي وترجم المستدرك الذي وضعه (إدوار مونتيه) وخرجا في كتاب واحد، وهو خطوة أولى في طريق طويل لا بد وأن تجد مستدركاً ومعقباً كعادة ما يكتب أولاً.

ثالثاً: ألوان التفسير الموضوعي:

الأول: أن يتتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم، ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية. وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها.

وقد أصبح كثير من الكلمات القرآنية مصطلحات قرآنية كـ (الأمة، والجهاد، والذين في قلوبهم مرض، والخلافة..)، وهذا اللون كما ترى قد اهتمت به كتب الأشباه والنظائر إلا أنها بقيت في دائرة الكلمة في موضوعها، ولكن يحاول مؤلفوها أن يربطوا بينها في مختلف السور، مما أبقى تفسيرهم للكلمة في دائرة الدلالة اللفظية.

أما المعاصرون فقد تتبعوا الكلمة وحاولوا الربط بين دلالاتها في مختلف المواطن، وأظهروا بذلك لوناً من البلاغة والإعجاز القرآني، وقد كان من نتائجها استنباط دلالات قرآنية بالغة الدقة، لم يكن بمقدورهم العثور عليها لولا انتهاجهم هذا السبيل. وممن اعتنى بهذا اللون من المعاصرين الدكتور أحمد حسن فرحات في سلسلة سماها (بحث قرآني وضرب من التفسير الموضوعي) أصدر منها كتاب (الذين في قلوبهم مرض)، و(فطرة الله التي فطر الناس عليها)، و(الأمة في دلالاتها العربية والقرآنية) وغيرها.

الثاني: تحديد موضوع ما، يلحظ الباحث تعرض القرآن المجيد له بأساليب متنوعة في العرض والتحليل والمناقشة والتعليق، أو تطرأ مشكلة أوتطرح قضية فيراد بحثها من وجهة نظر قرآنية وهنا نشير إلى عجيبة من عجائب القرآن الكريم المعجزة، تدلنا على أن القرآن دستور حياة، ومنهج عمل، فيه الشمول والعموم والكمال والبيان.

خلاصتها: أنه ليس بمستغرب أن يجد باحث اهتمام القرآن صريحاً بموضوع معين فيرى جوانب معالجة الموضوع ودراسته في القرآن كافية وافية، ولكن الغريب حقاً أن تقترح موضوعاً فتلج إلى عالم القرآن كأنما أنزل فيه فيدهشك أن

الموضوع قد استوفيت جوانب دراسته في القرآن كأنما أنزل القرآن من أجله.

وطريقة الكتابة في هذا اللون تتم باستخراج الآيات التي تناولت الموضوع، وبعد جمعها والإحاطة بها تفسيراً وتأملاً يحاول الباحث استنباط عناصر الموضوع من خلال ما بين يديه من آيات، ثم ينسق بين تلك العناصر بحيث يقسمها إلى أبواب، وفصول حسب حاجة الموضوع ويقدم لذلك بمقدمة حول أسلوب القرآن في عرض أفكار الموضوع.

ويكون منطلق العرض والاستدلال والدراسة هو آيات القرآن الكريم لا غير، مع ربط كل ذلك بواقع الناس ومشكلاتهم، وإن ذكر شيء من غير القرآن في الموضوع فيذكر من باب الاعتضاد لا الاعتماد.

وعلى الباحث أن يتجنب خلال بحثه التعرض للأمور الجزئية في تفسير الآيات، فلا يذكر القراءآت، ووجوه الإعراب ونحوِ ذلك إلا بمقدار ما يخدم الموضوع ويتصل به اتصالاً أساسياً مباشراً. والباحث في كل ذلك يهتم بأسلوب العرض لتوضيح مرامي القرآن وأهدافه ومقاصده، ليتمكن القارئ من فهم الموضوع وإدراك أسراره من خلال القرآن بجاذبية العرض الشائق وجودة السبك والحبك ورصانة الأسلوب ودقة التعبيرات، وبيان الإشارات بأوضح العبارات.

وهذا اللون من التفسير الموضوعي هو المشهور في عرف أهل الاختصاص، وحتى أن اسم (التفسير الموضوعي) لا يكاد ينصرف إلا إليه، والمتتبع لهذا يجده جلياً، وسبب ذلك يتلخص في أمرين:

١- غزارة الموضوعات التي طرقها القرآن وأشبعها دراسة وبحثاً.

٢- تجدد الموضوعات والمشكلات التي تحتاج إلى بحث من وجهة نظر قرآنية فالأولون صدروا من القرآن، والآخرون وردوا إلى القرآن. وكلاهما بحر لا ساحل له، لا تكاد تنتهي موضوعاته أو تقف عند حد.

٣- البحث عن موضوع من خلال سورة من القرآن بتحديد الهدف الأساسي للسورة أو غيره من الأهداف ودراسته من خلال تلك السورة. وهذا

اللون شبيه بسابقه إلا أن دائرته أضيق.

وطريقة البحث فيه: أن يحدد الباحث الهدف أو الأهداف الأساسية للسورة ثم يختاره أو يختار إحداها إن كانت ثمة أهداف متعددة ثم يحاول إبراز عناصر بحث هذه السورة للموضوع وتقسيمها وتبويبها، ثم يدرس علاقة كل المقاطع بهذا الهدف بدءاً بمقدمة السورة، وانتهاءً بخاتمتها، مع التعرف على أسباب نزولها، ومكان نزولها، وترتيبها من بين سور القرآن ويبين علاقة كل ذلك بهدف السورة عنوان البحث، وسيجد الباحث الصلة بينه وبين الرابطة جلية عند إحالة النظر وإمعان الفكر، وسيعلم أن للسورة هدفاً واضحاً ترمي إلى إيضاحه وبيانه والاستدلال له وبه، وتفصيل جوانبه وأبعاده، وكل سورة من القرآن لها شخصية مستقلة تعلم عند البحث فيها، بل ويمكن أن يكون للسورة أهداف متعددة بينها من الترابط والتعاضد والتداخل شيء يصعب معه التفريق بينهما أو إفراد إحداهما بالبحث مع إغفال البواقي.

وليعلم أنه ينبغي عند البحث في هذا اللون ألا ينطلق الباحث في دراسة موضوع السورة من آيات لم ترد فيها، بل يكون منطلقه آيات ومباحث ومقاطع السورة وأما غيرها فتذكر استئناساً لا تأسيساً، وتوكيداً لا تأصيلاً، واستشهاداً لا استناداً.

وهذا اللون ظفر بعناية القدماء بل جاءت في ثنايا تفاسيرهم الإشارات إلى بعض أهداف السورة ومحاولة الانطلاق منها لبيان تفسيرها، كالذي فعله البقاعي في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور). وأما في العصر الحديث فقد أولع به سيد قطب في تفسيره (الظلال) حيث يقدم لكل سورة ببيان أهدافها الرئيسية أو هدفها الوحيد، وينطلق في باقي تفسير السورة من خلال هذا المحور الذي تتحدث السورة عنه، وقد أفرِدَتْ بحوث كثيرة في هذا اللون من التفسير الموضوعي منها سلسلة (من مواضيع سور القرآن) التي يكتبها الشيخ (عبد الحميد طهماز) وقد صدر منها (العواصم من الفتن في سورة

الكهف).

رابعاً: أهمية التفسير الموضوعي

ويمكن تلخيص أجدر جوانبها في الأمور التالية:

الأول: إبراز وجوه جديدة من إعجاز القرآن الكريم، فكلما جَدَّت على الساحة أفكار جديدة ـ من مُعطيات التقدم الفكري والحضاري ـ وجدها المفسر جلية في آيات القرآن لا لبس فيها ولا غموض بعد تتبع مواطن ذكرها في القرآن، فيسجل عندها سبق القرآن إليها، ويدلل بذلك على كونه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائبه ودلائل إعجازه.

الثاني: التأكيد على أهمية تفسير القرآن بالقرآن، الذي هو أعلى وأجل أنواع التفسير، إذ قد يوجد مَنْ لا يلجأ إلى القرآن عند إرادة إيضاحه وتفسيره لقصور فيه أو تقصير منه، وبالتفسير الموضوعي ندرك أهمية هذا اللون من التفسير فتزداد عنايتنا به، وتتعاضد جهودنا لبيانه، فَنُكفى بذلك الوقوف عند كثير من مشكل القرآن أو مواطن الخلاف بين علماء الأمة في تفسير آياته، لورود ما يوضح المراد ويشفي العليل ويروي الغليل بالقرآن نفسه.

الثالث: إن تجدد حاجة البشرية، وبروز أفكار جديدة على الساحة الإنسانية وانفتاح ميادين للنظريات العلمية الحديثة لا يمكن تغطيتها ولا رؤية الحلول لها إلا باللجوء إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. إذ عندما نجابه بنظرة جديدة أو علم مستحدث فإننا لا نقدر على تحديد الموقف من هذا العلم وتلك النظرية وحل المشكلة القائمة، وبيان بطلان مذهب إلا عن طريق تتبع آيات القرآن، ومحاولة استنباط ما يجب نحو كل أولئك.

إن جمع أطراف موضوع ما من خلال نصوص القرآن والسنة يمكن الباحث من القيام بدور اجتهادي للتوصل إلى تنظير أصول لهذا الموضوع، وعلى ضوء هدايات القرآن ومقاصده نستطيع معالجة أي موضوع يَجدّ على الساحة.

الرابع: إثراء المعلومات حول قضية معينة. غالباً ما يُطرح موضوعٌ أو قضية أو فكرة أو مشكلة للبحث ويبقى أيٌّ من ذلك محتاجاً إلى إشباع البحث ومزيد الدراسة، ويتم تحقيق ذلك من خلال التفسير الموضوعي بحيث تتبين لذوي الشأن أدلة جديدة، ورؤى مستفيضة، وتفتيق لشيء من أبعاد القضية المطروحة.

الخامس: تأصيل الدراسات أو تصحيح مسارها.

لقد نالت بعض علوم القرآن حظاً وافراً من البحث والدراسة، إلا أن هناك علوماً أخر برزت جديدة تحتاج إلى تأصيل بضبط مسارها حتى يُؤْمَنَ عثارها مثل (الإعجاز العلمي في القرآن)، فقد كَثُرَ الكاتبون حوله إلا أنه بحاجة ماسة إلى ضبط قواعده لِيُتَجَنَّبَ الإفراطُ فيه أو التفريط، وهذا إنما يتم عبر دراسة موضوعية لآيات القرآن وهداياته في هذا المجال.

وهناك علوم ودراسات قائمة منذ القِدم لكن المسار الذي تنتهجه يحتاج إلى تصحيح وتعديل، وإعادة تقويم كعلم التاريخ الذي أخذ منهجاً في سرد الوقائع والأحداث من غير تعرض لسنن الله في الكون والمجتمع، علماً بأن هذه السنن قد أبرزتها آيات القرآن خلال قصصه بشكل واضح، وهناك انحرافات مبثوثة في كتب التاريخ تخالف ما نُصَّ عليه في القرآن الكريم، ولن يتم تعديلها وتقويم مثل هذه العلوم إلا بطريق استقصاء منهج القرآن في عرضها ودراستها.

مراجع هذه النبذة:

١- مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم.

٢- دراسات في التفسير الموضوعي للدكتور زاهر عواض الألمعي.

٣- الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي للآيات.

٤- دراسات في القرآن الكريم للدكتور محمد عبد السلام محمد.

٥- دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني للدكتور أحمد جمال العمري.

﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾*

د. عبد الكريم بكار

قصّ الله ـ تعالى ـ علينا في كتابه العزيز نبأ لقاء موسى بالعبد الصالح الخضر ـ عليهما السلام ـ، وما جرى بينهما من إخبار الخضر لموسى بعدم صبره على ما سيراه من أعماله، وتعهد موسى بالسمع والطاعة وعدم العجلة حتى يكون الخضر هو الذي يخبره بكُنه ما يراه وعواقبه، كما تضمنت القصة عدم تمكن موسى ـ عليه السلام ـ من الصبر الذي التزم بمكابدته. وفي ثنايا هذه الواقعة عبر ودروس عديدة نجلوها في النقاط التالية:

١ - أراد الله ـ تعالى ـ أن يُعلِّم موسى وجوب تفويض ما لا يعلمه إليه؛ فقد ورد في الصحيح أن رجلاً سأل موسى على ملأ من بني إسرائيل: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال: لا. فأوحى الله إليه: بل عبدنا خضر أعلم منك[1]. وفي هذا إرشاد لأولي النهي أن يقفوا الموقف المنهجي مما لا يعرفونه؛ فنبيُّ الله موسى كان رسولاً من أولي العزم، وهو كليم الله ومبلغ رسالته، ومع هذا بيّن الله له وجوب تفويض ما لا يعلمه إليه؛ فهو لم يجتمع بكل البشر، ولم يعرف مقادير ما خصّ

١- أخرجه البخاري في أحاديث الانبياء.

*- الكهف ٦٨ .

الله به من شاء من عباده.

وفي هذا الزمان تشعبت العلوم، وتفرعت حتى صار من العسير على الواحد منا أن يحيط بفرع من فروع المعرفة فضلاً أن يحيط بها جميعاً. وأمانة العلم تقتضي التريث بالفتوى والتحرز من التطاول على ما لا نحسن حتى لا تجتاحنا الفوضى العلمية..

٢- في هذه الرحلة المباركة وقف موسى موقف المتعلم، ووقف الخضر في موقف الأستاذ، مع أنه لا خلاف في أن موسى أفضل من الخضر، وهذا يدل على أن الأفضلية العامة لا تقتضي التفوق في العلم، وهذا يحثنا على أن نرجع لأهل الاختصاص في اختصاصاتهم، وألا نرهق أهل الفضل بالسؤال عما لا يعرفونه، ولا يحسنونه؛ فيسقطون من أعيننا لعدم معرفتهم، أو يسقطون ويُسقطوننا معهم إذا ما هم قالوا بغير علم! ورحم الله الإمام مالكاً حين كان يقول: «إن من شيوخي من أطلب منه الدعاء، ولا أقبل روايته».

٣- التزم موسى ـ عليه السلام ـ في البداية بالصبر على ما يراه وعدم العصيان حين قال: ﴿**ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً**﴾ [الكهف ٦٩]. وهذا الالتزام كان بناءً على ما يعرفه من نفسه من الحرص على طلب العلم ومعرفة الخير. وكان تأكيد الخضر له أنه لن يصبر معه على ما يراه لما يعرف عنه من الحرص والالتزام بما شرع الله من حرمة الأنفس والأموال، وكانت النتيجة إنكار موسى على الخضر، كما توقع الخضر. وموقف موسى كان على النهج العام الذي ينبغي على المسلم سلوكه، وهو إنكار ما خالف الشرع وعدم السكوت عليه ما دام ذلك ممكناً، ولايعكر صفو هذا خصوصية الموقف والحادثة[1].

وقد أنكر موسى على الخضر مع علمه بقدره وعلمه لأن المنهج فوق الأشخاص أياً كانوا. وقد ابتليت هذه الأمة في تاريخها المديد بأقوام أصيبوا بداء

١- ورد في البخاري أن النبي ـ ﷺ ـ قال: يرحم الله موسى لو كان صبر يقصّ الله علينا من أمرهما.

تقديس الأشخاص وإقامة البراهين على خيرية ما يفعلونه وتسويغ ما يرتكبونه من مناكر ومخالفات قطعية التحريم؛ لما يعتقدونه فيهم من الصلاح!

وأدى ذلك إلى غبش عظيم في الرؤية، وقد حطوا من قدر المنهج المعصوم على قدر ما رفعوا من شأن من يعظمون! وما زال هذا مستمراً إلى يوم الناس هذا والله المستعان.

٤- كان الخضر موقناً بعدم صبر موسى على ما يراه منه، وعلل لذلك بقوله: **﴿وكيف تصبرُ على ما لم تُحِط به خُبراً﴾** [الكهف ٦٨]. وهذا يشير إلى ظاهرة ثابتة في حياة البشر، هي عدم الصبر على رؤية أحداث وأعمال تخالف ما استقر عندهم من الأعراف والمعايير، أو على بذل جهود لا يرون لها نتائج تنسجم معها. وقد وقف الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ موقفاً مشهوراً من شروط صلح الحديبية التي كانت في ظاهرها مخالفة لمصالح المسلمين، ولولا أنَّ الذي ارتضى تلك الشروط النبي ـ ﷺ ـ المؤيد بالوحي لكان هناك شأن آخر. لكن الله ـ تعالى ـ جعل فيها من الخير والبركة ما حمل أكثر المفسرين على القول: إن المراد بالفتح في قوله ـ سبحانه ـ: **﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾** [الفتح ١] صلح الحديبية[1]. وسبب ذلك الموقف أن الصحابة ما كانوا قادرين على إبصار مآلات تلك المعاهدة ونهاياتها.

واليوم نجد رغبة جامحة لدى كثير من الدعاة والعاملين في حرق المراحل والقفز فوق الحواجز بدافع من الصدق والإخلاص، والسبب في ذلك أنهم ما أحاطوا خُبْراً بجوانب العملية التغييرية الكبرى التي يتصدون للقيام بها. ونجد ذلك بشكل واضح لدى الشباب الذين يغلي في دمائهم حب هذا الدين والغيرة على هذه الأمة.

وسبب الاستعجال عند الشباب يعود ـ في أكثر الأمر ـ إلى أن كثيراً من قادة الدعوات يوهمون الشباب بأن التمكين في الأرض وبسط سلطان الدين هو قاب قوسين أو أدنى، وذلك رغبة في كسبهم وإغرائهم بالعمل الدعوي، حتى إذا

١- فتح القدير.

مرت السنين تلو السنين أدرك أولئك الشباب أن الطريق أطول بكثير مما قيل لهم، فيؤدي ذلك ـ عند أية هزة ـ إلى الإحباط والانزواء والسلبية أو إلى تسفيه القيادات واتهامها بالقصور وتجاوز المرحلة لها ثم الاندفاع خلف قيادات شابة تفتقر في أكثر الأوقات إلى الحكمة والخبرة والعلم،والنتيجة معروفة!

وسبب ذلك أن الشيوخ ما بصَّروا الشباب بطبيعة طريق الدعوة وتكاليفه ومشاقه، مع أن النصوص الواردة في ذلك كثيرة جداً.

أما الجوانب التي لم نحط بها خُبْراً فهي عديدة، نذكر منها ما يلي:

أ- **المنهج الرباني الذي نحمله، منهج مشتمل على أجزاء صلبة راسخة لا** يجوز أن تتطور أو يُغض الطرف عن شيء منها كي تؤدي وظائفها في الهداية والإصلاح، وفيه أجزاء مرنة تقبل شيئاً من الموازنة لتحقيق خير الخيرين ودفع شر الشرين؛ وكل أجزاء المنهج خير، ومطلوب التحقق بها؛ لكن الظرف هو الذي يعطي الأولوية لبعضها على بعض؛ فأعمال الخير كثيرة جداً لكن الحال المعاش يرجح شيئاً على شيء، فإذا كانت في المسلمين مجاعة كان مجال إطعام الطعام أولى بالبذل من مجال التنفل بالحج والعمرة، وإذا اجتاح العدو بلاد المسلمين كان تجهيز المقاتلين أولى من بناء مسجد أو تأثيث مكتبة عامة وهكذا.. وإذا كان المريض الذي نعالجه يشكو من أمراض عديدة وجب أن نبدأ بالأخطر منها كالنزيف مثلاً.

ب- ومما لم نحط به خُبْراً على الوجه المطلوب الواقع الذي نتحرك فيه، وهو واقع **مفعم** بالمؤثرات المختلفة حيث صار من غير الممكن معالجة أية قضية من قضايانا الكبرى على أنها شأن محلي خاص، فوسائل الاتصال العجيبة المتاحة وتشابك المصالح وتداخلها ونفوذ الثقافة العالمية، كل أولئك يجعل ما نظنه داخلياً خاضعاً لاعتبارات دولية وإقليمية إلى جانب الاعتبارات المحلية. وفهم تلك **الاعتبارات** ما عاد ممكناً عن طريق التأمل والشفافية، وإنما عن طريق الدراسات المتقنة والصلات والعلاقات والمعايشات الداخلية.. وفهم طريقة التفكير لصانعي الخيارات والقرارات.

جـ- ومما لم نحط به خُبْراً الإنسان موضع الدعوة، وهذا الإنسان صار يخضع لمزيج كبير مَن المؤثرات الثقافية المتضادة ـ في كثير من الأحيان ـ مما يجعل تفكيره مختلفاً عن تفكيره في القرن الماضي، ومفاتيح اهتمامه أيضاً تبدلت، والطريق إلى حفز مشاعره صارت أكثر التواء. ولم يصاحب ذلك التعقيد كله ما يحتاجه من الفهم العميق القائم على معرفة النفس البشرية والسنن الإلهية التي تحكمها. وآية ذلك جمود خطاب كثيرين منا دون أدنى تحسين او تحوير.

د- ومما لم نحط به خُبْراً سنن الله ـ تعالى ـ في تغير المجتمعات، ذلك التغير الذي لا يتوقف أبداً لكنه لا يخرج عن الأحكام والأنظمة الإلهية التي تسيره، وهوتغير أساسه الحركة البطيئة التي إن تسارعت لم تصل أبداً إلى حد الطفرة المناقضة للفطرة. وبما أن عمر الإنسان قصير فهو متشوق أبداً إلى معرفة نتائج أعماله ومجهوداته قبل أن يرحل عن هذه الدنيا لكن سنن الله ـ تعالى ـ لا تخضع للرغبات والأهواء، ومن ثم فإن الله ـ تعالى ـ قال لنبيه: **﴿وإما نُرينَّك بعض الذي نعدهم أو نتوفينَّك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾** [الرعد ٤٠].

وإذا كان الوقوف علىمفاتيح شخصية الفرد صار معقداً، فإن الوقوف على مفاتيح شخصية المجتمع اكثر تعقيداً؛ لأن أبناءه ينتمون إلى شرائح متعددة وكل شريحة منها تخضع لمؤثرات مغايرة، وهذا يجعل التعامل معه غاية في التعقيد!

إن الحل الوحيد لحالات الاستعجال على قطف الثمار قبل نضجها هو **الإحاطة المبصرة بكل جوانب التغيير المنشود وآلياته، وإلا فإن كثيراً من الجهود ستكون جهاداً في غير عدو، بل ستكون أخطر على الدعوة من أعدائها!**

إن فقه التحرك بالمنهج أشق من فقه المنهج نفسه؛ لأنه يقوم على ركائز عائمة، وتراكم الخبرة فيه ضعيف لتنوع أحواله وكثرة خصوصياته. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

أخطار النزعة المادية في العالم الإسلامي

نقد كتابات جودت سعيد

(٢)

عادل التل

«تهدف هذه الدراسة إلى تحديد المعايير الثابتة وبيان المقاييس الدقيقة لحصر وتمييز أصحاب الاتجاه المادي، من المفكرين الذين ينطلقون في اتجاههم هذا من خلال العمل في حقل الدعوة الإسلامية، والذين يلجؤون إلى تفسير النصوص الشرعية وفق النزعة المادية، كما تهدف ومن خلال رؤية معاصرة إلى إبراز منهج أهل السنة والجماعة، وعرض طريقة السلف الصالح في مواجهة التحديات الاعتقادية المعاصرة».

رصدت في المقالة السابقة أفكار الكاتب جودت سعيد، من خلال نصوص مختارة من كتبه ورسائله. وسيكون بحثنا هذا حول الحجج التي يعتمدها الكاتب ـ والماديون من قبله ـ في تقديم المعرفة الصادرة عن المادة، وسنبحث في موضوع السنن.

اتكأ الكاتب ـ في تقديمه المادة ـ على مفهوم مراتب الوجود السائدة عند الفلاسفة. والمشهور في الفلسفة، أن الصراع قائم فيها بين منهجين:

١- المنهج العقلي «المثالي» الذي يقوم على الاعتقاد بأن الفكر هو السابق في

الوجود على المادة، ومن ثم يجب تقديم المعرفة الصادرة عن الفكر في كل شيء.

٢- المنهج المادي «الوضعي» الذي يقوم على الاعتقاد بأن المادة هي أقدم من الفكر في الوجود، ولذلك يجب تقديم المعرفة الصادرة عن المادة على كل شيء.

وهذه الأفكار التي يتبناها جودت سعيد، ويدعو إلى التمسك بها تشبه الأفكار الماركسية، وإذا كان الموقف النقدي الشامل يدفعنا لأن نأخذ الجانب التاريخي لهذه الآراء بالحسبان، فإننا نلمح ـ وبصورة جازمة ـ أن تلك الأفكار ترجع في جذورها التاريخية إلى:

١- منهج الفلاسفة وطريقتهم في الاستدلال.

٢- منهج القدرية المعطلة ـ نفاة القدر ـ الذين وقفوا إلى جانب الفكر المادي الأرسطي بعد انتقال العدوى في الصراع إلى علم الكلام في ديار الإسلام، وقالوا بنفي الصفات ـ الذي قالت به المعتزلة والرافضة ـ وهؤلاء المعطلة يعتبرون أسلافاً لأصحاب الفكر المادي المندسين بين المسلمين.

٣- علم الاجتماع الغربي، القائم على المذهب الوضعي، والذي نشأ في عصر النهضة الأوربية، وهؤلاء يعتبرون أرسطو وأصحابه أسلافاً لهم.

أولاً: تقديم المادة على العقل والنقل

اهتم جودت سعيد بتعريف كل مرتبة من مراتب الوجود، وبيان خصائصها* ليجعل هذا الأسلوب في الاستدلال ذريعة لتقديم المادة على العقل والنقل، وبعد أن استعرض هذه المراتب انتهى إلى القول[1]: (فالوجود الخارجي ـ المادي ـ هو الثابت الذي كلما اختلفنا في تفسيره رجعنا إليه؛ ودققنا النظر

*- تناول جودت سعيد موضوع مراتب الوجود في كتابه «اقرأ وربك الأكرم» وخصص ما يعادل خُمس حجم الكتاب (٤٧-١٠٤) لإقرار مبدأ تقديم المادة (الواقع) على كل شيء، وقد قام بتغيير بعض الألفاظ، فهل يظن أن هذا يبعد عنه التهمة في موافقة الفلاسفة والقدرية والمعتزلة على آرائهم؟!

والبحث والتعامل معه لنصحح الصور الذهنية). ومنه فإن كل شيء خارج الواقع ـ المادة ـ فهو عنده قابل للزيادة والنقصان[٢] ولا يجوز الاعتماد عليه، ويشمل هذا المفهوم النصوص الشرعية (كتاباً وسنة). ويقول في رسالة اللغة والواقع: «ولكن البدء في الدراسة من كتاب الله دون أن يعترف للواقع، أنه هو الذي في النهاية سيشهد بمعنى الكتاب وصدقه»[٣].

ثانياً: تقديم العقل على النقل

يحرص جودت سعيد على تقديم المادة (الواقع) على العقل والنقل ـ كما رأينا ـ إلا أنه يقدم العقل على النقل أيضاً، لأن هذا التقديم ينسجم مع مفهوم مراتب الوجود الذي اعتمده في تقدم الصور الذهنية ـ العقلية ـ على اللفظ والكتابة، وقد أكثر من النقل عن أبي حامد الغزالي، وتبني منهجه، وخاصة قول الغزالي في المنطق اليوناني: (هو مقدمة العلوم كلها، ومن لا يحيط به، فلا ثقة له بعلوم أصلاً)..

ونلاحظ أن جودت سعيد قد حذف كلمة «المنطق»[٤] من كلام الغزالي لإبعاد الشبهة عن نفسه في متابعة الفلاسفة والمناطقة الإغريق، والاستمداد من أفكارهم، والمعروف أن تقديم العقل على النقل يمثل منهج الأشاعرة والمعتزلة، ومن أجل ذلك بدّل جودت تلك المصطلحات بألفاظ معاصرة، وتُمثِّل هذه الفعلة عملية خداع وتمويه خطيرة.

ثالثاً: مصدر المعرفة:

إن قضية مصدر المعرفة في الإسلام محسومة، وهي لا تتفق مع منهج طريقة الفلاسفة ولا مع أسلوبهم، فأهل السنة والجماعة يقدِّمون القرآن الكريم والسنة النبوية عند التنازع، ولا يقدمون ما يُتوصَّل إليه عن طريق الحس ولا عن طريق العقل. ولابن تيمية كلام مُهمّ في بيان منهج أهل السنة في موضوع العلم حيث يقول: «طرق العلم ثلاثة: الحس والعقل، والمركب منهما، كالخبر، فمن

الأمور ما لا يمكن عمله إلا بالخبر، كما يعلمه كل شخص بأخبار الصادقين كالخبر المتواتر، وما يعلم بخبر الأنبياء ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ ويمتنع أن يقوم دليل صحيح، على أن كل ما أخبر به الأنبياء يمكن معرفته بدون الخبر ولهذا كان أكمل الأمم علماً المقرون بالطرق الحسية والعقلية والخبرية، فمن كذَّب بطريق منها فاتَهُ من العلوم بحسب ما كذَّب من تلك الطرق»[٥].

وكثيراً ما يحاول جودت سعيد أن يذكر ابن تيمية في موضوع مراتب الوجود، مما يوهِمُ القارئ أن رأيه في هذه القضية يتطابق مع رأي ابن تيمية، ولكن الحقيقة غير ذلك على الإطلاق، لأن ابن تيمية وأهل السنة جميعاً لا يُقَدِّمون على الشرع شيئاً، فهم يعارضون المعتزلة وغيرهم في تقديم العقل على النقل وكذلك يعارضون تقديم الحس على النصوص، ولا يبحثون المسألة مع الفلاسفة أصلاً، ولا من خلال مراتب الوجود، كما أراد جودت سعيد أن يبعث هذا الأسلوب من جديد. ولابن تيمية رأي واضح في هذا المقام ونحتاج أن نذكره لقطع طريق التدليس والنقل المبتور الذي اعتاد جودت أن يستخدمه في مثل هذه المواضع، يقول ابن تيمية: «وهو سبحانه عَلِمَ ما في الأذهان، وخلق ما في الأعيان وكلاهما مجعول له، لكنّ الذي في الخارج جعله جعلاً خلقياً، والذي في الذهن جعله جعلاً تعليمياً..»[٦].

ولابن تيمية كلام صريح في رد القضية التي يعتمدها جودت سعيد وغيره من الفلاسفة والمتكلمين من خلال مراتب الوجود حيث يقول[٧]: «والطريق المشهور عند المتكلمين هو: الاستدلال بحدوث الأعراض على حدوث الأجسام، وقد بينا الكلام على هذه في غير موضع، وأنها مخالفة للشرع والعقل..». والذي نصل إليه من هذه المقارنة أن طريقة جودت سعيد في تحديد مصدر المعرفة تَتِمُّ وِفْقَ أسلوبِ الفلاسفة وعلماء الكلام وتخالف منهج أهل السنة والجماعة.

مفهوم السنن

بيّنا ـ في الحلقة السابقة ـ أن جودت يجعل السنن في مقابل النبوة حيث يقول: «من هنا بدأ الاهتمام بالوقائع والتفاهم مع الله بواسطة سننه، توقفت النبوة لأن النبوة مرحلية وانتهت»[٨]!

ما هي هذه السنن التي استبدلها بالنبوة؟

يقول الكاتب: «**والناس لا يعرفون السنة إلا في الطبيعة، ولا يعترفون بها في** الأنفس، ويعتبرون عالم الأنفس خارج الثبات، أو خارج السنة وهذا مناقض لمنهج القرآن، بل لمناهج المسلمين السابقين ـ ولقد جاء إلى العالم الإسلامي قَصْرُ معنى العلم على الآفاق من المفهوم الغربي»[٩].

يُفْهَمُ من خلال هذا النص أمراً محدداً: أن الكاتب يعتبر مجال السنن ١- في المجتمع، ٢-في الأنفس، ٣- في الطبيعة، والذي يبحث في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة لا تظهر له جميع هذه المجالات التي ذكرها الكاتب. قال تعالى: ﴿**سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً**﴾ [الأحزاب ٣٨]،أي حكم الله فيها. وقال سبحانه ايضاً: ﴿**سنة الله التي قد خلت في عباده، وخسر هنالك الكافرون**﴾ [غافر ٨٥].

وفي كل آية جاء فيها لفظ السنة، كان يدل على أحد جوانب الدين، ويكون فيها دعوة للاتباع أو موعظة للاعتبار. وأما في مجال الطبيعة، وفي الدلالة على أحداثها، كان القرآن يطلق على مثل هذه المواضيع لفظ «الآيات» مثل قوله تعالى: ﴿**وآية لهم الليل نسلخ منه النهار**﴾ [يس ٣٧]، وإن ما فعله الكاتب من تعميم مفهوم السنن ليخرج عن إطاره الشرعي، ويقوم بإلغاء النبوة والتعامل مع السنن، فإن هذا يعتبر خروجاً عن المنهج القرآني ومناقضاً له. وإدراك هذا الأمر من الأهمية بمكان كبير، ولو كان الأمر سيبقى مجرد اصطلاح فحسب، ولا تقوم عليه نتائج أخرى، لما نشأ عليه أي اعتراض. ولكننا

نتعامل مع كاتب يؤمن بالمنهج المادي ويعتقد بانتهاء النبوة، وانحسار أهميتها ومن هنا ندرك خطر الخلط في موضوع المصطلحات، وأثرها في تعطيل الآيات في كتاب الله، وتحريفها عن معانيها، واستبعاد العمل بأحاديث الرسول ﷺ وإخضاعها للسنن، فعندما يذكر مثالاً للتفريق بين الواقع والقرآن يقول: «القرآن يقول عن القلوب أنها التي تفقه، أي أن القلب هو عضو الفهم، ولكن الواقع، أي التعامل مع الواقع كشف أن القلب ما هو إلا مضخة، ولا علاقة له بالفهم، وإنما فقط هذه المضخة تشتغل بسرعة أو ببطء حسب الأوامر التي تصدر إليها، وليس هي التي تصدر الأوامر»[10]. وهكذا ندرك خطر هذا التوجه، وسوء هذا التصرف. ماذا حدث له حتى تجرأ على تكذيب القرآن بهذه الطريقة المزرية؟ إن القرآن لم يقل إن عضو الفهم هو العضلة التي تضخ الدم ـ كما يزعم ـ وإنما هذا افتراء عظيم من جودت سعيد، وتطاول على كتاب الله لا يتصور. إن الآية التي ألمح إليها هي قوله تعالى: ﴿**أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾ [الحج ٤٦]. إن ما صدر عنه في تفسير الآية يعتبر خروجاً على أصول التفسير وإغفالاً لمفهوم اللغة التي نزل بها القرآن، ولو أنه عاد ـ قبل أن يصدر تفسيره الجائر ـ إلى معاجم اللغة العربية لوجد أن معنى القلب فيها (خالص الشيء وشريفه)، وقد جاء في لسان العرب بأنه قد يعبر بالقلب عن العقل. وقد عرف النبي ﷺ في بيانه بين القلب والفؤاد حين قال: «**أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً**»[11]. وإن كنا غير معنيين الآن في بحث مفهوم القلب والعقل إلا أنه من الضروري كشف عملية التضليل التي يمارسها أصحاب الاتجاه المادي في كتاب الله، من جهة الفصل بين اللغة وآيات الكتاب، ومحاولة إيجاد التناقض بين الكتاب والواقع وقد قال تعالى: ﴿**ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب**

الحريق..﴾ [الحج ٨-٩].

الوجود السنني

يربط الكاتب بين القدر وبين مراتب الوجود فيقول[١٢]: (وإن الوجود الخارجي ـ المادي ـ الذي اعتبرناه أساس مراتب الوجود راجع إلى هذا الوجود السنني ـ القانون ـ»، أي أن القانون هو القدر.

وقد عبر الكاتب عن القدر ـ الوجود السنني ـ بأسلوب آخر حيث يقول: (هذا الوجود السنني، هو نوع آخر من مراتب الوجود، وربما يكون مدخلاً لتصور الروح، والله تعالى له الأمر والخلق، والروح من أحواله، **﴿قل الروح من أمر ربي﴾** [الإسراء ٨٥]، وأمر الله وكلمة الله وسنة الله، ألفاظ متقاربة في مدلولها، ولكن سنة الله توصف بأنها لا تتبدل ولا تتحول»[١٣].

يفهم من هذا النص أن الكاتب يجعل السنن في مقام كلام الله وتعبيراً عن قدر الله وأمره في الخلق، وكأن الله ليس له تدخل في الكون إلا من خلال السنن التي قدرها قبل الخلق، وهذا يتفق مع مفهوم المذهب الوضعي الذي يجعل قوانين الطبيعة وسننها المصدر الأساسي للمعرفة، وهذا ما تبناه الكاتب ودعا إليه من خلال فكرة مراتب الوجود. وبما أن السنة قابلة للكشف والمعرفة، والروح من أمر الله، فإن الروح سيكون قابلاً للمعرفة والتصور، وسيكون ـ حسب هذا المفهوم ـ كشف حقيقة الروح قريباً بمتناول الذين وصلوا في مجال العلوم إلى مرحلة الانطلاق وهم ـ كما يزعم الكاتب ـ محور موسكو - واشنطن، وهذا التصور يقود إلى انتهاء مفهوم الغيب من الحياة.

وهذه مفارقة كبيرة، وانحراف عظيم في التصور الاعتقادي، أن نجمع بين أمر الله وكلمة الله وسنة الله ليكون الجميع في متناول المعرفة البشرية ـ كما يصورها الكاتب ـ في موضوع الوصول إلى معرفة الروح، فإن ذلك ينسجم مع مفهوم المذهب الوضعي المعاصر، بإخضاع كل شيء للمنهج التجريبي كما

ينسجم أيضاً مع مفهوم القدرية، وذلك بالإشارة إلى استنباط آخر يقوم على هذا التصور، وهو أن الله يتفاهم مع البشر بواسطة السنن ـ الأنبياء من البشر ـ وأن الله لا يتكلم إلا من خلال السنن، وهذا هو التعطيل الذي كانت عليه القدرية، الذين ينفون الصفات عن الله تعالى(١٤).

ونستطيع أن نختزل رأيه من خلال معادلة رياضية..

كلام الله = قدر الله = **الوجود السنني «المادي»** = القانون

كلمة الله # أمر الله # سنة الله!

وبما أن سنة الله قابلة للكشف عنده، فلا غيب بعد ذلك..!!

المراجع:

١-٢ كتاب «اقرأ وربك الأكرم»، ص ٥٧ .
٣- رسالة انظروا ٤٠ - اللغة والواقع ص ٩ .
٤- اقرأ وربك الأكرم، ص ٥٠ .
٥- درء تعارض العقل والنقل، ٦٧٨/١ .
٦- مجموع فتاوى ابن تيمية، ٢٦٧/١٦ .
٧- مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٦٧/١٦ .
٨- رسالة اللغة والواقع، ص ٧ .
٩- اقرأ وربك الأكرم، ص ٩٥ .
١٠- رسالة انظروا ٤٠، اللغة والواقع، ص ٩ .
١١- حديث متفق عليه، البخاري: ٤٣٨٨، مسلم: إيمان/٨٤ .
١٢- اقرأ وربك الأكرم، ص ٩١ .
١٣- اقرأ وربك الأكرم، ص ٩٣ .
١٤- كان أول القدرية الذين ينفون الصفات (الجعد بن درهم) وقد ضحى به خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى بواسط، وقال إنه يزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، وهو بهذا الكلام، ينكر أن يكون الله قادراً على الكلام مع موسى، وفي هذا مخالفة لصريح القرآن.

الأعمال الجماعية

كان الجيل الأول من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على فهم عميق بمقاصد الإسلام ومراميه في إصلاح البشر، وكانت الأمة يومها في حالة إنشاء وتأسيس وتيقظ واندفاع، فهي تقوم بالأعمال الحضارية بصورة عفوية تأتي من طبيعة الإسلام نفسه.

في مثل هذه الأجواء قام الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه بعمل علمي كبير يؤكد حديث رسول الله ﷺ «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي..».

لقد خشي عثمان ـ رضي الله عنه ـ من تفرق المسلمين واختلافهم في قراءآت القرآن، فعزم على جمعهم على مصحف واحد، وشكّل لهذا الأمر لجنة علمية من: زيد بن ثابت، عبد الله بن الزبير، سعيد بن العاص، عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسأل عن أفصح هؤلاء، فقيل له سعد بن العاص، فقال: فليمل سعيد وليكتب زيد، وقال لهم أيضاً: «إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم».

وقامت هذه اللجنة بمهمتها ـ وربما تكون أول لجنة علمية في الإسلام ـ وأرسلت المصاحف إلى الأمصار، واجتمع الناس على مصحف إمام.

أليس هذا عملاً عظيماً، وهو من صميم حضارة الإسلام، وإن عمل هذه اللجنة يلفت نظرنا إلى ما عليه حال المسلمين اليوم من البعد عن الأعمال الجماعية والعلمية بخاصة، حيث تجتمع الطاقات وتحشد الجهود، ويستفيد كل واحد من الآخر، والسبب في هذا أنه لم تترسخ عندنا المؤسسات العلمية التي تقوم على الجهد المشترك لإخراج أعمالٍ لا يستطيع الفرد أن يقوم بها، وإن فعل فسيكون إنتاجه ضعيفاً .

إن التخلف الحضاري الذي نعيشه والذي ورثناه يبعدنا عن العمل المؤسسي، فالفردية متأصلة فينا، ويصعب على الفرد أن يشاركه غيره في عمل علمي، لأنه لم يتعود على الحوار والمشاركة، وسماع وجهات النظر الأخرى.

إن الأعمال والجهود المتعاونة إذا كانت ضمن منهج علمي واضح ستؤدي إلى نتائج يتفق عليها الجميع.



«عواطفنا..ليست لنا مطايا!!»

خالد بن صالح السيف

إن تأسيس رؤيتنا على بنيةٍ عاطفية ظاهرة تناولنا بها جملة من قضايا الأمة المصيرية!! ويبدو أننا لم نفق بعد من سكر العاطفة! ونتاج هذا البناء العاطفي المكرّس بائن في الهزائم المتلاحقة والخسران المضطرد لمدخرات الأمة ـ الإنسان على رأس قائمتها ـ. وما زالت قوافلنا يتقدّمها حُداة العاطفة أنفسهم بأصواتهم الشجية وكأننا نسعى بجهد لاهث لأن نصدّق فينا هذا النعت بأننا: «ظاهرة صوتية فحسب»!! ويبدو ـ ثانية ـ أن من يُناصبنا العداء هو ـ الآخر ـ يُمارِسُ باقتدار إذكاء أُوار عاطفتنا بصورة عكسية يظفر هو كنتيجة لها بإبلنا فيمتطي بعضاً ويدَّخِرُ بعضاً!! ونحن لا نُصدِّق خبراً فنروح من حينها نوسِعه سبّاً وتدور جولة ثانية تعود فيها إليه الإبل والسبُّ لنا ثمن بخس!!

إن مجاوزة الحد في عواطفنا مكمنُ ضعفٍ أُتينا من خلاله، كما أن الغلو في العقل مكمن خلل سقطنا من خلاله سابقاً ـ والتوزير الرافضي والاعتزالي شأنه ليس بسر في العصر العباسي ـ والشاطبي[1] يعتبر إلغاء هذا المفهوم

١- الاعتصام للشاطبي ٢/٣٢٧ .

قاعدة حيث يقول: «لا يُجعل العقل حاكماً بإطلاق، وقد ثبت عليه حاكم بإطلاق وهو الشرع، بل الواجب عليه أن يقدم ما حقه التقديم ــ وهو الشرع ــ، ويؤخر ما حقها التأخير ــ **وهو العقل** ــ، لأنه لا يصح تقديم الناقص حاكماً على الكامل لأنه خلاف المعقول والمنقول بل ضد القضية، وهو الموافق للأدلة فلا معدل عنه، لذلك قيل: اجعل الشرع في يمينك والعقل في يسارك تنبيهاً على تقديم الشرع على العقل».

ونحن بإزاء هذه الظاهرة العاطفية المؤججة نتساءل: **هل** ثمة وسطية يُثَبِّتُ فيها طيش العاطفة ــ بِقِيَمِ العقل ــ مناط التكليف وموطن التكريم لتجيء من بعد النصوص ــ قرآن وسنة ــ مهيمنة عليهما في ابتغاء رؤية مؤصَّلة لا تغيرها المستجدات بقدر ما تستوعب هي المستجدَّ فتوجهه وِفْقَ مُرادات النصوص المتكئة على **فهوم** السلف الصالح.

فـ«مدار الأمر كله على العقل فإنه إذا تمَّ العقل لم يعمل صاحبه إلا على أقوى دليل. وثمرة العقل فهم الخطاب وتلمح المقصود من الأمر. ومن فهم المقصود وعمل على الدليل كان كالباني على أساس وثيق»[1]، فهل نعي نحن لنتجاوز البناء على العاطفة الأرضية الهشة، مستأنسين بمواطن ابن الجوزي، ومنضبطين بقواعد الشاطبي ــ رحمهما الله تعالى ــ فحيثيات الاستخلاف والتمكين ليست معادلات عاطفية تعالج إشكالاتها «الجماهيرية» بأرقام مُنْبَتَّةٍ فلا هي لظهورها أبقت ولا هي لأرضها قطعت!!

بل الاستخلاف والتمكين «وعد حق» ممن لا يخلفه ــ سبحانه ــ بيد أنه لِمَنْ تتوافر فيه الأهلية بصفاتها المشروطة «﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئا**﴾ [النور ٥٥]، فالتمكين من لدن الله متحقق

١- صيد الخاطر ٢١١، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي الحنبلي.

لا محالة إبان الاستواء على الشرط وامتثال واقع النص لا مجرد حفظه وبح الصوت به..

إن أبجديات النصر والغلبة ليست أمانٍ نُشكّل بها مربعات ضعفنا وهواننا على الأمم؛ وليست تأريخاً نستجره ـ حاضراً ـ **لندغدغ به مشاعرنا ونُحذّر به** جيلاً يُبَحُّ هو الآخر صوته بإنشاد أفعال الماضي: «كُنّا.. وكانوا... كانت لنا.. وآبائي وأجدادي .. واسألوا عنا!!» الخ.. من منظومة الماضي المجيد الذي مضى برجالاته صناع تاريخنا الذين نحفل به إلى حد استشرافه ثانية واقعاً نحياه ـ بإذن الله ـ إنما النصر والغلبة.. وعد.. كسابقه مشروط: ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾ [محمد ٧]، ولن يكون شيء من ذلك بلا قرح يمس الجيل.. ولن يكون بلا ابتلاء ومجاهدة ومصابرة ومن قبل التمحيص: ﴿**وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين**﴾ [آل عمران ١٤١]. هكذا يجيء النصر وتجيء الغلبة مع جيل النصر وحده ذي الصياغة الفردية على منهج المدرسة النبوية.. لا غير..

وأجدني أخيراً مضطراً إلى أن أجعلك تشاركنا مخاض تجربة شيخنا الأستاذ محمد قطب وهو ـ أثابه الله ـ لم يألُ جهداً من أمد بعيد وهو يقرر أنه: «برغم كل عواطف الجماهير، وكل حماستهم التي يبدونها حين يذكر الإسلام فهي حماسة عاطفية لا تقيم بناءً حقيقياً.. ولا حركة حقيقية.. إنما تحتاج القاعدة إلى الإنشاء من جديد.. فرداً فرداً حتى يكتمل بناء متماسك كبناء الجماعة الأولى على يد الرسول ﷺ، إلا يكن في الدرجة فعلى نفس المنهج، الذي هو مجال الأسوة في رسول الله ﷺ وفي الجماعة التي رباها ليقوم عليها البناء»[1].

ويؤكد مرة أخرى على أن المعركة بين الإسلام وأعدائه ليست معركة

١- الصحوة الإسلامية، ١٦٥-١٦٦ .

سريعة خاطفة بل معركة طويلة شاقة قد تستغرق عدة أجيال: «فينبغي للقاعدة التي تنشأ للقيام بهذا العبء الضخم أن تربى لتكون طويلة النفس، شديدة الصبر، عميقة الإيمان بالله، عميقة التوكل عليه، مستعدة لما يتطلبه أمرها من المعاناة وقادرة على أن تبذل من نفسها: من جهدها ومالها ودمها وفكرها، ما يحتاج إليه إزالة الغربة التي ألمت بالإسلام اليوم، واستنقاذ «الغثاء» من دوامة السيل واستنباته مرة أخرى راسياً في الأرض عميق الجذور..»[1].

لستُ أدري.. بعد أن تشكّلنا إلى حد، عاطفياً ـ ولم نفلح ـ أتَصعب معاودة الصياغة مرة أخرى ضمن ضوابط ما ذكرنا سلفاً؟

الإجابة.. تملكها أنت.. وهو.. وهي وهم .. وأنتم ونحن .. في إطار عمليٍّ فاعل منشَؤُهُ استقامة الرؤية:

* قال الحسن البصري: «ما استودع الله أحداً عقلاً إلا استنقذه يوماً ما»[2].

* قال أبو حفص الكبير الشأن: من لم يَزِنْ أحواله وأفعاله بالكتاب والسنة ولم يَتَّهِمْ خواطره فلا تعدُّوهُ في ديوان الرجال»[3].

* * *

١- الصحوة الإسلامية، ص ١٦٦ .

٢- أدب الدين والدنيا، ص ٢، للماوردي.

٣- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١/١٠٠، لابن قيم الجوزية.

خواطر من عرفات

أحمد بن محمد حسبو

عرفاتُ يا رمز الأمة، والرسالة! عرفات كم وقفت بساحك جموع، وسالت على ثراك دموع، وتعارف على راحتيك الناس، وذابت في محيطك الأجناس، وبورك منكسر ورُدَّ شديدُ المراس. كم تعانقت فوقك قلوب، وفُرِّجت على ثراك كروب، ومحيت أوزار وذنوب. كم امتزجت فيك دموع المذنبين، وتعانقت أصوات المستغفرين، وتوحدت رغبات الراغبين.. كم تجردت فيك النيات، وسالت على جنباتك العبرات، وخشع أهل الأرض لخالق الأرض والسموات.

أيها المسلمون: كم تغلي قلوب أعدائكم حقداً!! وكم عضُّوا أناملهم غيظاً وحسداً!! ﴿**ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم**﴾ [البقرة ١٠٥]. هم يريدون أن يقطعوا دابر الدين كي تخور القوى، ويُتبعَ الهوى، وتَعُمَّ البلوى. كي لا يُعَزُّ دين، ولا يقوى يقين، ولا يتمَّ تمكين. كيف يُضْحِي بأسُنا بيننا شديداً. وأملنا في العودة إلى المنبع الرائق بعيداً.

أيها الأحباب: إنَّ الذي أمركم بالتلبية فلبيتم، وبالحج فحججتم، وبالوقوف هنا فوقفتم هو الذي قال: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم**﴾ [الأنفال ٦٠]. وتسلحوا لهم

بالتقوى فمن أراد غنىً بغير مال، وعزاً بغير جاه، ومهابة بغير سلطان فليتق الله. فإن الله عز وجل يأبى أن يُذِّل إلا من عصاه.

وتذكروا جيداً وصية نبيكم منذ ألف وأربعمائة عام يوم النّحر في منى وهو يقول ويقرِّر، ويوصي ويحذر: «فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم. ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم، قال: «اللهم اشهد. فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع. فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» رواه البخاري.

فاذكروا ذلك جيداً ـ واعلموا أن الأمة التي تعمل بالمعاصي وتحيدُ عن أمر الله تسقط وتنهار، ولستم والله أفضل من سعد بن أبي وقاص ـ بطل القادسية المبشر بالجنة، السابق إلى الإسلام ـ ومع كل ذلك هذه وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه له وهو متأهب للمسير إلى القادسية حيث قال له: «يا سعد!»، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله. فإن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء، ولكنه يمحو السيئة بالحسنة، يا سعد! إن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته. فالناس جميعاً شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء. الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالتقوى، ويدركون ما عنده بالطاعة»، فكونوا ـ رحمكم الله ـ على المؤمنين قلوباً صافية، وعلى أعداء دينكم أسوداً ضارية.

أنسيتم أيها الأحباب غضبة رسولكم حيث أقسم ألا يبيت اليهود بالمدينة وقد أنجز ذلك، أنسيتم غضبة الهادئ الوديع الساكن أبي بكر حين زمجر وقال: «والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه».

أنسيتم غضبة نور الدين حينما وقع الأقصى أسيراً في أيدي الصليبية فظل حزيناً عابساً ولما سأله سائل: «لم لا تضحك؟» قال: «أستحيي من الله أن أبتسم والأقصى أسير في أيدي الأعداء!!»

والآن أيها الأحباب متى تُحَرِّكُنا مصاحفُ تُحرَقُ، ومساجدُ تُهْدَمُ، وأعراض تُنْتَهَكُ، وأطفال أطهار يداسون بالأقدام، ودموع في عين القدس وكشمير والبوسنة والهرسك وارتيريا والصومال وغيرها.

رُبَّ وامعتصماهُ انطلقت ملءَ أفواهِ الصبايا اليُتَّمِ
لامستْ أسماعَهُمْ لكنَّها لم تلامِسْ نَخْوةَ المعتصم

نريدها أمةً جادَّةً في القول والعمل، إن قالت فبعلم، وإن سالمت فبعلم، وإن حاربت فبعلم، وإن قررت فبعلم، ليست عابثة، ولا لاهية، ولا غافلة. يقول يحيي بن معاذ رحمه الله: «القلوب كالقدور تغلي في الصدور، ومغارفها ألسنتها. فانتظر الرجل حتى يتكلم فإنَّ لسانه يغترف لك مما في قلبه، من بين حلو وحامض وعذب ومالح. يخبرك عن طعم قلبه اغتراف لسانه».

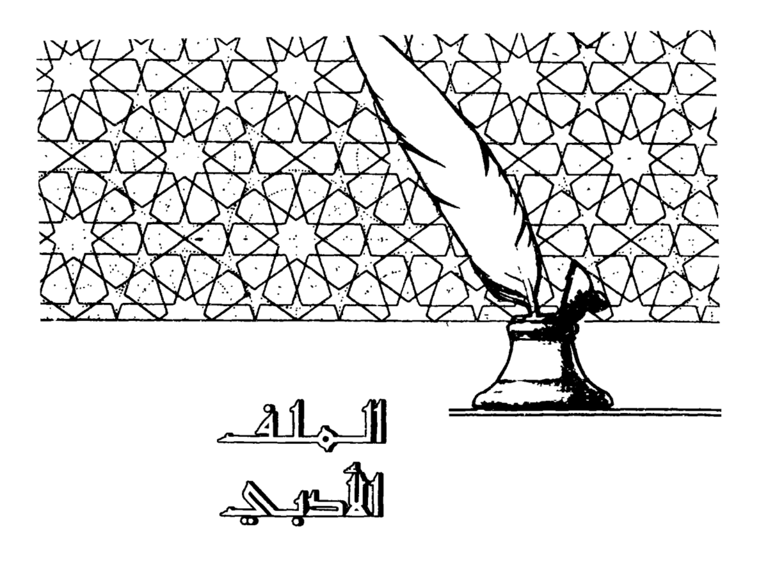
روى البخارى عن عدي بن حاتم الطائي ـ رضي الله عنه ـ قال: «وفدت في وفد على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فجعل يدعو رجلاً رجلاً ويُسميهم، فقلت: أما تعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال بلى!! أسلمت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا، وعرفت إذ أنكروا، فقال عدي: فلا أبالي إذاً». فهذا رصيده وهذا مناط فخره، ورأس ماله، وقوام شخصيته.

إن الهمم العالية لا ترضى بالدنئ ولا تقنع إلا بمعالي الأمور:

قلتُ للصّقر وهو في الجو عالٍ: أهبطِ الأرضَ فالهواءُ جديبُ
قال لي الصّقرُ: في جناحي وعزمي وعنانِ السماءِ مرعىً خصيبُ

وهذا المرعى لا شك يجهله الأرضيون، حيث ثقلة الأرض ومطامع الأرض. وتصورات الأرض، ثقلةُ الخوف على الحياة، والخوف على المال، والخوف على اللذائذ، والمصالح والمتاع، ثقلة الدعة والراحة والاستقرار.

أتُسبى المسلمات بكل ثغرٍ وعيش المسلمين إذن يطيبُ؟
أَمَا لله والإسلامِ حقٌّ يدافعُ عنه شبانٌ وشيبُ؟
فقل لذوي البصائر حيث كانوا أجيبوا اللهَ وَيْحَكُمُ أَجيبوا



الملف الأدبي

- دعوة للأدب
- الحداثة بين التعمير والتدمير
- مقدمة في بناء الرواية
- إسلامية الأدب كيف.. ولماذا؟
- قصيدة عن حب قديم
- سراي ايفو = سراي البوسنة

دعوة للأدب

محمد بن حامد الأحمري

هل هذا زمن الدعوة للأدب إنشاء وإطلاعاً؟
وهل انتهت مشاكلنا فلم تبق إلا مشكلة الأدب؟
أم هذه الدعوة من باب الهروب من الواقع المُعاش إلى الخيال الأدبي؟

* * *

كارادتش السفاح الصربي الشهير يهيج جنوده بالأشعار والأغاني الجديدة والقديمة، ويحفظ من أشعار الصرب النصارى القديمة والحديثة ما يثير عواطف جنوده أشد الإثارة، ويستعيد أشعار الصرب وأحزانهم في حروبهم السالفة مع العثمانيين، ويتغنى بأمجاد أجداده الذين ماتوا في المعارك مع المسلمين، ويحث جنوده النصارى على قتل المسلمين عند حنايا الأودية، ويحثهم على اصطياد المسلمات، ويثير عواطف الصرب باستغلال آدابهم القديمة الحاقدة على المسلمين، والتي ترجم بعضها وللأسف إلى العربية.

أما نحن فعندنا ضعف في الإنشاء الأدبي وفي استرجاع الأعمال الأدبية المهمة. ورب أمة حفظت أدبها وأساطيرها وغابت في طيات النسيان.

* * *

أدب الحرب حماسة، وأدب السلم متعة وهو في كل الأحوال صناعة من

القول العذب الراقي يستجمع فيها المنشئ للمادة الأدبية مخزونه العلمي واللغوي ويستحث خياله لصناعة عالم جديد يبدؤه بهيكل الفكرة الرئيس حتى تكتمل، ثم يتعهده بأجمل اللباس وأرقى الزينة اللفظية والأسلوبية، في تناسب لا تبعده الفكرة عن الأسلوب والزينة، ولا تجرده الزينة من المضمون.

حين تطغى الفكرة على اللغة يتحول النص إلى دراسة فكرية جافة، وحين تطغى الزينة الكلامية والأثقال اللفظية على الفكرة تتشوه الفكرة ويسقط المضمون والزينة. لأن التناسق الفكري القوي مع الزينة لا تثقل بناء النص، فيحافظ على رونق مقبول. والفكرة المكثفة الضعيفة الزينة تبقى خاصة بمن يقدر على ركوب الصعب.

ما من أدب بلا قضية، حتى الذي سموه باللا معقول فإنه يحمل فكرة الضياع والدعوة لها. إذ الفكرة أو المبدأ ليس إلا الروح السارية في النص، وهي التي تجعلك تنتقل من صفحة إلى أخرى متابعاً لحدث أكان سببه عندك أو عند الكاتب، سواء أفسّره كاملاً أو وقف عند جانب منه واكتفى بالرمز والإيحاء لأنه حاول إعطاء فكرة وهدف.

إن الذين يستغفلون القراء وشداة الأدب بالزعم: إن الفن لا هدف له ولا قضية ولا فكرة، أضاعوا أجيالاً من أمتنا؛ حاولت أن تنسج على منوال ما قيل لهم أنه أدب بلا هوية ولا قضية، فإذا بقومنا يكتبون أدباً تملؤه أفكارُ أممٍ أخرى، وتتلبسه صور وأحداث ومجتمعات وأديان غريبة، فهو يرثي أمة مزّقّت فوق صلبانها ويحكي الضياع في أدغالها وتستهويه ثلوجها، ويتعارك مع إقطاعها وحراس كنائسها، ترى أي أدب هذا؟ أليس صورةً لمجتمع وأفكاراً لقضايا ومجتمعات أخرى تتردد على ألسنة مَنْ يقول: ليس لديه قضية ولا لفنه معنى.

نعم ربما كان كذلك، ولكن الذين أوحوا له هذا المعنى السلبي كان عندهم قضية عالجوها فعالجها هو كما يعالجها أهلها دون أن يعي دوره.

حين ينجو الأديب المقلد من الصورة الوافدة لا تغادره الفكرة الغربية، وما من

عمل أدبي دون قضية أو مأساة إنسانية تعصف بقلب موهوب، سواءاً كانت العاصفة حباً أو حرباً أو موتاً، فهذه إن لامست قلباً موهوباً شجياً، وغنيَ ثقافياً، وإرادة للعمل فتحت للناس نافذة للعقل والخيال، وصنعت لهم عملاً أدبياً يحمل فكرة ومتعة، وينبئ عن صاحب الحال وزمانه جاعلاً فكرة من غير الفكرة. ومن أبسط المواقف عبرة في سياق لا يخصك ولكنك تجد نفسك من خلاله شاهداً متفاعلاً بدروس الأدب والحكمة. ولكم تقدر باحثاً عن الحق، هاوياً للمغامرة مثل محمد أسد في «الطريق إلى الإسلام» وأنت معه في تتابع الأحداث، لا يخبرك المؤلف بما يريد، ولكنك بعد زمن تفكر فيما قرأت، قال أحد قراء كتابه: «لقد أحسست بالظمأ في حلقي حين قصّ محمد أسد قصة الظمأ في الكتاب»، إنه رسم صوراً في أذهان قرائه فكأنهم شاركوه وحلّوا معه وارتحلوا وناقشوا النصارى في مصر، وجذبهم نور الإسلام في أفغانستان، وحاوروا المستشرقين بقوة وثقة. وضاغجي في «السنوات الرهيبة» صوّر مأساة المسلمين المحاربين في روسيا، واستطاع أن يجعل من القارئ مصاحباً له في القوقاز، شاهداً لإسقاط منارة المسجد العالية في قريته، وكأن القارئ يجلس معه في فصله الدراسي يرقب من النافذة السيارة الضخمة وقد ربطت المنارة بالسلاسل وجرتها، والمنارة تميل وتميل ثم تسقط، فكأنما سقطت مدينته، وانتهى تاريخه من تلك الأرض. وتقرأ رواية «السنوات الرهيبة» فكأنك تشاهد هدم المساجد اليوم في البوسنة، وتستمع إلى قول شيخ بوسني: «إن المساجد إذا هدمت فلن يعود المسلمون إلى هذه البقاع، إذا هدم المسجد انتهت هوية البلاد لذا بدؤوا بها».

مشروعنا الإسلامي اليوم مشروع شامل لكل جوانب الحياة؛ والأدب من أبرزها كيف لا وقد تميز ميلاد ديننا بالإعجاز القرآني، وبلاغة الكلمة النبوية، وسحرها الذي تميز بالوضوح والإيجاز، وانتقاء الكلمات حتى ليكاد العادّ أن يعدها.

وبنى القرآن مع السنة ثقافة ثُقِّفَتْ فيها العبارةُ، وجلَّ الأسلوب فهدى الدعاة

العالم بفكر قويم، وأسلوب بليغ مستمد من كلام الصحابة الذين كان كل واحد منهم حكيماً أديباً ينطق بكلمات جميلات جليلات كأنهن أفراس مسرجة.

حينما وقع الوهن جراء الانفصال الذي يروق لبعضهم أن يسميه تخصصاً ذهب أهل المذاهب إلى عالمهم الجاف، وذهب أهل الزينة الكلامية إلى مشاغلهم، وخرج الأولون بهياكل جافة منحوتة من الجلاميد، وبالغ أهل الزينة في زينتهم فكانت غثاثة وملالة، فضعف الذوق، وقل الواردون إلى النبعين، ولم يصدروا بأدب ودعوة وحكمة ذي بال.

مشروعنا الإسلامي يأخذ بشغاف القلوب، وينبه العقول، ويطلب من كلٍّ جهدَه عملاً ومشاعراً، وفَجْرُنا يتنفس اليوم في أعقاب ليلٍ كان حالكاً بهيماً ولم يزل غالباً، ولكن فلوله آذنت بالرحيل والله غالب على أمره. والناشئة المسلمة لها ميول وتلهف إلى الأدب قراءة وإنشاءً بل يكاد أن يكون هو الرافد الأول في زمن المراهقة، وأوائل الشباب، لذا يجب أن لا نقف دون الرغبة ولكن نستثمرها وستجر القراءة الأدبية إلى خير منها بإذن الله.

إن الأدب مدخل لصياغة عقول الناشئة، وتحفيز هممهم، وفتح سبل الأمل في حياتهم، أما الثقافة المنقوصة فلا تبني الشخصية المتكاملة، والدعوة الجزئية لا تجمع شمل الأمة، لذا يجب أن نراقب تكامل عملنا، وإلمامه بهذه الجوانب الرئيسية، وعلينا إعداد القدوات المتميزة بغنى الثقافة، وعمق الشخصية، ونبل العواطف، واتساع الخيال وآمال الخير.

وفي الصفوف الأولى من مسيرتنا الضاربة بعيداً في أعماق الزمان منارات تميزت بأصالة المعرفة، ورهافة الحس والذوق بل وبمنهج نقدي واضح رائع أمثال عمر وابن عباس رضوان الله تعالى عليهم أجمعين..

الحداثة بين التعمير والتدمير

د. حسن بن فهد الهويمل

الثابت من خلال المتابعة أن الحداثة ذاهبة لا محالة، وأن أشياعها سيوفضون إلى نصب جديدة تقيمها الحضارة المهيمنة، ويقيني أن العالم النامي المسكون بالتبعية وقابلية الاستجابة يتهيأ لاستقبال «ما بعد الحداثة» وهو مذهب نشأ قبل خمسين عاماً وبطأ به انشغال المسرح بأدوار الحداثة في ظل إذعان كرسَّه الانبهار وفقد الثقة والشعور بالنقص. حتى ضاعت الهوية وانطمست المعالم وتلاشت الخصوصية، ولا مراء في أن الأخذ بعصم المتغيرات قبل وعيها سمة الضعف والدونية والرداءة.

وما لا ننكره أن الغرب تخطى المقاعد الخلفية، وهب من رقاد طال أمده، ونهض من تخلف استحكمت ظلمته، ونفض عن نفسه وضر الخرافة وانسلخ من ماضيه واستقبل حياة مجردة متحررة من كل سلطان، وشكل حياة جديدة خلَّصته من عصور التخلف التي حاربت العلم وأحرقت الكتب وربطت الناس بطقوس دينية ثقيلة.

عملَ كلَّ ذلك لحياته الدنيا وحين رفض الآخرة رفضته الأولى وذلك سر

اضطرابه وتدهور حياته.

ولن تتأتى لمشرقنا العربي ممارسة التجربة الغربية لأن له عقيدة ورسالة وموروثا، تشكلت منها حياته التي خاض بها تجزبة التفوق والتألق، ولم يعش فراغاً فكرياً، وتخلفُه وضعفُه العارضان نتيجة تفريطه بمؤهلاته القيادية. وحين أدرك الغرب ببقايا صليبية وطوفان استكباره وهاجس تخوفه أن المارد منتفض لا محالة، أفاض عليه بسَقَطِهِ وَحَشَفِهِ وسوءِ كيلِهِ ليظل مقطورة مسيرة لا مخيرة. ومن مصائبنا الجسام قيام بعض المفكرين العرب بترسم خطى المصطلح الغربيِ ظناً منهم أن التجربة الناجحة في الغرب سيكتب لها النجاح في الشرق. وتحرُّر الغرب من عصور التخلف، ونجاحه في عملية الانفلات من قيوده حمله على جرأة التغيير والتدمير وامتد وباء التغيير إلى الفن حيث استعذب التخلي والمغامرة بحثاً عن عَرَض الحياة الدنيا المحصورة بين رحم الأم ورحم الأرض على حد قول الحق عنهم ﴿**إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين**﴾ [الأنعام ٢٩].

والراصد للتحولات يصاب بالذهول لتتابعها واستشرائها في مجال الفكر والسياسة والاقتصاد والتربية وعلم النفس والأدب، ففي مجال الفن نهضت الكلاسيكية ماثلة بالمحافظة على القيم والمعايير القديمة، ولكنها هُدمت ليقوم على أنقاضها مذهب رومانسي تسامى على عقلانية عصر التنوير متجهاً إلى حدس التوصف رافضاً الموروث في اللغة والشكل والمضمون، ولم يطل مقامهم في رحابه، لأنهم لا يصبرون على طعام واحد، فألحقوا الرومانسية بالكلاسيكية ونبذوهما معاً وراء ظهورهم سخرياً ليستقبلوا (البرناسية) وما تلبثوا في مداها إلا قليلاً، فقد ملوا من لغو الحديث لذاته.. ثم أوجفت عليهم «الواقعية الاشتراكية» بخيلها وَرَجِلِها واستمر ينتابهم طائف منها في مختلف تحولاتهم، وهبت وثنية العلم تقلب لهم الأمور، فتفتقت أذهانهم عن أدب رمزي سداه الذات والموضوع، ولحمته العالم العلوي فجسد لهم ضعف الإنسان وقلقه. واتخذ لغة الإشارة والإبهام لغةً بديلةً عن الوضوح، ولما اشتد ساعد الرمزيين أفاضوا إلى

«الدادية» واتخذوها احتجاجاً على القيم والمؤسسات والمنطق فغمرتهم بطوفان القلق والتشاؤم والبَرَم بالحياة والشك بكل شيء، واستفحل داءُ العبثية وتشكلت السريالية بتلقائيتها المتحررة من العقل والقيم والجمال والشعور، وتحقق في ظل سيادتها أحط دركات الفوضى. ومنها هبت رياح (المستقبلية) متأثرة ببقايا الرمزية وجاء (التصويريون) بصور لا تتعلق بمعنى ولا عاطفة، وعطلوا التوصيل، وركزوا على الإيحاء والغموض، ونهض «التعبيريون» بثورتهم ضد الفن السائد، معتمدين على تشويه الملامح البارزة. وعلى سفوح المذاهب شبت نوابت سوء أدركها الضياع بعد ما أفسدت الأذواق وعطلت مهمات الكلمة الطيبة وأفقدت الأدب هدفه السامي وغاياته النبيلة. وتشعبت المذاهب الأدبية، يتجه بعضها إلى الشكل لإيمانه بجمالية الفن وإمتاعه، ويأخذ بعضها الآخر بعِصَمِ الموضوع لإيمانه بنفعية الفن وتوجيهه. وسمع الناس دوي المصطلحات وصخبها وتداخلت التحولات واختلطت المذاهب، ولم تقم بينهما حواجز ظرفية تميز بعضها عن بعض، كما لم تقم في الساحة ثوابت وقناعات يرجع إليها عند الاختلاف.

وأقبلت الشيوعية بإلحادها، والرأسمالية بأنانيتها، وهبت أعاصير الوجودية بعبثها. وقامت صراعات طاحنة بين رؤوس الفتنة، واختلطت الأمور، واختلت الموازين، وسقط الفن في وحل الصراع، وطاف عليه وعلى اللغة طائف «البنيوية» يُشرِّح، ويحوِّل ويفكك، وتلقفها الشرق والغرب، ووجدوا فيها ضالتهم لأنها تُمنِّيهم وتعدهم بالإنقاذ من معضلة النشأة الأولى، وامتدت إليها يدُ الملاحدة لينسفوا بها كل منجزات الفكر الإنساني وارتفع مكاؤهم وتصديتهم بعد ما اكتشفوا الخلية، وضاع رشدهم عندما سئلوا عما قبلها. وبلغ الفن دَرَك التشتت والضياع بعد طرح مصطلح «الحداثة»، وفيما بين هذا وذاك نسمع ونرى مذاهب شتى لها انتفاخ الأسد وضآلة الهر. ويظل عالمنا يستهلكه التلقي الأبله والتبعية المنضبطة، يركض وراء كل بارق، ويحارب تحت كل راية، ليس له قضية محددة ولا هدف معين، ولا خصوصية متميزة، يؤمن بمعادلة كاذبة أطلقها

الحاقدون وصدقها المغفلون، فإما الإسلام والتخلف؛ أو العلمانية والتقدم، وأشاعوا بأن الخطاب الإسلامي برداءته وإسفافه ومرجعيته يقف في وجه المستجدات ويحارب العقل، ويشل التفكير. والحق أن العقل شرط التكليف، والتفكير فريضة إسلامية. وجرَّت «الحداثة» وابلاً من إشكالياتها تمثلت في تعددها واختلاف الحداثيين حول مقتضيات كل حداثة ومداها في التغيير، فالحداثة لم تكن أحادية اللغة فكل قومية لها لغتها.. وكل لغة لها حداثتها. ولم تكن أحادية الأصل والتراث فلكل قوم أصولهم وأسلوب التعامل مع هذه الأصول. ولم تكن نتاج مرحلة زمنية واحدة، فعمرها يمتد مع الزمن الماضي، حتى أن رموز الحداثة العربية التمسوها في اتجاهات تراثية متباينة. فهي عند أبي تمام لغوية، وعند أبي نواس عبثية، وعند الرومي عقدية، وعند المتنبي ثورية، ومن ثم فهي مترامية الأطراف مختلفة الألسن متباينة الأصول، ومتناقضة العقائد، فلكل رمز من رموزها حداثته.. ولكل عصر حداثته، وهناك حداثة مطلقة وأخرى مشروطة، وحداثة إبداع، وحداثة فكر.

وتبعاً لهذا جاء تركيبها معقداً، واستوعبت كل المتناقضات وأصبح من المجازفة إطلاق الأحكام العامة في سياق الإدانة أو البراءة.

واتساع نطاق الحداثة وتعاقب المنظرين واختلاف ألسنتهم وألوانهم ومشاربهم وخلفياتهم الثقافية والعقدية هيأ للخلاف البين حول رسم خارطة لها. ولو أتيحت متابعة متأنية لطروحات الدارسين لكنا أمام كم هائل من الحداثات حتى أن بعض النقاد يشك في قيمة المصطلح كأداة نقدية نظرية، ولكن غبش الرؤية لا يمنع من تسليط الأضواء على المقترفات. ونحن في عالمنا العربي نتلقى هذا الفيض، ونتمثل هذا الخلاف فنقول مثل قولهم، ونختلف كاختلافهم، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ لدخلناه، وعلى المناهضين للحداثة أن يتلبثوا في أحكامهم، لأن الحداثة العربية خليط من حداثات شتى، تسربت من كل جهة، ونسلت من كل حدب.

وفي إطار هذه التحولات المتلاحقة لن نستطيع إعطاء صورة سوية مقرؤوة الملامح «للحداثة»، لأنها تنتمي إلى مفاهيم متغيرة متناقضة. كالمفهوم التاريخي، واللاتاريخي، ويسمى بالمكونات اللازمنية، والمفهوم العقدي والفني. وإذ لم تكن أحادية الظرف واللغة والثقافة والحضارة والدين جاء مصطلحها إشكالاً متنامياً بذاته. فالربط الزمني يحوله إلى صراع القديم والجديد مما عرفه أسلافنا: كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي والمبرد وابن قتيبة، والربط الدلالي يحوله إلى مقابل دلالي هو (القِدَم)، والربط التشكيلي يحوله إلى مناحي التجديد في الصورة والوزن والأسلوب. وكل هذه الروابط لا تحسم جدل الحداثة، لأن جدلها عقدي حضاري فلسفي قبل أن يكون فنياً. ومقتضيات المصطلح الغربي أخرجها من كل أطرها الفنية، ليورطها في ممارسة منحازة تدعي الاستجابة للانفجار المَعْرِفي، مما يستتبع تفجير اللغة والبنية والدلالة، ومن ثم يتغير موقف الفن من الله والإنسان والكون.

وعندما ناشد بعض منظري الحداثة بوضع فلسفة لها، وقدم مشروعاً يقوم على تشكيلها من الفلسفات «الوضعية» «والمثالية» «والواقعية»؛ تساءل أحد الباحثين بسخرية مضحكة: «أيةَ وضعية تعني. أتعني وضعية «أوغست كونت» أو وضعية «مور» أو الوضعية المنطقية... وأية مثالية تعني: هل تعني المثالية الذاتية مثالية «فيخته» أو المثالية الموضوعية مثالية «سللنغ» أو المثالية المطلقة مثالية «هيجل» أو المثالية المتعالية مثالية «كانت» أو المثالية الإشكالية مثالية «ديكارت»». ومع كل الصعوبات ما برح الوسطاء والتوفيقيون يخوضون جولات مرهقة للقضاء على عنصر الرفض، وردم هوة الخلاف، وتجسير الفجوات القائمة بين الحداثة الغربية ومطالبنا الملحة في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولم يفكروا في تشكيل حداثة تحافظ على خصوصيتنا، وتستجيب لمطالبنا، وتنجسم مع قناعاتنا وثوابتنا، بحداثة تحترم ذوق المتلقي، وتملأ فراغ نفسه، وتوقف نزيف الكلمة الطيبة المنحورة على نصب الغموض والنثرية وعبث القول.

وفي سياق التبرير والتوفيق نسمع وصف «الحداثة» والتحديث والتفريق بين التجديد والتجدد، والاحتذاء والتجريب. ونضيق من الإسراف في ضرب الأمثال وتناسي جوهر الأشياء وما تفضي إليه، والقول بأن الحداثة مطلق التغيير، وتقدير حتمية التجديد، وتناسي ذلك عند التطبيق.

والكلمة.. وتفسير الكلمة لا يحل الإشكال. وإذ نؤمن بالتجدد وضرورة التجريب يجب أن نضع لذلك ضوابطاً وشروطاً فيها اتساع ومرونة. فالتجريب بدون ضوابط عبث، والتجريب بدون انتماء ضلال، والتجريب دون ثقافة ووعي تخريب. والعبث والضلال والتخريب مرتكزات الحداثة التدميرية ومنطلقاتها. وإذا أردنا مواكبة المستجدات والفكاك من العزلة والانكماش، فلا بد من التحرك في إطار الانتماء والضوابط والثقافة والوعي، ويكون الانتماء باستصحاب مقتضاه ﴿**الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم**﴾ [آل عمران ١٩١]، ﴿**كنتم خير أمة**﴾، ﴿**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون**﴾ [آل عمران ١١٠]، ﴿**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾ [الحجر ٩٩]. ولا تكون الثقافة إلا باستيعاب الموروث وتمثل الطارىء. ولا يكون الوعي إلا بفهم المرحلة المعاشة ومعرفة متطلباتها. وبهذا كله نستطيع التفكير في «أَسْلَمَةِ الحداثة» وجعلها إشكالية عربية متحاشية التورط في الإلحاد والرفض والتصدي للإسلام واتهامه بتزييف الوعي وسخافة الخطاب، في سبيل تحديث الإسلام لأسلمة الحداثة.

وإذ لا ننكر وجود تحولات في كل أوجه الحياة؛ فإن الأدب شعره ونثره طرأ عليه تجديد واضح وملموس أدركه علماء القرن الثاني، ورفضه بعضهم وسماه بالمُحْدَث، ومع المقاومة العنيفة والتصدي القوي غلب الجديد لأنه سنةُ الحياة التي لا تتبدل ولأن لكل زمان ذوقه وتطلعاته، فهلا نطلق كلمة حداثة على هذا اللون من الأدب، أو أن من لَازمَ شيئاً اشتهر به، وملازمة الحداثة للمخالفة المرفوضة حددت مفهومها. مجرد سؤال. فلربما يقول البعض: إن رفض هذا الإطلاق من باب كف الغيبة ودفع الشبهة والابتعاد عن الحمى على هدى: ﴿**لا تقولوا راعنا**

وقولوا انظرنا﴾ [البقرة ١٠٤]، فالنهي لا يرتبط بالمدلول الوضعي لهذا الجذر العربي، وإنما ينظر إلى ملابساته وسياقه وظرفه. وعلى غرار (الكافر) للمزارع (والغائط) للمنخفض من الأرض.

فتحامي الاستعمال لتلبس الدلالة، ولما كانت ملابسات الحداثة بهذا الشكل رفض البعض إطلاقها تلافياً للتوهيم. وقبل أن نختلف حول قبول المسمى أو رفضه، لا بد أن نفهم جذور البلاء، ونستبين ملامح الدعاة فكم من دعاة على أبواب جهنم. ولا يتم ذلك إلا بفهم متكامل لطبيعة الصراع بين الإسلام وسائر القوى المضادة منذ أن وقف المنافقون واليهود في وجه المهاجرين والأنصار إلى يومنا هذا. ولا يتم إلا بفهم شامل ودقيق للبعد الثقافي لكل الفترات ولكل الشخصيات التي تركت بصماتها واضحة في مسار العالم الإسلامي، ابتداء من الحملة الفرنسية، ومروراً بمحمد علي وأتاتورك، ثم بالعلماء والأدباء والمفكرين الذين اختلفت فيهم الآراء، ومعرفة فصائل الصراع ودوافعها والممول الفعلي لهذا الصراع وسبر أغواره وفهم منازعه. ومع كل هذا يجب استبعاد سوء النية والتخلص من عقدة الغزو الثقافي فليس من صالحنا أن نعيش هذا الهاجس في كل مواجهاتنا، وأن نعتبر أنفسنا في حالة حرب مستمرة مع الطرف الآخر. إن هناك غزواً ولكنه دون الشمول الذي نتصوره، وبالتالي فليست كل ممارسات الغرب من باب المكيدة، وفهمنا الصحيح للغزو يحدد أسلوب تحركنا وتعاملنا، وفهمنا للدعوات يكشف الهدف من قبل التورط في النتائج.

ولو أننا فهمنا جذور البلاء وميزنا بين الغزو والتبادل لحلنا بين العدو وبين ما يشتهي، ولتخلصنا من داء العزلة والتبعية. إن إمكانات العصر أدت إلى سرعة الاتصال وتعدد قنواته وتداخل حاجاته وتلاحق متغيراته. وكل ذلك أسهم في تصعيد مشكلة التصور، وأفضى إلى خلافات لا تخلو من الوهم والتفاهة والهامشية. «والحداثة» في سياق طروحات الغرب اختلفت حولها الآراء، والثابت أنها تستمد لحمتها وسداها من واقعها المعاش، ومن ثم فإن لكل زمان،

ولكل أمة، ولكل ثقافة «حداثة متميزة». هذا ما يجب أن يكون، أو ما هو كائن عند غير المقلدين، فهل نملك القدرة على بلورة «حداثة عربية» ذات شخصية متميزة تصد وباء الطارىء وتغني شبابنا عن الركض وراء سراب القيعان، وتطوق مكائد الأعداء ومكرهم وتفسد عليهم حيلهم.

حداثةٍ ذات ملامح عربية وإسلامية، ثم لنسمها ما شئنا حداثة أو معاصرة أو تجديداً. ثم أنملك ـ وذلك أضعف الإيمان ـ القدرة على تحييد الحداثة القائمة من عبثية التدمير. أم أنها عالمية الانتماء علمانية العقيدة، ثورية الحركة. ودورنا يقف عند التلقي.

إننا نسمع بإمكان بلورة حداثة عربية، ونسمع من يؤكد هذه الهيمنة الغربية على الحداثة العربية، ومن يناقض نفسه فينظر إلى إشكاليتها التراثية من خلال محورين: أحدهما باركه ابن قتيبة والمبرد وابن جني وابن رشيق. محور التجديد الدلالي واللغوي والتجديد في البناء والصورة والأسلوب. ومحور التمرد على الأعراف، كما هو عند الصعاليك، والتمرد على القيم والأخلاق كما هو عند الخمريين، والمجان، والغلمانيين، والتمرد على السلفية كما هو عند شعراء الفرق، والتمرد على السلطة كما هو عند شعراء الطوائف، ومحورُ التمرد على الأعراف والسلفية والأخلاق والسلطة يمثل الحداثة الحقيقية عند رموز التدمير. ونسمع من ينادي بضرورة ربطها بحداثة الغرب ومن يراها جزءاً من مشروع حضاري شامل. وتلك المقولات المشبوهة تقف دون مشروع حداثة عربية وفصلها عن سياقها الاجتماعي والتاريخي والحضاري في الغرب. وحين نتفق على تعريب الحداثة وأسلمتها ـ ولا أحسبنا متفقين ـ فمن المخول بوضع شروطها وتحديد أبعادها الدلالية والفنية؟ وتلك مشكلة لم تنشأ بعد.

وإذا كانت الحداثة في الغرب متلوثةً بمادية الماركسيين وإلحادية الوجوديين فإنها في الشرق متلوثة بباطنية الهدامين ومادية المخربين وصليبية الحاقدين وعلمانية المارقين.

وفي إطار هذا التورط، أنقدر على التوفيق بين وجهات النظر، ونتخلص من تطاحن الأجيال ونطرح بديلاً يقوم على أصالة قادرة على المقاومة والتماسك في مواجهة الطارىء؛ أم نتسلل لواذاً ونفضل التخلي عن جذر عربي للأعداء ينتزعونه كما انتزعوا غيره على مر التاريخ العربي المدان بالتخلي الجغرافي والفكري. إنها مشكلة يجب أن نفكر فيها جيداً قبل أن نتخذ القرار بالرفض أو القبول، لأننا مللنا الخلاف والشجب والتناحر الكلامي، وحان الوقت لنلتقي على كلمة سواء ترأب الصدع، وتفك الاشتباك، وتعيد لنا بعض ما فقدناه.

لقد تفرق الناس على مواجهة الحداثة إلى أصناف ثلاثة تذبذبت الحداثة عندها بين التصنيم والتجريم والتحتيم. ففئة ترفضها بلا تفصيل، وتتهم أربابها، دون استثناء، ولا تقبل بالمفهوم العام للتجديد والمعاصرة على سنن من قبلها من أدباء وعلماء، ولا تفرق بين من يقبلها مفهوماً للتجديد الفني الخالص، ومن يتورط بمدلولها الدنس وتدنيها المادي، وهذا الصنف تحركه عاطفة جياشة متقدة وتدفعه نار متأججة، وتتحكم به رؤية غير واضحة؛ ومع عنف المواجهة وصرامتها فإن العائد ضئيل والأثر وقتي. أما الصنف الآخر فخليط عجيب مريب من المشبوهين والإمعات والتبعيين وعشاق الشهرة بالمخالفة، وهذا الصنف يحمل جراثيم متنوعة لا يقضي عليها بوصفة علاجية واحدة لأن فيها مريض القلب، وضعيف الإيمان، والمتردد، والمستجيب ببلاهة والشاك القلق، ومهزوز التصور والجاهل المستكبر، والمتردية والنطيحة، والموقوذة وما أكل العدو.. والتصدي لهذا الخليط من الفصائل ـ متفرقين أو مجتمعين ـ يتطلب الفهم والقوة والدراية والدربة في إطار منهج دقيق وتحرف حاذق وأسلوب متكافىء للمجادلة والمحاجة، فالمخربون لا يتحركون بهمجية ولا ينطلقون من فراغ، إن فيهم أساطين فكر يعرفون الحق ولكن الهوى أصمهم وأعمى أبصارهم، وفيهم من يخبط كالعشواء في مجاهل التيه لا يلوي على شيء من الوعي أو العلم بل سمع الناس يقولون شيئاً فقاله، ومشكلة الواقع العربي استفاضة هذا النوع الذي يرفع رصيد

الإمعية والغثائية وقابلية الاستجابة لكل ناعق.

وثالث الثلاثة فئة تزودت من الثقافة بمفهومها الواسع، وتضلعت من التراث، وفهمت الحد المقبول من المعاصرة، وألمت بالمرحلة ومقتضياتها، وكشفت من مكائد المقنعين والمندسين للوقيعة والفتنة وعرفت المدى المتاح للتغير والتجديد، ولم تعر السمة أهمية بل نفذت إلى الجوهر، وجاء صراعها وتصديها متكافئين مع قوة الخصم ومكره وخطورة الطرح المضاد، ومشكلتها الصراع الجانبي مع المتصدين للأحداث عاطفياً، الذين يجهلون بعض الملابسات ويحرصون على تكريس الكيانات وتنمية الصراع المذهبي. والحرص على التآلف لا يمنع من كلمة الحق، وواجبنا الديني يقتضي الصدق والصراحة.

فالغاية واحدِة والهدف مشترك، واختلاف المناهج يشفع له اتحاد الغايات. وعلى المتخاذل في مواجهة الباطل والمتردي والمندفع باهتياج أعزل أن يقدروا جميعاً المواقف غير المتضادة فكل إنسان مسؤول عن القول والصمت، **﴿ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد﴾** [ق ١٨]، **﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾** [ق ٢١].

وما أريد تأكيده في هذا الموقف أننا حين نتحدث يجب أن نفكر بمسئوليتنا الشاملة، فليست مهمتنا مقتصرة على الأقربين، فالعالم الإسلامي وحدة لا تتجزأ، ومن لم يحمل هم أمته فوق كل أرض وتحت كل سماء فما أدى مسؤوليته، وعندما نعرض مشاكلنا ونصنف الناس فإنما ننطلق من تصور شامل للمسلمين وهمومهم في الداخل والخارج، وخدمة العقيدة ليست وقفاً على فرد أو جماعة وليست خاصة بموقع دون موقع. فكل مسلم على ثغر من ثغور الإسلام، ومهمته أن يحفظ هذا الثغر بكل ما آتاه الله من قوة وفق ما يراه مجدياً في هذا السبيل، وعلى المرء ألا يكلف نفسه فوق طاقاتها، ودخول المعركة الفكرية بدون سلاح فكري متكافىء تمكين للخصم وتكليف للنفس، والتصدي للفكر المضاد مناطه القدرة.

وإذا أردنا لمصداقيتنا الاستمرار فعلينا أن نتخطى التعميم والتشهير وعشوائية التصدي وأن نتجه بأناة وروية إلى الجانحين في إبداعاتهم أو في تنظيرهم لتنبيههم وأخذهم بما اقترفوا، وتلافي إطلاق الأحكام العامة على أي مذهب يختلف حوله الناس، وتختلف الفئة في إطاره، لأن في ذلك إفلاتاً للمذنب.

وصراع المذاهب معروف وقائم لا يستنكره أحد لأنه قد يحمل على التعصب والهوى والمنافسة، فلا يكون له وقع ولا أثر، والمصرون على الحنث يجدون في التراشق المذهبي فرصة ادعاء أن الخلاف من باب التنوع لا من باب التضاد. والصراع الفكري يكرس المذهبية، ويقيم الكيانات، ويجعل الولاء والبراء للمذهب، فما الداعي لتجاوز نص الإدانة وخصوصيته إلى أفق المذهب وعموميته. والصراع المذهبي قد يحيد بنا عن العدل في الحكم، ونحن مطالبون بالعدل، والعدل صنو التفكير العلمي الذي لا يقبل الارتجال ولا التعميم والا الانطباعية، ومن مقتضياته تحديد الأحكام، وأخذ الأمور بقوة الفهم ودقة التصور، ومواجهة الظاهرة بعقلية مستنيرة متفتحة تتيح الفرصة لعرض مفردات الظاهرة. والتبين مطلب إسلامي ولا يعيب الحق مصدره، والمصطفى بخلقه العظيم أثنى على حلف الفضول، وهو حلف جاهلي، وإذا بدت ظاهرة أدبية أو فكرية فعلينا محاكمتها بصرف النظر عن مصدرها، فإن صحت قبلناها، وإلا رددناها. ولعلنا على علم بنغمة حوار الحضارات، وقبل الدخول في دوامته لا بد أن نعرف مهمتنا في الحياة وهويتنا وخصوصيتنا. فحوار الحضارات لا يعني التخلي عن ثوابتنا، ولا يعني اللجاجة ومصادرة حق الطرف الآخر. والمحق في كل زمان ومكان حاجته إيصال صوته، وإذا لم يذعن المبطلون لهذا الصوت فإنهم سيضيقون به ذرعاً، لأنه صوت الضمير الحي والفطرة السليمة. والاستجابة لهذا الصوت آتية لا محالة، فعلى صاحب الحق أن ينفي خبث اللجاجة عن صوته، وأن يقف حيث يتم التوصيل. والمرتجفون من صوت الحق يتواصون فيما بينهم؛ ﴿**لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون**﴾ [فصلت ٢٦]، لأن

صوت الحق إن لم يغلب أوهن الخصم وخلخل حشوده، وما دمنا أصحاب حق فإن علينا أن نقتصر على التوصيل. والفكر الإسلامي في مواجهته لكل التيارات بحاجة إلى الهدوء والأناة والملاطفة ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾ [النحل ١٢٥]. وبحاجة إلى تلافي صراع النجومية الذي يحوله إلى أداة تصارع من أجل الكسب لا من أجل التصحيح. وبحاجة إلى تلافي صراع المذهبية الذي يحول الولاء والبراء للكيان ولأعلامه. وبحاجة إلى فهم الطرح، وتمثله سلوكاً ومنهج حياة وفهم الطرح المضاد، والاعتراف بحقه إن كان ثمة حق في بعض مفرداته، فالاعتراف بحق الغير دعم للمصداقية. ويحتاج أيضاً إلى عقلية مستوعبة تفهم المرحلة ومتطلباتها، وتدرك حجم المواجهة والامكانيات المتاحة. وتدرك قبل هذا وبعده ما يحاك داخل أوكار الماكرين لمعرفة المنحرفين الذين ينسلون من كل حدب ليندسوا في الصف الإسلامي وراء قناع الغيرة على الإسلام والدفاع عنه. وما الصهيونية والماسونية والعلمانية والماركسية والرأسمالية والوجودية والباطنية وسائر النحل المنحرفة إلا تشكل معاصر لجيش الفتن الذي فرق بين كلمة المسلمين وجعل الصحابي يشهر سيفه في وجه أخيه. وما علينا لو أعدنا قراءة التاريخ لنتزود من مواقفه، فالتاريخ قد يعيد نفسه، وقد نسمع ونرى ابن السوداء ماثلاً أمامنا يشعل الفتنة ويغرر بالناس. فلنأخذ حذرنا ولنعرف أن زماننا المواتي لن يترك فنحن أصحاب نعمة واستقرار ورخاء. وهل هناك نعمة تتكافأ مع نعمة الإسلام.

* * *

مقدمة في بناء الرواية

د. مصطفى بكري بن محمد السيِّد

- ١ -

مكتبة علوم القرآن، معجزة أخرى لهذا الكتاب العظيم، تتمثل في نهر المعرفة المتدفقة التي فجرتها آياته وكلماته منذ لحظة نزوله الأولى وحتى النصف الأول من الألف الثانية من عمره المبارك، هذا ما كان في المضمار الثقافي، أما في الميدان العملي، فما زال يبعث في الأمة أملاً متجدداً وعزة قعساء[1]، لا ترى فيما يجبهها أكثر من كبوة عابرة ومحنة زائلة، لأنها تجد في تاريخ البشرية الممتد فوق جباه القرون لوحات ناطقة، مواعظ وعبراً، إنشاءً وخبراً، وكم أَرْخَتْ هموم الحياة سُدولها على واقع المسلمين حتى قال أعداؤهم: هذه مُهلكتهُم، فيقيِّض الله لهذه الغمة رجالاً ينكشف بهم الضر ويصححون العلاقة بين الأمة والقرآن، بتقديم الدراسة الواعية والقراءة العميقة، التي تجعل منه سوراً منيعاً أمام محاولات الاجتياح الثقافي والانكسار الحضاري.

ولقد كان القرآن الكريم مصحوباً بالحديث الشريف أمام كل انتصار ووراء

كل وثبة للأمة الإسلامية؛ وكان العلماء هم الطليعة في كل الزحوف، ولم يكن أعداء الدين جاهلين مصدر قوة المسلمين وتماسكهم، ففكروا وقدروا ثم فكروا وقدروا فرأوا ألا مُكْنة[٢] لهم في إدخال الزيادة أو النقصان على حروفه وكلماته وسوره وآياته لأنه محفوظ في حرز حريز إنجازاً لوعد الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [الحجر ١٥]، فلم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند، حيث لم يتكفل الله بحفظها، بل وَكَلَها إلى حفظ الناس فقال تعالى: ﴿**والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله**﴾ [المائدة ٤٤]، أي بما طلب إليهم حفظه، والسر في هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد وأن هذا القرآن جيء به مصدقاً لما بين يديه ومهيمناً عليه[٣].

«وكم من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة تنفق في كل عام لمحو هذا القرآن وصدٍّ الناس عن الإسلام بالتضليل والبهتان والخداع والإغراء ثم لا يظفر أهلها من وراء ذلك إلا بما قال الله تعالى: ﴿**إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فيسنفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون**﴾ [الأنفال ٣٦]، ذلك بأن الذي يمسكه أن يزول هو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا»[٤].

إن أكبر مصيبة تحل بالمسلمين هو أن يُحال بينهم وبين كتاب ربهم وسنة نبيهم، وذلك عندما يُقرآن قراءةً لا تتأسس على أصول السلف ولا تستصحب معها رؤى العصر، إن ذلك عندما يحصل يجعل من المسلمين أمة بلا هوية، ويفقدهم الشهادة على الناس لأن الحياة لا تستأمر غائبين، ولا تستشهد مغيبين.

وإن من أكبر الجهاد إعادة تشكيل العقل المسلم وبناءه على معايير النصين

المباركين في كل شؤون الحياة الحاضرة والتي يعد الأدب المعاصر أحد أهم روافدها، وفي التجهيز المعنوي والأسلوبي للأدب ما يؤهله ليوفر المساندة الفعالة لتصحيح مسار الحياة الإسلامية، وإيقاف التداعي المؤسسي والخلل البنيوي في جهدها وجهادها، وإذا كانت أفعالنا أبناءً لأفكارنا فإن دور النص الأدبي في مملكة الفكر يأتي بعد النَّصِّ الشرعي مكوناً أساساً للبنية الثقافية للفرد والأمة، وفي الثقافة العامة والخاصة لأية أمة يكمن التفسير الدقيق لفعلها وانفعالها وتخلفها، ومن هنا فالأدب الذي يكون اليوم أسطورياً، سيكون غداً شخوصاً ودستوراً، ولكَمْ سمعنا عن نبيل يخال القرار يباعد الأجل فيتحرك محفوظه الشعري ليرده إلى قلب المعركة كما حصل لمعاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ [٥] والمتنبي.

وكم رأينا قائلاً يتوازى إيقاعه مع توقيع[٦] الأمة فيتوحد المرسل بالمتلقي ليصبح عمله الأدبي صوتاً قومياً كنونية عمرو بن كلثوم أو نشيداً إسلامياً كبائية أبي تمام (١٩٠هـ- ٢٣١هـ) التي جعلت مباشرة الخيار العسكري دليلاً على وجود الأمة وألقت بمؤسسة الكهانة في مزابل التاريخ.

وليست القصة أقل خطراً من الشعر في أثرها وتأثيرها، بل وفي إيثارها من القراء أكثرهم على بقية الأجناس الأدبية. ففي صياغتها النثرية ما يحرر المبدع من بعض القيود، التي قد تحدّ من تدفق أفكاره.

ولئن كان الشعر قد أطرب البشرية وأمتعها، فإن النثر قد بلغ مع هذين الهدفين أهدافاً كثيرة أخرى كالمعرفة والخبرة وتقطير التجربة. والنثر كما كان أسلوب الكتب المنزلة من الله عز وجل، هو أيضاً لسان الحياة الحديثة، (لأن الأديب فيه يكون أكثر حرية تجاه اللغة فهو ليس مقيداً بقيود التشكيل الموسيقي للشعر، والذي تقف فيه (أنا) الشاعر ولغته ورؤيته في الصدارة)[٧].

وهذا رأي كبار النقاد الذين يؤمنون بأن «لغة النثر حمالة للمضمون والمحتوى، وأن قيمتها فيما تحمله من أفكار للتخاطب، ولغة الشعر قيمتها

ذاتية، لأنها تهدف إلى توصيل معانٍ ومضامين، بقدر ما تشكله هي ذاتها من تعبير فني يقوم على التوزيع الصوتي والموسيقي، والقدرات التعبيرية الصورية أو المادية، أو الإيحاءات الكامنة الهائلة التي يمكن أن تفجرها الصور الشعرية في ائتلافها وتلاحمها أو في تعارضها وتنافرها»[٨].

(فالكلمة في الشعر تستخدم بطاقاتها التصويرية، والتشكيلية والإيقاعية، وليست مهمتها في الدرجة الأولى أن تحكي الحدث، إنما الشعر طاقة انفعالية وشعورية مكثفة إزاء موقفٍ ما أو حدثٍ ما)[٩].

أما القاصُّ فالمطلوب منه أن يختفي كلية وراء عمله، وأن يفسح المجال للشخوص كي تتحرك في علاقات محددة، وأن يدع الأفعال تترابط وتتحرك على مستوى معين، ثم أن يدع الحركة تنمو والزمن يتحرك من الماضي إلى الحاضر أو العكس، ومن الحاضر والماضي إلى المستقبل ثم عليه بعد ذلك أن يبرز المغزى البعيد الذي ينسج من حوله الأحداث وتطور الزمن وحوار الشخوص مع بعضهم بعضاً.

والكثيرون من المبدعين يؤثرونها أي القصة (لأنها أقدر الأنواع الأدبية على التأثير على الناس أفراداً وجماعات وطبقات وحقباً معاصرة وتاريخية)[١٠].

وبتقدم الأمم ثقافياً وفكرياً وإيثارها التأمل على الصوت والتحليل على الانفعال **فمن المحتمل في ظل ذلك أن تقفز القصة لتكون فن المستقبل،** وربما صارت الجنس الأدبي الذي يحتكر القراءة والقراء، إذ فيها من الشعر لغته، ومن المسرح قضيته. ومضامينها المختلفة تشكل لقرائها ومشاهديها ومستمعيها ـ عبر وسائل الإعلام ـ منظومة معرفية، ودستورية أخلاقية وذوقية، ومعايير محاكمة للذات والآخر أفراداً وجماعات أفكاراً وتيارات، ولو رحنا نحلل فكرياً وسلوكياً ثقافة الكثيرين لوجدناها غالباً تنحدر من مقروءاتهم القصصية، ولعل ذلك يجعلنا نفقه لماذا يأتي نجيب محفوظ في مقدمة المقروئين في مصر يتلوه الشيخ محمد متولي الشعراوي[١١] فهذه النتيجة

تفصح عن مكانة القصة والثقافة الشرعية وإن كنا نرجو أن تتقدم الثانية على الأولى.

إن القصة تفعّل الموضوع الماضي/الحاضر وتخصبه فنياً ليكون المستقبل، لأن الفنان حقاً لن يذهب إلى عرض الحياة في صورة فوتوغرافية ولكنه سيذهب إلى عرض صورة أكثر حقيقة وحيوية وكمالاً من الحقيقة نفسها. (وإذا كانت نقطة انطلاق الروائي هي عالم الواقع، فإن نقطة الوصول ليست هي العودة إلى عالم الواقع بل إنها إيجاد عالم مستقل له خصائصه الفنية التي تميزه عن غيره)[١٢]. وبرؤيتها المستقبلية تكون مسودة التاريخ ومخطط حياة الغد، يقول «أندريه جيد»: «لئن كان التاريخ رواية وقعت فعلاً، فإن الرواية تاريخ يمكن أن يقع»[١٣]، لأنها كما يقول الفرنسي الآخر «البير كامو القصة هي الواقع مصححاً»[١٤].

(وخلاصة القول إن لغة القصة إذا ما استخدمت بكفاءة بالغة تجعل الماضي واقعاً مُعاشاً، وتمتد بالحاضر إلى رؤية مستقبلية مشحونة بالتوقعات، كما إنها تحمل الإشعاعات العاطفية والفكرية)[١٥]. وإذا كانت القصة بهذه الخطورة فإن إنتاجها إنما يكون عبر التأليف أو من خلال الدارسة النقدية (لأن حكمنا على التجربة هو نفسه تجربة)[١٦].

هذه الإنتاجية لم تعد مغامرة فنية ومشاركة أدبية فحسب، بل مواجهة أداتها الكلمة المعبأة بالأسلوب المتشبع المتضلع بالمعمار الفني. وأنا لا أصطنع لأطروحتي مناخاً خيالياً فتكون مجتثة من فوق الأرض ما لها من قرار، بل أدعو القارئ الكريم ليتأمل أولاً كلمة القاص الرافضي اليساري العراقي المنشق عن روح الأمة عبد الرحمن مجيد الربيعي (إنني أكتب القصة لأطرح من خلالها موقفي السياسي والاجتماعي أي أنني كاتب ذو قضية، وإن وسيلتي الناجعة في التعبير عنها هي هذا الفن الصاعد، القصة القصيرة)[١٧].

ثم ليتأمل ثانياً: استعداء الناقد الماركسي/القبطي غالي شكري للقاصّ

يوسف إدريس تـ «١٩٩١م» على من يسميهم «الأصوليين» **وتهييجه** أن يترجم سخطه عليهم في أحد أعماله القصصية القادمة!!

— ٣ —

«وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما»[١٨].

لقد كان في هذه الحفاوة المبكرة من الرسول ﷺ بالقصة ما يؤهل هذا النوع الأدبي، لتتأوج مكانته، وليحتل المنزلة المناسبة لعطاءاته التربوية والجمالية والمعرفية فنسبة القصة في القرآن الكريم إلى غيرها من الموضوعات ما يعزز هذه المكانة إذ نجد أن المساحة التي شغلتها (من كتاب الله كانت مساحة واسعة، ما نظن أن موضوعاً آخر. كآن له ما كان للقصة من نصيب، فالقصص القرآني لا يقل الحيز الذي شغله من كتاب الله عن الربع إن لم يزد قليلاً)[١٩].

وتجد في آيات القرآن الكريم من قواعد القصِّ في الشكل والمضمون والمتبوع بالنموذج التطبيقي ما يرفد هذا الفن ويضع بين يديه صُوى[٢٠]، ليسترشد بها مبدعو الفن القصصي، فقد وصف الله تعالى القرآن بقوله: **﴿الله نزل أحسن الحديث﴾** [الزمر ٢٣]، ووصف قصصه بأنها **﴿أحسن القصص﴾** [يوسف ٣]، وقد يكون الحديث عن القصة أكثر تفصيلاً، في قوله عز اسمه: **﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب، ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾** [يوسف ١١٠]. وقوله عز اسمه: **﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾** [هود ١٢٠]. فالتاريخ كما هو مدون ومكون للقص مقصود له[٢١]، والقرآن الكريم لا يسرد التاريخ سرداً آلياً، بل يعرضه بأسلوب يتجاور فيه الحق والجمال، ويتحد معه الشكل بالمضون فيُشبع الذائقة الأدبية بلغته الجمالية، ويترع الواعية المعرفية **بحقائقه** النهائية، وإخال أن الموسوعات التاريخية الإسلامية ـ في أسلوب تدوينها التاريخي ـ لم تكن بمبعدة عن

النهج القرآني ولا سيما في كتابي «الرسل والملوك» لابن جرير[٢٢] و«البداية والنهاية» لابن كثير[٢٣].

فقد كان علمهما بالتفسير يترك بصمات واضحة على عملهما في التاريخ والعكس صحيح أيضاً، كتبا كمؤرخين وأديبين ومسؤولين تجاه دينهما وأمتهما، وتناثرت في سفريهما لوحات موحية ولمحات مورقة، لا تمر بالحدث مروراً محايداً، ولا تباعد بين العلم والعقيدة بدعوى الموضوعية، وهكذا تكون عطاءات القرآن الأسلوبية، ثروة معرفية أخرى من كنوز هذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه.

وإذا كان قارئ الرواية ينتقل من موضعه إلى عوالم شتى من صنع الروائي نفسه[٢٤]، فإن دراسة قصة مثل قصة موسى[٢٥] عليه السلام تفتح عين القارئ على ملحمة صادقة لهذا الرسول عليه السلام منذ ألقت به الأم في لجة اليم إلى أن تمكنّ بسلاح الكلمة أن يثل عرش طاغية كان قد أعلن في لحظة مظلمة من تاريخ البشرية ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾ [النازعات ٢٤]، وبين لحظة الميلاد ونهاية الحياة تطوف بنا الآيات بين مصر والشام وشمال الجزيرة (مدين)، وهي تتابع مسيرة هذا الفتى قبل أن ينبأ، والذي كان في نفسه شديد الغضب وتوقفنا على شهامته ونخوته عندما يسقي لبنات شعيب عليه السلام، ولا تأخذه العزة بهذه اليد التي يسديها إلى الفتاتين بل ينجلي شكره على هذه النعمة بهذا الحوار مع النفس ﴿**ربِّ إني لما أنزلت إلي من خير فقير**﴾ [القصص ٢٤].

وتستدعي الآيات إلى أبصارنا مسيرة ابنة شعيب عليه السلام تدعو موسى عليه السلام بحديث خال من تبرج الكلمات، ليلقى والدها عليه السلام، فيعرض عليه شعيب* أن يجزيه أجر ما سقى لابنتيه، فيجيبه موسى عليه

* الراجح أن والد الفتاتين في سورة القصص ليس النبي شعيباً كما هو شائع عند كثير من المفسرين لأن شعيباً لم يكن معاصراً لموسى عليه السلام.

السلام: (إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهبا، ولانأخذ على المعروف ثمنا)، فيعقد له على إحدى ابنتيه مقابل أن يسترعيه ثمان حجج، وبذلك يدخل مدرسة الأنبياء: (عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم. فقال صحابته: وأنت؟ فقال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة)[٢٦].

هكذا تكون تربية الأنبياء، إنهم ليسوا مثل أولئك الواثبين على السلطة أو المستقدمين إليها دونما رصيد وتدرج في سلم المسؤوليات، فمن رعاية موسى عليه السلام للمواشي، (اكتسب الكثير من حكمة النبوة، فلما حان موعد سيناء كان مهيئاً للنهوض بالعبء الذي لا يصلح له إلا (أولو العزم)[٢٧].

ونتابع سيرة هذا النبي عليه السلام في آيات القرآن التي تنقل لنا: مواجهته للكفر المؤسس بفرعون ودولته وما فيهما من سحر ومكر، وتصديه لليهود الذين كانوا الخصم الألد[٢٨] لدعوته ولكل داع ودعوة، ولقارون وثروته التي وظفت للصدِّ عن سبيل الله؛ وغير ذلك من الموضوعات الرئيسية والقضايا الجانبية، خلال حياته التي امتدت حتى بلغت عشرين ومائة سنة)[٢٩]، هذا الزمن الفلكي الممتد يختصر إلى أبعد حد في (زمن القص) المذكور في السور القرآنية المباركة، هذه الشخصية التي تبدأ حياتها بفتوة عارمة تسخرها لطاعة الله عز وجل تنتهي أيضاً كذلك مع ملك الموت: فقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه..»، الحديث[٣٠].

هذه السيرة العطرة جعلت رسولنا محمد ﷺ يتنازل تواضعاً أمام إنجازاتها النبوية الفذة فيقول: بأبي هو وأمي (لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله)[٣١].

مكتبة البحث:

١- قعساء: يقال عزةٌ قعساء: ممتنعة ثابتة. المعجم الوسيط ٧٤٩/٢ . قام بإخراج هذه الطبعة: د. إبراهيم أنيس، د. عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، دار إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر*.
٢- ن.م رقم ١ ٨٨٢/٢ . ومعنى ن.م: نفس المصدر أو المرجع المكنة (بضم الميم) القدرة والاستطاعة، القوة وبشدة.
٣- النبأ العظيم، ص ١٣-١٤، د.محمد عبد الله دراز، دار القلم الكويت، ط.م ١٣٩٠هـ.
٤- ن.م رقم ٣، ص ٤٤ .
٥- في كتاب أيام العرب في الإسلام، تأليف: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد اليحياوي - دار إحياء التراث العربي/بيروت و ١٣٨٨/٣ ص ٣٦٢، (لم يزل الاشتر في هجمته حتى وصل إلى حرس معاوية، وكان معاوية يقول: أردت في هذا الوقت أن انهزم فذكرت قول ابن الأطنابة:

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... وإقدامي على البطل المشيح

وإعطائي على المكروه مالي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وقولي كلما جشأت وجاشت: ... مكانك تحمدي أو تستريحي

فمعني هذا القول من الفرار وفي (نضرة إلا غريض في نصرة القريض) للمظفر العلوي/٣٥٧، يقول معاوية رضي الله عنه: (علموا أولادكم الشعر، فإني أدركت الخلافة، ونلت الرئاسة، ووصلت إلى هذه المنزلة بأبيات ابن الأطنابة).
٦- التوقيع نوع من السير المعجم الوسيط ١٠٥٠/٢" .
٧- الرواية وفن القص/وهو عنوان عدد لمجلة فصول/المجلد الثاني، العدد الثاني، يناير-فبراير-مارس، ١٩٨٢ ص ١٤ .
٨- ن.م/٧، ص ١٠٩، مجلد ٥، عدد ٤، ١٩٨٥م.
٩- نقد الرواية، د.نبيلة إبراهيم سالم، النادي الأدبي، الرياض، ١٤٠٠/١٩٨٠م ص ١١ .
١٠- ن.م ٧، ص ١٨٢، عدد ٣٠، ١٩٩١م.
١١- حديث الثلاثاء، ٣٤١/٢، أحمد عبد المعطي حجازي، دار المريخ للنشر الرياض.
١٢- سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير بيروت، ط أولى ١٩٨٥، ص ١٠٥ .
١٣- من بحث مخطوط لكاتب المقال بعنوان: خواطر عن القصة في القرآن الكريم، ص ٩ .

*- المعجم الوسيط غير موثق وأغلاطه كثيرة ولا سيما في الطبعة الأولى - (البيان) -

١٤- المصدر نفسه.
١٥- ن.م ٤٤/٧، نقد الرواية.
١٦- قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر ص ٢٠، د.عز الدين إسماعيل، الناشر: دار الفكر العربي ١٩٨٠م.
١٧- مجلة فصول، عنوان العدد، الأدب والأيدلوجيا، ص ١٠٨، مجلد ١٥ عدد ٤ ١٩٨٥م. ويعلق كاتب المقال على إجابات بعض الكتاب عن أسباب كتابتهم القصة فيقول:لست أدري لماذا جاءت هذه الآراء الحجولة (لأنها تتحدث عن غياب المغزى عن مخططهم الأدبي ارتقاء بالفن عن أية غاية!!) ويعلق على كلام الربيعي بقوله: ألا ما أجمل الوضوح والبساط بغير معاظلة ولا التواء.
١٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤١٠/٨، والكتاب للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية، وبمناسبة النص: أن رسول الله ﷺ قص على اصحابه قصة موسى والخضر عليهما السلام فلما بلغ قوله تعالى: ﴿**هذا فراق بيني وبينك**﴾ [الكهف] قال: وددنا أن موسى..) الحديث.
١٩- القصص القرآني، إيحاؤه ونفحاته، ص ١٠، د.فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان ط١.، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٢٠- المعجم الوسيط ٥٣٠/١، الصُّوَى:ما نصب من الحجارة ليستدل به على الطريق، ج: صُوى وأصواء.
٢١- في كتاب قضايا التكرار في القصص القرآني، د.محمود زلط، ط.أولى، دار الأنصار بالقاهرة ١٣٩٨هـ. رأي غريب وهو: القرآن لا يهدف إلى التاريخ، وينقل هذه الجملة عن فضيلة الإمام الشيخ محمود شلتوت في كتابه تفسير القرآن الكريم ص ٥٧٣ .
٢٢- ابن جرير، الطبري، تـ ٣١٠هـ.
٢٣- ابن كثير تـ ٧٧٤هـ.
٢٤- ص ٩٩ من المرجع رقم ١٢ بناء الرواية.
٢٥- تفسير الكشاف. للزمخشري المعتزلي، ١٥٩/٣ قريء موسى.
٢٦- فتح الباري ٤٤١/٤، ورقم الحديث ٢٢٦٢ كتاب الإجارة رقم ٣٧ باب ٢، رعى العنم على قراريط.
٢٧- نظرات تحليلية في القصة القرآنية، محمد المجذوب، ١٢٠/١٩٠ .
٢٨- الألد: الخصم الجدل. المعجم الوسيط ٨٢١/٢ .
٢٩- فتح الباري ٤٤٢/٦ .
٣٠- فتح الباري ٤٤٠/٦ .
٣١- فتح الباري ٤٤١/٦ .

إسلامية الأدب كيف ولماذا؟؟

عبد الرحمن صالح العشماوي

الشبهة السادسة:

تُثار هذه الشبهة منذ زمن بعيد بالصيغة التالية: الأديب العالمي هَو الذي يتخلص من «النظرة الأحادية» إلى العالم من حوله، فتكون له رُؤاه المتعددة القائمة «على مرونته» في التعامل مع الأفكار والمبادئ الأخرى، والأدب الإسلامي يقوم على «النظرة الأحادية» التي لا تتحقق معها الرؤية العامة والعالمية.

أما هذه الأيام، فإن هذه الشبهة تثار بعينها، ولكن بأسلوب آخر فيقال: النظام العالمي الجديد ينادي بثقافة عالمية موحدة لا فواصل بين العقول والأفكار فيها، فالناس جميعاً ينتمون الآن إلى ثقافة واحدة تقوم على فكرة «الإنسانية**» التي لا تعرف الحدود، والأدب الإسلامي بنظرته الأحادية يدعو إلى التميُّز، وإقامة الفواصل بينه وبين الآدب العالمية المخالفة له في الوجهة الثقافية.

هكذا تثار هذه الشبهة، فما موقفنا منها؟؟!

*- نشرت خمس شبهات في الأعداد السابقة «المحرر الأدبي - البيان».

**- لقد طرح الشيوعيون من قبل فكرة «الأممية» ونتيجتهم ما شاهدناه لا كما زعموا «المحرر الأدبي - البيان».

أولاً: نؤكد أنه لا تعارض بين «أحادية النظرة» وتعدد الثقافة ومصادر الفكر في حياة الإنسان السّوي، ولذلك فإن من الخطأ الكبير ما يقال عن حيلولة النظرة الأحادية دون تعدد مصادر ثقافة صاحبها، فالثقافة بمعناها العام ليست حكراً على أحدٍ من البشر، والإطلاع على العلوم والأفكار المختلفة شيء، والمرونة القائمة على الذوبان في تلك الأفكار شيء آخر، والأدب الإسلامي قائم على تصور إسلامي واضح لا غبار عليه، ولا يجيز لنفسه أن يتركه بدعوى تعدد **الرؤية الثقافية، ولكنه مع ذلك يؤمن بأن «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحقُّ بها».**

ثانياً: أحادية النظرة بهذا المعنى ـ الذي ألمحنا إليه ـ هي الطريق السليم إلى التميز عن الآخرين؛ التميز في الفكر، وأصول الثقافة، وقبل ذلك كله «في الاعتقاد» أي في «الدين». وإذا كان هذا التميز مطلباً فطرياً في الإنسان، وهدفاً تسعى إليه الأمم والشعوب في ظلّ أفكارها ومبادئها الخاصة بها، فإنه مطلبٌ شرعي أساس في دين الإسلام.

يقول الله تعالى: ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ [الروم ٣٠]. وهذه الآية صريحة كل الصراحة في رسم إطار التميز للإنسان المسلم وهو تميز فريد ذلك لأن الله قال: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب**﴾ [آل عمران ١٩].

إذن فالدين الإسلامي هو الدين الذي دعا إليه الأنبياء جميعاً، وهو قائم على رؤية متميزة كل التميز عن الرؤى العقدية والفكرية والثقافية التي تقوم عليها المذاهب البشرية الوضعية، بل والديانات السماوية المحرفة وهذا التميز يقوم في أساسه على «رؤية واحدة» لا يجوز للمسلم الحق أن يتزحزح عنها قيد أنملة، ولا يصح له أن يستقي أصول ثقافته وفكره وأدبه من سواها، ولهذا قال الله تعالى

لنبيه عليه الصلاة والسلام بعد هذه الآية: ﴿**فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم، فإن أسلموا فقد اهتدوا، وإن تولَّوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد**﴾ [آل عمران ٢٠]. وهذه الآية صريحة كما نرى في تأكيد «الرؤية الواحدة» مهما اختلفت الرؤى، ومهما أصر أصحاب التعددية الفكرية على مواقفهم، ذلك لأن هذه الرؤية الواحدة هي التي تبني «القاعدة الأم» لفكر الإنسان وثقافته وأدبه ﴿**فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن**﴾ [آل عمران ٢٠]، أي: أن أولئك الذين يعترضون على هذه القاعدة الصلبة والرؤية الواحدة قد يحاجّون الرسول عليه الصلاة والسلام فيها، فإذا حاجّوه فإن عليه ــ بأمر من الله ــ أن يعلن لهم الثبات عليها دون تردُّد أبداً، فإذا ما تولَّى أولئك فأمرهم إلى الله وهو بصير بعباده..

وهذه المعاني التي يغفل عنها كثير من نقاد الأدب المسلمين المعاصرين هي القاعدة التي يقوم عليها التصور الإسلامي في أدبنا.

ويبرز هنا سؤال هو: هل تتعارض هذه القاعدة، وهذا التصور مع تنويع مصادر ثقافة الأديب الإسلامي؟؟

الجواب الذي لا احتمال لغيره: كلا.. ثم كلا.. فالأديب المسلم مطالب بالإطلاع على الثقافات المختلفة وأساليب الأدب المتعددة، مع أن له نظرته الموحدة القائمة على تصوره الإسلامي الثابت. ومن هنا ندرك أن شبهة التميز المثارة هي خاصية يتميز بها الأديب الإسلامي عن سواه، ويسلم بها فكره وأدبه من الاضطراب، والذوبان، والسير الأعمى وراء كل ناعق ثقافي أو أدبي يدعو إلى التعددية الثقافية الشوهاء.

وإذا كان التميز مطلباً إسلامياً بناءً على نصوص القرآن والسنة المطهرة فإنه قاعدة لا بد من الاتكاء عليها في مواجهة انحراف الثقافات والآداب الأخرى، وهو أيضاً قاعدة يمكن أن ينطلق منها الأديب الإسلامي إلى العالمية. فالعالمية في

الأدب لا تعني انفلات الأديب من قيمه وملاحقة المذاهب والأفكار الأخرى المنتشرة في العالم ملاحقة التابع المقلد، ولكنها تعني الانطلاق من رؤية خاصة وقاعدة أدبية مستقلة إلى آفاق إنسانية رحبة..

إن الشاعر الإسلامي محمد إقبال ـ رحمه الله ـ هو الذي أوصاه أبوه أن يقرأ القرآن، وهو الذي تناول في شعره قضايا عالمية كبرى تحققت له بها العالمية التي نتحدث عنها. فهل كان التميُّز عقبة في طريقه؟؟[1].

وكذلك «شاعر الإنسانية المؤمنة» عمر بهاء الدين الأميري ـ رحمه الله ـ لم ينطلق إلى دوره الشعري العالمي من تقليد أعمى لشاعر غربي أو شرقي، وإنما انطلق إليه من ديوانه الأول «مع الله»، إنه التميز الذي يحققه الأديب الإسلامي على وعي وبصيرة، وهذا التميز هو الذي يحمي الأديب الإسلامي من الانخداع بدعاوى النظام العالمي الزائفة، فيقف أمام هذه الدعاوى شامخاً، ويفنِّدها ويبيّن للأجيال زيفها وتضليلها، وهو بذلك يسلم من تلك الرؤية الزائفة التي يرى بها ـ بعض الأدباء المنحرفين ـ أحداث العالم المعاصر..

يتناول الأديب الإسلامي القضايا الكبرى تناولاً واعياً فإذا تحدَّث عن النظام العالمي الجديد تحدث عنه حديث الواعي الذي يدرك أنه استعمار صليبي وهيمنة غربية جديدة. بينما نجد مِنْ أدباء ونقاد العرب ـ ممن يتنادون إلى التعددية الثقافية والفكرية الزائفة ـ مَنْ يرى النظام العالمي الجديد وسيلة من وسائل التقدم لأمتنا. فها هو لطفي الخولي يقول في كلمة ألقاها في مهرجان أصيلة الأخير: «النظام العالمي الجديد سيفرز ثقافة جديدة تحاول إنقاذ العالم من أهم أربعة أخطار وهي القنبلة النووية، ومشكلة تلوث البيئة، وتفجر الصراعات العرقية، ومشكلة الفقر»[2].

ويبدو أن هذا الكاتب «المثقَّف*»؟!.. لم ير ما يجري في البوسنة والهرسك

١- راجع كتاب «إقبال الشاعر الثائر» لنجيب الكيلاني ص ١٥ وما بعدها.

٢- انظر جريدة عكاظ، ملحق دنيا عدد ٥٢ الثلاثاء ٢٠ صفر ١٤١٣ هـ.

* الذين يلبس لكل بلاد لبوسها، ولو من باب التقليد الأعمى «المحرر الأدبي - البيان».

ولم ير الهياكل العظمية التي تعرضها وسائل الإعلام في الصومال الجريح، ولم يفهم معنى التآمر العالمي على الجهاد الأفغاني، ولذلك كانت صورة النظام العالمي في ذهنه صورة حسنة.

وبمثل هذا الوعي الناقص قال أحد أبناء الجزيرة العربية التي انبثق منها نور الإسلام المتميز: «إن النظام العالمي الجديد يستوجب تفكيراً جديداً، رائده هو كيف «نتأقلم»[1]. وكأنه يريد أن نصنع ما تصنع الحرباء ذات التعددية في اللون حيث أنها تغير لونها على حسب الموقع الذي تكون فيه.

إن الأديب الإسلامي يظل بمنجاة من هذا التخبط لأن التصور عنده إسلامي قائم على تميُّز في الفكر والثقافة والأدب، وليس معنى هذا التميُّز أن يكون الأديب الإسلامي غائباً عما يجري في هذا العالم ـ كما قد يخطر ببال البعض ـ كلَّا فإن رؤية هذا الأديب أعمُّ وأشمل، وهنالك قدر مشترك من القضايا والمواقف بين أدباء العالم على اختلاف أفكارهم وثقافاتهم ومعتقداتهم، مع وجود الفوارق التي تميِّز بعضَهم عن بعضِهم.. فالحديث عن المظلومين والمشردين، وتصوير آهات اليتامى والثكالى.. والحديث عن العدل وقيمته، والحرية وأثرها إلى غير ذلك من القضايا، كل ذلك من الأمور المشتركة بين أدباء العالم، أما التميُّز والنظرة الموحدة إلى الأمور فمن أهم خصائص الأدب الإسلامي الذي تضرب جذوره في تربة الإسلام الخصبة النقية..

وختاماً أنادي كل اديب وناقد يتخذ موقفاً سلبياً من الأدب الإسلامي أن يتخلص من هوى نفسه، وأن يدرس حقيقة هذا الأدب دراسة موضوعية منصفة، فإذا فعل الأديب ذلك فإنني أبشره بزوال غشاوة الشُّبه المثارة حول هذا الأدب عن عينيه، وعندها سيرى أن الأدب الإسلامي هو سفينة النجاة للأجيال المسلمة في هذا الخضمِّ المائج من المذاهب الأدبية الزائفة المنتشرة في عالم اليوم.

١- انظر جريدة عكاظ، الثلاثاء ٢٠ صفر ١٤١٣هـ.

قصيدة عن حُبٍّ قديم

د. صالح الزهراني

تِسعونَ قرناً، في هواك غريقُ | مِنْ بعد هذا العُمر كيف أفيقُ
يا أيها الوجهُ الذي أحببتُهُ | مَن أينَ يبتدىءُ الحديثَ مَشوقُ
تسعون قرناً، كان حبُّك رايتي | ولمثل عينيك العذاب يروقُ
تسعون عاماً، والقصائدُ شُرَّعٌ | والليل نزفٌ، والفؤاد حريقُ
ما قلت: يا أمي الحبيبة، خانني | قلبي، فقلبُ المستهام صدوقُ
ما قلت.. أعلم أن حُبَّك واجبٌ | وعليَّ في هذا الجهاد حقوقُ
كانت تضيقُ بِي البسيطةُ كلّها | ونفوسُ مَنْ حَفِظَ الودادَ تضيقُ
ويظل هذا الوجه غايةَ رِحلتي | والحرفُ حُرٌّ، والنّشيدُ سبوقُ
والشّعر منكوس البيارقِ، لم يزلْ | والبيت فيه عناكبٌ وشُقوقُ
يتسابقون إلى القصيد جحافلاً | تترى، وكُلٌّ خَانَهُ التّوفيق

وأَتيتِ فوقَ مطالعي شَمْسَ الضُّحى | وعليَّ مِنْ حُلَلِ الضّياء بُروقُ
وقصيدتي من طُهْرِ وَجْهِكِ تَزدْهي | في كُلّ حرفٍ نضرةٌ.. ورحيقُ

* * *

وأتيتِ يا وجْهَ الحياةِ، على فمي | شجرٌ له في الخافقين عروقُ
وأتيتُ ما ضيّعت عهد أميرتي | فالعهدُ في لغةِ القلوبِ وثيقُ
يا عُنفوانَ الشِّعرِ حين أهزُّهُ | والخطبُ هوْلٌ، والمدارُ نعيقُ
تتخشَّبُ الكلماتُ، يصبح عَذْبُها | شَجناً، فيا لِلْمُرِّ حين أذوقُ

* * *

أمّي الحبيبة، يزدهون ببِرّهم | والبرّ في هذا الزمان عقوقُ
أسرجتُ ظهر الشِّعر قلتُ لك اركبي | وركبت والمُهْر الحرون عتيقُ
تسعون قرناً، ما تراخى عزمُهُ | فكأنَّه من حُرقتي مخلوقُ
واليوم يا نهرَ الجلال وسيفُنا | خشبٌ وفارسُنا العظيم مَعوقُ
ما غيَّر الفكرُ الجديد مواقفي | فالبعدُ بين الموقفينِ سحيقُ
أنَّى أبيعك للظَّلام، ولِلْخَنَا | ضِدان ليلٌ أليلٌ وشروقُ
يتكالبون على جِراحِكِ، ما دَرَوْا | أنَّ الكريمةَ دونها العيُّوقُ
ما ضرَّني لجبُ العُداةِ وحشدهم | وَرَقُ العُداةِ بأرضنا محروقُ
ما ضرّني إلا بَنُوْكِ تطاحنوا | ماذا إذا طَحَنَ الشّقيقَ شقيقُ؟!
في كلِّ قارعةٍ يُجالِدُ مَجْدَنا | باسم الحضارةِ خائنٌ زنديقُ!

* * *

«يا عالمي العربيُّ» أين عُروبةٌ؟ من نَسْلِها الصّدّيق والفاروقُ

«يا عالمي العربي» أيُّ عُروبةٍ؟ «والقبلة الأولى» دَمٌ وشَهيقُ

«يا عالمي العربيُّ» أيُّ عروبةٍ؟ في القلبُ حقدٌ ،والكساء فسوقُ

«يا عالمي العربيُّ»، كُلٌّ يدعي صدق الصّديقِ وما هناك صديقُ

ضيعت مبدأك العظيم، وليس في عصر المدراهم للبطالة سوقُ

دعْ هذه الألقابَ، دينك واحدٌ دينُ المحبَّةِ ليس فيه فُروقُ

من «قندهارَ» إلى «الرصافةِ» وحدةٌ «بيمار» يشرب من شَجَاهُ طُوَيْقُ

* * *

إنّي لألمح في يمينك رقدةً والكفُّ حتفٌ والحسامُ ذليقُ

ما خانَ هذا الكفَّ إلّا ماكرٌ والمكرُ بالقلبِ الخؤوفِ مُحيق

* * *

يا فجرَنا الميمون ضَوْؤُكَ قادمٌ مهما يُعَشْشُ في العيون بريقُ

والأفق في عينيك يا محبوبتي معشوشبٌ، غضُ الإهابِ، وريقُ

* * *

تسعون قرناً والجراح مُربّةٌ والوجهُ يندى، واللسان طليقُ

ما كلَّ زندُك، يا أميرةَ أحرفي زند العظيمةِ بالعظام خليقُ

ورحلتِ يَصْفَعُكِ العُبابُ بِكَفِّهِ ويعوقُ سَيرَكِ عاصفٌ ومضيقُ

وبلغتِ كان بلوغُ أمركِ آيةً ولمن نجا فوق السّيوفِ طريقُ!

* * *

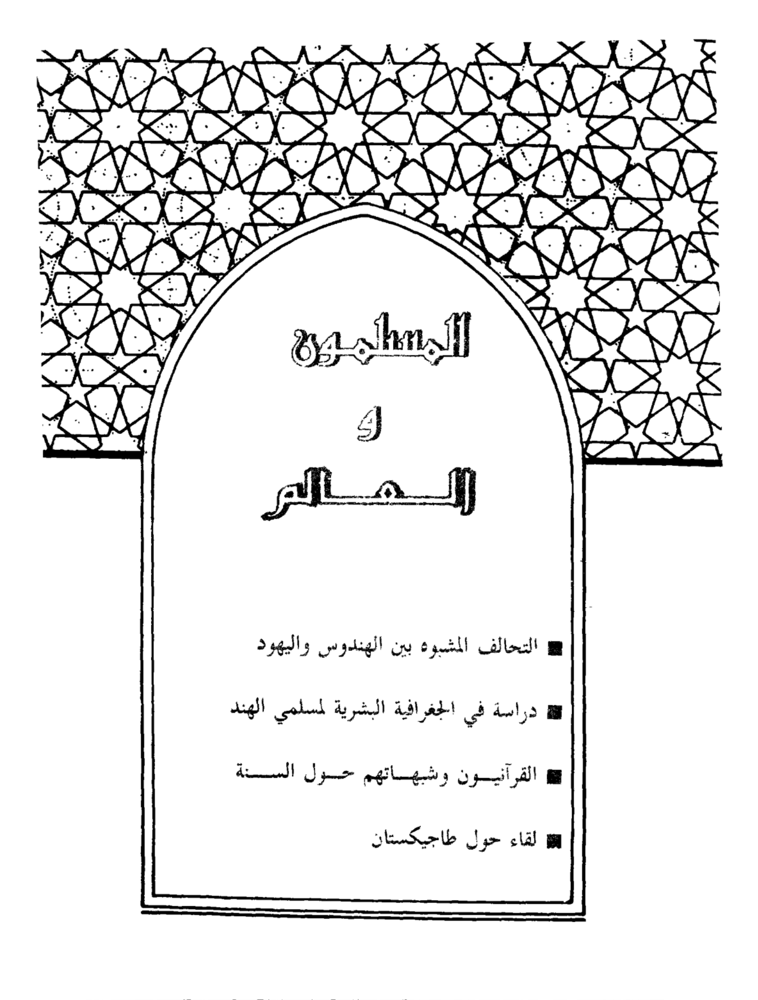
سراي ايفو = سراي البوسنة

محمود السيِّد الدغيم

سراي ايفو سرايِيفو
إذا ما قعقعَ المدفعْ
ورددتِ الجبالُ الشُّمُّ أصداءَ انفجاراتِ
وعاثَ القصفُ بالأرواح فاضطربتْ
وأصبح شعبُك المنكوبُ مُحتجزاً ومُغْتَصَباً
كما احتُجِزَت رُبوعُ القدس بل أرض النبواتِ
فلا تدعي إلى الميدانِ أعراباً ولا عربا
لأنَّهم طوال الوقت مشغولونَ بالأفيون بالقاتِ
لقد أعموا عيونَهُمُ عنِ الماضي عَنِ الآتي
وناموا في فراشِ الذلّ ما اختلجتْ
جوارِحُهُمْ
بل انتشرتْ
فضائِحُهُمْ

وصبَّ الصِّربُ حِقْدَهُمْ، وصوتُ رصاصِهم لَعْلعْ
لقد خانوا كما خانتْ جهاتُ العالم الأربعْ
وغاب الخبزُ، غاب الأمنُ، غاب الحبُّ، غاب العُرْبُ، غاب العدلُ
والإنصافُ والإسلامُ واكتأبتْ قلوبُ الناسِ وانحسرتْ
عن المأساةِ أفواجٌ وأفواجٌ، من التعتيمِ والتضليلِ والدجلِ
وفاضتْ أدمعُ الأملِ
وسادتْ موجة الإحباط وانتصرتْ
وماتت ثُلة الأطفال وانطفأتْ
بأعينهمْ خيوطُ النورِ للأبدِ
لقد حُرِقوا وأذرعهم مُشَبكَةٌ على الصَّدرِ
أمامَ الفرن ينتظرون تحتَ القصفِ والتجويعِ دهراً لقمة الخبزِ
وناغاهم حمامُ الجامع الباكي
وَرَدَّدَتِ اليمَاماتُ التي في الجامع المأسور صرخَتَهُمْ
وعمَّ هديلُها الأنجادَ والوديانَ كالطوفانِ كالبحرِ
هديلٌ يوقِظُ الأشجانَ يا أبناءَ أُمَّتِنا
تُكرِرُهُ صَحافتُنا إذا قُمنا إذا بِتْنا
وخالطنا من الأوهام ما يُوْهي عزيمَتَنا
وما يُدمي كرامتَنا التي طُعِنَتْ
بمديةِ مجلس الخوفِ الذي سَموه مَيْناً «مجلس الأمنِ»
بِسَهم عصابةِ الأُمم، وخائِبها الرخيص الأصل والفصلِ
تُرى هل تُحفظُ الأنسابُ إنْ خَضَعَتْ لأمرِ الحاقدِ النّغلِ؟
بلا شكٍ يُدَنِّسُها ـ وَضِيْعُ النَّهج ـ بالوحلِ
ويقتلُها كما قُتِلَتْ سرايِيفو بِخُطّة «مجلسِ الأمنِ»
بخطةِ مجلسِ الأقباط والرومِ

بخُطة «مجلس الكرواتِ والصربِ»
وَكَرَّرَتِ الإذاعاتُ التي في الشرقِ والغربِ
صدى صوتِ الحماماتِ التي ناحت
وناحَ الغصنُ
ناحَ البرجُ
ناح الجسرُ والدوحُ
فلم يُجْدِ النّواح الناسَ وانْصَبَّتْ قنابِلُهُمْ
وغطت نَوحَ من ناحوا من التُّجارِ قعقعةٌ
وفاضَ القصفُ، ماجَ الجمعُ والمجموعُ واجتمعتْ
أمام الفرن والفران جَدَّاتٌ وأحفادُ
وعضَّ الجوعُ أكبرَهم، وأصغرَهم
فَجمَّعهم، وأرسلهم إلى الفرنِ وحاصرهم ليستمعوا خطاب الكافر الأكبرْ
وخاطبهم خطيبُ الضّرب بالبارود والمدفعْ
فلم ترجعْ ـ بُعَيْدَ القصفِ ـ كوكبةٌ من الجوعى إلى المهجعْ
لقد كُتبتْ بلون الدمّ ملحمةٌ أمامَ الفرنِ تُنبي عَنْ تَخاذلنا
ستحملها إلى الأجيالِ أجيالٌ وأجيالُ
سَتَشْتُمُنا سلالتنا إذا قرأتْ وقائعنا
إذا عرفتْ مواقفنا تواطؤنا
إذا عرفت تخاذلنا
لقد كِلْنا كما كالوا بمكيالين واغتلنا كرامتنا كما اغتلنا ديانتنا حضارتنا
لقد نمنا كأهلِ الكهفِ بل أكثر
وقعقع مدفعُ الأعداء بئس الضِّدّ والمدفعْ



- التحالف المشبوه بين الهندوس واليهود
- دراسة في الجغرافية البشرية لمسلمي الهند
- القرآنيون وشبهاتهم حول السنة
- لقاء حول طاجيكستان

التحالـــف المشبوه بين الهندوس واليهود

أحمد بن عبد العزيز أبو عامر

بعض الأقطار العربية في عصورها الأخيرة تحت مظلات الحكومات العربية العلمانية التي جعلت من صداقة (الهند الوثنية) واحدة من ثوابتها السياسية العقيمة؛ تارة تحت عنوان (تجمع دول عدم الإنحياز) وتارة تحت عنوان (تجمع دول العالم الثالث) وربما وقفت تلك الحكومات في صف حكومة الهند (الهندوسية) ضد مصالح دول إسلامية كالباكستان، وضد مصالح شعوب إسلامية في جامو وكشمير. وسكتت عن تدخلاتها في مصالح ذلك البلد وذلك الشعب المسلم وما يعانيانه من حملات عنصرية وهمجية كما حصل عند اكتساح الهند لولاية (حيدر أباد)، و(جامو وكشمير) و(جوكانده). بينما ميول حكومة الهند الهندوسية هي العداء لكل ما هو إسلامي عامة وللشعب الباكستاني خاصة وبالرغم من ادعائها (الحكم العلماني في الهند) إلا أن ميولها، وحكم الأحزاب الهندوسية لها يجعلها تسكت، وربما ترعى كل المؤآمرات التي يحركها الهندوس ضد المسلمين في الهند من قتل وهدم وتشويه لتاريخ الإسلام، وهجوم على تعاليم الإسلام في المقررات المدرسية، وليس آخرها هدم (المسجد التاريخي المعروف بالبابري) وما تبعه من هدم العديد من المساجد الأخرى، والقتل والتشريد للمسلمين

هناك. وجل إخوانهم المسلمين بعيدون كل البعد عن نجدتهم ونصرهم.

العلاقة بين اليهود والهندوس:

قلّ مَنْ يعلم بوجود حلف بين الهندوس واليهود، مَهَّدَتْ له بريطانيا رغم تأليف العديد من الدراسات العلمية، والوثائقية التي تفضح ذلك الحلف الخطير، وترجمت إلى اللغة العربية إلا أنه قلَّ من يعرفها وبخاصة الصفوة المثقفة، والمتنفذين من الساسة والإعلاميين العرب، وسأذكر ثلاثة مصادر في هذا الموضوع وهي أهم مراجعي في هذه المقالة.

١- الحلف الدنس: التعاون الهندي الإسرائيلي ضد العالم الإسلامي: تأليف الأستاذ محمد حامد[١].

٢- مؤامرة الصهيونية والهندوكية على المسلمين لنفس المؤلف وهو أشبه ما يكون بملخص للكتاب السابق.

٣- علمانية الهند: للأستاذ شريف المجاهد، عميد كلية الصحافة في كراتشي[٢]، وكل تلك الكتب نشرت بعناية وتقديم الأستاذ (إحسان حقي) وقبل بيان أوجه التحالف المشبوه بين الهندوس واليهود نرجع إلى تاريخ العلاقة القديمة كما سجلها كتاب الهندوس المقدس (منو سمرتي)[٣] لنعلم التشابه بين الديانتين، وسر التآلف والتحالف بينهما، وذلك الكتاب يعني (شريعة منو) أحد آلهة الهندوس المزعومة. وفيه يجد القارئ كل ما يجب أن يعرفه عن الديانة الهندوسية وزيفها وأحكامها وأهلها، وهذا الكتاب ترجمه العلامة (إحسان حقي) للعربية، ووضّح: انه عقد مقارنة بين هذا الكتاب والشرائع السماوية الثلاث (اليهودية والنصرانية والإسلام) وتبين له بجلاء أن الهندوسية هي صنو الديانة اليهودية في (توراتهم المحرفة) وكأنهما من أصل واحد مع اختلافات يسيرة لعلها نتيجة من نتائج تقادم الزمان، وتغير المكان، ومن أبرز سمات التشابه بين الهندوسية واليهودية ما يلي:

١- اعتقاد الهندوس أنهم شعب الله المختار، والنظر لغيرهم ـ وخاصة المسلمين ـ نظرة احتقار وإهانة، وهذه الدعوى معروفة عند اليهود.

٢- تقديسهم ليوم السبت فهم لا يعملون فيه ولا يطبخون إلا ما يعتبرونه إنسانياً

كقتل المسلم دون حرج. وتقديس اليهود للسبت معروف.
٣- تقديسهم (العجل-والبقر) معروف للجميع*.
٤- يشتركون مع اليهود في التجارة والمرابات، فالهندوسي يبيع السلعة للمسلم ولغيره ولكنه لا يشتري منهما لأنهما نجسين في نظره، لكن الدراهم التي يأخذها من البيع لهما ليست نجسة، ومعلوم أن بالهند يهوداً منذ الزمن القديم. (أنظر مؤامرة الصهيونية والهندوكية ص ١١٧، والحلف الدنس ص ١٩٧).

ومن العجيب أن العقلية التوسعية بين هذين الشعبين واحدة، فاليهود يأملون الوصول في حدودهم من الفرات إلى النيل، وطموحات الهندوس في مد حدودهم من الفرات إلى (الميكونج) في فيتنام، **ليدخل** فيها كل بلد يبدأ بلفظ (هندو) كإندونيسيا وبلاد (الهند الصينية).

وهناك رابط واضح بين اليهود والهندوس وهو العداء للمسلمين، رغم العشرة الطويلة التي جمعت بين المسلمين والهندوس في الهند لإثني عشر قرناً تحت الحكم الإسلامي العادل آمنين على أرواحهم وممتلكاتهم وأديانهم. ولم يدخل الإسلام أحد منهم إلا عن اقتناع وحب للإسلام.

كان من المفروض أن يثمنوا ذلك التاريخ المشرق تجاه مواقف المسلمين إبان حكمهم للهند، لكنهم بعد الاستقلال، وبعد قرن من الاستعمار الإنجليزي كشروا عن أنيابهم وهاجموا المسلمين بوحشية وهمجية لا يمكن أن تحصل من أمة متحضرة، وما زالت هذه النظرة العنصرية الوحشية يُسامُ بها المسلمون سوء العذاب قتلاً وهدماً وتشريداً، وليس آخرها هدم المسجد (البابري) كما عرفنا، ومما يؤكد تواطؤ الحكومة الهندية الهندوسية في هدم البابري، أو على الأقل لا مبالاتها بما حصل هو نشر الغسيل الهندوسي بين حكومة الهند وحزب (جاناتا) من نشرهما لكتابين سماه كل منهما (الكتاب الأبيض) لشرح وجهة نظره حول الموضوع[٤].

بداية العلاقة المعاصرة بين الهندوس واليهود:

عرفنا العلاقة الروحية المتمثلة في التشابه بين كتابيهما المقدسين، وتجدر الإشارة هنا إلى دور بريطانيا في تاريخها الاستعماري وعدوانها على كل ما هو إسلامي.

*- ربما كان لعجل السامري علاقة بذلك.

من إيجاد مراكز نفوذ له.ا وإيجاد مناطق متنازع عليها طبقاً لسياستها المعروفة (فرق تسد) فقد فكر الساسة الإنجليز مع بدايات أفول امبراطوريتهم بإقامة قواعد لهم في المناطق الإسلامية لتلعب دوراً مماثلاً لدورهم الاستعماري. وقد نجحوا في التخطيط لإنشاء دولتين خطيرتين من أخطر الدول عداءً للإسلام وأهله، الأولى لليهود في (فلسطين) بدأت بوعد بلفور الذي أوجد دولتهم ككيان مستقل بعد ذلك عام ١٩٤٨، أما المؤامرة الثانية فهي إعطاء القارة الهندية للهندوس، غير أن توفيق الله ثم صحوة رجال الدعوة الإسلامية آنذاك في الهند حال دون ذلك المخطط، واضطروا للإتفاق مع المسلمين على أن تتمتع المناطق ذات الأغلبية المسلمة بالسيادة والاستقلال، ومن هنا قامت دولة (باكستان) إلا أن الإنجليز كعادتهم نكثوا بوعدهم بإعطائهم بقاعاً شاسعة للمسلمين وسلمت للهندوس مثل (حيدر أباد الدكن) و(غالبية جامو وكشمير) و(جوناكد).. مع تهيئة الهنادكة تعليمياً وثقافياً وإدارياً وسياسياً، والمساهمة بتأسيس (حزب المؤتمر الهندي) كما ساهم المؤرخون وعلماء الآثار الإنجليز مع الهنادكة في البحث والتنقيب لاختراع تاريخ مزيف للهنادكة حتى باللجوء إلى الأساطير والخرافات، وحولوا (غاندي) من محام بسيط إلى زعيم لعموم الهند بواسطة (اللورد ريدنج) نائب الملك الإنجليزي في الهند، وساهمت الزعيمة اليهودية لرابطة الحكم الذاتي (آني بيزانت) بمسرحية إنجليزية مكشوفة بوضع غاندي في السجن مدة تعظيماً لشأنه، ثم مُكّنَ من تخطي عقبات كثيرة في سياق عمله السياسي مما جعله في عيون الشعب الهندي بطلاً.

عرف الهندوس خطر وحدة المسلمين وصحوتهم في الهند على مخططاتهم فتعاونوا مع الإنجليز على نشر الآراء والمبادئ القومية والعنصرية الهندوسية التي وضعها أحد زعمائهم في القرن الرابع قبل الميلاد والمدعو (كوتيليا) وهو يتفوق على (ميكيافيلي) في المكر والدهاء. وهكذا استقلت دولة الهندوس، وبعد استقلال باكستان أصبح المسلمون وهم أكثر من مائة مليون أقلية في بحر الهندوس والسيخ وغيرهم. وتعرضوا للاضطهاد. ومع ذلك تَزْعَمُ الهند أنها دولة علمانية، وتخدع الدول العربية والإسلامية، وهي وثنية هندوسية مطلقة كما أوضحت ذلك الأيام والأخبار، وساعدهم الإنجليز في النهضة والتقدم التقني مع أنها من أفقر دول العالم

ومن أضعفها في دخل الفرد.

عود على بدء: للعلاقات اليهودية الهندية المعاصرة

بعد ثلاثة أشهر من قيام دولة العدو الصهيوني عام ١٩٤٨م الذي كان انتهاكاً صارخاً لكل شرائع العالم، وتحد واضح للمنظمات الدولية بسلب وطن وطرد شعب من أرضه وجدنا (الزعيم الهندي المحبب لحكام العرب) (نهرو) آنذاك في البرلمان الهندي يقول: «من البديهي أن نعترف بواقع قائم وهو أن إسرائيل دولة قائمة»، وبعد إعلان الاعتراف الرسمي أعلن ناطق رسمي هندي «أن إسرائيل موجودة وأنها خلقت لتبقى»، وقد عملت الهند طوال السنتين الماضيتين بتعاون قائم مع إسرائيل.. وأنشأ العدو الصهيوني (قنصليته في بومبي) فكانت حصناً قوياً للتعاون بين الدولتين المعاديتين للعرب والإسلام.

يقول الأستاذ محمد حامد: «والحقيقة إنها لم تكن قنصلية بالمعنى المتعارف عليه دولياً بل كانت مستعمرة كاملة الجهاز تضم أكثر من مئتي موظف، وكان لها من الإمكانات والسيارات ما يفوق ما لدى السفارات العربية في الهند، ولها دور ضخم في تجيير الرأي العام لصالح العدو الصهيوني، وقد بقي الهندوس يلعبون لعبتهم السياسية بدعوى حيادهم بين العرب واليهود كذباً وبهتاناً حينما زعموا أن اعترافهم بدولة العدو الصهيوني إنما كان اعترافاً بالأمر الواقع. لمعرفتهم بردود الفعل العربية آنذاك لو كان الاعتراف كاملاً».

موقف الهند من العدو الصهيوني في مؤتمر (باندونج)

كان الموقف الهندوسي واضحاً من العدو الصهيوني عام ١٩٥٥م حينما عقد مؤتمر باندونج بأندونيسيا حيث دعا (نهرو) ـ نصير العدل والسلام المزعوم ـ إلى إشراك العدو الصهيوني في ذلك المؤتمر بدعوى: أن دولتهم معترف بها من الأمم المتحدة وترتبط بها العديد من دول عدم الإنحياز بعلاقات دبلوماسية، وحينما علمت الدول العربية بذلك هددت بمقاطعة المؤتمر فألغي اقتراح نهرو.

التعاون العسكري بينهما:

بعد مراسم الاعتراف بين الدولتين زارت الهند وفود رسمية صهيونية لتوثيق

عرى التعاون بين البلدين وبخاصة في النواحي العسكرية، ومن أشهرها عام ١٩٦٢م الوفد الذي كان برئاسة (الادان بركمان) العضو في وكالة الطاقة النووية للتوقيع مع الهند على إتفاقية التعاون النووي بينهما، وتم التوقيع عام ١٩٦٣م بين الوفد الصهيوني برئاسة (دافيد شفيل) ورئيس أركان الجيش الهندي على إتفاقية سرية وكان موضوعها تزويد الهند بالأسلحة، وتدريب العسكريين في المؤسسات والكليات العسكرية، وكان لهزيمة العرب سنة ١٩٦٧م صداها باغتباط الهندوس بانتصار العدوان الصهيوني، وقال وزير دفاع الهند: «أننا حريصون على معرفة كيف تمكنت إسرائيل من تعبئة جميع قواتها في غضون ٢٤ ساعة وبطريقة أدت إلى نتائج إيجابية مؤكدة». ومن العجيب أن ينشر ضمن ما نشر من خفايا هزيمة ٦٧ دور عديمي الخبرة من الضباط الهندوس الذين كانوا يدربون الطيارين المصريين، وكانوا عملاء للاستخبارات الصهيونية وقد وصل الخبر خطأً ونشر في غانا في ٢٠ أيار عام ١٩٧٠م مما كشف المستور. وما زال التعاون بينهما مستمراً وإن أخذ صفة السرية غالباً.

التعاون النووي

بريطانيا وضعت أساس البرنامج النووي للهند بعد الاستقلال وشجعت الكوادر الهندية لدراسة ذلك التخصص، ولما أرادت الهند التوسع في برنامجها النووي وجدت في اليهود ضالتها حيث أنشأت مفاعلاتها النووية في العديد من مدنها مثل (كلكام) و(بهابها).. ومعلوم أن العدو الصهيوني يمدها بالمخصبات النووية، وكان لكندا دور في دعم برامج الهند النووية ثم ادعت كندا أنها فوجئت بقيام الهند بالتفجير النووي وكان (للاتحاد السوفييتي) السابق دور كبير أيضاً في دخول الهند (عالم الفضاء) حينما ساعدها على إطلاق قمرها الصناعي الأول (آريا بهارتا) من الأراضي السوفيتية آنذاك في ١٩ نيسان ١٩٧٤م.

التعاون الاقتصادي بين اليهود والهندوس

من صور التشابه بين هذين الشعبين عبادتهم للمال واستعمالهم الربا، ومن خلال معاملة الهندوس للفقراء والفلاحين، وخاصة المسلمين لا تختلف عن معاملة

اليهود إذ كانوا يستولون على أراضي المسلمين، ويقرضونهم المال كلما ساءت المحاصيل، ويرتهنون الأراضي حتى يتم الدفع، وكان القضاء الهندوسي ينقل ملكية الأراضي للمرابين كلما عرضت لهم قضية مما أدى إلى استيلائهم على مساحات شاسعة من أراضي المسلمين، ونشأ فيما بينهم ما سُمي بالملف الصامت القائم على إنشاء (الشركات المتعددة الجنسيات) حيث تستعمل كواسطة للعلاقات المتبادلة بينهما وتستطيع أن تعمل لصالح الصهاينة. وأشار إلى فاعلية هذه المؤسسات (مايلز كوبلاند) في كتابه (عالم التجسس الحقيقي). وهناك بيانات توضح الآثار الكبيرة للتعاون بين اليهود والهندوس، ودور القنصلية الصهيونية في تدعيمها مما يضيق المجال عن بيانه، وبخاصة في كتاب (التحالف الدنس) الآنف الذكر.

التعاون الاجتماعي

معلوم أن للعدو الصهيوني دور بارز في توطيد العلاقات بين الصهاينة وبين الشعوب التي لا تعرف حقيقتهم العدوانية ولا تعلم منطلقاتهم العنصرية، وهذا ما فعلوه مع إخوانهم الهندوس ساعدهم على ذلك وجود جالية بل طائفة يهودية في الهند، إضافة إلى دور القنصلية الصهيونية في بومبي في دعم العلاقات بين البلدين، وتوجيه الرأي العام الهندي غير المسلم لتأييد الصهاينة عن طريق إقامة الحفلات في المناسبات واستدعاء صفوة المثقفين من كافة فئات الشعوب الهندية، وتارة تستغل التسميات الساذجة مثل (مجلس المواطنين) للدعاية وتوثيق العلاقات الاجتماعية بين أولئك المدعوين، وفي عام ١٩٦٢م أسست جمعيات (أصدقاء إسرائيل) والتي تضاعفت بعد حرب ١٩٦٧م تحت مسمى (مؤسسات الصداقة الإسرائيلية الهندية) في طول البلاد وعرضها تحت رعاية أعضاء البرلمان والشخصيات السياسية ورجال الأعمال. ومن مهامها توثيق روابط التفاهم والأخوة وتبادل المنافع بين الشعبين والحكومتين، ومن أشهر الأحزاب ذات العلاقة الوطيدة مع الصهاينة حزب (جان سنغ) و(جناتا) الهندوسيين الإرهابيين. وكذلك مختلف الأحزاب العلمانية حيث تقوم بينهما زيارات متبادلة وليست الأحزاب الأخرى أقل اندفاعاً للولاء للصهاينة مثل حزب (المؤتمر) والذي كثيراً ما يسمي أعضاؤه (العرب) بالمعتدين

ونجد حزب (سوانتا نترا) يندد بطلب العرب من الهند قطع علاقاتها مع الصهاينة، وللصحافة الهندوسية في دعم العدو الصهيوني دور كبير وليس من المبالغة أنهم صهاينة أكثر من اليهود أنفسهم، وتتوالى الزيارات بينهم ومن خلال المتابعة للصحافة الهندوسية نجد موالاة اليهود سمة بارزة من سمات الصحافة الهندوسية ومن جانب آخر نجد العلاقة الثقافية والفكرية بين اليهود والهندوس بارزة أيضاً بالدعاية للأدب الصهيوني وترجمتهم للأدب الهندي الوثني

خطر اليهود والهندوس على المسلمين

الخطر الصهيوني معروف وأساليبه مكشوفة، أما خطر الهندوس فهو القائم، ولم يتم الكشف عن أبعاده التي تتمثل فيما يلي:

١- أن الحكومة الهندية بالرغم من إعلان علمانيتها إلا أنها تخضع للأحزاب الهندوسية التي تملك مراكز قوى تؤثر في صنع القرار، وما موقفها غير المبالي من هدم المسجد البابري عنا ببعيد، وتواطؤ الشرطة والجيش الهندي مع المتطرفين الهندوس كالشمس في رابعة النهار. ومضايقتها للمسلمين في أرزاقهم ومدنهم ومساجدهم وحتى تشريعاتهم لم تعد مجهولة، وبالرجوع إلى كتاب (المسلمون في الهند بين خدعة الديموقراطية وأكذوبة العلمانية) نجد مصداق ذلك*.

٢- المسلم الهندي حين ينشأ في محيط وثني ولا يرى أثراً لمظاهر الإسلام يتراخى رويداً رويداً وخاصة أمام الاضطهاد والجهل والجوع والمرض بدءاً بتغيير الاسم وانتهاءً بتغيير الدين، وهذا ما حدث بالفعل جراء ما يعانونه من مضايقات تحت سمع وبصر الحكومة الهندية الوثنية.

٣- إن المسلم هناك أمام تلك الضغوط الكبيرة وإهمال إخوانه المسلمين له، لا ينصرونه ولا يعملون لرفع الظلم عنه، يعاني ما يعاني من أخطار. فماذا صنعنا لهم؟ وما هو واجبنا تجاه إخواننا المسلمين في الهند؟

يفترض فينا نحن المسلمين ألا نجهل عداء أولئك الكافرين لنا، وهذا أمر صريح في القرآن الذي نقرؤه ليل نهار في أكثر من آية ومنها قوله تعالى: **﴿لتجدن أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾** [التوبة ٨٢].

* للشيخ أنور عالم أميني.

يجب أن يفكر كل مسلم بالأطروحات المؤيدة للصلح مع اليهود. لأننا نعرف من هم اليهود؛ وما هو العداء الذين يكتمونه لنا ولديننا، وما آثار السلام عليهم؟ ويجب على كل مسلم بشكل عام وكل مسؤول بشكل خاص أن يبذل كل ما في وسعه لإنقاذ ما يمكن إنقاذه. وأن يقوم المسلمون جميعاً كل فيما يستطيع بذله لنصرة هذا الدين،وعلى كل الحكومات في البلاد الإسلامية أن تضغط على هؤلاء الأعداء لرفع يد الضر عن إخواننا المسلمين المستضعفين في الهند وفي غيرها، وإتاحة المجال لهم لأداء عباداتهم وحفظ مساجدهم واحترام تشريعاتهم، وألا يهاجم الإسلام في وسائل إعلامهم ولا في مناهجهم الدراسية، وعلى المسؤلين أن يهددوا بكل ما من شأنه تعكير العلاقات مع تلك الدول الظالمة. فهم المحتاجون لنا ولسنا بحاجة لهم. وإذا وجدوا أننا صف واحد وقلب واحد رضخوا راغمين ورفعوا ظلمهم، وحينها تعود لإخواننا مكانتهم رغم أنف الظالمين وإن أي تساهل في ذلك يبوء بإثمه كل مفرط في نصرة هذا الدين، فإن من يرى الإسلام وأهله يهانون وهو قادر على نصرتهم ولا يفعل شيئاً، لا شك أنه منافق معلوم النفاق. وأن أي تساهل في ذلك هوان وأي هوان، وخيانة للواجب وانهزامية **﴿إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويداً﴾** [الطارق ١٥-١٧].

هوامش:

١- نشر الكتاب (مجلس شؤون المسلمين في العالم)، إسلام آباد، باكستان ص ١٩٨ .

٢- نشرته مؤسسة الصحافة - بيروت.

٣- ترجمة الأستاذ إحسان حقي.

٤- أنظر صحيفة الحياة العدد ١١٠٢٦ في ١٤١٣/١٠/٢٩ هـ.

* * *

دراســة في الجغرافيــة البشريــة للهنــد

المسلمــون في الهنــــد

أقلية تتجاوز المئة مليون

د. علي عبد الرحمن عواض

الهند بالأرقام*:

تعتبر الهند من أكبر دول العالم، إذ تتجاوز مساحتها ٣,٢٨٧,٢٦٣كم٢ . تمتد من الشرق إلى الغرب بعرض ٢٩٣٣كم، ومن الشمال حتى الجنوب بطول ٣٢١٤كم. تمتد حدودها مع الدول المجاورة إلى ١٥,٥٠٠كم منها ما يقارب ٧,٥١٧ كم سواحل وهي سابع دولة في العالم من حيث المساحة.

أما من حيث تعداد السكان، فهي الدولة الثانية عالمياً وعدد سكانها يتجاوز الـ ٨٤٤,٣٢٤,٢٢٢ نسمة حسب إحصائية ١٩٩١م . ولا يتوزع البشر بالتساوي فبعض المناطق الهندية مكتظة بالسكان وبعضها تكاد تكون خالية. وأسباب ذلك عدة عناصر أهمها: خصوبة الأرض، ومستوى هطول المطر، وسائل الزراعة والاتصالات، والوضع السياسي إلى جانب عناصر اجتماعية ودينية أخرى. ونسبة الكثافة السكانية في المناطق الهندية هي ٢٦٧ نسمة في الكيلومتر المربع الواحد. (وتتفاوت النسبة بين الولايات الهندية: **فعدد السكان**

*- الأرقام والنسب مقتبسة من «الموسوعة البريطانية» عام ١٩٩٢/ومن نشرة **Radiance** عدد ٥-١١ آذار ١٩٩٢م، ص ٦٦/-٦٨، بعنوان: سكان الهند المسلمون، للكاتب الدكتور .م.مطيع الرحمن.

في الكيلومتر الواحد في البنغال الغربي هي ٧٦٦ نسمة، أما في كيرالا فهو ٧٤٧، ويصل في بيهار إلى ٤٩٧، وإلى ٧٨ في فيعالايا، و٣٣ في ميزورام، و١٠ في آرونشال باراديش.

تعتبر نسبة النمو السكاني في الهند من النسب العالية دولياً حتى بين معدلات دول العالم النامية. فمعدل الولادات ٣٠,٤ في الألف والمعدل العالمي ٢٧,١ في الألف، ومعدل الوفيات ١٠,٢ في الألف والمعدل الدولي ٩,٩ في الألف، وبهذا تكون الزيادة السكانية الطبيعية: ٢٠,٢ في الألف والمعدل الدولي ١٧,٢ في الألف. ومعدل الأعمار هو ٥٨,١ سنة للرجال و ٥٩,١ سنة للنساء.

يعتبر المجتمع الهندي من المجتمعات المتخلفة من نواح عدة أهمها: الجانب التعليمي التربوي إذ أن ما يزيد عن ٦٤,٨٪ من السكان يعانون الأمية الكاملة بينما ٧,١٪ حصل على التعليم الابتدائي فقط ولا يتجاوز خريجو الجامعات والحاصلين على درجة علمية عالية على ٢,٥٪ من السكان.

الهند.. القوميات والعقائد:

تعج الهند بخليط من البشر الذين يتفاوتون في الشكل والعرق واللغة والدين والطبقة الاجتماعية.. ففي شبه القارة الهندية ما يزيد عن خمسمائة لغة محلية، واللغة الرسمية هي الهندية. ويعتنق الهنود عدداً هائلاً من المعتقدات والأديان **تتفاوت ما بين الديانات السماوية إلى عبادة الأصنام والنار والأبقار.. عبادة** البشر. والهندوس يمثلون ٨٢٪ من السكان وهم الغالبية العظمى. كما أنهم مقسمون إلى طبقات اجتماعية وأعراق ومذاهب.

وتصل نسبة المسلمين إلى ١٢٪ تقريباً معظمهم من أهل السنة ويتبعون المذهب الحنفي، كما يوجد هناك أصحاب المذاهب الأخرى المنحرفة والتي تحسب على الإسلام كالأحمدية والبابية والبهائية والقاديانية والإسماعيلية. كما أنّ للشيعة تواجد في الهند.

ونسبة النصارى ٢,٤٣٪، والسيخ إلى (١,٩٧٪)، والبوذيون (١,٧١٪)، والجاين (٠,٤٨٪)، والمجوس (٠,٠١٪). وتبرز في الهند الممارسات والطقوس

الغربية والمعتقدات المجهولة إلى جانب مجموعة قليلة جداً من اليهود.

المسلمون على الخارطة الهندية

تفيد إحصائيات العام ١٩٩١م أن عدد المسلمين يزيد عن ٩٦مليون نسمة (وأكثر من مئة مليون في ١٩٩٣م). وقد تصاعد عدد المسلمين في الهند في النصف الأخير من هذا القرن (منذ الاستقلال) على النحو التالي:

السنة	عدد المسلمين	نسبة النمو	النسبة للسكان	الازدياد الإسلامي
١٩٥١	٣٥,٤٤,٢٨٤	---	٩,٩١	----
١٩٦١	٤٦,٩٤٠,٧٩٩	٢٥,٦١	١٠,٧٠	٠,٧٩
١٩٧١	٦١,٤١٧,٩٣٤	٣٠,٨٥	١١,٢١	٠,٥١
١٩٨١	٧٥,٥١٢,٤٨٩	٣٠,٥٩	١١,٣٥	٠,١٤
١٩٩١	٩٦,٦٥٥,٩٢٢	٢٨,٠٠	١١,٤٥	٠,١٠

يقيم مسلمو الهند بشكل عام في المناطق الغنية بالمياه والثروات النباتية في شمالي الهند وعلى الشواطئ في الجنوب والجنوب الغربي وليس لهم وجود ملاحظ في مناطق الجبال والأدغال. ويتواجد المسلمون بشكل كبير في ثلاث مناطق شمالية أساسية هي: بيهار والبنغال الغربي وجامو وكشمير إذ أن ٥٢,١٪ من مسلمي الهند يتواجدون في هذه الولايات الشمالية الثلاث. كما يقطن ٢٢,٤٪ أي خمس المسلمين في الهند في أربع ولايات جنوبية هي: كيرالا، أندهار باريش، كارناتاكا وتاميل نادو. كما يعيش ١٤,٩٪ اي سبع مسلمي الهند في أربع ولايات غربية هي: راجستان، كجرات، ماهارشاترا وغولا. كما يوجد ٥,٠٥٪ منهم في الولايات الشمالية الشرقية و٣,٨٦٪ في الولايات الشرقية. وتوجد أقل نسبة للمسلمين في ولايات تشاها يسفارا واندكاريانا.

ويُرجع الدارسون السبب في خلو المناطق الجبلية والأدغال (في مناطق غودافاري) من المسلمين إلى أن المنطقة كانت ولا زالت تُسكن من قبائل لا تقبل التعامل مع الآخرين ويتميزون بالعدائية والانطوائية حيث أنه لا مجال للدخول

إليهم أو التكلم معهم. أما المناطق التي تقطنها مجموعات إسلامية لا تتعدى الـ ١٪ من السكان هي: البنجاب، هايريانا، هيكاشال باراديش، أردناكالي بارادايش، ناغالا لاند، ميزورام، ميغاليا، آسام. وانخفاض هذه النسب نتيجة لحملات التهجير القسري عام ١٩٤٧م، وقد كانت النسبة في هذه الولايات تتراوح بين ١٥-٣٣٪ من المجموع العام للسكان في ولاية هيراما، و٢٣-٥٠٪ من سكان ولاية البنجاب.

في الولايات

لن نستعرض كثيراً ولاية جامو وكشمير مع أنها الولاية الوحيدة ذات الغالبية الإسلامية في الهند.

١- **أوتار براديش:** وتأتي من حيث الترتيب الرابعة بالنسبة للمساحة، ويصل عدد المسلمين فيها إلى ٢٣ مليون نسمة حسب إحصائية عام ١٩٩١م. وأهم المقاطعات التي يسكنها المسلمون في هذه الولاية هي: مراد آباد (٣٨,٠٦٪)، ساهار نابور (٣١,٥٧٪)، بجنوري (٣٩,٤٥٪)، رامبور (٤٧,٢٢٪)، وأقل نسبة للمسلمين تتواجد في منطقة باندا (٥,٥١٪).

٢- **البنغال الغربي: تصل نسبة السكان إلى ٧٦٦ شخص في الكيلومتر** المربع وتوجد فيها مقاطعة مرشد آباد أكبر تجمع إسلامي في الهند إذ يصل عددهم إلى ٢,١٧٠,٠٠٠ شخص بنسبة تصل إلى ٥٨,٦٧٪ من السكان. أما أقل نسبة في مقاطعات هذه الولاية فهي مقاطعة بنمورة (٥,٦٥٪) ودارجلنغ (٣,٦٤٪). ويعتبر كثير من مسلمي هذه الولاية امتداد لمسلمي بنغلادش. والعدد الإجمالي لمسلمي هذه الولاية هو ١٥,٢٦٧,٠٠٠ نسمة.

٣- **بيهار:** وفيها ثالث أكبر تجمع إسلامي في الهند وتقع بين ولايتي أوتار بارديش والبنغال الغربي، ومساحتها ١٢٣,٨٧٧ كم^{2} وعدد السكان ٨٦,٣٣٩,٠٠٠ نسمة، وعدد مقاطعاتها ٤٢ مقاطعة. وفيها ١٣٪ من مسلمي الهند. وكان عدد المسلمين في الولاية عام ١٩٥١م ٤,٣١٤,٠٠٠ نسمة، نسبة المسلمين بينهم ١١,٢٨٪، وارتفع العدد إلى ١٢,٨٧٤,٩٩٣ عام

١٩٩١ .

٤- **مهارشترا:** ويبلغ عدد المسلمين في هذه الولاية ٧,٦٠٦,٠٠٠ نسمة، نسبتهم إلى العدد الإجمالي ٩,٢٥٪. ومعظم المسلمين يقطنون في مقاطعات: بومباي، جالفون، برهاني، نانديد، عثمان أباد، بولدانا.. وتتدنى نسبتهم في مقاطعة بندارا إلى ٢٪ من مجموع السكان.

٥- **كيرالا:** يقطن في هذه الولاية ما يزيد عن ٦,٤٩٢,... نسمة. وتصل النسبة فيها إلى ٧٤٧ نسمة في الكيلومتر المربع الواحد. ونسبة المسلمين هي ٢١,٢٥٪.

٦- **اندهرا براديش:** عدد سكانها ٦٦,٣٥٥,٠٠٠ نسمة، ونسبة المسلمين بينهم ٨,٤٧٪. وأهم المقاطعات التي يقطنها المسلمون هي كورنول ونسبتهم (١٧٪) وفي حيدر آباد ونسبة المسلمين فيها (٢٧٪) و هي من أهم المراكز الثقافية والتراثية للمسلمين في الهند.

٧- **كارناتاكا:** يبلغ تعداد المسلمين في هذه الولاية ٥,٢١٣,٠٠٠ نسمة، ومساحتها ١٩١,٧٩١ كم٢ . ونسبة المسلمين فيها ١١,٠٥٪. أهم المناطق التي يسكنها المسلمون كولارغا (١٨٪) وبيدار (١٩٪) ونسبتهم من ٥-١٠٪ في عشرة مقاطعات.

٨- **جامو وكشمير:** وقد اتسع الحديث عنها في العددين السابقين للبيان، حيث أن هذه هي الولاية الوحيدة في الهند ذات الغالبية المسلمة، ويحاول أبناؤها الاستقلال وإقامة دولة لهم.

٩- **آسام:** عدد سكانها ٢٢,٢٩٥,٠٠٠ نسمة ومساحتها ٧٨,٤٣٨ كم٢ . ونسبة المسلمين فيها ٢٤,٠٣٪ من مجموع السكان.

١٠- **كجرات:** مساحتها تقدر بـ ١٩٦,٠٢٤ كم٢ وعدد المسلمين ٢,٩٠٨,٠٠٠ نسمة (عام ١٩٨١)، ونسبة المسلمين بينهم ٨,٥٣٪. وأهم المقاطعات مقاطعة أحمد آباد وتصل نسبة المسلمين فيها إلى ١١٪.

١١- **تاميل نادو:** مساحتها ١٣٠,٠٣٨ كم٢ وعدد سكانها

٣,٠٢٤,٠٠٠ نسمة، وعدد مقاطعاتها ٢١ . ونسبة المسلمين فيها ٥,٢١٪.
وأهم مناطق المسلمين كانيا كوماري وتانجافور.

١٢- **مادهيا براديش:** تبلغ مساحة هذه الولاية ٤٤٣,٤٤٦كم٢، وعدد سكانها ٦٦,١٣٦,٠٠٠ نسمة. ونسبة المسلمين فيها ٤,٨٠٪ من مجموع السكان، وأهم مناطقهم راتلام، أوجيان.. (مجموع عدد المسلمين **٣,٣٠٣,٠٠٠ نسمة).**

١٣- **راجستان:** مساحتها ٣٤٢,٢٣٩ كم٢ وعدد سكانها ٤٣,٨٨١,٠٠٠ نسمة. ونسبة المسلمين ٤,٠٥٪ من السكان (عدد المسلمين فيها ٣,٣١٥,٠٠٠ نسمة).

١٤- **هاريانا:** مساحتها ٤٤,٢١٢ كم٢، ويبلغ تعداد المسلمين فيها ٥٢٣,٥٣٦ نسمة، ونسبة المسلمين فيها ٤,٠٢٪ من مجموع السكان. وأهم المقاطعات فريد آباد (١١,٢٧٪)، جورجوان (٣٠,٨٪). وعدد سكانها ١٦,٣١٥,٠٠٠ نسمة.

١٥- **دلهي:** وتتجاوز مساحتها ١,٤٨٣ كم٢، وعدد سكانها يقارب العشرة ملايين نسمة، وعدد المسلمين فيها ١,٠٣١,٠٥٦ نسمة؛ أي بنسبة ١١,٤٪ من مجموع السكان.

وهناك عدد من الولايات نسبة المسلمين ضئيلة جداً لا تتجاوز ١٪ من مجموع السكان في بعض الأماكن.

إن المجموع النهائي لمسلمي الهند هو موضع خلاف بين المصادر. فبينما تكاد تجمع المصادر الغربية على أنهم لا يتجاوزون المئة مليون، نجد أن المصادر الإسلامية تلمح إلى أرقام أعلى من ذلك تصل إلى ١٢٠ مليون وأحياناً إلى ١٤٥ مليون. (راجع جدول ١ و٢).

الحاضر.. ونظرة إلى المستقبل

المجازر التي تناقلت الصحف أخبارها مع نهاية شهر أبريل الماضي، والتي ذهب ضحيتها مئات المسلمين معظمهم من النساء والأطفال وكثير منهم أحرقوا

أحياء، تنذر بخطر جديد على مسلمي الهند . **تقع ولاية مانيبور في شمال** شرقي الهند، وهي على الحدود مع بورما. ولم تشهد سابقاً حوادث عنف بين المسلمين والهندوس، بل إن الولاية كانت ملجأ لعدد من المسلمين الذين هربوا من الاضطهاد البورمي للمسلمين (١٩٩٢م) في ولاية أراكان الإسلامية الواقعة تحت السيطرة البورمية. فاندلاع حملات العنف والاضطهاد في مثل هذه الولايات يعني إيقاظاً للأحقاد الدفينة ضد المسلمين في المناطق التي تشهد تسامحاً نسبياً مع غيرهم.

مع أن المجازر بحق المسلمين كانت ولا زالت ترتكب بشكل متكرر في الهند لكنها لم تؤثر على قرار السياسة الهندية حتى العام ١٩٨٩م حيث تفجرت قضية مسجد البابري واندلعت الانتفاضة في كشمير إلى جانب التغييرات في الإطار الإسلامي المحيط فبدأت ترتسم أطر لسياسة جديدة تجاه المسلمين في البلد.

وفي عام (١٩٨٩) قتل ٥٠٠ شخص (حسب الإحصائية الرسمية الهندية) على الأقل في الاضطرابات العرقية والدينية، وهذا الرقم هو ضعف الرقم للعام الماضي **وقد ميز هذه الاضطرابات أنها حدثت في ولايات: أوتار براديش،** كارانتاكار، بيهار، مادهيا براديش، جونمارات، ماهراشترا.. وهذه الولايات لم تشهد أية اضطرابات عرقية ودينية منذ تقسيم الهند. مما اعتبره المراقبون السياسيون بداية تحول جديد في التعامل مع الوجود الإسلامي في الهند.

الملاحظ أن أية محاولة لتحسين ظروف المسلمين في الولايات الهندية يلقى مقاومة قاسية من الأكثرية الهندوسية. وهذا الواقع يعاني منه معظم الأقليات الإسلامية فليس المسلمين في بورما أو الفلبين بأفضل حال من إخوانهم في البوسنة أو الهند. وليس الحقد البوذي هناك بأقل منه عند الصليبي الحاقد أو الهندوسي الفاجر. ولا يتردد دعاة الشيطان وجنوده من التصريح بأن معركتهم مع الإسلام والمسلمين لن تنتهي ما دام للدين قائمة. فهل يقدّر المسلمون أبعاد كلمة «بال تاكري» (زعيم مجموعة شيف سيفا الهندوسية): «لقد خرجَ النمر الهندوسي من قفصه والويل لمن يقف في طريقه».

المسلمون حسب توزيعهم في ولايات الاتحاد الهندي

الولاية	عدد المسلمين	النسبة المئوية
١- جاموا وكشمير (Jammu & Kashmir)	٣,٨٤٣,٤٥١	٪٦٤,١٩
٢- البنغال الغربي (West Bangal)	١١,٧٤٣,٢٥٩	٪٢١,٥١
٣- كيرالا (Kerala)	٥,٤٠٩,٦٨٧	٪٢١,٢٥
٤- أوتار براديش (Uttar Pradesh)	١٧,٦٥٧,٧٣٥	٪١٥,٩٣
٥- بيهار (Behar)	٩,٨٧٤,٩٩٣	٪١٤,١٣
٦- كارناتاكا (Karnataka)	٤,١٠٤,٦١٦	٪١١,٠٥
٧- مانيوبار (Maniupar)	١,٦٠٠،٠٠٠	٪١٠,٠٠
٨- ماهاراشترا (Maharashtra)	٥,٨٠٥,٧٨٥	٪ ٩,٢٥
٩- غوجارات (Gujarat)	٢,٩٠٧,٧٤٤	٪ ٨,٥٣
١٠- أندهرا براديش (Andhra Pradesh)	٤,٥٣٣,٧٠٠	٪ ٨,٤٧
١١- راجاستان (Rajasthan)	٢,٤٩٢,١٤٥	٪ ٧,٢٨
١٢- تاميل نادو (Tamil Nadu)	٢,٥١٩,٩٤٧	٪ ٥,٢١
١٣- مادهيا براديش (Madhya Pradesh)	٢,٥٠١,٩١٩	٪ ٤,٨٠
١٤- أوريسا (Orissa)	٤٢٢,٢٦٦	٪ ١,٦٠
١٥- البنجاب (Punjab)	١٦٨,٠٩٤	٪ ١,٠٠
المجموع في الولايات الرئيسية*	٧٧,١١٢,٤٣٩	٪١١,٣٥
المسلمون في الولايات الأخرى**	٢١,٠٢٥,٤٦٦	٪٠,٩-٠,١
المجموع العام لمسلمي الهند***	٩٨,١٣٧,٨٩٥	٪١١,٥

* الأرقام مأخوذة عن إحصاء عام ١٩٨١ (وهي غير دقيقة بشأن نسبة المسلمين للسكان في جاموا وكشمير حيث أن نسبة المسلمين فيها يبلغ ٦٨٪ من السكان لكن الإجمالي موثق، كما أن ولاية آسام لم تضمن في الإحصاء).

** المسلمون من الولايات الأخرى تقل نسبتهم عن ١٪ من السكان.

*** عن الموسوعة البريطانية ١٩٩١ .

التواجد الهندوسي في البلاد العربية والإسلامية*

البلد	العدد	البلد	العدد
أفغانستان	١٢٠,٠٠٠	المغرب	٥٠
الجزائر	٥٠٠	نيجيريا	٢٢,٠٠٠
البحرين	٢٠,٠٠٠	باكستان	١,١٠٠,٠٠٠
بنغلادش	١١,٠٠٠,٠٠٠	قطر	٥٠٠
بروناي	٥٠٠	العربية السعودية	٥,٠٠٠
تشاد	٢٠	السنغال	١٠٠
مصر	٥,٠٠٠	سيراليون	٥٠٠
غامبيا	٥٠٠	الصومال	٥,٠٠٠
غينيا	٥٠	السودان	٥٠٠
أندونيسيا	٥,٠٠٠,٠٠٠	سوريا	١٠٠
إيران	١٠,٠٠٠	تانزانيا	٦٠,٠٠٠
العراق	٥,٠٠٠	تونس	١٠٠
الأردن	١,٠٠٠	تركيا	١٠٠
الكويت	١٠,٠٠٠	الإمارات العربية المتحدة	١٥,٠٠٠
لبنان	١٠٠	**المجموع**	**١٨,٤٨٢,١٢٠**
ليبيا	٥٠٠		
ماليزيا	١,٠٩٥,٠٠٠		

* المصدر: مجلة «Hindusm Today» (الهندوسية اليوم) ١٥ نوفمبر ١٩٩٢ .

القرآنيون وشبهاتهم حول السنة

تأليف: د. خادم حسين بخش
عرض: عثمان جمعة ضميرية

أنكرت فئة ضالة حجية السنة النبوية كخطوة على طريق إنكار حجية القرآن الكريم نفسه، ثم انقرضت تلك الفئة، لتظهر في هذا القرن بصور جديدة، حيث ظهرت في شبه القارة الهندية بزعامة غلام نبي المعروف بـ«عبد الله جَكْرَالَوِي» وكان من أبرز دعاتها مع آخرين ساعدوه في ذلك، وسموا أنفسهم باسم «أهل القرآن».

وساعدت على قيام الحركة عدة أسباب، أهمها:

١- المناخ الذي هيأته حركة «السيد» أحمد خان.

٢- الاستعمار بأساليبه المختلفة حيث كان الإنجليز يسيطرون على الهند وباكستان.

٣- هزيمة بعض المسلمين النفسية أمام الحضارة الغربية.

كافح علماء شبه القارة الهندية فكرة «أهل القرآن» منذ وجودها، وذلك لما يترتب عليها من خطر وردة عن الدين، وقاموا بتفنيد شبهاتهم، وذلك

بدراسات علمية كشفت ضلال هذه الفرقة وفندت جوانب الزيف والانحراف لهذه الحركة في مجال السنة والقرآن والعقيدة والعبادات والتشريع الإسلامي. وقد تصدى لهم الأستاذ الباحث خادم حسين بخش، فقدم هذه الدراسة «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة» وهي أطروحة جامعية تقدم بها لنيل درجة الماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة. وقد طبعتها مكتبة الصديق بالطائف في مجلد واحد.

جاءت هذه الرسالة في بابين وخاتمة:

أما الباب الأول فقد عالج فيه المؤلف فكرة إنكار السنة قديماً وحديثاً، فتحدث عن تاريخ فرقة القرآنيين والأصول التاريخية لها.

وأما الباب الثاني فقد جعله خاصاً لدراسة أفكار القرآنيين، ويقع في أربعة فصول.

عرض في الفصل الأول شبهات القرآنيين حول السنة مع مناقشتها، وفي الفصل الثاني دراسة لمنهج القرآنيين في تفسير القرآن الكريم. وفي الثالث عرض ومناقشة لآرائهم الاعتقادية في مسائل وأحكام اعتقادية كثيرة. وفي الفصل الأخير عرض لآراء الجماعة في جوانب الشريعة، فتحدث عن موقفهم من العبادات والعقوبات والمعاملات، وعن موقفهم من الحدود، والميراث..

وكانت الخاتمة خلاصة عامة، تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة. ويليها ثبت المراجع العربية والأجنبية وكان عددها وفيراً ومتنوعاً.

هذا وقد اجتمعت لهذه الرسالة ميزات جمة تجعلها جديرة بالقراءة والاطلاع، فهي رسالة علمية كتبها باحث مطلع على أفكار الجماعة عن كثب، ويقرأ لهم بلغتهم ولسانهم، مع حماس لدينه وعقيدته، فنسأل الله تعالى أن ينفع به وبما كتب.

البيان تحاور المتحدث الرسمي باسم

حزب النهضة الإسلامي في طاجيكستان

أجرى الحوار: د. مالك الأحمد

ضيف «البيان» في هذا اللقاء هو سيد قيام الدين غازي المتحدث الرسمي لحزب النهضة الإسلامي في طاجيكستان، وهو من الخمسة المؤسسين لهذا الحزب وعضو مجلس الشورى فيه، وهو خطيب الحزب المفوه الذي كان يخطب في الجماهير المحتشدة في ميدان الشهداء في دوشنبة أيام الاعتصام، وكان عددهم يربو على المائتي ألف، وكان الناس يستمعون لتوجيهاته، ولم ينفضُّوا إلا بعد أن أمرهم بذلك.

- **يستغرب الكثيرون الظهور القوي والمفاجئ لحزب النهضة في طاجيكستان فكيف تعلل ذلك؟**

يظن الكثيرون أن حزب النهضة وليد السنوات القليلة السابقة وهذا غير صحيح، نحن كنا نعمل منذ ١٥ سنة لكن جهادنا كان سرياً، كنا نعلم أبناءنا في الاسطبلات والسراديب كي نحفظ عليهم دينهم. لكن بعد سقوط الشيوعية أنشأنا الحزب كي يكون واجهة لنا، ورغم ذلك لم نكشف كل ما لدينا خوفاً من الشيوعيين الذين ما زالوا على رأس الحكم، فقد خشينا أن ينضم

الناس نظراً لجهلهم وتشوقهم للحرية إلى الأحزاب الجديدة الوليدة وبعضها إسلامي الاسم؛ كالحزب الديمقراطي الإسلامي لكنها كانت علمانية التوجه.

- **كيف سمح لكم الشيوعيون بإنشاء الحزب رغم أن كثيراً من البلدان الإسلامية تعارض إنشاء أحزاب ذات توجه ديني إسلامي؟**

ظن الشيوعيون أن الإسلام قد دفن وللأبد في بلادنا وبالتالي فلا خوف من ظهور حزب إسلامي لأنه في نظرهم مهزوم لا محالة، لكن الله رد كيدهم وظنهم في نحورهم، فانطلق الشباب للدعوة في أصقاع البلاد، وأنشأت المساجد، وظهر الحجاب، وعم الخير في بلادنا ولله الحمد.

- **كيف تطورت الأمور بعد ذلك؟**

بعد انتشار المد الإسلامي خلال سنتين تقريباً صدم الشيوعيون بهذا الامر وكان التخوف لدى الروس أيضاً، وعقدوا اجتماعات كثيرة متتالية لدراسة خطة ملائمة لمقاومة المد الإسلامي، وبعدها أصدر (البرلمان) الكثير من القرارات الجائرة للتضييق على المسلمين، وحبسوا بعض العلماء، وشددوا على حزب النهضة، فاضطررنا للخروج ومواجهة الحكومة سلمياً عن طريق الاعتصام بميدان الشهداء، وجلسنا أياماً مطالبين بتغيير الحكومة، وإلغاء الأحكام الظالمة ضد العلماء، وتطبيق نظم الإسلام في البلد سواء في العطلة (الأحد) أو اللغة (الروسية) أو الإعلام أو القوانين الأخرى.

وقبلت الحكومة مطالبنا، فطلبنا من الناس الرجوع إلى منازلهم، لكن فوجئنا بعد ذلك بنقضهم للاتفاقات، بل زادوا من التشديد على المسلمين؛ فخرجنا مرة ثانية ـ ومعنا الأحزاب الاخرى التي تنادي بالديموقراطية ـ وحدثت اضطرابات شديدة أدت إلى استقالات جماعية للوزراء، وسقط الرئيس، وتحولت الصلاحيات إلى البرلمان وأغلبه من الشيوعيين، وتطورت الأمور سلباً لأن البرلمان استمر في الضغط والتضييق على المسلمين، ووُضِعت المساجد تحت يد الحكومة وكذلك الخطباء، فاضطررنا للخروج مرة ثالثة ضد قرارات البرلمان المجحفة واعتصمنا في الميدان قرابة الشهر، فوافق البرلمان أخيراً على مطالبنا، لكن ظهر

أنهم قبلوا فقط ليتفرق الناس، وفوجئنا في الوقت الذي كنا نستعد فيه للخروج من الميدان بتجمع عدد من الشيوعيين في ميدان مجاور مطالبين بأمور مخالفة لمطالبنا، وهذا كان من تدبير قادة الشيوعية في البلد، فأصبح الوضع متفجراً خصوصاً بعدما حصلوا هم على أسلحة.

- **كيف أنقذتم الموقف المتفجر في تلك الساعات العصيبة؟**

خطبت في الناس وقلت لهم نحن لا نخشى شيئاً لأن الله معنا، نحن مسلحون بالإيمان والثقة بالله. وطمأنت الناس، فهدأت النفوس، وخاف الشيوعيون وظنوا أنه لدينا اسلحة فهربوا من الميدان المجاور.

- **كيف تكونت الحكومة الإئتلافية؟**

في البدء انسحب الروس من العاصمة ومعهم الأسلحة، ومع تطور الأمور أوقع الله في قلوب الشيوعيين الرعب، فبدؤوا بالفرار، فاستولى بعض الشباب ـ من حزب النهضة ـ على مبنى الإذاعة والتلفاز بعد معركة قصيرة، وسقطت البلاد بأيدي التحالف الإسلامي الديمقراطي، وكونت حكومة ائتلافية ووافق عليها البرلمان (والذي ما زال شيوعياً).

- **وكيف سقطت الحكومة بعد ذلك ووقعت المأساة؟**

تطورت الأمور باتجاهين داخلي وخارجي، ففي الداخل أُخرج الشيوعيون المجرمون من السجون وجمعوا قواتهم ـ وهم يملكون في الأصل أسلحة ـ وبدؤوا بحملات عسكرية خارج العاصمة. وخارجياً اجتمع الشيوعيون من طاجيكستان وأوزبكستان وروسيا وكازاخستان وقيرغيزيا، واتفقوا على ضرب الإسلاميين خوفاً من استفحال أمرهم في طاجيكستان؛ وانتقال الأمر إلى الدول المجاورة. وفعلاً أُرسلت الدبابات والأسلحة الثقيلة، وهاجموا بالطائرات من أوزبكستان، وساعدتهم القوات الروسية الموجودة أصلاً في المنطقة.

- **حبذا لو أعطيتمونا نبذة عاجلة عن المأساة؟**

الأمرأصعب وأشق من أن يصور، فالقتلى بعشرات الآلاف والمفقودون كذلك، فضلاً عن أكثر من مليون مشرد، لقد دمروا منطقة قرغان تبه حيث معقل حركة

النهضة ودمروا القرى وأحرقوا المساكن والبشر حتى الحيوانات لم تسلم من شرهم، لقد فعلوا ما لم يفعله جنكيزخان أو هولاكو، لم يرحموا صغيراً ولا كبيراً ولا مريضاً، حتى بيوت الله لم تسلم من شرهم. وكان العلماء أشد بلاء، فقد عذبوهم ثم مثلوا بهم قبل أن يقتلوهم.

- **يؤخذ عليكم أنكم دخلتم اللعبة السياسية قبل أن تنضج الحركة؟**

أقولها لك صريحة، أنا شخصياً لا أؤمن باللعبة الديموقراطية، ولنا في التجربة الجزائرية خير شاهد، أنا أريدها إسلامية صريحة، وكنت أقول للناس في الميدان ماذا تريدون؟ قالوا: نريد الإسلام. وكان الناس يستمعون لقولي، لو قلت لهم قوموا لقاموا. بالنسبة للحزب كان هناك رأيان في مجلس الشورى. الأول: هو التدرج في إعلان الحكومة الإسلامية، واستخدام سياسة الخطوة خطوة كي لانثير الأعداء الشيوعيين علينا مرة واحدة. وكان الرأي الثاني ـ وكنت من أنصاره ـ أن الفرصة مواتية والشيوعيين في أضعف أحوالهم والناس تريد الإسلام، وإن كان ولا بد فدعوا الأمر يتناطح فيه الشيوعيون والديموقراطيون حتى تحين فرصة مواتية لنا، وساد الرأي الأول، وأنصاره يأسفون اليوم لما آل إليه رأيهم ويبقى الأمر اجتهاداً منهم لنصرة الدين.

- **ألم يحسب الأخوة في حزب النهضة أي حساب لما قد تؤول إليه الأمور؟**

لم يكن لدينا خيارات كثيرة فقد علمنا ـ بعد مدة قصيرة من تكوين الحكومة الائتلافية ـ عزم الشيوعيين على التحرك ضدنا، ولكننا كنا محاصرين. فالدول المجاورة كلها شيوعية،ولا يمكن أن نتحرك من خلالها، أما أفغانستان فقد كان الروس يحرسون الحدود، وكان من الصعب علينا التحرك، ولم تكن لدينا أصلاً أسلحة، وليس لدينا أموال لشرائها.

- **هل من كلمة خاتمة؟**

أقول مأساتنا قد علمتموها وتفاصيلها قد نشرت، ونحن نحتاج من إخواننا المسلمين لكل أنواع المساعدة بالمال والسلاح والدعاء والله لا يضيع أجر المحسنين.

أخبار قصيرة

إسرائيل... والزئبق الأحمر

- قدَّم الكسندر روتسكوي نائب رئيس جمهورية روسيا الاتحادية تقريراً بعنوان «من أين لك هذا؟ وأين ذهبت ثروات روسيا؟» جاء يعرض لكثير من قضايا الفساد والرشوة في البلاد ولكن أخطر ما جاء في التقرير على جميع المستويات التالي: «منذ عام ١٩٦٨ والعمل في الاتحاد السوفييتي يجري لتصنيع مادة «الزئبق الأحمر» أو «ملح الزئبق» وحسب تقديرات الخبراء فإنه لا يوجد غير مركز واحد في أوربا (سويسرا) قادر على الاستفادة من المادة. واستناداً إلى المعطيات المتوفرة فإن سعر الغرام الواحد من مادة الزئبق الأحمر تتراوح بين ٣٤٠ أو ٣٨٠ دولاراً أي أكثر بعشر مرات من سعر الذهب. وهذه المادة يستفاد منها لتصنيع: صواعق ذات دقة متناهية للقنابل العادية، تصنيع صواعق قنابل نووية، تشغيل المفاعلات النووية، تصنيع معدات وآلات الكترونية غاية في الدقة، صناعة ورق خاص بطبع النقود، صناعة رؤوس أوتوماتيكية للصواريخ ذات الدقة المتناهية في تدمير الأهداف.... ومن خلال عقود تمت بين شركة «بن صهيون» والإدراة الروسية فقد تمَّ بيع كميات هائلة منها إلى إسرائيل بسعر بخس. حيث أن القرار رقم ٨٧ بتاريخ ١٦ يناير ١٩٩٢ أوعز بتسليم شركة «سوفيجزدين» الإسرائيلية ٣٠ كيلوغراماً من مادة الزمرد الخام بهدف تصنيعه وبيعه في الخارج لقاء بضعة آلاف من الروبلات. إنه هدية للإسرائيليين تزيد قيمتها عن عشرة مليارات دولار علماً بأن ديون روسيا بلغت عام ١٩٩٢م بلغت ١٢ مليار دولار».

الأسبوع العربي ١٩٩٣/٤/٢٦

التقرير-الضجة لم تشأ أجهزة الإعلام ــ المحكومة صهيونياً ــ أن تثيره خاصة في معمعة الأحداث الجارية في أوربا الشرقية وإن كانت قد تحدثت بعضها عنه، كما أنه وجد بعض التغطية في الصحافة العربية. هكذا تخطط إسرائيل «لسلام دائم وشامل مع العرب»!!

ساعدوهم لمحاربة التطرف

- أكد خبير أميركي في شئون الأمن القومي أمس أن العالم العربي «يجب أن يعالج مشاكله الاجتماعية والاقتصادية المتمثلة في الفقر والنمو السكاني الكبير وغياب الانتماء الاجتماعي لمواجهة انتشار الأصولية. وعليه ألا يكتفي بالإشارة إلى خطر هذه الدولة أو تلك لأن معظم الدول التي يشار إلى أخطارها العسكرية لم تعد تملك التجهيزات العسكرية المتطورة لا في أساطيلها الجوية ولا في تجهيزاتها الألكترونية المطلوبة للتفوق في هذا العصر التي تعتمد على التكنولوجيا **المتطورة»**.

الحياة ١٩٩٣/٤/٨

أصابع الاتهام تشير إليهم

- تناقلت الإذاعات والصحف المصرية أخبار حالات الإغماء الجماعي التي أصيب بها مئات الطالبات في المدارس المصرية في منتصف شهر مايو. الأخبار تفيد أن ما يزيد عن خمسمائة تلميذة أصبن بالإغماء والغيبوبة من دون سبب واضح، وقد خصصت مستشفيات كثيرة في الجيزة والقاهرة والاسكندرية لمعالجتهن وقد أصبحت هذه الحادثة-الظاهرة «لغزاً» للإعلاميين والتربويين.. كل يدلو بدلوه فيه. وقد تعطلت الدراسة في مدرستين للفتيات في قريتي بويط وفيشان التابعين لمدينة الرحمانية حيث بلغ عدد المصابات بالإغماء والغيبوبة في المدرسة ٢٥٠ تلميذة. وقد قامت مجموعة من الأطباء والمتخصصين في الأمراض الوبائية واستعين ببعض المعامل الخاصة لكشف غموض حالات الإغماء. وانتشرت مجموعة من القوات المسلحة في المناطق التي تشهد هذه الحالات واستدعي خبراء في الحرب الكيمياوية من القوات المسلحة المصرية لتحليل الظاهرة.

وقد ألقى وزير الصحة الدكتور راغب رويدار بياناً رسمياً في مجلس الشعب دعَّمه بالبيانات والإحصاءات عن عدد المصابات وحالاتهن والتفسير الطبي لهذه الحالات والنتائج المخبرية والعينات التي أخذت من المصابات وأكدّت خلوها من أي **إشعاعات وفيروسات خطيرة قادمة من الخارج أو مبيدات حشرية أو نفايات ذرية. وقد فسر «السيد الوزير» الظاهرة بأنها: «إما هستيريا جماعية» أو «حالة نفسية بحتة»!!**

ولكن «السيد الوزير» نسي أن يذكِّرنا بأن هذه الحالة والتي ظهرت قبل ذلك بأسبوعين بأعداد أقل تكاد تكون تكراراً لما حدث في مدراس البنات في «بيرزيت» في فلسطين المحتلة عام ١٩٨٣م عندما دس خبراء الموساد مواداً كيمياوية في خزان مياه الشرب التابع للمدرسة. علماً بأن هذه المواد لا يتأثر بها إلا البنات وفي سن المراهقة وتؤدي إلى إفقادهن خصوبتهن.

والجدير بالذكر أن إسرائيل ـ والتي امتدت أيديها إلى إفساد قطاعات كبيرة في الزراعة المصرية ـ تحاول باستمرار تقديم العرب للعالم على أنهم سريعو التكاثر داخل فلسطين مما يعني أن اليهود مهددون بأن يصبحوا أقلية في «بلادهم» لذا يرى الخبراء اليهود بأن إفقاد قطاع كبير من المسلمات لخصوبتهن سبيل لتحقيق أغراضهم.

ليسوا متطرفين!!

■ انتهى الحصار الذي فرضته قوات الشرطة الفيدرالية الأميركية على مجمَّع سكني تحاصر فيه مجموعة دينية يرأسهم كوريش الذي يزعم أنه رسول من الله، برسالة جديدة محتواها يهودي بإطار مسيحي. وقد قضى (جميع من كان بالداخل تقريباً) ٩٥ شخصاً حرقاً بينهم ١٧ طفلاً بعد أن رفض «سيدهم» الخروج قبل أن تأتيه «رسالة من الله». المجموعة المسلحة بأحدث البنادق قد قتلت خمسة من رجال الشرطة عند محاولتهم اقتحام الموقع منذ شهرين تقريباً. جميع الذين كتبوا عن الموضوع لم يبرزوا الرجل وجماعته كمتطرفين لأن وصف التطرف يُحتفظ به لقضايا المسلمين ورجالاتهم فقط.

من جرَّب المجرَّب

■ أنهى الحزب الشيوعي التونسي مؤتمره العام في ١٩٩٣/٤/٢٤ بالإعلان عن «عهد بالوفاء للشيوعية» وتغيير اسمه إلى «حركة التجديد» لأن المرحلة ـ كما يقول رئيسها العام ـ محمد حرمل: «تقتضي تضافر جهود الديموقراطيين لمجابهة خطر التيارات الأصولية».

إحصائيات

العــرب بالأرقــــام

- قدر التقرير العربي الموحد للعام ١٩٩٢ عدد سكان العالم العربي في نهاية عام ١٩٩١م بـ ٢٣٠ مليون نسمة يشكلون ٥ بالمئة من عدد سكان العالم. فيما يبلغ عدد العمالة العربية ٦٧ مليون عامل. واعتبر التقرير أن نسبة احتياطي النفط المؤكدة في الدول العربية (٦٣١ بليون برميل) أي ٦٢.٢٪ من الاحتياطي العالمي. وتشكل نسبة احتياطي الغاز في الدول العربية ٢٤.٢٪ من الاحتياطي العالمي. وقدّر التقرير الصادارت السلعية بـ ١١٩ بليون دولار عام ١٩٩١م، وهي تشكل نسبة ٣.٧٪ من الصادرات العالمية. فيما بلغت قيمة الواردات ١٠٥ بليون دولار تشكل نسبتها ٣٪ من إجمالي الواردات العالمية.

- أعلن صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة يونيسيف في كراتشي أن خمسة ملايين طفل مسلم يموتون سنوياً في العالم الإسلامي، وأن ملايين آخرين يعانون من سوء التغذية التي تترك بصماتها على حياتهم مستقبلاً. ودعت المنظمة التي تعمل على حماية الطفولة بلدان منظمة المؤتمر الإسلامي إلى تخصيص ٢٠٪ من موازناتها للتنمية البشرية لتلبية حاجات النساء والأطفال.

المسلمون في أميركا

- عرضت جريدة «هيرالد تريبيون» الدولية في عددها الصادر ١٩٩٣/٥/٨ أن عدد المسلمين في أميركا يتجاوز الـ ٤ ملايين نسمة، وأن أعدادهم في تزايد مستمر، ومعظمهم من الدول العربية والإفريقية إلى جانب الباكستانيين والهنود..

ويقيم المسلمون في بعض المدن مثل (ديربورن) وسكانها ٨٧.٠٠٠ نسمة يشكل المسلمون فيها ٢٠٪ منهم.

ويقول التقرير أيضاً أن المسلمين في أمريكا ليس لهم وجود سياسي واضح ولا يشكلون «قوة ضغط» واضحة المعالم، ولكنهم على ما يبدو في الطريق إليها إذ أن

ذلك يبدو واضحاً من خلال إنشاء المقومات الأساسية لتكوين انفسهم، حيث لهم ١٦٥ مدرسة إسلامية.

مصطلحات

القنبلة الإسلامية*:

وهو تعبير أطلقته باكستان عام ١٩٧٩م على القنبلة النووية الباكستانية المزمع تصنيعها آنذاك. وهذا التعبير كثير الاستخدام في العالم الغربي للتحذير من أية قوة إسلامية علماً بأن جميع شعوب العالم ـ ما عدا المسلمين ـ يملكونها. فالهند لديها مشاريعها النووية وكذلك كوريا واليابان وإسرائيل وجنوب أفريقيا ودول أوربا وأمريكا ولكنها محظورة على المسلمين.

وقد كان الدافع الأول للمشروع الباكستاني هو التهديد والتحدي الهندي ـ العدو التقليدي والأول لباكستان. وقد هددت إسرائيل عشرات المرات وأشارت إلى إمكانية قيامها بتدمير المنشآت النووية الباكستانية للحيلولة دون تصنيع «القنبلة الإسلامية» على غرار ما فعلت عام ١٩٨١م عندما قامت بقصف المفاعل النووي العراقي.

فمع أن القانون الدولي يحرِّم استخدام أسلحة التدمير الشامل، وعُقدت مئات الاتفاقيات وعشرات المعاهدات إلا أن العالم لا يزال يمتلك ذلك السلاح*:

- أميركا: لديها ما يكفي لتدمير العالم ٢١ مرة.
- روسيا: لديها ما يكفي لتدمير العالم ١٨ مرة.
- فرنسا وبريطانيا لديها ما يكفي لتدمير العالم ٥ مرات.
- إسرائيل تمتلك ٢٦ قنبلة نووية صغيرة*.

* هذه المعلومات حسب إحصائيات قديمة ولدى إسرائيل أكثر من ذلك بكثير.

إصدارات

من الكتب التي صدرت حديثاً عن أحداث الجزائر ، كتاب «**شيوخ وجنرالات؛ الصراع على الجزائر**»، أعده فريق من الخبراء العرب، نشر دار الكتاب العربي، القاهرة/دمشق، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، الكتاب من ٢٠٠ صفحة من الحجم المتوسط.

جاء في مقدمة الفصل الأول منه: «طويلة هي قصة الصراع بين العسكر والدّين في أوطاننا العربية، ومعقدة هي فصول هذه القصة ومتداخلة، وهو واقع الحال مع الجزائر في تاريخها الحديث، وبخاصة في تجربتها الأخيرة (ديسمبر ١٩٩١م-يناير ١٩٩٢م) فلقد كان الصراع دامياً ودرامياً بين العسكر والشيوخ».

والكتاب عبارة عن سرد للوقائع والأحداث ورصد المواقف، مُدَعماً بالوثائق والنصوص، لفترة معينة في الصراع بين الحق والباطل وحتى قبيل هلاك «بوضياف»!

وقد قُسِّم الكتاب إلى أربعة فصول هي:

الفصل الأول: رياح الديمقراطية تأتي بالإسلاميين (الجزائر قبل الاستقلال).

الفصل الثاني: مواقف القوى السياسية العربية من الفوز الإسلامي (مواقف ما قبل استقالة «بن جديد») وفيه: **أولاً**: موقف الإخوان المسلمين، **ثانياً**: موقف الإسلاميين المستقلين، **ثالثاً**: موقف القوى اليسارية.

الفصل الثالث: الإنقلاب الأبيض (الجزائر بعد استقالة «بن جديد») وفيه: رصد للأحداث الداخلية من خلال الصحف المحلية والغربية، وبيان بعض مواقف قيادات الجبهة الإسلامية للإنقاذ مع تصريحات لبعض القيادات العربية. كما يحتوي هذا الفصل على أول رد فعلي رسمي أميركي على أحداث الجزائر.

الفصل الرابع: الدبابات تعود (رصد عام لمواقف القوى السياسية العربية بعد استقالة «بن جديد») وفيها: **أولاً**: موقف الإخوان المسلمين، **ثانياً**: موقف القوى الإسلامية المستقلة، **ثالثاً**: موقف القوى اليسارية، **رابعاً**: موقف قوى رسمية مستقلة.

ثم يُختتم الكتاب بالنص الكامل للبرنامج السياسي للجبهة الإسلامية للإنقاذ.

وفي الجملة، فإن الكتاب من «أحسن ما في الباب» حالياً، لمن يهمه أمر أمة المليون شهيد، حتى يأذن الله.

صور من تاريخ الطغيان

د. محمد عابد باخطمه

التاريخ كتاب عظيم الفائدة لمن أراد أن يقرأه ويستفيد من حوادثه كمنهج قرآني. قال تعالى: ﴿**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلُ**﴾ [الروم ٤٢]. وقد استخدم الرسول ﷺ هذا المنهج في غير موضع.

دراسة التاريخ غزيرة الفوائد ولعل من أهمها:

أولاً: إن الحقائق تصبح ظاهرة.. حيث أن الحادثة وتفاعلاتها ونتائجها تكون معروفة، لذلك يمكن إعطاء الأحكام العادلة على الحوادث المنصرمة.

ثانياً: يصبح في المقدور ربط الحاضر بأصوله، وجذوره في الماضي، فلا نخدع بالثمرة الحسنة المظهر المرة المذاق من الشجرة الخبيثة الأصل، وعلى أثر ذلك فإن أحكامنا على الحوادث والأمور الحاضرة سوف تتسم بالجدية والأسلوب العلمي البعيد عن العاطفة والتخمين.

ثالثاً: يمكننا عند دراسة التاريخ ـ دراسة واعية ـ أن نستشف المستقبل، فيصبح خداعنا أمراً صعباً ومستحيلاً، وتكون الخطط المستقبلية ـ وهي أحد

أساسيات تطور الشعوب ـ مبنية على أسس صلبة لا تتأثر بالرياح الموسمية.

إذن التاريخ يخبرنا عن الماضي لنفهم الحاضر ونخطط للمستقبل، وفي هذه المقالة أريد أن أدرس أمراً واحداً فقط وهو الطغيان لنرى ماذا يقول التاريخ فيه.

والطغيان في اللغة: مجاوزة الحد والتعدي. وعند تطبيق هذا المعنى في الدين يكون الطغيان: التمرد على أوامر الله سبحانه وتعالى ومحاربته سبحانه، وللطغيان أسس هي:

أولاً- الطاغوت: وهو كل ما يعبد من دون الله تعالى.. صنم.. رجل.. شَجرة.. حزب.. منهج... الخ،

ثانياً: الطاغية: وهو المؤمن بأحد هذه الطواغيت، ويجبر الناس على عبادتها مثله،

ثالثاً: السبيل الذي يسلكه الطاغية للوصول إلى هدفه وقد يكون القتل.. **التجويع.. الإغراء.. الخ،**

رابعاً: الأمة الضعيفة.. الجاهلة.. الواهنة.. المترفة.

ويقول لنا التاريخ: أنه لا بد من اجتماع هذه الأصول، فالطاغوت بدون طاغية لا قيمة له.. والطاغية لا يجبر الأمة العالمة القوية المجاهدة على عبادة طاغوته مهما استخدم من سبل، وقد تطغى أمة بمجموعها أو قد يطغى فرد واحد، والأمثلة على النوعين كثيرة.

١- طغيان الأمم:

قوم نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿**قال ربي إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلا فراراً، وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا**﴾ [نوح ٧].

القوم أبوا إلا عبادة الأصنام وأصروا على ذلك.. قال تعالى: ﴿**وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً**﴾ [نوح ٢٣]، أعلنوها حرباً صريحة مع الله تعالى، وهنا صدر الحكم، قال تعالى: ﴿**مما**

خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾ [نوح ٢٥].

إذن اتخذوا طواغيت.. استكبروا وأصروا على غيهم.. أعلنوا الحرب مع الله فأغرقوا وانتقلوا من الدنيا إلى جهنم وبئس المصير.

ثم قوم هود وهم عاد كانوا جبابرة ، قال لهم نبيهم . . قال تعالى : **﴿ وأذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ﴾** [الأعراف ٦٩] . وقال تعالى : **﴿ فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة ﴾** [فصلت ١٥] . إذن أعلنوا التحدى لله تعالى بل طلبوا المنازلة . . ! وهنا صدر الحكم ، قال تعالى : **﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ﴾** [الحاقة ٦] .

أما قوم لوط.. فاختاروا طريق الشهوات ونكسوا فطرتهم وأصبح العفاف عندهم جريمة تستوجب النفي، ألم يقولوا **﴿أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾** [النمل ٥٦]، ومثلهم قوم شعيب وقوم سبأ.. الخ، فمما سبق نستنتج ما يلي:

قوله تعالى: **﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون، أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون، أفأمنوا مكر الله، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾** [الأعراف ٩٦-٩٩].

التاريخ يقول: أن الأمة التي تكثر معاصيها وتطغى لابد وأن تهلك، ولا ينجو إلا من آمن بالله تعالى، بل إن المؤمن إن لم ينه عن المنكر فقد يهلكه ذلك المنكر الذي لم ينه عنه.

والنوع الثاني من الطغيان هو طغيان الأفراد، ومن أمثلة ذلك إمامهم وقدوتهم

فرعون الذي أُعطي كل دعائم القوة..... الشباب.. السلطة.. الفصاحة..المال.. الجيوش.. الأراضي.. القصور.. العبيد، ومع ذلك كله كان عنده قومه إنهم كانوا قوم سوء فاسقين لأنهم مهدوا له طريق الطغيان، كل هذا جعله يقول لهم: ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾ فأماته الله شر ميتة مع جنده، وهو في أوج مجده، وقارون كان فقيراً معدماً فآتاه الله علماً درّ عليه المال فلم يحمد الله على ذلك.. فخُسِفت به الأرض وهو يمشي متبختراً بين قومه. وكسرى.. كان أقوى ملوك الدنيا في عصره ولكنه باستخفاف الطاغية لم يحترم رسالة الرسول ﷺ بل مزقها، فمزق الله ملكه. وأبو جهل لقي نفس المصير.. لقد ماتوا شر ميتة وهم في أوج تغطرسهم.. وفي عصرنا الحاضر ماذا كانت عاقبة هتلر.. جنرالات إسبانيا.. ماذا حصل لتشاوشيسكو.. المصير واحد والمعادلة معروفة الطغيان يؤدي إلى الهلاك.. التاريخ يقول لنا أن الطاغية يصل إلى أوج مجده ثم بسرعة جداً يسقط إلى الحضيض، ومن لا يعتبر فالسنة الربانية لا تتغير.

وما هو حال من يطغى في وسط أمة صالحة؟ الجواب: هو ما حصل لصاحب الجنتين الذي قال لصاحبه وهو يحاوره: ﴿**وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً**﴾ [الكهف ٣٦]، أحرقت جنته واصبح يعض أصابع الندم. الحقيقة التي لا تقبل الجدل هي قوله تعالى: ﴿**فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى**﴾ [النازعات ٣٧-٣٩].

إن العودة إلى الله تعالى وترك المعاصي هي سبيل النجاة الوحيد للأمم والأفراد، ووقوع الكوارث والمصائب لا يكون إلا عندما تكثر المعاصي، ولا ترفع إلا بالتوبة إلى الله عز وجل.

وباختصار إذا أرادت أمة أن تطغى.. أو أراد فرد أن يطغى فلتبحث تلك الأمة.. أو ذلك الفرد عن ملكوت غير ملكوت الله تعالى، أما في ملكوته فهو وحده الجبار المتكبر سبحانه وتعالى.

● **من الأخ سليمان عبد الرحمن العبيد وصلتنا قصيدة «كم وكم» نختار منها بعض الأبيات:**

يا مَنْ له الأُولى وحكمُ الآخرةْ
ربَّ العشية والضحى والهاجرةْ
يا ربِّ نسألك النجاة جراحنا
من كسب أيدينا الضعيفة غائرةْ
يا ربِّ نسألك الثبات عقولنا
من كيد صهيون ـ الخيانة ـ حائرة
ولقد علمنا لا محالة أن في
يوم تدور على اليهود الدائرةْ
كم ساجد جاؤوه وقت سجوده
عَدْواً بمطرقة الحديد الكاسرةْ
وجماعةٍ تدعو بمسجد ربها
مَلأَتْ سجونَ الظالمين الجائرةْ
هذي المساجد مَعقل الإرهاب بل
هذي وصايا «أورشليم» الكافرةْ

● **الأخ سعد الحمدان**

نشكرك على عواطفك النبيلة، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

● **الأخ بدر الربدي**

نتيجة بحوث المسابقة خاصة بالمجلة، ولا نستطيع في الوقت الحاضر توزيع هذه البحوث، وقد طبع البحث الأول على حساب مؤلفه.

● **الأخ زين بن حسن يماني**

ملاحظاتك حول الأخطاء المطبعية سيتم التنبه إليها. جزاكم الله خيراً على نصائحكم.

● **الأخ إبراهيم المزيني**

يدعو لمناصرة المسلمين في كل مكان، وجمع التبرعات لنصرة قضاياهم ويخص المنتدى الإسلامي بذلك.

● **الأخ عمر كوري**

سوف تصلك مستقبلاً إن شاء الله أعداد البيان كاملة.

● **الأخ عبد الرحمن عبد اللطيف**

اقتراحاتك وملاحظاتك نرجو التفاهم حولها مع أقرب مكاتب المجلة إليك.

● **الأخ خالد يوسف**

اقتراحاتك موضع عناية واهتمام من أسرة تحرير المجلة.

● **الأخت حصة البازعي**

موضوع السنن الربانية: هناك رسالة

دكتوراه في الموضوع من جامعة أم القرى ويمكنك الرجوع إلى تفسير (المنار) للشيخ رشيد رضا.

• الأخ عبد العزيز التويجري

نشكرك على ثقتك بمجلة البيان، وبالنسبة لطلبك فإنه يتعذر الآن.

• الأخ محمد سليمان آدم

نرحب بك قارئاً للمجلة ونحن نستقبل جميع الكتابات حول شؤون العالم الإسلامي.

• الأخ جمعان الزهراني

نوافقك على ما جاء في رسالتك ونرجو أن نكون عند حسن ظنك.

• الأخ محمد أبو عزام

أرسل نداءً حاراً للمسلمين داعياً إياهم للوحدة والاجتماع على منهج أهل السنة والجماعة.

• الأخ عثمان الخنين

يطرح قضية هامة وهي تعرية رؤوس الشر والفساد والتخريب في الأمة وفي الساحة الثقافية على وجه الخصوص، ويدعو الكتاب والمفكرين للمساهمة في هذا الموضوع.

• الأخ محمد ابكر طبيقي

نشكرك على ثقتك بالمجلة، أما عن وصول المجلة إليك كما ذكرت في رسالتك فهي خارجة عن إرادتنا تماماً.

• الأخ سليمان السنيدي

ملاحظاتك حول بريد القراء واقتراحاتك بشأن المقالات محل دراسة وشكراً لك.

• الأخ عبد الله بن عبد اللطيف الحميدي

أرسل لنا رسالة يبدي فيها إعجابه بقصيدة الأخ د. محمد وليد في العدد ٦١ وكان له بعض الملاحظات التي طلب منا إرسالها للشاعر.

البيان: ونشكر لك اهتمامك وملاحظاتك المهمة سنحقق رغبتك إن شاء الله.

شذرات وقطوف

دعــاء

«اللهم قد أطغاهم حلمك وتجبروا بأمانك حتى تعدوا على المسلمين بغياً، اللهم قلّ الناصر، واعتز الظالم، وأنت المنصف الحاكم بك نستعين وإليك نهرب من أيديهم، اللهم إنّا حاكمناهم إليك، وتوكلنا في إنصافنا منهم عليك، فاحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين».

* * *

حنين إلى العدل

يكفيك حزناً ذهاب الصالحين معاً
وأننا بعدهم في الأرض قُطّان

إنّ العراقَ وإن الشام من زمن
صفْرانِ ما بِهما للعدلِ سُلْطانُ

ساسَ الأنام شياطينٌ مُسَلَّطَةٌ
في كلِّ قُطْرٍ من الوالين شَيطانُ

متى يقومُ (زعيمٌ) يستقيدُ لنا؟
فتعرف العدل أجيال وغيطان!

أبو العلاء المعري

* * *

حب الرئاسة

«وهلاك من هلك من الأمم فيما سلف بحب الرياسة وكذلك من يهلك إلى انقضاء الدهر فبحب الرياسة».

رسالة بين العداوة والحسد، الجاحظ ٣٦٩

* * *

«ولا يقتل النبوغ شيءٌ كالعمل في هذه الصحافة بطريقتها، فإن أساس النبوغ (ما يجب كما يجب) ودأبه العمق والتغلغل في أسرار الأشياء وإخراج الثمرة الصغيرة من مثل الشجرة الكبيرة بعمل طويل دقيق، أما هي (الصحافة) فأساسها (ما يمكن كما يمكن) ودأبها السرعة والتصفح والإلمام وصناعة كصناعة العنوان لا غير».

مصطفى صادق الرافعي، الرسالة ٥/٢٤٤

آفة المزاح

قال سعيد بن العاص لابنه: اقتصد في مزاحك فالإفراط فيه يذهب بالبهاء، ويجرئ عليك السفهاء، وتركه يقبض المؤانسين ويوحش المخالطين، ولكن الاقتصاد فيه صعب جداً، ولذلك تحرَّجَ عنه أكثرُ الحكماء لأنه مَقطعةٌ للإخاء مَسلبةٌ للبهاء.

* * *

أقوال

«لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله، يُعطي منه حقه، ويكفّ به وجهه عن الناس».

سعيد بن المسيب،سير ٤/٢٣٨

«إن الحق لا ينقلب باطلاً لاختلاف الناس فيه، ولا الباطل يصير حقاً لاتفاق الناس عليه».

العامري ١٩٢

أذكرتنيهم الخطوب التوالي

حسين بن علي الذومي

ما زالت صورة أولئك الرجال ترتسم في ذهني بقوة.. صورة الرجال الذين لبسوا أكفانهم ترحيباً بالموت في سبيل الله.. وحملوا أرواحهم على أكفهم.. يرفعون كتاب الله.. ويهتفون بصوت مجلجل: الله أكبر.. ولم ينسوا أن يكتبوا وصيتهم قبل مسيرتهم.. (مسيرة الموت)!!

لله درّكم يا رجال (مرج الزهور).. لقد ذكرتمونا رجالاً كدنا أن ننساهم في خضم أحداث الحياة.. ولم يغفلهم تاريخنا المضيء.. لم ينس مَنْ كتبوا التاريخ بإبائهم ودمائهم.. لم ينس نور الدين وصلاح الدين وعز الدين.. وكل من نصر الدين.

ها أنتم تعيدون الأمل إلى القلب من جديد.. لتحيوا العزة والإباء فلكم منا كل شكر وعرفان.. ولا نملك لكم إلا الدعاء! نقول ذلك وقد وضعنا أيدينا على وجوهنا حياءً وخجلاً منكم.. لأننا نعيش في زمن الضعف.. نرجو منكم أن تتقبلوا أعذارنا غير المقبولة!

بينما أنتم تستنفرون حماسنا.. نسلّم خانعين معقلاً من معاقلنا في (البوسنة والهرسك).. ها قد سقطت مدينة (سريبرينتسا).. فهل حدث ما يحكونه فعلاً عن سقوطها؟! بعد إقامة المجازر البشعة بأيدي الصليبيين!!

نحن لم نُفِق منذ سقوط الأندلس **(الفردوس المفقود)**.. وحتى الآن فما زلنا نعيش على ذكراها.. فهل لدينا الطاقات الفكرية التي تغطي رثاء المدن الإسلامية التي بقيت لنا في أوربا؟!.. مع الأسف.. حتى الرثاء لم نعد نحسن صنعته

ولا يكاد يلتئم جرح في أمتنا.. إلا وتتلوه عشرات الجراح الحديثة.. ولا تقف حدود المجازر عند الجراح بل تستأصل الأطراف!!

وبدلاً من انشغال إعلامنا بإيجاد حلول لمداواة آلامنا ومتابعة قضايانا.. فإنه انشغلَ بمسرحية ما يُسمى (الإرهاب الأصولي)!!

يقول رئيس تحرير أحد المجلات العربية: لا غرابة في أن يكون أكثر حديثنا عن قضية (الإرهاب الأصولي) فهو حديث اليوم وحديث الغد!

فإلى هؤلاء ـ العملاء الخونة ـ نقدم التعزي بعد أن خذلوا الأمة، وزادوا المسلمين ذلة ومهانة في الأرض.. وطبقوا المشروع الصهيوني الأميركي بحذافيره.. حذو القذّة بالقذة!!

ونبشرهم بأن دماء إخواننا خارج الحصون وداخلها.. ستكون سيلاً جراراً يكتم أنفاسهم.. ويكسر أقلامهم.. وسيأتي أولئك الرجال الذين إذا دُعوا هبّوا.. وإن دوى النفير أغاروا..

البيان

العـدد الخامس والسـتون
محـرم ١٤١٤ هـ
يوليـو ١٩٩٣ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن
المنتدى الإسلامي
لنـدن

رئيس التحرير
محمد العبدة

العنوان
AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR U.K.

Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 371 5307

كلمة صغيرة

لم يكن سقوط بغداد (٦٥٦هـ) ممكناً لولا خيانة الوزير ابن العلقمي، لأن القوى الخارجية تبقى محدودة التأثير ما لم تتعاون معها قوى عميلة من الداخل.

تكررت مآسي المسلمين بعد سقوط بغداد فتساقطت مدن الأندلس واحدة تلو الأخرى وتتابعت المآسي، فضاعت فلسطين وبضياعها ضاعت حقوق أهلها، وها نحن الآن نعاصر ضياع البوسنة والهرسك، والأعداء هم الأعداء، وطريقة الضياع هي نفسها لم تتغير، والعالم الإسلامي يقف متفرجاً كأنما أصيب بالشلل التام.

إنه أمر عجيب تحار فيه العقول!! ما الذي دهى المسلمين حتى ضاعوا وأضاعوا حقوقهم وبلادهم. إننا لا نطلب من العلماء والمفكرين وصف الداء بل وصف الدواء علنّا نجد مخرجاً من هذا المأزق، كما نطلب أن يتحملوا المسؤولية كاملة قولاً وعملاً، قياماً بما يمليه عليهم الواجب في هذه الأيام العصيبة التي كرست اليأس الذي يكاد أن يحيط بالمسلمين.

المحـرر

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

قد خلت من قبلكم سنن

أحداث مهمة وخطيرة جرت وتجري على الساحة الإسلامية في السنوات الأخيرة، أحداث استنفذت الطاقات وذهبت بالجهود سدى، استنزفت الدماء الطاهرة وأدت إلى زج خيرة الشباب في السجون. هذه الأحداث وغيرها مثل الدخول في معمعان السياسة من الأمور الكبار التي لا يجوز أن ينفرد بتقريرها أفراد أو تجمعات صغيرة، لأن أمرها يهمُّ الأمة كلها ونفعها أو ضرها يعمُّ الجميع، وليست من مجالات الاجتهادات الخاصة ببلد دون آخر.

هذه الأحداث المستمرة لا يجوز أن تبقى خارج دائرة النصح وإبداء آراء السياسات الشرعية فيها، كما لا يجوز أن تبقى خارج دائرة التحليل والنقد ومعرفة أسباب الخلل ومواطن الضعف، وهذا يقتضي أن نصارح بعضنا وننقد أنفسنا، ولئن كان في السكوت مصلحة مُقدَّرة فيما مضى فإن الدعاة والعلماء والمفكرين مدعوُّون اليوم لبيان الرأي الصريح، وقول كلمة الحق في

هذه الأمور الكبيرة طلباً للحق الذي يجب إحقاقه عاجلاً أو آجلاً.

لقد سنَّ الله تعالى النظر في سير الأولين والآخرين لمعرفة أسباب الظفر والتمكين وأسباب الفشل والتراجع، فهل كُتب على المسلمين عدم الاعتبار بحدث ماضٍ، وعدم التفكير بما وقع لإخوان لهم في زمن قريب؟ هل دُرِست كل الحركات التي قامت سابقاً ولاحقاً؟ تلك الحركات التي أكبر أسباب فشلها ناتج عن العجلة وقلة الاستعداد المطلوب شرعاً وعقلاً، بل إن البعض الآن لا يتعجل قطف الثمار لأنهم يعلمون ـ كما يصرحون ـ أن لا ثمار ولا نتيجة من وراء هذا العمل، ولكنهم يعملون لمجرد أنه لا يوجد طريق آخر بنظرهم!

هل يجوز شرعاً القيام بأعمال لمجرد اجتهادات من هذا النوع؟ وهل ـ يصح في العقول ـ أن يقوم أفراد بعمل يجرون فيه المسلمين إلى الصراع دون أخذ الأهبة ودون (تخطيط مسبق) تحسب فيه كافة الاحتمالات؟

في مثل هذه الظروف الارتجالية يدخل في العمل من يظنُّ أن النصر قريب طلباً لجني الثمار، وهو بذلك أقرب إلى المنافقين، ويدخل أشخاص انتهازيون يريدون السيطرة على هذا العمل، وهذا أمر سهل، يكفيه أن يرفع شعار المرحلة، بل يزاود على الذين رفعوه ـ بصدق ـ من قَبْلُ ليتقدم الصفوف الأولى.

حينما تعمُّ الفوضى يُعتقل أكثر القادة وبكل سهولة، ففي أحداث بلد عربي بلغت الخسائر في مدينة واحدة خلال أشهر أكثر من (٦٠٠) شهيد، وفي مدينة أخرى يقود العمل مُتصوفٌ يخطط لعملياته بناء على الأحلام التي يراها في الليل[١]، وذلك ما أدى إلى كشف وقتل معظم الذين كانوا

١- قد وقع هذا ولا داعي لذكر الأسماء.

معه واعتقل آلاف الشباب بسبب اشتراك أناس لم يتربوا تربية إيمانية، بل اندفعوا عاطفياً وتعرفوا على كل شيء، وعندما اعتقلوا اعترفوا بكل شيء، وكانوا صيداً ثميناً للطغاة، فهل يُضحّى بشباب تربوا تربية طويلة من أجل أهداف بسيطة، وهل أتاك نبأ الذين يتورطون في هذه الأعمال ثم يضطرون للكذب في بياناتهم عندما يتحدثون عن الإعداد والعدَّة، وإذا سألتهم عن مئات الشباب الذين قتلوا أو سجنوا (وهم على نياتهم الخيّرة الصادقة) قالوا: لا بدّ من التضحية! نعم لا بد من التضحية وليذهب الآلاف إذا كان ذلك في صالح أهداف المسلمين وإعزاز دين الله وإذلال الكفر وأهله.

إن من أهداف العمل الإسلامي قمع أهل الكفر والضلال، وأن يكون الدين كله لله، وأن تعلو راية الإسلام، فإذا كانت النتائج على الضدّ من هذا، وكانت ضعفاً للمسلمين وإذلالاً لهم وشفاءً لصدور الكفار والفسقة والعلمانيين، فلماذا لا نراجع حساباتنا لنعرف ما إذا كنا قد أخطأنا التقدير، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

إننا مأمورون شرعاً بأخذ كافة الاستعدادات المادية على المستوى البشري ثم نتوكل على الله ولا نقلب الآية فنفسر التوكل تفسيراً غير صحيح، ونقوم بأعمال ضعيفة باسم التوكل على الله، كما أنه لا يجوز أن يجرنا اليأس والإحباط، أو تخاذل البعض وارتمائهم في أحضان أعداء الإسلام وتأويلاتهم الفاسدة، لا يجوز أن يجرنا إلى أعمال لسنا مقتنعين بها.

هل يظن المسلمون أن الرعيل الأول من المسلمين لم يكونوا على علم واسع بعدوهم ومقدرته ومعرفة طبيعته من كل الجوانب، ألم يكن أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ عالماً بأنساب العرب تفصيلاً؟ وهذا أمر مهم للدعوة. ألم

تكن قريش ـ بسبب تجارتها ـ تعرف أرض فارس والروم، وطرق المواصلات وخصائص تلك الشعوب؟ ألم يكتب عمر ـ رضي الله عنه ـ لسعد بن أبي وقاص طالباً منه وصف أرض العراق وأرض المعركة كأنه يراها؟ ألم يعُين القادة الفاتحون أمثال خالد وعمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهم ـ من أولي الخبرة الشخصية القيادية؟ ولم يؤَمَّر من هو أعلم منهم في أمور الدين. فلماذا تترك أمور خطيرة لأصحاب النوايا الطيبة ممن ليس عندهم الخبرة الكافية.

نحن نعلم أن هذا الكلام لن يعجب الكثيرين من الناس، ولكن لا بدّ من قول كلمة الحق، ولا بد من النصح لخاصة المسلمين وعامتهم، ولا نقصد من النصح ـ علم الله ـ تجريحاً لفرد أو جماعة مع علمنا أن الذي حدث ويحدث كان بنية طيبة، ولكن هل تكفي النوايا الصادقة؟ أم يجب الأخذ بالركن الثاني وهو الصواب في العمل.

رئيــس التحريــر

﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾

د. عبد الكريم بكّار

أكرم الله ـ سبحانه وتعالى ـ الخلق، فأرسل لهم الرسل تترى حتى تظل أعلام الهداية منشورة، وحتى لا يكون لأحد على الله حجة بعد إرسال الرسل. وينقسم الناس أزاء كل رسالة في العادة إلى فريقين فريق يصدق، وفريق يكذِّب، وكانت حجة المكذبين الجاحدين ما حكى الله عنهم: ﴿**وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون. قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون**﴾ [الزخرف ٢٣-٢٤].

وظاهر هذه الآية أن الرؤساء والوجهاء والمترفين هم ـ في الغالب ـ الذين قاوموا دعوات الرسل؛ لأن أية رسالة ستحدث تغييراً في القيم السائدة والأحوال المعاشة، وهذا التغيير سيمس مصالحهم ومكاسبهم، ومن ثَمَّ فإن موقفهم هو التأبي والمعاندة. وبما أن الحياة الجمعية لا يمكن أن تستقيم، وتنتظم من غير ضوابط عرفية تؤمِّن نوعاً من التعاون، وتَحُول دون بغي الخلطاء على بعضهم بعضاً كان الجواب دائماً: أن ما تقوم عليه حياتهم الاجتماعية هو ما وَرِثوه عن آبائهم وأجدادهم من الأعراف والعادات والتقاليد، وما حياتهم إلا استمراراً لحياة

سلفهم الذين يفاخرون بهم.

والخلف لا يكتفي عادة بالتلقي الأصمّ عن السلف لكنه ينشئ من الفلسفات والمقولات والخرافات ما يمنح ما ورثه ـ من تقاليد ـ القداسة والاحترام مما يجعلها محوراً للمنظومات العقدية والفكرية والرمزية والتاريخية! وهذا كله طبيعي؛ لأنه في حالة اندراس معالم المنهج تصبح السوابق التاريخية هي المنهج، ومن ثَمَّ كان من مهمات المصلحين وضع السوابق التاريخية في إطارها الصحيح.

ماذا تعني الآبائية؟

ليس كل ما يرثه المرء عن آبائه وأجداده رديئاً ـ لأنه لا يوجد جيل مختص بالرذائل ـ لكن الرديء هو أن نفقد القدرة على الحكم على تلك الموروثات، ونُحلها محلَّ القبول والاقتداء! وإذا تأملنا قضية التقاليد الموروثة وقبولها دون تبصُّر ولا تمييز وجدنا أنها تعني أموراً عديدة منها:

- إن الإنسان قادر على امتلاك منهج يُسَيِّر حياته من خلال خبرته التراثية دون مرشد خارج عن حدود ذاته، وهذا ما نجده واضحاً في جواب المترفين للرسل حين قالوا لهم: ﴿**أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم؟**﴾ [الزخرف ٢٤]، وكان الجواب: ﴿**إنا بما أرسلتم به كافرون**﴾ [الزخرف ٢٤]. وفي هذا الجواب القاطع الخالي من أي تدليل أو برهان توصيف آخر للآبائية هو أن التقليد وإن بنى حوله بعض الفلسفات التسويغية إلا أنه يظل مع الدليل والبرهان على طرفي نقيض، فهو ظاهرة لا دليل لها سوى وجودها فحسب!

ومما تعنيه الآبائية أن البشر امتلكوا ناصية الحقيقة كاملة فيما يتعلق بشؤون حياتهم الاجتماعية. والشعور بامتلاك الحقيقة مع أنه غير صحيح إلا أنه يدفع إلى الجمود؛ لأن حركة الفكر والعلم لا تنشط إلا عند الإحساس بأن هناك حقائق خافية أو مشكلات تحتاج إلى حل. ومن هنا كانت متابعة الآباء والأجداد من غير ميزان عبارة عن حركة إلى الوراء تصادم منطق التاريخ، وتجعل أصحابها

متخلفين بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى! وإذا كان المنهج الحق يسعى إلى تجديد ذوات معتنقيه ونقدها واستيعاب العظات والعبر من حياة الأولين فإن الآبائية تعني تعطيل تراكم الخبرة البشرية وتقويمها؛ لأن ذلك يخلُّ بالمكانة التي أنزلوا آباءهم فيها!

وتعني الآبائية أيضاً إحالة العادات والأخلاق إلى إطار مرجعي لا منطقي ومتحجّر، يحكم الناس في حالات اجتماعهم، ويُتيح لهم الانطلاق الحرّ في خلواتهم، أي: يؤسِّس الحياة على نوع من الازدواجية، على حين أن الدين يجعل الوازع الداخلي أساساً للانضباط الفردي والجماعي. وإن التفسير المستمر في كل شؤون الحياة يجعل تقليد الآباء فارغاً من مضامينه في أحيان كثيرة، فإذا كان الآباء يتقلدون السيف ـ مثلاً ـ لمواجهة حيوان مفترس، فما معنى حمل الأبناء له وهم يركبون الطائرة؟! وإن الآبائية بعد هذا أو ذاك توجد نوعاً من الانحباس الاجتماعي المصادم لسنّة التغيير التي بثها الله ـ تعالى ـ في الكون، ومن ثَمَّ فإن الانغلاق على مواريث بالية لابد أن يعقبه انفلات غير متزن يطيح بصالح الموروثات وطالحها.

المصلحون والآبائية:

لا نبعد النجعة إذا قلنا: إن الآبائية هي أخطر مشكلة واجهت الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وتواجه أتباعهم من المصلحين على مدار التاريخ حيث تمتلئ الساحة الاجتماعية بتركة الآباء ومخلفات الأجداد مما يجعلهم يحتاجون إلى تزييف الموروثات أولاً، ثم إحلال المنهج الرباني محلها. وإن حملة الهدَى الرباني يصطدمون بالآبائيين صداماً مباشراً حيث يرون أن ما بأيديهم من الهدى يجعل التراث مملوكاً خاضعاً للمحاكمة على حين يرى الآبائيون أن التراث هو مالكهم والقاضي في حياتهم لا المتهم!

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل بإمكان البشر الفرار من الارتهان للماضي بدون منهج منفصل عن خبرة الإنسان، أي: لا زماني؟ الواضح أن ذلك

غير ممكن؛ لأننا باعتبارٍ ما جزء من الماضي ومكوناتنا الثقافية أكثرها موروث، فنقده وتجاوزه بمبادئ وأدوات منه غير ممكن. ونحن حينئذ كالجرَّاح الذي مهما كان ماهراً فإنه عاجز عن استئصال زائدته أو مرارته بنفسه! وعلى المتهمين بصلاح الأمة الغيورين على مستقبلها أن يخوضوا معركتين في آن واحد: معركة الحياة العامة وتنقيتها من الرواسب والشوائب التي تولدها حركة الأيام، ومعركة داخلية في مجال الحياة الفكرية، وما فيها من مشكلات التجديد والتقليد والاجتهاد وحدود سلطان العقل والنقل الخ..

أن معالم المعركة الأولى تتمحور حول (مفاصل) التقاليد والسنن والتوزيع الصحيح للاهتمام بمفرادت التكاليف الشرعية، وما يتصل بها مما يحفظ كيان الأمة. وعلى هذا الصعيد نلاحظ أن المسلمين منتشرون في بقاع الأرض؛ ولذا فإنهم يعيشون في ظروف شديدة الاختلاف تؤدي إلى تفاوت عظيم في معرفتهم بالدين، كما أن الثقافات الأجنبية التي تأثروا بها مختلفة أيضاً، والمؤثرات المدرسية والمناهجية التي تعرضوا لها متفاوتة، وهذا كله يجعل إمكانات إقامة التوازن بين متطلبات الدين ومتطلبات الدنيا مختلفة، كما يجعل تحرير الخلاف وترجيح الصواب مختلفاً أيضاً! ولا ننسى في هذا السياق الآثار الكثيرة التي تتركها توجهات الحكومات المختلفة في إبراز أجزاء من الدين وضمور أجزاء أخرى بحسب المصلحة!

ونستطيع القول: إنه كلما خمدت حركة الفقه في دين الله، زحفت العادات والتقاليد والبدع لتحلّ مكانه في حياة الناس، ذلك لأن من شأن البشر أن يجعلوا الدين ـ الذي هو منهج رباني مطلق فوق الزمان والمكان ـ واحداً من عناصر ثقافتهم بدل أن يكون الموجّه لتلك الثقافة والحاكم عليها، وذلك ميسور عليهم ولا سيما حين تكون هناك بعض الملابسات بين العادات وحقائق الدين في الكُنْهِ أو المظهر، وقد ذكر ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ «أن من الناس من لو جلدته حتى يصلي ما فعل، ولو جلدته حتى يفطر رمضان ما فعل!» مع أن أهمية الصلاة أعظم. وفي زمننا صار إنكار الناس لتعدد الزوجات في كثير من بلاد المسملين

أعظم من إنكارهم للزنا! كما صار هناك استغراب من إقبال الشباب على المساجد لأن المساجد خُلقت لِمن أكل الدهر عليهم وشرب، على ما تعودوه في عقود مضت. وفي زماننا تُسْتَنْكَرُ الفاحشةُ من البنات ويغضُّ الناس الطرف عنها إذا وقعت من الرجال ولا سيما الشباب!!

وفي زماننا يُتَّخذ الاهتمام بليلة القدر والمولد النبوي وليلة النصف من شعبان وإغراق الأسواق بالسلع في رمضان قناعاً وستاراً مشهوداً ومن خلف الستار لضرب ركائز الإسلام ومبادئه الكبرى وجعل الداعين إليها غلاة متشددين إرهابيين!!

ويزداد الطين بلة حين يُسهم في هذا الخلل أشخاص تثق بهم العامة لما عندهم من العلم والتقوى. والعامة غير قادرين على مناقشة الأفكار ولا التمييز بين الأدلة؛ مما يجعلهم تبعاً للأعلى صوتاً والأكثر تابعاً. وهذا كله يجعل مسألة تحجيم الآبائية أكثر صعوبة وتكلفة. لكن لا خيار: فإما المنهج وإما المنهج، وإلا فكيف يكون خلود الرسالة، وكيف تستمر أنوار النبوة في العالمين؟!

المعركة الثانية لا تبتعد في منطلقاتها وعقابيلها* عن المعركة الأولى؛ إذ أنّ تقديس القديم لمجرد أنه قديم هو الطاقة المحركة لأبطالهما، لكن الخصوم يختلفون فإذا كان الخصوم في معركة الحياة الاجتماعية من العامة والدهماء وأنصاف المتنورين فهم في الثانية ممن يحمل العلم، ويحسب نفسه من المصلحين ـ وقد يكون كذلك ـ لكن بُنَى ثقافتِهِ العميقة لا تختلف كثيراً عما لدى العامة!

هذه المعركة هي معركة الاجتهاد والتقليد، والاجتهاد هو بذل الجهد لمد سلطان النُّصوص إلى كلّ الحوادث والحالة المستجدة المشابهة في علة الحكم لحالات ورود النص وتطبيقاته لدى السلف، على حين أن التقليد يحجم من فاعلية النصوص، ويجعل مجالات الاهتداء بها تتضاءل يوماً بعد يوم؛ ذلك لأن أية مرحلة سابقة لا تتَّسِع في تنظيماتها وآلياتها ومعطياتها الجزئية لمرحلة لاحقة، وهذا ما دعا الصحابة والتابعين من بعدهم إلى الاجتهاد، وهو ما يدعونا أيضاً

* العقابيل: الدواهي - البيان -.

إليه.

لعل نقطة الخلاف الأساسية ليست في تجويز الاجتهاد والتقليد لشرائح محددة من الأمة، وإنما تكمُنُ في نزع (صفة دوام الصواب) عن المجتهد، ومع أن الجميع يُصَرِّحون بأن المجتهد يُخطئ ويُصيب، إلا أننا نجد في الممارسة العملية مواقف لا تحصى لا تدلّ إلا على اعتقاد أصحابها العصمة في بعض الأئمة والمجتهدين لاعتقادهم أن إحاطة أولئك الأئمة بالأدلة وَحِدَّةِ ذكائهم وفهمهم مع ما أكرمهم الله به من التوفيق يجعل وقوع الخطأ منهم نادراً أو معدوماً! وقد رأينا كثيراً من طلاب العلم يلتزم الواحد منهم مذهباً واحداً في كلّ دقائقه، ويحاول الدفاع عن ذلك بكلّ ما أوتي من قوة، ويوالي ويُعادي في ذلك، ويخسر إخوة في الله، وهو يظنّ أنه يخوض معركةً لِنُصرة دين الله!

وهذا يدل على جهلٍ فاضح في العملية الاجتهادية المعقَّدة، والتي تلتحم فيها عناصر أربعة، هي مجال رحب، للاختلاف بين المجتهدين، هذه العناصر هي: الإمكانات الذهنية التي أكرمنا الله بها والنصوص والأدلة المتعلقة بالقضية موضع الاجتهاد والخلفية الثقافية للمجتهد (وهي ما كان يُسَمّى بالأهلية) بالإضافة إلى الواقعة نفسها والظروف والخلفيات المحيطة بها. وتَمَكُّنُ المجتهدين من كل ذلك متفاوت إلى حدٍّ بعيد، وهذا كله ينفي عن المجتهد دوام الصواب في كلّ ما ينظر فيه. وأن من المفيد أن ننظر إلى المجتهد بعيون أبناء زمانه حيث تخلصوا من وَهْمِ التقديس بسبب من المعاصرة والمعاشرة ومعرفة الخفايا والإمكانات لبعضهم بعضاً.

إننا إذا لم نتمكن من التجديد الذاتي فسنعرِّض أنفسنا إلى غزو من الخارج، أو انحباسٍ داخلي يعقبه انفجار لا ينفع معه الترقيع! وإن تجاوزنا المعطيات مراحل عديدة في حياة المتقدمين لنلتصق بالأدلة في إطارٍ من مقاصد الشريعة العامة أمر حيوي للغاية؛ حتى لا نقعَ ضحيةً للغرق في مراحل الانحطاط والتدهور التي مرت بها هذه الأمة في قرونها المتأخرة! وعلى الله قصد السبيل.

من إيجابيات الدعوة الإسلامية «تعظيم مذهب السلف»

د. عابد السفياني

إن الدعوة الأسلامية المعاصرة بذلت جهداً كبيراً لإصلاح العالم الإسلامي ومعالجة ما يحمله من أمراض وعلل منها على سبيل المثال شرك القبور والأضرحة وما يتبع ذلك من الخرافات والغلو في الصالحين، ومنها الإعراض عن التحاكم للشريعة الإسلامية، وقام في العالم الإسلامي علماء يمثلون صوت الدعوة الإسلامية يذكرون بالعلم الصحيح ويدعون إلى التحاكم إلى الشريعة الإسلامية في جميع المجالات.

ولقد بقي أمام المصلحين من مؤسسي الدعوة الإسلامية المعاصرة مجالات كثيرة تحتاج إلى تجديد وبذل مزيد من الجهد. من هذه المجالات:

١- تصحيح العقائد عند طوائف كثيرة من الناس سيطرت عليهم الخرافات والغلو في الصالحين وانتشرت بينهم أنواع كثيرة من الشرك وحملهم التقليد والتعصب والجهل إلى رد العلم الصحيح بالسنة.

٢- انتشار الإعراض عن دين الله بترك العمل به وترك التحاكم إليه وترتب على ذلك إنتشار القوانين الوضعية والعمل بها. وراجت في العالم الإسلامي

المذاهب الفكرية التي زَّينها الغزو الفكري للناس فحكمت قوانينها وتمكنت وصدت طوائف من الناس عن عبادة الله وحده. وقد ناهض الدعاة والمصلحون هذا الخطر العظيم وبقي السؤال المهم وهو على أي أساس قام هؤلاء الدعاة بالإصلاح والتجديد؟

ونكتفي بذكر الجواب على سبيل الإجمال لندلّ به على جوانب الخير العظيمة التي اشتملت عليها الدعوة الإسلامية المعاصرة. ومنهجنا الذي نذكّر به ـ وقد سبق بيانه في المقال الأول ـ إن هذه الإيجابيات لا تمنعنا من الوقوف عند أمور تحتاج إلى معالجة، وتأمُّل مقالات بعض المفكرين يحتاج إلى تصحيح.

والمقام هنا للحديث عن الإيجابيات ومنها:

توجه الدعوة الإسلامية المعاصرة إلى تعظيم مذاهب السلف ويدل على ذلك:

أولاً: استمرار دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب وانتشار آثارها العلمية في العالم الإسلامي وأبرز ما فيها تحقيق مذهب السلف في التحذير من شرك القبور والخرافة وما يتبعها من بدع وأهواء والتحذير أيضاً من كفر الطواغيت وإعراضهم عن قبول الشرع والتحاكم إليه. وقد كشف في كتابه (مسائل الجاهلية) عن تلك المظاهر الشركية والكفرية محذراً منها ومبيناً أن الإيمان قول واعتقاد وعمل وأن له نواقض هي أسباب الكفر والشرك الأكبر مذكراً بعقيدة السلف في ذلك كله داعياً الناس إلى الاعتقاد الصحيح في صفات الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: استمرار الدعاة إلى مذهب السلف في أنحاء كثيرة من العالم وانتشار كتبهم وأتباعهم وأنصارهم ومن أبرز ما نشير إليه من المظاهر التي تدل على تعظيم مذهب السلف ما يلي:

أ- نشر العلم الصحيح بالسنة وبرزو أئمة مجتهدين في بيان صحيح الحديث وضعيفه فانتشرت كتب الحديث وشاع هذا العلم بين الطلاب.

ب- نشر الاعتقاد الصحيح في صفات الله تعظيماً لله واتباعاً لعقيدة الصحابة رضوان الله عليهم.

جـ- إنكار البدع والأهواء المضلة عن مذهب السلف ومحاربتها.

ومن أبرز المظاهر العملية لهذه الدعوات تعليم الأفراد في المجتمعات، وإنكار المخالفات العملية، ومن أبرزها انحراف أهل البدع وشرك القبور ومخالفة السنة.

ولعل سائل يسأل فيقول: إن هذا الجهد في تعظيم مذهب السلف جهد طيب ولكن المشاهد عند هؤلاء الدعاة الاقتصار على معالجة هذه الانحرافات وهناك انحرافات أخرى مثل «المذاهب الفكرية، وقوانينها الوضعية» وهذه تحتاج من الدعاة إلى جهد كبير لكشف زيفها وتحذير الناس منها. فكيف تتم معالجتها؟

ويمكن أن يجاب على هذا السؤال بما يأتي:

١- أن الدعاة السلفيين يعتبرونه انحرافاً يحتاج إلى معالجة ولكنهم يعالجون الانحرافات التي سبق ذكرها لأنهم يرون أنها أخطر والمسألة عندهم لا تعدو ترتيب الأولويات.

٢- أنهم ينادون بتصحيح الواقع في ضوء عقيدة السلف ويرون أن تحذير الناس من شرك القبور والأهواء والبدع ومخالفة السنة هو طريق لمحاربة المذاهب الفكرية المعاصرة وقوانينها.

والظاهر أن هذا النقص الموجود عندهم في مواجهة المذاهب الفكرية والقوانين الوضعية قد سده دعاة آخرون من أهل السنة والجماعة شاركوا في كشف أباطيل الغزو الفكري وقوانينه مع محافظتهم على عقيدة السلف ومشاركتهم إخوانهم في معالجة الانحرافات الأخرى. ولا شك أن هؤلاء وهؤلاء معظمين لمذهب السلف.

ثالثاً: هناك دعاة آخرون يخلطون مذهب السلف بغيره من آراء المتأخرين ومناهجهم متأثرين تارة بالأشعرية وتارة بالصوفية ومع ذلك فإنهم يعظمون

مذهب السلف ويدل على ذلك أنهم لما جعلوه مقارناً لبعض الأسماء قدموه عليها فقالوا:

أ- دعوتنا طريقة سلفية وحقيقة صوفية..

ب- أنهم يعتقدون السلامة فيه كما قال الأشاعرة من قبل «مذهب السلف أسلم» والشهادة لمذهب السلف بالسلامة تعظيم له بهذا الاعتبار.

جـ- أن أكثرهم يعتبرون المسألة مسألة أولويات وأسلوب وإلا فإن عقلائهم يشهدون بأن مآل الحال هو انتصار مذهب السلف ويرددون قولتهم المشهورة وهل أحد يخالف مذهب السلف؟

ومع وجود كثير من المخالفات لمذهب السلف إلا أن ما ذكرناه فيه دلالة ظاهرة على أن مذهب السلف له تعظيمه في النفوس وله هيبته فتجد المخالف لبعض عقائد السلف يشهد بأن السلامة فيه كما صنعت الأشاعرة. فآل الأمر ـ والحمد لله ـ إلى تعظيم مذهب السلف قولاً وعملاً واعتقاداً أو على الأقل الشهادة له بالخيرية والسلامة.

ومن البشائر التي نذكرها في هذا الباب وجود أقوام قد خرجوا من تحت أنقاض الشيوعية الخاسرة محتفظين بإسلامهم على عقيدة السلف الصالح وهذه بشارة تشير إلى أن البديل عن المذاهب الوضعية والعقائد البدعية هو الإسلام لا على فهم العصور المتأخرة بل على فهم الجيل القدوة الذي رباه رسول الله ﷺ، وهذا هو الطريق الصحيح الذي ينبغي على الدعاة أن يتعاونوا على الاجتماع عليه ونصرته مبتغين بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة وهمهم هداية الخلق وإبعادهم عن أسباب الشرك والكفر بجميع أنواعه سواء أكان شرك القبور والغلو في الصالحين، وما يتبعه من الأهواء والبدع أو كان شركاً في العبودية والطاعة والتشريع مِنْ دون الله.

حتى نستفيد من خطبة الجمعة

محمد بن عبد الله الدويش

ما أحوج الدعاة إلى التأمل في مجالات الدعوة، ووسائل مخاطبة الجماهير، والسعي إلى توسيع دائرة المخاطبة، والتحدث للجميع وإسماع رسالتهم للكل. إن مراجعة الدعاة لوسائلهم الدعوية، وأساليبهم مطلب ملحّ، وواجب تمليه ضرورة الدعوة ذاتها.

وإن من الوسائل التي يمكن للدعاة أن يخاطبوا فيها الجميع، ويبلغوا رسالتهم للناس كافة، (خطبة الجمعة) فأي قدر حظي به هذا المنبر، وهذه الوسيلة من الدراسة، والعناية، فضلاً عن التوظيف العملي لهذه الوسيلة.

وهذه محاولة لوضع إضاءات، وإشارات حول هذا الموضوع الملحّ.

أولاً: أهمية خطبة الجمعة:

١- الأمر بالسعي لها، فإن المسلم مأمور بالسعي لصلاة الجمعة حين يسمع النداء، ويحرم عليه أن ينشغل ببيع أو نحوه. قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾ [الجمعة ٩]. وهو في الوقت نفسه يحض على التبكير إليها كما قال ﷺ: «مَثَلُ المهجر[١] كمثل الذي يهدي بدنه، ثم

١- المبكر وزناً ومعنى.

كالذي يهدي بقرة، ثم كالذي يهدي الكبش، ثم كالذي يهدي الدجاجة، ثم كالذي يهدي البيضة»[1]. ويؤمر بالتهيؤ النفسي لها فيؤمر بالتطيب والاغتسال والسواك. قال ﷺ: «من جاء منكم الجمعة فليغتسل»[2].

٢- وحين يحضر المصلي للجمعة يلزمه الإنصات للخطيب ولا يجوز له الكلام ولو أن يقول لصاحبه صه. «إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب يوم الجمعة: أنصت فقد لغوت»[3]. فهذا المصلي الذي أوجب عليه السعي للجمعة، وحُث على التبكير لها، والتغسل والتطيب، وحُرّم عليه الكلام حال الخطبة، من حقه أن يعتني بهذه الخطبة التي تقدم له.

٣- خطبة الجمعة لها شأن عظيم عند الله عز وجل فهي ذكر لله كما سماها الله في كتابه، وهي شعيرة من شعائر الدين، تشهدها الملائكة، كما قال ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون من جاء من الناس على قدر منازلهم، فرجل قدم جزوراً، ورجل قدم بقرة، ورجل قدم شاة، ورجل قدم دجاجة، ورجل قدم عصفورا، ورجل قدم بيضة، فإذا أذَّن المؤذن، وجلس الإمام على المنبر طووا الصحف ودخلوا المسجد يستمعون الذكر»[4].

إن هذا الحديث يلقي ظلالاً من الهيبة والجلال على هذه الخطبة، وفي الوقت نفسه يعطي الخطيب شعوراً بأهمية الكلمة التي يقولها من على المنبر فعلاوة على كل ما فيها من قيمة دعوية، فإن الملائكة الكرام يسمعونها، فليت الذين يوظفون خطبهم لتحقيق مصالح فلان أو علان يفقهون هذا الحديث.

٤- شهود المسلمين جميعهم لها. فالمسلمون على اختلاف طبقاتهم، ومستوياتهم التعليمية، يحضرون هذه الصلاة ويشهدونها. فيحضرها المثقف، والجاهل وطالب العلم، والمتعلم. ويحضرها الكبير والصغير، ومن جانب آخر فحضورها ليس مقصوراً على الأخيار وحدهم، فكثير ممن لا يشهد صلاة

١- متفق عليه من حديث أبي هريرة.

٢- رواه البخاري (٨٧٧)، ومسلم (٨٤٤،٨٤٥) كلاهما عن حديث ابن عمر.

٣- متفق عليه من حديث أبي هريرة.

٤- متفق عليه من حديث أبي هريرة.

الجماعة يحضر الجمعة، وهذا يتيح للخطيب أن يخاطب الجميع، وأن يتحدث للكثير ممن لا يحضرون المحاضرات والندوات، ودروس المساجد. إنها باختصار هي المجال الوحيد المتاح للدعاة والذي من خلاله يتحدثون مع الجميع.

٥- تكررها كل أسبوع. ففي العام الواحد يستمع المصلي لـ (٥٢) خطبة، وحين يعتني بها الخطيب ويرتب موضوعاتها يقدم للمستمع مادة متكاملة. إنها تمثل دورة مكثفة مستمرة.

٦- قيمتها المعنوية عند الناس وتأثيرها، ففي بحث عن أثر خطبة الجمعة أجري في مصر أفاد ٧٨٪ أنهم يتأثرون تأثراً دائماً بما يقوله الخطيب، وذكر ٧١٪ أنهم يلتزمون دائماً بما يقوله الخطيب. واتفق مع أحد خطباء المساجد على أن يخطب عن الربا، فأجرى استفتاء قبل الخطبة وبعدها، كانت النتيجة:

أ- ٨٥٪ كانوا يعرفون المفهوم الصحيح للربا. وبعد الخطبة ارتفعت النسبة إلى ٩٧٪.

ب- ٣٣٪ كانوا يعرفون عقوبة المرابي. وبعد الخطبة ارتفعت النسبة إلى ٥٩٪.

ج- ٧١٪ كانوا يعلمون أن البنوك المصرية تتعامل بالربا. وبعدها ارتفعت النسبة إلى ٩٤٪.

د- ٥٠٪ كان يفضل الاستثمار في البنوك الإسلامية. وبعد الخطبة ارتفت النسبة إلى ٦٤٪.

هـ- نتيجة الخطبة: ٣٤٪ سينصحون الآخرين بترك الربا. ٣١٪ سيقاومون أي عمل ربوي[١].

إن هذه الدراسة وغيرها تعطي دلالة صادقة أن خطبة الجمعة لها تأثيرها على المصلين، وذلك حين يجدون الخطيب المؤثر.

٧- حضورها يزيد ولا ينقص. فالمصلون لا يخرج منهم أحد قبل انتهاء الخطبة، إنما يتوافدون، بخلاف المحاضرة والدرس، فقد يخرج بعضهم قبل اكتمال الموضوع. ومع إقبال الناس على الخير في هذه الفترة، يتوافد الكثير من

١- انظر: «خطبة الجمعة والاتصال بالجماهير» لمحي الدين عبد الحليم ص (١٦٠) فما بعدها.

المسلمين إلى الجمعة ممن كانوا لايعرفونها قبل ذلك .

٨ ـ ثباتها في كافة الأحوال ، فهي مستمرة في السلم والحرب ، وفي القحط والجدب ، وفي سائر الظروف .

ومع ذلك كله رغم مدى عنايتنا بهذا المنبر ، وشعورنا بأهميته ، والحرص على أن يصعده الدعاة الصادقون ، وطلبة العلم الواعون ؟

والخطباء أنفسهم أمام مدى إدراكهم لهذه الرسالة وقيمتها وأهميتها ؟ أليست خطبة الجمعة تستحق منا عناية ودراسة لاستثمارها ، وأساليب تطويرها ؟ ولم لا تتلقى المراكز والمؤسسات الإسلامية دورات وبرامج لإعداد الخطباء وتدريبهم ، والرفع من مستواهم ؟ إنها تساؤلات آمل أن تلقى عناية إخواننا .

ثانيا : الموضوع :

١ ـ أن يختار الموضوع فى وقت مبكر ، فإن تأخير اختيار الموضوع ، إلى ليلة الجمعة وربما يومها ، يؤدي بالخطيب ، إلى أن يقرر أي موضوع يخطر فى باله ، وربما لايكون مقتنعاً به القناعة التامة ، إضافة إلى أنه لايترك له فرصة كافية للتحضير والتفكير في عناصر الموضوع ومحاوره . ويعاني الكثير من الخطباء مِنْ هَمِّ اختيار الموضوع ، فيُقترح إعداد قائمة متنوعة من الموضوعات ، يختار بعد ذلك من بينها .

٢ ـ التفكير الجيد في الموضوع بل وطول التفكير فيه ـ وهذا يستوجب الاختيار المبكر له ـ يقول « دايل كارنيجي » في كتابه (فن الخطابة) : « حدد موضوعك مسبقاً حتى يتسنى لك الوقت للتفكير به مراراً . فكر به طيلة سبعة أيام ، واحلم به طيلة سبعة ليال ، فكر به أثناء خلودك إلى الراحة ، وفي الصباح وأنت تستحم ، وفي طريقك إلى المدينة ، أو بينما تنتظر المصعد ، وعندما تكوي الثياب ، أو حين تطهو الطعام ، وناقشة مع أصدقائك واجعله موضوع حديثك ، واسأل نفسك جميع الأسئلة الممكنة التي تتعلق به »[1] .

٣ ـ أن يكون الموضوع عن قناعة لاتمليها ضغوط الشارع ، أو المناسبة ، أو جهة معينة . مع الترفع عن الإثارة العاطفية .

٤ ـ التنويع في الموضوعات والمجالات وعدم التركيز على جانب واحد . فينبغي

١- فن الخطابة، مع ملاحظة أننا نوافقه على أصل الفكرة دون تفاصيلها.

أن تشتمل موضوعات الخطيب الحديث عن مشاكل الناس الاجتماعية، وحلولها، وعلى بيان واقع الأمة، والمؤامرات عليها، وعلى الحديث عن الأخطاء المتفشية بين الناس، وعلى بيان العقيدة وتعليمها للناس، وعلى بيان ما يحتاجه الناس من أحكام عباداتهم ومعاملاتهم، وعن الرقائق والوعظ، وتذكير الناس؛ وباختصار ينبغي أن تشمل على كل ما يحتاج المسلم أن يعرفه في شؤون حياته. وقد تجد البعض من الخطباء يركز على جانب الوعظ دون سواه، والآخر على الجانب السياسي، والثالث على الجوانب الاجتماعية.. وهكذا.

إن هناك فئة غير قليلة من المسلمين لا يتلقون العلم إلا من خلال خطبة الجمعة، وإن تحقيق التكامل والتنوع في موضوعات الخطبة يهيء لهؤلاء حَدّاً أدنى من الثقافة الشرعية.

٥- التحضير الجيد والمتكامل للموضوع، من خلال القراءة والاطلاع على ما كتب في الموضوع حديثاً وقديماً، وإن ترتيب الخطيب لملفاته وأوراقه، وتدوين ما يمر بباله من عناوين لكتب، أو مقالات، أو موضوعات، أو تقارير مما يعينه على ذلك. إن المنبر أمانة، والمصلون ينتظرون أن يسمعوا الجديد من الخطيب، ومهما كانت ثقافة الخطيب وإطلاعه، فإنه لا يستغني عن المراجعة والإعداد، والترتيب لموضوعه، ومن الظلم للمصلين، وإهمال الأمانة، أن يحدد الخطيب موضوعه متأخراً، ولا يعد له فيجيء مهلهلاً متنافراً.

وفي حادثة السقيفة المشهورة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «فزورت في نفسي مقالة». قال البعيث الشاعر ـ وكان من أخطب الناس ـ: «إني والله وما أرسل الكلام قضيباً خشيباً، وما أريد أن أخطب يوم المحفل إلا بالهائت المحكك». وكان ابن النوام الرقاشي إذا دُعِيَ للكلام ولم يكن مهيئاً نفسه يقول: «ما اشتهي الخبز إلا بائتاً».

٦- أن يكون الموضوع حول واقع الناس، وما يحتاجون إليه؛ فالعالم الإسلامي اليوم يموج بأحداث ساخنة، ومضطربة، والعقل المسلم يعاني من تحليلات الإعلام المضلل الذي يصور القضايا وفق ما يريد فلان، أو غيره؛ ولذا فإن

المصلي ينتظر أن يسمع الكلمة الصادقة، وعرض القضية من هذا الخطيب الذي يثق فيما يقول لأنه يعرف أنه يدرك أمانة الكلمة، ومسؤليتها.

وثمة طائفة من المسلمين لا تتفاعل مع قضايا الساحة، ولا تُعيرها أي اهتمام، فلها شأن آخر مع شهوات النفس ورغباتها؛ وهذه الفئة تحتاج لمن يغرس فيها التفاعل مع قضايا المسلمين، والاهتمام بها، وأقرب الناس، وأقدرهم على ذلك هو خطيب الجمعة. ومن الجوانب التي تمسّ الناس، ما قد يحصل من قضايا، وإشاعات، وأخبار أو ظواهر متفشية، إلى غير ذلك مما يخصّ بلداً معيناً، فينبغي للخطيب أن تكون له فيه كلمته.

وحين يتحدث الخطيب عن هذه القضايا، لا ينبغي أن يُفْرط في التحليلات السياسية، والاجتهادات الخاصة، والتي هي عرضة للخطأ والصواب، إنما يركز على بيان وجه القضية، والأخبار الصادقة عنها، والمنهج الشرعي في التعامل معها.

٧- مناسبة الموضوع المصلين، فالمسجد الذي يؤمه كثير من غير أهل البلد قد لا يناسب التحدث فيه عن مشاكل اجتماعية خاصة بهذا البلد، والمسجد الذي أكثريته من الطلاب غير المتزوجين ليس من الحكمة أن يتحدث الخطيب فيه عن المشاكل الزوجية، ومسجد القرية والبادية لا يستحسن الحديث فيه عن قضايا تخص النخبة المثقفة. فعلى الخطيب أن يدرك طبيعة المصلين، وتركيبتهم، ويختار لهم ما يناسبهم، وما يحتاجون إليه.

٨- العمق العلمي في الموضوع، فلا يكفي أن يقتصر الموضوع على عبارات إنشائية، أو خواطر وأفكار شخصية، وإن العناية بالاستشهاد بالنصوص الشرعية، وأقوال أهل العلم، والعناية بالتأصيل العلمي للموضوع يعطي المستمع الثقة، والقناعة بما يطرح.

٩- دقة المعلومات والتأكد من صحتها ومن ذلك:

أ- الأحكام الشرعية: ببحثها بحثاً دقيقاً وتأصيلها.

ب- الأحاديث النبوية: وذلك بالتأكد من صحتها وثبوتها؛ لذا فعلى الخطيب أن يتعرف على طريقة التعامل مع كتب الحديث ليتسنى له

الوقوف على ما قاله أهل العلم في درجة أي حديث يود الاستشهاد به.

ج- الإخبار: فلا يليق بالخطيب أن يتلقف أية إشاعة، أو خبر ليكون مادة لخطبته، بل يثبت ويتبين.

د- القضايا العلمية والمتخصصة: قد يتطرق الخطيب للحديث عن بعض الجوانب الطبية، أو التخصصية في أي فن؛ وحين يتحدث الرجل بغير فنه يأتي بالعجائب، فعليه أن يتأكد من صحة المعلومات، فقد يكون ضمن المصلين أحد المختصِين بما يتحدث عنه، فيسمع الغرائب.

١٠- مناسبة الموضوع للمقام والزمن: فقد خطب أحد الخطباء، في إحدى عواصم الدول الإسلامية عن ليلة القدر يوم الثلاثين من رمضان؛ وليس هناك أمل بإدراك هذه الليلة. أو يكون هناك حدث يعني الأمة كلها، وينتظر المصلون الخطبة ليستمعون رأي خطيبهم في ذلك، فيفاجؤون به يتحدث عن قضية اجتماعية، أو قضية لا تمت بصلة لما هم فيه.

١١- الوحدة الموضوعية، فلا يسوغ أن تكون الخطبة خليطاً متنافراً من القضايا والموضوعات، ومليئة بالاستطرادات المناسبة وغير المناسبة.

١٢- تناسق الأفكار وتسلسلها.

«يتبع»

* * *

التطــــرف

د. عبد الرحمن صالح العشماوي

تَرِد في القاموس من معاني «طرف» [الطَرَف] بمعنى الناحية من النواحي والطائفة من الناس، وطرف الشيء: أقصاه من اليمين أو اليسار، وهو أبعد الناحيتين، ومن ذلك «طرف الحبل» و«طرف الصف». وللكلمة معانيها الأخرى التي سردتها معاجم اللغة.

ظلّت هذه الكلمة ساكنة مستقرة في مواقعها من كتب اللغة، وفي أماكنها من أساليب الناس، ومرَّت عليها قرون طويلة وهي تنعم بهذا السكون وذلك الهدوء، ولكنّ دوام الحال من المحال، والأيام مداولة بين الناس، وقد جرى لهذه الكلمة من تغير الأحوال ما أزال هدوءها، وقضى على سكينتها وملأ حياتها قلقاً واضطراباً، وقد استيقظت ذات يومٍ على صدى حروفها يتردد على الألسنة وتتناقله وسائل إعلام عصر «العلمانيّة» ومنذ ذلك الوقت فقدت راحة البال، وأصبحت مسكونة بالجنون لا يقرُّ لها قرار، وهي شقية بذلك كل الشقاء، صحيح أنها تغيظ جاراتها في قواميس اللغة لأنها أصبحت «على كل لسان»، بل أنها اصحبت من الشمولية والانتشار بمكانة لم تحظ بها أهم

كلمات القاموس وأشدها وطأة وأسماها مكاناً، صحيحٌ كل ذلك، ولكن هذه الكلمة شقية كل الشقاء لأنها حُمِّلت ما لا تطيق من المعاني التي لم تكن تخطر على بال. «التطرُّف».. مصطلح جديد أضيف إلى هذه الكلمة الحزينة، وهو محدَّد المعنى، إنه يعني المبالغة في الاتجاه إلى أحد الطرفين مما لا يمكن أن يتم معه الالتقاء بينهما. وقد دار هذا المصطلح وطار، حتى استقر أخيراً على رؤوس الملتزمين من أبناء الإسلام ـ أعانهم الله ـ فأصبحت الكلمة ـ في عرف علمانيي هذا العصر ـ حكراً على المتدينين من أبناء الإسلام لا تكاد تتجاوزهم إلى سواهم، فهم المتطرفون أي المبالغون في الاتجاه إلى أحد الطرفين فما يدعون مجالاً للالتقاء بالطرف الآخر، وكاد الأمر يهون على هذه الكلمة لولا أنها أصبحت تعاني أشدَّ المعاناة من ملاصقة كلمة أخرى لها صارت بالنسبة إليها الشبح المخيف الذي لا يفارقها ألا وهي كلمة «الإرهاب» وقد آلم كلمة التطرف هذا الاقتران المفروض عليها بكلمة «الإرهاب» بالرغم من تباعد مكانهما في القاموس لفظاً ومعنى تباعداً لا يؤهلهما للاجتماع، ولكنَّ علمانية العصر «المتطرفة» تأبى إلا أن تجمع بينهما.

ولا بد لنا ـ بعد هذا العرض المأساوي ـ لحياة هذه الكلمة من الوقوف قليلاً أمام كلمة «التطرف الديني» هل هي صحيحة بهذه الصورة من التركيب، وهل مصطلح التطرُّف موقوف على أبناء المسلمين الملتزمين به؟؟

هنا يكمن الخلل في نظري.. فالمعروف أن «التطرُّف» يعني الانحياز إلى أحد الطرفين، فهل انحاز أبناء الإسلام إلى أحدهما؟؟

أولاً: الإسلام دين شامل وهو دين «الوسطية» بمعنى أنه يراعي جوانب الحياة البشرية كلها دون انحياز إلى طرف منها على حساب الآخر، فالعقل والروح والقلب، وجوانب النفس البشرية الأخرى لها وجودها في الرؤية الإسلامية لا تطغى في ظل شرع الله واحدة منها على الأخرى، وهو بهذا يختلف عن الديانات الأخرى التي عالجت جانباً من الجوانب، وتركت

الجوانب الأخرى، ومن هنا فإنَّ كلمة التطرف بعيدة كل البعد عن حقيقة الإسلام.

ثانياً: شباب الإسلام الذين التزموا به حملوا مبادئه وأخلاقه بما فيها من شمولية ووسطية واعتدال، وإنما تطرَّف غيرهم ممن ابتعد عن هذا الموقع الإسلامي الفريد، فغرقوا في شهواتهم وأهوائهم، واغتروا بعقولهم واختراعاتهم، وطال عليهم أمد هذا الانحراف حتى ظنوه اعتدالاً، وظنوا الالتزام بالإسلام تطرفاً، وأوغلوا في هذا الظن السيء حتى أصبحوا يرون كلَّ مخالفة لما هم عليه «تطرفاً وإرهاباً».

ثالثاً: بناءً على هذا الفهم الصحيح يصبح «العلماني»* هو المتطرف، والقومي هو المتطرف، واليساري هو المتطرف، والحداثي هو المتطرف، أما الإسلامي فهو الذي يقف في منطقة الشمولية والاعتدال، ألا فليفهم المخدوعون هذه الحقيقة، وأعان الله كلمة «التطرُّف» على ما تعانيه من قلق واضطراب.

* * *

*- إن كلمة علماني هي ترجمة غير صحيحة للكلمة الإنكليزية «Secularism» ومعناها: الدنيوية، عدم المبالاة بالدين، أو بالاعتبارات الدينية، ويروج العلمانيون هذه الأيام لمصطلح جديد هو «العالمية» أو «العالمانية» وهذا مصطلح مغلوط أيضاً، وأفضل ترجمة بنظرنا إلى هذه الكلمة هي «الردة» و«المرتدون» وهو أكثر تعبيراً وأدقُّ وصفاً لنابتة السوء هذه. - **البيان** -

أصحاب العقل المعيشي

لا شك أن الحزب الأكبر داخل المجتمعات الإسلامية في هذه الأيام، هم مَنْ وصفهم ابن القيم بـ (أصحاب العقل المعيشي) الذين يقلقهم دائماً التفكير بكيفية رفع مستواهم المعيشي، أو كيفية المحافظة على هذا المستوى. ترى أحدهم يفكر ليل نهار في هذه الأمور، ويتعب نفسه ليل نهار بغية الوصول إلى مستوى يضاهي أصدقاءه وجيرانه، فالأحاديث دائماً عن المسكن والملبس، وعن السيارة والأثاث والراتب.

هؤلاء جمهور كبير، قد ألفوا هذه الحياة وعاشوا على هامشها، تتقطع بهم الأيام والليالي، بلا هدف ولا رسالة، فهل يستطيع الدعاة نقل هذا الصنف من الناس إلى الطرف الآخر، أو بالأصح الانتقال بهم تدريجياً ليصبحوا أصحاب مبدأ ورسالة والتزام؟

ليس عسيراً نقل بعضهم على الأقل، وذلك عندما تُغشى مجالسهم، ويسمعون التذكير البليغ والموعظة المؤثرة، وبيان عظمة الله في خلقه وأمره،

وآياته في الأنفس والآفاق، وأحاديث اليوم الآخر، ومصائر الشعوب والأفراد من العصاة قديماً وحديثاً وبيان محاسن الإسلام.

إن من الضروري للدعوة أن تنتقل إلى صفوفها أعداد غير قليلة حتى تفرض نفسها على أرض الواقع، ومن الضروري أن ينتقل إليها من كان عدواً لها بالأمس أو مُهملاً لها، فهؤلاء ربما يكونون أنشط وأقوى لأنهم يريدون تعويض ما فات من التقصير والنقص، هناك أساليب كثيرة ـ غير ما ذكرنا ـ لاجتذاب أمثال هؤلاء أو بعضهم، ولكننا نحن المقصرون في تجديد الوسائل الدعوية واستنفاذ كل الجهود للاتصال بجماهير الأمة ودعوتها للالتزام بدين الله.

لقد سمع أحدهم حبر الأمة ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وهو يفسر سورة البقرة في أيام منى، فقال: لو سمعها اليهود والنصارى لأسلموا، وذلك دليل على أن العلم بكلام الله ووضعه مواضعه الصحيحة قد يؤثر في أشد الناس عُتُوّاً، وخاصة إذا خرج الكلام من قلب خالص يملؤه الاهتمام بأمر المسليمن.



أخطار النزعة المادية في العالم الإسلامي
نقد كتابات جودت سعيد
(٣)

عادل التل

إن الخطورة في تبني المنهج المادي، لا تنشأ من خلال الانتماء الاعتقادي لهذا المنهج كشعار فحسب، وإنما تكمن في الآثار والنتائج التي تترتب على هذا الانتماء، حيث تعتبر هذه الآثار من مستلزماته الأساسية، ويتضح هذا الأمر من خلال التطبيق العملي لهذا المنهج في واقع الحياة. لأن الالتزام بالمنهج المادي، يفرض على معتنقيه التزامات أخرى تقوم عليه، وترتبط به ارتباطاً كاملاً لا تنفك عنه.

وبما أن جودت سعيد من المنتمين لهذا المنهج ـ كما أثبتنا هذا من قبل ـ فإنه يدعو صراحة للتمسك بأسس هذا المنهج، والرجوع إلى هذه الأسس عند التنازع أو الاختلاف حيث يقول: «إن الوجود الخارجي للمادة أو المجتمع له حقيقة واقعية، يتفاوت تصاور الناس لها حسب خلفياتهم الفكرية، وعند الاختلاف يتم الرجوع إلى الوجود الخارجي»[١]. والمقصود بالوجود الخارجي هو الوجود المادي أو المادة وهذا يمثل لبَّ النظرية الماركسية، وبما أن النظرية الماركسية تقوم على أسس محددة لا تنفكّ عن بعضها، وهي المادية الجدلية والمادية التاريخية، وشملها قوانين تطور المجتمع، فإن عزل أي جانب منها للعمل به منفرداً، لا يفيد

في قطع الصلة بأصل النظرية الماركسية وفي هذا يقول ستالين: «إن المادية الديالكتيكية، والمادية التاريخية تظهران كعِلم واحد وكفلسفة متكاملة، فلا المادية التاريخية معقولة بدون المادية الديالكتيكية، ولا المادية الديالكتيكية ممكنة بدون المادية التاريخية..»[٢]، وبناء على ذلك فإن أي أصل من أصول النظرية الماركسية لا يكون صواباً على أي حال، لأن كل أصل منها يقوم على المادية، يقول لينين: «إن هذه الفلسفة الماركسية المسبوكة من قطعة فولاذية واحدة، لا يمكن انتزاع أي منطلق منها، ولا أي جزء جوهري واحد دون الخروج عن الحقيقة الموضوعية»[٣].

ونستطيع هنا أن نميز قاعدتين بارزتين يتسم بهما فكر جودت سعيد بشكل خاص، والفكر المادي بوجه عام.

١- قاعدة التغيير الكلية.

٢- قاعدة التطور العامة.

وتمثل هاتان القاعدتان المحور الأساسي الذي تقوم عليه كتب جودت وأفكاره كلها، وسنتناول في هذا البحث بعض التطبيقات العملية لقاعدة التغيير، ونرجئ البحث في موضوع التطور إلى حلقات أخرى.

قاعدة التغيير الكلية:

يربط هذه القاعدة بمفهوم المشيئة ويجعل مشيئة الله تابعة لمشيئة البشر حيث يقول: «كما قلب قوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ [الرعد ١١] مفهوم الناس عن التغيير الذي كانوا ينتظرونه من الله، ويرى البشر أنفسهم مثل الطين بيدي الخزاف، تقيدهم الأقدار، قلبت هذه الآية الفكرة رأساً على عقب، فردت عملية التغيير إلى البشر واعتبرتهم مسؤولين عنها»[٤]. وفي هذا يقول أيضاً: «قلنا فيما سبق أن الله يخلق الصفات في المادة ـ ونكمل الموضوع الآن، بأن نبين أن الله يخلق الأفعال من الأفكار.. فمَن تمكّنَ من معرفة الخواص التي يخلقها الله تعالى في المواد، يمكنه أن يسيطر عليها، كذلك من تمكّنَ من معرفة الأفعال التي يخلقها الله تعالى مما بالأنفس، يمكن أن

يسيطر على المجتمع»[٥]. وعن هذه الحالة يصف الشيوعيين الماركسيين انهم: «لمحوا قدرة الإنسان على صنع التاريخ والقيام بعملية التاريخ»[٦].

إن التعامل مع الإنسان من خلال الأسس المادية ـ كما يرغب جودت ـ وقياس خواصه على خواص المادة؛ وإخضاعه لما تخضع له من قوانين، فيه إغفال لتكريم الإنسان وتميزه عن سائر المخلوقات، ومن خلال هذه المبادئ تعامل النظام الماركسي في روسيا مع الناس وأخضعهم لقوانين قسرية كالتي تخضع لها المادة فكان العذاب والشقاء، وكان التنكيل والقتل لمن يرفض هذه القوانين المادية الجائرة التي تُفْرَضَ على الناس بالقوة.

ثم يقول مُبَيِّناً حقيقة التغيير المطلوب: «يفيد أنه يمكن أن توضع في النفس الأفكار ابتداء، كما يمكن أن يرفع ما فيها من مفاهيم، ويوضع فيها أخرى، وهذا أهم ما في عملية التغيير، من إنشاء الأمر ابتداء، ومع ذلك أسند الله للبشر هذه القدرة في إزالة المفاهيم واستبدال غيرها بها»[٧]. كما يقول في أكثر من موضع عن البشر: إن مصائرهم بأيديهم، وكما تلتقي هذه الأفكار مع آراء الماديين الماركسيين، فإنها تلتقي أيضاً مع آراء «فرقة القدرية» المعروفة في تاريخ علم الكلام، وقد انتصر جودت هنا لأفكار هذه الفرقة، وتعرف هذه الفرقة بمصطلح آخر هو «مذهب الاختيار» وذلك في مواجهة «مذهب الجبر» الذي بدأ ينتشر في ذلك العهد، وقد جعل جودت موضوع الصراع يدور حول (الجبر والاختيار) في حرية الإنسان، وأغفل منهج أهل السنة الذي يقوم على إثبات المشيئتين، وتقديم مشيئة الله على مشيئة البشر، وفي هذا يقول ابن تيمية: «أثبت الله «المشيئتين» مشيئة الله ومشيئة العبد، وبَيَّنَّ أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الرب». ثم ذكر ابن تيمية قوله تعالى: **﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً، وما تشاؤن إلا أن يشاء الله، إن الله كان عليماً حكيماً﴾** [الإنسان ٣][٨]. وقال ابن تيمية أيضاً: «الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع، فعلى العبد أن يكون قلبه معتمداً على الله لا على سبب من الأسباب، والله ييسر من

الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة»[٩]. أي: »«أعقلها وتوكل»[١٠]. ومن الممكن أن نلخص الرد على هذا الجانب بمثال عن حياة النبي ﷺ وهذا يشهد لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة في هذا الموضوع، وهو أن النبي ﷺ كان حريصاً على هداية عمه أبي طالب وألحَّ في دعواه، حتى نزلت الآية: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي من يشاء، وهو أعلم بالمهتدين**﴾[١١]. ولو كان تغيير ما في النفس مما يملكه رسول الله ﷺ لما تأخر عن تغيير ما بنفس عمه من الضلال إلى الهدى. فإذا كان النبي ﷺ لم يستطع أن يهدي عمه أو يغير ما في نفسه فكيف يمكن لجودت سعيد أن يجعل مهمة تغيير المشيئة بيد البشر؟ لماذا لم يقدر النبي ﷺ أن يهدي عمه؟ هل هذا عن عجز منه، وعدم معرفته بالأفعال التي يخلقها الله تعالى مما بالأنفس؟ أم أنه أغفل سنن التغيير التي اكتشفها جودت سعيد والماركسيون من قبله؟؟..

لن يملك جودت ولا أصحابه الماديون ولا جميع علماء النفس والاجتماع الذين يُعْتَدُّ بهم أن يغيروا ما في قلب إنسان من الهدى إلى الضلال، ولا أن يبدلوا ما في قلب إنسان من الضلال إلى الهدى إلا بمشيئة الله، قال تعالى: ﴿**فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ**﴾ [الشورى ٤٨]، وبحث هذه المسألة سيكون بصورة أشمل في الفصل الخاص بموضوع المشيئة، وإن ما ذكرناه في هذه المقدمة إنما هو توطئة لبحث جوانب أخرى من قاعدة التغيير.

تغيير مصادر المعرفة:

يقصد بتغيير مصادر المعرفة: تغيير مصادر العلم، يقول ابن تيمية «أصول العلم ثلاثة: الحس والعقل، والخبر المركب منهما؛ كخبر الأنبياء عن طريق الوحي»، ولكن جودت يجعل مصدر المعرفة في التاريخ وحده، حيث يقول في ندوة تلفزيونية: «اسمحوا لي أن أقول: إن الإسلام يعتبر التاريخ هو مصدر المعرفة، مصدر العلم، وأقول إنّ سبب انقطاع الوحي ـ ختم النبوة ـ بأن التاريخ صار مصدراً للمعرفة، وهذا النظر أعتبره فلسفة جديدة وقديمة في آن واحد، لأن

التاريخ، هو الذي إذا شهد لأحدٍ استحق شهادة صحيحة، وإذا شهد على أحد أيضاً فهو الذي يَخْرُجُ من التاريخ..»[١٢]. ويظهر في هذا الحديث ـ أنه يعتبر وظيفة القرآن قد انتهت، وأن التاريخ هو مصدر المعرفة الذي يُعْتَدُّ به، وأن شهادته ذات اعتبار وتأثير، وبناء على هذا التصور يذكر قاعدة التغيير في مصدر المعرفة، وأنها ليست من القرآن فيقول: «أي: أن الذي سيعلمنا ليس القرآن، وإنما نفس حوادث الكون والتاريخ هي التي ستعلمنا»[١٣].

تغيير مصادر الأدلة:

لما تقرر عند جودت استبعاد دلالة النصوص الشرعية كمصدر من مصادر المعرفة التي تقدم الحقيقة الموضوعية كان طبيعياً أن يحاول تغيير مصدر الأدلة أيضاً، فعند تفسير قول الله تعالى: ﴿**سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾ [الشورى ١٧]، يقول: «هذه الآية تنقل أدلة موضوع الفكر الديني الذي تُقَرِّرُهُ آيات الكتاب، تنقل مصدر الأدلة من آيات الكتاب إلى آيات الآفاق والأنفس، وهذه النقلة البعيدة المدى لم تكن البشرية مهيأة لها إلى الآن. وانعدام هذه النقلة أو عدم القدرة على التكيف هو الذي جعل مصدر أدلة العلم والإيمان مختلفة في أذهان العالم المعاصر. فجعلوا الدين غير العلم، وأن مصدر العلم من الواقع، وأن مصدر الدين من الغيب، فهذه الآية بهذه النقلة التاريخية التي لم يقدر البشر على تفهُّمها، تدمج الدين دمجاً كاملاً في العلم الواقعيِّ في المحيط الإنساني ليكون موضع تأمل الناس»[١٤]. أليس من حقِّ المسلم أن يتساءل إلى أيِّ مدى يريد جودت أن يغير مصادر الأدلة في هذا الدين؟ لو كان هذا التبديل ضرورياً، لَبَيَّنَ النبيُّ ﷺ لنا ذلك، وقد قال الله تعالى له: ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**﴾ [النحل ٨٩].

يبين جودت السبب في جعل الأدلة من خارج القرآن حيث يقول: «هذه الآية؛ آية الآفاق والأنفس قَلَبَتْ مكان الدليل ومصدره، كما قلبت آية التغيير مفاهيم الناس، فآية الآفاق والأنفس حدَّدَتْ مكان الدليل ومصدره بأنه ليس الكتاب، فلا نطلب كيف بدأ الخلق من الكتاب، وإنما نطلبه من السَّير في

الأرض والنظر، كما أمر بذلك الكتاب فالحكم في الكتاب، والدليل في الواقع والأرض وآيات الآفاق والأنفس»[١٥].

من أين جاء بهذا الحكم الذي يُلغي مكان الدليل في القرآن فيجعله في آيات الآفاق والأنفس، والآية لا تشير إلى هذه الفكرة، وليس لها هذا المنطلق ولا يمكن فهم ذلك الأمر من نصّها، وقد جعل القرآن آيات الآفاق والأنفس تأكيداً وتوضيحاً، ولم يجعلها تغييراً ونقلاً، والله تعالى يقول لنا: ﴿**وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**﴾ [النساء ٥٩]، ثم يأتي جودت سعيد فيقول: ردوه إلى الوجود الخارجي المادي، أو إلى آيات الآفاق ـ العلوم ـ وإلى آيات الأنفس ـ علم النفس ـ ويجب أن نعلم أن هناك إجماعاً عند المسلمين على أن المرجع عند الاختلاف هو كتاب الله وسنة رسوله، كما أن منهج السلف الصالح هو المعتمد في فهم الكتاب والعمل بالسنة.

إن تقرير هذه النقلة بهذا الأسلوب، يقطع الصلة بين المسلمين ومصدر علمهم ومنهج معرفتهم، كما يفصل بين أحكام الكتاب وبين التطبيق العملي له في واقع الحياة، وهذا يستدعي أن آيات الله تحتاج للتزكية والشهادة المستمدة من آيات الآفاق والأنفس كما يصور ذلك جودت.

يقول أصحاب النزعة العقلية: إن العقل هو الذي يشهد بالصدق والقبول لآيات القرآن والسنة، وبهذا جعلوا العقل حَكَماً على الدين، كما يقول محمد إقبال: «ومما لا شك فيه أن للفلسفة الحق في الحكم على الدين»[١٦]. ويقول أصحاب النزعة المادية: إن آيات الكتاب لا تؤدي دوراً، وإنَّ الواقع أو التاريخ وآيات الآفاق والأنفس هي التي تشهد لآيات الله بالصحة والثبات والقبول. وفي هذا يقول جودت: «في القضاء يطلبون البينة والأدلة والشهود، والله يقيم على دينه وكتابه شاهدي عدل، وهما آيات الآفاق والأنفس، وهما شاهدان معتبران لهما حق الشهادة»[١٧].

وقد يظن البعض أن هذه الشهادة كما نتصورها ـ نحن ـ شهادة تأكيد

وتأييد أو من العوامل التي تساعد الناس على فهم آيات الله في القرآن، والاعتبار بها ولكن نلاحظ أنه يجعلها الحَكَمَ على آيات الله، وكأن آيات الله لا تكفي لوحدها لبيان الحقِّ وتقديم العلم. وها هو يقول: «وللمجادل أن يصادر آيات الكتاب، ولكنه لا يمكنه أن يصادر آيات الآفاق والأنفس، فمن هذا الجانب صار دليل الدين دليلاً عالمياً إنسانياً علمياً، وليس دليلاً لطائفة معينة من الناس»(١٨). وبهذا يعطي جودت الحق لأي إنسان في رفض آيات الله ومصادرة معناها باعتبارها ظنية. ويشير إلى ذلك، عند وصفه للمعارف حين كانت ظنية: «حينما كانت المعارف ظنية وتابعة للأهواء، ولم تكن تشهد بها آيات الآفاق والنفس وكان النزاع يجري فيها، ولكن حين قامت أدلتها من الآفاق والأنفس تغير الوضع»(١٩).

وها هو يردد ما بثه المستشرقون في ديار الإسلام في بداية الغزو الفكري، وزعموا أن النصوص الشرعية ظنية الدلالة ولا تصلح لقيام الحجة والبرهان من خلالها وهذا طَعْنٌ في أصول الدين، ويقول جودت في معرض تحديد مصادر جديدة للمعرفة، وتعيين أصول جديدة للدين: «يذكر إقبال: إن هذه الآية جعلت آيات الآفاق والأنفس مصادر لمعرفة الحق، فكأن هذا القول يظهر شيئاً جديداً في أدلة أصول الدين من الكتاب والسنة والقياس والإجماع، وبمقتضى هذه الآية، فإن آيات الآفاق والأنفس لها حق معرفة الحق وكشفه، وهذا الحق كشيء مُسْتَنْبَطٍ من الكتاب لا يؤدي دوراً كبيراً مثل قولته تعالى: **﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾** [العنكبوت ٢٠]، ولكن حين يبدأ الناس يتعلمون كيف يتعاملون مع آيات الآفاق والأنفس فإن دلالة آيات الآفاق والأنفس تطلع ضوءاً مبحراً يحق معه أن يقال: طلع الصباح فأطفيء القنديل، ولكن الذين ظلوا طويلاً في الظلام يصيبهم العشي من الضوء الساطع. وقد يرى بعض الناس في هذا الاتجاه خروجاً من الدين وتضييعاً له ولكننا نرى عكس ذلك..»(٢٠). نضع هذا النص الواضح في دلالته على تغيير مصدر أدلة أصول الدين أمام أهل العلم، ونسألهم: هل يمثل هذا الطَّرح خروجاً من الدين أم لا؟!!

وأما قوله: «طلع الصَّباح فأطفيء القنديل» فإنه يمثل سُخرية واضحة للتفريق بين أدلة أصول الدين، وأدلة اللا أصول الجديدة التي اختارها واعتمد (آيات الآفاق والأنفس) بديلاً جديداً عن الأدلة الصحيحة.

وأخيراً فإن الطريقة التي أعرض بها آراء اصحاب النزعة المادية ونقدها وإبراز مواضع الانحراف فيها لا تعدو أن تكون نموذجاً لنقد مناهجهم، فالهجمة على أصول الدين كبيرة وقد هيأ الأعداء لها من الأساليب والخطط ما يفوق التصور. يقول محمد أركون في معرض حديث عن مواجهة الذين لا يزالون متمسكين بالنصوص الشرعية: «نحتاج إلى مائة مؤسسة وثلاثين سنة للتمكن من زحزحة المسلمين عن التمسك بحرفية النصوص..».

المراجع:

١- كتاب «إقرأ وربك الأكرم»، جودت سعيد، ص ٢٢٦ .
٢- المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، ص ١٢٩، من الترجمة العربية (منشورات دار دمشق).
٣- المؤلفات الكاملة، ليبين ١٣٢/١٤ .
٤- كتاب: «إقرأ وربك الأكرم»، ص ٢١٨ .
٥- كتاب: «حتى يغيروا ما بأنفسهم»، ص ٧٧ .
٦- كتاب: «إقرأ وربك الأكرم»، ص ٢١٩ .
٧- كتاب: «حتى يغيروا ما بأنفسهم»، ص ٥٩ .
٨- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ٢٣٨/٨ .
٩- المصدر السابق، ٥٢٨/٨ .
١٠- أخرجه الترمذي (٢٦٤٩)، بإسناد حسن عن أنس - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ.
١١- راجع القصة في فتح الباري.
١٢- ذكر هذا الكلام خلال ندوة في التلفزيون السوري بالاشتراك مع الدكتور الكردي محمد سعيد رمضان البوطي، لمواجهة موضوع الصحوة الإسلامية.
١٣- رسالة انظروا، اللغة والواقع، جودت سعيد ص ٨ .
١٤- كتاب: «إقرأ وربك الأكرم»، ص ٢١٧ .
١٥- كتاب: «إقرأ وربك الأكرم»، ص ٢٢١ .
١٦- كتاب: «تجديد الفكر الديني»، محمد إقبال، ص ٧ .
١٧- كتاب: «إقرأ وربك الأكرم»، ص ٢٢١ .
١٨- كتاب: «إقرأ وربك الأكرم»، ص ٢٢٢ .
١٩- كتاب: «إقرأ وربك الأكرم»، ص ٢٢٢ .
٢٠- كتاب: «إقرأ وربك الأكرم»، ص ٢٢٣ .

تيار التجزئة والتفتيت

منصور بن زويد المطيري

حينما قال الرسول ﷺ وهو بالمدينة: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم وصححها وبارك لنا في مدّها وصاعها». وحينما رفع بلال عقيرته بالمدينة بعد أن نزعه الشوق إلى مكة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي أذخر وجليل
وهل أردنْ يوماً مياه مجنّة وهل يبدونْ لي شامة وطفيل؟

لم يكن ذلك إلا تعبيراً عن شعور فطري يعتري الإنسان تجاه منبته وموطنه والدار التي درج فيها، وترعرع في رباها، وهو شعور يجده كل إنسان في شتى بقاع العالم، ليس فيه ما يُعاب أو يُذَمُّ بل هو من تمام المرؤة وكمال الخلق إلا أن هناك شروطاً لا بدّ من وجودها حتى لا يخرج هذا الشعور الفطري من المدح إلى القدح وهو أن يكون في حجم طبيعي بسيط. أما إذا تضخم هذا الشعور ونفخ فيه حتى يصل إلى حدود الولاء فإنه يتحول عندئذ إلى خصلة ممقوتة وصفة مذمومة من وجهة النظر الإسلامية.

والحقيقة أن هذا الشعور المتضخم تجاه الوطن أو الإقليم وُجِدَ في بلاد الإسلام في العصر الحديث ـ بل إنه صنع وصدر إليها بغرض خبيث، بعد أن كان شعور

المسلمين في مختلف أنحاء العالم تجاه بلادهم المختلفة شعور فطري طبيعي مما يُحْمَدُ ويمدح.

إن الغرب بالذات صنع كثيراً من المبادئ والعقائد في أرضه ثم صدَّرها عامداً إلى أبناء العالم الإسلامي ـ والحق أنه لم يكن ليصدرها لو لم تكن عند المسلمين قابلية للاستيراد ـ يقول المستشرق اليهودي برنارد لويس معترفاً بالجريمة الغربية: «كل باحث في التاريخ الإسلامي يعرف قصّة الإسلام الرائعة في محاربته لعبادة الأوثان منذ دعوة النبي ﷺ وكيف انتصر النبي ﷺ وصحبه وأقاموا عبادة الإله الواحد التي حَلّت محلّ الديانات الوثنية لعرب الجاهلية، وفي أيامنا هذه تقوم معركةمماثلة أخرى ولكنها ليست ضد «اللات» و«العزى» وبقية آلهة الجاهلية بل ضد مجموعة جديدة من الأصنام اسمها: الدولة والعنصر والقومية. وفي هذه المرة يظهر أن النصر حتى الآن هو حليف.. الأصنام!! فإدخال هرطقة القومية والعلمانية أو عبادة الذات الجماعية كان أرسخ المظالم التي أوقعها الغرب على الشرق الأوسط ـ ولكنها مع كل ذلك كانت أقل المظالم ذكراً وإعلاناً»[1]. وليس من العجيب أن يحرص الغرب على تفتيت وحدة المسلمين، فقد كانت العقبة الكأداء في وجهه إبان استِعَارِ الاستعمار، حيث كانت الجامعة الإسلامية كفيلة بأن تثير حمية الهندي والفارسي والأفغاني والتركي والعربي وكل مسلم وسيلبون النداء حين يدعو داعيه.

ومن المعلوم أن انتشار الإسلام في بقاع الأرض ضمّ في إطاره الكثير من الأعراق والشعوب والبلاد، وكتب لهم تاريخاً جديداً وبتَّ الصلة بما كان قبله، ورتَّب حياتهم على أساس الولاء للإسلام وحده، وكوَّن من كلّ هذه الأعراق أمة واحدة تَتَّفق في الاعتقاد وفي التشريع المنظم للحياة الروحية والمادية، وقد كان الإسلام هو السِّمة الأساسية لهذه الشعوب والأعراق التي تكونت في رحابه، وتحت حكمه وفي ظله. وعلى ضوئه قام المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية، وأصبحت اللغة العربية وعلومها وأدابها تاجاً يتزين به كل عالم في

هذه الأمة من العرب أو من غيرهم؛ بل لقد برز غير العرب كعلماء ترجع إليهم الأمة في مختلف المعارف، وكانت الأعراق تكّون أمة واحدة إذا اشتكى منها عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

ومع مرور التاريخ استلم قيادة هذه الأمة الإسلامية خلفاء بني عثمان، وساروا بها في جزء كبير من تاريخهم من نصر إلى نصر. وكانت دولتهم في أول أمرها فتية ثم اشتد عودها ثم شاخت في نهاية أمرها لتعود رجلاً مريضاً يدفن بمرضه، ويردم الأعداء التراب على قبره، ليتردد بعد ذلك في الأرجاء النواح والعويل والجزع والذهول يشارك الجميع أحمد شوقي* في مرثيته للخلافة:

عادتْ أغاني العرسِ رَجْعَ نُواحِ ... ونُعيتِ بين معالم الأفراحِ
كُفِّنْتِ في ليلِ الزفافِ بثوبه ... ودُفنتِ عند تَبَلُّجِ الإصباحِ
شُيِّعتِ من هَلَعٍ بِعَبْرَةِ ضاحكٍ ... في كلّ ناحيةٍ وسكرةِ صاحِ
ضجَّتْ عليكِ مآذنٌ ومنابرٌ ... وبكت عليك ممالكٌ ونواحِ
الهندُ والهةٌ ومصرُ حزينةٌ ... تبكي عليك بمدمعٍ سَحَّاحِ
والشَّامُ تسألُ والعراقُ وفارسٌ: ... أَمَحَا مِنَ الأرضِ الخلافَةَ ماحِ؟

لقد تحققت إرادة الأعداء في تفتيت وحدة هذه الأمة، ولكن لِمَ تحققت إرادة الأعداء؟

وكإجابة على هذا السؤال سنشير فيما يلي وفي عجل إلى عامل واحد أدى إلى فقدان الأمة الإسلامية لوحدتها وهو ظهور النزعات الإقليمية والقومية. لقد انتقل كثير من المفاهيم الغربية إلى بلاد الإسلام عن طريق الاحتكاك الثقافي، وعن طريق الزرع المقصود. ومن هذه المفاهيم، القومية. وهي مفهوم برز في المجتمعات الغربية بشكل واضح وقوي في القرن التاسع عشر، وهو يهتم بخلقِ وعي جديد يمجِّد جماعة محدودة من الناس، يضمها إطار جغرافي ثابت، ويجمعها تراث مشترك وتنتمي إلى أصول عرقية واحدة «وهذا الوعي القومي على درجات، ويبدأ من مرحلة العاطفة الوطنية أي حب البلد الذي تتفتح فيه

*- انظر الشوقيات المجلد الأول، ص: ١٠٥-١٠٩ - البيان -

عينا الإنسان للنور، بلد الآباء والأجداد، بلده الذي يحنُّ إليه إذا نأى عنه، ويحميه إذا اعتُدِيَ عليه.. وينتهي بمرحلة التفكير القومي وليس لهذه المرحلة حدّ، ولكن المراد منها هو جمع شمل أبناء القوم الواحد، ولمّ شعثهم، والخلاص من الأجنبي الذي يرزحون تحت نيره إن وجد، وإنشاء دولة مستقلة تضمُّ تحت لوائها مَنْ تجمعهم وحدة الأفكار والمصالح والعواطف والذكريات والرغبة في العيش المشترك ضمن إطار جغرافي معين تحدده في الغالب اللغة القومية»[٢].

وروح القومية هي الشعور بالتشابه من ناحية، والشعور بالامتياز عن الغير من ناحية أخرى. فالشعور بالتشابه به يؤدي إلى عاطفة التضامن والتآلف والتناصر بين أعضاء الأمة الواحدة، وهو الذي يقرِّب بين طباعهم وأمزجتهم وآرائهم، ويشكِّلَ عامل توحيد وجذب بينهم.

والشعور بالامتياز ينمِّي الشعور بالكرامة الوطنية والشرف القومي والحسّ بالمصير القومي، وينمي الرغبة في تأكيد صفات الخلق القومي وفرضه على مرأى ومسمع من العناصر الأجنبية الأخرى، فهو الذي يحملهم على منافسة الغير وبذل أقصى الجهد في سبيل التفوُّق.

هذه الفكرة وُجِدَتْ في بلاد المسلمين أول ما وجدت في دار الخلافة الإسلامية تركيا فقد تسربت إليها من أواسط وشرق أوربا عبر قنوات عديدة منها أن اللاجئين البولنديين والمجريين نقلوا معهم هذا المبدأ بعدما لجأوا إلى تركيا بعد فشل ثورتهم سنة ١٨٤٨م. فلقد بقي قسم كبير منهم فيها واعتنقوا الإسلام واحتلوا مناصب هامة في الدولة العثمانية. وكان أحدهم الكونت بورزيسكس الذي سمى نفسه بعد ذلك مصطفى جلال الدين باشا قد نشر كتاباً بعنوان «أتراك الأمس وأتراك اليوم» وفيه جزء عن تاريخ الشعب التركي القديم يوضح الدور الإيجابي الخلّاق للأتراك في التاريخ وقد كرَّس بورزيسكي جهده لإثبات أن الأتراك هم من العرق الأبيض مثل شعوب أوربا، وينتمون لما أسماه العرق «الطوراني - الآري». ويقول برنارد لويس: «ولقد عمل الكونت بورزيسكس

على نقل القومية البولندية ووضعها في قالب تركي وساعده على هذا العمل ما عرضه من أعمال المستشرقين الأوربيين الباحثين في الشؤون التركية، ولقد وصلت نتائج أبحاث هؤلاء إلى المجتمع التركي عن عدة طرق، وكان لها تأثير هام على الذهنية التركية خصوصاً في تقدير التركي القديم، والاعتقاد بالهوية المميزة والمركز اللائق في التاريخ، ولقد كان الأتراك أكثر من العرب والعجم نسياناً لتاريخهم الماضي فقد كانوا لا يفكرون بأية هوية أخرى غير الهوية الإسلامية، ولكن المستشرقين.. ساعدوا الأتراك على استعادة هويتهم القوية الضائعة »وعلى الدعوة إلى حركة قومية جديدة«[٣]. وبمثل هذه الأساليب تعزَّز عند جزء من الأتراك هذا الشعور القومي، وأدى بعد ذلك كواحد من عوامل كثيرة إلى نشوء القومية العربية.

لقد كان لغير المسلمين جهد واضح وأثر فعال في ترسيخ الانتماء القومي الذي يستند على العلمنة كإطار مبدئي. ولنستمع إلى ما يقوله إبراهيم اليازجي وهو يستنهض همم العرب ويدعوهم إلى إحياء أمجاد آبائهم ويحثهم على الثورة على الترك:

دع مجلس الغيد الأوانس ... وهوى لواحظها النواعس

إلى أن يقول:

ودع التنعم بالمطايا ... والمشارب والملابس

أي النعيم لمن يبيت ... على فراش الذل جالس

ولمن تراه بائساً ... أبداً لذيل الترك بائس*

ولمن أزمته بكف ... عداه يُظلم وهو آيس

إلى أن يقول داعياً العرب إلى الثورة على الترك كما فعلت شعوب البلقان:

ماذا نؤمل بعدهم ... إلا مقارعة الفوارس

فإليكم يا قوم واطَّـ ... ـرحوا المؤانس والمدالس

وتشبهوا بفعال غيـ ... ـركم من القوم الأحامس

*- بائس: مُقَبِّل.

بـعـصـائـبَ اتـفـقـوا فـجـا   دو بـالـنـفـوس وبـالـنـفـائـس
تـركـوا جـمـوع الـتـرك يـقــ   صفُ فوقـهـا الـركـب الـروامـس
فـالـتـرك قـوم لا يـفـو   ز لـديـهـم إلا المشـاكـس

وفي آخر القصيدة يظهر الشاعر الوجه العلماني للقومية العربية:

ودعـوا مـقـال ذوي الـشـقـا   ق مـن المشـايـخ والـقـمـايـس
مـا هـم رجـال الـلـه فـيــ   ـكـم بـل هُـمُ الـقـومُ الأبـالـس
فـالـشـر كـل الـشـر مـا   بـين الـعـمـائـم والـقـلانـس

وله قصيدة بائية أخرى لها نفس الغرض ختمها بقوله:

صبراً هيا أمة الترك التي ظلمت   دهراً فعما قليل تُرفع الحجبُ
لـنـطـلـبنّ بـحـد الـسـيـف مـأربـنـا   فلن يخيب لنا في جنبه أربُ

يقول مؤلف كتاب الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة «وقد سبق المسيحيون العرب المسلمين منهم إلى التحسس بالشعور القومي، وإلى المجاهرة بالحركة القومية. ففي بداية القرن التاسع عشر دخل المذهب البروتستانتي إلى البلاد العربية وترجم الإنجيل إلى اللغة العربية، وأخذت طوائف الروم الأرثوذكس في بلاد الشام تطالب بتعريب كنيستها ـ وكانت الكنائس الكاثوليكية بما فيها الموارنة قد استقلت عن روما وصار لها بطاركة، وخوارنة من العرب وغدت لها مدارسها العربية، وتخرج من المعاهد التي أنشأتها الإرساليات التبشيرية والطوائف المختلفة رواد الحركة القومية العربية»[٤].

ويقول: «وعلى يد العرب المسيحيين تشكلت أول الجمعيات السرية العربية، التي ندَّدت بالحكم التركي وطالبت باستقلال الولايات العربية عن الدولة العثمانية»[٥].

وكما هو معروف فقد لعبت القومية العربية بعد ذلك بسنين دوراً أساسياً في الساحة شَهِدَهُ الجميع. والحقيقة أن هناك ما هو أخطر من القومية على وحدة المسلمين ويتمثل في تيار الإقليمية الوطنية بمعنى حب الوطن والولاء له. وهو

مفهوم حديث لم يعرفه المسلمون من قبل، وقد ورد إلى العالم الإسلامي قبل المفهوم القومي. وكان أول من دعا إلى الوطنية بهذا المفهوم رفاعة الطهطاوي، فمثلاً يقول في أحد كتبه: «فقد أجمع المؤرخون على أن مصر دون غيرها من الممالك عَظُم تمدُّنها وبلغ أهلها درجة عالية في الفنون والمنافع العمومية، فكيف لا وأن آثار التمدن وأماراته وعلاماته مكثت بمصر نحو ثلاثة وأربعين قرناً، ويشاهدها الوارد والمتردد، ويعجب من حسنها الوافد والمتفرج. مع تنوعها كل التنوع، فجميع المباني التي تدل على عظم ملوكها وسلاطينها هي من أقوى دلائل العظمة الملوكية وبراهينها»[٦]، وقد تطورت مثل هذه الفكرة بعد ذلك حتى أصبحت دعوة شعبية شعارها «مصر للمصريين».

وكما يقرر المستشرق لويس فإن مصر كانت «البلد المسلم الوحيد الذي تقدمت فيه فكرة الوطنية المحلية وكان ذلك بسبب عوامل عدة:

١- مصر بلد واضح المعالم الجغرافية والتاريخية.

٢- كان فيها عائلة حاكمة قوية مصممة على اتمام الاستقلال «يقصد الانفصال عن تركيا».

٣- تاريخ قديم رائع اكتشفت آثاره منذ مدة وهو من أهم العوامل التي يستند إليها الافتخار بالوطنية»[٧].

وفي سبيل ترسيخ الشعور بالوطنية في بلاد المسلمين نشط الاستشراق بشكل فعال في بعث التاريخ السابق على الإسلام في كل بلد من البلاد الإسلامية وأفلح في تأسيس هيئات للإشراف على عمليات التنقيب عن الآثار وإنشاء متاحف وطنية، وكان الإشراف على هذه العمليات في يد الغرب فقد أشرفت فرنسا على بحوث الآثار في مصر وإيران، وأشرفت بريطانيا على الهند، وأشرفت إيطاليا على آثار ليبيا. وبعد الاستقلال تغيرت الأوضاع واستلمت الحكومات الإشراف على هذه الآثار ولكن الذي حدث «هو أن عالم الآثار الغربي في كل دولة من تلك الدول قد ساعد في إعداد قانون خاص بالآثار للبلد الإسلامي

الذي يعمل فيه، وأصبح مستشاراً لموظف وطني عين من حكومته مديراً لمصلحة الآثار»، وكان الغرض من هذا كله أمرين:

الأول: إحياء التاريخ الميت للبلاد الإسلامية ومحاولة بثه في شعور أهل كل بلد بحيث يحصل اعتزاز وافتخار بالانتساب إلى مثل هذه الحضارات، والشعور بهوية متميزة، فالمصريون أحفاد الفراعنة والسوريون أحفاد الفينيقيين، والعراقيون أحفاد الآشوريين والبابليين، والمغاربة أحفاد البربر، وأبناء الجزيرة العربية أحفاد العرب الأقحاح وهكذا.

الثاني: إضعاف دور الإسلام حيث تعطي مثل هذه البحوث التاريخية انطباعاً عاماً بأن الإسلام مرحلة من مراحل حضارة البلد، سبقته حضارات وستتلوه حضارات. وما هو إلا حلقة ضمن هذه الحلقات يعتز به كما يعتز بغيره، والولاء في النهاية للوطن الذي أبدع كل هذا.

وعلى كل حال لم تكن هذه الجهود لتؤتي أُكُلها في تجزئة بلاد المسلمين لولا القوة الاستعمارية التي فرضت هذه التجزئة، فكما يقطع الجزار ذبيحته قطعة قطعة فعل الاستعمار بالدولة العثمانية فعل الجزار، فالبلاد الواقعة تحت سيطرة العثمانيين قُسِّمت إلى عشرات الأجزاء ولم يكن ذلك لتعدد المستعمرين، بل كانت العملية واعية ومقصودة هدفها التمزيق إلى أقصى درجة فالذي حدث «أن المناطق التي وقعت تحت سيطرة الاستعمار الواحد جزئت تجزيئاً، فلبنان انفصل عن سوريا، وكلاهما تحت الانتداب الفرنسي، والأردن فصل عن فلسطين، وفصل العراق على حدة، وكذلك دول الخليج ومصر والسودان وكلها كانت تحت نفوذ الاستعمار البريطاني، الأمر نفسه بالنسبة للمغرب العربي الكبير الذي تجزأ وكان أغلبه تحت السيطرة الفرنسية»(٩). كما عُزِلَتْ البلاد التي لم تدخل تحت الولاية العثمانية حيث عُزِلَتْ إيران على حِدَةٍ، وأفغانستان على حدة، والمناطق الإسلامية في آسيا الوسطى كل منطقة على حدة، والهند على حدة.

انتهت خطة التجزئة بالعدد الذي نراه من الدول في العالم الإسلامي، وبالحواجز التي نشاهدها بين أبناء الأمة الواحدة، وقد تكوّنت في كل بلد مع الأيام أنظمة وقوانين خاصة، ودساتير متنوعة، ووُجِدَ في كل بلد أصحابُ مصالح في إبقاء الوضع وإدامته، ونشأت افكار وعقليات وطنية خاصة بكل بلد، ونشأت محظورات عالمية يُحَرَّمُ المساس بها «سيادة الدولة» و«سلامة أراضي الإقليم» و«حرمة الحدود» و«تخطيط الحدود» وعدم التدخل في «الشؤون الداخلية» وإقامة «الدولة العصرية» أو «الاشتراكية» أو «التقدمية» وغيرها مما يكرِّس واقع التجزئة. ومن ناحية أخرى فعلى كلّ بلد أن يُسَيِّرَ أمورَه حسب إمكاناته حتى ولو سارت الأمور عكس ما هو معقول بالنسبة للأمة الواحدة، فكم من بلد يملك القدرة البشرية ولكنه لا يملك المال، وكم من بلد يملك المال وتنقصه القدرة البشرية، وكم من بلد يملك الإمكانات الاستراتيجية ولكنه لا يملك المال أو البشر، فمثلاً: «أكثر من ثلثي الأراضي العربية الصالحة للزراعة تقع في خمسة أقطار عربية، ومعظم النفط العربي يكمن في خمسة أقطار عربية، وإن ثلاثة أقطار عربية يتركز فيها أكثر من نصف سكان الوطن العربي، وإن عشرة منها يتركز فيها ٩٠٪ من السكان»[١٠]. هذا على نطاق العالم العربي فما بالك بالعالم الإسلامي.

لقد كان الأمر يسيراً في البداية ولم يكن يسيطر واقع التجزئة على العقول بل كان يُنْظَرُ إليه على أنه حالة طارئة، ولكن في الوقت الحاضر أصبح الواقع يحظى بالقبول من الكثرة الأكثرية ويشكل الأساس في الفكر وفي الحياة الواقعية.

وفي الختام فإن تنمية الوعي بأهمية وحدة المسلمين كما يأمرهم الإسلام هي النقطة الأساسية الأولى في سبيل التغلب على الواقع. لقد نقلتهم الإقليمية من القوة إلى الضعف ومن الغنى إلى الفقر ومن الأخوة إلى العداوة «كم هناك من الخلافات حول الحدود قابلة للإنفجار في أية لحظة». وستجعل لهم الوحدة مكانة متميزة بين الأمم، وستوفر لهم مجالات أرحب للتنمية. وعلى كل حال

فإن الواقع يفرض أن يقتصر الحديث في هذه المرحلة على التكامل الاقتصادي، وإنشاء سوق إسلامية مشتركة، والتقارب عن طريق المنظمات الإسلامية وأن شحّت فاعليتها إلى أكبر حد ممكن. كما ينبغي أن تيسر تنقلات المسلمين فيما بين دولهم، ومن الأهمية بمكان وجود تكامل سياسي يدعم معنوياً ومادياً ويساعد على حل الخلافات بين دول العالم الإسلامي.

الهوامش:

١- برنارد لويس، الغرب والشرق الأوسط، تعريب: د. نبيل صبحي، كتاب المختار ص ٩٣ .

٢- د. نور الدين حاطوم، تاريخ الحركات القومية، الجزء الأول دار الفكر ص ١٥ .

٣- برنارد لويس، المرجع السابق، ص ١١١ .

٤- علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٧، ص ٢٩ .

٥- المرجع السابق، ص ١٣٠ .

٦- المرجع السابق ص ١٢٢ .

٧- برنارد لويس، المرجع السابق، ص ١٠٦ .

٨- محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ص ١٤٠ .

٩- منير شفيق، الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، ص ٨٢ .

١٠- منير شفيق، نفس المرجع، ص ٨٦ .

وانظر في الموضوع: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين.

ورد فى صفحة ٢٨ السطر الثامن من العدد السابق الجملة التالية :
(والروح من أحواله) والصحيح أنها (الروح من امر الله) لذا اقتضى التنويه .

عودة إلى المعرفة

محمد بن حامد الأحمري

هل من المناسب أن نكتب عن التعلم والقراءة في الوقت الذي يشهد العالم فيه نهاية دولة مسلمة، وإلغائها من الأرض ودفن كل المعالم التي قد تشير إلى مكانها في قادم الأزمان؟ تكتب صحف العدو على صدر صفحاتها «وداعاً البوسنة» ويقولون عن خطة الغدر التي كتبها أوين وفانس: «لقد أصبحت حبراً على ورق» على رغم كونها مأساة، فقد سلبت المسلمين أرضهم، ولكن تدهور الموقف فيما بعد جعل المسلمين يتمنونها.

نكتب عن هذه القضية لأن الجهل أنشب مخالبه في عقول وقلوب المسلمين؛ في جامعاتهم ومدراسهم وكل مرافق حياتهم، حتى إذا أرادوا أن يهربوا من الجهل فروا إلى الحصول على الشهادات فزادتهم عماية وضياعاً وغروراً بجهلهم. ولا بد قبل الاهتمام بالمعرفة من الاعتراف بالجهل؛ وذلك بعرض بعض مظاهره عندنا.

إعادة سبب مصائبنا إلى البعد عن الدين والعلم ـ وهما في ثقافة المسلم متلازمان ـ تفسير صحيح لما حل بنا، تفسير يقوله العدو والصديق، يقوله

الثعالبي عند خروجه من تونس، ويرى الحل في المدارس الشرعية، ويرى أهميتها قبل القتال، ويرى ذلك محمد علي السنوسي عندما كان عائداً من الحجاز في طريقه إلى تلمسان بالجزائر، وجد بلاده قد وقعت تحت أيدي الفرنسيين ولا يستطيع العودة إليها فيبقى في برقة يعلم الناس ويحثهم على التعلم، ويتابع إنشاء الزوايا السنوسية، ومن أهم أهدافها التعليم. ولمس هذا السبب كل من اتصل بهموم الأمة وقضاياها من رجالها أو من أعدائها، فكتب الرحالة الغربيون وهم طلائع الاستعمار؛ كتبوا بكل سخرية واستصغار عن الجهل وترسخه في بلاد المسلمين. وكتبوا عن الخرافة والكرامات والقبور التي لها مكانة خاصة عند أصحاب المدن، ويتعجب من إيمان بعض المسلمين بأن بعض القبور والمشاهد تحكم العالم وتهيمن عليه وهكذا فِرق السحرة وجيوش الخرافة.

الإعجاب المتناهي بالغريب والجهل المتناهي به، جعل بعض المسلمين يكتب إلى الحاكم الفاشي الإيطالي موسيليني يخاطبه بحامي حمى الإسلام والمسلمين، ولا نستغرب الذين قالوا أبشع من ذلك أو قالوا لن تتحرر فلسطين «حتى يرفرف فوقها العلم الأحمر» فانضموا إلى حزب راكاح الشيوعي الصهيوني ليحرروا فلسطين من الرأسماليين اليهود وليحكمها الشيوعيون اليهود بدماء الأعراب. أما في البوادي فكان الحال أشنع فليس غريباً أن يقف أعراب سيناء مع الإنكليز ضد الثوار المصريين مقابل الذهب الذي دفع لهم، ثم اكتشفوا وبعد مناصرة بريطانيا أن الذهب الذي أعطي لهم كان مزيفاً (صفراً).

وأعراب العراق كانوا يتلقون الأوراق التي تلقيها الطائرات البريطانية والتي تحتوي تعليمات أو تحذيراً أو أوامر لهم، فيظنون أن الطائرة فيها ثقب ولذلك يجمعون الأوراق ليعيدوها لهم لأنهم لا يقدرون على القراءة. وكانت الرسالة تصل القرية فيمر بها صاحبها عدداً من القرى لا يجد من يقرأ له رسالته.

وهكذا آل مآل أمة محمد ﷺ الذي قال لهم فيما صح عنه: «العلم فريضة على كل مسلم » [رواه ابن ماجة] وتحولت وسائل التعليم والمدارس والجامعات

في بلدان العالم الإسلامي إلى مواقع ينتشر فيها الجهل والتقليد، والعمل الإداري الروتيني، والسباق الساذج نحو الشهادات، وترك العلم الذي قيل إنها أنشئت من أجله.

فقد أصبح التعليم وسيلة للعيش فقط، والتعلم طريق الشهادة التي تفتح باباً للعيش، وأنىّ للمدرس الذي يحيا هذه الظروف حوله أن يخلص من هذه الكوابيس إلا من رزقه الله إخلاصاً وهمة وحمية لدينه وأمته.

إن الجامعات الغربية التي على مثالها أنشئت ما نسميه جامعات في بلداننا تقوم بدور آخر، لا أقول كل جامعاتهم ولكن كثيراً منها يقوم بدور حيوي في حياة أمتهم، فتعلم الصناعات الكبرى تبدأ نظرية وتطبق أولاً في الجامعات، حيث يطلب الجيش الأميركي أو الفرنسي تطويراً لجهاز ما ويتحدثون عن المشكلة الصناعية أو الجهاز الذي يريدون مع أستاذ في الجامعة وسرعان ما يقوم المدرس وعدد من تلاميذه وأكثرهم وللأسف من دول العالم الإسلامي بدراسة المشكلة وحلها، وما هو إلا زمن يسير حتى تنتهي وتتحسن الصناعة وهكذا بقية الشركات وأغلب المؤسسات العلمية العلم عندهم يعني العمل والتطبيق المباشر.

أما السياسة عندهم فهي علم يدرس في الجامعات، يدرّسه مهرة يعيشون في موقع القرار في الدولة، أو عايشوا ذلك في الماضي، وهم على صلة قريبة جداً بكل ما يحدث، وما تسمعه اليوم من خبر في وسيلة إعلام قد يكون موضع نقاش ودرس وبحث عن السبب والحل في الجامعة والصحافة، لأنهم كما قالوا: سياستهم علم وسياستنا كهانة.

إن الذي صاغ ورقة الحوار ونقاش السلام المصري-الإسرائيلي في عهد السادات أستاذ في جامعة هارفرد، صاغه مع تلاميذه وقسمهم إلى فريقين كل منهم مستوعب لقضيته يطالب بحقه، والمدرس وفريق معه يدرس عملية الصلح حتى إذا تمت الدراسة ونجحت الفكرة طبقت على المتحاورين الإسرائيليين والمصريين، ولم يجدوا صعوبة إلا مع الجانب الإسرائيلي؛ لأن «بيغن» لم يكن

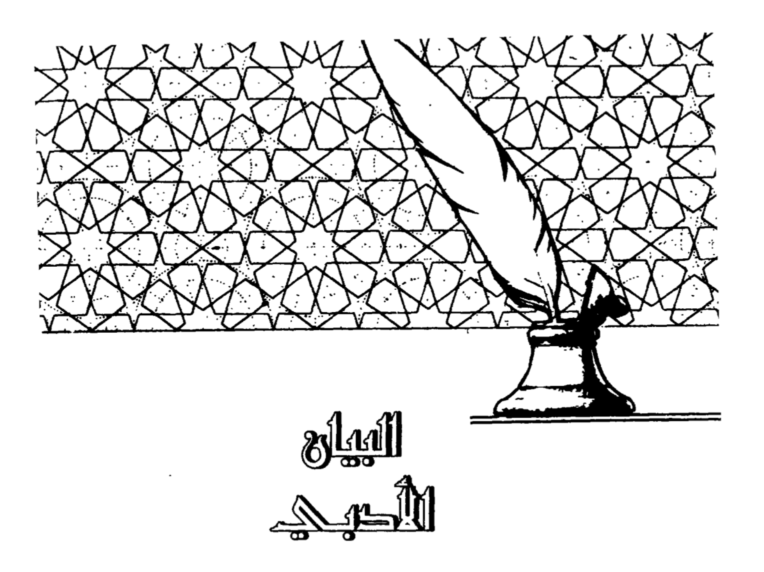
يقطع برأي حتى يشاور حزبه والكنيست، أما السادات فيقول عنه «كارتر» إنه كان يعيد الأوراق موقعة وبسرعة، حتى أن فريق السادات الذي كان معه لم يكن يقرأ أوراق المعاهدة هكذا قال عنه كارتر في كتاب «دم إبراهيم».

وهكذا بإمكاننا نقل الأسماء والمصطلحات والاشكال والطقوس الجامعية أو البرلمانية، ولكن المضمون يبقى غريباً عنا فالجامعة عندنا مكان نحصل منه على شهادة ولو كاذبة، والمدرس في أي المستويات بعد حصوله على الشهادة يطلّق العلم طلاقاً بائناً، ويكرهه ويكره ذويه، ذلك أن مقتضى الترك له البعد والكراهة. والبرلمانات مكانة اجتماعية يتسابق الناس لها وليس لها تبعات ولا اعتراضات بل أدوات زينة وديكور بلا قرار، يندر فيهم الدارس الجاد لمشكلات أمته الباحث عن الحلول، ولقد قالت زوجة بوش تصف زوجها يوماً: إنه رجل دراسة لما كان ينفق من الوقت في قراءة ما يصله، وعندهم للأسف أمثلة من رجال السياسة والمعرفة ما لا يوجد له قرين عندنا في زمن الانحدار، إذ لا يمكن أن يهدي أمته جاهل أو ينتصر لها.

ولقد كان العلم دائماً رفيق الغلبة والجهل قرين الهزيمة، لم يكن بعيداً أن ينتصر صلاح الدين وابن هبيرة يتنقل معه بعلمه وكتبه في الخيام من جبهة لأخرى، وليس غريباً أن ينتصر الشيخ شامل في داغستان على القياصرة ومعه مكتبته تحمل على الخيول. ويلخص أحد المؤرخين الغربيين انتصارهم على المسلمين في بداية المرحلة الاستعمارية علينا نحن المسلمين أن عندنا جهل وشجاعة وقصر نَفَس وفساد نظام، وعندهم علم ومثابرة وجد متدرج فغلبوا. يقول: «يقهر علم الغرب ومثابرته تدريجياً شجاعة أهل الشرق وفساد نظامهم»[1]. وبعد الإشارة إلى هذه المظاهر يأتي الحديث ـ بإذن الله ـ عن بعض وسائل الخلاص.

- يتبع -

١- تمبرلي وجرانت، «أوربا في القرن التاسع عشر العشرين»، ٣٧/٢ .



- مقدمة في بناء الرواية

- سرايفو يا مدينة المساجد

- مغامرات هـر

- أحدث اكتشافات العصر الحديث

مقدمة في بناء الرواية
(القسم الثاني)*

د. مصطفى بكري السيّد

— ٤ —

لا يأتي الباحث بدعاً من الرأي إن قال بأولوية زمانية وفنية للقصة القرآنية بوصفها الجذر الفني الذي استولدت منه القصة الحديثة سواء في الشرق أو الغرب، ولا بأس أن نردد مع إحدى الدراسات قولها: «يبدو أنه قد آن الأوان لكي نقول أن القصة القديمة أشد ظهوراً في القرآن الكريم منها في أي موضع آخر»[١].

ولئن سبقت قصة التوراة قصص القرآن، فإن التحريف الذي أملته أهواء أهل الكتاب جعلت العقول المؤمنة تمجّ القصص التوراتية لما (فيها من مخالفة قواعد العلم، وقوانين التربية، وهي تذكر الله ورسله بما يأباه العقل وتشمئز منه النفس، وماذا أكثر من أن يوصف الله بالندم والبداء (أي تبدو له الأمور وكأنه يجهلها، والظهور بصور البشر ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ وأن يوصف الرسل بالكذب والسكر والزنا)[٢].

كما نجد في القصص التوراتي (هيجاناً جنسياً لا يتورع عن استباحة أخس

* نشر القسم الأول من هذه الدراسة في العدد ٦٤، ص ٥٦-٦٥ .

الوسائل لتحقيق الاتصال الفاجر حتى بين النبي وابنيته كما يزعم (سفر الخروج) في شأن لوط، وكالذي يطالعنا في بعض تلك الأسفار عن اتهام داود، باقتراف أحط الجرائم في سبيل السطو على زوجة احد رجاله)[٣].

ماذا ترك التحريف في الكتاب المقدس* للأدب اليوناني الذي يعد المنبع الأول للأدب في شطريه الإباحي والوثني؟

وما هي العلاقة بين القصة الأوربية ـ بوصفها أصدق امتداد مضموني للإباحية والوثنية ـ والكتاب (المقدس)* في وضعه الحالي المحرف؟ إن هذا التساؤل يذكر بقالة قرأتها لبعض علماء المسلمين في تنظير العلاقة بين أوربا ودعوة المسيح عليه السلام (إن أوربا لم تتنصّر، ولكن المسيحية تأوربت).

وأياً كان الرأي المضاد لهذه الأولية ـ أي أولية القصة القرآنية الزمانية والأسلوبية، إن كان من أهل النصفة ـ أن ينكر أن القصة القرآنية كانت بمضمونها وأسلوبها؛ ولا تزال نقطة مضيئة في مسيرة هذا الفن، وأنها في الشكل والأسلوب لم تكن عبر الحروب الصليبية في المشرق والأندلس غائبة عن التأثير والتأسيس لهذا الفن في الأدب العربي.

- ٥ -

وليس غريباً أن تتقدم قصة موسى عليه السلام سائر القصص القرآني سواء لجهة المكان الذي شغلته من صفحات المصحف الشريف، أو المكانة التي تبوأتها عند العلماء، أو لخطورة الفئتين اللتين واجههما موسى حيث كانت إحداهما فئة ممعنة في التكبر والطغيان (فرعون وملؤه) وأخرى استمرأت الذل والتبعة والاستضعاف (بنو إسرائيل)[٤].

هذه القصة وإن كانت تتمحور حول حدث من الماضي، فهي قادرة على تحريك الزمن، ومن ثَمَّ الملتقى في كل اتجاه، بوصفها بنية عقدية تشريعية،

*- الكتاب المقدس: مصطلح نصراني شائع يعني العهد القديم والعهد الجديد وتوابعهما. - **البيان** -

تربوية، تاريخية، زمانية، مكانية، أداتها اللغة، وقراؤها لأداء العبادة في الصلاة والتلاوة تعلماً وتعليماً، يعدون بمئات الملايين، فمن حق هؤلاء أن تكون بين أيديهم قراءة واعية وعميقة للقصص القرآني عموماً، وقصة موسى ــ عليه السلام ــ على وجه الخصوص، بحيث تضاعف هذه القراءة ــ الدراسة ــ فهم المسلم وغيره لمقروئه، لأنها ليست قصة فرد أو قصة أمة (بل قصة البشرية جميعاً)[٥].

فالمسلم يدرك بتأمل القصص القرآني عموماً أنه سليل أمة متميزة بعقيدتها ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، قادتها الأنبياء، وهويتها العقيدة، ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾ [الأنبياء ٩٢]، ﴿**وإن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاتقون**﴾ [المؤمنون ٥٢]، ويدرك خصوصاً أوجه الشبه بين دعوة رسولنا محمد ﷺ وأخيه موسى ــ عليه السلام ــ[٦]، فيعلم ديمومة المعركة، وأن شرف الجندية لخدمة هذه الدعوة المباركة من أعظم ما صرفت فيه الأعمار ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين**﴾ [فصلت ٣٣].

أين كتاب وأدباء المسلمين من دراسة القصة القرآنية التي يجب أن تتم ابتغاء تحقيق أكبر محصول عملي من قراءة المسلم القرآن وصولاً إلى الفهم الحقيقي الشامل لخطاب الله عز وجل، وتأسيساً لمعرفة قرآنية إسلامية تعطي النص الإسلامي دوره المطلوب في تشكيل القول والفعل والقول في دار الإسلام؟

إنني أكتب هذ الكلام (لأذكر بأن رسالة الأدباء والمفكرين في هذه المرحلة في بلادنا ليست هي دور (المَوالي) «بفتح الميم» لثقافة وآداب وصيغ وشعارات أوربا شرقاً وغرباً)[٧]. وكم يؤلمنا عندما يتشبه قلة من كتابنا (بالمستشرقين والملاحدة) فيستشهدون بالآيات الكريمة من غير اعتبار خاص ويشيرون إلى الرسول ﷺ من غير تمييز)[٨]. إن دورهم الحقيقي يكون في

انسجام إبداعهم الأدبي مع عقيدة الأمة وتجربتها العميقة ورحلتها الطويلة، ولكننا نلاحظ بعض الغياب بين الدراسات القرآنية والدراسات الأدبية، التي كانت سالكة في الاتجاهين، وكانت خيراً عميماً للجانبين، أما الآن فإذا تقدمت كمّاً تراجعت كيفاً، وإذا برز مفكرون متمكنون، نرى آراءهم تغْليباً جديداً لأفكار المعتزلة، وهم مستعدون على أمتهم بالمناهج الغربية(٩).

إن هذا الغياب عن ساحة الدراسة الجادة للقصة القرآنية آثار تعجباً وتساؤلاً لدى بعض الكتّاب فقال: (عجبت أن لم يلتفت إليها (القصة القرآنية) أحد من نقادنا ثم ما لبثتُ أن قمعتُ هذا العجب، فمنذ متى يهتم نقادنا بديننا أو تراثنا؟ إنما كل همِّهم أن يلووا ألسنتهم بلغة غير لغة بلادهم، وينسبوا أنفسهم إلى أدب غير أدبهم وحسبنا الله ونعم الوكيل)(١٠).

وإذا كان هذا موقف أكثر المعاصرين فإن مجهودات الأقدمين على جلالتها في خدمة التفسير عموماً فقد حجب سحاب الإسرائيليات اللجب جماليات القصص القرآني أحياناً كثيرة، كما تمحور كثير من دراسات السابقين حول المفردات والتراكيب دون التمكن من تشييد فضاء واسع يتجلى في منظومة متكاملة تكون أكثر عوناً للقارئ لتمضي به نحو فَهْمٍ شامل وكامل للقصص القرآني، وبعضها كان يجهد في غير عدو ويعمل في غير معمل، عندما (يشغلون أنفسهم ويشغلون الناس معهم بالبحث عن النملة، وهل هي ذكر أم أنثى، وعن الموضع الذي كانت فيه مملكتها، واسم الوادي الذي قامت فيه تلك المملكة.. ثم اسم النملة أي والله اسم النملة)(١١)

لقد أدان ابن تيمية ـ رحمه الله ـ هذا الاتجاه ـ عند المفسرين ـ الذي يأتي على حساب النص لا لحسابه فيقول: (لا خير فيما لم يذكره القرآن، كالبعض الذي ضرب به موسى الغلام، والغلام الذي قتله الخضر ما اسمه..)(١٢)

يكفي القصص القرآنية فضلاً ومكانة اختيار الله سبحانه وتعالى لها لتكون

موضوع إحدى سور القرآن الكريم الطويلة[١٣]، أو بعض موضوعات تلك السور، ولتكون صورة للوجود المثالي للإنسانية متمثلاً بالأنبياء ونموذجاً للعلاقة بين الإنسان والكون وبارئه سبحانه وتعالى، وبياناً لمنهج العيش مع أفراد الأسرة البشرية من مؤمنين وكافرين ومنافقين.

ويكفي هذه القصة أن تحمل إلينا صيحة أطلقتها نملة ـ نعم نملة ـ فكرة ـ وأن هذه الصيحة تبلغ مسامع سليمان عليه السلام، لو أن قاصاً معاصراً ـ غربياً على وجه الخصوص ـ أفسح للنملة في صفحات قصته مكاناً لسدت الأفق إشادات النقاد بهذه اللفتة الإنسانية لهذا المخلوق الضعيف!! ﴿**إن الذين جعلوا القرآن عضين**﴾ [الحجر ٩١] ما كان لهم أن يرتقوا إلى سمو القرآن وأفقه الرحب.

تتساءل إحدى دراسات الرواية العربية (كيف يمكن أن تنتظم العلاقة بين السماء والأرض أو بين الله والإنسان، بحيث يمكن أن تسير الحياة في إيقاع منسجم في جميع مراحل الحياة؟)[١٤]. إن وجودنا في هذا العالم وحياتنا فوق هذا الكوكب من صنع ﴿**ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**﴾ [طه ٥٠]. وإن الله سبحانه قد هيأ لهذا الإنسان ـ فضلاً منه ومنّة ـ كل أسباب العيش الرغيد والوجود المتوازن، والقصة القرآنية باستعراضها النماذج المختلفة لما كان لينسج على منوالها ما يكون ولما فات ليبني على منوالها ما هو آت.

لا ندعو إلى استعادة آلية للماضي، ولا إسقاطه على الحاضر دونما مراعاة خصوصية كل عصر أو مصر، بل ما نريد أن نستحضره في كتابة الأدب وقراءته ونقده جوهر الحياة التي يريدها القرآن.

ولعل في الأسطر السابقة إجابة على تساؤل الناقدة والدراسة المتعمقة..

الهوامش:

١- كليلة ودمنة في الأدب العربي دراسة مقارنة، د. ليلى حسن سعد الدين، دار النشر للتوزيع

عمان، ص ١١٩ .
٢- القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، ط ١، ١٤٠٧/ ١٩٨٧م، ص ١٢ .
٣- نظرات تحليلية في القصة القرآنية، محمد المجذوب ١٩٠/١٢٠ .
٤- القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص ٢٢٤ .
٥- السرد القصصي في القرآن الكريم، ثروت أباظة ، ص ١٠ .
٦- في كتاب (سيكولوجية القصة في القرآن)، د. تهامي نقرة، الشركة التونسية للتوزيع، ص ١٢٤، أستظهر أكثر من وجه شبه بين دعوة محمد وموسى عليهما السلام.
٧- قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح ص ١٢، أحمد موسى سالم، دار الجيل، بيروت ١٩٨٧م.
٨- مجلة المنهل، عدد ٤٩٣، ص ٢٦ رجب ١٤١٢، مقال بعنوان: الاتجاه الإسلامي في الشعر الجزائري، د. محمد مرتضى.
٩- عنوان الدكتور جابر عصفور لمقالة عن كتاب د. نصر حامد أبو زيد*، مفهوم النص، (مفهوم النص والاعتزال المعاصر). والأخير عنوان المقال في: مجلة إبداع، العدد ٣، مارس ١٩٩١، ص ٣٠
١٠- السرد القصصي في القرآن الكريم، ص ٣ .
١١- القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، عبد الكريم الخطيب ص ٢٢ .
١٢- الفتاوى ٣٤٥/١٣، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة المعارف الرياض/ المغرب.
١٣- كسورة يوسف عليه السلام.
١٤- نقد الرواية، ص ١٣ . انظر أيضاً: نقد الرواية، د.نبيلة إبراهيم سالم، النادي الأدبي الرياض، ١٩٨٠م.

*- نصر حامد أبو زيد: الذي رُفضت ترقيته إلى درجة أستاذ بجامعة القاهرة بعدما أحيلت قضية ترقيته إلى «لجنة الشؤون الدينية في الحزب الوطني الحاكم، وهي برئاسة الدكتور عبد الصبور شاهين» وسبب الرفض هو عدم استحقاقه هذه المرتبة، وقد اتسمت كتابته بالهرطقة والانحلال والاستخفاف بالمقدسات الإسلامية حتى تجرأ على القرآن الكريم في كتابه «مفهوم النص - دراسة علوم القرآن» كما روّج لكل ما يعادي الإسلام في بقية كتبه، وناصره كافة أعداء الإسلام في مصر من ملحدين وشيوعيين وإباحيين، ومنحه الرئيس التونسي وساماً رفيعاً، وهكذا كلما استبدت عقدة الشهرة بجاهل بحث عنها في الهجوم على الدين، وأصدرت مجلة «أدب ونقد» الماركسية الشيوعية ملفاً دفاعياً عنه، وتضامناً معه وذلك في أيار (مايو) ١٩٩٣م. تفوح منه عفونة الإلحاد.
- البيان -

سرايفو يا.. مدينة المساجد

إبراهيم داود

سرايفو
ماذا تبقّى لديكِ؟ وماذا لديّ؟
اعذريني فليس لديّ سوى جَسَدٍ مُثْخَنٍ بالجراحِ، وقَلْبٍ مُدَمَّى
وَحُبٍ كبيرٍ، وإِرْثٍ دفينْ
اعذريني
إذا صار لونُك لونَ الرَّمادْ
وشَبَّ الحريقُ هنا وهناك، وعمَّ الحِدادْ
اعذريني فليس لديَّ سوى أوتارِ قلبي، وَذَوْبِ فؤادي، وزَيْتِ عيوني
وأنّي سأبقى على العهد مهما تَجَرَّعتُ مُراً وَصَابا
ومهما لَقِيتُ على القرب والبعد فيك عذابا..
سأبقى ولو أنّ أهدابَ عينيك أضحتْ حِرابا

سأبقى وأَدْفِن ما بين عينيْكِ وَجْهي
لِأشمَّ طِيبَ رجالٍ يموتون مثلَ الرِّماحِ شبابا
وأبقى يَسُدُّون بيني وبينكِ باباً، فأفتح بابا

* * *

سرايِيفو
كنّا رفيقيِّ عذابٍ طويلٍ طويلْ
وَصَبْرٍ جميلٍ جميلٍ جميلْ
وَرِحْلَةٍ بحث عن الضوءِ والدِّفء، والممكنِ المستحيلْ
شقينا سَوِيًا، شَبِعْنا وجُعْنا
وعند اشتداد الظلامِ افتَرَقْنا وضعنا
وكانتْ رياحُ السَّمُومِ تُشَتِتُ خَطْوي
وكنتُ أُواصِلُ زَحْفي إليكِ
بِرَغْم عذابي، وَرَغْمِ عِثاري
وفي زَحْمَةِ الزَّحف والخوف
بيني وبينك كانتْ تموتُ المسافاتُ كالأُمْنِيات
وكنتُ أراكِ كَشَمْسِ النهارِ

* * *

يا سراييفو! أيتها الشهيدةُ الشاهدة! أيتها المجاهدة! أيتها الغريبة! أيتها البعيدةُ القريبة!

يا دُرَّةَ البلادْ، يا حَبَّةَ الفؤاد
«يا مدينةَ المساجدْ..» وأنَّةً مكتومةً في صدرِ كُلِّ راكعٍ وساجدْ
يا كوكبَ الضياء، يا كَوْثرَ الدُّنى
يا حُزْمَةَ السناء والسنى
يا بُؤرةَ الآمالَ والآلام والمنايا والمنى
أَذِّني وأكثري من الدُّعاء
وكبِّري وسبحي لخالقِ السماء
تأَلَّقي وأشرقي في الصيف والشتاء
توهَّجي وأحرقي في الصبح والمساء
واصبري وأَبْشِري
ففي غدٍ سيطلع النهارْ
وفي غدٍ ستلبسين ثوبَكِ الجديدْ
وتطلعين من وراء ذلك الرُّكامْ..
بَهيَّةً كأنكِ القمرْ ويكتب التاريخُ في دفاترِ الأيامْ
تاريخك المجيدْ:
سراييفو ملحمةُ الجهاد
وقصةُ الإباءِ والظَّفَرْ

* * *

مغامرات هر

فيصل محمد الحجي

يعيش في بيت الشاعر هر أليف.. غاب هذا الهر عن المنزل شهراً كاملاً على غير عادته.. وفي يوم من الأيام سمع الأطفال مُواءَهُ على الباب فخرجوا متصايحين متدافعين ليفتحوا له الباب.. وخرج الشاعر يستقبله ويسأله:

ادخل رعاك الله يا هرُّ طال الغياب وفي الجوى جَمْرُ

فارقتنا شهراً.. وما أَلِفَتْ نفسي فراقاً طولُهُ شهر..!

ماذا دهاك؟ وهل لقيتَ أذىً حتى تركتَ البيتَ؟ ما السرُّ؟

* * *

أَتُرى وقعتَ بحب شاردةٍ حسناءَ في ألحاظها أسر؟

صادفتَها عند الرصيفِ وقد مالتْ.. فمال القلب والثغر

ماءتْ.. فَمُؤْتَ ودار بينكما همسٌ... وهمس كِلَيْكما جهر..

فَمَشَتْ.. وسِرْت وراءَها وَلِهاً وبشائر الآمال تفترّ

ألفيتَها في بيت سيّدها كحمامةٍ يصطادها نسر

حتّى إذا ملَّتْ.. وقد وَجَدَتْ منك الفتورَ.. تحطّم الجسر

طردتْك زاهدةً.. فعُدْتَ لنا لولا الجفا.. ما عُدْتَ يا هرّ

* * *

أتُراكَ كنت بقصر ذي نَشَبٍ رجلٍ كريمٍ مآلُهُ وَفْرُ

ووجدتَ أصنافَ الطعام فلا بُخْلٌ يقترها ولا حظر

شتّان بين فُتاتِ مطبخنا الخاوي وما يُلْقي به القصر

كم لاطفوك وأنت مغتبطٌ جذلانُ لا ضربٌ ولا نهر

وتنام فوقَ سرير سيّدةٍ يحنو عليك بدفئه الصدر

حتى إذا رحلوا بنعمتهم أَضْحَتْ همومُكَ ما لها حصر

والجوع أبدى ناجذيه فلا لحمٌ تفوز به ولا فأر

فذكرتَ عند الجوع مطبخَنا لولا الطوى ما عُدتَ يا هرّ

* * *

أَتُرى مواءَك كان مرتفعاً رَفْعُ المواءِ نتاجه ضرّ

ولربّما بعضُ المواءِ له معنىً يُسيء لِمَنْ له الأمر

وضعوك في زنزانةٍ غضباً ضاقتْ عليك كأنّها قبر

قد ذقتَ ألوانَ العذاب بها فاليومُ ضِمْنَ سجونهم دهرُ

حتى إذا اكتشفوا البراءة من فحوى غبائِكَ وانتهى الجَوْرُ

فكوا قيودك ثُمّة اعتذروا فشكرتَهم وتكررّ الشكر

تلك السجون حَبَتْكَ حكمتَها أنّ المواءَ بأرضنا كفر

لو كنتَ مثلَ خروف جارتِنا لسلمتَ لم ينزلْ بك الضَيْرُ

أُنظُرْ إليه في سعادته يغفو.. ويسترخي..ويجترّ

كم علّمونا في مداجنهم أنَّ السكوتَ على الأذى تِبْرُ

ورجعتَ غيرَ مصدِّقٍ أبداً لولا الدُّعا ما عُدْتُ يا هرّ

* * *

أتراكَ أغضبتَ المرور هنا ومررتَ قسراً حينما مرّوا
وشرعتَ (بالتفحيط) لم تحفِلْ بإشارة التنبيه تحمرّ
وضعوكَ في سجن المرور وقد طال المُقام وضامك الأسر
وعزاءُ من يُلقَى بفندقهم أنّ المرور سجونُهُ خَشْرُ
ونَشُوك.. لا همٌّ يؤرّقهم مَنْ أنت؟ لا شأنٌ ولا قَدْرُ
لو كنتُ أعلم جئتُ ملتمساً ودعوتُ أصحابي وهم كُثْر
ليوسِّطوا ذا الشأنِ صاحبَهم فبهاتفٍ يتضاءل الوِزر
مَضَتِ الليالي لم يَبِنْ أَمَلٌ وكأنّ ليلك ما له فجر
وَجَرَت دموعُك في محاجرها ممّا جرى.. وتبدّد الصبر
نظر الرقيب وقال حكمته وحنا عليك فناله الأجر:
إثنانِ لا تخرِقْ نظامهما: الدّينُ - يا فهمانُ - والسَّيْرُ
ورجعتَ نحوَ البيتِ منطلقاً لولا الرضا ما عُدْتَ يا هرّ

* * *

أَتُرى غدوتَ تهيمُ في كرةٍ جوفاءَ حيث الكرّ والفرّ
كرةٍ بها الأنظار عالقةٌ فَهُمُ العبيدُ وطيشها حرّ
حَمِيَ الوطيسُ وثار ثائرهم فكأنّها اليرموكُ أو بَدْرُ
شَغْبٌ وتصفيقٌ وهمهمةٌ في جوِّها الغوغاءُ قد سُرّوا

حتى إذا انتصر الفريق طَغَتْ — حُمّى الجنونِ وعربد الفخر
وحماسة الجمهور ترجمها — صَدْمٌ وضربٌ فيك أو عَصْرُ
ورماك تحت نعالهم أَلَمٌ — وإصابةٌ في الرأس بل عشر
واستقبل الإسعاف ما حملتْ — سيارة الإسعاف و «المكرو»
وبقيتَ شهراً في معالجةٍ — إنّ العلاج أقّله شهر..
ورجعتَ نحو البيت منكسراً — لولا الشفا ما عدتَ يا هرّ

* * *

أَتُرى ذهبتَ إلى المطار وقد — أغراكَ ما يَلْغُو به السَّفْرُ
عن بلدةٍ في الأرض قاصيةٍ — لكنّها للمشتهي شِبْرُ...
فاض الجمالُ على شواطِئها — ومِنَ الفنادقِ يُشْرِقُ السحر
فحِسانُها في ساحها بحر — وطريقها بحسانه نهر
دوّى برأسك بعض ما وصفوا — والغِرُّ بالأهواءِ ينجرّ
فحشرتَ نفسك في زحامِهمو — وصعدتَ مستتراً فلم يَدْرُوا
وجلستَ بين (العفشِ) مختبئاً — والحرُّ يصبر حين يُضْطَرُّ
واستقْبَلَتْ (بَنْكوكُ) فارسَها — ومشى بها فانتابه كِبْرُ
حَلُمَ الغبيُّ بأنّ مغنَمها — سَهْلٌ وأنّ عسيرها يُسْرُ
سينال شهوتَهُ بلا حَرَجٍ — فهناك لا نَهْيٌ ولا زَجْرُ

* * *

وَقَفَتْ أمامك هرةٌ تزهو — بجمالها وسلاحها مَكْرُ

فـكـأنَّ شـعـر جـبـينهـا زهـرُ وكـأنّ دورةَ وجـهـهـا بـدر

ماءتْ فلـم تَفْهَمْ.. ومُتَّ فما فَهِمَتْ.. فغاض بوجهك البِشْرُ

«وتعطّلتْ لغةُ الكلام» فلا نـثـرٌ يـوضّـحـهـا ولا شـعـر

نَظَرَتْ إليك فأبصرتْ ذَكَراً لا المالُ يـرفـعـه ولا الـذِّكْـرُ

ورأت وفاضَكَ خالياً فَأَبَتْ أَنْ يعترِيْها الفقرُ والعُهْرُ

لـو كـنـتَ مِـنْ أهـلِ الـثـراء لَمَا ضَنَّت عـلـيـك ونـالـك الخير

ما تبتغي بالفقر في بلدٍ أجـواؤُهُ وتُـرابُـه فـقـر

قد أرخصوا أعراضَهم طلباً لـلأصـفـر الـرنّـان كـي يُـثْـروا

فارحلْ فلا وَطَراً قضيتَ. ولا شَـرَفٌ يـعـزُّ بمـثـلـهِ الحرّ

ورجعتَ.. بل هم أرجعوك لنا لـولا الـعـصـا مـا عـدتَ يـا هـرّ

* * *

يـا هـرّ لـي رأيٌ أبـوح بـه فـاسـمـع فـإنّـك جـاهـلٌ غِـرّ..

سِـر في المكان أو الزمان كما تـهـوى.. مـداك الـكـون والـدهـر

واسْبُرْ غوامضَها وقاصيَها وانْـظُـرْ بمـا يـأتـي بـه الـسـبـر

ستعودُ يوماً ما لِتخبرَنا أَنَّ الحقيقةَ ما لـهـا سِـتـر

الـتـائـهـون لـدى الخنـا كُـثُـرٌ لـكـنّـهـم عـنـد الـقـنـا صِـفـر

قـد نـكّـسـوا رايـاتِ أمّـتـهـم لا (خالدٌ) يغزو ولا (عمرو)

قـد آثـروا الخضـراءَ فـي دِمَـنٍ فـكـأنّ نَـتْنَ فـجـورِهـا عِـطـر

تلقاكَ تسقيكَ الهلاكَ كما لـو تـلـتـقـي الـسـكـينُ والـنـحـرُ

هـذي هـدايـاهـا تـهـاجـمـنـا ... «الإدْزُ» والأفــيــونُ والخمــرُ
أيـن الحرائـر قـد سَمَتْ نـسـبـاً ... والحُشـنُ يـكـسـوهـنَّ والطُّـهْـرُ
تُـبْـدي الـوفـا والخبـزُ بُـلْـغَـتُـهـا ... والـزيـتُ والـزيـتـونُ والـتـمـرُ
أيـن الـبـطـولـةُ فـي مـعـاركـنـا ... وعـدوّنـا مـسـتـأسـدٌ يَـضْـرو
سـاحـاتـهـا طِـرْسٌ نـسـطّـرهُ.. ... ودمـاؤنـا لِـسـطـورِهـا حِـبْـرُ
سـتـرى إذا عـهـد الـصـبـا ولّـى ... وبـدا خـريـف الـعـمـر يـصـفّـر
وَغَـدتْ عـروضُ الـبـيـع كـاسـدةً ... في السوق.. لم يُدْفَعْ بها سِعر
وتــهــاوتِ الأوهــامُ زائــفــةً ... وأتــى الــنــذيــر وأَمْــرُهُ الأمــر:
أنّ الـنـدامـةَ لَـشـعُـهـا جَـمْـرُ ... أنّ الخطـيـئـةَ طَـعْـمُـهـا مُـرّ..
طاشَتْ سهامُك هاهنا وهنا ... عَـبَـثـاً رمـيـتَ وأُفْـلِـتَ الـطـيـرُ
وتمـزّقـت مـنـك الـدّلاءُ.. فـلا ... مـاءٌ يـبـلّـلـهـا ولا قَـطْـرُ..
وبقيـتَ في تـيـهِ السرابِ.. لـه ... قَـفْـرٌ وخَـلْـفَ قِـفـارِهِ.. قَـفْـرُ
مَنْ ذا الذي يَهْدي خُطاك إلى ... برّ الأمان.. وقـد مضى العُمْرُ
الـعـمـرُ مـثـل الـبـئـرِ تـنـزلـه.. ... والموت يـحـفـظـه لـك الـقـعـر..

* * *

أُدخــل هــداك الــلــه يــا هــرّ ... أرأيــتَ أنّــك جــاهــل غــرّ؟

* * *

أحدث اكتشافات عصر الانحطاط المعاصر «اللغة التونسية»

- المحرر الثقافي -

منذ أمد طويل والمعارك تُشَنُّ بعد المعارك، واللغة العربية الفصحى هي المستهدفة في تلك المعارك، وأمّا أعداء اللغة العربية الفصحى فهم كالبعوض كثرة وأذىً لا يكتفون بما لديهم من جراثيم بل يستوردون وينقلون الجراثيم الخارجية ليزداد السوء سوءاً، واستيراد المؤذي والضار ليس أمراً جديداً، وإنما عرفه حُمَاة اللغة العربية الفصحى منذ القديم، وكان فريق الأعداء مكوناً من الأعاجم الشعوبيين بالإضافة إلى عملائهم الذين هم أكثر منهم ضِعَةً وانحلالاً وتآمراً وأذىً، لأن العدو الداخلي أخطر من العدو الخارجي لتمكنه من نسف البناء من الداخل.

ذهبت القرون تلو القرون، وانقرضت طبقات وطبقات فخلَّف أنصار اللغة العربية الفصحى ميراثاً نزيهاً تفوح منه عطور الإخلاص والأمانة، أما الأعداء فخلفوا ورائهم روائح الخيانة العفنة النتنة.

رفع راية العداء في العصر العباس أعاجم شعوبيون ومجوس، وتتالت القرون، ومرَّ ما يسمى عصر اليقظة، وهو عصر السُّبات العميق، وأعقبه ما

يسمى عصر النهضة ـ زيفاً وبهتاناً ـ لأنه عصر الغيبوبة والخدر، ومصداق ذلك ما آلت إليه الثقافة العربية التي قُلبت رأساً على عقب، فحلّ الهجين محل الأصيل، والعميل محل الوطني، والخائن محل المخلص، والجاهل محل العالم، والكافر محل المؤمن، والغبي محل الذكي، وعديم الشعور محل الشاعر، والمغفل محل النبيه، والأصاغر محل الأكابر، وزُوِّرت الأسماء والصفات فأطلق على الأوضاع الشاذة مصطلح «عصر الحداثة»!!

في عصر الحداثة سُنَّت الحروب على اللغة العربية الفصحى، فرُفِعت بيارق اللهجات العامية الضحلة في أكثر من قطر عربي، وبلغ البعض أسفل درجة من الانحطاط فدعوا إلى استخدام الحروف اللاتينية محل الحروف العربية، واتخذوا مما نفذه يهود الدونمة نبراساً يهتدون به.

إن سبب إعلانات الحروب على اللغة العربية الفصحى هي كون تلك اللغة: لغة القرآن الكريم، ولغة السُّنة النبوية، ولغة التراث الإسلامي بشكل عام. فإذا ما هُزِمت تسهل هزيمة ما تحتويه من تراث مشرف، فاللغة كالإناء إذا كُسر ضاع محتواه.

لم تتوقف أنواع المعارك، كما لم تقتصر على الدعوات إلى العامية، واستبدال الحروف، وإلى آخر ما هنالك من جِيَفٍ فاحت عفونتها من مصر وسوريا ولبنان والعراق والجزائر.

لعل الغريب أتى هذه المرة من تونس الخضراء، وذلك بالدعوة إلى الاهتمام باللغة التونسية، نعم اللغة التونسية، وربما يدعون إلى القومية التونسية غداً، والدين التونسي (البورقيبي + ورثته) بعد غد.

لقد تضمنت أخبار الثقافة ـ خبراً تقشعر منه أبدان الذين ما زال عندهم بقية باقية من غيرة وحياء. وهذا هو الخبر:

«تونس/إصدارات

كتاب: **«الأمثلة الشعبية التونسية»** محاولة لتأكيد وجود «لغة» تونسية.

تونس ١٠/٥/١٩٩٣: يتضمن كتاب «الأمثلة الشعبية التونسية» للأستاذ الجامعي التونسي (الهادي بالغ) مدرس اللغة الفرنسية في إحدى الكليات التونسية، اعتقاداً راسخاً بوجود «لغة» تونسية بعيدة عن اللغة العربية الأم، وقد جمع فيه المأثورات الشعبية المتداولة في تونس معتمداً منهجية دقيقة قوامها تصنيف المأثورات بحسب التوزيع الأبجدي.

وفي لقاء مع (وكالة فرانس برس) لم يعتبر المؤلف كتابه شاملاً لكل المأثورات التونسية بل خطوة ستليها خطوات أخرى «موضحاً أن فكرة الكتاب نبعت من تجربته مع صحيفة (لا بريس) اليومية الصادرة باللغة الفرنسية حيث كان يقوم أسبوعياً بترجمة الأمثلة التونسية إلى اللغة الفرنسية. وبعد ما توافر له عدد كبير من الأمثال الشعبية جمعها في الكتاب المشار إليه.

وأضاف: إن كتابه «أُسِّسَ لقيام مُنجد خاصّ باللغة «التونسية» الأمر الذي يحمله على الاعتقاد الراسخ ـ بوجود لغة تونسية بعيدة عن اللغة الأم العربية». وقال: إن «الحديث عن لهجة تونسية على غرار اللهجات العربية الأخرى أمر مغلوط وأوضح: إن «اللغة التونسية» لغة أصيلة يعتمدها أفردا الشعب التونسي في تخاطبهم اليومي»، وهي حسب رأيه «وإن تعرضت إلى ضغوطات سابقة نتيجة الاستعمار، تظل دائماً محافظة على شخصيتها المستقلة، وعلى كيانها اللغوي المتكامل والمتناسق»، ويؤكد المؤلف أن كتابه «يقيم مصالحة بين الإرث الثقافي في تونس وبين نخبتها المثقفة»، ويسعى إلى البحث في ثقافات أخرى ولا سيما الفرنسية منها عن مأثورات نظيرة لما وجده في المخزون الثقافي التونسي الأمر الذي استغرقه جهداً كبيراً. وقد أراده قناة تؤمِّن التواصل بين الثقافات الإنسانية في الجنوب والشمال وفي الشرق والغرب.

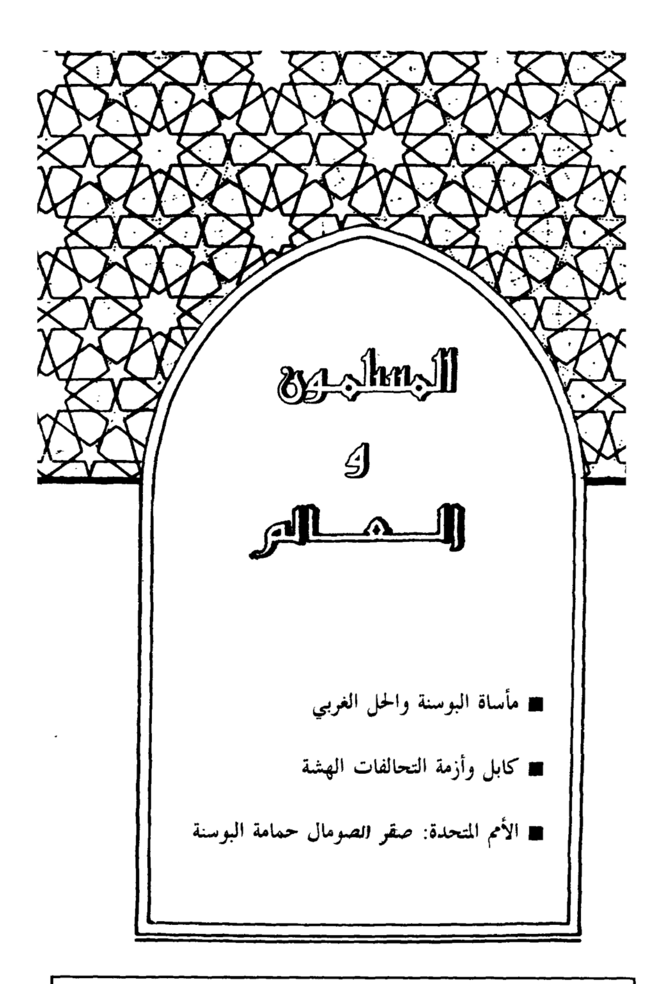
ولا ينكر (الهادي بالغ) وجود مأثورات تونسية شعبية منقولة عن اللغة الأم وهي تُمثل الجانب الأوفر مما هو متداول. كذلك يرى جانباً من هذه الأمثلة متجانس مع بعض الأمثلة الأخرى المتداولة في أقطار عربية أخرى. ويُؤكد على أن نسبة لا تَقِلُّ أهمية عن سابقاتها تونسية محضة، وهي من إبداعات التونسي، ومعبرة عن واقعه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

ويتمنى المؤلف أن يتمكن الكاتب من أن يُطلِعَ التونسي على إرثه الثقافي الثري وأن يتجاوز رواجه الحدود التونسية على غرار شريط المخرج التونسي (فريد بوغدير) «عصفور سطح» الذي حقق نجاحات كبيرة في السنوات القليلة الماضية، لأنه ضمنه أمثلة شعوب أخرى متعددة ناطقة بالعربية والألمانية والسويدية والإيطالية والإسبانية.

وسيصدر المؤلف الأجزاء الأخرى من «الأمثلة الشعبية التونسية» في مرحلة لاحقة».

* * *

هذا هو الخبر، اكتشاف بحجم المآسي التي تصفع وجه العالم الذي يدعي الحضارة زيفاً ونفاقاً، ومختصر القول: من تونس لم يأت الجديد، وإنما من هناك فاحت رائحة العداء للغة العربية بعد معاداة الإسلام والمسلمين.


المسلمون
و
العالم
■ مأساة البوسنة والحل الغربي
■ كابل وأزمة التحالفات الهشة
■ الأمم المتحدة: صقر الصومال حمامة البوسنة

مأســـاة البوسنـــة و«الحـــل الغربـــي»
رصاصة الرحمة

د. علي عبد الرحمن عواض

الإجماع الأوروبي الاميركي:

لمدة أشهر وأسابيع بقيت الولايات المتحدة تتلاعب بعواطف المسلمين وتدغدغ مشاعرهم بالعزف على وتيرة التدخل العسكري لحماية «ضحايا الإجرام الصربي» وتهدد برفع الحظر «حظر التسلح» عن البوسنة حتى يتمكن سكان البلد وجيشه من حماية أنفسهم. ظلت أميركا تزيد من حدة وتيرة التدخل العسكري وضرب مواقع الصرب.. حتى أوهمت المسلمين الذين لا حول لهم ولا قوة بأن الفرج اقترب، وأن الضمير الإنساني لا بد وقد استيقظ حتى كتبت جريدة الاندبندنت في عنوانها الرئيسي[1]: «أوين يستجدي الأميركيين ألا يطلقوا النار».

لكن الأحداث الأخيرة نقلت لنا صورة أخرى فقد وافق الأميركيون أخيراً «ورضخوا للإصرار الأوروبي» ووقعوا على خطة جديدة لحل مشكلة البوسنة والهرسك راعت «مشاعر الأوروبيين» وأخذت بالاعتبار الموقف الروسي الموالي للصرب. وقع على «مشروع العمل المشترك» كل من أميركا، روسيا، بريطانيا، فرنسا وإسبانيا. بينما وقفت ألمانيا (وهي السند الأصلي لكرواتيا) موقف الناقد

١- الاندبندنت، ١٩٩٣/٥/٣ .

والمشكك فيما توزعت الدول الأخرى بين مؤيد ومشكك ومعارض. معظم المعارضة جاءت من باكستان وفنزويلا.

والخطة الجديدة هي عملية تقزيم جديدة ـ إن لم نقل انهاء فعلي ـ للدولة البوسنوية ولوجود المسلمين في هذا البلد، فالمناطق الآمنة هي جيوب سكانية ـ مدن وقرى محيطة بها ـ تقل مساحتها بكثير عن مساحة الأقاليم التي حددها الوسيطان الدوليان ـ سايروس فانس واللورد دايفد أوين في تقسيمها للبوسنة إلى عشر مناطق عرقية بين المسلمين والصرب والكروات.

طبعاً الخطة كان لها وقع الصاعقة على مسلمي البلاد حيث صرح رئيس البلاد علي عزت بيكوفيتش أن الخطة هي «خيانة» لقضية البوسنة والهرسك ودعا شعبه إلى «القتال» لأنه «على ما يبدو فإن الحل الأوحد لإثبات حقنا في الوجود والأرض.. إنني أدعو شعبي وكل المحبين لهذا البلد أن يتوحدوا ويقاتلوا من أجل إبقائه ومن أجل إثبات وجودهم»[1].

الصرب رحبوا بالخطة ورأوا فيها اعترافاً دولياً «بانتصاراتهم العسكرية» ووصفوها «بالواقعية» مشيدين بالرئيس الأميركي على «مواقفه الحازمة» وبأنه «سوف يكون رئيساً عظيماً لأنه لم يستمع إلى نصائح محبي الحروب ممن أرادوا أن يقحموا الولايات المتحدة في فيتنام أخرى»[2]، كما جاء على لسان زعيم صرب البوسنة رادوفان كاراداجيتش. الكروات بدورهم لم يعلنوا رفضاً أو قبولاً لأن الأمر لا يرتبط بهم كثيراً ولكون هذه الجيوب «مناطق آمنة» في إطار صربي صرف.

تهدف الخطة إلى حماية «ستة مناطق» أعلنتها الاتفاقية «مناطق آمنة». ولا تتعرض لمئات الآلاف من المسلمين تحت سيطرة القوات الصربية والكرواتية أو المشردين في أنحاء أخرى من العالم. كما تهدف الخطة لوضع مراقبين دوليين على الحدود بين صربيا والبوسنة وزيادة عدد الجنود العاملين ضمن قوات الأمم المتحدة لحماية «المدنيين الأبرياء» كذلك وافقت على استمرار الحظر الجوي على البوسنة و«لتحرك بسرعة لتشكيل محكمة دولية لمحاكمة مجرمي الحرب والسعي إلى تنفيذ

١- الغارديان، ١٩٩٣/٥/٢٦ .

٢- التايمز، ١٩٩٣/٥/٢٦ .

خطة السلام الدولية على مراحل».

المناطق «الآمنة» التي وافقت عليها أوروبا وأميركا وأقرتها الأمم المتحدة لا تمتلك من مقومات الاكتفاء الذاتي شيئاً. فالصرب الذين يحاصرونها من جميع جوانبها يستطيعون خنقها متى شاؤوا وبهذا فهي مناطق آيلة للسقوط آجلاً أم عاجلاً للصرب الذين أكملوا المرحلة الأولى من إقامة دولة صربيا الكبرى.

المعلقون السياسيون والإعلاميون وصفوا هذه المناطق بأنها: «ليست سوى مخيمات واسعة للاجئين لا تمتلك من مقومات القوة الذاتية شيئاً وتعتمد كلياً على العالم الخارجي لاستمرارية بقائها. لذا فإن سقوطها أمر حتمي»[1].

تقول مجلة الإيكونومست أن هذه المناطق الستة «يمكن تسميتها بأي شيء إلا بالآمنة، والمسلمون على ما يبدو بعيدون جداً عن الأمن في هذه المناطق فهي محاصرة مخنوقة من الخارج ومزعزعة من الداخل اجتماعياً واقتصادياً... على ما يبدو أنه ليس هناك مستقبل للبوسنة (الحكومة البوسنية)»[2].

ومع أن هذه المنطقة أُعلنت رسمياً «مناطق آمنة» فإن القصف العنيف والحصار والهجوم عليها مستمر ـ بل بعنف لم يُشهد من قبل ـ ويبدو أن الأمم المتحدة نفذت لديها تعابير الاستنكار لذا لم يكن رد الفعل ـ بالمستوى ـ حتى كلامياً.

الرئيس الأميركي الذي ندد في ٢١ أيار/مايو بفكرة المناطق الآمنة رافضاً أن يورط الولايات المتحدة في قضية ينتج عنها إيرلندا شمالية أو قبرص أو لبنان آخر[3].. عاد فصرح بعد يومين (١٩٩٣/٥/٢٣) وأشاد «بالحل العملي الأمثل الذي سيكون الخطوة الأولى والمرحلة لإحلال السلام في البوسنة. واعتبر أن هذه الخطوة هي لمصلحة الشعب الأميركي ذاته!!» (الغارديان ٩٣/٥/٢٤).

عملياً فالخطوة الأميركية-الأوروبية الجديدة هي إنهاء، وبشرعية دولية، لوجود البوسنة والهرسك كدولة ذات سيادة تتمتع بحريتها واستقلالها وتحويلها إلى

١- الاندبندنت، ١٩٩٣/٥/٢٧ .

٢- الإيكونومست، ٣٢٧ تاريخ ٢٩/٥-٤/٦ ١٩٩٣ .

٣- الاندبندنت، ١٩٩٣/٥/٢٧ .

مخيمات كبيرة للاجئين يجردون من سلاحهم ويحبسون فيها.

الحلول البديلة

كانت هناك بعض المعارضة داخل الولايات المتحدة كتلك التي برزت من الديموقراطيين والجمهوريين الذين صرحوا على لسان نائبهم في البرلمان بوب دول: «أن الخطة جاءت لتمحي من الوجود شيء اسمه دولة البوسنة والهرسك». وقد صرح النائب الديموقراطي دانيال باتريك مونيهام: «إننا بهذا نُشَّرع للقتل الجماعي والمجازر.. لم يشهد النظام الدولي ذلاً وعوجاً أخلاقياً لهذا منذ العام ١٩٣٠».

الدول الإسلامية ـ «بكل ما عُرف عنها في الفترة الأخيرة من حزم وشدة وقرار» ـ عملت مع «الدول غير المنحازة» على إعداد مشروع قرار هدفه «إطاحة استراتيجية الاحتواء للنزاع البوسنوي التي تبنتها الولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا وفرنسا وإسبانيا في واشنطن في إطار ما يسمى برنامج العمل المشترك»[١].

ويدعم مشروع القرار استعداد عدد من الدول الإسلامية مثل باكستان والمغرب للمساهمة بقوات ضمن إطار قوة الحماية التابعة للأمم المتحدة في البوسنة والهرسك وذلك لحماية المسلمين شرط «تمكين القوة الدولية من اتخاذ أجراءات لفرض التنفيذ، وشرط ربط حماية المناطق الآمنة في إطار زمني بتنفيذ خطة فانس أوين للسلام لئلا يتكرس الأمر الواقع الذي أفرزته سياسة التطهير العرقي الصربية»[٢].

وقد أصدرت منظمة المؤتمر الإسلامي بياناً دعت فيه إلى توسيع قوة الحماية الدولية لتشمل قوات الدول الإسلامية وأعربت باكستان عن استعدادها لإرسال كتيبة من حوالي ٤٠٠ جندي. ورحب الأوروبيون بالفكرة شرط انتقاء دول إسلامية مثل مصر والمغرب والأردن وماليزيا وأندونيسيا وباكستان كرد على بلاغ الأمين العام للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالي أن «العجز بالميزانية والقوات يجعل الأمانة العامة غير قادرة على تعزيز الحماية في المناطق الآمنة والذي يتطلب حوالي ١٠ آلاف جندي و٧٠٠ مليون دولار»..

١- الحياة، ١٩٩٣/٥/٢٩ .

٢- الغارديان، ١٩٩٣/٥/٢٩ .

«ودبت النخوة» في أحد السفراء المسلمين في الأمم المتحدة فصرَّح إثر الاجتماع: «إن حجة الأوروبيين ــ خاصة الفرنسيين والبريطانيين منهم ــ أن عدم فرض التنفيذ في البوسنة – الهرسك هي الحرص على سلامة وأمن قواتهم العاملة في إطار قوة الحماية الدولية وأمنها، لذا فإن ردنا هو أننا على استعداد لإرسال قواتنا والمخاطرة بأرواح شبابنا في البوسنة (..) ونريد بذلك منع تكرار التذرع بالحرص على سلامة شبابهم (..) فلقد طفح الكيل»[1]!!

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً   أبشر بطول سلامةٍ يا مربع

مناطق آمنة أو خطة فانس–أوين

الأوروبيون والاميركيون الذين وقعوا على وثيقة أو برنامج «العمل المشترك» والذي شاعت تسميته «مشروع المناطق الآمنة» علقوا على النقد الذي وجه إليهم بأن خطتهم هذه ليست خطة جديدة بل هي خطوة عملية أولى لتطبيق خطة فانس–أوين التي وافقت عليها الأمم المتحدة.

وبما أن المسلمين في وضع «كلما أشرق عليهم يوم ترحموا على الذي قبله» أخذوا يطالبوا بالالتزام الكامل بخطة السلام الأولى والتي وقع عليها رئيس الدولة علي عزت بيكوفيتش، وكان الكروات قد وقعوا عليها مسبقاً ورفضها الصرب رفضاً قاطعاً، بعد أن وقع عليها زعيم صرب البوسنة كارادجتش معلقاً توقيعه بشرط قبول برلمان صرب–البوسنة للاتفاقية وقد أجْري استفتاء شعبي للصرب في البوسنة أظهر رفضاً كلياً للاتفاقية. فإذا كانت الاتفاقية تحرم المسلمين من معظم حقوقهم وتعطي للصرب والكروات أكثر مما يستحقون فلماذا يرفضها الصرب.

طبعاً الجواب المبدئي هو أن الصرب الذين لا يواجهون ــ على المدى البعيد أو القريب ــ بأية قوة توقفهم عند حدهم، يرون أنه لا داعي لأن تتوقف «انتصاراتهم» عند هذا الحد. بل يجب أن يستكملوا مخطط إقامة دولة صربيا الكبرى طالما الظروف العسكرية والسياسية «والإسلامية» ملائمة لهذا المشروع.

١- الحياة، ١٩٩٣/٥/٢٩ .

عرف الصرب من اين «تؤكل الكتف» وكيف. فقد أعدوا إلى جانب القوة العسكرية الطاحنة جوياً «شرعياً» داخل مناطقهم وبلادهم لتقبل فكرة إنهاء الوجود الإسلامي في هذا القطاع من «أوروبا المتحضرة». فكارجاتيش نفسه شاعر قومي طالما أثار حماسة أهل بلاده بقصائده الوطنية المليئة بالحقد والنقمة على الإسلام وأهله. وأصدرت كنائسهم ورجالات دينهم «الفتاوى» بقتل المسلمين وسبي نسائهم وإبادة أطفالهم وتدمير ممتلكاتهم أو مصادرتها وطردهم منها إلى غير رجعة.

الكنيسة الشرقية التي لا زالت تعيش مشاعر هزائمها مع الاتراك المسلمين وجدت الفرصة سانحة للثأر ولإعادة الكرة عليهم. لذا وجدنا أن ناقوس الحرب قد دُقّ في مناطق «أرثوذكسية» أخرى ليلبي أبناؤها نداء الدين في اليونان ورومانيا وروسيا.. حتى وصلت أعداد مرتزقة تلك المناطق عشرات الآلاف ممن جاؤوا «ليحموا الكنيسة من الأصولية الإسلامية».

وقد عرف الصرب أيضاً من اين تؤكل الكتف «سياسياً ودبلوماسياً». فقد شاركت وفودهم في المفاوضات من أمريكا إلى بريطانيا إلى.. جنيف باسطين الغطاء على العمل العسكري الذي لم يتوقف يوماً واحداً داخل البوسنة-الهرسك. هكذا يأتي أعداء الإسلام إلى طاولات المفاوضات ورأينا كيف أتاها المسلمون أو من يمثلهم في البوسنة وغيرها.

«الحلفاء المخلصون»: الكروات:

منذ اندلاع الشرارة الأولى للحرب الشاملة في البوسنة والناس تتداول أخبار الحلف الكرواتي-المسلم في هذا البلد فحيناً يصفه بعض المراقبون بأنه حلف «صادق» وثابت لأن الكروات والمسلمين بحاجة إلى الوقوف في صف واحد أمام جحافل الصرب القادمة من صربيا والجبل الأسود لتدعم كتائب صرب البوسنة ومرتزقتها من روس ويونانيين، جاؤوا ليحموا الكنيسة الأرثوذكسية من «خطر الأصولية الإسلامية». وحيناً كان «المشككون» يرون أن الكروات يستغلون المسلمين كوقود لمعركة يعرفون أن المسلمين لن يخرجوا منها إلا بخفي حنين خاصة وأن «التجاوزات» التي كان يرتكبها عساكر الكروات كانت تزودهم بالأدلة على صحة

إدعاءاتهم، وبعد أن نشرت الصحف الألمانية خطة تودجمان-ميلوسيفيتش* لتقسيم البوسنة وضمها إلى كرواتيا الكبرى وصربيا الكبرى نشطت الزيارات وكثرت التصريحات لتؤكد أن لا صحة لهذا الادعاء وأن الكروات متعهدين بوعودهم تجاه «رفاق السلاح» و«أصحاب الحق الشرعي» حكومة البوسنة والهرسك.

وجاءت الحقائق والأحداث لتدفع بالأدلة وثيقة الخداع والنفاق الكرواتي وتبرز حقدهم وتميط اللثام عن أنياب أبناء الكنيسة الكاثوليكية وحقيقة نواياهم تجاه هذه الدولة الوليدة، فقد أبرز الكروات نواياهم علناً بعد العدوان الخفي المستمر والمتمثل بحرمان جيش البوسنة من الإمدادات التي لا بد وأن تمر عبر الأراضي التي تسيطر عليها القوات الكرواتية مباشرة بعد توقيع الرئيس البوسني علي عزت بيكوفيتش على خطة السلام المقدمة من سايروس فانس واللورد أوين (وهو ما عرف بخطة فانس-اوين). وقبل التوقيع عليها أعطى الرئيس الكرواتي توجمان اليمين المغلظة لرئيس البوسنة بأن جميع المساعدات على اختلاف أنواعها ستصل إلى قوات الجيش البوسنوي بدون أي عراقيل فور توقيع الرئيس البوسنوي على الخطة. وهذا ليس سراً فقد غطته وكالات الأنباء والصحافة الكرواتية قبل غيرها.

ولكن كعادتهم في حفظ العهود، قام أعداء الإسلام الكروات وبتوجيه من رئيس الدولة الكرواتية بهجوم عسكري واسع شمل جميع المدن ذات الغالبية المسلمة التي ضمها الوسيطان الدوليان إلى الجانب الكرواتي. وقد سبق الهجوم تحذير وإنذار من القوات الكرواتية للجيش البوسني والمسلمين بأن «الجيش الكرواتي» يجب أن يأخذ السيطرة على جميع المناطق الكرواتية. لذلك لا بد لجيش البوسنة أن يذعن لأوامر قوات مجلس الدفاع الكرواتي، أو يسلم أسلحته أو يغادر فوراً الأقاليم الكرواتية إلى الأقاليم المسلمة «كما جاء في المؤتمر الصحفي للناطق الرسمي لمجلس الدفاع الكرواتي في ١٩٩٣/٤/١٥ . علماً بأن الأقاليم المسلمة محتلة بمعظمها من الصرب.

*- إشارة إلى الاتفاق السري بين رئيس كراوتيا تودجمان والصربي ميلوسوفيتش في مدينة كارجورجيفو عام ١٩٩١، وقد نشرت الصحف الألمانية تفاصيل الاتفاقيه في يونيو/حزيران ١٩٩٢

المدن والقرى التي يتحدث عنها الكروات هي مدن ذات غالبية إسلامية، وقد ضمها الوسيطان إلى الأقاليم الكرواتية، ونظرة فاحصة في بعضها يوضح الأمر:

	عدد السكان*	مسلمون	كروات	صرب	آخرون
موستار	١٢٦.٠٦٧	٣٥٪	٣٤٪	١٩٪	١٢٪
ستولاتس	١٨.٨٤٥	٤٤٪	٣٢٪	١٢٪	٣٪
يابلانيشا	١٢.٦٦٤	٧٢٪	١٨٪	٤٪	٦٪
كونيتس	٤٣.٦٣٦	٥٥٪	٢٦٪	١٥٪	٤٪
ترادينك	٧٠.٤٠١	٤٥٪	٣٧٪	١١٪	٧٪
دوني واقف	٢٤.٢٣٢	٥٥٪	٧٪	٣٨٪	-
غورني واقف	٢٥.١٣٠	٥٦٪	٤٢٪	١٪	١٪
بوغوينو	٤٦.٨٣٤	٤٢٪	٣٤٪	١٩٪	٥٪

لم يختلف الكروات كثيراً عن إخوانهم الصرب في معاملة المسلمين في المناطق التي سيطروا عليها أو هاجموها. فقد طبقت القوات الكرواتية سياسة الصرب بحذافيرها إذا لم نقل أنهم «أبدعوا» أكثر في إجرامهم. فسياسة التطهير العرقي وقتل المدنيين الأبرياء وإحراق القرى المسلمة على أهلها ونهب الممتلكات واغتصاب النساء والبنات القاصرات والذبح والتمثيل بجثث الشيوخ والأطفال أو زجهم في السجون وإجبار المدنيين على حفر الخنادق في خطوط القتال مع المسلمين أو استخدامهم كدروع بشرية في المواقع الكرواتية.. من معالم «الوفاء الكرواتي» لمسلمي المنطقة.

مشاهد وأمثلة:

رافق الهجوم العسكري تخطيط لإذابة أي وجود إسلامي في تلك المناطق التي يعتبر المسلمون غالبية في معظمها وذلك من خلال تطبيق الإجراءات التالية:

*- الأرقام الواردة في الجدول مأخوذة من مصادر رسمية ولكن مصادر المسلمين وإحصائياتهم تفيد أن أرقام المسلمين ونسبتهم أكثر من ذلك.

- فرض اللغة الكرواتية في جميع المراحل الدراسية عند المسلمين في الأقاليم التي أصبحت من نصيب الكروات وفرض مناهج التدريس في جمهورية كرواتيا.
- إلغاء اسم «جامعة موستار» وفرض اسم «الجامعة الكرواتية بموستار».
- تدمير المساجد (وبعضه ضارب في التاريخ قدماً إلى ما يقارب الـ ٥٠٠ سنة) وإقفال جميع المؤسسات الإسلامية أو ذات التوجه البوسنوي المسلم. وقد نقلت أجهزة الإعلام صور المساجد المدمرة والمآذن المتهادية شاهدة على المؤامرة الصربية- الكرواتية وخذلان العالم الإسلامي لهم. وقد تزامن ذلك مع حملة الصرب لتدمير المساجد، خاصة الأثرية منها، في بانيالوقه وغيرها..

وقف مراسل التلفزيون البريطاني أمام أنقاض منزل أحرق كغيره من منازل القرى التي هاجمها الكروات وقال: «اعتقد بأن المشهد لا تتحمله أعصاب المشاهدين، ولكن لا بد من القول أن ما يحصل هنا أقل ما يمكن وصفه هو أنها حملة لا ترحم طفلاً ولا امرأة ولا عجوز.. إنها حرب ضد الإنسان وحضارته».

استخدمت القوات الكرواتية في جميع الجبهات الدبابات والمدفعية الثقيلة لقصف المدنيين وضرب تجمعات اللاجئين.

- يوم ١٦/٤/١٩٩٣ مسحت القرية المسلمة الشهيرة «أحميتشي» في بلدية (فيتيز) بالأرض. وقد نقل شهود عيان ـ ومنهم أفراد القوات الدولية ـ أن الكروات أشعلوا النيران في البيوت وأجبروا الأمهات مع أطفالهن والعجائز على القفز من الدور الثاني أو الثالث من المنازل الملتهبة. ثم بدأوا يجربون مهارتهم القتالية بإطلاق النار عليهم وهم في الهواء.. والملفت للانتباه في القضية أن الإعلام الكرواتي أشاع أن المسلمين قاموا بإحراق البلدة وقتل أهلها «بهدف إثارة الخلافات بين المسلمين والكروات»!!

ـ أحرق الكروات قرى روتيلويشينيسا وباليز ونهبوها واغتصبوا النساء والبنات القاصرات وأحرقوا المساجد وساقوا أكثر من ٢.٨٠٠ مسلم إلى ثكنة الجيش بينهم الأئمة والدعاة وأبرز المثقفين في المنطقة لتبدأ معهم سلسلة التعذيب والتقتيل.. الأخوي.

هذا غيض من فيض ما نشرته وسائل الإعلام الغربية والعربية وما لم ينشر فحدث عنه ولا حرج. وبالتحديد الاتفاق الذي نشرت تفاصيله الصحف العالمية في ١٦ حزيران ١٩٩٣ حيث توصل الكرواتيون والصرب في مدينة تشيليبيتشي جنوب غرب البوسنة والهرسك إلى اتفاق ينظم عملية نقل السكان واستكمال عملية «التطهير العرقي» بينهما بدون إراقة دماء

إن سياسة «فكي الكماشة» التي يتعاون الصرب والكروات على تطبيقها لكسر المسلمين تؤكد كلمات الرسول الأعظم - وكل ما قاله حق - «أمة الكفر واحدة» وصدق الله القائل: ﴿**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم..**﴾ [البقرة ١٢٠].

صناعة فلسطين جديدة:

أوجه الشبه بين مأساتي البوسنة وفلسطين أكثر من أن تعد وتحصى. ففي كلا البلدين نجد أن العصابات والمرتزقة تأخذ بزمام المبادرة لتقوم بحملة شعواء على الأهالي الأصليين في البلاد فتذيقهم أشد التنكيل في عمليات وحشية من قتل وبقر بطون الحوامل من النساء، والاعتداء على الأعراض والممتلكات كتفريغ البلاد من أهلها الأصليين لتهيئتها لقدوم جحافل من مرتزقتهم لتقيم دولة على أنقاض دولة أهل الحق من أبناء البلاد.

وفي كلا الحالتين وقف العالم «المتحضر» إلى جانب المعتدِي لأن المعتدَى عليه هو الإسلام وأهله. وطبعاً فإن الأمم المتحدة، والتي وجدت لمثل هذه الأغراض، لا يسعها إلا أن تتبنى مواقف الكبار فيها وهم الأوربيين والروس وأميركا، وموقفهم وتاريخهم مع الإسلام معروف.

ففي عام ١٩٤٧ لجأت الأمم المتحدة إلى حيلة قذرة لتكريس شرعية الاحتلال اليهودي بتبني قرارت التقسيم لتبدأ مرحلة الحوارات التي لم يحصد ابناء فلسطين إلا مزيداً من الويل والضحايا والضياع. وهل يختلف الأمر كثيراً عندما تتبنى الأمم المتحدة في ١٩٩٣/٦/٥ قرار تقسيم البوسنة «على أن يبدأ بعدها الأطراف الثلاثة مفاوضات من أجل حل القضية بالطرق السلمية». فهل حلت المفاوضات السلمية

قضية ملايين اللاجئين الفلسطينيين وأين اصبح الفلسطيني اليوم؟!

كتبت جريدة الاندبندنت البريطانية (١٩٩٣/٥/٢٥) مقالاً تحليلياً بعنوان «فلسطين أخرى قيد التصنيع» **(Another Palestine in the Making)** نترجم منه النقاط التالية:

«بغض النظر عن صحة أو خطأ الاتفاق الأميركي الأوروبي فإنه ـ أي الاتفاق ـ لا بد أن يُرى على أنه نموذج آخر لنتائج أول حرب عربية-إسرائيلية عام ١٩٤٨ والتي أدت إلى تهجير ٧٠٠٠٠٠ فلسطيني من بيوتهم. الأمر الذي أدى إلى تسميم ليس المنطقة فحسب بل والعلاقات الدولية منذ ذلك الحين».

وسيراً على منهج الصحافة الغربية - والعربية هذه الأيام - في التحذير من الإسلام و«أصولييه» فقد أضافت الأندبندنت: «.. المحزن جداً والخطير في هذه القضية أن هؤلاء الضحايا من الاعتداءات الكرواتية والصربيّة وغياب القرار الغربي هم الذين قدموا أنموذجاً جيداً لمجتمع متسامح متطور وغير متدين من المسلمين. إن سقوط مثل هذا المجتمع تحت ضربات الديموقراطية الغربية سوف تجعل من هذه الفئة من الناس أرضاً خصبة للمتطرفين والأصوليين المسلمين من إيرانيين وسعوديين. إن السعودية لن تتردد في مساعدة ودعم هؤلاء الناس لبناء مدارس وجامعات ومساجد. وطبعاً فلن يكون هناك نقص بالإمدادات العسكرية التي سوف يستخدمونها لتوسيع دائرة «مناطقهم الآمنة».. وعندها فإن التاريخ لن يرحم المسؤولين عن مثل ما سوف يحدث»!!

يهاجمون المسلمين ويخوفون منهم حتى في أحط وأدنى مراحل وجودهم. نعم إن المعركة ضد الإسلام سوف توقظ كثيراً من النائمين في تلك البلاد،، ولكن هل هي حرب ضد «المتطرفين» المسلمين في البوسنة والهرسك؟ وهل لهم وجود هناك؟!

هل يقتل الطفل ابن الاشهر الثلاثة ـ حتى الجنين في جوف أمه المغتصبة ـ لأنه متطرف أصولي يهدد بقنابله ومتفجراته سلام العالم وأمنه واستقراره. ﴿**قاتلهم الله أنى يؤفكون**﴾!

الاجتماع الثلاثي الذي حضره رؤساء كل من صربيا وكرواتيا والرئيس البوسني

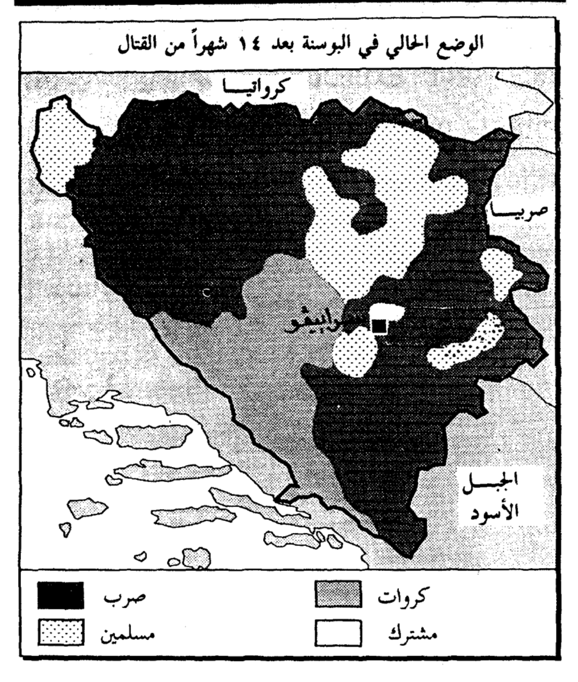
علي عزت في جنيف في ١٩٩٣/٦/١٦ على ما يبدو قد وضع النقاط على الحروف وأسدل الستار عن آخر مشاهد المسرحية - المأساة التي سميت مفاوضات السلام.

فالاجتماع أسفر عن خطة «معدلة» لمشروع فانس-أوين ينص على تقسيم البوسنة إلى ثلاث دويلات عرقية بدلاًمن عشرة أقاليم. وبهذا يكون الصرب والكروات قد بدأوا المرحلة الثانية بعد الإجهاز على الهيكلية السياسية والعسكرية لحكومة البوسنة وشعبها في المرحلة الأولى.

المرحلة الثانية هي بعينها إرهاصات المرحلة الأخيرة والتي تهدف إلى إتمام المشروع بضم الأجزاء المغتصبة من البوسنة وضمها إلى دولتي صربيا وكرواتيا ليبقى الجانب الإسلامي هو الطرف الخاسر الأوحد في معركة رفع فيها المسلمون خيرة أبنائهم وأكلت ماكينة الحرب إمكانياتهم ولوثت كراماتهم أمام عدسات العالم المتحضر!!

فهل يعتبر المسلمون من أن جولة السكين ليست بعيدة عن أعناقهم إذا لم ينتبهوا ويواجهوا مأساتهم والواقع بأنفسهم وليس باستجداء العدالة والنصر من مؤسسات قامت اصلاً لإذلال المسلمين وكسر شوكتهم. غداً تنتهي السكين من أعناق مسلمي البوسنة والهرسك لتعمل في رقاب مسلمين آخرين في مكان ما من العالم. وتستمر العلاقات الرسمية مع حكام صربيا وكرواتيا لأنهم من «الدول الصديقة» ومن «مجموعة دول عدم الانحياز» وكأن شيئاً لم يكن. وبين شدة وصرامة الأمم المتحدة في الصومال وضعفها وليونتها في البوسنة يبقى الدم الإسلامي يسير مهراقاً باسم الشرعية الدولية.

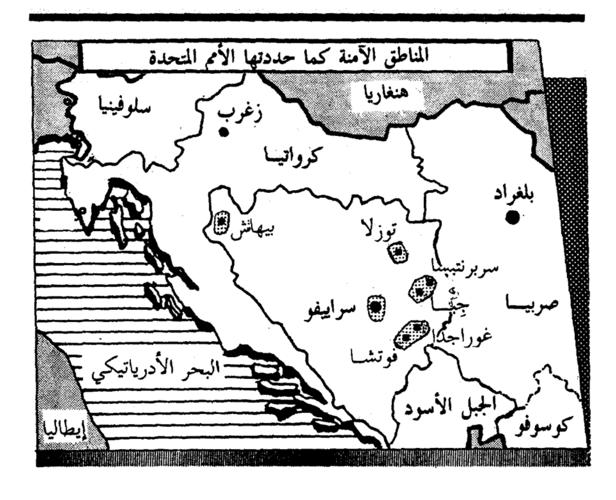
* * *



أرقام للمقارنة*

المسلمون ٤٥ ٪ من السكان يسيطرون على ١٤٪ من الأرض
الكروات ١٧٪ من السكان يسيطرون على ١٣٪ من الأرض
الصرب ٣١٪ من السكان يسيطرون على ٧٠٪ من الأرض
سرايفو ومحيطها: منطقة سيطرة مشتركة.

* الأرقام الأصلية قبل حملة التهجير القسري



خطـــة المناطـــق الآمنـــة

الخطة تحوّل مناطق المسلمين إلى مخيمات كبيرة تعج باللاجئين دون أي ضمانات مستقبيلة أو مقومات الاستقلال. الخطة الأخيرة التي وافق عليها الصرب والكروات وديفيد أوين ورفضها المسلمون لم تنشر تفاصيلها بعد ولكنها تقترح تقسيم البوسنة إلى ثلاث ولايات: واحدة للصرب وأخرى للكروات وثالثة للمسلمين (وتتألف من شقين الأول في وسط البوسنة والثاني في مقاطعة بيهاتش في الشمال الغربي من البلاد مع حق استخدام مرفأ على البحر الأدرياتيكي تحت حماية الأمم المتحدة). والخطة تقلص مناطق المسلمين أكثر مما اقترحته خطة فانس أوين وتبقي على المناطق التي احتلها الصرب والكروات كجزء من ولاياتهم.

كابـــل
وأزمة التحالفات الهشة

أحمد الإدلبي

رغم مرور عام على وصول المجاهدين الأفغان للسلطة في كابل لم تظهر في الأفق أية علامة على اتفاق فيما بينهم بتشكيل حكومة جديدة* مجمع عليها من قبل كافة الأطراف لتدير البلاد بقوة وحزم خاصة في بلد عُرف بتنائي أراضيه وعدم توفر المواصلات والاتصالات بين الولايات وبين الأطراف والمركز أيضاً إلى جانب قيام كل حزب أو فصيل أو قبيلة بإدارة شؤون منطقتها بمعزل عن الآخرين خاصة مع إقامة إدارة كل إقليم علاقات مع دول مجاورة تسهل عليه التمويل والاتصالات والخبرات ونحو ذلك.

وما تزال الخريطة الأفغانية مرشحة لعديد من الهزات والزلازل ما دامت

*- أخيراً «أدى رئيس الوزراء الأفغاني قلب الدين حكمتيار وأعضاء حكومته القسم الدستوري في قلعة حيدر خان في منطقة بغمان على بعد ٢٠ كيلومتراً غرب كابول بحضور الرئيس برهان الدين رباني، وزعيم الاتحاد الإسلامي عبد رب الرسول سياف» وذلك يوم الخميس ١٧/حزيران/١٩٩٣م، ٢٧ ذو الحجة ١٤١٣هـ. - **البيان** -

خريطة التحالفات في تقلب مستمر فحليف الأمس عدو اليوم والعكس صحيح. خاصة وأن هذه التحالفات لم تقم على أرضية مشتركة في الهدف والمصير والواقع وإنما تحالفات آنية تفرضها ظروف وقتية إما بظلم الأخ لأخيه حيث يدفع الواحد منهم لإيجاد أي تحالف مع عدو الأمس حتى يستطيع الصمود أمام عاديات المرحلة.

لعل الاجتماع الأخير الذي ضم الرئيس برهان الدين رباني ورئيس وزرائه قلب الدين حكمتيار وعبد رب الرسول سياف أمير الاتحاد الإسلامي في بغمان (٢٠ كم غرب كابل) حيث معقل الأخير لعل هذا اللقاء يجسد جانباً من الأمل الذي طالما دغدغ المخلصين من أبناء الأمة في لم شمل المخلصين الذين حمَّل بعضهم جانباً مهماً من المأساة لسياف الذي وقف إلى جانب الحكومة في كابل والتي تضم جنرالات الشيوعيين البارزين أيام حكم نجيب الله من أمثال الجنرال عبد الرشيد دوستم والجنرال باباجان قائد الفيلق المركزي في كابل والقائد عبد المؤمن قائد الميليشيات الشيوعية المعروفة إضافة للجنرال آصف ديلاور، وفريد مزدك وبابرك كارمل ومحمود بريالي وآخرين.

وتقول مصادر الحزب الإسلامي في بيشاور: إن اجتماع بغمان كان مشجعاً حيث علق حكمتيار آمالاً على اللقاء والذي وافق فيه رباني وسياف على إرسال وزرائهم إلى مجلس الوزراء الذي يقوده حكمتيار حيث كان وزارء الحزبين قد تغيبوا عن اللقاءات التمهيدية للحكومة في محاولة وصفت بأنها إصرار على إفشال حكمتيار في لقاءاته، ويبني المعلقون والمراقبون كثيراً على اللقاء لأنه الوحيد الذي حصل منذ سقوط نجيب الله في أبريل

(نيسان) العام الماضي بدون وسطاء خارجيين أو داخليين. ويبدو أن لقاء بغمان إن كان كما صُوِّرَ من الإيجابية والتفائلية فحينها سيكون على هذا التلاحم بين القادة الثلاثة أمرين:

الأول: ما بدأ يظهر على العلن من لقاءات بين قادة الفصائل الشيوعية من خلق وبرشم حيث عقدوا في مارس (آذار) الماضي لقاءً في موسكو، ثم تبعه اجتماع في مدينة بيشاور معقل حزب العوام القومي ـ (اليساري) ـ التوجه، والذي يقوده عبد الولي خان، وكان من ضمن الحاضرين سليمان لاتعد وزير الحدود والقبائل السابق والجنرال محمد رفيع نائب الرئيس نجيب الله سابقاً والجنرال أسلم وطنجار وزير الدفاع السابق وبابرك شنواري رئيس منظمة الشباب الشيوعي وغيرهم كثير.

ومعلوم أن قادة الحزب الشيوعي الأفغان بشتية (برشم) الراية، وخلق (الشعب) قد تفرقوا بين مزار شريف ـ حيث معقل المليشيات الأوزبكية بزعامة الجنرال عبد الرشيد دوستم الذي فك ارتباطه شكلياً مع نجيب الله في أبريل (نيسان) العام الماضي ليتحالف مع أحمد شاه مسعود رئيس مجلس شورى النظار للإطاحة بنجيب الله ـ وبين موسكو ودلهي وبيشاور ويعمدون حالياً على تجميع أنفسهم بالتحالف مع المعتدلين من الأفغان خاصة الجبهة الإسلامية التوجه بزعامة بيرسيد أحمد جيلاني لعقد اجتماع في قندهار معقل الملك الأفغاني ظاهر شاه للمناداة به كملك للبلاد. وكان بعض القادة من الحزب الشيوعي (الوطن حالياً) زاروا مقره وناقشوا المسؤولين هناك بالأمر. وتجدر الإشارة إلى أن جيلاني نادى مؤخراً وعلناً بعودته رغم توقيعه اتفاق جلال آباد الذي ينص على عقد انتخابات عامة

ولعقد لوياجركا الذي سينجم عنه بالتأكيد عودة الملك الأفغاني السابق.

ويرى البعض أن تجميع الشيوعيين أنفسهم مع المعتدلين بحيث تكون السلطة السياسية القوية في البلاد سيسهل عملية تزاوج أو تحالف بين هذه السلطة والسلطة العسكرية التي يقودها دوستم في مزار شريف خاصة مع هروب (خانو) رئيس ميليشيات هلمند أمام هجمات مشتركة للجمعية الإسلامية والحزب الإسلامي حيث فر مع قادته إلى دوستم الأوزبكي رغم أنه بشتوي مما يؤكد أن الرابطة الشيوعية لديهم فوق الرابطة العرقية.

أما الأمر الثاني فهو ما تسرب من معلومات عن انقلاب يقوم به دوستم ومسعود وبعض المعتدلين على الرئيس رباني لإقصائه عن الرئاسة «وتنصيب شخصية معتدلة» وبهذا تستبعد أي تسوية مستقبلية في البلاد.

لعل هذا أو ذاك أو أموراً كثيرة دفعت بالمخلصين للالتقاء، ولكن يبقى القول أن تحالفات أفغانستان ليس لها أرضية ثابتة صلدة، وإنما تحالفات آنية فهل سيكون ذلك ضمن المعادلة الأفغانية للتحالفات أم أنه سيكسر القاعدة ويخيب ظن الشائنين والمعتدين؟



الأمم المتحدة:
صقر الصومال وحمامة البوسنة

ـ التحرير ـ

توالت الأحداث متسارعة في الصومال حيث تحولت مهمة جنود القوات الدولية من «إغاثة الجائعين» وتأمين «المساعدات الإنسانية» و«إحلال السلام»، كما ورد في قرار الأمم المتحدة، إلى كتيبة تزرع القتل والدمار والدماء في جميع أنحاء العاصمة مقديشو وذلك بحجة تأديب «أمراء الحرب» أو (لوردات الحرب) كما يُطلق عليهم و«المسؤولون عن تفلت الأمن في البلاد».

الأجواء السياسية والعسكرية كانت تنذر وتنبئ بما حصل. فقد فشلت* الأمم المتحدة، ومن قبل أبناء البلاد وقادته في إيجاد صيغة حل سياسي يزيل عن الصومال غبار الحرب ويمسح دموع الثكالى والأيتام والأرامل الذين أنهكهم القتل وأضناهم الجوع.

أشعلت الشرارة عندما قامت قوات مؤلفة من أميركيين وباكستانيين بقيادة جنرال أميركي بهجوم مفاجئ فجر يوم السبت ١٩٩٣/٦/٥ على مبنى الإذاعة التابع للجنرال محمد فارح عيديد مما أسفر عن مقتل أفراد الحراسة وبعض المدنيين

*- ولعلنا نقول نجحت.

إلى جانب احتلال الإذاعة والسيطرة عليها. وقد قام عيديد اثناء الغارة باستدعاء قواته واستنجد بأعوانه الذين تدفقوا بالآلاف مدججين بسلاحهم. عندها انسحبت قوات الأمم المتحدة من موقع العملية واستعادت قواته السيطرة على الإذاعة مصحوباً بجماهير مسلحة غاضبة صبت جام غضبها على كتيبة باكستانية كانت توزع المساعدات في إحدى المدارس حاصدة ٢٣ جندياً. تلت ذلك عملية إنتقام للقوات الباكستانية حيث أطلقت النار على المتظاهرين فقُتِلَ عشرات الصوماليين.

الجدير بالذكر أن القوات الأميريكية تستخدم غيرها من قوات الدول الأخرى كحرس لها، فبينما تدير شؤون المطار واستقبال الرحلات وإدارة شؤون المرفأ، فإن الحراسة تقوم بها قوات أخرى. حتى السفارة الأميركية يقوم على حراستها جنود غير أميركيين مما يضع هذه القوات في الصف الأمامي وفي حالة صدام مباشر مع الصوماليين وهذا ما يفسر وقوع ضحايا من غير القوات الأميركية كالباكستانيين مثلاً.

وتفيد المصادر أن الأميركيين والذين يسيطرون على القرار السياسي الصومالي لا يسمحون لغيرهم من القوات بالمشاركة في اتخاذ القرارات، حتى للقوات الأوربية الموجودة هناك. وقد بدأت تظهر علامات التذمر حيث كتبت الصحافة الألمانية عن تحجيم دور وصلاحيات القوات الألمانية وانتقدت الهيمنة الأميركية في الصومال وجمدت الحكومة الألمانية إرسال الإمدادات العسكرية والإنسانية التي كانت مقررة من قبل. وتهدف الإدارة الاميركية من وراء ذلك تكوين حكومة صومالية أحضرت لها شخصياتها من الصوماليين الذين يعيشون في أميركا منذ عشرات السنين. وهذا ما يفسر بعض التصادم في المصالح بين عيديد وصاحبة «الأيدي البيضاء» أميركا.

الأخبار التي احتلت عناوين الصحف والمجلات والإذاعات ـ والتي تعتبر الأسوأ من نوعها بالنسبة لجنود الأمم المتحدة منذ مقتل المئات منهم في كمبوديا في أوائل السبعينيات ـ أخذت بُعداً جديداً عندما استنكر مجلس الأمن «الجريمة» ووعد بملاحقة المسؤولين وبالفعل صدر قرار الأمم المتحدة رقم ٨٣٧ القاضي بملاحقة ومعاقبة قادة التحالف الوطني الصومالي. وقد تعهد الأميركيون بالقيام بالمهمة

مذكرين العالم باجتياح «بنما» واعتقال رئيسها «نورييغا».

الأيام التي تلت ضجت بأخبار الصدامات بين المتظاهرين و«جنود السلام» حيث حصد رصاصهم عشرات القتلى من نساء وأطفال وعُزَّل خرجوا إلى الشوارع متظاهرين، ثم استكملت القوات الدولية مهمتها عندما بدأت حرب شاملة في نقاط متعددة من العاصمة ومناطق أخرى استخدمت فيها الطائرات والدبابات والصواريخ في عملية هدف إلى «إسقاط عيديد» عسكرياً واعتقاله ومحاكته كمجرم حرب، النتيجة طبعاً دماء المسلمين العزل وجنود عيديد الذين امتلأت شوارع العاصمة بهم حيث تحدثت الأرقام عن مئات القتلى والجرحى ونزوح الأهالي بعد أن دمرت بيوتهم وأحرقت محلاتهم في عملية «شرعية دولية» لإعادة السلام إلى البلاد.

الغياب الإعلامي العربي والإسلامي من الساحة الصومالية أعطى للإعلام الغربي ومن ورائه الإعلام الأميركي بشكل خاص فرصة ترجمة الأحداث وتشكيلها ورسمها في عقول الناس كما شاءت وبما يتناسب والمصلحة الغربية.

عيديد الذي تواجهه الأمم المتحدة مسؤول كغيره من «قادة» الصومال عن تدمير البلاد وإغراقها في حرب طائفية طاحنة أعطت الضوء الأخضر للأمم المتحدة لدخول الصومال. وعيديد نفسه خرج مصفقاً مهللاً لوصولها شاكراً المجتمع الدولي على تعاونه ومساعدته لإيقاف المعارك وإعادة السلام إلى البلاد.

وعيديد نفسه الذي يحذر الصومال اليوم من«هجمة الصليبية الدولية» على المسلمين ويهدد «بإعلان الجهاد» لم يكن غيوراً على مستقبل الإسلام في الصومال بالأمس عندما رأى في الصليبيين أيدي خير وبركة سوف تدر بخيراتها على الصومال وأهله.. ويبقى الخاسر الوحيد هم المسلمون الذين أوكلوا قيادتهم وسياساتهم إلى رجالات عقائدهم كالحرباء التي تغير لونها حسب «الظروف» والمكان الذي تقف عليه. ولكنها «موضة» حكام اليوم وزعماء العالم الإسلامي يتحدثون عن الإسلام عندما يحتاج الأمر ليتحولوا لألد الأعداء عندما يمر الزلزال وتنتهي العاصفة وتثبت الكراسي.

الأصوات بدأت تتصاعد في أنحاء متعددة من الصومال للتحذير من مخططات مشبوهة تهدف إلى استغلال المجاعة والحرب في هذا البلد لأغراض تنصيرية حيث أن مئات الجمعيات النصرانية تعمل بلا كلل في مخيمات اللاجئين وإقامة العيادات ومآوِي للعجزة والأطفال، ومؤسسات الأيتام حيث تسهل لديهم إعطاء أبناء الصومال جرعة التنصير مع رغيف الخبز وحبة الدواء. وقد حذرت مصادر إغاثة إسلامية من احتمال قيام الأمم المتحدة بتنفيذ مخطط تنصيري تحت غطاء المساعدات الإنسانية في الأراضي الصومالية. وقالت أن الأمم المتحدة نجحت حتى الآن من خلال وسائل الإعلام الغربية في إقناع العالم أن ما يحدث في الصومال هو حرب قبلية بين الجنرال محمد فارح عيديد والرئيس المؤقت علي مهدي تمهيداً للمطالبة بوضع هذا البلد تحت حماية الأمم المتحدة وتنفيذ برنامج «تبشيري» هناك.

الأحداث الأخيرة وغزارة الدماء ـ وهي دماء المسلمين من الطرفين ـ التي سالت فيها وضعت الأمم المتحدة موضع النقد، وقراراتها موضع تساؤل.

لماذا هذا «الإصرار والعزيمة» و«الدقة» في تطبيق قرارات الأمم المتحدة والضرب بيد من حديد «لإحقاق الحق» في الصومال بينما هي مجرد اقتراحات و«تمنيات» و«قرارات لا تطبق» في البوسنة وفلسطين وكشمير؟

لماذا تصبح الأمم المتحدة «شحاذاً» يستعطي عندما تكون بصدد مناقشة مشروع قد يكون فيه بعض الخير للمسلمين ولكنها «تستغني وتكتفي» ولا تحتاج للاستشارة والمشاركة عندما يكون في الأمر ضرب للمسلمين أياً كانوا؟

ألا يرى المسلمون في العالم أن للأمم المتحدة وقواتها أنياباً تُلبسها إياه القوى العظمى ـ بالأحرى القوة الوحيدة العظمى اليوم ـ عندما تريدها أن تنهش لحوم «الخصوم» وتقتلعها متى شاءت!!

يائيل دايان والثوار والمبادئ

أحمد عبد العزيز أبو عامر

نقلت بعض الصحف العربية والأجنبية مؤخراً نبأ لقاء (يائيل دايان) - عضوة حزب «مابام» الصهيوني - مع زعيم (منظمة التحرير الفلسطينية) وسروره بإهدائها له مذكرات والدها المقبور موشي دايان الذي سام الأمة العربية والفلسطينيين سوء العذاب بحروبه ومواقفه الدموية. ولقد فرح بعضهم حينما أعلنت: أنها ستعود إلى تل أبيب بانطباع آخر يدعو إلى فتح صفحة جديدة بين دولتها والمنظمة على أساس (وضع ما يقارب نصف قرن من الصراع العربي الإسرائيلي في مزبلة التاريخ) هكذا! مع إشادتها بالزعيم الفلسطيني ووصفه بأنه صادق في توجهه للسلام بنسبة ١٠٠٪، وقد نقلت بعض الأوساط الفلسطينية إنه ربما تكون النائبة الصهيونية قد نقلت أفكاراً ومقترحات من (شمعون بيريز) للزعيم.

بغضّ النظر عن حقيقة هذه الزيارة والتي لا تخفى مبرراتها لكل متابع للأحداث علىالساحتين (العربية والإسرائيلية) لا سيما بعد سطوع نجم (منظمة حماس الإسلامية) وتعاطف الكثير من الفسطينيين معها في الأراضي

المحتلة، بعد تداعي المنظمة المترهلة) على عملية السلام بالرغم مما لحقها من إذلال (يهود) في عدم الاعتراف بها ورفضهم قبول أحد أعضائها في الوفد المفاوض إلا أنها تداعت على عملية السلام تداعي الذباب على الشراب. بينما العدو الصهيوني ما زال يُصِرُّ على أحقيته في الأراضي المحتلة ويرفض الجلاء حتى عن الأراضي المحتلة بعد نكبة (١٩٦٧) ويكتفي بالقول: يمكن الجلاء عن «أراضٍ» محتلة وليس عن «الأراضي» المحتلة. فضلاً عما يقوم به من بطش وإرهاب هناك، ومن آخرها الإبعاد المتمثل في نفي أربعمائة عنصر من خيرة الشباب الفلسطيني المتعاطف مع التيار الإسلامي. ولا يخفى ما يعانونه الآن من لأواء ومشقة في (مرج الزهور) حيث الظروف المناخية السيئة المعروفة أمام سمع وبصر العالم المتحضر من أدعياء حقوق الإنسان بل وحتى حقوق الحيوان. وإزاء رفض الشعب الفلسطيني المغلوب على أمره لهذا الإبعاد، وما قام به من مقاومة للإرهاب اليهودي لم يسلم من أبشع عمليات البطش حينما ضُرِبَتْ غزة مؤخراً بالطائرات مما يخالف كل النظم الدولية. وليس هناك من يُنكر تلك الأفعال غير الإنسانية أو يفكر حتى بإدانتها وتحذير العدو من تكرارها، وما دام أن المتنفذين في (هيئة الأمم المتحدة) يهود أو متعاطفون معهم فلن ننتظر منهم أي إنصاف فضلاً عن إعطاء الحقوق لأهلها. والواقع أكبر شاهد، حيث نرى تساهلهم أمام تعنت الصرب حيال جرائمهم ضد مسلمي (البوسنة والهرسك).

أما تعنُّت الصهيونية أمام قرارات (هيئة الأمم) ـ التي تصدرها لمن يخالف الأعراف الدولية وآخرها القرار رقم (٧٩٩) بوجوب إعادة المبعدين لأرضهم فهذا ليس له عقوبة ـ مستغلةً تعاطف الأدارة الاميركية معها حينما قبلت بالتجاوب الجزئي لعودة المبعدين حتى وبعد جولة وزير الخارجية الأميركية في المنطقة والتي عاد منها «بخفي حنين» وما زال العدو مستشهداً بالقرار الأخير. هكذا وبكل بساطة تسير السياسة الأميركية وفقاً لرأي الصهاينة حتى ولو

خالفت القرارات الدولية التي يفترض التزامها نصّاً وروحاً من الجميع، ومن لا يلتزم بها يلزم بها قسراً ولو بالقوة، عدا (الصهاينة) وتصبح قرارات (هيئة الأمم) حيالها غير ملزمة، ويمكن الاكتفاء بالحلول الجزئية حتى ولو كانت المخالفات تدينها كل الأعراف الدولية والإنسانية لا سيما في واقع المبعدين الأربعمائة وما يعانونه من ظروف صعبة لا يمكن بحال من الأحوال قبولها لو كانت لفئة أخرى غير مسلمة مهما كانت توجهاتهم أما (المسلمون فلا بواكي لهم).

إن الكيل بمكيالين في السياسة الاميركية جعلها سياسة عوراء وأوضح ميولها الصهيونية التي لم تعد تخفى على أحد وهذا أصبح معروفاً للجميع ولا يجهله إلا مغفل ولا يتجاهله إلا مكابر عنيد. ويكفي أن الإدارة الأميركية الجديدة جاءت بدعم (اللوبي الصهيوني) وحتى لا أكون متجنياً في قولي هذا أحيل القارئ الكريم إلى كتابين وثائقيين يوضحان الخلفيات الحقيقية للسياسة الأميركية وهما:

١- الخلفيات التوراتية للسياسة الأميركية (د. إسماعيل الكيلاني).

٢- البعد الديني في السياسة الأميركية (د .يوسف الحسن).

إن ما يلزم بيانه والتنبيه عليه في هذا المقام هو مدىصدق الصهاينة مع مبادئهم وحدبهم عليها واستماتهم في الدفاع عنها بكل السبل، ويكفي أن نعرف أنهم أتاحوا المجال للأحزاب «الدينية الصهيونية» لها لتعمل في وضح النهار حتى صار لها دورها المؤثر في وصول أحد الحزبين للحكم، ولهذه الأحزاب جهودها المؤثرة في المجتمع الصهيوني مما جعل الصهاينة يحترمون دينهم ومبادئهم ولا سيما في المواقف الدولية ولعلنا نتذكر رفض الوفد الصهيوني الاجتماع بعد حرب رمضان في خيمة «الكيلو ١٠١» (يوم السبت) بينما رضي قومنا بالاجتماع في وقت صلاة الجمعة ومما يؤسف له أن كثيراً من المنتسبين لهذه الأمة ممن ابتلينا بهم قادة للأحزاب وزعماء للمنظمات

ورؤساء للدول من الحاكمين بأمرهم، نجد أن آخر ما يفكرون به هو طاعتهم لربهم واقتفائهم لسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام لا سيما في التحذير من عداوة الكافرين وبخاصة (يهود) لما عرفنا من عدائهم وخُبْثِ نواياهم، وحسبهم أنهم الأمة الملعونة في القرآن وقد حذر الإسلام من كيدهم ومكرهم فيما نقرأه من كتاب ربنا جل وعلا فهم الكذابون على الله بقولهم: ﴿**إن الله فقير ونحن أغنياء**﴾ [آل عمران ١٨١]، وبقولهم: ﴿**يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا**﴾ [المائدة ٦٤]، وهم المتمردون على الله تعالى بقولهم: ﴿**سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين**﴾ [المائدة ٤١]، وفي آية أخرى: ﴿**سماعون للكذب أكالون للسحت**﴾ [المائدة ٤٢]، وهم المتمردون على رسل الله عليهم السلام: ﴿**أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون**﴾ [البقرة ٨٧]، ولنقضهم العهود: ﴿**الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة**﴾ [الأنفال ٥٦]، ولجهودهم المستمرة في الإفساد: ﴿**كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً**﴾ [المائدة ٦٤]، وحبهم الشر لغيرهم: ﴿**ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم أكبر**﴾ [آل عمران ١١٨]، وتحريفهم للكتب السماوية: ﴿**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله**﴾ [البقرة ٧٩]، وذلك غيض من فيض مما سجّله القرآن عليهم من سيء الخلق وفاسد الأفكار مما ربُّوا عليه أجيالهم وأنشأوا عليه أبناءهم. فهم مخادعون كاذبون ومبغضون لكل ما عداهم ممن يسمونهم (الجوين) والذين يعتقدون بأنهم ما خلقوا إلا ليكونوا حميراً لهم لكي يركبوهم.

(يائيل دايان) واحدة من ذلك الشعب الملعون، لها أفكارها الصهيونية التي تربت عليها، وهي لا تقل خبثاً وعنصرية ولا كذباً من بني جنسها، وسيتضح ذلك بجلاء في استعراض سريع لبعض نتاجها الفكري؛ فَمَنْ هي هذه المرأة

وما حقيقة توجهاتها؟

يائيل دايان في دائرة الضوء:

هي ابنة وزير الدفاع الصهيوني الأسبق (موشي دايان) وهي كاتبة وروائية* صهيونية معروفة. وضعت أفكارها اليهودية في رواياتها نصرة لأمتها ودولتها مع الافتراء والعنصرية ضد العرب والمسلمين عامة والشعب الفلسطيني خاصة. وهي الآن عضو في حزب (مابام الصهيوني).

كتابها الأول (وجه امرأة) وهو مذكراتها الشخصية التي صاغتها في قالب روائي استعرضت فيه أيام طفولتها، وكشفت القناع عن حالتها النفسية المضطربة التي عانتها من أب يكره البشر ويعتزلهم ويهمل عائلته. وأم وجدت أن زوجها لا يعيرها اهتماماً فعوضت ذلك بالعبث واللهو والفجور.. وكيف دخلت (يائيل) الجيش باسم مستعار هو (إريال رون) وعرفت فيما بعد أنها ابنة وزير دفاعهم المشهور (موشي دايان) فساعدوها على سرعة الترقية وأتاحوا لها المجال في الدورات العسكرية فاجتازتها بسرعة حتى صارت مدرسة لوحدة من المجندات قبل إنهاء خدمتها العسكرية وكشفت الحقيقة عن جيش بلادها وما يحويه من فساد وفجور، وكيف كان يلذ لها أن ترى الرجال يتعذبون وهي توقعهم في حبالها. ثم تتحدث عن حياة (المجندات اليهوديات) الأباحية وخاصة في المستعمرات، وكيف أن نتاج السفاح الحاصل معهن هم (أبناء المستعمرة) حيث يكون لهم بيت خاص ومربيات وميزانية خاصة وأن الأم هي التي تحدد والد الطفل في حفل خاص، وتطرقت لفساد الشباب اليهودي وما يعيشه من أنواع الفواحش التي يُسرت لهم أسبابها في الملاهي وبيوت الدعارة.. وأنها حينما تخرجت جاء والدها ليسلمها شهادة التخرج.. ثم أوضحت في الأخير سوء حالتها الأسرية حينما طردها والدها في ليلة ماطرة

*- ترجمت لها رواية عنوانها «غبار» ونشرتها مجلة الموقف الأدبي في دمشق سنة ١٩٧٤م أثناء مسرحية حرب الاستنزاف!! - **البيان** - .

فلجأت إلى بيت للدعارة وعاشت فيه أياماً في موقف حرج لكونها خالية الوفاض من أي شيء معها، وفجأة أُنقذت حينما لمحت صديق أسرتها (العسكري الإنكليزي بيتر) فألقت بنفسها بين يديه وشرحت له ظروفها وعادت معه إلى (القدس) قبل احتلالها النهائي عام ١٩٦٧، حيث يعيش في شقة الوحدة وقررت أن تكون عشيقته لتلهب قلبه وهو في الخمسين من عمره ثم تتركه لتحطم قلبه!! ثم بينت كيف توسط لها للعمل مشرفة اجتماعية لمساعدة (اليهود المهجرين) للوطن المحتل حيث عملت في ذلك العمل بكل جهد.. ثم بينت التفرقة العنصرية بين اليهود الشرقيين (السفارديم) واليهود الغربيين (الاشكناز) ثم كيف حلت محل (بيتر) في مراسلة صحيفة بريطانية بعدما سافر بتير إلى بلده وراسلها مشيداً بتقاريرها التي تنشرها الصحيفة ثم فاجأته بزيارتها لندن حيث استقبلها بكل شوق وعلى ضوء حياتها الإباحية معه كتبت مذكراتها الوقحة تلك.

والحق يقال إن (يائيل دايان) في كتابها هذا أقل غطرسة في الحديث عن العرب وعن اليهود حيث وجدناها أكثر واقعية، وأقل تزييف لقربها من الأحداث ومعايشتها لما يدور في الداخل بعكس كتابات اليهود خارج الأراضي المحتلة لفقدانهم الموضوعية وللجوئهم للمبالغات، وخضوعهم للتناقضات، وهي على كلٍّ صهيونية تكتب لخدمة مبادئها وإفساد الآخرين.

ثانياً: روايتها (للموت ولدان) وهي عبارة عن نسيج من بطولات وهمية «للسوبرمان الصهيوني» القاتل والحاقد واجترار لحوادث ماضية من معاناة اليهود المزعومة على يد النازية حيث تبدأ الرواية بوصف عملية العذاب التي تعرض لها (حاييم كالنسكي) وفقده لولديه وبيته، ومقتل زوجته وتشرده، وجهله بكل شيء عن مصير ولده (دانييل) الذي رحل على متن قارب من (البيريه) في اليونان إلى الأرض المحتلة مع عدد من الأطفال اليهود اليتامى إبان (الحرب الهتلرية) حيث التقى (دانييل) مع صديق عمره (يورام) وعاشا في

(مستعمرة جلعاد) وهناك كبر وهو لا يعرف له أباً غير (إسرائيل) ولا صديقاً إلا (السوبرمان: يورام) وصديقته (ريتا) عشيقة (يورام)، وفي حرب ١٩٦٧م انتقلا إلى سيناء حيث لقي صديقه يورام حتفه بلغم مصري. وبعد مراسلات طويلة وبحث شاق يتوصل (حاييم) إلى معرفة مكان ابنه (دانييل) فيجيء إليه في الأرض المحتلة بعد أن تزوج الأب من أخرى وأنجب ابنته (مريم)، ثم يصاب بالسرطان ويموت بمستشفى بئر السبع وحيداً بعد خلاف مع ابنه (دانييل) ويجتمع شمل الأسرة هو واخته مريم وزوجها وطفلها. وقد وضحت الكاتبة أثر تربية المستعمرة لدانييل على المبادئ الصهيونية الحاقدة وتطبيقه دروس القتل التي تلقاها ضد العرب وكيف كان يمارس (رجولته)!! كما تراها في القتل كوظيفة، وكيف أصبح الحقد لديه شيئاً طبيعياً. والرواية أشبه ما تكون بدعاية إعلانية مكشوفة لاحتوائها على الأفكار الصهيونية التالية:

١- دعوة يهود العالم أجمع لتأييد دولتهم والإيمان برجوعهم لأرض الميعاد المزعومة.

٢- العرب لديها مجرد متسولين يبحثون عن المال حتى بالدعاء من أجل المرض مقابل دريهمات.

٣- الدعاية السياحية المزينة لحياة (الكيبوتزات) التي تغري أطفال العالم بالهروب إليها لأنها جنة العصر الموعودة لليهود.

٤- إمبراطوريتهم يجب أن تمتد حدودها حتى الفرات كما توضحها طموحاتهم الصهيونية المزيفة.

٥- وضع نموذج «السوبرمان الصهيوني» الذي له قدرة على استيعاب الأشياء وهضمها والاستفادة منها مع البطولة الخارقة.

والخلاصة أن هذه الرواية مجرد دعاية صهيونية في ثوب أدبي حاكت فيه الكاتبة قصة حاييم اليهودي، والذي كان له ولدان الأول (شمؤيل) الذي قتلته (النازية) والآخر (دانييل) الذي نجا بأعجوبة! ويكاد يقتله العرب اليوم!

وتناست الصهيونية الحاقدة كيف تحول (دانييل) إلى هتلر جديد في الأرض المحتلة إذ جعل القتل والحقد وظيفة له ضد الشعب الفلسطيني المغلوب على أمره.

ثالثاً: روايتها (طوبى للخائفين) وكانت المؤلفة فيها أكثر قدرة على مسايرة الفكر الصهيوني وتطلعاته ووضعها القِيَم كلها بما فيها (الدينية) بمرتبة الوسائل التي يمكن الصعود عليها، فالصبي (نمرود) بطل الرواية هو التعبير الحقيقي عن الأطماع الصهيوينة، وهو رمز للجيل الذري يُهيّأ لممارسة القوة، أما «جيديون» فهو النموذج. وطموح الآباء والأجداد لتربية أبنائهم على مشاكلهم ليعبر حقيقة عن الفكر الصهيوني الإرهابي فهونموذج للقوة الجسدية والاستهانة بالأخطار حيث يشترك في أعمال إرهابية ضد الفلسطينيين ثم يعود سالماً إلى مستعمرته.

هذه حقيقة (يائيل دايان)، تلك الصهيونية الحاقدة الفاسدة المفسدة تبينت لنا أفكارها بجلاء بما عرفناه من استعراض سريع لبعض أعمالها الأدبية المشهورة وفيها تتضح بجلاء منطلقاتها الصهيونية وتصوراتها التوراتية، ومبادئها الانتهازية الميكافيلية. فإلى متى نبقى ساذجين، نصدّق دعواها وقومها بالرغبة في السلام بينما هم يغتصبون أرضنا المباركة، ويقومون ليل نهار بالإرهاب لأهل الأرض المحتلة. وكتبهم الدينية تنطق بتلك الأسس الإرهابية وأكثر، ويتضح لنا أن أدبها فيه كل خصائص أدب العدوان الصهيوني الذي يحاول اجتذاب اهتمام العالم ويعمل جاهداً لإجهاض أدب المقاومة العربية ضده ولا سيما ما ينطلق من أطر وتصورات إسلامية. ومن أبرز ملامح الأدب الصهيوني ما يلي:

١- توظيف معاناتهم المزعومة من الحرب النارية ضدهم وقد تبين مؤخراً أن جلّ هذه الدعاوى مبالغ فيها، وتبين كذبها وزيفها، وكُتِبت فيها دراسات علمية من أهمها: (هل فعلاً قتل ٦ ملايين يهودي) وهو بحث من تأليف (روبير

موريسون وماري بول ترجمة ماجد حلاوي)، وانظر أيضاً إلى كتاب (الأكذوبة الكبرى: حرق ٦ ملايين يهودي، للأستاذ أحمد التهامي سلطان).

٢- احتقار كل ما هو غير صهيوني كما أوضحته كتبهم المحرَّفة ولا سيما كتابهم المخترع (التلمود).

٣- إظهار شخصية الصهيوني (السوبرمان) المتفوق جسدياً وعقلياً وحضارياً.

٤- احتقار العرب بصورة خاصة وجعلهم في صورة متخلفة لتبرير معاملتهم باحتقار واستخفاف.

٥- إفساد الشعوب بإشاعة الفواحش والإباحية سلوكاً اجتماعياً عادياً.

٦- عداوة أمتنا باستمرار مثلما شربوها مع الحليب صغاراً وتربوا عليها كباراً مما لا يمكن بحال أن يأمنوا المسلم أو يأمنهم المسلم لما يعرفه عنهم من أخلاق منحطة وسلوك همجي.

٧- الغاية في مناهجهم الفكرية والدينية تبرر الوسيلة، والزعم بخلاف ذلك عندهم محال.

والخلاصة: أن يائيل دايان تؤمن إيماناً جازماً بمبادئها لأن ما تلقته من دروس في حياتها جعلها تعمل بكل دأب لصالح عقيدتها وأعمالها الأدبية تنطلق من منطلقات عقائدها وكونها اليوم نائبة في حزب سياسي لا شك له أيديولوجيته ومنطلقاته الفكرية التي تعمل لخدمة شعب إسرائيل فحالها ليست كحال كثير من بني جلدتنا ممن يعيشون بعيداً عن مبادئ دينهم، ويعملون غالباً وفقاً لمنطلقات فكرية وأيديولوجيات حزبية لا تمت لمعتقداتهم بأدنى صلة بل ربما كانت تضرب بالدين الإسلامي عرض الحائط بدعوى التقدمية والتمدن لأنهم أذناب لجهات شتى، وعملاء لأعداء الإسلام فأي خير فيهم وقد تجردوا من قيم وأخلاق ديننا الحنيف.

صدمة وحيرة

طالعت ما كتب الأخ «عادل التل» تحت عنوان «أخطار النزعةالمادية في العالم الإسلامي» فأصابتني صدمة وحيرة؟!

أما الصدمة: فكان سببها تلك الأفكار التي نقلها الأخ عادل التل عن جودت سعيد، فمما لا شك فيه أن هذه الأفكار والعبارات ـ التي سُطرت بها ـ تصدم كل مفكر ينتمي إلى أهل السنة والجماعة وتدعه في حالة من العجب: كيف تأتي هذه الأفكار وتصدر تلك العبارات عن رجل مثل «جودت سعيد» يعمل في حقل الدعوة الإسلامية ويسعى لحل مشاكل الأمة الإسلامية!!

وأما الحيرة: فكان منشؤها أن بعض الكتاب الإسلاميين من أمثال «الأستاذ محمد العبدة»[1] «والدكتور محمد بن صامل السلمي»[2] وغيرهما قد نقل عن جودت سعيد وعن ذات الكتب التي تناولها الأخ عادل التل بالنقد، كما أن مجلة البيان قد نشرت مقالات[3] لبعض الأخوة وبها استدلالات بآراء جودت سعيد!!

لقد دفعني ذلك إلى الحيرة، وألجأتني الحيرة إلى تفكير طويل لعلي أجد لهذا الأمر تفسيراً، وأَصِلُ من هذه الحيرة إلى مخرج؟! وبعد التفكير الطويل لم أجد إلا هذا التفسير الذي أرجو الله عز وجل أن يكون موفقاً:

١- موقف جودت سعيد: أظن والله أعلم أن نشوء الآراء الغريبة في فكره قد حصل لأن «جذور» الرجل الفكرية ليست موصولة بالتربية الفكرية الصافية لأهل السنة والجماعة، بل هي موصولة بخليط من التربية والأفكار الأخرى الغريبة على الفكر السني تُعلي من قيمة العقل إلى حدّ يجاوز حدوده التي رسمها الشرع.

٢- وأما المفكرون والكتاب الذين استدلوا بآراء؛ أو على الأصح ببعض آراء جودت سعيد، فإنهم - في تقديري - قد استدلوا بها لأنهم رأوا فيها

١- مثل كتاب (مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم).

٢- كما في رسالته للدكتوراه بعنوان (منهج كتابة التاريخ الإسلامي).

٣- مثال مقالة (الأفكار أساس التغيير)بقلم محمد بدري.

الحكمة التي هي ضالة المؤمن، ولأنهم حين يتعاملون مع غيرهم لا يأتمنوهم مطلقاً ولا يعصمونهم مطلقاً، بل يسيرون في تعاملهم معهم وِفْقَ قول الله عز وجل ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾، كما أنهم حين ينقلون عن غيرهم يقتدون بسلفهم الصالح الذين قال قائلهم: «لا تنظر إلى من قال، وانظر إلى ما قال»(١). أو كما قال أحدهم تعليقاً على كتاب قد ضمنه منهجه: «الكتاب لا الكاتب»(٢).

أظن هذا الذي ذكرت يزيل بعض آثار صدمتي وصدمة كثير من قراء مجلة البيان.. ويخرجني ويخرج كثيراً منهم من حيرة أوقعتنا فيها تلك المقالات التي كتبها الأخ عادل التل.

أسال الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم إلى ما يحب ويرضى، وأن يعافينا وكل إخواننا مما يصيبنا بصدمة أو حيرة*.

محمد بيومي

تعدد النجاحات

لم تكن الدعوة الإسلامية أشد حاجة لتوحيد الصف والاستفادة من هذا المد الإسلامي مما هي عليه اليوم، فهي بحاجة إلى كل جهد ـ ولو كان قليلاً ـ وإلى كل الطاقات في كل مجال لسد الثغرات، لذا فهي بأمسِّ الحاجة إلى استيعاب تعدد النجاحات التي تصب في مكان واحد وتخدم مسار الدعوة.

متى تختفي ظاهرة الإعاقة في أسلوب الرد لمناقشة أية قضية وتُسْتَبْدَلُ بالتشجيع والمساعدة وتعديل المسار بأسلوب لا يدخل منه الأعداء لتفريق الصف

١- ابن القيم - مدارج السالكين - ص ٣ الصفحة الأخيرة.

٢- سيد قطب - الاخوان وعبد الناصر - أحمد عبد المجيد.

*- ونزيد على ما قال الأخ أن جودت سعيد قد بعد عن المنهج وزاد انحرافاً في كتابه الأخير مثل (إقرأ وربك الأكرم) وما بعده من كتبه. - البيان -

وتشتيت الجهود، وتقدير عامل المصلحة والمفسدة ومتى..؟ وأين..؟ وكيف..؟ يكون هذا الرد.

هناك عدة أساليب تستخدمها نوعية من هواة رصد الأخطاء، بها يستطيعون تخطئة أي عامل في حقل الدعوة... وهم بها يحسمون القضية حتى لا يدعون للآخر أية فرصة للمناقشة، وكأن وجهة نظرهم هي الحق حتماً وما عداه باطل، وإن كانت هذه الأساليب تستخدم عن حسن نية غالباً، إلا أنها تنشأ ممن لديهم خلل في جانب تجعل النقاش معهم متعذراً.

قد يستخدم أحدهم حجة صحيحة، ودليلاً صحيحاً، وكلاماً عاماً لا أحد يخالفه عليه، لكنك تجده يركز عليه تركيزاً يوحي للمتابع أن الطرف الآخر لا يوافقه عليه ـ مع أنهم متفقون عليها ـ فيأتي بالنصوص وأقوال السلف وعموميات تبعده عن الفكرة التي اختلف الرأي حولها، وخطورة الدندنة في هذا الأمر مع خصومه الذين يوافقونه في المنهج تصبح وكأنها تهمة بطريقة إيحائية تجعله بعيداً عن منهج السلف، خاصة إذا لم يجد مع خصمه أمراً واضحاً لاتهامه بها.

أحياناً نجد الاختلاف في وجهة النظر في أمر واسع لا يتعدى كونه مستحباً، لكنك تجد عند بعضهم الحماس لهذه الأمور حتى أنه يوالي ويعادي من أجلها، فمثلاً عند الاختلاف حول أساليب الدعوة نجد أن هناك من يريد أن يحجر على من يخالفونه في الرأي ـ وإن كان لا يطلب ذلك مباشرة ـ حتى في طريقة عرضهم للقضايا في محاضراتهم ودروسهم وكتبهم، مع أنه لا يوجد خطأ شرعي، في مضمون الفكرة التي يريد الوصول إليها أو إقناع المتلقي بها، ومع هذا نجد التُّهم توجه إليهم بطريقة أو بأخرى وهي ناتجة عن ضيق أفق وعُقَدٍ نفسية ممن يخالفه، فإذا لم يجد خطأً في الفكرة أوحى إلى المتابع أنه يخالف منهج السلف ويشابه أهل البدع بطريقة غير موضوعية، وينصّب نفسه حكماً.

إذا كان الردّ على أحد نفع الله به، وصار كثير من الناس يستمع له ويقبل منه قال إن الكثرة لا تدل على صحّة المنهج ثم يستشهد بالأدلة وكلام السلف وهذا الكلام صحيح، لكن هل قلة الأتباع وعدم النجاح في نشر الدعوة دليل على

صحة المنهج..؟! فهم يتعاملون مع هذا حسب الحاجة.

إطلاق تُهم عدم المنهجية عند فلان وفلان ـ أيضاً بطريقة إيحائية ـ خاصّة عند كلامهم مع تفصيلات دقيقة حول أي حدث لتبرير عجزه، فتجده يقلِّل من شأن أية معلومة صغيرة بحجّة أنها لا تفيد المنهجيين في طلب العلم وتدريسه مع أن هذه التفصيلات تعطي رؤيا أوضح، وتصوّر أكثر واقعية لكلّ حدث خاصّة أن الحكم على الشيء فرع من تصوره، ومع هذا فهم يصرون على أن هناك استحالة للجمع بين الاهتمام بالتفاصيل المعقولة للأحداث وبين المنهجية في طلب العلم، والتربية للأمة من خلال الأحداث ينبغي الاهتمام بها وهذا لا يتأثر بالكلام العام دون التعليق والدخول في التفصيلات المعقولة للأحداث والتربية في كل حدث لا يكون أثره إيجابياً إلا إذا جاء في وقته، لأن الجميع يتابعونه، أما إذا مضت السنون على حدث فإنه يفقد قيمته حيث يندر المتابع له بعد هذه المدة، ونحن إذا تأملنا أهمّ الأسباب التي جعلت الأمة تفقد وعيها وهويتها حتى وصلت إلى درجة كبيرة من الانحراف في جميع المجالات، إضافة إلى جعلها لا تستفيد من الأخطاء في كل مجال وكل حدث، نجد أهمها هو الإعلام بجميع أنواعه فهو الذي يوجِّه الأمة إلى ما يريد، ولا يكاد يسلم من هذا إلا أقلّ القليل، فتأثيره شامل لجميع فئات المجتمع ومختلف الأعمار ففي كلّ يوم، بل وفي كل ساعة والأمة تتربى على هذا.

ولو كان هناك استيعاب لتعدد النجاحات وعدم احتقار الجهود ـ لتسير النجاحات بخطوط متوازية مع انطلاقها من قاعدة واحدة لا نقبل الاختلاف فيه ـ لتوفرت الطاقات وتوحدت الأهداف..

فلينزل إلى الساحة من حصر نفسه علمياً داخل الغرف المغلقة، أو في الزوايا والتكايا فلسنا بحاجة إلى متفرجين يجيدون فنَّ التنظير والتعليق على الأخطاء من خلف الأسوار.

عبد العزيز بن محمد الخضر

ماذا تفعل الأم؟

د. محمد محمد القرمه

كثيراً ما يصاب الطفل بحوادث طارئة، وتكون السرعة في علاج هذه الطوارئ هي السبب الأول الذي يُقدرّه الله عز وجل في طريق الشفاء.. وهنا سنبين للأم كيفية التعامل مع الحالات الطارئة على طفلها، ونوضح لها ماذا تفعل في كل منها قبل مراجعة الطبيب.

- **إذا دخلت ذبابة أو بعوضة إلى أذن الطفل.**

تضع قطرات من الزيت داخل الأذن وبذلك تموت الحشرة وتفرزها الأذن بعد إحاطتها بالشمع.

- **إذا أصيب الطفل بدمامل صغير في الأنف.**

لا تعبث به أبداً لاتصال أوردة هذه المنطقة بالمخ وسهولة تسرب الميكروبات إليه عند العبث بالدمل.

● **إذا ابتلع الطفل قطعة نقود أو خرزة.**

يعطى الطفل بعض القطن أو حتى طعامه الطبيعي مع ملاحظة براز الطفل ٣ أيام فإذا مرت الأيام الثلاثة دون خروج الجسم الغريب، فلا بد من عرض الطفل على الطبيب لتصوير جهازه الهضمي بالأشعة ومعرفة مكان الجسم الغريب.

● **إذا دخلت ذرة رمل أو نشارة خشب أو غيرها في عين الطفل**

تغسل العين بكمية كبيرة من الماء لطرد هذا الجسم الغريب، فإذا استمر احمرار العين، فلا بد من مراجعة طبيب العيون.

● **إذا دخل حنجرة الطفل جسم خريب كالحمص أو الخرز.**

سترى الأم أن طفلها بحالة اختناق وأن هناك صفيراً مع التنفس، ويكون دور الأم هو تمييل رأس الطفل وصدره إلى الأمام والأسفل مع الخبط تحت مؤخرة العنق وأعلى الصدر، وسترى أن هذا الشيء الذي يسبب الاختناق قد خرج بإذن الله. أمّا إذا لم يخرج فعليها أن تسرع إلى الطبيب لاستخراجه بالوسائل المناسبة.

● **إذا تناول الطفل مادة سامة.**

ينقل الطفل إلى المستشفى مع ما يدل على نوع المادة أو الدواء الذي تناوله.. ويمكن بوجه عام إعطاء الطفل كوباً من الماء به ٣ ملاعق من ملح الطعام وذلك لدفعه إلى القيء.. ولكن تستثنى من ذلك الحالات التي يشرب فيها الطفل الكيروسين أو البنزين أو المواد الكاوية.. حيث يكون العلاج السريع هو إعطاء الطفل كوباً من اللبن مخلوطاً ببياض البيض.

● **إذا أصيب الطفل بحروق.**

تضع الثلج على مكان الحرق لمدة ١٠ دقائق ثم تدهنه بمرهم ملطف وتعطيه بعض المسكنات حتى يُعرض على الطبيب.

● **إذا أصيب الطفل بتشنجات مصحوبة بفقدان الوعي.**

تفك الأزار والأحزمة ويمدَّد الطفل على بطنه، ورأسه إلى أسفل قليلاً حتى لا يبتلع الطفل لسانه، ويتسبب اللسان في انسداد الحلق.

وإذا كانت التشنجات بسبب ارتفاع درجة الحرارة، فيجب على الأم العمل على تخفيض درجة الحرارة بوضع كمادات باردة على الجبهة والرقبة وإعطاء الطفل «تحاميل» خافض للحرارة.

● **إذا أصيب الطفل بنزيف من الأنف.**

يُجلس الطفل بحيث يميل رأسه إلى الأمام، وتضغط الأم على جانب الأنف لسد فتحته وإعطاء الفرصة لتجلط الدم النازف، مع وضع قطعة من الثلج على جبهة الطفل بضع دقائق.

● **إذا أصيب الطفل بالتهاب حاد في الأذن.**

يُعطى الطفل المسكنات، ولا يُنقط أي دواء في الأذن، مع ضرورة عرض الطفل على الطبيب.

...هذه بعض النصائح الطبية للأم.. وقد حاولنا فيها أن يكون العلاج في حدود قدرتها، وما يمكن أن يحويه بيتها، ونسأل الله لجميع أطفال المسلمين العافية والنجاة من الحوادث.

إصـــدارات

الكتاب: **الإسلام كبديل، ٢٥١ صفحة.**

المؤلف: **مراد هوفمان. المترجم: د. غريب محمد غريب.**

الناشر: مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام ألمانيا، ومجلة النور الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٣-١٩٩٣

موضوع الكتاب: المؤلف هو سفير ألمانيا في المغرب الذي أعلن إسلامه، وكتب عن الإسلام كبديل، استعرض فيه المجتمع الغربي وعوامل الضعف فيه، كما تكلم عن العقيدة الإسلامية مقارنة بالنصرانية، وعن الصوفية، وعن الحرية الاقتصادية، وعن الحكومة الإسلامية، والمؤلف صاحب ثقافة واسعة، ولا يخلو الكتاب من أخطاء نظراً لعدم تعمق المؤلف بالعلوم الإسلامية، واعتماده على الكتب المترجمة أو المؤلفة باللغات الأجنبية.

* * *

الكتاب: **البوسنة والهرسك من الفتح إلى الكارثة، ٢١٢ صفحة.**

المؤلف: **الدكتور محمد حرب.**

الناشر: المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م/

موضوع الكتاب: دارسة عامة لبلاد البوسنة والهرسك منذ الفتح الإسلامي وحتى الوقت الحاضر، والكتاب دراسة أكاديمية موثقة.

* * *

الكتاب: **المسلمون واكتشاف الأميركيتين، ٨٠ صفحة.**

المؤلف: **خالد عزب.**

الناشر:دار الصحوة في القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

الموضوع: دارسة مفصلة لاكتشاف أميركا مع إبراز الدلائل على وجود المسلمين في أميركا قبل وصول كولومبس إليها.

* * *

الأرض الثقافية المحروقة!

جمال سلطان

الثابت في ساحة الفكر والثقافة العربية الحالية؛ أن ثقافة الاغتراب والعلمنة والتبعية، آلت إلى المحاق الأخير، وأوشكت آثارها على الاندراس نهائياً من ديار الإسلام، فقد سقطت الماركسية في أعلى نماذجها، بل إن موجة «الاشتراكية» ذاتها تُمَنَّى بانتكاسات خطيرة على امتداد العالم كله، شرقية وغربية، كما أن العلمانية الغربية ودعاوى التقدم والإخاء الإنساني والحضارة الإنسانية الواحدة، والعقلانية وعصر النور، كل هذه الدعاوى الغربية قد سقطت تماماً على أرض الواقع، وتم تكفينها ودفنها من تراب البوسنة والهرسك، حتى ارتفعت أصوات بعض المثقفين الغربيين بالصراخ ولطم الخدود، وشق الجيوب على هذا الانحدار المزري الذي آلت إليه حضارة أوربا وإنسانيتها، أمام ما يحدث بين جنباتها أو تحت سمعها وبصرها وبصنع أيديها.

اليسار العربي ـ بفصائله ـ والعلمانية العربية على اختلاف ألوانها ومذاهبها، ترى ذلك وتتيقن منه، وتعلم يقيناً أن فكرها ومذاهبها ومناهجها وأحزابها، ليس إلا زبالة ستؤول إلى مقابر التاريخ! كما أنها توقن أن «الدين الإسلامي» هو دين الأمس واليوم والغد، في ديار العرب والإسلام، وهل تخطيء العين شمس الواقع ونهاره إلا عن رمد أو عمى؟ المهم في القضية هو: أن ثقافة الاغتراب وثقافة الماركسيين العرب، تأبى لجماهير الأمة أن تختار طريقها، وتخط مستقبلها، وتبني مشروعها الثقافي والحضاري، بحرية وهدوء، وترقى إلى تدمير كل شيء، أي شيء من ثقافة الأمة، ودين الأمة، ومعالم حضارتها وسكب الوحل على تاريخها كله، ولا تزال فلول المخربين المتنفذة في بعض مراكز التوجيه والقرار ـ في عدد من البلدان العربية ـ تحاول إحراق أرضنا الثقافية قبيل إعلان النصر الإسلامي الحضاري نهائياً على أعداء الإسلام، ولا زالت الفلول تغذي نيران الفتنة، طائفية أو سياسية، في عدد من ديار العرب، بغية تدمير ما يمكن تدميره من بناء الأمة النفسي والاجتماعي.

هذه الهجمة الموتورة، هي ـ بلا شك ـ إرهاصات النصر وإشارات المنتهى، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

البيان

العدد السادس والستون
صفر ١٤١٤ هـ
أغسطس ١٩٩٣ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لندن

رئيس التحرير

محمد العبدة

العنوان

AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR U.K.

Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 371 5307

كلمة صغيرة

سلك الأعداء كافة السبل للنيل من شأن الإسلام والمسلمين، واستخدموا العديد من الأقنعة لإخفاء صورهم القبيحة، فتستروا بستائر (العلمانية) إخفاء لما في السرائر من الأحقاد والضغائن، ورغم التمويه فقد انكشفت الحقائق عن سوء الطوية، والتخطيط لاستلاب هوية الأمة، ووضع مقدراتها بين أيدي أعدائها، وأصبحت (العلمانية) حديث الساعة، فجاءت الكتابات ـ وبعضها لم ينشر في هذا العدد ـ حول هذا الموضوع دون اتفاق أو تخطيط مسبق وكأنه مطابق لما جاء في الحديث: «الأرواح جنود مجندة».

إنه لأمر غريب جداً ومستنكر ولكن هذا هو الواقع المر.

المحرر

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المسلمون والعالم ــــــــــــــــــــ ٦٢

ما قدروا الله حق قدره

جاء الإسلام والعرب من أشد الأمم استعداداً لقبوله، وهم ـ في الوقت نفسه ـ من أشد الأمم تفرقاً، فجمعهم رسول الله ﷺ على الهدى، وأنقذ الله بهم أمماً من الكفر والضلال عندما حملوا الرسالة وتمسكوا بها، ثم كان ما كان من التراجع عن هذا المركز الخطير، حتى صاروا من أضعف الأمم، ولكن الجذوة ما تزال باقية تحتاج من يوقدها، والراية تنتظر من يرفعها، ولا شك أن الغرب يعي ويعلم أهمية المنطقة العربية، وأنها مَهْدُ الإسلام ومادته، وهي منه بمثابة قطب الرحى، ولذلك كان التركيز لإبعاد المنطقة وأهلها عن الإسلام، وتشجيع التيارات العلمانية والإلحادية، والمساعدة على الانقلابات العسكرية التي أكلت الأخضر واليابس، وتسخير الأقليات التي تخدم الغرب خدمة تفوق توقعاته أحياناً.

قامت الدولة الإقليمية العلمانية بالمهمة نفسها، فأبعدت الدين عن مواقع التأثير، وخرّبت مرافق العلم والاقتصاد والبنية الاجتماعية، وتجرأت التيارات

العلمانية فجهرت بأفكارها وآرائها بكل وضوح وصراحة متحدية شعور الأمة، وطاعنة بأعز ما تملك هذه الشعوب وهو الإسلام، وظهرت على الساحة فلول العلمانيين من بقايا الشيوعيين، أو الأحزاب الغابرة والإلحادية الذين ارتكسوا في الضلال واستمرأوا التبعية والذل لكل متسلط من الشرق أو الغرب. وقامت بدعم هذه الفئة فئات مستهترة، تعرف وتحرف، وتعلم وتنكر، أصحاب أهواء وأتباع مناصب ومال, أعمتهم الشهوات، وأضلهم طول الأمل، وهم في غمرة ساهون. وهناك فريق ثالث قوامه أفراد متحيرون، متهوكون، جاهلون بأمر الله، لا يعادون الإسلام ولكنهم يظنون أنه صلاة وصيام، وأما شؤون الحياة الأخرى فتنظمها القوانين الوضعية والتراتيب الإدراية، فهؤلاء يجهلون عظمة هذا الدين ومنهجه في إصلاح البشر، و﴿**ما قدروا الله حق قدره**﴾ [الحج ٧٤] إذ ظنوا أنه يخلق الخلق ثم يتركهم هملاً، فلا ينزل عليهم كتاباً فيه حياتهم وسعادتهم، وتشريعاً يجب أن يطبق في الأرض، وإن لم يفعلوا فهو الشرك، قال تعالى: ﴿**ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه، وإنه لفسق، وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون**﴾ [الأنعام ١٢١].

تقف هذه الفئة موقفاً سلبياً تجاه الأحداث التي تعصف بهذا الدين، وتلحق الضرر بالدعاة والدعوة الإسلامية، وتصدق هذه الفئة ما يُروج من دعايات تُصور بأن المعركة مع (الأصولية والإرهاب) وليست مع الإسلام.

إن هذه الفئة وأمثالها بحاجة ماسة إلى من يوضح معالم الطريق الصحيح، ويصدع بالحق دون وَجَلٍ، حتى تكون الصورة جلية مكشوفة لا عوج فيها ولا تمويه ولا تضليل، وحتى تكون على بينة من أمرها، وتكون

عوناً للمسلمين على أعدائهم، وعدم الاكتفاء بالمواقف المحايدة فالله هو الخالق الآمر ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ [الأعراف ٥٤] ولا يكون الناس عبيد سوء يأكلون من رزقه ويطيعون غيره، فالإسلام جاء لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله.

إن الاعتراف بربوبيته سبحانه يستلزم العبودية له، والخضوع لشرعه ﴿**أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده، ومن يرزقكم من السماء والأرض، أإله مع الله، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾ [النمل ٦٤]، ﴿**الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء، سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾ [الشعراء ٤٠].

ماذا يظن هؤلاء بآيات تحريم الربا (سورة البقرة) وآيات تشريع العلاقات الأسرية (البقرة، النور، الأحزاب) وآيات الميراث (النساء) وآيات الحكم بما أنزل الله (المائدة، الأنعام، النساء) وآيات الشورى (الشورى، آل عمران) وغير ذلك من الآيات الكثيرة الموجودة في القرآن العظيم، مما يتعلق بشؤون الناس في الدنيا؟ هل يظنون أنها للتلاوة والتبرك بها فقط؟ وكذلك أحاديث الرسول ﷺ الكثيرة التي تفصل أحكام معاملات المسلم في شؤونه اليومية، وما قيده علماء المسلمين في الموسوعات الفقهية التي تضم أدق التفاصيل في المعاملات والحكم. كل هذا جاء ليطبق في الأرض، ولا يطبق إلا بحاكم ودولة، وإلا فمن الذي يطبق قوله تعالى: ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا..**﴾ [المائدة ٣٨]، ﴿**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون**﴾ [البقرة ١٧١]، ﴿**فاحكم بينهم بما أنزل الله..**﴾ [المائدة ٤٨].

إن الذين يقولون: إن هذه الآيات لا تصلح لهذا العصر ـ مع أن البشر هم البشر، والأرض هي الأرض ـ فإن طرحهم هذا هو الخروج من ربقة الإسلام والتفصي عن منهجه، وهذا الذي جعل المنطقة العربية والإسلامية تعيش النكد والغصص في العيش، والذل والهوان أمام الغرب والشرق. ففي ظل الدولة العلمانية الإقليمية، هاجرت أكثر العقول العربية المسلمة المتعلمة تعليماً عالياً إلى أوربا وأميركا وعملت هناك، واستفاد منهم الغرب علمياً وتقنياً ثم عاد يضرب المسلمين بعلمه وصناعته المتفوقة فكنا كمن يخربون بيوتهم بأيديهم، وفي ظل الدولة الإقليمية قضي على العلم والجامعات، وأممت المساجد فأصبح الإمام كما قال أحد المفكرين (شاويش صلاة)، وفقدت الأمة روح المقاومة والاستقلالية، وتم استيراد كل شيء من الغرب والشرق، وعندما نتأمل ما نأكله ونلبسه ونستعمله في الإدراة، والتجارة والزراعة نجد أكثره ليس من صنعنا.

لقد طالت آثار هذا الضعف والهوان كل شيء بدءاً من فلسطين حيث يضرب الأب في غزة أمام أولاده لتحطيم الأسرة في عزتها وكرامتها، مروراً بالبوسنة والهرسك حيث كارثة قتل واقتلاع شعب بكامله من أراضيه، ومرت هذه الكارثة ولم تستطع دول العالم الإسلامي إيقافها، وبتنا نراقب المؤامرة الغربية الدنيئة دون أن نستطيع الحراك، وما أظن أحداً يتجرأ على دولة في أميركا اللاتينية، أو شرق آسيا كما يتجرأ الأعداء على العرب والمسلمين في هذه الأيام.

وصلت آثار هذا الذل إلى العرب والمسلمين المقيمين في الغرب فارين بدينهم، أو يعملون لكسب قُوتهم. فعندما تأججت نار العنصرية الأوربية

وجد المسلمون أنفسهم بين المطرقة والسندان، فلا دولهم تدافع عنهم، ولا الدول الغربية قلمت أظفار الأحزاب العنصرية عندها، فأحرقت أسر بكاملها، ودمرت بيوت وبدأ التحرش بالمسلمين وإهانتهم بشكل سافر في فرنسا وألمانيا، وبشكل مستور في بقية أنحاء العالم الجديد!!

ترى هل يتنبه الذين يقفون موقفاً سلبياً من الأحداث الجسيمة التي تلف العالم الإسلامي، فيدركون خطورة مواقفهم؟ هل يفهمون أن حماية الإسلام ونصرته ليست موقوفة على فئة معينة دون فئات كثيرة، ولا على قلة من الدعاة والعلماء، بل هو واجب مشترك لكافة المسلمين؟

إن ما يفعله العلمانيون أو يريدون فعله، إن هو إلا تجريد للأمة من هويتها وسلخها عن حضارتها، بل عن روحها وحياتها.

ماذا نسمي هذا الفعل، ألا يعني ذلك تسليم القلعة وما فيها إلى الأعداء البغضاء؟

ما زال في الوقت متسع لمن يود العودة إلى رشده، وما زالت الفرصة متاحة أمام من عقد العزم على النهوض من نومه العميق. وماز الت نيران أحقاد العدو تستعر في قلب العالم الإسلامي وأطرافه ولكن إطفاءها ليس مستحيلاً على من تمسك بحبل الله المتين وصراطه المستقيم.

رئيـــس التحريـــر

حتى نستفيد من خطبة الجمعة (٢)

محمد بن عبد الله الدويش

تحدث الكاتب في العدد الماضي عن أهمية خطبة الجمعة واختيار الموضوع المناسب وفي هذا العدد يُكمل الحديث عن هذا الموضوع المهم.

ثالثاً: الأسلوب

١- حسن الأسلوب وجودته فالألفاظ قوالب المعاني.

٢- وحسن الأسلوب وجودته لا يعني أن يتكلف الخطيب فيقع فيما نُهي عنه ﴿**قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين**﴾ [ص ٨٦]. وأخبر ﷺ أن التكلف، والتفاصح صفة مذمومة يبغضها الله عز وجل فقال: «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها»[١]. وقال أيضاً: «هلك المتنطعون»[٢] قال ابن الأثير: التنطع في الكلام: التعمق فيه والتفاصح[٣]. ومن ذلك قول أحدهم: «لقد فاحت رائحة الشمس، فعطرت

١- رواه أحمد وأبو داود (٥٠٠٥)، والترمذي (٢٨٥٧).

٢- رواه مسلم (٢٦٧٠) وأبود داود (٤٦٠٨).

٣- جامع الأصول (١١/٧٣٣).

وجنات القلوب، وتركت قطرات الندى الإيماني الأبيض على شفاه الخفقات الدافئة في الصدور».

٣- الاعتماد على الحجج العلمية المنطقية، وعدم إلقاء النتائج مباشرة. فإن الخطيب لم يعد المتعلم الوحيد ولا فريد عصره، أو نسيج دهره.

٤- تجنب النقد اللاذع والعبارات الجارحة، والتركيز على الأخطاء، والحكمة في معالجة الخطأ.

٥- الاعتدال وعدم المبالغة. خَطَبَ أحد الخطباء عن الفتيات وخروجهن ليلاً، وطالب الآباء أن يقوم أحدهم منتصف الليل ليتأكد من وجود ابنته على سريرها؛ فخرج المصلون وهم يمقتون مثل هذه المبالغة. ونموذج آخر ذكره الشيخ عبد اللطيف السبكي في مجلة الأزهر[1] وذلك أن خطيباً خطب في جامع الأزهر عن حديث «واتبع السيئة الحسنة تمحها» فهَوَّن أمر المعصية، وأن الله فطر الناس عليها وقال بالحرف الواحد: «إن الله لم يقل للناس لا تسيئوا، ولكن قال إذا أسأتم فاستغفروا». إنه لا يسوغ أن تمتلك الخطيب عاطفته الجياشة فيتحدث بمبالغة دون اعتدال أو إنصاف؛ بل إن المبالغة تؤدي إلى نتائج معاكسة.

رابعاً: الأداء

١- الصوت: فينبغي العناية بوضوح الصوت والتأكد من الأجهزة التي تنقل الصوت، إضافة إلى التحكم في صوته هو، ورفعه وخفضه في المكان المناسب، وأن يعتني بسلامة إخراج الحروف.

٢- تصوير المعاني بالنطق، ففي حالة الاستفهام ينتظر الجواب، وهكذا في حالة التعجب.

٣- حسن الوقوف، فيراعي المعاني وتمامها عند وقوفه.

١- صفر ١٣٧٧هـ.

٤- الحماسة، والعاطفة الحية التي يشعر المصلي من خلالها أن الخطيب يحمل الفكرة في عروقه ودمائه، وليست مجرد كلمات هامدة، وقد كان ﷺ إذا خطب علا صوته، واحمر وجهه كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم.

٥- رباطة الجأش، والتعود على ذلك.

٦- سلامة اللغة وعدم اللحن، وقد كان السلف يعتنون باللغة وسلامتها، وكان اللحن مما يعاب به على المرء فضلاً عن طالب العلم، وليس ثمة ما يعيب الخطيب، أو ينقص من قدره، أن يدرس مبادئ النحو، أو يبحث عمن يقرأ عليه فيصحح قراءته. قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «تعلموا الفرائض واللحن ـ اللغة والنحو ـ فإنه من دينكم». ويمكن أن يلجأ إلى حل مرحلي بأن يشكل الكلمات التي يرى أنه عرضة لأن يخطئ بها.

خامساً: بين الارتجال والخطبة من ورقة:

أولاً: نود الإشارة إلى أن هنالك فرقاً بين الارتجال في المصطلح المعاصر، وعند العرب، فهو لدى العرب الخطبة من غير إعداد واستعداد، ولم يكونوا يعرفون الخطبة من الورقة أصلاً؛ أما في المصطلح المعاصر فيقصد به الخطبة دون ورقة، ولو أعد الخطيب لتلك الخطبة.

فالارتجال بمعناه عند العرب لا ينبغي أن يسلكه الخطيب فيصعد المنبر، ويفكر في موضوع الخطبة أثناء الآذان، أو يفكر وهو في الطريق إلى المسجد، ومهما علت مكانة الخطيب، واتسع علمه، فلا يستغني عن الإعداد والتحضير المسبق، لكن ما يكثر عنه السؤال، ويدور حوله النقاش، أيهما أولى: أن يخطب الخطيب من ورقة، أو من دون ورقة مع التحضير والإعداد المسبق.

والموضوع يحتاج لتفصيل تضيق عنه هذه المقالة لكننا نسجل بعض الملحوظات:

١- الناس يختلفون ويتفاوتون في ذلك.

أ- فبعضهم يحتاج للورقة لتضبط ألفاظه، فلا يشطح، ويقول ما يُحسب عليه، أو تضبط له موضوعه فلا يتشتت به الحديث يمنة ويسرى، وينسى موضوعه، أو يضبط له وقته فلا يطيل على الناس.

ب- والبعض يحتاج لرؤوس الأقلام، والنصوص.

ج- والبعض لا يحتاج لذلك، ويستطيع أن يستوعب موضوعه، ويضبط ألفاظه، ووقته. فإذا كان كذلك فهذا أدعى للتأثير على الجمهور وجلب انتباههم.

٢- من لا يجيد الارتجال يستطيع التعود، بالتدرج؛ وأفصح الناس قد ولدته أمه وهو لا يجيد النطق بحرف واحد.

٣- ليس بالضرورة أن يجعل الخطيب الخطبة دون ورقة هدفاً له، فقد يخطب من خلالها، ويفيد الناس، ويحقق المقصود.

سادساً: بين الإيجاز والتطويل:

الإيجاز هو السنة. روى مسلم في صحيحه عن أبي وائل قال خطبنا عمار فأوجز وأبلغ، فلما نزل، قلنا يا أبا اليقظان لقد أبلغت وأوجزت فلو كنت تنفست، فقال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مَئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة وإن من البيان سحرا».

وعن جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنت أصلي مع رسول الله ﷺ فكانت صلاته قصداً، وخطبته قصداً».

وقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ليزيد بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ حين أمّره على جيش إلى الشام: «وإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً».

وها نحن نرى في عصرنا من يطيل الخطبة حتى يُملَّ الناس. ذكر اللواء محمود شيت خطاب أنه صلى مع خطيب في القاهرة استمرت خطبته ساعة وعشر دقائق، مع اللحن والخطأ في الآيات، والأحاديث، والشعر[1].

الإيجاز والتطويل نسبي وقد يتطلب الموضوع أحياناً قدراً من الإطالة، أو طبيعة المستمعين. أو من الخطيب؛ كأن يفد غريب وهو ممن يحب الناس سماع كلامه؛ فمثل هذه المواقف قد تسوغ فيها الإطالة ويبقى بعد ذلك الإيجاز هو الأصل، فالإيجاز يزيد مسؤولية الخطيب؛ إذ سيحتاج لعرض جملة من الحقائق والمعلومات في وقت يسير. وليس صحيحاً أن التحضير يتناسب طردياً مع وقت الخطبة.

سابعاً: أمور لابد من اجتنابها:

١- التركيز على سلبيات المصلين، والحديث عن أخطائهم، أو استعمال ضمير المخاطب كثيراً، وهذا مثل الطبيب الذي يحدث المريض عن مرضه ويبالغ في وصفه وخطورته؛ إن التركيز على مثل هذا الأسلوب من شأنه أن يحطِّم كل جوانب الأمل لدى المصلي، مما يجعله يشعر أنه لا يمثل إلا مجموعة من الأخطاء والعيوب، ومع كثرة النقد وبيان الأخطاء يتلبد إحساسه؛ فيشعر أن الخطأ أمر طبيعي لا يمكن أن يفارقه. أو أن يشعر أن هذا الخطيب لا ينظر إلا بعين واحدة، فينصرف عن سماع ما يقول.

إن الخطيب الناجح يستطيع أن يحقق المقصود، ويعالج الخطأ دون حاجة للانتقاد المباشر للناس، فحين يتحدث عن إهمال الناس لصلاة الجماعة مثلاً؛ بإمكانه بدلاً من النقد اللاذع أن يتحدث عن أهميتها، وفضلها، ويسوق الأدلة الشرعية على ذلك؛ ثم يُثَنِّيْ بعناية السلف بها، ومحافظتهم عليها، وذمهم من يتخلف عنها؛ وبعد ذلك يقف عند هذا الحد، واللبيب يفهم

١- مجلة لواء الإسلام (شوال ١٣٩٦هـ).

الإشارة، وفي التلميح ما يغني عن التصريح، وهذا لا يعني بالضرورة عدم الحديث عن الخطأ أو مجاملة الناس، لكن هذا شيء، وما نفعله أحيانا شيء آخر.

٢- وصف الأخطاء والتحذير منها دون العمق في تحليل أسبابها، والتفتيش عن مكمن الضعف. فقد أصبح الشعور بالخطأ مشتركاً لدى الأغلب، لكنهم ينتظرون برنامجاً عملياً، وخطوات واقعية. ومن ذلك الحديث المجرد عن الموت والقبر دون ربط ذلك بالواقع. ويشير ابن القيم رحمه الله إلى شيء من ذلك، فيقول: «وكذلك كانت خطبته ، إنما هي تقرير لأصول الإيمان، من الإيمان بالله، وملائكته وكتبه، ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيماناً وتوحيداً، ومعرفة بالله وأيامه، لا كخطب غيره التي إنما تفيد أمراً مشتركاً بين الخلائق، وهي النوح على الحياة، والتخويف بالموت، فإن هذا أمر لا يحصل في القلب إيماناً بالله، ولا توحيداً له، ولا معرفة خاصة به، ولا تذكيراً بأيامه، ولا بعثاً للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة؛ غير أنهم يموتون، وتقسم أموالهم، ويبلي التراب أجسامهم، فليت شعري أي إيمان حصل بهذا؟ وأي توحيد وعلم نافع حصل به؟!»[١].

٣- النقد الشخصي والتصريح بالأسماء، فهذا خلاف هدي النبي ﷺ الذي كان كثيراً ما كان يقول: «ما بال أقوام يفعلون كذك وكذا». أو الغلو والإيغال في التعمية، فالمنكرات الظاهرة العامة يجب أن تنكر صراحة.

٤- مدح من لا يستحق المدح، والثناء عليه، كما في بعض المواقف والمشاريع التي يدرك الجميع أنها غير صادقة، وغير جادة، أو كانت جادة؛

١- زاد المعاد (١/٤٢٣).

لكن الخطيب لا يستطع أن يقول كل شيء، فلا يستطيع الانتقاد وبيان الخطأ، فلا يسوغ له الاقتصار على الثناء؛ لأنه يتضمن التزكية عند الناس، أما ما يقوله البعض من أن هذا شهادة للمحسن بإحسانه؛ فهذا مطلوب لكن حين يستطيع أن يشهد بالإساءة والإحسان، أما حين تكون الشهادة بالإحسان وسيلة لطمس الحقائق؛ والتلبيس على الناس، فهذا أمر مرفوض.

٥- تأثر الخطيب بعمله الوظيفي. فحين يكون مدرساً يتحدث كثيراً عن الإجازات، والامتحان، وبدء العام، وهكذا مَنْ يعمل في ميدان الاحتساب ترى معظم خطبه تدور حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن المنكرات المتفشية في المجتمعات، وهذه أمور مطلوبة؛ لكن هذا شيء وكونها سمة غالبة على الخطيب شيء آخر.

ثامناً: مقترحات للخطيب:

لعلنا نقترح هاهنا بعض المقترحات للخطيب على أمل أن تساهم في إفادته، ورفع مستوى خطبته:

١- اللقاء بالخطباء في الحي، والتنسيق معهم، والاستفادة المشتركة من المعلومات، ووجهات النظر، مما يختصر عليهم كثيراً من الوقت.

٢- وضع صندوق للمقترحات؛ يشمل موضوعات للخطبة، وانتقادات، ومعلومات عن ظاهرة معينة، ليكون هذا الصندوق حلقة وصل بين الخطيب والمصلين، وقناة للتفاهم بينهم.

٣- اللقاء ببعض فئات المجتمع كالمدرسين، والطلاب، والعمال، والأطباء، والقضاة، والعسكريين، فيستفيد من إطلاعهم على جوانب في المجتمع قد لا يطلع عليها، ومن التعرف على مشاكلهم، والتي تمثل عينة من مشكلات يعاني منها الكثير من زملائهم، إلى غير ذلك مما يفتح للخطيب قنوات أكثر مع المجتمع.

٤- الاستفادة من بعض المصلين، فقد يصلي مع الخطيب أحد طلبة العلم، أو المثقفين، أو ممن يمكن أن يستفيد منه، انتقاداً، واقتراحاً، ومعلومات؛ إلى غير ذلك.

٥- وضع «أرشيف» شخصي، ينظم له معلوماته، ويمكن أن ينسق مع غيره من الخطباء لتبادل الخبرة، والمعلومات.

٦- الخطيب هو الرجل الوحيد الذي لا يسمع خطبة الجمعة، ولعله حين يحرص على سماع الأشرطة المسجلة لمشاهير الخطباء يستفيد كثيراً.

٧- القراءة في الكتب المؤلفة في الخطابة وفنها.

٨- الترجمة للخطبة إذا كان في المسجد جاليات أعجمية.

تاسعاً: هل سألت نفسك هذا السؤال؟

ماذا حققت من خلال الخطابة خلال مدة اعتلائك المنبر. هل صححت أخطاء تربوية؟ هل قمت بحل مشاكل اجتماعية؟ هل ساهمت في تعليم الناس أصول العقيدة، والأحكام التي يحتاجونها في حياتهم؟

إن هذا السؤال لا يعني فشلك، أو اتهامك بالتقصير. لكنه سؤال يجب أن تطرحه على نفسك باستمرار مدى قيامك بهذه الأمانة، ورعايتها.

* * *

دعوة إبراهيم عليه السلام

محمد الخضيري

إن الدعوة إلى الله تعالى طريق الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم كما قال تعالى: ﴿**قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين**﴾.

وكان مما اعتنى به القرآن الكريم ذكر قصص دعوات الأنبياء، وتصويرها بأبلغ أسلوب، وعرضها بأدق عبارة، حتى أصبحت أخبارهم في القرآن نماذج حيّة يحتذيها الدعاة ويقتبسون من نورها، ويهتدون بهداها ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾. وقد اخترنا دراسة موضوع الدعوة إلى الله من خلال قصة إمام الحنفاء وأبي الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ ولم يكن اختياري لهذه الدعوة جزافاً بل لأسباب أوجزها فيما يلي:

أولاً: أنها دعوة خليل الرحمن، ومؤسس الحنيفية، وأحد أولي العزم الخمسة من الرسل.

ثانياً: أن رسولنا محمداً ﷺ قد أمر باتباع ملته ﴿**ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين**﴾.

ثالثاً: تلك الصفات العظيمة التي تحلى بها إبراهيم حتى قال الله تعالى فيه ﴿..**وإبراهيم الذي وفى**﴾ فكانت نبراساً يقتفى أثره فيها الدعاة إلى الله.

رابعاً: استغراق القرآن واستقصاؤه لأساليب إبراهيم المتنوعة في عرض دعوته على قومه، حتى إنه ليعز على الباحث أن يجد لنبي من الأنبياء خلا نبينا ﷺ مثلما يجد لهذه الأيام من الطرائق والسبل في إقناع المدعوين وترويضهم على قبول الدعوة. ولا غرو فقد سنَّ للناس من بعده من الدعوة أساليب لم تعهد لأحد من قبله ولم تقف عند حد الكلمة بل تخطتها إلى الحركة والفعل.

خامساً: رسمت هذه الدعوة للدعاة منهاجاً في الصبر يحق لهم أن يقتدوا به، فقد صبر إبراهيم عليه السلام في أحوال مختلفة وظروف متباينة وأعمال متنوعة كالصبر على جفاء الأبوة، وعدوان العشيرة، وهجران الأرض، والفتنة بالنار، والأمر بذبح الولد، وغير ذلك.

وسنعرض الموضوع من خلال نماذج من صفات إبراهيم عليه السلام الدعوية وأساليبه في نشر دعوته.

نماذج من صفات إبراهيم الدعوية

لن يتسع المقام لحصر تلك الصفات التي اتسم بها إبراهيم عليه السلام فلقد وصفه ربه بأنه وفّى جميع مقامات العبد مع ربه ولذلك سنقتصر على جملة من الصفات ونخص بالذكر منها ما له صلة ظاهرة بدعوته، وله أثر ظاهر في الاهتداء والاقتداء به.

١ - أمة:

قال تعالى: ﴿**إن إبراهيم كان أمة..**﴾ وهذه الكلمة تأتي لعدة معان، منها الجماعة ﴿**كان الناس أمة واحدة**﴾، ومنها الزمان والحين ﴿**وادكر بعد أمة**﴾ ومنها: الرجل الجامع لخصال الخير حتى يقوم مقام أمة من الناس، وهذا هو المقصود في حق إبراهيم، وهذه تدلنا على عظيم ما كان يتصف به إبراهيم من عبادة ودعوة وخلق حري بأن يحتذي به الدعاة في حياتهم وتزكية أنفسهم،

واجتهاد أحدهم في تقويم أخلاقه والنشاط في دعوته ليقوم مقام أمة في ذلك.وقيل أن المقصود بالأمة هنا: أي الإمام، أي قدوة يقتدى به في الخير، وممن قال به ابن جرير الطبري وابن كثير.

٢- قانت:

قال تعالى: ﴿**إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً**﴾ والقنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع، وكذا يجب أن يكون الداعية ملازماً لطاعة الله على كل حال، فلا يكون كالمنبّت يجتهد حتى تكلّ راحلته، ثم ينقطع، بل يلازم ويستقيم.

٣- حنيفاً:

والحَنَف: الميل عن الضلال إلى الاستقامة، والحنيفُ: المائل والجنف: ضده، والأحنف: مَنْ في رجله ميل سمي بذلك تفاؤلاً، وقيل لمجرد الميل.

قال ابن كثير: الحنيف: المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد. وقد كان ذلك من إبراهيم حتى عُدَّ إمام الحنفاء الموحدين، قال تعالى: ﴿**ولم يك من المشركين**﴾، وقال: ﴿**وما كان من المشركين**﴾، وهكذا فليكن أولياء الله.

٤- شاكر:

قال تعالى: ﴿**شاكراً لأنعمه**﴾ أي قائماً بشكر نعم الله عليه (وأصل الشكر) ظهور أثر الغذاء في أبدان الحيوان ظهوراً بيناً. يقال: شكرت الدابة: أي سمنت وظهر عليها العلف، وكذلك حقيقته في العبودية: وهذا ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافاً، وعلى قلبه: شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه: انقياداً وطاعة. والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه، وأن لا يستعملها فيما يكره[1]، وقد كان ذلك من إبراهيم عليه السلام.

٥- الحلم

قال تعالى: ﴿**إن إبراهيم لحليم أوّاه منيب**﴾.

١- انظر مدارج السالكين.

والحلم: ضبط النفس والطبع عن الهيجان عند الاستثارة. والحليم: الكثير الحلم وموقف إبراهيم من مقالة أبيه ﴿**لأرجمنك**﴾ ومن العتاة قوم لوط حينما مرت به الملائكة وأخبرته بما أمرت بها قال: ﴿**فلما ذهب عن أبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط، إن إبراهيم لحليم أواه منيب**﴾، ولم يكن حلم إبراهيم ذريعة يتذرع للسكوت عن المنكر بل كان يعلن الحق وينكر الباطل ﴿**وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين**﴾.

٦- أوّاه:

قال الراغب الأصفهاني: «الذي يكثر التأوه وهو أن يقول: أوّه وكل كلام يدل على حزن يقال له التأوّه، ويعبر بالأوّاه، عمن يظهر خشية الله تعالى»*، والذي يتحقق من معنى الأوّاه أنه الخاشع الدعّاء المتضرع، وكثرة تأوّه إبراهيم وتضرعه بين يدي ربه قد ذكرت في آيات كثيرة تدل على تحقيق إبراهيم ﴿**ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا وإليك المصير**﴾ وجدير بمن سلك طريق الدعوة أن يجعل تعجيل الإنابة من أبرز سماته ليكسب عون ربه وتسديده ومحبته.

٧- السخاء:

قال تعالى: ﴿**هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً، قال: سلام قوم منكرون، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين، فقربه إليهم قال: ألا تأكلون**﴾ فذكر أن الضيف مكرمون لإكرام إبراهيم لهم، ولم يذكر استئذانهم ليدل على أنه قد عرف بإكرام الضيفان، مع أنهم قوم منكرون لا يعرفهم فقد ذبح لهم عجلاً واستسمنه، ولم يعلمهم بذلك بل راح: أي ذهب خفية حتى لا يُشعر به، تجاوباً لضيافة، فدل على أن ذلك كان معداً عندهم مهيئاً للضيفان، وخدمهم بنفسه، فجاء به ومرّ به إليهم ولم يقربهم إليه،

---

*- وقال السمين الحلبي: «الأواه: الذي يكثر قول: آه آه، والتأوه كل كلام يظهر منه تحزن، وقوله ﴿أواه﴾ [التوبة ١١٤]، قيل: هو المؤمن الداعي، وقيل من يخشى الله تعالى حق خشيته، والأواه: الكثير التأوه خوفاً من الله تعالى»، (عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ص ٣٣/طبعة اسطنبول) - البيان -

وتلطف مبالغة في الإكرام فقال: ﴿**ألا تأكلون**﴾. قال ابن القيم: «فقد جمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب، وما عداها من التكلفات التي هي تَخَلف وتكلف: إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم، وكفى بهذه الآداب شرفاً وفخراً فصلى الله على نبينا وعلى إبراهيم وعلى آلهما وعلى سائر النبيين»[1].

٨- الصبر:

كان إبراهيم مثلاً يحتذى في الصبر حتى استحق أن يكون من أولي العزم الذين أمر رسولنا ﷺ أن يصبر كصبرهم ﴿**فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل**﴾. وكان صبر إبراهيم شاملاً لابتلاءات كثيرة، سيأتي بيان جملة منها بإذن الله.

٩- رعايته لأهله:

لم يكن إبراهيم ممن يلتفت إلى الناس بدعوته ويترك أهله، بل بدأ بهم وخصهم بمزيد الرعاية والعناية وقد قال الله لمحمد ﷺ ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ وكذلك كان إبراهيم، فدعا أباه ﴿**يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر**﴾، ووصى أبناءه بالتمسك بالدين ﴿**ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب، يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون..**﴾، وكان يدعو ﴿**واجنبني وبني أن نعبد الأصنام**﴾، ويتضرع بقوله: ﴿**ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**﴾.

١٠- شجاعته:

واجه إبراهيم قومه ولم يخش كيدهم وقال مقسماً: ﴿**وتالله لأكيدن أصنامكم بعد ان تولوا مدبرين**﴾، وقوله لهم: ﴿**أف لكم ولما تعبدون من دون الله..**﴾.

١- التفسير القيم ٤٤٦ .

وكان ذلك لعلم إبراهيم بأن معه القوة التي لا تهزم، وأن ما أصابه لم يكن يخطئه وما أخطأه ليصيبه فرسم للدعاة منهجاً في الشجاعة المنضبطة بضوابط الشرع بلا تهور يحتذونه في مواجهة الباطل من إقرار الحق.

١١- تحقيقه الكامل لعقيدة الولاء والبراء:

قال تعالى عن ﴿**فمن تبعني فإنه مني**﴾، وقال: ﴿**وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين**﴾ فكل عدو لله وإن قربه النسب تجب البراءة منه، وكل ولي لله وإن باعدت به الأوطان والأزمان تجب موالاته ومحبته وقد أمرنا أن نتأسى بإبراهيم في ذلك: ﴿**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه، إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده..**﴾.

١٢- سلامة القلب

قال تعالى: ﴿**وإن من شيعته لإبراهيم، إذ جاء ربه بقلب سليم**﴾ وسلامة القلب نوعان: كلاهما داخل في مضمون الآية، أحدهما: في حق الله وهو سلامة قلبه من الشرك، وإخلاصه العبودية لله، وصدق التوكل عليه. والثاني: في حق المخلوقين بالنصح لهم وإيصال الخير إليهم، وسلامة القلب من الحقد والحسد وسوء الظن والكبر وغير ذلك.

وبعد فهذه جملة مختصرة من الصفات الدعوية لإبراهيم عليه السلام سائلاً الله تعالى أن يوفقنا لاتباع ملته والسير على منهجه وبالله التوفيق.

- يتبع -

أخطار النزعة المادية في العالم الإسلامي
نقد كتابات جودت سعيد
(٤)

عادل التل

مفهوم العقيدة:

لم يتناول جودت موضوع العقيدة في بحث مستقل ولم يحدد مفهومها بناءً على المنهج الإسلامي، وإنما كانت مباحثها متناثرة، وكان له فيها فهم خاص يتلاءم مع أصول المذهب المادي، وقد أظهر في هذا المجال مصطلحات جديدة وغريبة، ولكنها تلتقي مع آراء الفرق الضالة وتبتعد عن منهج السلف الصالح. وقد أظهر هذه الآراء عندما تعرض لتعريف الإيمان وجعله مرتبطاً بالحقائق الخارجية المادية، حيث قال: «والإيمان ليس مجرد إيمان وإنما توحيد، أي الإنسان مرتبطاً بالحقائق الخارجية وتحريره من عالم الأشخاص والصور الذهنية»(١).

وينطلق جودت من مفهوم حسي للغيب حيث يقول: «وهكذا يصبح الغيب علماً، عندما تكون طريقة إيماننا بالقيم السماوية كإيماننا بأي شيء محسوس»(٢). ثم يربط بين الإيمان ونتائج الأسباب في عالم الواقع سلباً وإيجاباً فيقول: «إذا أدركنا معنى ربط الأسباب بالنتائج، وأنها ليست عقلية وإنما مشاهدية، نستطيع أن نربط الإيمان بالنتائج فإذا شاهدنا الإيمان ونتائجه، جعلنا

شروط العلم بكل محتوياته في موضوع الإيمان»[٣].

ثم يجعل للعلم ـ الذي وضع له شروطاً حسية ـ سلطاناً على دين الله حين يقول: «كما بسط العلم سلطانه على الفلك والكيمياء والطب فسيبسط سلطانه أيضاً على الدين»[٤].

ومما لا شك فيه عند المسلمين جميعاً أن العقيدة لا تؤخذ إلا من مصدر واحد هو طريق الوحي، طريق النبوة. قال تعالى: **﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾** [الشورى ٥٤].

لقد قرن جودت مفهوم التوحيد بالوقائع الخارجية المادية، كما أخضعه إلى مرحلية تاريخية عند قوله: «إن العلماء يشكون من أن العلم كَمَلكة في البشر وكمعرفة لكنهه وتعميمه محدود الانتشار بين الناس، كما أن ظهوره بين البشر تاريخياً محدود أيضاً، وحديث النشأة، إن التوحيد في مبدئه ومنتهاه إنما هو إيقاظ ملكة العلم»[٥].

ثم يظهر المفهوم المادي لتوحيد الله عندما يقول: «وتوحيد الله يأمر بالنظر إلى الوقائع الخارجية للاتصال بالحقائق الخارجية وإعطاء معنى أقدس لظاهرة الكون كعملية إبداع»[٦]. ثم يصل جودت سعيد إلى الهدف الأساسي من بحث التوحيد والعلم إلى النتيجة النهائية في تعريف الإيمان: «يصبح العلم في نهاية الأمر هو الإيمان، والإيمان هو العلم والشرك هو الجهل، والجهل هو الشرك»[٧]. وتعتبر هذه التعريفات غريبة على العقيدة الإسلامية، وليس من الصعوبة إيجاد المصادر المستمدة منها، فإن سجل الفرق الكلامية الضالة حافل بمثل هذه الآراء، ومثال ذلك قول الجهم بن صفوان: «الإيمان هو المعرفة، والكفر هو الجهل».

قد بين النبي ﷺ معنى الإيمان بما لا يدع مجالاً للجدل والانحراف وذلك

في حديث جبريل المشهور حين سأل النبي ﷺ عن الإيمان: «قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت»[8]، ولكن جودت سعيد تأثر بالمنهج المادي، حتى لم يعد عنده للغيب اعتبار، وقد قال تعالى: ﴿**الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾ [البقرة ٣].

لقد قاده هذا الفهم إلى أن يجعل للبشر سلطاناً على تصور وجود الروح من خلال كشف السنن فقال: «هذا الوجود السنني هو نوع آخر من مراتب الوجود، وربما يكون مدخلاً لتصور وجود الروح، والله تعالى له الخلق والأمر والروح من أمر الله، ﴿**قل الروح من أمر ربي**﴾ [الإسراء ٨٥]. وأمر الله، وكلمة الله، وسنة الله ألفاظ قد تكون متقاربة في مدلولها، ولكن سنة الله قد توصف بأنها لا تتبدل ولا تتحول»[9].

مصطلحات الاعتقاد:

يسخر جودت من المسلمين حين يعظمون التشكك بالاعتقاد فيقول: «ولكن السلوك هو الكافر (من ترك الصلاة فقد كفر) والمسلمون عكسوا القضية فعظموا التشكيك في الاعتقاد، وتهاونوا بالتقصير بالأعمال»[10]. صحيح أن بعض الفرق تهاونوا بالأعمال ولكن من الخطورة بمكان كبير تعميم هذه القاعدة ومحاولة عكس مفهوم عقيدة أهل السنة والجماعة، للمصطلحات الشرعية (الإيمان، والشرك، والكفر) حيث يعتمد المسلمون في تحديدها على منهج القرآن، قال تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً**﴾ [النساء ٤٨]. ومنهج أهل السنة في هذه المسألة واضح من خلال قولهم المشهور: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله»[11]. والاستحلال أمر اعتقادي قلبي، وقد تَبَنَّى الخوارج هذا المنهج واعتبروا مرتكب الكبيرة ـ المعصية أو السلوك ـ كافراً حتى تجرأ هؤلاء على تكفير الصحابة وتطبيق الأحكام الخاصة بالكافرين في حق

المسلمين. وقد ذكر جودت مذهبي الجبرية والقدرية ولم يذكر الرأي الصحيح وهو ما عليه أهل السنة والجماعة إذ يقول: «ومن أسباب جعل السلوك البشري خارج العلم وخارج السيطرة عليه أمران: أولاً: فهم العقيدة الدينية فهماً خاطئاً، وهو أن الله يفعل ما يشاء ﴿**وما تشاؤون إلا أن يشاء الله...**﴾ [التكوير ٢٩] وتاريخ النزاع طويل بين الذين يرون الجبرية في سلوك البشر، وبين من يرون الانسان مخيراً في سلوكه»[١٢]. وظاهر كلامه الانتصار لمذهب المعتزلة الذين يرون أن للإنسان مشيئته التامة دون ربطها بمشيئة الله، ويجعلون عقولهم الحكم على أمر الله، فيقولون: يجب على الله.. كذا بناءاً على تصوراتهم البشرية عن الحكمة والعدل، وهذه النظرة للاعتقاد تحمل جودت على القول: أن الاعتقاد خاضع لعمليات الضبط والتصحيح وذلك حين يقول: «إذا كان عالم الأشخاص يقدم لنا العلم والتوحيد إلا أن العلم والتوحيد لا بد أن تجري فيهما دائماً عمليات التصحيح والضبط»[١٣].

كيف بدأ الخلق

لبيان موقف جودت من موضوعات الخلق نجده يلجأ إلى فكرة إعادة النظر فيما تعتقده الأمة بموضوع كيف بدأ الخلق، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق**﴾ [العنكبوت ٢٠]. يقول: «تحتوي هذه الآية الكريمة على منهج محدد للبحث يشمل جوانب العالم المادية وغير المادية، الجواهر والأعراض حسب تعبير الأقدمين، فالموضوع يشمل كل الكائنات من الذرة وما دونها من الصفر إلى المجرة بل عموم الكون من المواد العضوية إلى الإنسان الذي هو في أحسن تقويم، عضوياً وفكرياً واجتماعياً، ومن الأفكار الأولية التي أعقدها»[١٤].

وعن السبب في تبني هذا المنهج يقول جودت: «أن معرفة كيف بدأ الخلق وفهم الأمور على هذا المستوى، ينبه الإنسان إلى أن الخلق قد ينمو ويتحسن لأن من عرف كيف بدأ الخلق ضعيفاً وعاجزاً ثم نما نمواً بطيئاً وأن هذا النمو

اقتضى دهوراً طويلة، فقد يقوده التأمل في بدء الخلق إلى التفكير في مصير الخلق»[١٥]، ثم يبين جودت الأمور التي تخضع للبحث وعدد بعضها، فقال: «وعلى مقتضى هذه الآية ينبغي أن يذكر في مقدمة كل موضوع كيف بدأ خلقه، حتى ما يتعلق بطريقة الإيمان بالله: كيف بدأ الإنسان يدرك معنى الألوهية، إذن كل موضوع له بدء خلق بالنسبة لدخوله إلى إدراك الإنسان، وبمقتضى ما تطلبه الآية ينبغي أن نعيد النظر في كل ما نراه من حيث كيف بدأ خلقه»[١٦].

إن إعادة النظر هذه وإعادة البحث في أمور اعتقادية مقررة في النصوص الشرعية، يعتبر خروجاً على هذه النصوص وتعطيلاً لمضمونها، وإن الخطر لا يكمن لمجرد إعادة النظر في هذه القضايا فحسب وإنما في تغيير مكان الدليل، ومكان هذا العلم، ويقول: «إن هذه الآية تنقل موضوع بحث معرفة كيف بدأ الخلق، من آيات كتاب الله إلى آيات الآفاق والأنفس والسير في الأرض»[١٧].

ما هي الحاجة الملحة التي يراها جودت لإعادة النظر بالمعارف التي يتضمنها كتاب الله أو سنة الرسول ﷺ؟

نستطيع أن نشير إلى موضوعين هامين يطلب جودت فيهما إعادة النظر وتغيير الاعتقاد السابق، وهما بداية الإيمان بالله، وخلق الإنسان، فكيف خلق الله الإنسان؟ من لا يعرف كيف خلق الله الإنسان؟

إن الطفل الصغير ليدرك هذه الحقيقة.. إن الله خلق الإنسان من تراب فقد قال تعالى: ﴿**إن كنتم في ريب من البعث، فإنا خلقناكم من تراب**﴾ [الحج ٥]. وقال أيضاً: ﴿**قال: يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي**﴾ [ص ٧٥]. ثم يبين الله كيف بدأ الخلق: ﴿**والذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين**﴾ [السجدة ٧]. لقد بين الله تعالى لنا بطريقة واضحة كيف بدأ خلق الإنسان، الخلق والمادة التي كان منها الخلق، وتفصيلات عن طريقة الخلق، فلماذا نبحث هذه القضية في مصدر آخر؟ وما حقيقة أن نطلب

تعديل ما هو مقرر في كتاب الله؟ أليس في ذلك نفي لقدرة النصوص الشرعية، على تقديم المعرفة العلمية الصحيحة؟ ولقد فصل القرآن كل شيء عن خلق الإنسان، ولا نحتاج إلى تلقي هذه المعلومات من مصادر أخرى.

لقد خالف جودت إجماع المسلمين في تلقي النصوص الشرعية والعمل بها والتحاكم إليها عند التنازع والرضا التام بما يصدر عنها، ولئن لم يعتقد جودت بتلقي، كيف بدأ الخلق من الكتاب والسنة فمن أين يحصل عليها؟ هل نعود في ذلك إلى الذين ساروا في الأرض وقاموا بالحفريات ثم قالوا بنظرية النشوء والارتقاء، أو الانتخاب الطبيعي، أو الصفات المكتسبة، وقد دحض العلماء هذه النظريات وكذبوها، ولكن جودت لا يزال يلمح إليها في كل مناسبة، رغم أنه لا يؤمن إلا بما يصدر عن الواقع والأمر الحسي إلا أنه في موضوع التطور يتخلى عن منهجه المادي قليلاً ليقول بلغة التخيل: «لو تيسر للإنسان أن يراقب فكرياً وضع الكرة الأرضية ونشوء الحياة فيها وأنواع الحيوان التي عاشت عليها، وأنها يوماً ما كانت الحياة كلها في الماء، ثم صارت في اليابسة ثم وجد الإنسان، لماذا لا يخطر لنا أن هذا الخلق لا يزال مستمراً؟ لماذا لا يخطر لنا أن الخلق لم يتوقف ولا يزال يخلق ،ويزاد في الخلق وأن هناك نشأة أخرى؟؟؟..»[١٨]. يقصد النشأة في الحياة الدنيا أو الانسان المتفوق (السوبرمان)* ثم يقول بأسلوب السخرية من المسلمين: «إن التاريخ سيضطر المسلمين أن يغيروا فهمهم للقرآن، لهذا يقفون من التاريخ موقفاً سلبياً»[١٩].

كيف أدرك الإنسان الألوهية؟

إن طلب جودت إعادة النظر بموضوع كيف بدأ الإنسان يدرك معنى الألوهية، وكيف كان الإيمان بالله، وكيف نتلقي هذا الأمر من خارج القرآن الكريم؟ تلك أمور تحتاج إلى وقفة مع جودت، وذلك لأن موضوع إدارك

*- إن الفيلسوف الألماني الملحد نيتشه قد روج لنظرية (السوبرمان) في كتابه: هكذا تكلم زرادشت - البيان -

الإنسان الأول ـ آدم عليه السلام ـ لمعنى الألوهية لم يكن موضوع اختلاف بين المسلمين، لأن هذه الحقيقة واضحة عندهم، ولا تغيب عنهم، وهم يتلقونها من كتاب ربهم وسنة نبيهم، وأما ميدان هذه البحوث والجدل القائم حولها فهو لدى علماء الاجتماع الوضعيين، الذين يرفضون تلقي هذه العقيدة من مصدر الوحي، ويظهر أن جودت قد انحاز إلى رأيهم وتبني منهجهم في هذه القضية، وأصبح يدعو لإعادة النظر فيها، وهو يؤمن كما يؤمنون بمراحل التاريخ وتقسيماته، إذ يقول جودت عن التاريخ: «قطع الإنسان فيه مراحل ومراحل حين خرج من حياة الصيد إلى الرعي إلى الزراعة، إن تقسيم تاريخ البشر إلى عصور حجرية وقديمة وحديثة وعصر البرونز والحديد كل ذلك يدل على: كيف بدأ الخلق والعلم وخلق السيطرة والتسخير»[٢٠].

ولا يشك المسلمون ـ كما يفعل علماء الاجتماع ـ بأن آدم عليه السلام كان نبياً وكان موحداً خالصاً، وأنه تلقى عقيدة التوحيد من الله تعالى: ﴿**إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين**﴾ [آل عمران ٣٣]. وقال تعالى يصف توبة آدم: ﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**﴾ [البقرة ٣٧].

هذا هو منهج آدم ومنهج الأنبياء من بعده، وكلما أتى على هذا المنهج طارئ من المعتقدات المنحرفة، كان يستدعي إرسال رسول جديد. وظن أصحاب التوجه المادي أن هذه الانحرافات في تاريخ البشر، هي تطور في تاريخ العقيدة، فوضعوا على أساس هذا الفهم الخاطئ تصورات عن تطور مفهوم هذه الألوهية، من التعددية إلى التثليث إلى الثنائية إلى التوحيد، وأنكروا أن يكون أول البشر مهتدياً موحداً، وظهرت عند بعض المسلمين هذه الأفكار واستخدموا عبارات علماء الاجتماع الوضعية ذاتها، مثل قولهم: الأديان العليا، والأديان السفلى، كما جاء عند جودت في كتاب اقرأ: «لهذا اعتبر توينبي الحضارات نكوصاً عن الأديان العليا، فالأديان العليا إنسانية وسمو..»[٢١]،

والقرآن يرد هذا الافتراء حيث يقول الله تعالى: **﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعدما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾** [البقرة ٢١٣].

- يتبع -

المراجع:

١- كتاب «اقرأ وربك الأكرم»، جودت سعيد ص ١١٧ .
٢- المصدر السابق ص ١١٦ .
٣- المصدر السابق ص ١١٩ .
٤- المصدر السابق ص ١٢٠ .
٥-٧- المصدر السابق ص ١١٧ .
٨- جزء من حديث طويل عن عمر أخرجه البخاري «باب الإيمان» حديث ٥٠ ومسلم ١/١ .
٩- كتاب «اقرأ وربك الأكرم»، ص ٩٣، ذكرت هذه الفقرة بالعدد ٦٤ ص ٢٨ .
١٠- المصدر السابق ص ١١٦ .
١١- العقيدة الطحاوية ص ٣١٦ .
١٢- كتاب «اقرأ وربك الأكرم»، ص ٨٧ .
١٣- المصدر السابق ص ٢٠٤ .
١٤- المصدر السابق ص ٢٠٩ .
١٥- المصدر السابق ص ٢١٢ .
١٦- المصدر السابق ص ٢١٠ .
١٧- المصدر السابق ص ٢١٥ .
١٨-١٩- رسالة انظروا ٤٠ اللغة والواقع ص ١٠ .
٢٠- كتاب اقرأ ص ٩٠ .
٢١- المصدر السابق ص ١٩٣ .

هرقل والعلمانيون

د. عبد الرحمن صالح العشماوي

ما أزال أعجب كلَّ العجب، وآسى كلَّ الأسى على فئات من المسلمين يرفعون شعارات بعيدة عن الإسلام، ويدعون إليها وينافحون عنها، وينالون من الإسلام وأحكامه وشعائره من أجلها، ويهاجمون دعاة الإسلام ورجاله المصلحين ليل نهار، أعجب والله من ذلك كلَّ العجب، وأسأل الله السلامة والعافية وأحمده على صحة المعتقد، وسلامة العقل، وأسأله الثبات على الحق.

إنَّ الذي يتأمل «الطرح العلماني» في صُحفنا ووسائل إعلامنا في هذه الأيام يشعر بالحزن لحال هذه الفئة «العلمانية» التي أغلقت عقولها وقلوبها أمام الحق، ورضيت لنفسها أن تتخبط في دروب الضياع.

ومع أننا لا نستغرب «الهجمة العلمانية» الشرسة ـ هذه الأيام ـ التي يشنها أدعياء الثقافة والفكر على إسلامنا ورجاله فإنها «شنشنة نعرفها من أخزم»، وقد تعودنا على مثل هذه الهجمات من «اليساريين» الذين أفرغوا ـ في زمن مضى ـ ما في قواميس اللغة من عبارات السِّباب والشتم للدين والدعاة

الملتزمين به والداعين إليه، مع أننا لا نستغرب هذه الهجمة، إلا أننا نستغرب هذا القدر الهائل من الوهم الذي تشقى به عقول هؤلاء العلمانيين، وهذا القدر الكبير من «الغباء» الذي يُعمي أبصارهم عن رؤية الحق.

فهذه الأنظمة البشرية، والمذاهب والأفكار والمعتقدات الوضعية تتهاوى واحداً تلو الآخر، وتنهار بصورة مروِّعة أمام أعين الناس، ومع ذلك ما تزال فئة «العلمانية» في بلادنا جادة في طرح أفكار الغرب، وطروحات الغرب السياسية والثقافية، وكأن ما يجري في العالم من سقوط لتلك الأفكار إنما هو شريط خيال يمر، أو مشهد من مسرحية «مأساوية» لا علاقة له بالواقع المعاش.

أحدهم يكتب المقالات الطوال مؤكداً أهمية «المشروع الغربي» سياسياً وثقافياً واجتماعياً لإنقاذ الأمة من ضعفها وتخاذلها، ويرى أن النظام العالمي الجديد مظلة يمكن أن نستظلَّ بها، وأن نعيش حياة العزة والكرامة تحت سقفها، ويرى أن هؤلاء المتخلفين أصحاب النظرة الأُحادية من «دعاة الإسلام ورجاله» إنما يريدون أن يعودوا بالأمة إلى الوراء وأن يمارسوا نوعاً من «التسلط الديني» على رقاب الناس.

وآخر من فئة «العلمانيين» يرى أن علمنة الفكر والثقافة والنقد الأدبي أمرٌ لا بد منه إذا أردنا الخروج من سجن «الفكرة الواحدة» و«النظرة الواحدة» إلى فضاءات الحرية الثقافية التي لا حدود لها، وهي حرية ـ في رأيه متحققة ـ في «المشروع الثقافي الغربي».

وآخر يقول: إن فكرة النظام العالمي الجديد ستساعدنا على التخلص من سيطرة «الدوغما» أي من سيطرة العقيدة والمبدأ، فهو يرى أن سبب تخلُّف الأمة العربية هو التزامها بالمبدأ مما يشكل «سلطوية دينية»* تحكم الثقافة العربية

* يعتبر الكاتب السوري علي أحمد سعيد المسمى: أدونيس من ألدّ أعداء الإسلام المروجين لهذه الآراء الفاسدة. وتحتل مقالاته مكاناً بارزاً في الصحف والمجلات العربية. بالإضافة إلى مقالات زوجته: خالدة سعيد، ومقالات ابنته: أرواد أسبر. - البيان -

والعقل العربي، ولذلك تخلف العقل العربي عن اللحاق بالعقل الغربي في ميادين العلم والثقافة والسياسة وغيرها.

إن هذا الاتجاه المخيف ـ عند فئة «العلمانيين» ـ إلى ثقافة الآخرين وفكرهم ومذاهبهم بحاجة إلى طرح واع ودراسة واعية، إنها فجيعة كبيرة يجب أن لا تمر بنا هكذا، ففي الوقت الذي طلعت فيه الشمس صافية لا يكدر وجهها غبار ولا غيوم، وفي الوقت الذي تتهاوى فيه طروحات الديموقراطية الغربية إلى الحضيض؛ كما تهاوت قبلها الأيديولوجية الروسية ـ وما جرى في الجزائر دليل على ذلك ـ وفي الوقت الذي يعلن فيه الغرب عودة أساليب الاستعمار العسكري بشكل واضح فيه قدر كبير من التبجح ـ كما هو الحال في البوسنة والهرسك والصومال ـ أقول: في هذا الوقت ما نزال نرى هذا الاندفاع الأعمى من فئة «العلمانيين» في بلادنا في هذه الطرق المعوجّة المنحرفة، وما نزال نرى هذا التحامل على الإسلام وأهله وعلى كتابه وسنته، وأقول لفئة العلمانيين من أبناء المسلمين: ألا يسعكم ما وسع هرقل الروم في موقفه الإيجابي من دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام حينما قال ـ كما ورد في صحيح البخاري ـ: «قد كنت أعلم أنه خارج ـ يعني النبي عليه الصلاة والسلام ـ لم أكن أعلم أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشّمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت قدمه». ألا يخجلكم أيها العلمانيون موقف هرقل هذا؟؟؟

* * *

طبيعة الإسلام

إن طبيعة الإسلام تأبى أن يقوى عوده، ويعلو شأنه، عن طريق المؤتمرات التي تعقد في الفنادق الفخمة، وفي الصالات والردهات التي تنفق عليها عشرات الألوف إن لم نقل مئات الألوف من الدولارات. ويبدو هذا الأمر واضحاً للدعاة الذين تمرسوا بالدعوة، وعاشوا همومها، وتدراسوا السيرة النبوية وعاشوا مراحلها من حراء إلى حصار الشعب، ومن الدعوة في الطائف والاتصال بالقبائل إلى الهجرة والجهاد، ثم بناء الدولة.

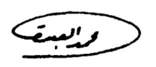
إن القرآن الكريم قد ذمّ الترف والمترفين، ونهى المسلمين عن الركون إلى ذلك، ودعا إلى القصد وعدم الإسراف في شؤون الحياة. كما نهى عن إنفاق الأموال الكثيرة في سبيل الكماليات ورغد العيش، وهذا أمر مطلوب إذ كان الإسلام هو الحكم المنتصر، الضّاربُ بجُرّانه في الأرض، فكيف إذا كان في غربة وأهله مستضعفون متخطفون في الأرض، يحاربهم القريب قبل البعيد؟!

إن الإسلام لا يقوى إلا بالجهد والتعب، ولا يقوى إلا بالإيواء الذي يوفر للمسلم الأمن النفسي والاجتماعي، ولا يقوى إلا بالنصرة التي تأخذ

للمظلوم من الظالم، وتحقيق معاني المؤاخاة والموالاة على أرض الواقع وليس في طيات الكتاب المؤلفة عن (الأخوة الإسلامية)، **﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾** [الأنفال ٧٢].

منذ أن نشأت ظاهرة المؤتمرات في الفنادق لم نجد لها أثراً كبيراً في تقوية جبهة الإسلام، وإن ما ينفق عليها يمكن أن يؤسس مدرسة بل كلية في بلاد المسلمين الفقيرة، كي يتخرج منها مئات الطلبة الذين يتربون على منهج سليم، وأخلاق عالية، لأن أولئك هم الذين يمكن أن يحدثوا أثراً فعالاً في بلادهم.

كيف نقدم أموالنا للغربيين (أصحاب الفنادق) ثم نقول: إن ما نقوم به هو خطوة كبرى في سبيل تقدم الإسلام، وإذا كان أمر المؤتمرات بهذه الأهمية فلماذا لا تكون للمسلمين أماكن مُعدّة لهذا الغرض، وتكون ملكاً لهم حتى لا تذهب أموالهم سدى.



الحركة العلمية في بلاد الحجاز في العهد الأموي*

(٤)

د. محمد أمحزون

الفقه:

يقرر الرأي السائد والواقعي عن تطور التأليف في كثير من ميادين المعرفة في العصر الأموي: أن كتب الإخباريين الكثيرة في القرن الثاني الهجري؛ أمثال كتب: ابن إسحاق، وسيف بن عمر، وأبي مخنف، والواقدي هي عملية جمع لما تفرق من كتب سابقة، وأن تفاسير كثيرة للقرآن الكريم في القرن الأول الهجري قد دخلت في المؤلفات التي ظهرت بعد ذلك، وأن مؤلفات الحديث في القرنين الثاني والثالث الهجريين سبقتها كتب أخرى مهّدت لها، وبناء على ما تقدم يمكننا أن نعد كتب الفقه الضخمة التي ألفت في القرن الثاني الهجري نتيجة تطور مواز.

ولا شطط في ذلك، فقد شهدت بلاد الحجاز في القرن الأول الهجري نشاطاً فقهياً منقطع النظير. وتميزت به المدينة المنورة بفقهائها السبعة المرموقين وهم: سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ) وسليمان بن يسار (ت ١٠٧هـ) وسالم

١- تابع لما قبله، انظر العدد ٥٥ ص ٤٧ (التفسير) والعدد ٥٦ ص ٦٦ (الحديث) والعدد ٦١ ص ٦٠ (السيرة والمغازي).

ابن عبد الله (ت ١٠٦هـ) والقاسم بن محمد (ت ١٢٠هـ) وعروة بن الزبير (ت ٩٤هـ) وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (ت بعد ٩٠هـ) وخارجة بن زيد بن ثابت (ت ١٠٠هـ) وهؤلاء قد كونوا مجلساً للفقه والنظر تدور عليه الفتوى، وكانوا إذا وردت عليهم مسألة، أو قضية من القضايا المستجدة جلسوا جميعاً فتأملوها، وأصدروا ما يلزمها من فتوى أو رأي[١].

وقد كون عمر بن عبد العزيز ـ عندما كان عاملاً على المدينة ـ مجلساً استشارياً يتألف من هؤلاء الفقهاء[٢]. وتشير الروايات إلى خبر لهشام بن عروة يقول: أن كثيراً من كتب الفقه كانت في حوزة أبيه عروة بن الزبير يوم الحرّة (سنة ٦٣هـ)، وأنها احترقت كلها، فحزن لذلك حزناً شديداً[٣]. بل منذ زمن الرسول ﷺ وأصحابه وجدت مسائل في الفقه مدونة، فعندما وُلِّيَ عمر بن عبد العزيز إمارة المدينة أمر بالبحث عن مدونتين قديمتين، الأولى: «كتاب الصدقات» للنبي ـ ﷺ ـ، والأخرى بنفس التسمية لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وقد احتفظ بالنسخة الأصلية للمدونة الأولى أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (ت سنة ١٢٠هـ)[٤]. وكان جد والده عمرو بن حزم تلقاها من النبي ﷺ . وفيها كلام في الفرائض والزكاة والديات والصلاة وغير ذلك[٥]، وقد دخلت هذه الرسالة فيما بعد في كتب الحديث التي تشمل أبواباً فقهية[٦].

وتلقى أنس بن مالك كتاباً من أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ عن فرائض الصدقة كما بيّنها رسول الله ﷺ[٧]. وكانت لعلي ـ رضي الله عنه ـ صحيفة دوّن فيها مسائل فقهية تحفظ عادة في قراب سيفه[٨]. لكن الأفضل أن تسمى ـ الكتب المذكورة آنفاً ـ فتاوى فقهية لا رسائل في الفقه.

ويمكن اعتبار أول رسائل فقهية حقة تلك التي ظهرت في عصر بني أمية من تأليف شباب الصحابة والتابعين، ويعد زيد بن ثابت (ت بعد ٥٠هـ) من الفقهاء المشاهير في تلك الفترة، روى عنه تلميذه قبيصة بن ذويب كتاباً في الفرائض[٩]. كما رواه عنه ابنه خارجة، وهو من مرويات ابن خير

الإشبيلي[١٠]، وهناك أخبار كثيرة حول هذا الكتاب احتفظ بها البيهقي في كتاب السنن في الباب الخاص بالميراث. وقد أفرد فيه قسماً خاصاً لزيد بن ثابت ومكانته الممتازة في الفقه وكتابه الفرائض[١١]، ويتضح من الأخبار أن هذه الرسالة عُدَّت عند التابعين مصدراً لا غنى عنه في موضوع المواريث؛ ويتضح ذلك في قول الزهري: «لولا أن زيد بن ثابت كتب الفرائض لرأيت أنها ستذهب من الناس[١٢]».

ومما يدل على تقدير هذا المصنّف أنه شرح في وقت مبكر، حيث شرحه أبو الزناد عبد الله بن ذكوان المدني (ت ١٣١هـ) وكان أحد كبار فقهاء التابعين بالمدينة، ووصف بأنه كان صاحب علم وحساب، بصيراً بالعربية[١٣]، ومن العلماء الذين شغلوا بالفقه في ذلك الوقت قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي المدني تلميذ زيد بن ثابت. وقد اتفقت الآراء على أنه كان ذا مكانة مرموقة بين فقهاء الطبقة الأولى[١٤] وقد ذكرنا سابقاً أنه راوية كتاب الفرائض لزيد بن ثابت ــ رضي الله عنه ــ، أما آراؤه فقد وصلتنا عن طريق بعض كتب الحديث والفقه[١٥].

وكان زيد بن أسلم (ت سنة ١٣٦هـ) من مشاهير الفقهاء بالمدينة؛ وهو أحد الفقهاء الذين دعاهم الوليد بن يزيد إلى دمشق ليسمع فتاواهم في قضايا فقهية[١٦]. أما آراؤه الخاصة فقد جمعها ابن عبد البر نقلاً عن الموطأ في كتابه «التجريد» بعنوان: مراسيل زيد بن أسلم[١٧].

وتشير الأخبار إلى أنه كان من المألوف في العصر الأموي تبادل الرسائل في المسائل الفقهية. وقد كتب مثلاً نافع بن الأزرق (أحد زعماء الخوارج) إلى ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ يسأله عن رأيه في نصيب الأقارب في الميراث ويسأله عن رأيه في قتل الأطفال[١٨].

يبدو أن بداية تأليف كتب الفقه المصنفة حسب الأبواب الفقهية كان في أواخر القرن الأول الهجري، إذ يذكر ابن قيم الجوزية: أن مصنفاً للزهري في

الفقه كان في ثلاثة أسفار، وأن فتاوى الحسن البصري كانت في سبعة أسفار مرتبة على أبواب الفقه[١٩].

وفي تلك الفترة أيضاً برز فقهاء مهدوا لمدرسة الرأي منهم علقمة بن قيس (ت سنة ٦٢هـ) والأسود بن يزيد (ت سنة ٧٥هـ). وكان على رأس هؤلاء ربيعة بن أبي فروخ (ت سنة ١٣٦هـ)، روى عن الصحابي أنس بن مالك وعن كبار التابعين[٢٠] وأبرز تلاميذه مالك بن أنس[٢١]. وكان الناس يلجأون إليه عند عدم وجود نص، فسمي ربيعة الرأي[٢٢]، تقديراً له، ولذلك قال مالكاً: «ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة»[٢٣]، ويبدو أن له كتاباً في الفقه أفاد منه المالكية في كتبهم، إذ يذكر صاحب المدونة بعض آراء ربيعة في الفقه[٢٤]. والراجح أن مالكاً قد استخدم هذا المصنف الذي يحتوي على عدد كبير من آراء ربيعة في كتابه الموطأ[٢٥].

العقائد:

ترتبط بدايات الدراسات العقيدية الإسلامية ارتباطاً وثيقاً بالأحداث السياسية في صدر الإسلام، إذ شهد عصر ما بعد الفتنة ظهور فرق تميزت بنظريات وآراء خاصة بها في المجال السياسي. فمن الحقائق المعروفة في التاريخ الإسلامي أن قضية الخلافة التي واجه فيها الخوارج فكرة الإمامة عند الشيعة قد تطورت تطوراً سريعاً إلى نقاش حول القدر، ثم تطور ذلك النقاش إلى فروع أخرى من العقيدة مثل: مرتكب الكبيرة أكافر هو أم مسلم؟

فلما غالى الخوارج في الوعيد بتكفيرهم أصحاب الكبائر واعتبارهم مخلدين في النار بالغت المرجئة في الوعد، وارجأت الحكم على أهل المعاصي إلى يوم الحشر مع تفويض أمرهم إلى الله إن شاء غفر لهم وإن شاء عذبهم[٢٦].

وإزاء تلك المواقف المتطرفة للفرق، هبّ أهل السنة والجماعة لنصرة الحق، وبيان العقيدة الصحيحة، وتحذير الأمة من تلك المذاهب الضالة. فبدأت مرحلة جديدة عنى فيها علماء السنة بالتدوين والتأليف لبيان العقيدة الصحيحة والردّ

على المنحرفين عنها، واتخذت مصنفاتهم منهجين اثنين: الأول منهج الردّ، والثاني منهج العرض.

وقد نشط أرباب الفرق بدروهم في مجال التأليف، وخاصة المعتزلة، وقد كان واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ) مؤسس مدرسة الاعتزال بليغاً مفوهاً، مكّنته قدرته اللغوية من التصنيف في مذهبه، فألف عدداً من الكتب منها: كتاب «المنزلة بين المنزلتين»، وكتاب «العدل والتوحيد»[٢٧]، وكتاب «أصناف المرجئة»[٢٨].

لقد كثر التأليف في الرد على القدرية، واعتُبر أقدم ضروب المصنفات العقيدية. ومن أوائل من ألف في الردّ على القدرية أبو الأسود الدؤلي (ت سنة ٦٩هـ) في مصنفه المسمى «رسالة في ذم القدرية» [٢٩]. كما ألف آخرون كتباً في الردّ على القدرية والمعتزلة مثل عيسى بن عمر الثقفي، ويحيى بن معمر (ت ٨٩هـ)، وزيد بن علي الهاشمي المدني (ت سنة ١٢٢هـ). وهذا الأخير صنف كتابين في الرد على القدرية والمعتزلة وهما: «الردّ على القدرية» و«رسالة في الإمامة إلى واصل بن عطاء»[٣٠].

وصف البغدادي كتاب الردّ على القدرية للخليفة عمر بن عبد العزيز بأنه رسالة بليغة[٣١]. وصنّف جعفر الصادق الهاشمي (ت سنة ١٠٣هـ) ثلاثة رسائل في الردّ على القدرية والخوارج والرافضة (الشيعة)[٣٢].

أما كتب القدرية أنفسهم فلا يعرف منها إلا كتاب القدر لوهب ابن مُنبِّه (ت سنة ١١٠هـ/٧٢٨م)[٣٣]. ويقال إنه ندم بعد ذلك على تصنيفه[٣٤]. أما كتب غيلان بن مسلم وهو من أوائل من قال بالقدر فيبدوا أنها ضاعت، وقد ذكر له ابن النديم مجموعة من الرسائل في «الفهرست»[٣٥]. وهناك مجموعة من خطبه وصلت إلينا في كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة[٣٦].

وترجع أقدم المؤلفات حول الإرجاء والردود عليها إلى تلك الفترة ايضاً، فأول من تكلم في الإرجاء الحسن بن محمد بن الحنفية الهاشمي المدني (ت

سنة ٩٩هـ)، ويقال أن رجلان (وهما زاذان وميسرة) دخلا عليه فلاماه على الكتاب الذي وضع في الأرجاء، فقال لزاذان: لَوَدَدْتُ أني متُّ ولم أكتبه[٣٧]. ثم كتب الرسالة التي نبذ فيها الإرجاء بعد ذلك[٣٨]. والرسالة الأولى في الإرجاء ذكرها ابو عمر العدني في كتابه «الإيمان»[٣٩].

ويصور ثابت قطنة (ت ١١٠هـ) الشاعر الأموي المشهور عقيدة المرجئة وفكرهم في قصيدة محكمة البناء نظمها لبيان الإرجاء الخاص بالصحابة بعد الفتنة، وهو ما يسمى بإرجاء المرجئة الأولى. ومطلع القصيدة:

يا هند فاستمعي إن سيرتنا ... أن نعبد الله لا نشرك به أحدا

نرجي الأمور إذا كانت مُشَبَّهة ... ونصدق القول فيمن جار أو عندا

وقد وردت هذه القصيدة في كتاب «الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني»[٤٠]. وترجمها «فان فولتن» إلى اللغة الألمانية، و«ألفرد فون كريمر» إلى اللغة الألمانية، كما ترجمها «نالينو» إلى اللغة الإيطالية[٤١].

وهناك بضع رسائل وقصائد ذات مضمون عقيدي ألفها ونظمها زعماء الخوارج، ومنها كتاب العقيدة لعبد الله بن أباض المري الذي عاش في النصف الثاني من القرن الأول الهجري[٤٢]. ولأبي حمزة مختار بن أوس الأزدي (ت سنة ٩٠هـ) مجموعة من العظات في باب العقيدة[٤٣]. وأورد أبو مخنَّف في كتابه «الغارات» بضع رسائل ذات مضمون عقيدي ألفها زعماء الخوارج في مناقشاتهم وجدالهم مع بعض الصحابة مثل ابن عباس[٤٤].

كما عبر الخوارج عن آرائهم وعقائدهم عبر خطبهم وأشعارهم. وكان قَطَرِيّ بن الفُجَاءة، وعمران بن حطان ذوي موهبة حقيقية في الشعر والخَطابة، وسخرا خطبهما وأشعارهما للدعوة إلى عقيدة ورأي الخوارج، وهناك نصوص وردت من ذلك في كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ[٤٥]، و«المؤتلف والمختلف» للآمدي[٤٦]، وقد جمع إحسان عباس هذه الأشعار في كتاب ونشرها بعناون

«شعر الخوارج»[٤٧].

وفي الختام يمكن القول: أن الأمويين أَصَّلوا مبادىء بعض العلوم، وفتحوا طريق التأليف، إذ نشط التدوين والكتابة في عصرهم، وكثرت المؤلفات ذات الصبغة العربية الإسلامية الخالصة، ولو أن الزمن أغار على جُلّها وأضاعها.

وبصفة خاصة: إن الأمويين يمثلون بحق طبيعة العربي المتحضر، تلك الطبيعة التي تتبلور من خلال ميلهم للحضارة والعمران والفن، والآداب والشعر، وعنايتهم بمختلف العلوم وتشجيع أهلها.

الهوامش:

١- ابن سعد: الطبقات، ٣٣٤/٥ .

٢- ابن سعد: المصدر نفسه، ١٧٩/٥ .

٣- انظر أبو عبيد: الأموال، ص ٥٠١-٥٠٢ .

٤- السرخسي: المبسوط، ١٥٢/٢ .

٥- ابن حجر: الإصابة، ١٢٦٤/٢ .

٦- النسائي: السنن، كتاب القسامة، ٥٧/٨-٥٨ .

٧- أحمد: المسند، ١٨٣/١-١٨٤، والخطيب: تقييد العلم، ص ٨٧ .

٨- النسائي: المصدر الاسبق، كتاب القسامة، ٢٤/٨ .

٩- أحمد: العلل، ٢٣٦/١ .

١٠- ابن خير الأشبيلي: فهرست ما رواه عن شيوخه، ص ٢٤٦ .

١١- البيهقي: السنن، ٢١٣/٦، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٤٥، ٢٤٧ .

١٢- الفسوي: المعرفة والتاريخ، ٤٨٦/١ .

١٣- ابن سعد: المصدر السابق، ص ٣٢٠ (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة)، والذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٤٧/٥ .

١٤- الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص ٣٣ .

١٥- انظر أبو داود: السنن، كتاب الفرائض، ١٢١/٣، ومالك: الموطأ: كتاب الفرائض، ص ٤١٨-٤٢٠ .

١٦- الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢٥١/٥، وعبد القادر بدران: تهذيب سيرة تاريخ دمشق، ٤٤٢/٥ .

١٧- ابن عبد البر: التجريد، ص ٥١-٥٤ .

١٨- ابن أبي حاتم: العلل: ٣٠٧/١ ويعني قتل أطفال المخالفين له (الخوارج) لأنه يعتبرهم كفاراً.

١٩- ابن القيم: إعلام الموقعين، ٢٦/١ .

٢٠- ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٢٥٨/٣ .
٢١- ابن حجر: المصدر نفسه، ٢٥٨/٣ .
٢٢- الجاحظ: البيان والتبين، ١٠٢/١ .
٢٣- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٩١/٦ .
٢٤- انظر: مالك: المدونة (رواية سحنون)، ١٥/١-٣٥ .
٢٥- انظر: التجريد لابن عبد البر، ص ٣٤-٣٨ .
٢٦- الأشعري: المقالات، ٨٩/١-١٥٧-١٨٩، وابن حزم: الفصل في الملل والنحل، ١١٥/١-١٥٧
٢٧- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٦٥/٥ .
٢٨- سزكين: تاريخ التراث العربي، ١٩/٤ .
٢٩- البغدادي: أصول الدين، ص ٣١٦ .
٣٠- البغدادي: المصدر نفسه، ٣٠٧-٣٠٨ .
٣١- البغدادي: المصدر نفسه، ٣٠٧ .
٣٢- البغدادي: المصدر نفسه: ص ٣٠٧-٣٠٨ .
٣٣- ابن عساكر: المصدر السابق*، ٤٧٩/١٧ .
٣٤- ياقوت: معجم الأدباء، ٢٣٣/٧ .
٣٥- ابن النديم: الفهرست، ص ١٧ .
٣٦- ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٣٤٥/٢ .
٣٧- ابن سعد: المصدر السابق، ٣٢٨/٥ .
٣٨- المزي: تهذيب الكمال، ٢٧٩/١ .
٣٩- العدئي: الإيمان، ص ١٤٨ .
٤٠- أبو الفرج: الأغاني، ٢٧١/١٤ .
٤١- سزكين: المرجع السابق، ١٠٢/٣ .
٤٢- سزكين: المرجع السابق، ٥/٤ .
٤٣- أبو الفرج: المصدر السابق، ١٠٣/٢٠ .
٤٤- سزكين: المرجع السابق، ٥/٤ .
٤٥- الجاحظ: المصدر السابق، ١٢٦/٢ .
٤٦- الآمدي: المؤتلف والمختلف، ص ٩١ .
٤٧- نشرته دار الثقافة في بيروت عام ١٩٧٤ .

*- لم يذكر الكاتب اسم المرجع، فمن إحالته الأولى قال: المصدر السابق. والمرجح أن المرجع المشار إليه هو: تاريخ دمشق.

وقائع برلمانية

د. أحمد إبراهيم خضر

«لم أكن أظن أن ما قضى الله به في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ يحتاج إلى موافقة عباد الله، ولكنني فوجئت أن قول الرب الأعلى يظل في المصحف ـ له قداسته في قلوبنا ـ إلى أن يوافق عباد الله في البرلمان على تصيير كلام الله قانوناً. وإذا اختلف قرار عباد الله في البرلمان عن حكم الله في القرآن فإن قرار عباد الله يصير قانوناً معمولاً به في السلطة القضائية مكفولاً تنفيذه من قِبَلِ السلطة التنفيذية؛ ولو عارض القرآن والسنة. والدليل على ذلك أن الله حرم الخمر، وأباحها البرلمان. وأن الله أمر بإقامة الحدود، وأهدرها البرلمان. والنتيجة على ضوء هذه الأمثلة أن ما قرره البرلمان صار قانوناً رغم مخالفته للإسلام».

هذه الكلمات هي خلاصة ما انتهى إليه أحد علماء الإسلام بعد أن قضى ثماني سنوات كنائب في البرلمان. وكان ذلك النائب العالم قد أحس بضرورة الخطابة على المنابر، والكتابة في الصحف، بعد طول معايشته لتلك الأساليب، ازداد إيماناً بجدواها لكنه شعر أنها وحدها لا تحدث تغييراً في

القوانين، ولا تأثيراً مستمراً في السطات التشريعية والقضائية والتنفيذية، فرشح نفسه لعضوية البرلمان بحثاً عن أسلوب جديد لإعلاء كلمة الله تعالى بتطبيق الشريعة الإسلامية، إنقاذاً للعباد من الضلالة وتخليصاً لهم من الأباطيل ودفعاً بهم إلى رحاب الإسلام.

فاز العالم بعضوية البرلمان تحت شعار «أعطني صوتك لنصلح الدنيا بالدين» وأعطاه الناس أصواتهم ثقة فيه رغم كل وسائل التزييف والتزوير في الانتخابات. واستمر النائب في عضوية البرلمان دورتين متتاليتين ثم قال بعدها: «إنه عَزَّ على البيان الإسلامي أن يجد صداه المنطقي في هاتين الدورتين».

ذهب النائب العالم يوماً إلى واحدة من مديريات الأمن لقضاء مصالح مواطنيه ففوجئ في مكتب الآداب بحوالي ثلاثين امرأة يجلسن على البلاط فسأل قائلاً: ما ذنب هؤلاء؟ فقال له المسؤول: إنهن الساقطات! فسأل وأين الساقطون؟ إنها جريمة لا تتم إلا بين زان وزانية. فأخبره المسؤول بأن الزاني عندهم هو مجرد شاهد بأنه قد ارتكب الزنا مع هذه وأعطاها على ذلك أجراً فهي تحاكم ليس لأنها ارتكبت الزنا ولكن لأنها تقاضت الأجر. فتحول المُقِرُّ والمعترف بأنه زان إلى شاهد عليها ولا يلتفت القانون إلى إقراره واعترافه بالزنا.

غضب النائب العالم غضبة لله، فقال له المسؤول ببساطة: «نحن ننفذ قانوناً أنتم أقررتموه في البرلمان».

أدرك النائب العالم أنه مهما كثرت الجماهير المنادية بتطبيق الشريعة، ومهما ساندها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإن الآمال في تطبيق الشريعة لا يمكن أن تتحقق إلا عن طريق البرلمان الذين يسمونه (السلطة التشريعية)، ولأن السلطة القضائية لا تحكم إلا بالقوانين التي تصدر عن البرلمان، وأن السلطة التنفيذية لا تتحرك لحماية القرآن والسنة، ولا لحماية الإسلام إلا بمقدار ما أقره البرلمان من هذه الجوانب المقدسة، اعتقد النائب العالم بأن الوصول إلى هذه الغاية ممكن

إذا علم نواب البرلمان أن هذا هو قول الله، وقول رسوله، وحكم الإسلام ليقروه.

انطلق النائب العالم فقدم مشروع قانون لإقامة الحدود الشرعية، ومشروع قانون لتحريم الربا مع اقتراح الحل البديل، ومشروع قانون لتطويع وسائل الإعلام لأحكام الله، ومشروع قانون لرعاية حرمة شهر رمضان، وعدم الجهر بالفطر في نهاره، ومشروع قانون لتنقية الشواطئ من العربدة، والعديد من المشاريع الإسلامية الأخرى. ووقع معه على مشاريع هذه القوانين عدد كبير من أعضاء البرلمان. وذهب النائب العالم لأداء العمرة، واصطحب معه بعض أعضاء البرلمان، وعند الحجر الأسود عاهدوا الله جميعاً على مناصرة شريعة الله في البرلمان، ثم ركبوا الطائرة إلى المدينة المنورة، ثم تعاهدوا في رحاب المسجد النبوي على رفع أصواتهم لنصرة شرع الله لا لنصرة انتماءاتهم الحزبية.

حمّل النائب العالم السلطات الثلاث في الدولة مسؤولية إقرار المحرمات ومخالفة الشريعة، وتوعد وزير العدل آنذاك بأنه سيستجوبه بعد بضعة شهور إذا هو لم يقدم ما تم إنجازه من قوانين تطبيق الشريعة الإسلامية. ولم يقدم الوزير ما طلبه منه النائب فوجه إليه النائب استجواباً ـ والاستجواب في عرف البرلمانات ملزم للمستجوب بالرد عليه ما لم تسقط عضوية الوزير أو يخرج الوزير المستجوب من الوزارة ـ وأصر النائب على استجواب الوزير ووقفت الحكومة خلف وزيرها، وأصرت على إسقاط الاستجواب، ولما اشتد إصرار النائب على الاستجواب أحدثت الحكومة تعديلاً وزارياً لم يخرج منه إلا وزير العدل، أي أن الوزير أخرج من الوزارة ليسقط الاستجواب، وتكرر هذا العمل حتى أصبح قاعدة من قواعد التعامل مع البرلمان.

لجأ النائب العالم مرة ثانية إلى أعضاء البرلمان وقال لهم: إن مشاريع القوانين الإسلامية وضعت في أدراج اللجان، وقد عاهدتم الله في الحرمين على

أن تكون أصواتكم لله ورسوله، وطالب بتوقيعهم على المطالبة بالتطبيق الفوري للشريعة الإسلامية فاستجابوا، ووقعوا على ما طالبهم به ووضع النائب العالم هذه الوثيقة في أمانة البرلمان، وطالب باسم النواب جميعاً النظر في قوانين شرع الله. فقام رئيس البرلمان وطالب باسم النواب جميعاً النظر في قوانين شرع الله. وقال للنواب: إن الحكومة لا تقل عنكم حماسة للإسلام، ولكننا نطلب منكم فرصة للمواءمات السياسية، فصفق له النواب الموقعون، المتعاهدون في الحرمين على العمل على تطبيق شريعة الله، ووافقوا على طلبه، فضاعت المطالبة بالتطبيق الفوري للشريعة وانتصرت الحكومة.

غلب اليأس النائب العالم لعدم جدوى محاولاته في سبيل تطبيق الشريعة مع أعضاء يناديهم فيستجيبون ثم يعدلون، ثم فوجئ يوماً باقتراح من رئيس البرلمان للموافقة على تكوين لجنة عامة لقوننة الشريعة الإسلامية، وتبين حقيقة الأمر فوجد أن قرار الحكومة المفاجئ هذا لم يكن إلا تغطية لفضيحة كبرى مست كرامة البلاد. ولم تتخذ الحكومة قراراً لصالح الإسلام. ورحب النائب بالفكرة رغم فهمه لأبعادها، واجتمعت اللجنة لكن النائب العالم أحس عدم جدية الدولة في تطبيق شرع الله لأنها إذا أرادت إرضاء الله فهناك أمور لا تحتاج إلى إجراءات. فإغلاق مصانع الخمور يمكن أن يكون بجرة قلم. وإغلاق الحانات يمكن أن يتم بجرة قلم.

كانت هناك مظاهر تدل على ما في الأعماق حقيقة، تضافرت كلها لتترك في نفس النائب العالم انطباعا ـ يشكل في حد ذاته قاعدة من قواعد التعامل مع البرلمانات ـ مؤداه: أن شرع الله لن يتحقق أبداً على أيدي هؤلاء.

فوجئ الناس وفوجئ النائب العالم بحل البرلمان بعد أن كان هو رئيساً للجنة مرافعات تطبيق الشريعة الإسلامية، وظل يوالي مع اللجنة عملية الدراسة والتقنين عبر ثلاثين اجتماعاً. وفي غيبة البرلمان صدر قرار خطير في مسألة تمس حياة الناس الشخصية. فوقف النائب العالم ضد هذا القرار لأنه مخالف

للإسلام والدستور، ولكن القاعدة تقول: أن البرلمان كله يمكن أن يحل بقرار إذا أرادت الدولة فرض أمر على الناس حتى ولو كان مخالفاً للإسلام.

أما أهم قاعدة يستند إليها البرلمان فقد لخصها النائب العالم بقوله: «إنه مهما أوتيت من حجج ومهما استند موقفي إلى الكتاب والسنة فإن من عيوب البرلمان ومسؤوليته الفادحة أن الديموقراطية تجعل القرار ملكاً للغالبية المطلقة بإطلاق وبلا قيد ولا شروط ولو خالف الإسلام».

أحس النائب العالم بأن زحفاً من التضييق عليه يشتد من جانب الحكومة، ومن رئيس البرلمان، ومن حزب الغالبية؛ وافتعلت رئاسة البرلمان ثورات ضده، واتهمته بأنه يعطل أعمال اللجان.ولكنه استمر في بذل جهوده. فقدم العديد من الأسئلة التي لم تدرج في جداول الأعمال، وقام بالعديد من طلبات الإحالة فوجدها قد دفنت ولم تقم لها قائمة، ثم عاد إلى استخدام سلاح الاستجواب الذي لا يمكن رده. فاستجوب وزراء الحكومة عن ضرب الدولة للقضاء الشرعي والأوقاف، والمعاهد الدينية، ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم، وعن ضربها لمناهج التعليم في الجامعات الدينية بحجة تطويرها، وعن ضربها للمساجد باصدارها قانوناً لا يسمح لأحد حتى ولو كان من (المشايخ) أن يدخل دور العبادة، وأن يقول ولو على سبيل النصيحة الدينية قولاً يعارض به قراراً إدرايا أو قانوناً مستقراً؛ ومن فعل ذلك حبس وغرم، فإن قاوم ضوعفت الغرامة وسجن.

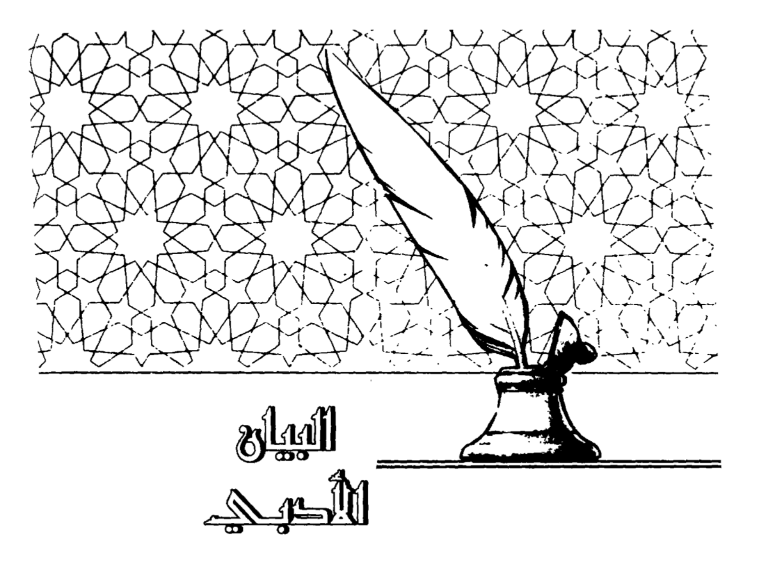
قدم النائب العالم استجواباً إلى وزير السياحة لأن طلاباً في المدارس الفندقية أرغموا على تذوق الخمور فرفضوا ففصلوا، وقدم استجواباً آخر إلى وزير الإعلام بغية تطهير وسائل الإعلام من العربدة التي تعصف بالقيم والأخلاق ومقدسات البلاد، واستجواباً ثالثاً إلى وزير النقل والمواصلات عن صور القصور والتقصير بهذه المرافق، وشعر النائب العالم أنه يقدم الاستجواب تلو الاستجواب إلى بالوعات، فوقف في البرلمان يحاسب رئيسه ويتهمه

بالخروج على لائحة البرلمان، فأمر رئيس البرلمان في لعبة مثيرة بإدراج الاستجوابات الثلاثة في جلسة واحدة مع أن كل استجواب يحتاج إلى أيام، ثم دعا الهيئة البرلمانية لحزب الأغلبية لتحبط هذه الاستجوابات، ونودي على وزير السياحة فتدخلت الحكومة التي اعترضت على إدراج هذا الاستجواب في جدول الأعمال لأن فيه كلمة نابية هي بالضبط (اتهام صاحب الاستجواب الوزير بأنه جافى الحقيقة أثناء رده على السؤال) ثم طرح الموقف على نواب البرلمان فقرروا إحباط الاستجواب وعطلوا ما يسمى بالحق الدستوري للنائب في محاسبة الدولة، ثم نودي على الاستجواب الثاني المقدم لوزير الإعلام، وكما انتصر النواب للخمر، انتصروا للرقص رغم أنهم عاهدوا الله على النصرة لشريعته، ثم نودي على وزير النقل لكن النواب رأوا أن محاسبة الوزير تتلاقى مع أهوائهم، فقام النائب العالم إلى المنصة وقال لنواب البرلمان:

«يا حضرات النواب المحترمين لست عابد منصب ولست حريصاً على كرسي لذاته، ولقد كان شعاري مع أهل دائرتي «أعطني صوتك لنصلح الدنيا بالدين» وكنت أظن أنه يكفي لإدراك هذه الغاية أن تقدم مشروعات القوانين الإسلامية لكنه تراءى لي أن مجلسنا هذا لا يرى لله حكماً إلا من خلال الأهواء الحزبية، وهيهات أن تسمح بأن تكون كلمة الله هي العليا..

لقد وجدت طريقي بينكم إلى هذه الغاية مسدوداً، لذلك أعلن استقالتي من البرلمان غير آسف على عضويته» وانصرف النائب العالم إلى داره في أبريل ١٩٨١ ورفعت الجلسة.

رحل النائب العالم عن البرلمان، ثم رحل عن هذه الدنيا كلها بعد ذلك بعدة سنوات، وبقي البرلمان يقضي ويشرع وينفذ بغير ما أنزل الله.



- واأمتـــــاه

- يا أمتـــــي

- الجولة الأخيرة

- حديقة الحيوان

واأُمَّتاه

د. عبد الرحمن صالح العشماوي

زفراتكم من حولنا تتصعَّد ... وصراخكم في صمتنا يتبدَّدُ

ذبتم على وَهَج الرَّصاص ولم نزلْ ... لعدوِّنا وعدوِّكم نتودَّد

تتغيَّثون سحابَنا، وسحابُنا ... وَهْمٌ كبير في الفضاءِ مجمَّدُ

تترقَّبون قرار مؤتمراتنا ... بُشرى لكم، فقرارُها سيندِّد

ولسوف ينطق ناطقٌ، أنّا على ... شَجْبِ العدوِّ المستبدِّ سنصمدُ

ولسوف يحلف حالفٌ من قومنا ... أنَّ الأسى من أجلكم يتجدَّدُ

ولسوف تُقْرَأُ كلَّ يومٍ نشرةٌ ... عنكم مصوَّرةٌ ويُعرض مشهَدُ

ولسوف تُرسَمُ لوحةٌ زيتيَّةٌ ... فيها صريع بالتراب موسَّدُ

بُشرى لكم سيُقام حفلٌ ساهرٌ ... وتُصاغ أُغنيةٌ لكم وتُردَّد

هذا الذي سترون منا فافرحوا ... واستبشروا، وعلى الكلام تعوَّدوا

أما الجهادُ لأجلكم، بعتادنا ... فمحرَّمٌ، إنَّ الجهاد تمرُّدُ

ولِمَ الجهادُ، وهيئةُ الأممِ انبرتْ ... للظالمين، ففضلُها لا يُجحَدُ

ألقت على الصومال ألفَ قذيفةٍ ... تحيي بها الأَمْنَ الذي لا يُوجد

ورمتْ إلى الصّرب الزّمام فجيشهم ... يُرغي بأوروبَّا هناك ويُزْبِدُ

أحبابَنا عفواً فغايةُ قومنا ... مالٌ وأولادٌ وعيشٌ أَرْغَدُ

أما مقاومة العدوِّ فعادةٌ ... مذمومةٌ، من مثلنا لا تُحمَدُ

أنَّى تجاهد أمةٌ تحيا على ... غَبَشٍ، تُفرِّط في الكتاب وتُلحِدُ

سيفُ الجهاد بغمده متلفِّع ... والبابُ في وجه المجاهد يُوصَدُ

أحبابنا إني أغالب حسرةً ... مشبوبةً وعلى الأسى أتجلَّدُ

نظراتُ أعينكم تعذِّبني فلا ... عيشي يطيب، ولا جفوني ترقدُ

تبكي سرايبفوا دماً فأنينُها ... لهبٌ، وخاطرُها الحزين الموقدُ

تجري دماء الأبرياء على الثرى ... نهراً، وعالَمُنا المخدَّر يشهَدُ

وتبيتُ مقديشو على آلامها ... نفسٌ محطَّمةٌ وجَفْنٌ مُسْهَدُ

والمسجد الأقصى يباع ويُشترى ... جهراً، وقُدس الفاتحين تُهوَّدُ

أوَّاه من نار أُحسُّ بحرِّها ... لما يُراق دَمٌ، ويُهدَم مسجدُ

إني لأبصر وجه طفلٍ تائهٍ ... وسؤاله الحيرانُ، أين المرشدُ؟

يبكي ولا أمٌّ تكفكف دمعَه ... يشكو وليس له أبٌ يتودَّد

سرق النظام العالميُّ ثيابَه ... وسهام أوروبا إليه تُسدَّد

وقذائفُ الصّربِ العنيفةُ لم تَدَعْ ... عصفورَ أحلام الصغير يغرِّد

أين الدفاترُ يا محمَّدُ، لم يُجِبْ ... أنَّى يجيب عن السؤالِ محمَّدُ؟!

أنَّى أُجيب، وفي لساني حُبْسَةٌ ... والنار من أنقاض داري تَصعَدُ؟

أنَّـى أُجيـب، ولـعبـتـي مـحـروقـةٌ   وأبي الحبيبُ على الرصيف مُمدَّدُ؟!

أنَّـى أُجـيـبُ، وثـوب أمـي شـاهـد   أنَّ الجريمـةَ، خَـدُّهـا لا يـبـردُ؟!

أنَّى أُجيـبُ، وقُـرط أختـي لم يـزلْ   يـبـكـي عـلـيـهـا، والـعـدوُّ يـهـدِّدُ؟!

أنَّـى أُجيـبُ، ونـحـن زَرْعُ طـفـولـةٍ   كسنابل القمح النديَّةِ نُحْصَدُ؟!

أنَّـى أُجيـبُ، ومـات ألـفُ تَـسـاؤُلٍ   ومـضـى الـزمـانُ، ومـا أزال أُشَـرَّدُ؟!

مـاذا جنـى هـذا الـصغيرُ، أما هُـنـا   رجـلٌ إلـى قـول الحقيـقـةِ يُـرشـدُ؟؟!!

إنـي لأسـمـع صـوت مـسـلـمـةٍ لـهـا   قـلـبٌ، ولـيـس لـهـا عـلى الـبـاغـي يَـدُ

ظـلَّـتْ تـصيـح وتـسـتـجـير فـلا تـرى   مـن قـومـهـا مَـنْ يـسـتـجـيـب ويُـنْـجـدُ

نادتْ، ونادتْ، فاستجاب لها الصَّدَى   إن الـذي يـحـمـي الحمـى لا يُـوْجَـدُ

لا تـصـرخـي، فـصلاحُ ديـنـك غـائـبٌ   وحـصـانُ مـعـتـصـم الإبـاءِ مـقـيَّـدُ

والخيـلُ، خـيـلُ الـلـه، لم تُـصـنـع لـهـا   سُـرُجٌ، ولم يـقـد الـكـتـيـبـةَ أحـمـدُ

لا تـصـرخـي. فـسلاحُ أمـتـك الـتـي   تـسـتـصـرخـين، من الـعـدا مـسـتـورَدُ

لا تـصـرخـي فـالحاكـمـون بـأمـرهـم   حـفـظـوا أنـاشـيـد الخضـوع وأنـشـدوا

يـا ويـحـهـم لـو أنـهـم جـعـلـوا الـهـدى   دربـاً، لما حـكـم الـقـريـبَ الأبـعَـدُ

إنـــي لأبـــصـــر أمـــةَ الإســـلام فـــي   لَـهْـوٍ، تـقـوم عـلـى الـهـوان وتـقـعُـدُ

نـار الـصـلـيـب تُـشَـبُّ بـين خـيـامـهـا   ولـواءُ إسـرائـيـل فـيـهـا يُـعـقَـدُ

ورصـاص أوروبـا يُـمـزِّق جـسـمَـهـا   وغـــرور أمـــريـــكـــا فَـمٌ يـتـوعَّـدُ

فـأكـاد أحـلـف أنَّ أمـتـنـا غـدتْ   بـالـذُّل فـي دَيْـرِ الـهـوانِ تُـعـمَّـدُ

وكـأنَّـهـا لم تَـبْنِ صـرحـاً شـامـخـاً   ظـلَّـتْ بـه نـحـو المعـالـي تـصـعـد

وأُمـتـاه، وضـجَّ بـحـر تـسـاؤلـي   مـا هـذه الحُرَقُ الـتـي تـتـوقَّـدُ

مـاذا دهـاك، وأُسـرجـتْ لـي شـمـعـةٌ واستـبـشـرت طـرقـي وبـان المقـصـدُ

ورأيـت أمـتنا، وفـي تـاريـخـهـا هِـمَـمٌ عـظـامٌ، نَـهْـرُهـا لا يـركـدُ

لما سـألـت الـليـل عـنـهـا، قـال لـي: كـانـت إذا أُكْـنَتْـهـا تـتـهـجَّـدُ

لما سـألـت الـفـجـر عنـهـا، قـال لـي: كـانـت تـسـبـح ربَّـهـا وتحـمَّـدُ

لما سـألـت الحربَ عـنـهـا أقـسـمـتْ بـالـلـه، أنَّ ظـهـورَهـا لا تُجـلَـدُ

لما سـألـت الـروم عـنـهـا زمـزمـوا لما سـألـت الـفُـرْس عـنـهـا أبْـلَـدُوا

لما سـألـتُ مـقـوقـسـاً ورجـالـه قـالـوا: لأمـتـك الـعُـلا والـسُّـؤْدَدُ

كـانـت فـوا أسـفـا عـلـى الحال الـتي صـارت إلـيـهـا، إنـهـا لا تُـسْـعِـدُ

مـاذا أقـول لـهـا، أألـطـم وجـهَـهـا بـالـشـعـر حـتـى ينـهـضَ المستـعـبَـدُ؟!

مـاذا أقـول: إذا رسـمـنـا لـوحـةً لـلـحـزن، قـالـوا إنّ شـعـرك أسـوَدُ؟!

ولـذا رفعنا الصوت نشكو ما جرى قـالـوا تُـثـيـر الـغـافـلـين وتحـشُـدُ

وإذا تـنـهَّـدْنـا أداروا نـحـونـا ظـهـراً، وقـالـوا: الـعـارُ أنْ تـتنهَّـدوا

مـن أيـن نـخـرج، كـلُّ زاويـةٍ بـهـا دئـبٌ يـراقـبنا، وعـيـنٌ تـرصـدُ؟؟!

مـاذا اقـول لأمـةٍ، قـد خـيَّـبَـتْ ظـنـي، وصـارت فـي المكـارم تـزهَـدُ؟؟

سأقـول فـي وضـح الـنـهـار وإن طـغـى طـاغٍ، وإنْ كـره المقـالـةَ مُـلـحِـدُ:

إنـي أرى فـي جـيـل صـحـوتـنـا مُـنَـىً مـخـضـلَّـةً، عـنـهـا سـينـكـشـف الـغَـدُ

إنـي بـرغـم الحزن لـسـتُ بـيـائـسٍ فـالـفـجـر مـن رحـم الـظـلام سـيُـولَـدُ

* * *

يا أمتـــي*

محمود السيّد الدغيم

ما للمعارك ضدّنا تتصعَّدُ والضدُّ يغتال المنى ويُبدِّدُ
وقيادةٌ حيرى تخبَّط رأيُها لعدونا وعَدُوِّها تَتَوَدَّدُ
ففريقُها متشبثٌ بكبيرها وصغيرُها خلف الغريق مُجَمَّدُ
تَتَصنَّع الإنصافَ مؤتمراتُها وتُدين من عادى العِدا وتُندِّدُ
وتُهجِّر الأحرارَ عن أوطانهم وتثور في وجه الجهاد وتصمدُ
لكنَّها ترضى بِذُلٍّ وافدٍ عَبْرَ الفصول بأرضنا يتجدَّدُ
والحقُّ مكسور الجناح مُحَطَّمٌ في «مجلس الأمر» المخيف مُوَسَّدُ
يتحلَّقُ الشُّذاذُ حول فراشِهِ ونهيقُهم مِنْ حولِهِ يترَدَّدُ
صاغوا قرارات النفاق فويلهم قد أجحفوا، وعلى النّفاقِ تعوَّدوا
وَدَعَوا إلى إلغاءِ كُلِّ فضيلةٍ بَلْ كَرَّروا «إنّ الجهاد تَمَرُّدُ»
يا ويلهم!! ودماؤنا مسفوحةٌ في كُلِّ أرضٍ إنها لا تُجْحَدُ
سُفِحَتْ ففي الصُّومال نهر دمائنا يَسْتَصْرِخُ الحُرَّ الذي لا يوجدُ

*- هذه القصيدة معارضة متواضعة لبعض أبيات القصيدة السابقة «واأمتاه» للشاعر عبد الرحمن العشماوي.

والصِّربُ تسبح في الدماء «وبطرسٌ» يُرغي بمجلسِهِ الرخيصُ ويُزْبِدُ
أين العصا للعبد؟ إن دروسَها عِظَةٌ وأخلاقٌ «وعيشٌ أَرْغَدُ»
أما مُمالأة الوضيع فخِلَّةٌ مَمْجُوجةٌ ـ في ديننا ـ لا تُحْمَدُ
والسَّيْرُ في رَكْبِ النِّفاقِ جريمةٌ والرَّكْبُ يَهزأُ بالكتاب ويُلحدُ
أما الجهاد فركبه متغيِّبٌ في السِّجنِ والسَّجانُ باباً يُوْصِدُ
كيف الرقادُ وفي «السَّراي» معاركٌ بدماء أطفالٍ صغارٍ تُوقَدُ
في كل بيتٍ ـ في السراي ـ ضحيةٌ ظُلماً، وأخبارُ الوقائعِ تشهدُ
هجم العدوُّ مدمِّراً أمجادنا فالقدس ـ في وضح النهار ـ تُهَوَّدُ
دُكَّتْ جوامِعُنا بأيدي عدوِّنا فَبَكَتْ مآذنُنا وناح المسجدُ
أطفالنا عَبْرَ الدروب تشرَّدوا فَقَدُوْا خرائطَهم وَضَاعَ المرشدُ
يبكون لا أمٌّ تجيبُ ولا أبٌ وَوَصِيُّهُمْ لعدوِّهِمْ يَتَوَدَّدُ
شَرِبَ «النظامُ العالميُّ» دماءَهم وسهامُهُ نحو القلوب تُسدّدُ
ظُلِمَ الصِّغار وشُرِّدوا وتعذَّبوا وعلى عدوِّ الله لم تُرفعْ يَدُ
فَتَهَكَّمَ الأعداءُ، قال كبيرُهم: مَنْ ذا صِغارَ المسلمينَ سَيُنْجِدُ؟
ما للحداثة أفسدتْ أحداثَنا، وشيوخنا منهاجهمْ مُسْتَوْرَدُ
والحاكمون تحكَّموا بشعوبهم والشِّعْرَ في مدح الأعادي أنشدوا
نبذوا القريبَ إلى البعيد وقرَّبوا أعداءَهم، قَرُبَ البعيدُ الأبعدُ
نُفِيَ الكريمُ وحُطِّمتْ آمالُه فالوغد في بيت المُهَجَّرِ يَقْعُدُ
والهودُ في القدس الشريفِ تحكَّموا راياتُهُمْ فوق السَّواري تُعْقَدُ
حاخامُهُمْ في الشَّام صار مناضلاً فَظّاً غليظاً دائماً يتوعَّدُ
مهلاً؛ «أبا حمرا*» فإن جيوشَنا صارتْ بدير الراهبات تُعَمَّدُ
لكن تعميدَ الجيوشِ مؤقتٌ وغداً إلى قمم المعالي تَصْعَدُ

*- إبراهيم حمرا كبير حاخامات يهود سوريا في دمشق.

تلك الجيوش تَبَرَّمَتْ من قهرها غَضَباً وحُزْناً كاللظى تَتَوَقَّدُ
قد أدركتْ خُطَطَ العدوِّ وغدرِهِ إذ أسْفَرَ الباغي وبان المقصدُ
وتكشَّفَتْ للنَّابهين سياسةٌ همجيَّةٌ، وسُمومُها لا تركدُ
تغتالُ مَنْ سلكوا طريق محمدٍ ليلاً وتُوحي أنها تَتَهَجَّدُ
وتسيرُ في درب الضَّلالةِ عن هوىً والسَّيرُ في درب الهوى لا يُحْمَدُ
سلختْ جلودَ المؤمنين سياطُها من غير ذنب بالمقامع تجلدُ
ضحكتْ علينا الرُّومُ في نَدَوَاتِها في الغرب، والفرسُ المجوسُ تَبَلَّدُوْا
للغدر ـ آناء الجرائم ـ أسفروا عن حقدهم جهراً وغاب السُّؤْدُدُ
«ورخيصُهم» تاجٌ على رأس الخنا فلذا البريَّةُ كُلُّها لا تُسْعَدُ
أجفيدُ من خانوا يُحَرِّرُ أُمَةً؟ لا لَنْ يُحَرِّرَ أمَّةً مُسْتَعْبَدُ
أقواله بيضٌ وأمَّا فِعْلُهُ ـ ضِدَّ الشريعة والعروبة ـ أسودُ
نارٌ على الإسلامِ بَرْدٌ للعدا وجيوشُهُ تحت البيارقِ تُحْشَدُ
للصِّربِ عَوْنٌ في جميع حروبهم قَلِقاً على أحوالهم يَتنهدُ
ولذا تراهُ كذئبةٍ قُطبيَّةٍ لَبَدَتْ على درب الأيائل تَرْصُدُ
وطلائعُ الفتح المبين تغيَّبَتْ غَضْباً فصارتْ بالملاحم تزهدُ
فانهار سَدٌّ شَيَّدوه جدودُنا وتَصَدَّعَ الباقي فعربَدَ مُلحدُ
فمتى ستصحو أُمَةٌ من نومها وتَلُمُّ أشتاتاً إذا هجمَ الغدُ
وتُرَشِّدُ الأجيالُ بعد تَخَبُّطٍ والرشد من بعد الضلالة يولدُ

* * *

يا أمة الإسلام ثوري واثأري لا تجزعي إنْ أبرقوا أو أرعدوا
آسي جراح النازفين على الثرى وتوحدي إن التوحُدَ أَنْجَدُ

* * *

الجولة الأخيرة

مقطع من رواية «صقور القوقاز» التي تظهر موقف الشيخ شامل في نهاية الصراع مع الروس. - بتصرف -

انتهت حرب القرم، وتولى القيصر الكسندر الثاني العرش خلفاً لنيقولا الأول، فقام ـ لإنزال الضربة الأخيرة بشامل ـ بإرسال الجيش ـ الذي سحبه من القرم ـ إلى جهة القوقاز. وقد أصدر إلى «فورونتزوف» أمره التالي:

«ـ اقض على جميع عشش الصقور، وانتف أجنحة الصقور حتى لا تستطيع الطيران بعد ذلك. انتظر منكم جميعاً النشاط والهمة والغَيْرة. ولا بد لهذا العمل من نهاية».

والواقع أن جناحاً من أجنحة حرب الاستقلال قد تحطم عند انفصال الحاج «مراد». وقام بعض أمراء الآوار والقازاق بتغيير المكان من جديد واتحدوا ضد «شامل»، ولم يكن هذا غير الملح والفلفل الذي يوضع على هذا الجرح. وباتت وحدة الناس التي كانت بين المجاهدين وكانت مثل قلعة لا يمكن اختراقها، باتت هينة لدرجة أن السيف يمكن أن يدخل بينها (..) وأثمرت بذور الشقاق التي سبق زرعها، وحوصر الإمام «شامل» في «داركو» حاصرته جيوش روسية

ثلاثة.

انسدت كل طرق المساعدات، وتحكم المستطلعون الروس في نظام التخابر بين الداغستانيين (...) يلعب «شامل» ومعه مجموعة من المسلمين المخلصين التفوا حوله، ساعاتهم الأخيرة في جولتهم الأخيرة.

ضغط كلا الفريقين على قبضاتهم بشدة هائلة. محكوم على واحد منهما قطعاً ألا يبقى قائماً وأن يقع أرضاً. وسيكتب على أسوار مقر القيادة في «داركو» النتيجة القاطعة.

لم يكن الإمام «شامل» ينتظر أي مساعدة قط تأتيه من العالم الإسلامي كان واقعياً طوال حياته، أدار ظهره دوماً للخيال، وعاش يواجه الواقع والحقائق ويعيش فيها. وكانت الحقائق مُرَّة. كان العالم الإسلامي مشغولاً للدرجة التي لا يستطيع فيها أن يساعد إخوان الدين الذين يجاهدون في سبيل حريتهم.. كان مشغولاً وأي انشغال. نَسيَ فيه الغيرة الجهادية التي أمر الله بها في القرآن، والتي حث الرسول ﷺ عليها، واستبدل هذا العالم وِفَاقَهُ بالنفاق واتفاقَهُ بالتفرقة. لقد ألمّ بهذا العالم سبات وخدر طارئان.

وبعد دعاء طويل، قرأ للشاعر التركي الشيخ إبراهيم حقي الأرضرومي، ثم خرج:

هيا نرى ماذا يريد المولى ... فكل ما قد قدَّر المولى جميل

كانت أضواء الغابات المحترقة من بعيد تنعكس، على وجه «شامل»، وتجعل إنساني عينيه تلمعان. كانت هذه خطة «فورونتزوف». كان يحرق كل غابات بلاد القوقاز، وأخذت جريمته هذه تشمل الحيوانات أيضاً. كان القيصر قد أصدر أمره التالي: «خرب عشش الصقور. وطالما أن هذه الغابات موجودة فلا بد أن يكون بالضرورة خلف كل شجرة فارس ششني أو داغستاني آخر. يتحدى بمفرده روسيا حتى لو احتاج هذا الأمر إلى روحه. كان هكذا يفكر

«فورونتزوف». ولأنه يفكر هكذا كان يحرق الغابات.

لا بد أن تكون هذه اللُهب، لهب نيران الحرية المنبعثة من عمق القوقاز. لكن آه! لقد بدأت نيران الروس تعمل عملها بعد أن سقطت جمرات الطمع في بعض القلوب. وإلا فهل يمكن أن يرتاح العدو في مكان تنبعث منه الغيرة الدينية؟

كم كان الظلام دامساً، يا ربي!.. لا شيء فيه يَبين، لا اتجاه ولا طريق. لا صديق طاهر ولا غريب. إنما مجموعة من الفدائيين، ذاقوا أهوالاً كثيرة. تخطوا الوحدات الروسية موجة بعد موجة، كسروا إطاراتهم، نجوا من ذل الأسر أسرعوا في الجري وهم يحترقون في مشعل الحرية، وصوت «شامل» الجهوري يدوي.

«من يفكر في نهايته لن ينجح أبداً في أي وقت. إنما القوة والقدرة من الله وحده». (...)

لم يبق في القلعة سوى ثلاثمائة شخص أغلبهم مسنون لم يعودوا بمستطيعي إطلاق الرصاص. أو أطفال لا يستطيعون الصعود إلى الأبراج. لكن فيها نساء. أخذت النسوة القوقازيات أمكنتهن بجوار رجالهن. تعلمت الأيدي الناعمة الإمساك بالبنادق ومع ذلك لم يكف هذا. ورغماً عن هذا، فقد رفض الشيخ اقتراح التسليم الثالث الذي كانت مدته حتى المساء. وأعلن قراره الحاسم بقوله:

«عدوٌّ، كل من يمد يده إلى العدو.»*

* * *

حديقة الحيوان

فيصل محمد الحجي

وَلَـدي يـزور حـديـقـةَ الحيـوانِ ... ويعود يحكي لي كوصف عيانِ

ويقول: يا أبتي رأيتُ مَشَاهداً ... تَـدَعُ الحليـمَ هـنـاك كـالحيـرانِ

إنّي رأيتُ الذئبَ يُظْهِرُ بأسَهُ ... فـي نـعـجـةٍ مـنـهـدَّةِ الأركـانِ

ورأيتُ قرداً فاسقاً متلصصاً ... يـرنـو إلـى أُنـثـى لـدى الجيـران

ورأيتُ ديكاً مُتْخَماً شَبَعاً ولم ... يَـرْمِ الْـفُـتـاتَ لجارهِ الجوعـانِ

ورأيـتُ لـيـثـاً خـائـراً مـتـخـاذلاً ... وعــريــنُــهُ بــقــيــادة الجرذانِ

ورأيـتُ صـقـراً غـافـلاً.. وإنـاثُـهُ ... مـفـتـونـةٌ بـالـبـومِ والـغِـربـانِ

ورأيـتُ ثـوراً كـم يـظـنُّ خُـوارَهُ ... شَـدْواً كـشـدوِ بلابـل البُسـتـانِ

ورأيتُ دُبّاً كالكثيب ضخامةً ... ويـظـنُّ قـامـتَـهُ كـغُـصـنِ الـبـانِ

ورأيـتُ لـلـحـربـاء ألـفَ عـبـاءةٍ ... لِـتَـبَـدُّلِ الأحـوالِ والأزمـانِ

والثعلبَ المكّارَ يمشي خاشعاً ... مـتـظـاهـراً بـالـزُّهـدِ والإيمـانِ

فصرختُ: أُقْصُرْ يا بُنَيَّ ولا تَزِدْ ... وصفاً.. فتلك حديقة الإنسانِ

لَلذِّئبُ أرقى مِن بني الإنسان إنْ ... عـاشـوا بـغـيـر المنـهـج الـربّـانـي



و العالم

ملف العدد:

١- المسلمون المنسيون في روسيا

٢- تفليس عاصمة جورجيا

٣- بلاد طاغستان والشيخ شامل

٤- آذربيجان: بين الماضي والحاضر

■ أخطار الكنيسة الرومية الأرثوذكسية في ألبانيا

■ لمن المطرقة بعد الصومال

المسلمون المنسيون في روسيا

د. علي عبد الرحمن عواض

مقدمة:

إن الحديث عن الجمهوريات «الإسلامية» في آسيا الوسطى والتي كانت تابعة للاتحاد السوفييتي يجب أن لا ينسينا مسلمي روسيا الذين يقطنون في القسم الأوربي من الاتحاد السوفييتي السابق، فطبقاً لإحصاء عام ١٩٨٩ إن أكثر من ٦٠ شعباً من الشعوب القاطنة في الاتحاد الروسي هي شعوب إسلامية. تتوزع على دول مستقلة وأخرى ذات استقلال ذاتي ضمن الاتحاد الروسي، والبقية تتوزع على دول الاتحاد الروسي الأخرى كأقليات عرقية أو على شكل قبائل مشتتة في جمهورية أو أكثر.

وفي روسيا اليوم ـ الوريث الشرعي للاتحاد السوفييتي ـ ست وعشرون جمهورية تكون بمجموعها الاتحاد الروسي، بينها ستة ذات غالبية إسلامية بعضها يتمتع بحكم ذاتي وإمكانات اقتصادية جيدة، وبعضها الآخر يطالب بمزيد من الإصلاحات ويطمح إلى استقلالية أوسع. -

تاريخ الإسلام في روسيا:

دخل الإسلام بلاد ما وراء القوقاز الشرقي (آذربيجان) وآسيا الوسطى في فترة

مبكرة حيث أن الفتح الإسلامي شمل آذربيجان عام ١٨هـ، وتوغل المسلمون في داغستان عامي ٢٢و٢٣هـ، وفتحوا دربند (باب الأبواب) عام ٣٢هـ ثم تراجعوا عنها، وأعادوا فتحها عام ٣٨هـ نهائياً وبهذا فتحت جميع بلاد القوقاز التي انتشر فيها الإسلام بسرعة هائلة.

وفي منتصف القرن السابع توغل الفاتحون العرب في آسيا الوسطى حيث كانت الزرداشتية والمانوية والمسيحية والنسطورية تتصارع فيما بينها فسيطروا على باكو عام ٥٦هـ وفتحوا بين أعوام ٨٦و٩٦هـ كل الإقليم الواقع جنوب داريا لتتحول كل المنطقة إلى الإسلام.

وبعد أن قضى المغول على الخلافة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر الميلادي، واستتب لهم الأمر في مناطق شاسعة من بلاد المسلمين بدأ الإسلام ينتشر في صفوفهم بعد أن هدى الله ملكهم بركة خان للإسلام فأسلم واتخذ اسم الملك السعيد، وقد أعطى ذلك دفعاً جديداً للإسلام أوصله حتى القرم وسهوب روسيا الجنوبية في شمال البحر الأسود وبحر الخرز وحتى سيبيريا الغربية. وفي نهاية القرن الخامس عشر اعتنق دين الإسلام معظم البلقان والقره تشاي والكبردين والشركس الشرقيون.

وجاءت بعدها فترة التحول المعاكس، أو التوسع الروسي المضاد حيث بدأ عام ٩٦٠هـ توسع دولة مسكوفيا لتضم إليها قازان واستراخان وسيبيريا الغربية ومع نهاية القرن السادس عشر كان الروس قد وصلوا إلى شمال القوقاز في كبارديا وبلاد الشاشان، ولم يتوقف الزحف النصراني على المناطق التي كانت حديثة الإسلام إلا بعد أن فرض المسلمون هيبتهم مع نهاية القرن وأوقفوا تقدم المسيحية في القوقاز الأوسط وبلاد الكبردين الذين بقوا فترة طويلة يترددون بين موسكو المسيحية واسطنبول المسلمة حتى آثروا الإسلام نهائياً وأصبحت كبارديا بلاداً مسلمة مع بداية القرن السابع عشر ومنها دخل الإسلام بلاد الأوسيت.

في تلك الفترة، مع نهاية القرن السادس عشر، انتشر الإسلام ببطئ في غوربا جنوب شرق جورجيا ورضي به جزء من أهل البلاد الذين أقاموا فيما بعد دولتهم التي عرفت باسم أدجاريا وهي من الدولة المكونة للاتحاد الروسي الحالي.

وقد استمر الإسلام في التوسع والانتشار في ظل الإمبراطورية الروسية خاصة

في الفترة التي حكمت فيها كاترين الثانية في المنتصف الثاني من القرن الثامن عشر حيث أنها كانت ترى في الإسلام ديناً مقبولاً وأكثر قابلية من الدين المسيحي فسمحت للدعاة المسلمين للعمل في بلادها بحرية كاملة كذلك سمحت في عام ١١٨٨هـ/١٧٧٣م ببناء المساجد والمدراس الإسلامية فنشطت الدعوة، ونقلت على أيدي التجار والمبشرين بالدين الحنيف إلى بشكيريا وسيبيريا الغربية وسهول قازاخ.

وأخيراً كان انتشار الإسلام في بلاد الشاشان الذين عُرفوا عبر التاريخ بتمسكهم بالإسلام وخوضهم أشرس المعارك في بلادهم الجبلية لإيقاف التوسع الروسي ولعل ثورة الإمام شامل الداغستاني من أشهر الأمثلة لهذه المواجهات، وبعدها نقل الإسلام عام ١٢٩٤هـ/١٨٨٠م إلى بلاد الأنغوش.

المرحلة الأخيرة من إنتشار الإسلام كانت في مطلع هذا القرن وقد استمرت هذه المرحلة عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٥م حيث أعلنت الحريات الدينية في روسيا استفاد منها الإسلام استفادة واضحة وانتهت عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٨م عندما تدخلت الحكومة السوفييتية وبدأت حملتها المعهودة على العلماء وكتب الإسلام ومعالمه وأفكاره وشخصياته والتي استمرت إلى وقتنا الحاضر..

المسلمون والتوزيع العرقي:

تعيش معظم الشعوب الإسلامية في مواطنها التاريخية وعلى سبيل المثال:

يعيش في تركمانيا ٩٣٪ من التركمان.

وفي قبرطه بلكار ٩٣٪ من القبرط و٨٢,٢٪ من البلقار.

وفي داغستان ٨٢,٥٪ من الأفاريين ، ٨٢,٢٪ من القوميك، ٧٧,٦٪ من اللاك، و٧٦,٨ من الدرع.

وفي فرستاي-شركساي ٨٣٪ من قرشاي، و٧٦,٩٪ من الشركس.

وفي بشكيرستان ٥٩,٦٪ من البشكير.

والتتار هم الشعب المسلم الوحيد المشتت إذ يعيش ٢٦,٦٪ منهم فقط في تتارستان بينما تتوزع البقية على مختلف أنحاء روسيا ودول آسيا الوسطى. بعد أن أجبر التتر على الهرب من قسوة النظام المسكوفي إلى مناطق متفرقة.

أكبر القوميات الإسلامية هي القومية الكازاخاية حيث يزيد تعداد أفرادها على التسعة ملايين شخص جلهم من المسلمين وأقلها العرب الذين يقرب عددهم على الـ ١٠ آلاف شخص استوطنوا مناطق مختلفة منذ الدخول الأول للإسلام إلى تلك البلاد.

والقوميات المسلمة المتنوعة تنقسم في أصلها إلى مجموعات عرقية كبيرة هي: الأتراك، والإيرانيون وقوقازيون إيبريون.

المسلمون وسياسة «الترويس»:

رافق الحملة الدعائية والفكرية ضد الإسلام حملة على المؤسسات الإسلامية إذ ألغيت عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٤ المحاكم الشرعية، وكذلك محاكم الأعراف كما ألغيت عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٨م جميع المدارس الدينية الثانوية والابتدائية والكتاكيت وكان عددها في ذلك الوقت ١٥٠٠٠ مؤسسة. وفي عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٠م تمت مصادرة آخر ممتلكات الوقف الإسلامي الذي كان يؤمن القوة الاقتصادية للدعاة المسلمين ولمؤسساتهم.

ثم كانت الحملة البشرية ـ وهي من الخطورة بمكان ـ والتي رتَّب لها الاتحاد السوفييتي وخطى فيها خطوات واسعة، والتي كانت بمثابة الضربة القاسمة لكثير من الآمال التي كان -يحلم بها أبناء الجمهوريات والمقاطعات الإسلامية. حيث أن سياسة الاتحاد السوفييتي فرضت عملية إعادة تشكيل (ديمغرافية) للمقاطعات والدويلات الإسلامية وذلك من خلال ترتيب عمليات ترحيل قسري وطوعي لكثير من أبناء المقاطعات واستبدالهم بوافدين روس من مناطق مختلفة من شتى أنحاء الاتحاد السوفييتي السابق.

فقد قامت السلطات بمصادرة الملايين من الكيلومترات المربعة من ممتلكات المسلمين لتوهب للقادمين الروس، حيث يقام لهم نظام اقتصادي متكامل يتوافق مع الخطة المرسومة لإبقائهم في تلك المناطق على أمل كسر الطابع المميز لهذه المناطق وذلك بتزريع هذه المجمعات السكانية الهائلة في قلب مناطق القوميات الأخرى غير الروسية والجدول التالي يوضح بعض هذه النماذج:

التركيبة العرقية للجمهوريات والمناطق ذات الغالبية الإسلامية

الدولة	السكان بالآلاف*	السكان الأصليين	الروس	أقليات أخرى	نسبة المسلمين
بشكيرستان	٣,٩٤٣	بشكير ٢١,٩٪	٣٩,٣٪	مهم تتار ٢٨,٤٪	٥٥٪
الشاشان الأنغوش	١,٢٧٠	شاشان ٥٧,٨٪	٢٣,١٪	منهم الأنغوش ١٢,٩٪	٧٥٪
الأديغة	٤٣٢	اديحيين ٢٢,١٪	٦٨٪	١٩,٩٪	٧٠٪
جوفاش	١,٣٣٨	شوفاش ٦٧,٨٪	٢٦,٧٪	٥,٥٪	٧٠٪
داغستان	١,٨٠٢	داغستانيين ٨٠,٢٪	٩,٢٪	١٠,٦٪	٧٥٪
كاباردين-بلكار	٧٥٤	كاباردانيين ٤٨,٢٪	٣١,٩٪	منهم بلكار ٩,٤٪	٧٠٪
شركس قرتشاي	٤١٥	كاراشيين ٣١,٢٪	٤٢,٤٪	منهم شركس ٩,٧٪	٧٠٪
قاقازيا	٥٦٧	قاقازيين ١١,١٪	٧٩,٥٪	٩,٥٪	٢٠٪
تتارستان	٣,٦٤٢	تتار ٤٨,٥٪	٤٣,٣٪	٨,٢٪	٥٥٪

رافق هذا الغزو الروسي تفريغ لمناطق إسلامية من سكانها الأصليين وإعادة توطينهم في مناطق أخرى من روسيا.

الوضع الحالي:

إن النقص الواضح في الكتابات العربية عن مسلمي روسيا بشكل خاص يزيد من صعوبة الكتابة في هذا الموضوع من جانبين:

- الأول أن الكاتب سوف يضطر إلى استخدام المراجع الأجنبية غير الموثقة أحياناً.

- الثاني أن الكتابة المقتضبة لا تفي الموضوع غرضه وتشرح تناقضات وتداخلات الواقع المعاش في تلك البلاد والتفصيل في واقعها.

فإلى جانب الجمهوريات الإسلامية لآسيا الوسطى والتي كثر الحديث عنها في السنوات الأخيرة وهي ستة جمهوريات (أذربيجان/أوزبكستان/قازاخستان/طاجيكستان/قيرغيزيا/تركمانيا) فإن الوضع الحالي للمسلمين في روسيا يمكن تقسيمه سياسياً إلى ثلاثة مجموعات كبيرة من الكيانات هي كالتالي:

١- الجمهوريات المستقلة ذاتياً وتضم:

* جمهورية تتاريا.

* جمهورية بشكيريا.

*- إحصاء عام ١٩٩٢ .

* جمهورية الكبردين - البلقا.
* جمهورية داغستان.
* جمهورية الشاشان - الانغوش (والتي انقسمت إلى دولتين حديثاً: الشاشان والأنغوش).
٢- مناطق تتمتع باستقلال* ذاتي:
* منطقة الأديغة.
* منطقة القره تشاي - الشركس..
٣- قوميات إسلامية ليس لها إقليم وطني، ولكنها تتمتع باستقلال ذاتي.
إلى جانبها قوميات ومجموعات عرقية لا تتمتع باستقلال ثقافي ذاتي.

١- الجمهوريات الإسلامية المستقلة ذاتياً :

من بين الجمهوريات الستة والعشرين التي تشكل الاتحاد الروسي هناك خمس منها ذات غالبية إسلامية هي: بشكيرستان/الكبردية-البلقارية/تتارستان/داغستان/الشاشان/الأنغوش. وكذلك جمهورية أبخازيا والتي هي جزء من جورجيا حالياً.

أ- جمهورية تاريا:

مساحتها ٦٨٠٠٠ كم^2 عدد سكانها الإجمالي ٣.٥ مليون نسمة حسب إحصائية ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، عاصمتها قازان وهي مركز صناعي مهم. وهي الإقليم المسلم الأقرب إلى موسكو حيث أنها تمثل طليعة الإسلام المتقدم في قلب روسيا. يقع هذا الإقليم في المجرى الوسط لنهر الفولغا ومعظم سكان العاصمة من الروس. والمعروف أن الترر هم من القوميات التي أصابها التشتت بسبب الحروب والتهجير القصري ولا يتجاوز التتر المقيمون في هذه الجمهورية ٢٨٪ من المجموع العام للتر في روسيا.

ب- جمهورية بشكيريا:

تأسست الجمهورية في ٢٠ آذار ١٩١٩م/١٣١٨هـ كجزء من الجمهوريات

* انظر حاضر العالم الإسلامي للدكتور جميل المصري، المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي تأليف الكسندر بينغسن وشانتال لوميرية كيلكجاي ترجمة عبد القادر ضللي دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان ١٩٨٩ .

الفيدرالية الاشتراكية السوفييتية. تمتد مساحتها فوق ١٤٣٥٠٠كم[٢] وعدد سكانها يتجاوز الاربعة ملايين نسمة وعاصمتها أوفا وهي مدينة بغالبيتها من الروس والتتر. تمتاز هذه الجمهورية بأن سكانها الأصليين أو البشكير هم أقلية بالنسبة للأقليات الأخرى والتوزيع العرقي كالتالي:

بشكير ٢١.٩٪، تتر ٢٨٪، روس ٣٩.٣٪، تشوفاش ٣.٢٪، ماريون ٢.٨٪، أوكرانيون ٢.٠٪.

طبيعة سكان الجمهورية بشكل عام قرويون يعملون في الزراعة (٨٠٪)، يتولى الروس معظم العمل الصناعي والوظائف الرسمية.

ب- جمهورية الكبردين - البلقار

تحتل أراضي هذه الجمهورية الجزء الأوسط من جبال القوقاز. أنشئت الجمهورية لأول مرة عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م كمنطقة مستقلة وتحولت إلى جمهورية مستقلة عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٦م وتحول اسمها إلى كبارديا خلال الحرب العالمية الثانية لاتهام البلقار ظلماً بالتعاون مع الألمان، وجرت حملات أبعاد منظمة لهم إلى سيبيريا وآسيا الوسطى. ولكن في عام ١٣٨٩هـ/١٩٦٨م أعيد لهم الاعتبار وأعيدوا إلى جمهوريتهم، وعادت الجمهورية باسم الجمهورية الكبرديل-البلقارية.

مساحة الإقليم تتجاور الـ ١٢٥٠٠ كم[٢] عدد سكانها يقارب المليون عاصمتها نالتشيق، ويقطنها ثلث سكان البلاد وهم يتألفون من عرقيتين أصليين الكردين (وهم الشركس الشرقيون) والبلقار (الأتراك).

جـ- جمهورية داغستان:

كغيرها من العديد من جمهورية الاتحاد الروسي فإن جمهورية داغستان تأسست عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م، تبلغ مساحتها ٥٠٣٠٠ كم[٢]، وعدد سكانها يقارب المليونين نسمة يقطن المدن منها ٣٠٪ والباقي قرويون. نسبة المسلمين في هذه الجمهورية ٨٥.٣٪ من المجموع العام. عاصمتها مختش-قلعة. يمثل الداغستانيون ٧٨٪ من مسلمي البلاد يليهم الأذاريون ثم الشاشان.

حتى الثورة البلشيفية كانت العربية هي لغة الأدب في داغستان وكانت ايضاً

اللغة الرسمية لمنطقة شامل. وفي العام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م أبعدت الحكومة الروسية اللغة العربية لما لها من طابع ديني، وحلت محلها اللغة الروسية للتعامل الرسمي والآذارية كلغة شعبية والغالبية العظمى من السكان من أهل السنّة وتتبع المذهب الشافعي كما تنتشر بينهم الطرق الصوفية خاصة النقشبندية والقادرية.

تعاني هذه الجمهورية كغيرها من جمهوريات الاتحاد الروسي من وضع اقتصادي سيء ونقص في المؤسسات والكليات الشرعية.

من الأحزاب ذات الطابع الإسلامي في هذا البلد حزب النهضة الإسلامي، الحزب الديموقراطي الإسلامي وجماعة المسلمين (صوفيين).

د- الجمهورية الشاشانية-الإنغوشية:

تألفت هذه الجمهورية عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٤م (وذلك بتوحيد جمهوريتي الشاشان التي تألفت عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م.وجمهورية الانغوش التي تألفت عام ١٩٢٤) وأصبحت جمهورية مستقلة عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٦م. عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م طرد من ديارهم جميع السكان الأنغوش والشاشان إلى سيبيريا وآسيا الوسطى في ظروف صعبة أدت إلى موت أرقام كبيرة منهم أثناء عملية الترحيل. ومن ثم قسمت أراضيهم بين جمهوريات أخرى مجاورة وجورجيا. وبعد موت ستالين أعيد الشاشان والأنغوش إلى بلادهم وأعيد إنشاء الجمهورية واستعاد أبناؤها اعتبارهم.

يزيد عدد سكان الجمهورية على ١٣٠٠ مليون يعيشون على مساحة تغطي ١٩٣٠٠ كم^{2} عاصمتها غروزني ومعظم سكانها حالياً من الروس.

وكلتا العرقيتين الأنغوش والشاشان قرويون جبليون يعانون من أوضاع اقتصادية صعبة. قبل الثورة كانت لغة البلاد الشائعة هي العربية وتحولت مع سياسة الترويس إلى اللغة الروسية عام ١٣٥٩هـ/١٩٣٩م.

دخل الإسلام هذه البلاد في وقت متأخر (القرن الثامن عشر) ومن الراجح أنه دخل عبر بخارى وداغستان وشيرفان الذين قادوا الحرب ضد الغازي الروسي.

أعلن استقلال الجمهورية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م، وتعاني البلاد من أوضاع سياسية غير مستقلة كنتيجة للرغبة في التغيير من قبل الإصلاحيين والتي تواجه

بمعارضة منظمة مدعومة من شيوعيي البلاد، ومدعومين من الحكومة المركزية في موسكو.

هـ- أبخازيا:

تمتد أبخازيا على الشواطئ الشمالية الشرقية للبحر الأسود على مساحة تبلغ ٨٦٠٠ كم[٢] عاصمتها ساخومي وعدد سكانها مئة وخمسون ألفاً معظهم من الأبخاز (أو الأباض كما هي التسمية الحقيقية في تلك البلاد). معظم الأبخاز (الأباض) يعيشون في تركيا إذ أن ٧٠٪ من السكان كانوا قد هجروا ونزحوا عام ١٣١٠هـ/١٨٦٤م وعندما تعرضوا لغزو بشري منظم وتحولت البلاد إلى خليط من الروس والجورجيين والأرمن والروم مما أوصل نسبة السكان الأصليين من الأبخاز إلى ١٧٪ من السكان.

اعتبرت أبخازيا جمهورية سوفييتية بعد الثورة الشيوعية عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م ولكن ستالين ألحقها بموطنه جورجيا عندما استلم الحكم. وكانت بدايات المحاولات الوطنية للتغيير عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م عندما قامت مظاهرات من الأبخاز مطالبة باستقلال بلادهم وانفصالها عن جورجيا، ولكن جورجيا واجهت ذلك بقمع شديد سقط ضحيته العديد من القتلى وألغيت الحريات وعطل العمل بدستور البلاد الذي يميزها عن جورجيا والذي كان معمولاً به منذ العام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م ولكن السلطات في جورجيا ضمت البلاد بكاملها لجورجيا وألغت الدستور.

وتكرر الوضع عندما قرر مثقفوا وقادة البلاد اعتبار أبخازيا جمهورية سوفييتية مستقلة والعودة إلى دستور ١٣٤٠هـ/١٩٢١م فكان رد فعل الجورجيين أن تصدوا للمظاهرات بشكل دموي ذهب ضحيته عشرات الاشخاص. ولكن الوضع العسكري تفجر يوم ١٤ أغسطس (آب) ١٤١٣هـ/١٩٩٢م عندما دخلت قوات مجلس الدولة الجورجي أبخازيا بحجة حراسة سكة الحديد ومكافحة الإرهاب والبحث عن الرئيس الجورجي الهارب فدخلت العاصمة الأبخازية دون إذن من سلطات أبخازيا. لكن الكميات الهائلة من الجنود الجورجيين كانت كافية للسيطرة على البلاد واحتلال معظم أراضيها ويحاول شفرنادزه تسليح الجورجيين الذين يسكنون أبخازيا للتصدي للأبخاز الذين ينادون

بالانفصال عن جورجيا وينادون بالاستقلال.

ومع أن الإبخاز أقلية في بلدهم بسبب سياسة التهجير الستالينية ولكنهم يتمتعون برصيد تاريخي بحقهم في البلاد يعترف لهم به غيرهم من أقليات البلاد. ولهذا فإن من بين عدد نواب البرلمان الأبخازي (٢٨ مقعداً) للأبخاز بينما توزعت المقاعد الأخرى كالتالي: ٢٦ للجورجيين، ٥ مقاعد للروم، ٥ للأرمن، مقعد للأروام.

الوضع الحالي هو أن المعارك لا تزال مستمرة بين قوات الاحتلال التي تسيطر على مناطق تكفاتيتلي، غال، تسمتثيرا، ساخوم، في محاولة لاستعادة حرية هذه المناطق و المنطقة مقطوعة عن بقية العالم الإسلامي إلا من بعض المدد الذي يقدمه مسلمو القوقاز من متطوعين وبعض العتاد. وقد أعلن الرئيس الجورجي الأحكام العرفية في البلاد أوائل شهر (يوليو) ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ولمدة شهرين فاتحاً البلاد إلى حرب مفتوحة. وقد قامت رابطة شعوب القوقاز التي تضم القوميات القاطنة جنوب روسيا بإعلان التعبئة العامة لنجدة الأبخازيين سيما وأنه تربطهم بهم رابطة دينية وامتدادات عرقية وتاريخ مشترك.

٢- المناطق المستقلة ذاتياً:

إلى جانب الجمهوريات المستقلة ضمن اتحاد روسيا فإن هناك خمس مناطق تتمتع باستقلال ذاتي بينها اثنتين ذات غالبية إسلامية وهي: منطقة الأديغة ومنطقة القره تشاي-الشركس. وهذه المناطق تستخدم لغاتها القومية إلى جانب الروسية ولا يمكنها الانفصال عن الاتحاد الروسي.

منطقة الأديغة:

وهذه المنطقة تشكلت عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م باسم منطقة الأديغة الشركس المستقلة. وتحول اسمها إلى الأديغة عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٦م، مساحتها ٧٦٠٠ كم^2 وعدد سكانها يتجاوز النصف مليون نسبة المسلمين بينهم ٧٠٪ من مجمل السكان، عاصمتها مايكوب معظم سكانها من الروس. والأديغة الأصليون هم من أهل السنة يتبعون المذهب الحنفي، وهم جزء من الأمة الشركسية. والمعروف أن أكثر من ٧٠٪ من الأديغيين هاجروا إلى الإمبراطورية العثمانية عندما غزت روسيا

القيصرية القوقاز الشمالي، وكانت اللغة العربية هي لغة الأدب حتى العام ١٣٣٧هـ/١٩١٨م واستبدلت رسمياً عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٦م باللغة الروسية.

منطقة القرة تشاي-الشركس:

تشكلت هذه المنطقة عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م وانقسمت عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م إلى منطقتين مستقلتين ذاتياً: منطقة القره تشاي المستلقة ذاتياً، ومقاطعة الشركس القومية. وعادت إلى الاتحاد عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م واتخذت اسمها الراهن. تم ترحيل قسري للقره تشاي عام ١٣٤٦هـ/١٩٤٤م ثم أعيد البعض إليها عام ١٣٩٨هـ/١٩٥٧م بعد اتهامهم ظلماً بالتعاون مع الألمان وإبادة أعداد كبيرة منهم ونفي الجزء الآخر.

مساحة الإقليم ١٤١٠٠ كم٢ وعدد سكانه حوالي النصف مليون نسمة عاصمتها شركس وغالبية سكانها من الروس.

٣- أقليات وقوميات إسلامية أخرى:

كما يتوزع في أنحاء مختلفة في الاتحاد الروسي مجموعة من القوميات التي لا تتمتع باستقلالية ضمن إطار وطني ولكنها تتمتع بنوع من الاستقلال الثقافي الإقليمي إذ تستخدم هذه القوميات لغاتها المكتوبة، ولها مؤسساتها التربوية والعلمية وصحافتها ومسارحها ومعاهدها الخاصة بالبحث، وهناك اربع قوميات إسلامية تتمتع بهذه الخصائص اثنتان منها هاجرت من الصين وهي: الويغور المسلمين ويبلغ تعدادهم ٢٥٠ ألف نسمة وهم امتداد لنفس العرق في الصين حيث يبلغ تعدادهم ٨ ملايين نسمة.

والدنغان: وهم مسلمون على المذهب الحنفي هربوا من الصين عام ١٢٩١هـ/١٨٧٧م بعد فشل ثورة المسلمين في الصين ضد السلالة المنشورية.

الأكراد: ويبلغ تعدادهم حوالي ١٢٥ ألف نسمة جاؤوا على شكل موجات من المهاجرين على فترات زمنية متباعدة من إيران والعراق وتركيا اثر مشاكلهم مع الحكومات في تلك البلاد.

تتر القرم: وكان لهم حتى عام ١٣٦٤هـ/١٩٤٤ إقليم خاص بهم له استقلالية ذاتية ولكنهم عوملوا كإخوانهم الأنغوش والشاشان عندما اتهموا

بالتعاون مع الألمان وشتتوا على أيدي ستالين في سيبيريا وقازاخستان وتذكر المصادر أن أعداد كبيرة منهم قضت خلال فترة التشريد وقد ألغيت جمهوريتهم نهائياً وألحقت المنطقة بأوكرانيا.

وإلى جانب هذه المجموعات العرقية هناك قوميات وعرقيات إسلامية عديدة لا تتمتع بأي استقلال أو تميز ثقافي أو اجتماعي وقد عمل على دمجهم في الإطار الروسي الأوسع لإذابة شخصيتهم المميزة ومنهم:

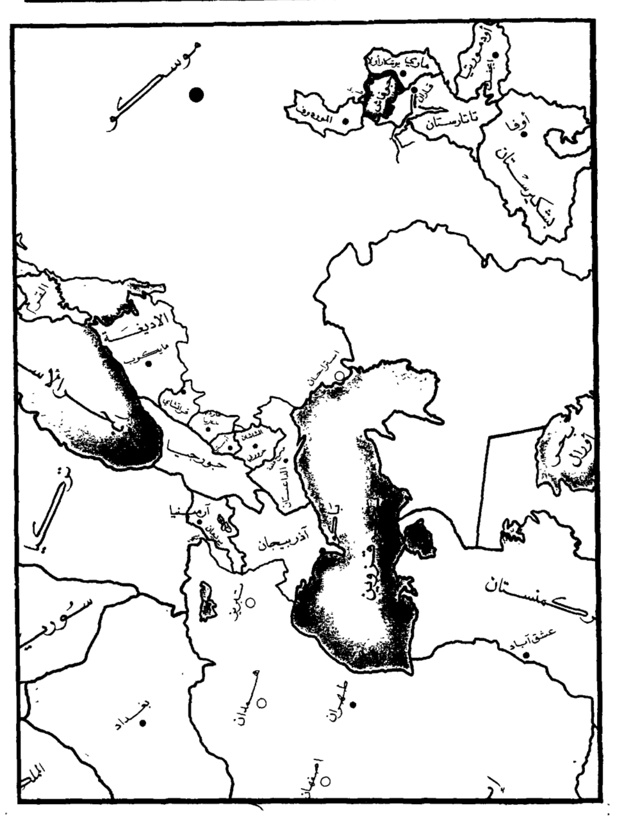
البلوش/الأيروني/ الأتراك/وعرب آسيا الوسطى. كما أن الإسلام ينتشر بين أعراق وقوميات بشكل جزئي حيث أن البعض اعتنق الإسلام بينما بقيت المجموعات الأخرى على ديانات إما نصرانية أو وثنية منهم: الأرمن المسلمون/ التات المسلمون/الغجر المسلمون..

كلمة أخيرة:

لعل الاستعراض السريع لأحوال مسلمي هذه المناطق يلفت الانتباه إلى الوضع المأساوي الذي تعيشه معظم هذه الدول والأقليات ضمن إطارها الروسي- النصراني الواسع.

وقد نستخلص من أهم المشاكل التي يشترك فيها معظم مسلمي هذه المناطق:

- الأوضاع الاقتصادية السيئة التي تؤثر سلباً على إثبات أنفسهم وإصلاح واقعهم.
- الأوضاع السياسية حيث أن معظم هذه المناطق تحكم من قبل شيوعيين يتسمون بأسماء إسلامية.
- الجهل بالدين والبعد عنه حيث أن سنوات الشيوعية الطوال أنتجت أجيالاً من المسلمين الذين لا يعرفون عن دينهم إلا الاسم.
- انتشار الخرافات والبدع بينهم. مما يزيد من أهمية وضرورة العمل على نشر العلم الشرعي الصحيح بين ابناء هذه الطوائف.
- سارعت الكنيسة لاحتضان النصارى من تركة الاتحاد السوفييتي، وهي تعمل جاهدة في بلاد المسلمين ومناطقهم. والمؤسسات الإسلامية الخيرية والدعوية مدعوة للمشاركة في احتضان ومساعدة وتعليم المسلمين المنسيين في روسيا.



الجمهوريات والمناطق ذات الغالبية الإسلامية ضمن الاتحاد الروسي

تفليس عاصمة جورجيا

محمود السيد الدغيم

تضم جمهورية جورجيا، جمهوريتان هما جمهورية ابخازيا ذات الحكم الذاتي، وعاصمتها سوخومي*، وجمهورية آجاريا ذات الحكم الذاتي أيضاً، وعاصمتها باطوم**، وعدد سكانها «٨٢٠٠٠» نسمة، كما تضم مقاطعة أوسيتيا الجنوبية ذات الحكم الذاتي، وكان عدد سكان جورجيا بما تضمه من أبخازيا وآجاريا وأوسيتيا، يساوي ٤ ملايين نسمة أكثر من ثلاثة أخماسهم من الجورجيين، وبقية السكان من الروس والأوكرانيين والأرمن وغيرهم من

*- يخوض الأبخاز حرباً ضارية في سبيل الاستقلال عن الكُرْج الجورجيون.

**- كانت باطوم تابعة للخلافة الإسلامية العثمانية، احتلتها الحكومة الروسية ونشرت إعلاناً لسكان باطوم في شهر آب سنة ١٨٨٠م نذكر منه ما يلي:

١- إن الدين الإسلامي يبقى محترماً والانتقام ممنوع منعاً كلياً ولا يسوغ لأحد أن يمس عرض نساء الترك ولا أن تنتهك حرمتهن فإن قوانين الروسية تنهى عن ذلك وكذلك القرآن يأمر الرجال من المسلمين أن يحترموا أزواجهم.

٢- إذا وقع نزاع بين المسلمين يكون فصله بموجب الشريعة الإسلامية كما كان أيام الترك.

٣- لا يزاد شيء في الضرائب والعوائد ولكن عوضاً عن أداء الأعشار تجعل ضريبة معلومة ويحصل بالتساوي بين الغني والفقير وبالجملة فإن الضرائب تكون أخف مما كانت في أيام الترك بل يكون =

الشعوب»[1] ولم يشر المؤلف إلى الشعوب الأخرى وهم الترك والآذريون والأبخاز والشركس لأنهم من المسلمين.

لا أحد يستطيع معرفة مستقبل جورجيا هل ستستمر العواصم الثلاث ـ تفليس وباطوم وسوخومي ـ في الاتحاد، أم ستنفصل العاصمتان الأخيرتان عن جورجيا، ولا سيما أن الجالية الإسلامية قد عانت القهر المر على أيدي شيوعيي الاتحاد السوفييتي المنهار.

تفليسِ (عاصمة جورجيا)

يحتل اسم مدينة تفليس مكاناً مرموقاً في وسائل الإعلام بسبب ما تتعرض له من كوارث الحرب الداخلية، واستعمال وسائل الإعلام لاسم هذه المدينة العريقة متفاوت الصحة، فبعض وسائل الإعلام تذكرها بصورة صحيحة، وبعضها يترجم اسم تفليس دون تعريب، ودون عودة إلى المراجع العربية الصحيحة

= الفقراء مستثنين من ذلك.

٤- حقوق التمتع في المعابر تبقى كما كانت.

٥- دولة الروسية لا تأخذ من الأهالي أحداً للخدمة العسكرية كما هي العادة في «القوقاز» و«كرجستان» ولكن ترتب جنوداً محلية للمحافظة على الحدود ويكون لهم مرتب شهري ولا يخفى أنه من الواجب على كل من أبناء الوطن أن يحافظوا على بلادهم لدفع تسلط العدو فيلزم لأهل باطوم أن يعتبروا هذا الأمر حق الاعتبار.

٦- يلزم إنشاء مدراس تتعلق بالجوامع كما كانت في أيام الترك ودولة الروسية تساعدها على إنشائها من دون أن يكون لها حق في استعمالها.

٧- يكون لكل أحد حق في أن يهاجر إلى تركيا إلى غاية المدة التي قررتها معاهدة برلين وأن يبيع كل ما يريد بيعه ما عدا الأراضي وبعد مضي المدة المذكورة يمكن له أيضاً أن يهاجر ولكن يلزمه الحصول على تذكرة المرور (باسبورط).

٨- المسلمون الذين يظهرون حسن السيرة والسريرة يوظفون في الوظائف العادية، وفضلاً عن ذلك يوظفون أيضاً في الوظائف الإدراية، وفي رتبة قائم المقام.

«نقلاً عن مختارات الجوائب ٢٤٥/٧»

١- جغرافية الاتحاد السوفييتي، ص ٣١٣ .

فيكتبها «تبليسي»، ونظراً للهوة الفاصلة بين المواطن العربي وتراثه فقد أصبحت تفليس في عداد المدن المنسية؛ شأنها شأن الكثير من المدن التي اشتهرت عبر تاريخها، ثم خبا ذكرها مع تراجعنا عنها، حتى أصبحت مجهولة من قِبَلِ قطاع عريض من قراء لغتنا العربية، وأصبح واجبنا ـ إزاء ذلك ـ أن نعرف بها وبماضيها وبعلاقتها بأمتنا عَبْرَ التاريخ.

تعرف هذه المدينة باسم تبليسي (Tiblisi) في لغة الكُرْج وبعض المراجع اللاتينية تذكرها باسم تفليسي (Tphilsi) أما المراجع والمصادر العربية فتذكرها باسم: تفليس*، ما عدا البلاذري أحمد بن يحيى، المتوفى سنة ٢٧٩هـ فقد ذكرها في كتابه فتوح البلدان باسم «طفليس» بالطاء وليس بالتاء، وسبب التسمية: ينابيع تفليس الحارة، فمعنى حار؛ في لغة الكرج: تفيلي (Tphili)، أما الأرمن فيطلقوا عليها اسم: تفخيس (Tpkhis).

النسبة إلى تفليس

«التفليسي: نسبة إلى تفليس، وهي آخر بلدة من بلاد أذربيجان، مما يلي الثغر، خرج منها جماعة من العلماء والمحدِّثين، منهم: أبو بكر محمد بن إسماعيل بن بنون بن السري التفليسي (٤٠٠ - ٤٨٣هـ).. وأبو أحمد حامد بن يوسف بن أحمد بن الحسين التفليسي، من أهل تفليس.. وكانت وفاته بعد بعد سنة ٤٨٤هـ، ومحمد بن بيان بن حمران المدائني التفليسي، أصله من تفليس.. وعبد الله بن حماد التفليسي[1]..

وذكر الذهبي، في سير أعلام النبلاء، نجم الدين ثابت بن تاوان التفليسي المتوفى سنة ٦٣١هـ[2]. كما ذكر محمد بن اسماعيل السري التفليسي، المتوفى سنة ٤٨٣هـ[3]، وأسند الذهبي رواية للناتاني تفيد أن الإمام علي بن عبد الرحمن ابن عَلِيَّك النيسابوري، قَدِمَ تفليس وحدّث عن الخفاف، وتوفي في

* انظر معجم البلدان لياقوت الحموي. مادة: تفليس.

١ - الأنساب، للإمام السمعاني، المتوفي سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م، مادة التفليسي، ٤٧١/١-٤٧٢ .

٢ - ٣٦٧/٢٢ .

٣ - ١١/١٩، الترجمة ٦ .

تفليس سنة ٤٦٨هـ[١] والناتاني التفليسي هو أحمد بن عمر بن محمد بن ناتان، سمع منه شيخ الإسلام أبو طاهر السِّلَفِيُّ (٤٧٥هـ-٥٧٦هـ) في تفليس سنة ٥٠٠هـ[٢].

تفيد القوائم الإحصائية، أن عدد سكان تفليس قد بلغ سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م، ٢٣٣,٩٥٨ نسمة، منهم ٨٥,٣٠٩ من الأرمن، و٨٠,٨٨٤ من الكُرج، و٣٨,٦١٢ من الروس، و٩,٧٦٨ من اليهود، و٣,٩٨٤ من الفرس، و ٣,٢٥٥ من الترك الآذربيجانية، و٢,٤٥٧ من الألمان وغيرهم.

توضح لنا الإحصائيات السابقة أن سكان تفليس ينتمون إلى عدة قوميات، وهذه نتيجة ما تعاقب على حكمها من الشعوب، ولا شك أن بعض سكانها من أصل عربي امتزج بالفرس والترك عبر مسيرة الزمن.

ذكر الطبري في تاريخه أن تفليس قد فتحت سنة ٢٢هـ على يد حبيب بن مسلمة ـ رضي الله عنه ـ وذلك بعد فتح باب الأبواب على يد سراقة بن عمرو، في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٣]. وذكر الطبري[٤] كتاب الأمان الذي كتبه حبيب ابن مسلمة إلى أهل تفليس، وقد عَيَّنَ حبيبٌ الفقيهَ عبد الرحمن بن جزء؛ ليعلم أهالي تفليس أصول الدين الإسلامي، وأقدم درهم أموي ضرب في تفليس سنة ٨٥هـ في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وقد استمرت دارُ سَكِّ الدراهم في تفليس لغاية سنة ٣١٠هـ. واستمرت الإمارة الأموية في تفليس لغاية سنة ٢٣٨هـ حيث قضى عليها «بُغًّا» التركي ـ ومعنى بغا التركية: ثور باللغة العربية ـ وكان ذلك أيام المتوكل العباسي (٢٣٢-٢٤٧هـ) [٥] وإثر ذلك بدأت سيطرة العرب بالتراجع[٦] وبدأ تاريخ الصراع

١- سير أعلام النبلاء ٢٩٩/١٨ .
٢- سير أعلام النبلاء ١٣/٢١ و ص ٢٤ .
٣- تاريخ الطبري، ٢٣٥/٣-٢٣٦ .
٤- ٢٤١/٣ .
٥- تاريخ الطبري، ١٣٩/٩ وابن كثير ٣١٧/١٠ .
٦- تاريخ المسعودي ٦٧/٢ .

الطويل بين المسلمين العرب والترك من جهة، والكُرْج والأرمن من جهة أخرى، حيث سيطرت الإمارة الساجية على أذربيجان وتفليس (٢٧٦-٣١٧هـ) ولكن الكرج اجتاحوها سنة ٤٢١هـ، ثم هاجمها آلب أرسلان السلجوقي (٤٥٥-٤٧١هـ) فشتت شمل الكُرج، وأخضع تفليس لسيطرته.

حاصر الكرج مدينة تفليس، واشتد قتالهم لمن بها وتفاقم الخطب وعظم الأمر على أهلها، ودام الحصار إلى سنة (٥١٥هـ) فملكوها عُنْوَةً، وكان أهلها لما أشرفوا على الهلاك قد أرسلوا قاضيها وخطيبها إلى الكُرج في طلب الأمان، فلم تُصغِ الكُرج إليهما، فأحرقوا بهما، ودخلوا البلد قهراً، وغلبةً، واستباحوه، ونهبوه، ووصل المستنفرون منهم إلى بغداد مستصرخين ومستنصرين سنة ٥١٦هـ، فبلغهم أن السلطان محموداً بهمذان، فقصدوه، واستغاثوا به، فسار إلى أذربيجان، وأقام بمدينة تبريز شهر رمضان، وأنفذ عسكراً إلى الكرج..»[1].

وفي سنة ٧٨٨هـ داهم تيمورلنك بلاد الكُرج، واحتل تفليس، وخرب البلاد سنة ٨٠٣هـ وأقام في تفليس حامية خراسانية، ثم استمرت المناوشات، فأعاد تيمور الكرة على تفليس «وضرب جميع أديرتها وكنائسها وذهب سنة ٨٠٥-٨٠٦هـ[2]، وفي عام ٨٤٤هـ استولى الشاه جهان القراقيون لي (جهان شاه) (٨٤١-٨٧٢هـ) على تفليس، وطرد الكُرج منها، ثم غزا أوزون حسن (حسن الطويل) الآق قويون لي (الغنام الأبيض) بلاد الكرج سنة ٨٧١هـ وحرر الأسرى المسلمين، وترك حامية في تفليس، بقيادة صوفي خليل بك.

واستولى العثمانيون على بلاد الكُرج فترة (٩٨٦-١٠١٢هـ/١٥٧٩-١٦٠٣م) واستولوا على تفليس، وولي عليها محمد بن فرحاد باشا (فرحات باشا)[3]، ثم استعاد الشاه عباس الأول مدينة تفليس من العثمانيين سنة ١٠١٢هـ/١٦٠٣م وسيطر على بلاد الكرج فقتل منهم سنة ١٠٢٥هـ حوالي

١- الكامل لابن الأثير ٣٩٩/١١، طبعة بريل ١٨٦٤م. وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤٥٣/١٩ .
٢- دائرة المعارف الإسلامية، ٤٥٢/٩ (يجب الانتباه إلى مغالطات دائرة المعارف الإسلامية).
٣- تاريخ الدولة العلية العثمانية ٢٦١-٢٦٦ .

«٧٠,٠٠٠» ثم قتل منهم حوالي ١٠,٠٠٠ سنة ١٠٣٣هـ، وبعد ذلك سيطر كيخسرو (رستم) على تفليس (١٠٤٣هـ). ثم آلت مقاليد الحكم إلى جيورجي الحادي عشر سنة ١٠٩٩هـ وخلفه أريكله الأول (Ereklei) (١٠٩٩-١١٠٢هـ) فأسلم وأصبح يعرف باسم: نظر علي خان.

توفي الملك أريكله الكهل سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٨م وخلفه ابنه جيورجي الثاني عشر، فأعلن تبعيته لقيصر روسيا، وأصدر بطرس الأول فرماناً بضم بلاد الكُرج إلى روسيا سنة ١٢١٤هـ/١٨٠٠م وأعلن الضم في ٢٧ رجب ١٠٨١هـ/١١يناير ١٨٠١م، وتخلى الفرس عن المطالبة ببلاد الكُرج منذ سنة ١٢٢٨هـ/١٨١٣م، وفي سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٨م أصبحت تفليس عاصمة جورجيا السوفييتية، وفي ١٦ جمادى الأولى سنة ١٣٣٩هـ/٢٦ يناير ١٩٢١م اعترف الحلفاء بالكُرج.

وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي، استيقظت النزعات القومية بعد أن عانت من الكبت الشيوعي كثيراً، وراحت كل قومية تعمل من أجل بناء دولتها، وجورجيا كغيرها من دول الاتحاد المنهار، تعاني من التعددية القومية، والتعددية الدينية والمذهبية حيث تضم ثلاث جمهوريات ومقاطعة مستقلة، تحتوي على عدة شعوب منهم الكُرج والأرمن ومنهم الفرس والترك والآذربيجانيون، وهذا هو السبب الذي يدفع هذه الجمهورية إلى حرب أهلية ستسفر عن ثلاث جمهوريات أو أكثر، وقد أعلنت مقاطعة أوستيتا الجنوبية استقلالها لتنضم إلى أوستيتا الشمالية، وهذه فاتحة التمزق بالإضافة إلى حروب رئيس الوزراء السابق «زفياد غمسا خورديا» وحروب الأبخاز التي ما زالت مستمرة.

* * *

بلاد الطاغستان والشيخ شامل*

«يا شامل! جياد غريبة تشرب من ينابيعنا، وأناس غرباء يطفئون قناديلنا فهل تمتطي وخدك صهوة جوادك أو نساعدك على ذلك».
شاعر من داغستان

على الضفة الغربية من بحر الخزر بين ٤٣ و٤١ من العرض الشمالي بلاد يقال لها طاغستان، مساحتها نحو ٢٩٧٦٣٠ كم٢ وعدد نفوسها سبعمائة ألف، أما إذا انضم إليها جميع بلاد القوقاس الشمالية فيقال أن أهلها يبلغون مليونين إلى ثلاثة. وقد فتح العرب في خلافة هشام بن عبد الملك الطاغستان سنة ١٠٥ للهجرة ووطد أخوه مسلمة الحكم العربي في تلك الديار، وكانوا يلقبونها بالدربند، وكانت ثغراً من ثغور العرب ومنها انتشر الإسلام في تلك الأقطار، وكان الأهالي من قبل وثنيين ونصارى ويهوداً.

ولما اجتاح المغول بلدانهم كان أكثر هؤلاء صاروا مسلمين، ولما كانت غارة تمرلنك (سنة ١٣٩٥م) كان أشهر شعوب الطاغستان قبيلتين أحدهما القايتاق، والآخر القومق ويقال لهم: غازى قومق. وأكثر أشراف الطاغستان يدّعون أنهم من أصل عربي وأن آباءهم قدموا مع مسلمة بن عبد الملك بن مروان. وقد صادفت في الروسية بعض أشراف الطاغستان فقالوا لي: أن أصلهم من العرب

* عن كتاب «حاضر العالم الإسلامي» للأمير شكيب أرسلان (بتصرف).
* الطاغستان هي التسمية التي كانت متداولة لما يعرف الآن: داغستان.

يوم فتحوا الدربند وهم يفتخرون بذلك. وقد طمع الروس في الاستيلاء على الطاغستان منذ أواخر القرن السادس عشر للمسيح فلم يفلحوا وهزمهم أولاد الشامكال وأخرجوهم من بلاد سولاك التي كانوا احتلوها، ثم سنة ١٦٠٤م كروا ثانية على الطاغستان وقصدوا بلدة طاركهو فلم يفوزوا بطائل.

وفي سنة (١٧٢٢م) ساق بطرس الأكبر جيشاً استولى الدربند وسائر سواحل الخزر الغربية إلا أن نادر شاه صاحب فارس غزا هذه البلاد واسترجع أكثرها من أيدي الروس (١٧٣٥م) وزحف تتر القريم التابعون للدولة العثمانية على الطاغستان في تلك الأثناء ففشلوا؛ وبقي الحكم هناك للعجم لكن المملكة الفارسية بعد نادر شاه تضعضع أمرها، فتقلص ظلها عن الطاغستان وزحف الروس ثانية فاجتاحوا البلاد سنة ١٧٥٥ وفي سنة ١٧٨٤ خضع لهم الشامكال مرتضى علي وبعد ذلك استولوا على القوقاس، فتمكنت قدمهم في الطاغستان.

ولما تخلى الترك من جهة والفرس من جهة عن الطاغستان، عقد أمراء البلاد محالفة فيما بينهم على مناهضة الروس فاشتبك القتال بين الفريقين، وتجشمت الروسية كلفاً عظيمة إلى أن تمكنت من تدويخ البلاد ـألغت لقب العصمى من أمراء قايتاق (١٨١٩) ولقب المعصوم أمير تبازاران (١٨٢٨) وجعلت لدى الأمراء الباقين ضباطاً روسيين يأخذون على أيديهم، فاستسلموا جميعاً للحكومة الروسية، فثار الشعب على الروس وعلى الأمراء وتولى أمر الثورة علماؤهم وشيوخ الطريقة النقشبندية المنتشرة هناك؛ وطلبوا أن تكون المعاملات وفقاً لأصول الشريعة لا للعادات القديمة الباقية من جاهلية أولئك الأقوام؛ وكان زعيم تلك الحركة غازي محمد الذي يلقبه الروس بقاضي ملا، وكان من العلماء المتبحرين في العلوم العربية؛ وله تأليف في وجوب نبذ تلك العادات القديمة المخالفة للشرع اسمه «إقامة البرهان على ارتداد عرفاء طاغتسان».

وفي ٢٩ تشرين الأول سنة ١٨٣٢م بعد جهاد طويل أحيط بغازي محمد

في قرية جيمري، واستشهد في معمعة القتال ـ رحمه الله ـ، فخلفه حمزة بك الذي استشهد أيضاً ـ رحمه الله ـ بقرب غنزاق بعد ذلك بسنتين، فتولى زعامة الثورة الشيخ شامل افندي ـ المقصود بهذه الترجمة ـ الذي خرج من المشيخة إلى الأمارة، وتناول السيف من طريق القلم. ولم يكن الشيخ شامل في سعة علم سلفيه ولكنه كان أحسن منهم أدارة للأمور، وبصيرة بالحروب، فشمر عن ساق الجهاد والْتَفَّ ذلك الشعب الأبي من حوله، فذب عن حوض ملته نحو ٣٥ سنة ظفر فيها بالروس وفي وقائع عديدة وألقى الرعب في قلوبهم. وجلاهم عن جميع البلاد إلا في بعض مواقع ثبتوا فيها في الناحية الجنوبية وكانت أعظم الدبرات التي والاها عليهم هي في سنتي ١٨٣٤ و ١٨٤٤ حيث افتتح جميع الحصون التي كانت لهم في الجبال وغنم منها ٣٥ مدفعاً وأعتاداً حربية ومؤناً وافرة، وأخذ عدداً كبيراً من الأسرى، فجردت الروسية بعظمة ملكها وسلطانها جيوشاً جرارة ونادت هي بالجهاد في الطاغستان. ونظم شعراء الروس القصائد في وصف تلك الحروب؛ وما زالت توالي الزحوف حتى تمكنت من البلاد ولكن بقي الشيخ شامل عشر سنوات يناوشها القتال في الجبهات الغربية من الجبال ولم يُسَلِّم هذا المجاهد العظيم للروس إلا في ٦ أيلول سنة ١٨٥٩م فعمد الروس على أثر تسلميه إلى إعادة سلطة الأمراء، ولكن لما استتب لهم الأمر بواسطة هؤلاء الأمراء عادوا فخلعوهم هم أيضاً؛ كما هي العادة بأن هذه الدول تبدأ أولاً باستعمال نفوذ الأمير الوطني في أغراضها، وتصريفه في حاجاتها، حتى إذا قضتها كلها رجعت إليه ونبذته نبذ الحصاة، وذهب يقرع سن الندم على استرساله إليها واعتماده عليها. وبقي الأمر كذلك إلى سنة ١٨٧٧ إذ نشبت الحرب بين الروسية والعثمانية فثار الطاغستانيون وافتتحوا قلعة القومق، ولكن لما دارت الدائرة على الدولة العثمانية في تلك الحرب، تمكن الروس من قمع الثورة بدون عناء كبير.

ولما انحلت الحكومة القيصرية، وقامت الحكومة البولشفيكية سنة ١٩١٧

محلها وأعلنت استقلال الأمم المهضومة، وخيرت الشعوب التي كانت القياصرة الروس قد أخضعوها بحد السيف بين أن تبقى منضمة إلى روسيا الأصلية، أو تنفصل عنها، كان أهالي بلاد القوقاس أجمعين ممن أعلنوا استقلالهم التام، فتألفت جمهورية في كرجستان*، وأخرى في الطاغستان، والثالثة في آذربيجان، والرابعة في أريفان**، وأوفدت كل من الجمهوريات الأربع وفودها إلى الآستانة لمفاوضة الأتراك والألمان في الاعتراف بهذه الجمهوريات الأربع، وصار الحديث في ارتباطها بعضها ببعض بشكل حلفي، وكان الوفد الطاغستاني الجركسي مؤلفاً من عبد المجيد بك، وعلي بك، وحيدر بك بامات الذي كان ناظر الخارجية الطاغستاتية. وما مضت مدة قصيرة حتى داخل الكرج الدولة الألمانية وطلبوا حمايتها فاعترفت لهم بالاستقلال دون غيرهم[1] وأحدث ذلك خلافاً بين الأتراك والألمان لأن تركيا تقاضت حليفتها ألمانيا الاعتراف باستقلال الجمهوريات الثلاث الباقية، حتى أن طلعت باشا الصدر الأعظم يومئذ سعى لدى ألمانيا في معرفة استقلال جمهورية اريفان الأرمنية التي كانت تتقرب من الدولة العلية ، وكان رجال الدولة يريدون بمساعدتها إصلاح ذات البين بينهم وبين الأرمن[2] فتقدم أنور باشا إلى هذا العاجز[3] أن أذهب إلى برلين وأتكلم في هذا الموضوع وأقنع نظارة الخارجية الألمانية بلزوم المساواة بين جمهوريات القوقاس كلها، وإلا لم يكن مناص من الاختلاف. وكلفني الوفد الطاغستاني أيضاً أن أهتم بقضيتهم نوعاً لأنهم حسبوا أن الترك قد

١- تم ذلك لأن أكثرهم نصارى وقد كررت ذلك ألمانيا في الاعتراف ودعم استقلال كرواتيا وسلوفينيا ولم تحافظ على استقلال البوسنة والهرسك.

٢- لأن طلعت باشا لم يكن صاحب حمية إسلامية، وهو من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي التي ثارت على السلطان عبد الحميد، وكانت تعتمد على عناصر يهود الدونمة الذين تحركوا باسم القومية.

٣- أي كاتب هذه السطور الأمير شكيب أرسلان.

* كرجستان = بلاد الكرج = جورجيا.   ** أريفان = أرمينيا.

يصرفون معظم عنايتهم في مصلحة جمهورية آذربيجان التركية فقط، فبذلت في تلك الأيام جهدي مع نظارة الخارجية في برلين في تمهيد الخلاف، وكان أكثر الكلام مع فون روزنبرغ الذي كان مديراً للأمور الشرقية، وهو هو اليوم بينما أحرر هذه الأسطر ناظر الخارجية الألمانية. ولم يلبث أن حضر إلى برلين طلعت باشا والكونت برنستورف سفير ألمانيا في الآستانة، واشتركنا في حل هذه المسائل جميعاً وتم الاتفاق لولا أن الحرب في الجبهة المقدونية جاءت بما لم يكن في الحساب. وطلبت بلغاريا الهدنة، وابتدأت نهاية الحرب فوقف كل شيء من جهة ألمانيا وتركيا، واحتل الانكليز القوقاس، وعلق القوقاسيون عامة آمالهم بانكلترة. أنها تعترف باستقلالهم وتوطد لهم حكوماتهم، لا سيما أنها كانت تعطف على الطاغستانيين قديماً أثناء مقاومتهم الطويلة للروس فكان الأمر بالعكس إذ حصرت انكلترة جهودها في مناهضة البولشفيك، وإعادة الحكم الإمبراطوري على أصله، وأمدت الجنرال دنيكين عدو هؤلاء بالمال والسلاح، فما بدأ الجنرال بالحرب مع البولشفيك حتى غزا الطاغستان، وحاول القضاء على استقلالهم، فجرت بين الفريقين الوقائع الدامية، وما زالت إلى أن انقضى أمر دينيكين، واستتب الأمر للبولشفيين أنفسهم، فجرد هؤلاء جيوشاً على جمهوريات القوقاس الأربع. فقبضوا على أزمتها وألحقوها بحكومة موسكو خلافاً لوعدهم الأول؛ وثار أهالي الطاغستان عليهم فتغلبت الحكومة البولشفية على الثوار وقبضت على بعضهم وألقتهم في السجون، وشُرِّدَ قسم من رؤساء الحكومة المستقلة؛ ومنهم عبد المجيد بك، وصديقنا حيدر بك بامات إلى أوربا، حيث يواصلون مساعيهم لأجل قضيتهم القومية إلى يومنا هذا*

* ولد شكيب أرسلان في سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م وتوفي في سنة ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م. انظر الأعلام للزركلي ٣/١٧٣-١٧٥ ومذكرات شكيب أرسلان.

آذربيجـــان بين الماضـي والحاضـر

تتناقل وسائل الإعلام اسم آذربيجان بصورة عمومية تحتاج إلى الإيضاح ـ أكثر من أي وقت مضى ـ لأن القارئ العربي قد كونَّ صورة مغلوطة عن تلك البلاد خلال هذا القرن.

لقد حدَّد الجغرافيون العرب موقع أذربيجان وضبطوا اسمها، والنسبة إليها، وخير مثال على ذلك ما دونه ياقوت الحموي (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م) في كتاب معجم البلدان (١٢٨/١-١٢٩) حيث قال:

«وحَدُّ أَذربيجان من بَرْذَعَة مشرقاً إلى أَرزنجان مغرباً، ويتصّل حدُّها من جهة الشمال ببلاد الديلم، والجيل والطّرْم،وهو إقليم واسع. ومن مشهور مدائنها: تبريز، وهي اليوم قصبتها وأكبر مُدُنِها، وكانت قصبتها قديماً المَراغة، ومن مدنها خُوَيّ، وسَلَمَاس، وأُرمية، وأرْدَبيل، ومَرَند، وغير ذلك. وهو صُقع جليل، ومملكة عظيمة، الغالب عليها الجبال.

وقد فتحت أولاً في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وكان عمر قد أنفذ المغيرة بن شُعبة الثَّقفي والياً على الكوفة، ومعه كتابٌ إلى حُذيفة بن

اليمان، بولاية أَذربيجان، فورد الكتاب على حذيفة وهو بنهاوند، فسار منها إلى أَذربيجان في جيش كثيف، حتى أتى أردبيل، وهي يومئذ مدينة أذربيجان. فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً أياماً. ثم إن المرزبان صالَحَ حذيفة على جميع أَذربيجان، على ثمانمائة ألف درهم وزن».

إن آذربيجان تعرضت للتجزئة جراء ما تعرضت له من مؤامرات خارجية، حيث قسمت حسبما أراد جيرانها الأقوياء، فأنشئت جمهورية آذربيجان السوفييتية في ٢٨ نيسان/أبريل سنة ١٩٢٠م كجزء من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية المحلية القائمة وراء القفقاس، ثم ألحقت بالاتحاد السوفييتي في ٥ كانون الأول/ديسمبر سنة ١٩٣٦، وأصبحت آذربيجان السوفييتية تعني: «آذربيجان» ومساحتها: ٨٦٦٣٠ كم٢، وجمهورية «نخجوان» المستقلة إدارياً ومساحتها: ٥٥٠٠ كم٢، ومقاطعة «قره باغ» الأعلى ذات الاستقلال الإدراي ومساحتها: ٤٤٠٠كم٢.

الحدود: يحدها من الشرق بحر قزوين، ومن الشمال جمهورية داغستان المستقلة استقلالاً إدارياً، ومن الشمال الغربي جمهورية جورجيا، ومن الجنوب الغربي جمهورية أرمينيا، ومن الجنوب تركيا، وآذربيجان الإيرانية، وتفصل أرمينية بين آذربيجان وجمهورية نخجوان. ويفصل بين آذربيجان الشمالية وآذربيجان الجنوبية ـ التي هي جزء من إيران ـ نهر (اركس، أو اراس، أو الرس) ـ حسب ما ورد في المراجع العربية، وتحدها من الشرق منطقة (كيلان) جيلان، ومن الجنوب منطقة زنجان. ومنطقة «سنندج»، وهما إيرانيتان، علماً أن أكثرية سكان سنندج من الأكراد.

معظم السكان في آذربيجان الإيرانية من القبائل التركية الأصل واللغة، ولا سيما في الشمال الشرقي والجنوب، وقد هاجر الكلدان والآشوريون من الشمال إلى العراق وسوريا، في الفترة الممتدة ما بين الحربين العالميتين، وحصلوا على الجنسية العراقية، والجنسية السورية، وانفصلوا عن وطنهم الأم نهائياً.

والآن يدعون أن بلاد ما بين النهرين وما حولها هي بلاد أجدادهم، وتتبنى قضاياهم منظمات حقوق الإنسانية الغربية لزرع الفتنة في بلاد المسلمين.

علماء آذربيجان:

لقد حفظت لنا كتب التاريخ، وكتب الطبقات؛ عدداً لا بأس به من أسماء العلماء الذين انتسبوا إلى مدن آذربيجان. فقد ذكر الإمام الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء (١٧/٥٤٤، الترجمة رقم:٣٦٣) من مدينة باكو: «الإمام الصالح المحدث: أبي عبد الله، محمد بن عبد اللع بن عبيد الله بن باكويه، الشيرازي الباكوبي (ت ٤٢٨هـ)، ولهذا العالم ترجمة في أنساب السمعاني ٢/٥٤، واللباب للجزري ١/١١٣ .

وذكر لنا الذهبي في سير أعلام النبلاء من مدينة زنجان، سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين الزنجاني، أبو القاسم.

عصر الاحتلال الروسي:

لم ينحصر تآمر أعداء الإسلام في منطقة معينة بل امتد التآمر إلى معظم الأقطار، وواكب مسيرة الزمن عبر العصور، واستعراض الوقائع التاريخية يدل على ذلك وكثيراً ما كان أعداء الإسلام يتحدون ضد الإسلام متناسين خلافاتهم، وضمن هذا السياق يبرز الاتفاق البريطاني الروسي ضد المسلمين في القرن الماضي وما تلاه، وقد شملت المؤامرات آذربيجان التي دخلتها القوات الروسية القيصرية سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ولم يختلف الحال مع وصول الشيوعيين إلى الحكم بعد انقلاب تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩١٧م حيث أن قواتهم احتلت باكو عاصمة آذربيجان سنة ١٩١٨م، واعتبروا آذربيجان (جمهورية سوفييتية) سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م وبدأت مسيرة إلغاء الهوية الإسلامية الآذربيجانية.

وعندما وصلت الشيوعية إلى نهايتها وانهارت غير مأسوف عليها، بدأ

الناس يتحررون من أَسْرِ الشيوعية، ولم يقتصر الأمر على المسلمين بل شمل حتى الروس الروم الأرثوذكس الذين اعتبروا الحزب الشيوعي الروسي حزباً محظوراً. ومع الأسف الشديد ما زال الشيوعيون العرب متمسكين بتلك النظريات الفاسدة.

بدأ العد التنازلي السريع في مسيرة القهر الشيوعية، فسقطت النظم الشيوعية التي كانت حاكمة سنة ١٩٨٩ في أوربا الشرقية. وفي ١٩/٨/١٩٩١م حصل الانقلاب العسكري على غورباتشوف، وبرز بوريس يالتسين كبطل قومي روسي، وعندها سقط الحزب الشيوعي، ومع سقوطه انتهى الاتحاد السوفييتي، وكان قد سبق ذلك قيام اتحاد جديد أطلق عليم اسم (اتحاد الجمهوريات المستقلة) وضم جمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية، وآذربيجان، وتركمانستان، وأوزبكستان وطاجكستان، وقيرغيزستان، وبيلوروسيا وكازاخستان، ورفضت الدخول إلى ذلك الاتحاد دول: أرمينيا، واستونيا، وجورجيا، وليتونيا، وليتوانيا، وكولدافيا وأوكرانيا.

هكذا خرجت الدول النصرانية من تحت السيطرة الروسية بينما بقيت للروس سيطرة على الدول التي تضم أغلبية مسلمة من خلال الاتحاد الجديد. ويتضح ذلك من خلال تتبع الأحداث في الدول المستقلة، فما أن تتتجه إحدى هذه الدول نحو الحرية، والتقارب مع الدول الإسلامية حتى تتصدى القوات الروسية للمسلمين فتقمعهم وتُنَصِّب حكومات من الشيوعيين الملحدين، وتقدم لهم القوات الروسية الحماية، وخير مثال على ذلك ما حدث في طاجيكستان، وما يحصل في جورجيا، وآذربيجان.

الوضع المتفجر:

بعد سني الشيوعية الطوال ظن الآذاريون أن أملاً بحل الأزمات المتفاقمة في البلاد قد لاح في الأفق عندما تخلصوا من نظامهم الشيوعي في آذار

(مارس) ١٩٩٢م أقصى البرلمان مطلبوف، الرئيس الشيوعي آنذاك، في «انقلاب برلماني» وذلك بقرار إلغاء مجلس السوفييت الأعلى المؤلف من ٢٥٠ عضواً يشكل الشيوعيون السابقون غالبيتهم، وأقروا «ملي مجلس» منح صلاحيات تشريعية ،اقتسم الشيوعيون والديموقراطيون مقاعده الخمسين مناصفة وبدأت رحلة الحكم لترث تركة صعبة في «قره باخ» وفي الاقتصاد الذاتي والمدني بحل أزمة قره باخ وأتعا وإنهائها وحسم المعارك خلال مئة يوم ولكن شيئاً من هذا لم يحصل.

وأخذت الأمور تتدهور بشكل «دراماتيكي» عندما قامت حركة معارضة شيوعية بقيادة أحد ضباط الجيش سورت حسينوف (والذي كان الرئيس أبو الفضل التشي بيه قد أقاله منذ فترة قصيرة) وأخذت قوات المتمردين تسيطر على مدن آذربيجانية دون أية مقاومة من الجيش الذي تحرك باتجاه العاصمة بدلاً من التحرك غرباً لمواجهة التقدم الأرمني داخل الأراضي الآذارية. وحسينوف هذا من مليوناري البلاد الذين يملكون مصانع نسيج وقد ساهم في تسليح الجيش ورصد ميزانية له مما يفسر عدم تعرض الجيش له عندما توجه إلى العاصمة.

التمرد الذي قاده سورت حسينوف كان قاصمة الظهر لوحدة الجيش الآذاري الذي يواجه جيشاً أرمنياً منظماً حيث أن قوات التمرد وبدلاً من التوجه إلى قره باخ فقد أحكمت سيطرتها على عدة مدن وهددت باحتلال العاصمة الأمر الذي أدى بالرئيس التشي بيه إلى إرسال قوات حكومية لتجريدها من السلاح فاصطدمت مع قوات التمرد في مدينة غنجة سقط من جرائه مئات القتلى والجرحى واستقال على أثر الحادث باناخ حسينوف ورئيس الوزراء عيسى غمباروف اللذان اتهما بتدبير الحادث.

وكانت عودة الشيوعيون إلى الحكم بتسلم حيدر علييف زعيم الحزب الشيوعي السابق مهمات رئيس الدولة في آذربيجان يوم الجمعة ١٨/٦/

١٩٩٣ بعد أن غادر الرئيس المنتخب (في حزيران ١٩٩٢) أبو الفضل التشي بيه العاصمة باكو بصورة مفاجئة ولجوئه إلى مسقط رأسه في ناختشيفان (وهي مقاطعة تقع بين أرمينيا وإيران تتمتع بحكم ذاتي ضمن جمهورية آذربيجان). وكان رئيس الدولة التشي بيه قد وعد عند تسلمه مقاليد الرئاسة بحسم مشكلة قره باخ وتحسين الأوضاع الاقتصادية ولكن إخفاقه في تحقيق أي من هذه الوعود إلى جانب الهزائم المتكررة التي منيت بها القوات الأذارية وضعت شعبيته موضع تساؤل أدت إلى الإنقلاب عليه.

في الخامس والعشرين من شهر يونيو (حزيران) ١٩٩٣ قرر البرلمان رسمياً سحب جميع الصلاحيات من الرئيس أبو الفضل التشي بيه وتحويلها إلى حيدر علييف. والذي التقى رئيس التمرد في اليوم التالي وأسند إليه منصب رئاسة الوزراء في مطلع شهر يوليو الحالي وبذلك يكون الرئيس علييف قد تخلص من جميع إنصار التشي بيه وأسند المراكز الحساسة وقيادة الجيش إلى من «يثق بهم».

وبهذا تكون آذربيجان قد عادت إلى الحكم الشيوعي المباشر مضيفة هماً جديداً إلى الثقل الذي تحمله البلاد من اعتداءات الأرمن واحتلال أراضيها.

وبسقوط مدينة مارداكيرت الاستراتيجية (أغديري كما يسميها الآذاريون) في يد الأرمن في التاسع والعشرين من حزيران الماضي تكون القوات الأرمنية قد استكملت احتلالها لمعظم المدن والمناطق الآذارية المحيطة والمكونة لقره باخ والتي تخطط أرمينيا لضمها لأراضيها على أساس أنها منطقة «ذات غالبية أرمنية»، بعدما كانوا قد سيطروا على ممر لاتشين وقضاء كلياجار وهما منطقتان آذربيجانيتان خارج قره باخ. ثم واصلت القوات الأرمنية تقدمها نحو مدينة أغدام داخل الأراضي الآذارية لندخلها أوائل شهر يوليو الجاري وتحول القوات الأرمنية لقصف مدينتي فضولي وجبريل لتغطية سقوط أغدام.

والمعروف أن أرمينيا تتلقى الدعم من الغرب بشكل عام ومن روسيا على وجه الخصوص. كذلك تتلقى الدعم من إيران وقد حجزت تركيا باخرة سلاح إيراني كانت متجهة عبر مياهها إلى ارمينيا، وهنا قد يتساءل البعض عن سر الدعم الإيراني للأرمن؟ والجواب أن إيران لا ترغب في قيام دولة آذربيجانية حرة مستقلة خوفاً من اتحاد الآذاريين في دولة واحدة لأن ذلك يهدد بانفصال آذربيجان الجنوبية عن إيران سيما وأن الآذريين يتكلمون اللغة التركية وليس الفارسية. كذلك فإن إيران لا تريد أن تزعج روسيا التي تزودها بالسلاح.

المشهد يتكرر في مناطق أخرى في العالم الإسلامي، فليبت الأراضي الآذارية التي احتلها الأرمن بأحسن حال من تلك التي تسقط في دي الصرب أو الهنود أو الجيش البورمي. فتقارير «جمعيات حقوق الإنسان» تتحدث عن انتهاكات خطيرة بحق السكان العزل حيث أفادت التقارير من أغدام بأن «الجثث تملأ الشوارع والعديد منها قد أعدم عن مسافة قريبة (..) إنك أمام مجزرة حقيقية يصل أعدادها للمئات إذا لم نقل الآلاف».

المئات والآلاف من القتلى أرقام اعتادت التقارير التي تتحدث عن المسلمين أن تتميز بها ٦٠٠ ألف شخص شردوا حتى الآن من المناطق الآذارية المحتلة (أي واحد من كل عشرة أشخاص من سكان البلاد الإجمالي) والحكومة في أزمة والجيش في انشقاق.

الشيوعيون يهددون بإقامة دولتهم في شمال أفغانستان والحكومة في ذلك البلد في انشقاق والجيش في انقسام.

الشيوعيون يأخذون الحكم في طاجيكستان على رقاب عشرات الآلاف من القتلى ومئات الآلاف من المشردين.

الشيوعيون يعودون إلى الحكم في آذربيجان والأرمن يتقدمون في أراضي المسلمين والجيش إلى مزيد من الانقسام وخلاف على «الورثة» بين زعماء

البلاد وسياسييه.

الشيوعيون الذين لفظتهم روسيا ودفنت مؤسساتهم من غير دموع يعودون للحكم في مناطق المسلمين بدعم من روسيا التي تدعمها أميركا والغرب.



خارطة آذربيجان

أخطار الكنيسة الرومية الأرثوذكسية في ألبانيا

عبد العزيز طيفور

إن الحرية التي تتمتع بها الكنيسة الرومية الأرثوذكسية في ألبانيا دفعتها لاختيار قس يوناني لرئاستها في ألبانيا بعد تزكيته من قبل البطريركية الرومية الأرثوذكسية في اسطنبول، ولم تسفر معارضة القساوسة (البطارقة) الألبان رغم ما بذلوه من معارضة اتخذت الصحافة وبعض وسائل الإعلام لها منبراً، وتم بموافقة الحكومة الألبانية اعتماده رئيساً لأساقفتها وهو البطريق (باتو لاتوسي).

وعمد هذا البطريق اليوناني إلى اختيار قساوسة لكل مدينة من مدن الجنوب، وممن اختارهم: القس البطريق كريستوف استومي، لمدينة جروا كاسترا، وقد كان يتردد عليها من مقره في يانيا بشمال اليونان، ومن نتائج حركته التي اتخذت طابعاً ديبلوماسياً تمكن من خلاله من تنفيذ مخطط نتج عنه تهجير كمٍّ هائل من الألبان تحت ضغط المعاناة المعيشية متخذاً أسلوب تغيير الاسم المسلم إلى نصراني سبباً للحصول على تأشيرة الدخول التي يتيسر له العمل بها، كذلك دعمه للأرثوذكس من الأصل الألباني، أو اليوناني لشراء

الأراضي في الجنوب حتى بلغ به أن جاهر بدعوته في حث الأرثوذكس على المطالبة بالإنضمام إلى الشمال اليوناني بحكم أنها امتداد طبيعي لخارطة اليونان، بدليل انتشار عضوية الحزب اليوناني الذي سيطر على بعض البلديات في انتخابات المجالس البلدية بالجنوب الألباني.

وبعد طول متابعة لما يجري على مرأى ومسمع من أهل الجنوب، بدأت الحكومة الألبانية في جمع الحقائق والمعلومات، ثم وجهت له الانذارات التي انتهت أخيراً بالقرار الصادر في ٩٣/٦/٢٥ بإبعاده من البلاد، وتم ذلك في ٩٣/٦/٢٦، وعندها بدأت ردود الفعل اليونانية وبصورة عاجلة بطرد ١٥٠٠ مهاجر، واعتقال ٤٥٠٠ بدعوى دخولهم إلى البلاد وتسللهم بدون أوراق ثبوتية، ثم تلاحق الطرد للمهاجرين الألبان إلى أن وصل إلى حوالي ٢٠ ألف مهاجر، علماً بأن اليونان كانت قد أقامت لهم معسكراً حول مدينة سيلانيك* أكبر مدن الشمال اليوناني، والمتاخمة للحدود الألبانية على الطريق المؤدي إلى اسطنبول حيث مقر المنظمة التي تدعى منظمة شمال اليونان (Vorio Epir) ويتم فيها اعتناق الأرثوذكسية من قبل هؤلاء المهاجرين الألبان.

ثم بدأ الإعلام دوره في تغطية ما يدور، متخذاً أسلوب صرف الأنظار عن موضوع الإبعاد، حيث أذاعت اليونان خبراً مغايراً فادَّعت أن ما تم تنفيذه من الإبعاد إنما كان لاتفاق سابق تم في اجتماع سابق بين السيد صالح بريشة رئيس الجمهورية الألباني، ورئيس الوزراء اليوناني، ودعمت ذلك إذاعة لندن الـ B.B.C في تبرير موقف اليونان، وآخر مارددته الإذاعة اليونانية، تصريح الرئيس الروسي بوريس يالتسين في زيارته لليونان ضمن خطابه الذي ألقاه في أثينا تحت شعار حماية الأرثوذكسية بكل الوسائل، ومواجهة هجمات

---

* كانت سيلانيك مركزاً هاماً من مراكز اليهود وأعداء الخلافة الإسلامية، وفي سيلانيك ولد مصطفى كمال أتاتورك ابن زبيدة، ثم نسب إلى علي رضا الذي تزوج زبيدة حينما كان عمر ابنها مصطفى ١٢ سنة. - **البيان** -

المسلمين أينما كانوا، وتكلم بشدة ضد ألبانيا.

ولا تزال اليونان تذكي نار الفتنة في جنوب ألبانيا حيث قامت عدة تظاهرات تندد بالرئيس صالح بريشة، وتؤيد موقف اليونان، مما يؤكد فعالية الأيدي الأجنبية التي لا تزال تعمل داخل ألبانيا.

أخي المسلم:

لا يخفى على أحد أن ما يجري في منطقة البلقان ابتداءً بالبوسنة وتمهيداً لكوسوفو وإعداداً لألبانيا، يشبه المؤشرات التي سبقت وانتهت بالحرب العالمية الأولى والثانية، وقد لاحت في الأفق ملامح حرب عامة وصارت قاب قوسين أو أدنى، فقد تكالبت كل أطراف الأرثوذكسية بكل بشاعتها ووقاحتها وتحرشاتها السافرة سواء من اليونان بما يجري الآن في جنوب ألبانيا، أو من صربيا وقناصتها في شرق ألبانيا التي لا تزال تنال من الشعب الألباني بين فترة وأخرى.

إن موقف هذا الشعب الذي لا تزال آثار الشيوعية عالقة بسحنته شحوباً وفقراً، يتطلب حماية ووقفة تذكره بإسلامه وتدفع عنه وتواسيه.

إن ضرورة الوقوف بجانب الحكومة والشعب الألباني المسلم يحتمها الإسلام في دعم المواقف والمؤازرة، لذلك قامت الجمعيات من خلال مجلسها التنسيقي بإعداد وترتيب الجهود في جمع ما يمكن توفيره من المساعدات لمساعدة هذا الكم الهائل من المهاجرين الذين افتقروا إلى المأكل والمشرب والملبس والدواء زيادة على ما تعانيه دولتهم من البؤس وقلة المؤونة.

لذلك نهيب بأهل الخير والإحسان أن يعملوا كي تتضافر الجهود لدعم ونصرة هؤلاء المستضعفين والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

(وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة)، والله يجزي المحسنين خيراً.

لمن المطرقة بعد الصومال

محمد الشيخ عثمان

مضت سنتان ونصف أو أكثر على الإطاحة بمحمد سياد بري (٢١/١/١٩٩١م) وما زالت أحوال الصومال ومصيرها غير معروفة حتى الآن، وخاصة بعد الأحداث الأخيرة في مقديشو والتي وقعت بين قوات الأمم المتحدة بقيادة أميركا، وبين أنصار الجنرال محمد فارح عيديد، وأدت إلى خسائر في الأرواح والممتلكات بعد قصف الطائرات الأميركية الأماكن التابعة لعيديد. وقد سبق أن كتبتُ في (البيان)* عن أسباب التدخل الأميركي وموقف المسلمين تجاه أحداث هذا البلد. وبما أن الأوضاع تغيرت سريعاً وجُلّ من يكتبون في هذه الأحداث لا ينطلقون من رؤية إسلامية واضحة اضطررت إلى كتابة هذا المقال لبيان وجه الحق في هذه القضية إن شاء الله.

١- إن جميع الجبهات السياسية-العسكرية في الصومال قبلية ولها طابع علماني، وقادتها ـ بدون استثناء ـ لا يمثلون الشعب، وهم بحمد الله معروفون في الداخل، ولا يوجد أدنى فرق بين الجنرال محمد فارح عيديد، والعقيد عبد الله يوسف، والجنرال محمد سعيد حرس «مورغان»، وعلي مهدي محمد

*- العدد ٥٩، الصادر في رجب ١٤١٣هـ، ص ٧٠ .

والعقيد أحمد عمر جيس، وغيرهم. وقد شارك الجميع بشكل أو بآخر في مأساة هذا الشعب المنكوب سواء في الحروب القبلية، أو بالمشاركة في البرنامج السياسي المتمثل بدعوة أميركا للتدخل في الصومال لإكمال التبعية لكلينتون وبطرس غالي، وكل أعداء الإسلام والمسلمين.

٢- إن قوات التدخل الأميركي في الصومال سواء أعملت تحت اسمها أو تحت مظلة الأمم المتحدة لم تطبق ما ادّعته أميركا في القرار ٧٨٤ بتاريخ ١٢/٩/ ١٩٩٢م والذي أوحى أنها تتدخل لإعادة الرجاء لهذا الشعب، وحماية قوافل الإغاثة التي كانت تتعرض للنهب والسطو من قبل العصابات التابعة للجبهات القبلية، وإنما كان هذا التدخل يمثل أموراً أخرى، على رأسها تكوين حكومة علمانية موالية بعد إيجاد الأرضية لها، ومحاولة التخلص مما يسمونه (الأصولية) المتنامية في المنطقة، إلى غير ذلك من الأهداف. ودليل ذلك سلسلة الأحداث ابتداء بنزول المارينز الأميركيين على شواطى مقديشو يوم ١٢/٩/ ١٩٩٢م وما تبعها من قوات فرنسية وبلجيكية وذلك فيما عُرف بـ: (UNITAF) (United Task Force). وفور نزول تلك القوات بدأت ـ كعادتها ـ تُحسّن صورتها بالقيام بأعمال إنسانية، وفعلاً قامت القوات بإيصال مواد غذائية لمقديشو وبيدوا وبارديرا وكسمايوا وغير ذلك من المدن التي كان يموت فيها يومياً مئات الأطفال والعجزة. وخلال تلك الفترة رحب الشعب بتلك القوات اعتقاداً منه أن تدخلها إنساني، ولإيجاد حل سياسي لإنقاذ البلاد مما تتعرض له من قتال ونهب واغتصاب واعتداءات أخرى. ولا غرابة في ترحيب الشعب بهذه القوات وخاصة بعد ما خاب أمله في الدول الإسلامية.

كان المسؤول الأول سياسياً عن قوات الـ (UNITAF) روبرت أوكلي وهو سفير سابق لأميركا في الصومال، والجنرال جنسون قائد القوات الأميركية في هذه العمليات. وبدأت أميركا المرحلة الثانية من مهماتها بعد تمهيد الأرضية لها بارتداء ثوب الأمم المتحدة معلنة انتهاء دور قواتها في الصومال، لذا فقد أصدر بطرس غالي القرار رقم ٨١٤ بتاريخ ٢٦/٣/١٩٩٣م بدعوة قوات متعددة

الجنسيات إلى الصومال للقيام بمهام خارج مهمة حماية الإغاثة، مثل إعادة الأمن إلى البلاد، ونزع السلاح من المسلحين، وجمع الأطراف المتنازعة إلى مائدة المفاوضات. وذلك إثر مؤتمر أديس أبابا الثاني والذي اتفقت الجهات المتحاربة فيه على إيقاف الحرب وتكوين مجلس انتقالي للبلاد. وخلال تلك الفترة وهي فترة (UNISOM 1) حاول مندوب الأمم المتحدة السيد محمد سحنون محاولات جادة لحل أزمة البلاد وجمع شمل الشعب من خلال التقريب بين الجبهات إلا أن جميع جهوده باءت بالفشل وذلك بسبب العراقيل التي وضعت أمامه من قبل أميركا وبطرس غالي مما أدى لاستقالة سحنون من مهمته، ولم يكن تنازل أميركا للأمم المتحدة إلا أمراً صورياً حيث عينت الأدميرال الأميركي «جونثان هاو»: (Jonothan Howe) قائداً لقوات الأمم المتحدة وعينت العقيد «ستوك ولل» (Stockwell) وهو أميركي مسؤولاً أمنياً لهذه القوات. ولما انتدبت الأمم المتحدة «عصمت كتاني» وهو ديبلوماسي عراقي لمتابعة قضية الصومال فوجئ بأن القوات المزعومة ليس لها أي صلاحيات، وأن أمور البلاد تدار من قبل السياسة الخارجية الأميركية مما أدى إلى استقالته فوراً متعللاً بأسباب صحية. وخلال فترة ما يعرف بـ (UNISOM 1) خدعت أميركا رؤساء الجبهات القبلية بوعود فارغة، وذلك من خلال مؤتمر أديس أبابا الثاني. وقد وافقت جميع الجبهات على ما أملت عليها أميركا من نقاط كتعديل دستور البلاد وحذف فقرات منه، وإضافة أشياء أخرى. وأصرّ «روبرت أوكلي» حذف عبارة «الإسلام هو الدستور الوحيد للبلاد» وتغييرها بـ: «الإسلام أحد مصادر دستور البلاد». ومن الغريب جداً أن أميركا طلبت أن يكون ثلث أعضاء المجلس الانتقالي المكون من ٧٥ عضواً، من النساء، كما أضافت فقرة وهي: «حرية الأديان وحماية حقوق الأقليات». ويعنون بالأقليات فئة من الصوماليين النصارى أمثال محمد سعيد سمنتر مدرس في إحدى جامعات أميركا وأحمد حيلي الذي عينه علي مهدي في منصب نائب وزير الخارجية بمؤتمر جيبوتي المنعقد في شهر ٦ و ٧ عام ١٩٩١م.

هذا الدور الأميركي خلق شكوكاً لدى رؤساء الجبهات القبلية وبالأحرى العساكر منهم مما أدى إلى لقاء عاجل بين الجنرال عيديد والعقيد عبد الله يوسف في مقديشو في نهاية شهر أيار (مايو) ١٩٩٣م مما فتح مواجهة مسلحة بين عيديد وقوات الأمم المتحدة أو القوات الأميركية بعد مقتل ٢٣ من القوات الباكستانية داخل مقديشو. وتعد هذه المرحلة الثالثة والخطيرة، وهي مرحلة استعمال القوة وضرب أي شخص أو مجموعة تقوم بعمل عدائي ضد قوات الأمم المتحدة وهذا تحت القرار رقم ٨٣٧ بتاريخ ١٩٩٣/٦/٧م.

بعد صدور هذا القرار بدأت القوات الأميركية بضرب مناطق مهمة في جنوب العاصمة كانت تحت سيطرة عيديد مما أدى إلى خسائر في الأرواح والممتلكات، وإرغام الجنرال على الاختفاء ولا زال مصيره مجهولاً*. وراحت قوات الجيش الأميركي تتصرف بطريقة عشوائية كما حصل في بداية شهر تموز (يوليو) من قصف الجيش الأميركي اجتماعاً لأنصار عيديد مما أدى إلى مقتل ٧٣ صومالياً، وجرح أكثر من مائة وذلك كله بحجة أن الجنرال فارح عيديد كان في الاجتماع. بيد أن الأمر ليس ملاحقة عيديد وإلّا فقد ذكر أحد الجنرالات الإيطاليين أن قواته كان بإمكانها مرتين القبض على عيديد إلا أن «جوناثان هاو» القائد الاميركي رفض القيام بذلك حتى لا تنتهي المسرحية.

إن أميركا من خلال دورها الجديد في الصومال مستخدمة مظلة الأمم المتحدة أصبح واضحاً أن هدفها الأول والأخير هو تدمير ما تبقى من هذا البلد المنكوب، وملاحقة العناصر التي ترفض سياستها، فعلى من الدور الآن يا ترى، وعلى من ستنزل المطرقة بعد الصومال.

---

*- «قال الأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالي أنه بات ضرورياً **تصفية** زعيم التحالف الوطني الجنرال **محمد فارح حسن عيديد جسدياً.**

من جهة أخرى، سأل مراسل صحيفة (ريببلكا) اليومية الإيطالية بطرس غالي - في نيويورك - عما إذا كان ضرورياً تصفية الجنرال عيديد جسدياً، فأجاب بـ**(نعم)** في الحديث الذي نشرته الصحيفة في روما «يوم السبت ١٩٩٣/٧/١٧م/٢٧ محرم ١٤١٤هـ».

عودة إلى المعرفة
(٢)

محمد بن حامد الأحمري

لا تقدم المدارس ـ التي في بلاد المسلمين ـ للطالب ثروة ثقافية كافية تُعَرِّفه بنفسه وبالحياة وبالناس من حوله، وإذا كان الطالب من ذوي الرغبة في الفهم والوعي يجب عليه أن يترصد المعرفة خارج المدرسة، ولهذا السبب يعجز عدد كبير عن التماس سبيل المعرفة، ويضل حيث يتلقاهم عالم نصراني واسع الاهتمام بنشر أفكاره وسلوكه، كما يتلقاهم عالم الأحزاب المتناحرة التي يعطي كل حزب منها ثقافة خاصة به سرية أو علنية، وربما كانت سخيفة أو ذات أهمية وخطر.

لذلك يفرض هذا المجهود الفردي المضني الذي يعانيه الطالب حتى يتعلم ـ لأن المدارس لا تقدم له شيئاً من ذلك ـ والتخبط في وضع المناهج التعليمية هو الذي أوجد التعليم المتناقض، والمجتمع المتباين، والولاءات المتعارضة مما لا يعانيه غيرنا في العالم.

إن مدارس المسلمين ـ في أغلب الأحوال ـ لا تستطيع صياغة فكر

الطالب لأنها لا تعرف ماذا تريد به ومنه، وحتى لو كانت تعرف، فإن غيرها قد يجبرها على سلوك طريق غير الطريق التي تريدها هي لأنها قامت على أسس شكلية ربما كانت كردة فعل ضد الذين يتهمون الشعب بالافتقار إلى المدارس أو الجامعات، لذا كان قيامها كإثبات شكلي أحياناً الغاية منه وجود المدارس لا فاعليتها وتربيتها، ولا ليكون لها دور في تنوير المجتمع وهدايته وترقيته، وتخلصه من غابة النصارى المفترسة وذلك بتقديم المؤسسات الإسلامية الهادفة..

اللغة:

لا تقدم المدارس للطالب آلة معرفية قوية. فآلة المعرفة هي اللغة، وتكاد تكون معرفة اللغة العربية مشكلة جماعية، بينما نجد الأساتذة الأجانب يجيدون لغاتهم إجادة تامة، وينقرون فيما لا يخطر على بال في أعماق اللغة «لغتهم»، وهذا ما ذكره لي أحد الطلاب الذين يدرسون مرحلة الدكتوراه في جامعة أوربية. وذكر أنه وزملاءه لا يعرفون لغتهم الأم مثلهم مثل الباحثين حتى بالعربية في البلدان العربية من الذين يعانون من هذه المشكلة التي لا يحلها الأستاذ المشرف ولكن لا بد من خبير آخر لحلها.

لقد أصبحت وسيلة المعرفة عائقاً عن التعلم والتعليم بسبب تجاهلها من قبلنا ولأسباب ضغوط أخرى منها اللغات التي تزاحم الأصل إذ يتهجىّ الطالب أول كلماتها، ثم لا يعرف بعد ذلك عنها شيئاً، ويُشْعِرُ نفسه أنه عرف لغتين، أو تفتخر المدرسة وتدعي أنها علمت تلاميذها عدداً من اللغات في الوقت الذي لم يتعلموا من اللغتين شيئاً مذكوراً، ومن ضعفت وسيلته عسر عليه بلوغ غايته.

تخضع العملية التعليمية ـ في العالم الإسلامي ـ لجهات عديدة متباينة في

أهدافها ومصالحها تتنافى أحياناً مع مصالح المسلمين وغاياتهم، فالذين يضعون البرامج التعليمية لا بد لهم من مراعاة «اليونيسكو» وقوانينها، ولا بد لهم من مراعاة دول الغلبة والقوة، ولا بد لهم من مراعاة الأقليات والجيران، بعدوا أم قربوا، ولكل أمة وهيئة شروطها على مدارسنا تقتضيها القوانين النصرانية التي يسمونها عالمية.

وتخيلوا كيف يمكن لهذا التعليم أن يصوغ للطالب هوية ولغة ودين ومكانة بعد أن اشترط الجميع عليه إرضاءهم.

إن الذي يرضع الولاء والبراء مع لبن الطفولة، ويقرر ما يفيده حين يكون صاحب قراره، دون الانصياع لأعداء ورث عداوتهم ووعاها عن قناعة، وعاداهم عن مصلحة وضرورة شرعية وعقلية، ذلك هو الذي يمكن أن يكون عنصر بناء وريادة، لا عنصر تقليد وتبعية مهينة.

روافد المعرفة:

التعليم عملية مبدئية تحتاج لاستقرار بعض المبادئ الثابتة لدى الفرد، وهي صراع بين الجهل والمعرفة، وليس لأحد الحق أن يحول الطالب إلى مادة مستهلكة تنفق عمرها في صراعات أنواع الجهل والغموض والبلادة بلا نهاية، فالذي يريد أن يشارك في صراع الحضارات وبناء المدنيات والأمجاد، والذي له دين ورسالة، يجب أن يبدأ ببناء هذه الأولويات من المراحل الأولى، ومع مرور الزمن يمكننا أن نجد رجالاً ينفعون ويضرون، فمدة حضانة المعرفة عشرون سنة يغتنم خلالها المعلم والمتعلم زمنه، وزمن حضانة الأخلاق أربعون عاماً تنتج دربة الخُلُق بعد التخلق أربعين عاماً. ولا يقاوم انهيار التعليم إلا بإثارة الحوافز لدى الأمة وإشعارها بأخطار الآخرين ومنافستهم.

لقد شهدت ندوة أقيمت في بريطانيا، وكان الحديث فيها عن العملية

التعليمية وضعفها عندهم، واقتراح سبل المعالجة للشباب الذي فقد هويته ومكانة وطنه وضعف انتماؤه وكانوا يركزون على غياب الانتماء الحضاري، ويندون بهجمة كلمة العالمية التافهة التي جعلت البريطاني لا يحترم بلاده، ولا يعمل ولا يجدُّ ولا يدرس، وكانت اقتراحات عديدة منها ضرورة الدخول في حروب تذكي الحمية والولاء، وتعيد القوة والغيرة، وتفتح الأسواق، وتنمي الجيش والجدَّ في الحياة.

أما نحن فنرى ـ مقابل هذه الدعوات ـ بعض السذج في العالم الإسلامي يطالبون المسلمين بالتخلي عن المواجهة كلية، وإلغاء كلمة الجهاد، واللحاق بالعالم النصراني المسالم حتى لكأنهم يعيشون في كوكب آخر ليس فيه الصومال والبوسنة وفلسطين وغيرها، وغيرها كثير جداً. ينسون دفع الله الناس بعضهم ببعض وأهمية جندية المسلم وإعداده للغزو حماية للحمى، أما الأمر بالغزو فذلك ما لا يطيقه الخانعون، ولا يطيقون الحديث عن استعادة كرامتهم، من خلال بناء مناهج التعليم بناء إسلامياً كريماً، ولا أقول: عدوانياً، ولكن بناءً يتخلص من عقدة العدمية.

إن للإنسان المسلم روافد ثقافية عديدة يجب إحياءها كالمسجد الذي فقد دوره الثقافي عندنا، بينما استمر دور الكنيسة عند النصارى، ودور الإعلام الثقافي عندهم، يقابله إعلام الدعاية الفجة في بلدان العالم الإسلامي التي تدعو للجهل لا للمعرفة.

القراءة:

لقد ضعفت إثارة الرغبة في المعرفة والفهم في مدارسنا، فالكتاب المدرسي الذي يجب أن يكون بداية لكتب أخرى، ولسلسلة من الكتب والمعارف، واتساع دائرة المدروس، وإثارة الرغبة الدائمة لدى الطالب والمدرس في معرفة

بقية جوانب المواضيع الدراسية لأن قراءة كل صفحة هي إضاءة لجانب مجهول، وزيادة للقوة، فالعلم قوة، والمعلومات المتناثرة في عهد الدراسة لا بد أن يحولها الطالب بعد فترة إلى علم، وإلا فسيبقى المدرس والطالب على هامش المعرفة، ولا عمق لهم ولا مدخل إليه، جموع جاهلة تدعي المعرفة وتجهلها، والحكمة تغترف من رفوف الكتب، وتأبى أن تمنح نفسها للعاجزين والكسالى، وذوي الملل والاستغناء بالشهادة أو المغرورين بالرأي الفاسد.

حرية التعليم:

لا بد للمعرفة من حرية تصان، ولا يمكن أن يصون الجاهلون الحرية، ولا أن يعرفوا سبيل الحصول عليها، وكلما ضاق طريق الاختيار أمام الفرد ضاق إمكان تأثره أو استفادته من نفسه ومن الآخرين، فتنوع المعرفة وعمقها وتناول مجالات عديدة من مجالاتها تجعل الإنسان عارفاً بحقِه، عارفاً بطريق الحصول عليه، وأن تعسر طريق لم يكن كلاً عن ابتداع طريق آخر مدركاً لإمكان وجود بدائل صحيحة أخرى. وليس المقصود هنا حرية إنشاء المدارس الإنجليزية والفرنسية والصينية فذلك تعليم هدام، يمزق المجتمع وينشئ ولاءات داخله وتتصادم ثقافاته في عقل الطفل.

المعرفة الشرعية:

المعرفة الشرعية هي أس المعارف وهي التي تصون كل المعارف، وتهذبها لذا يجب أن تكون مهيمنة عليها ليس فقط كمادة مدروسة، ولكن اعتمادها توجهاً، ومساراً يجمع شمل التعليم، ويقلل الخلاف، ويوحد الأمة، ويخفف الصراعات داخلها. وغياب المعرفة الشرعية عند المسلمين، غياب لذاتهم ولتاريخهم ولهويتهم، وهو محو للشخصية، ولذلك يوجد المجتمع ثقافته

البديلة أثناء غياب المعرفة الشرعية لتكون بديلاً عن المعرفة الشرعية، ويتصرف حسب ثقافة اجتهادية متنوعة بديلة فيها الحق والباطل مؤذنة بالشذوذ والخرافة، وتفتح باب الثقافات الأخرى ويدخل المجتمع في دوامة لا نهاية لها.

يدعي البعض: أن غيرنا كالنصارى مثلاً ليس لديهم تعليم ديني، ولا احترام لدين، فهذه مغالطة فلديهم مدارس دينية، وبرامج دينية، ومحطات تلفاز عديدة دينية، وجامعات دينية، وبعضها يميزون فيها البنين عن البنات إلى حد كبير ويطردون من يخالف منهج جامعاتهم، أو يصرح بالإلحاد، وليس ثبوت حرية الإلحاد في جامعات أو مكان يلزم منه حرية الإلحاد في كل مكان أو كل جامعة «وليس هذا موطن شرح ذلك»(*). ودراسوا الحضارات من كل الشعوب، وفي كل العصور يرون أن الحضارة لا تقوم إلا على دين يجمع ويدفع للعمل، ولم يشذ عن ذلك سوى الشيوعية، وكانت شاذة في بدايتها وفي نهايتها. ولا يزعم أحد أنها كانت حضارة، بل مشهد قسوة من مشاهد الانحراف والتشوه الفكري الألماني، وشذوذ اليهود سرعان ما ثبت فشله، فإلى متى لا نركب مركب الحق ونسلك طريقه؟ كيف نرقى بالسلوك الشاذ بين الأمم بلا دين ولا هوية؟ ونجهد لطمس ديننا كل يوم وطمس معالمه بأنظمة تعليمية غريبة ومعادية، ولا تكفي لمعرفة الشرعية التي تدرس على مستوى ضيق بل وندرة في بعض البلدان، وبعضها الآخر يحاربها، فإنها تدرس بشكل نظري جاف وبلغة لا تكاد تُفْهَمُ، ونسي رجال المناهج أن يجعلوا من العملية التعليمية الشرعية أسلوباً عملياً ولو في نطاق ضيق حسب المسموح به، ولك

*- في مذكرات الفيلسوف الأميركي المعاصر مورتيمر إدلر، ذكر العديد من الحوادث منها: أنه درس في الكلية الجامعية بنيويورك وكان البنين مفصولين عن البنات، وذكر أن زميلاً طرد من الجامعة في جامعة كولومبيا الشهيرة في نيويورك لأنه كتب شعراً فُهِمَ منه الإلحاد. وفي أميركا جامعات خاصة للبنات كالتي في مدينة دمنتون شمالي ولاية تكساس.

أن تقارن بين شيخ صادق يدرس الفقه بالمصطلحات العباسية كالرطل العراقي، ولا يكاد يحدده لتلاميذه، وبين الإمام أبي داود الذي نزل بئر بُضاعة يقيسها بعمامته حتى يعرف ويعرِّف بمقدار الماء النجس والطاهر. ونحتاج تحديث المصطلحات الشرعية من خلال نشر معرفتها أو استخدام بدائل فيما يصح أن يكون له بدائل معاصرة أو أصبحت له بدائل أو «مُسَمَّيات» في زماننا ما دام ذلك لا يوجب حرجاً شرعياً، ومن المكاييل والمقاييس والموازين تنقل بالتحديث والمعاصرة إلى غيرها، حتى لا يجد الطالب نفسه يتعلم رموزاً غريبة عنه. وأهم من ذلك إنزال الفقه إلى حياتنا اليومية.

القدوة:

لا يسوق الطالب للعمل الصحيح سوى المثال الرائع بدءاً بأمثلة مدروسة في التاريخ مثل تراجم الرجال التي تُربي لديه نزعةَ السّمو والاتباع للأبطال، وتزيد معارفه في جوانب الحياة الإسلامية العامة، وتبعده عن أمثلة التفاهة وأقزام المجتمع، وتجنبه السلوك الضعيف والقدرة الماجنة الهزيلة التي حذرنا منها، ويكون استبدال ذلك ببدائل جادة وأمثلة من تاريخنا الإسلامي العامر بسير ذوي الشجاعة والعلم والكرم والحلم والجهاد، وليس في مقالات قصيرة مبتسرة وإنما في حملة ثقافية واسعة تشمل شتى جوانب المعرفة.

إن من يجهد لإقامة أمة وتعليمها لا يمكن أن يراعي كل الأمم، ولا أن يستشير كل مفكريها، وليس هناك شيء اسمه مناهج عالمية، أو ثقافة عالمية، أو تربية عالمية ولكن لكل قوم مناهجهم، وثقافتهم وغاياتهم، وتربيتهم والذي يقره قوم يرفضه آخرون، ولكن هناك وسائل قد تكون عالمية ويبقى المحتوى التربوي والهدف أمر يصنعه العالم الإسلامي لنفسه إن كانت له قدرة على أن يفكر لنفسه في هذا الأمر.

المجلات الإسلامية والدعم المفقود

لا يجهل أحد أهمية الإعلام ودوره في التأثير على المتلقي وصياغة معتقداته وتصوراته وسلوكه وأخلاقه، سواء أكان قاطناً في المدينة أو البادية.

وفي خضم هذا التوجه، كانت محاولات لإيجاد قنوات إعلامية تلتزم بأحكام الإسلام، وترفع لواءه وتذب عنه. وقد أدرك الكثير من العلماء والدعاة والمصلحين أهمية إنشاء وإصدار المجلات الإسلامية وأثرها في نشر الوعي، وتصحيح المفاهيم، ونشر الفضيلة، وممن أدرك أهمية المجلات الإسلامية من العلماء والمصلحين: عبد الحميد بن باديس، ومحمد رشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، ومحمد بن إبراهيم آل الشيخ، وغيرهم رحمهم الله جميعاً.

ورغم قدم عهد الأمة الإسلامية بالمجلات الإسلامية، إلا أن الغيورين من هذه الأمة يتطلعون إلى مجلات إسلامية شاملة وقوية.

وفي هذه السطور نذكر أسباب عدم انتشار وقوة المجلات الإسلامية.

١- عدم إدراك الكثير من المنتسبين إلى الصحوة الإسلامية أهمية المجلات الإسلامية، فالكثير ينظر إلى هذه المجلات على انها من باب الترف الثقافي ولذلك لا يشجعها ولا يقتنيها؟! وقد أشرنا آنفاً إلى كوكبة من العلماء المصلحين الذين ساهموا في إصدار المجلات الإسلامية، وكان لتلك المجلات أثر بالغ على الأمة الإسلامية آنذاك في توعية الأمة وشحذ همم أبنائها.

٢- ضعف الدعاية والإعلان والتوزيع لهذه المجلات، فهناك مجلات إسلامية تصدر منذ سنين، ومع ذلك لا أحد يعلم عنها شيئاً ولا أين تصدر.

٣- هناك فجوة بين المجلة الإسلامية وبين الشباب ومعالجة قضاياهم وأحوالهم.

٤- ضعف الإمكانات المادية والفنية والبشرية. ولعل هذا سر عدم استمرارها، فربما صدر عددان في عدد واحد..الخ، وقد يكون هذا السبب مانع يحول دون مواصلة تقدم المجلة على طريقها الدعوي الإعلامي.

اقتراحات وحلول

- السعي إلى «الاستقلالية» الشمولية، ويكاد يكون هذا حل جذري لكثير من

المشاكل والمصاعب التي يعاني منها العمل الإسلامي، ومن ذلك «المجلات الإسلامية».

- الاستقلالية في الموارد والدخل، فلا تكون المجلة الإسلامية عرضة للمزايدات والمقايضات، حتى إذا ما وقع خلاف بين الممول وبين المجلة توقف ضخ التمويل، ومن ثم فلا خيار للمجلة إلا أن تسعى إلى كسب رضاه وتستجدي منه العفو والمال؟!

- الاستقلالية عن الحزبية الضيقة حيث لا تكون المجلة مجرد صوت لشيخ أو لاتجاه معين، ومن ثم تتبنى القضايا والأفكار التي توافق مسار ذلك الحزب أو ذلك الاتجاه. بل يكون مرجع المجلة والقائمين عليها الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم. ويكون منظار المجلة والقائمين عليها للقضايا والموضوعات من المنظور الشرعي السني لا من المنظور الحزبي الضيق، ولا من منظور البيئة أو الطائفة..الخ.

- عدم الخضوع لضغوط الواقع ومجاراة السائد، أو الوقوع في فخاخ «ردود الفعل».

لقد كانت بعض المجلات الإسلامية تميل إلى أسلوب التهويش والصراخ، والتحدث بلغة المجابهة والمواجهة، في فترات سابقة ثم تحولت الآن إلى لغة اللين والتمييع والمسايرة.

- التنسيق والتعاون بين المجلات الإسلامية: فلا بد أن يستحضر القائمون على المجلات الإسلامية الإخلاص وأن عملهم خدمة لهذا الدين ونصرته. فلا بد أن يكون هناك تعاون بين المجلات، وتبادل الخبرات والاستشارات، وكذلك إقامة المؤتمرات، والاجتماعات من أجل النهوض بالعمل الدعوي الإعلامي الإسلامي.

- تقوية العلاقات بين المجلات الإسلامية وبين العلماء وطلبة العلم والجهات العلمية والدعوية، والمراكز الثقافية والعلمية الأكاديمية.

سعد العبد اللطيف

شذرات وقطوف

القلوب المريضة

﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾

كما يصل الغذاء إلى محل غير قابل للاغتذاء، فإنه لا يؤثر شيئاً بل لا يزيده إلا ضعفاً وفساداً إلى فساده، كما يصل الغيث إلى الأرض الغليظة العالية التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ.

ابن القيم

* * *

صور الجوْر كثيرة

«العدل في الشيء صورة واحدة، والجور صوره كثيرة، ولهذا سَهُلَ ارتكاب الجور، وصَعُبَ تحري العدل، وهما يشبهان الإصابة في الرماية والخطأ فيها، فإن الإصابة تحتاج إلى ارتياض وتعاهد، والخطأ لا يحتاج لشيء من ذلك».

أسامة بن منقذ

الغريب

الغريب من إذا ذَكَر الحقَّ هُجر، وإذا دعا إلى الحق زُجر.
الغريب إذا امتار لم يُمر، وإذا قعد لم يُزر، يا رحمتا للغريب: طال سفره من غير قدوم، وطال بلاؤه من غير ذنب، واشتد ضرره من غير تقصير.

أبو حيان التوحيدي

* * *

هكذا يفعل الغرب

في حديثه مع الشيخ رشيد رضا قال أحد زعماء النصارى في طرابلس الشام وكان قنصلاً لروسيا وألمانيا:

«..إن في الإسلام فضائل كالجبال أو أشمخ وأرسخ، ولكنكم دفنتموها حتى لا تكاد تعرف أو ترى، ونحن عندنا شيء قليل ضئيل ككلمة «حب الله والقريب» فما زلنا نمطه ونمده ونقول: الفضائل المسيحية حتى ملأ الدنيا كلها».

* * *

«من مصائب هذا الشرق أن الخصام السياسي فيه لا يدل على سياسة، ..تبرأ متبوعٌ من تابع فاختصما، فكانا كرجل وحذائه، يقول الرجل: أنا خلعت الحذاء، ويقول الحذاء: بل أنا خلعت الرجل..»

مصطفى صادق الرافعي

* * *

«اجعل بينك وبين صنم الإفرنج بوناً شاسعاً،
فعهده وميثاقه لا يساوي حبة شعير،
خذ النظرة من عين الفاروق
وضع القدم الجريء في العالم الجديد».

محمد إقبال

الكُتّاب العرب بين السلام والاستسلام وبين الوطنية والخيانة

المحـــرر الثقافي

قِيل: «الجاهل عدوّ نفسه» ومعنى ذلك أن إضراره خاصٌ منحصر في محيط محدود إلى حدٍّ ما، أما المتعالم فإن إضراره يتجاوز محيطه الشخصي ويمتد إلى أماكن أخرى متجاوزاً المحيط الخاص إلى المحيط العام، ولا سيما إن كان المتعالم مُثقَّفاً، مِمَّن ثُقِّفوا ثقافةً موجَّهة لخدمة فئة سياسة معينة، أتاحت له فرصة الوصول إلى مركز إعلاميّ يمكّنه من بثِّ سمومه التي تنتشر انتشار «حُمّى الأحواز»[١] أو «حمى خيبر»[٢] ولئن كانت طرق انتشار الحمى مكشوفة واضحة الأعراض، فإن طرق انتشار الحمم الدخيلة مموهة بطريقة متقنة تتيح لها انتهاج المناهج المتعددة مستفيدة من تغير المناخ السياسي كاستفادة الحرباء من تنوع الألوان المحيطة بها، «فلكل مقام مقال، ولكل زمان دولة ورجال»، وبين الزمان والمكان يمتد «خيط الشيطان»[٣] ليفعل فعله متوهماً ديمومة «ظل الغمام»[٤] دون أن يوقظه من سُباته قول كثير عزة.. في أمالي القالي: (٢/ ١٠٩).

وإنّي وَتَهْيامي بعَزَّة بعدما تخلَّيْتُ عمّا بيننا وتَخَلَّتِ

لكالمُرْتَجِي ظِلَّ الغَمامةِ كلما ... تبوَّأ منها للمَقِيْل اضمَحَلَّتِ

كل هذا يحصل وأمتنا مبتلاة بكتبة مبادئهم «كسحابة الصيف» و«إلمامة الطيف»[٥] يمرون على رزايا الأمة «مرَّ السحاب» دون أن يرفَّ لهم جفن، لأن إخلاصهم «أبعد من مَناط الثريا»[٦] وكأن الشاعر عناهم بقوله:

وأبعَد من هذا الذي قدْ أَرَدْتَه ... مَناط الثريّا من يَدِ المُتناوِلِ

لقد انسلك لفيفٌ من حملة الأقلام في سلك «كُتَّاب النِّثار»[٧] الذين ينطبق عليهم قول الشاعر ابن عروس حيث قال: ـ في ثمار القلوب ص ٦٨٦ ـ

ولمَّا أنْ رأَيْتُهُم وقُوفاً ... على الجِسْرَيْنِ كالحِدَءِ الضَّوارِي

سألتُ فَقِيلَ: كُتَّابٌ ولكنْ ... أَلَمْ تَسْمَعْ بِكُتَّابِ النِّثارِ؟

وَكَمْ بَغْلٍ على بغلٍ وَكَمْ مِنْ ... حمارٍ قد أنافَ على حمارِ!!

وبِرْذَوْنٍ تَراهُ وَقَدْ تَثَنَّى ... على بِرْذَوْنِهِ مِثْلَ الجِدارِ

أعداء الأمة المتلفعون بأقنعة التقدمية، المتسربلون بسرابيل المناهج الوافدة، تفيض أقلامهم سماً زعافاً يفرق بين أبناء الأمة الواحدة. وأما آراء الكتبة فهي «كمشية السرطان»[٨] وشأنهم كشأن من عناه أبو منصور العبدوني بقوله: ـ في يتيمة الدهر ٤/٤٣ ـ

فَرَأيُك في الإدبار رأيٌ أَخَذْتَهُ ... وعُلِّمْتَهُ من مِشيةِ السَّرَطانِ

لقد أدمنوا على الإدبار، ورجوع القهقري، وتمجيد الاستسلام، وتزييف صورة السلام، مستخدمين المصطلحات التضليلية التي صيغت صياغة ملغومة بغية تفجير البنى الفكرية ونسفها من جذورها فأطلقوا على قوى الاحتلال اسم «الاستعمار» والأصح من ذلك أن يطلق عليه اسم «الاستخراب» لأن أعمال الغزاة المحتلين قائمةٌ على التخريب العام، وليست قائمةً على التعمير، ولكن العملاء من الكتبة روَّجوا الأخطاء فشاعت وأصبحت من المسلمات السارية

كالأمراض السارية، وينشر المخربون مزيداً من المصطلحات الفتَّاكة، ودورهم في ذلك كدور «فأرة الْعَرِم»(٩) و«بعوضة نمرود بن كنعان»(١٠) و«الصَّعوة»(١١) و«الخرفان» التي ورد ذكرها في قول الخوارزمي: ــ في تيمة الدهر ٤/ ٢٢٢ ــ

لا تَعْجَبوا من صيدِ صَعْوٍ بازِياً　　إنْ الأُسـود تُـصـادُ بـالخِرفـانِ

قَـدْ غَـرَّقَـتْ أمـلاكَ حِـمْـيَـرَ فَـأْرَةٌ　　وبَـعـوضَـةٌ قَـتَـلَـتْ بـنـي كَـنْـعـانِ

إن الإنسان ليعجب من عقوق اللاهثين وراء الأجنبي، وقد أصبح «عُقوقُ الضَّبِّ»(١٢) شعاراً لهم، وهم «أهبَرُ مِنَ الهبيرَّة»(١٣) التي تأكل أولادها، وكتاباتهم تُخيِّم على الوطن، وتُقْلِق المواطن «كظل الموت»(١٤) و«طُغيان أقلامهم» ينبئ عن أصلهم.

والغريب الغريب من أمور الكتبة خداعهم حتى لَتجِدَ الواحد منهم «أَخْتَلَ من الذِّئب»(١٥) إذا رام صيده، «وأحرصَ من كلبٍ على جيفةٍ أو عِرْقٍ»(١٦) فيا ويل من احتاج النُّصرة منهم لأن مصيره كمصير من عَنَاهُ الشاعر بقوله:

مَنْ جَزَّ كلباً لِمَا في الكلبِ منْ وَبَرٍ　　أَمسى لَعَمْرُكَ مُحتاجاً إلى الصُّوفِ

وإن سأل سائل عن رأس مال المتحذلقين المتخرصين فالجواب: إن رأس مالهم «ورأسَ مال الدَّلال»(١٧) سواء، لا يتمشى بغير الكذب والتمويه والتضليل أسوةً بإبليس أوَّل دلَّال دَلَّ ﴿**على شجرة الخلد وملكٍ لا يَبلى**﴾ [طه/ ١٢٠]. إنهم «كدودة الخل في الخل»، و«ديدان السموم في السموم» نهجهم عجيب، وأمرهم غريب، مولعون بالخلاف، ومَثلُهم الأعلى «لَجاج الخُنْفُساء»(١٨) إذا تعلق الأمر بخدمة العدو، وإيذاء الأهل، وهم كصاحب الشاعر خلف بن أحمر المقصود بقوله: ــ معجم الأدباء ١٦/ ١٦١ ــ

لـنـا صـاحِـبٌ مُـوْلَـعٌ بـالخلافِ　　كـثـيـرُ المِراءِ قـلـيـلُ الـصَّـوابِ

أشـدّ لَجاجـاً مـن الخُنْـفُـسـاء　　وأزهـى إذا مـا مـشـى مـن غُـرابِ

وهم «أخلف من وَلَدِ الحمار»[١٩] إن كانت أمه فرساً، فهو «لا يشبه أباه ولا أمه» وهم كذلك لا يشبهون الأهل في إخلاصهم، ولا الأعداء في أهدافهم، وخير وصف لهم: أنهم «مفاتيح الفتن» و«كِلاب الناس»[٢٠] الذين عناهم الشاعر فقال:

كَكَلْبِ الإنسِ إنْ فكَّرتَ فيه أشدّ عليك مِنْ كَلْبِ الكِلابِ

يروِّجون لكل ما هو دخيل، ويشيدون بالمتآمر والعميل، يطبِّلون للتنازلات، ويزمرون للمُمَاحكات، يُدينون السلام، ويَدينون بالاستسلام، يهللون للأباطيل الصهيونية ويلبسونها جلود الحملان، ويندّدون بالحقائق العربية الإسلامية، ويصفونها بالرجعية والعدوانية والديكتاتورية المتخلفة، وكأن الشرق الأوسط مباح، بل حق لكل طامع دخيل متآمر محتال من شذاذ الآفاق الذين ضاق العالم بهم، فقذفهم على شواطئ بلاد الشام كما يقذف البحر زبده الذي يذهب جفاء، وبدلاً عن الاحتجاج على هذا الأمر نرى مجموعة حاقدة من الكتبة تقوم بالدعاية ـ غير الشريفة ـ لهذا الدجل السياسي الذي يُرتكب دون رادع، بل تحول قسم من النظارة إلى ﴿**قردة خاسئين**﴾ [البقرة/٦٥]، أذلاء وكأن أمر الوطن والمواطن لا يعنيهم لا من قريب ولا من بعيد، وإذا ما ثار ثائر على الذل، أو دافع مدافع عن قضية تَهُمُّ المسلمين، أو رفض رافض أمراً مرفوضاً، نجد قيامة الكتبة قد قامت وبدؤوا يتهمون الشرفاء بالتطرف والأصولية، وراحوا يتلاعبون بالمصطلحات على هواهم حتى يُصبحَ الحقُّ باطلاً والباطل حقاً في غمرة العزف النشاز الصادر عن جوقة المطبلين والمزمرين والمشعوذين من دعاة الاستسلام والتسليم لكل ما هو دخيل وغريب، ولا غرابة بذلك، فالأمر سهل على من مات ضميره وانسلك في سلك العملاء الموتورين غير المأجورين.

إذا ما طالب مطالب بالوحدة الإسلامية قالوا: هذا طرح أصولي، وهم لا يعنون المعنى الحقيقي لكلمة أصولي ولا يعون معناه أصلاً إنما يعنون بكلمة أصولي المعنى المترجم للكلمة الإنجليزية «Fundamentalism» التي تعني

مذهب العصمة الحرفية الذي ابتدعته حركة بروتستانتية تؤكد على أن «الكتاب المقدس» الذي يضم التوراة والإنجيل معصوم عن الخطأ في كل ما يحتويه، كما تعني الكلمة: الإيمان بهذا المذهب البروتستانتي. فهل مَنْ يصفونهم بالأصولية من المسلمين يؤمنون بما يؤمن به الأصوليون البروتستانت؟ أم أن استعمال هذا المصطلح هو استعمال نابع عن الجهل المتأصل أو التجاهل المبرمج؟ ولا يقف هذا القذف عند حَدٍّ اتهام المتدينين المسلمين بالأصولية، وإنما يتجاوزهم ليشمل قطاعات أخرى من أبناء شعبنا حتى يعمهم جميعاً ما عدا العملاء لا غير، فَمَنْ يُطالب بتحكيم شرع الله يُتَّهم بالأصولية الإسلامية، ومن يطالب بالوحدة العربية يتهم بالأصولية القومية، ويجهرون بآرائهم المتهافتة دونما خجل، وكأنما المعري قد عناهم بكتابه «زجر النَّابح»[٢١] وجمع بينهم وبين نقيضهم في كتابه «الصاهل والشاحج»[٢٢] فقدم الصاهل لأصالته وأخر الشاحج لهجنته، وما أجدر دعاة الآراء الفاسدة بالحلول محلٍّ الثاني في عنوان كتاب المعري، وذلك مقام لائق بمن يخلط بين الأصولية البروتستانتية، ودين الله الذي لا يُقبل من الناس غيره، ويسمى التطرف الديني، ويضفي على الاغتصاب الصهيوني صفة الشرعية النابعة عن ديمقراطية المجازر التي نفذتها عصابات الهاغانا في قِبية ودير ياسين، ومن ثم نسجت على منوالها عصابات أخرى كتبت تاريخها بدماء أبناء الشعب الفلسطيني والشعب اللبناني، واستمرأ الكتبة جرائمهم فعتَّموا عليها، وهاجموا من لم يمل للعاصفة الصهيونية، لأنهم أكثر صهيونية من الصهاينة الأفاقين.

الهوامش:

١- حمى الأهواز: قيل عنها ليست إلى الغريب بأسرع منها إلى القريب (ثمار القلوب ص: ٥٥٠).

٢- حمى خيبر: يضرب بها المثل، لأن خيبر مخصوصة بالحمى والوباء. (معجم البلدان ٤٩٧/٣) والحيوان ١٣٦/٤) ومجمع الأمثال (٩٥/١).

٣- خيط الشيطان: يشبه به الشيء الباطل الذي لا أصل له: «وقيل: خيط باطلِ الذي يقال له لعاب الشمس ومخاط الشيطان» لسان العرب: خيط.

٤- ظل الغمام: يضرب مثلاً لما لا يدوم بل يسرع انقضاؤه.
٥- إلمامة الطيف: يشبه به غضب العاشق، ويقال: «طاف به الخيال طوفاً: ألم به النوم.. وطيف الخيال: مجيئه في النوم» لسان العرب طوف، طيف.
٦- أبعد من مناط الثريا: يضرب به المثل في البعد، واستحالة الحصول. (انظر جميع الأمثال ١/ ٢٠١، ٥٧٥).
٧-كتاب النثار: هم الذين لا يتعلموا من مُعلم بل يسرقون جهود الآخرين ويكوِّنون موادهم من النفاق والتملق والسطو.
٨- مشية السرطان: يضرب بها المثل في الادبار، ورجوع القهقري.
٩- فأرة العرم: تضرب مثلاً في الضعيف يقوى على الأمر الكبير، ويقال أن فأرة خربت سد مأرب فحصل سيل العرم. (انظر سورة سبأ، الآية: ١٦، والحيوان للجاحظ ٥/٢٤٩).
١٠- بعوضة نمرود بن كنعان: يروى أن البعوضة دخلت في أنف نمرود بن كنعان وكان بها حتفه.
١١- الصعوة: طائر من صغار العصافير أحمر الرأس (انظر الحيوان للجاحظ ٥/٢١٦).
١٢- عقوق الضب: إن الضبة تحرس بيضها، فإذا خرجت أولادها وثَبَتْ عليها وأكلتها فقالت العرب: أعق من الضب، (انظر الحيوان ١/١٩٦-١٩٧).
١٣- أهبر من الهبيرة: أهبر: أقطع، الهبيرة: الضبعة (انظر تاج العروس، هبر).
١٤- ظل الموت: كناية عن السيف.
١٥- أختل من الذئب: يضرب مثلاً للمخادع الغادر (انظر الحيوان ٦/٤١٠، ٢/٣٥٤، ختل الذئب كروغان الثعلب).
١٦- أحرص من كلب على جيفة أو عِرق: يضرب مثلاً للبخيل، والعرق: العظم: (انظر مجمع الأمثال رقم: ١٢١٧، والحيوان: ١/٢٢٠،٢٢٧،٢٧١).
١٧- رأس مال الدلال: الكذب.
١٨- لجاج الخنفساء: يضرب به المثل، لأنها إذا نحيت جانباً عادت (الحيوان للجاحظ ٣/ ٣٤٠،٣٤٥،٥٠٠).
١٩- اخلف من ولد الحمار: هو البغل لا يشبه أمه ولا أباه (انظر مجمع الأمثال للحيوان رقم:١٣٤٢ والحيوان للجاحظ ١/١٠٨).
٢٠- كلاب الناس: هم الأنذال والسفهاء إذا قويت شوكتهم تسلطوا وظلموا.
٢١- زجر النابح: اسم كتاب من كتب أبي العلاء المعري، نشرت مقتطفات منه في دمشق سنة ١٩٦٥م، مجمع اللغة العربية، تحقيق أمجد الطرابلسي.
٢٢- الصاهل والشاحج: من كتب المعري أيضاً نشرته دار المعارف في القاهرة سنة ١٩٧٥م، تحقيق عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ).

إصدارات

الكتاب: صقور القوقاز، (٢٥٦ صفحة).
المؤلف: سلجوق قُلَلي، ترجمة د. محمد حرب.
الناشر: دار المنارة للنشر والتوزيع جدة/١٩٩٢ .
موضوع الكتاب: رواية إسلامية تصوِّر جهاد الداغستانيين بقيادة الإمام شامل ضد الروس المعتدين على مدى خمس وثلاثين عاماً. وتفصل الرواية وقائع الحياة في داغستان قبل وخلال ثورة هذا المجاهد الذي استحق اسم أسد القوقاز والذي «دوّخ روسيا القيصرية وتصدى لظلمها وجبروتها وجيشها وخاض معارك ضارية بثلة من رجاله.. صقور القوقاز». والكتاب إلى جانب كونه دراسة في سيرة الرجل-البطل فهو سجلّ تاريخي للأحداث الدامية التي مرَّت في تلك الفترة.

* * *

الكتاب: أسلوب جديد في حرب الإسلام (٢١٠ صفحات).
المؤلف: جمعان بن عايض الزهراني.
الناشر: رابطة العالم الإسلامي (١٩٨٩) الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
الموضوع: يرفع هذا الكتاب الستار عن الحداثة ويفضح الحداثيين ويفتح أعين المصلحين على أخطار الوضع الراهن. .

* * *

الكتاب: اليهود في القرآن والسُنَّة، بعض من خلائقهم (١٦٦ صفحة).
المؤلف: د.محمد اديب الصالح.
الناشر: دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض.
الموضوع: دراسة للنصوص في محاولة لاستلهام العبر والدروس، وذلك في سبيل تحديد شخصية اليهود، حسبما ورد في الكتاب والسنة. والكتاب هو الجزء الأول وسيصدر الجزء الثاني قريباً.

* * *

خطبة الحاجة على الطريقة العلمانية

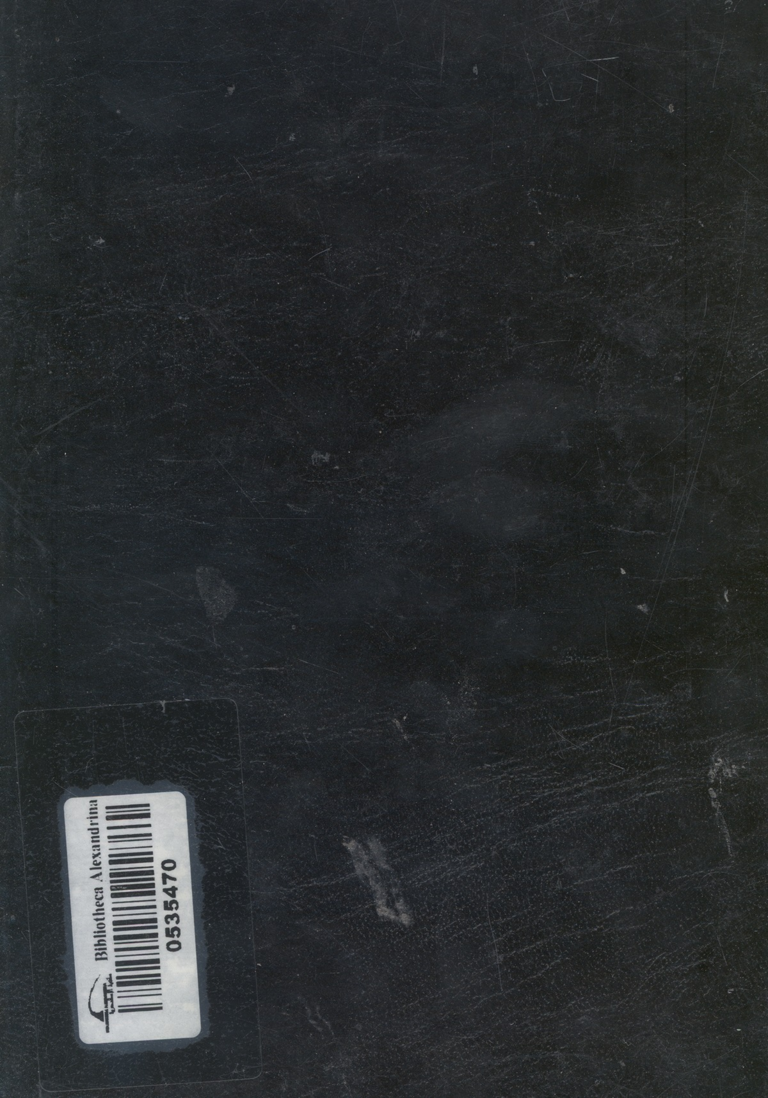
جمال سلطان

يتأدب المسلمون ـ عادة ـ عندما يبدأون الكلام ذا البال، أو الأحاديث الهامة، أو الخطب المطولة، فيبدؤون بحمد الله تعالى، والثناء عليه بما هو أهله، يلي ذلك إعلان كلمة التوحيد والتصديق بنبوة محمد ﷺ، وتلاوة آيات من القرآن الكريم، على النحو الذي يعرف باسم «خطبة الحاجة» اهتداءً بهدى النبي الكريم ﷺ، ثم يدخلون في الموضوع المقصود.

لقد أصبح للعلمانيين العرب في ـ أيامنا هذه ـ ما يشبه «خطبة الحاجة» عند المسلمين، غير أن خطبتهم تبدأ بسب الإسلاميين والتعريض بهم، وإعلان التصديق بأنهم إرهابيون، وتأييد خطوات «الحكومات الديموقراطية» التي تبطش بهم، ووصفهم بأنهم أعداء الحضارة، وأعداء التقدم والاستنارة، ودعاة الفتنة.. إلى آخر قائمة المغالطات الإعلامية المعروفة.

ويندر أن نجد اليوم مقالاً في صحيفة، أو بحثاً في مجلة، أو حواراً بين أصحاب الفكر العلماني المنحرف، في أي مكان، وعبر أي منبر، يتعرض للأحوال العامة في المنطقة العربية، إلا ويبدأ بسب الإسلاميين، والهجوم عليهم، والدعوة إلى عزلهم، والتنكيل بهم ونحو ذلك.

اليساريون في مصر، كتبوا مقالاً هاجموا فيه أحد الكتاب في صحيفة «الأهرام» بدعوى أنه يتعاطف مع الإسلاميين، وقدموا للمقالة بالديباجة المعروفة فلم يقصروا في شتم الإسلاميين ولعنهم والتأكيد على أنهم سبب كل بلاء، ولكن الكاتب المقصود، لم يتأخر، حيث نشر مقالاً ينفي فيه «تهمة» تعاطفه مع الإسلاميين، ولم ينس أن يبدأ مقاله بالديباجة أو «خطبة الحاجة العلمانية» من سب وتجريح وتشهير بالإسلاميين، ثم دخل في موضوعه مدعياً: أن «التطرف اليساري» هو الذي يغذي «التطرف» الإسلامي، فأصبح الأمر مثيراً للضحك حيناً، وللشفقة أحياناً أخرى، في زمن الهوان والضعة، زمن انحدار أصحاب الأقلام العربية العلمانية.


Bibliotheca Alexandrina
05335470